



كشف الإرتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب

تأليف

الإمام السيّد محسن الأمين الحسيني العاملي



■ كشف الارتياح في أتباع محمد بن عبد الوهاب

تأليف : الإمام السيد محسن الأمين الحسيني العاملي
الموضوع: تاريخ - عقائد
الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت [^]
الطبعة: الأولى
المطبعة: مجاب
الكمية: ٣٠٠٠
تاريخ النشر: ١٤٣٠ هـ

ردمك ٩٧٨ - ٩٦٤ - ٥٢٩ - ٥٦٠ - ٦

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمجمع العالمي لأهل البيت [^]

info@ahl-ul-bayt. org

www. ahl-ul-bayt. org

كلمة المجمع

إنّ تراث أهل البيت ^ع الذي اخترنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعبر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية.

وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربّي النفوس المستعدة للاغتراف من هذا المعين، وتقدّم للأمة الإسلامية كبار العلماء المحتذين لخُطى أهل البيت ^ع الرسالية، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

إنّ التجارب التي تختزنها كتب علماء أهل البيت ^ع في هذا المضمار فريدة في نوعها؛ لأنّها ذات رصيد علمي يحتكم الى العقل والبرهان ويتجنّب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت ^ع - منطلقاً من مسؤولياته التي أخذها على عاتقه - للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التي ضيّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى أهل البيت ^ع وأتباع مدرستهم الرشيدة التي حرصت في الردّ على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام في خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب في كلّ عصر.

ومن تلك الكتب كتاب كشف الإرتياب لمؤلفه العلامة الكبير السيّد محسن الأمين، وهو كتاب قيّم، سلس التعبير، رصين المطلب، صادر من عالم

جهبذ، بين فيه المؤلف الوهابية بصورتها الحقيقية، وقام بالرد عليها بأسلوب علمي متين، ونقل كلمات علماء السنّة الذين رفضوا فكر محمّد بن عبد الوهاب ورأوه امتداداً لفكر الخوارج الذين ظهروا في زمن الإمام علي عليه السلام.

ولأجل ذلك بادر المجمع إلى تحقيق الكتاب وطبعه بحلّة جديدة، إحياءاً للتراث وبياناً لحقيقة الفكر الوهابي الآخذ بالأسفين.

ونتقدّم بالشكر الجزيل إلى المحقق الشيخ لؤي المنصوري لتحقيقه الكتاب وإلى سماحة السيّد يونس الموسوي الذي قام بمراجعة الكتاب. وكلّنا أمل ورجاء بأن نكون قد قدّمنا ما استطعنا من جهد أداءً لبعض ما علينا تجاه رسالة ربّنا العظيم الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه وكفى بالله شهيداً.

المجمع العالمي لأهل البيت e

المعاونيّة الثقافية

بسم الله الرحمن الرحيم

حينما كتب والدي كتابه (أعيان الشيعة) قدّم له بمقدمات جعل منها رد ما رمي به الشيعة من أباطيل ، وقد شغلت تلك الردود حيزاً كبيراً من الجزء الأوّل ، ومع ذلك لم تستوعب رد كلّ ما قيل عن الشيعة زوراً وبهتاناً.

وقبل صدور الجزء الأوّل من (أعيان الشيعة) ببضع سنين كان الوهابيون قد ظهوروا مجدداً بإعلان تكفير المسلمين، كلّ المسلمين، واعتبارهم من المشركين وخصّوا الشيعة منهم بكثير من البذاءات والتهجمات، فانبهر الوالد لكشف أباطيلهم وتفسير أضاليلهم ، فكان من ذلك كتاب (كشف الإرتياب) الذي هو بمثابة رد باسم المسلمين أجمعين على شبهات الوهابيين، وتبيان ما استحوذ على نفوسهم من الانحراف عن جادة الصواب، وإيغال في الباطل .

وقد طُبِعَ عدّة طبعات، ولا يزال يطبع، وترجم إلى غير اللغة العربية ، فعمّ العالم الإسلامي .

وإذا كان كتاب (كشف الإرتياب) قد صدر قبل صدور (أعيان الشيعة) ، فإنّ للوالد كتاباً آخر صدر خلال تتابع صدور أجزاء (أعيان الشيعة) هو كتاب

(نقض الوشيعة) الذي نقض به افتراءات موسى جار الله في كتابه (الوشيعة).

ولمّا كان هذان الكتابان من صميم ما اشتملت عليه مقدّمات (أعيان الشيعة)، فقد رأينا ضمّهما إلى مجلدات الكتاب باسم (ملاحق أعيان الشيعة)، ليكون في يد القارئ مجموع ما صدر في هذا الموضوع، ويكون في سجل التاريخ صفحات مشرقة متكاملة من النضال في سبيل الحقّ ودفع الباطل.

ولقد كانت خاتمة مجلدات (أعيان الشيعة) سيرة المؤلف التي كتبها بنفسه وما أُضيف إليها ممّا كتبه الكاتبون بعد وفاته.

وبعد طبع الكتاب صدرت دراسات جامعية عديدة عن المؤلف نال أصحابها درجات علمية، وليست هذه الدراسات الآن كلّها في أيدينا، لذلك اقتصرنا على ما وصل إلينا منها، فاقتطفنا منها بعض الفصول وضممناها إلى الملاحق، لتتكامل مواضيعها.

ومن الله نسأل التسديد والتوفيق

حسن الأمين

بيروت - ٢٠ - ١٤٠١ هـ

١٥ آيار ١٩٩٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وخيار أصحابه وسلم.
وبعد؛ فلما ضعفت شوكة ملوك الإسلام، وكان من نتائج ذلك استيلاء
الوهابيين من أعراب نجد على الحجاز والحرمين الشريفين، وهدم مزارات
المسلمين، ومنها قبة أئمة أهل البيت^e وضريحهم بالبقيع، وقباب أبوي
النبي | عبد الله وآمنة وأجداده وأعمامه وأصحابه وأمهات المؤمنين وحواء
أمّ البشر والعلماء الصالحين، وقباب مواليد النبي | وجملة من آله وأصحابه،
وكلّ مكان يزار ويتبرك به في الحجاز، وتشويه محاسن تلك المشاهد العظيمة
عند الله تعالى وعند عامّة المسلمين من كلّ نحلّة ومذهب، والخدمة الجليلة
لإحياء الدين وتشديد الإسلام، وجعل قبور عظماء المسلمين وأئمة الدين بعد
تسويتها بالأرض معرضاً لدوس الأقدام، ووقوع القذرات، وكروث الدواب
والكلاب ووطئها بأرجلها، ودبضها فوقها وغير ذلك من أنواع الإهانات،
فساؤوا بذلك عامة المسلمين، وأحرقوا قلوب المؤمنين، وأسأؤوا الى الله تعالى
وإلى نبيّه | بإساءتهم إلى أوليائه وأهل بيت نبيّه وأصحابه ولحمته، استناداً
إلى شبهات واهية، وأمور ضعيفة سخيّة؛ جئت بهذه الرسالة، مبيناً ضعف
شبهاتهم، بالأدلة القاطعة من الكتاب والسنة والعقل وإجماع المسلمين وسيرة
السلف، فقد عمّت البلية منهم على المسلمين في الدنيا والدين وسميتها:
(كشف الإرتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب)، وبالله التوفيق، وعليه نتوكل
وبه نستعين.

وهي مرتبة على ثلاث مقدمات وثلاثة أبواب وخاتمة.

المقدمة الأولى:

في تاريخ الوهابية وفيها فصول

الفصل الأول

إلى مَنْ ينسب مذهب الوهابية؟ ومتى ظهر؟ وَمَنْ اتّبعه بعد ظهوره؟ وَمَنْ هو أوّل مَنْ بذّر بذور هذا المذهب؟

ينسب مذهب الوهابية إلى محمّد بن عبد الوهاب بن سليمان بن عليّ بن محمّد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمّد بن بريد بن مشرف بن عمر بن بعضاد بن ريس بن زاخر بن محمّد بن عليّ بن وهيب التميمي.

وفي خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام للشيخ أحمد بن زيني دحلان^(١): (ولد محمّد بن عبد الوهاب سنة (١١١١ هـ) وتوفي

١ - أحمد زيني دحلان، شافعي، فقيه ومؤرخ، مشارك في أنواع العلوم المختلفة، وكان مفتي الشافعية في مكة المكرمة، ولد بها سنة ١٨١٦ م، وتوفي في المدينة المنورة سنة ١٨٨٦ م، صاحب تصانيف مختلفة ومؤلفات منوعة، منها: (الدرر السنية في الرد على الوهابية)، و(خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام)، و(تاريخ الدول الإسلامية بالجدول المرضية)، و(الأزهار الزينية في شرح متن الألفية)، و(منهل العطشان على فتح الرحمن) وغيرها الكثير. راجع ترجمته في: إيضاح المكنون ١: ٢١٤، معجم المطبوعات العربية ١: ٩٩٠، الأعلام للزركلي ١: ١٢٩، معجم المؤلفين ١: ٢٢٩.

سنة ١٢٠٧هـ^(٢). فيكون عمره ستاً وتسعين سنة^(٣).

وأخذ في أوّل أمره عن كثير من علماء مكة والمدينة، وكانوا يتفرّسون فيه الضلال والإضلال، وكان والده عبد الوهاب من العلماء الصالحين، وكان يتفرّس فيه ذلك، ويذمه كثيراً، ويحذر الناس منه، وكذا أخوه سليمان بن عبد الوهاب أنكر عليه ما أحدثه، وألف كتاباً في الرد عليه^(٤).

وكان أوّل أمره مولعاً بمطالعة أخبار مدّعي النبوة كمسيلمة وسجاح والأسود العنسي وطلحة الأسدي وأمثالهم^(٥).

٢- يأتي في كلام الآلوسي (المؤلف).

٣- الذي في النسخة إثنان وتسعون سنة لكنه لا يوافق تاريخ الولادة والوفاة (المؤلف).

٤- الكتاب هو (الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية)

وسليمان بن عبد الوهاب الأخ الأكبر لمحمّد بن عبد الوهاب ، بقي حياً إلى سنة ١٢١٠ هـ ولم يعلم بالتحديد تاريخ وفاته، وكان أستاذاً لأخيه صاحب الفتنة الوهابية، وأوّل من رد عليه عندما أظهر دعوته الباطلة في كتابين هما: (الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية) و(فصل الخطاب في الرد على محمّد بن عبد الوهاب) . راجع ترجمته في: معجم المؤلفين ٤: ٢٦٩، الأعلام للزركلي ٣: ١٣٠.

٥- هؤلاء المتنّبون ترجمتهم كالتالي:

أ - الأسود العنسي: سهلة بن كعب المذحجي: متنّب مشعوذ من أهل اليمن، كان جباراً معانداً، أسلم لما أسلمت اليمن، ثم ارتد في حياة النبي ﷺ ، وهو أوّل مرتد في الإسلام فادّعى النبوة، وأظهر بسحره ما بهر به بعض ضعفاء العقول، فاتبعته قبائل من اليمن منها تغلب ومذحج، ثم توسع في دعوته حتّى وصلت إلى حضرموت ، حتّى قتل على يد أحدهم غيلة، قبل وفاة النبي ﷺ بشهر واحد، راجع ترجمته : فتوح البلدان ١: ١٢٥، فتح الباري ٨: ٧٢، الإستهيعاب ٣: ١٢٦٦، ←

→ إكمال الكمال ٥٤٣:٢، تاريخ الطبري ٤٣٠:٢، تاريخ الإسلام ٥:٣، البداية والنهاية ٣٣٩:٦.
 ب - سجاح بنت الحارث بن سويد بن علفان التميمية: من بني يربوع، متنبئة مشهورة، كانت شاعرة وأديبة وذات علم ودراية بالأخبار، ذات منزلة عظيمة عند قومها، ارتدت زمن أبي بكر وادعت النبوة بعد وفاة النبي الأكرم ﷺ، وتبعها جم غفير من عشيرتها منهم: شيب بن ربيعي الرياحي الذي شارك في قتل الحسين ﷺ في كربلاء، وجاءت بمن معها لغزو أبي بكر، فنزلت اليمامة، فبلغ خبرها مسيلمة الكذاب المتنبئ، فأقبل عليها وتزوج بها، ورجعت إلى أهلها في الجزيرة، وبعد مقتل مسيلمة أسلمت ورحلت إلى البصرة.

راجع ترجمتها في: الإصابة لابن حجر ٨: ١٩٨، الأعلام للزركلي ٣: ٧٨، فتوح البلدان ١: ١١٨، تاريخ الطبري ٤٩٥:٢، الكامل في التاريخ ٢: ٣٥٤، كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي ١: ٢٢ وغيرها من المصادر.

ج - مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الوائلي: متنبئ مشهور من المعمرين، ولد ونشأ باليمامة في القرية المسماة اليوم بالجبليّة قرب العينّة بوادي حنينة في نجد، ولقب برحمان اليمامة، جاء إلى النبي ﷺ مع قومه عند ظهور الدعوة الإسلامية، لكنه لم يلتق بالنبي الأكرم ﷺ، وما أن عاد إلى بلده حتّى ادعى النبوة وأرسل إلى النبي أنّه نبي ومشارك له في النبوة، وتوفي النبي ﷺ وهو باقٍ على دعوته حتّى توجه إليه المسلمون وقتل من الصحابة حينها ٤٥٠ صحابياً حتّى غلبوا على جماعة مسيلمة وقتل سنة ١٢ هـ. راجع ترجمته في: الثقات ٢: ١٧٥، الأعلام للزركلي ٧: ٢٢٦، تاريخ الطبري ٥١٥:٢، الكامل في التاريخ ٢: ٣٦٥، البداية والنهاية ٦: ٣٧٥.

ومن الطريف في المقام ما ذكره الزركلي في الأعلام ضمن ترجمته فقال: (استشهد من المسلمين على قتلهم في ذلك الحين ألفٌ ومئتا رجل، منهم أربعمئة وخمسون صحابياً.. ولا تزال آثار قبور الشهداء إلى اليوم ظاهرة في قرية الجبليّة حيث كانت الواقعة، وقد أكل السيل من أطرافها حتّى إنّ الجالس في أسفل الوادي يرى داخل القبور ولحدها)، مع أنّ الوهاية ومنهم الزركلي يحرمون القبور والبناء عليها. وها هو ينقل أنّ هنالك قبوراً للصحابة الذين استشهدوا سنة ١٢ هـ.

د - طليحة بن خويلد بن نوفل الأسدي: أسلم سنة ٩ هـ ولمّا رجع مع قومه ارتد وادّعى النبوة في حياة النبي الأكرم ﷺ فوجه النبي لقتله فلم يأخذ به السيف، فشاع بين الناس أنّ السلاح لا يأخذ به، ومات النبي ﷺ وهو على دعواه، وقتل من الصحابة إثنتين عكاشة بن محض وثابت ابن أقرم، ثمّ عاد وتاب. راجع ترجمته في: الإصابة لابن حجر ٣: ٤٤٠، سير أعلام النبلاء ←

وخلف محمد بن عبد الوهاب بعده أربعة أولاد وهم: عبد الله، وحسن، وحسين، وعلي، فقام بالدعوة عبد الله أكبرهم، ولمّا مات خلف سليمان وعبد الرحمن، وكان سليمان متعصباً تعصباً شديداً في أمرهم، قتله إبراهيم باشا سنة (١٢٣٣ هـ)، وقبض على عبد الرحمن وأرسله إلى مصر فمات بها، وخلف حسن عبد الرحمن، وولي قضاء مكة أيام استيلاء الوهابيين عليها، وعمر عبد الرحمن، حتّى قارب المائة، وخلف عبداللطيف، وخلف كل من حسين وعلي أولاداً كثيرة، ولم يزل نسلهم باقياً بالدرعية إلى الآن يسمّونهم أولاد الشيخ.

وكان القائم بنصرة محمد بن عبد الوهاب ونشر عقيدته محمد بن سعود، ثمّ ولده عبد العزيز، ثمّ ولده سعود) انتهى ملخصاً^{(٦)(٧)}.

وسعود بن عبد العزيز هو الذي غزا العراق والحجاز ومنع المسلمين من الحجّ، فانقطع الحجّ في زمانه عدّة سنين كما سيأتي.

وقال ملطبرون في جغرافيته المترجمة من رفاة بك ناظر مدرسة الألسن وقلم الترجمة المطبوعة بمصر: (أصل المذهب الوهابي أنّ العرب سيّما أهل اليمن تحدّثوا بأنّ راعياً فقيراً اسمه سليمان رأى في منامه كأنّ شعلة نار خرجت

→ ١: ٣١٦، الأعلام للزركلي ٣: ٢٣٠، تاريخ يعقوبي ٢: ١٢٩، الكامل في التاريخ ٢: ٣٤٣، الوافي بالوفيات ١٦: ٢٨٤، البداية والنهاية ٧: ١٣٣.

٦- الصواب أن أوّل من تبعه محمد بن سعود كما مرّ عن خلاصة الكلام (المؤلف).

٧- خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: ٢٢٧ - ٢٢٩، باب ابتداء فتنة الوهابية بما يبطل ما ابتدعه سنة ١٢٠٥ هـ.

منه وانتشرت في الأرض وصارت تحرق من قائلها، فقصها على معبر، فعبرها بأنّ ولدًا له يحدث دولة قوية، فتحققت الرؤيا في حفيده محمد بن عبد الوهاب، فلمّا كبر محمد صار محترمًا عند أهل بلده بسبب هذه الرؤيا، فلم يتبعه أحد، فرجع إلى بلاد العرب بعد أن غاب عنها ثلاث سنين، وجاء إلى بلاد نجد وأظهر هذا المذهب، فتبعه عليه سعود^(٨)، وكان شهماً حازماً، تقوى كلّ منهما بالآخر، فقوى سعود إمارته من طريق الدين باتباعه محمد بن عبد الوهاب على مذهبه، وقوى ابن عبد الوهاب دعوته من طريق السيف باتباع سعود وانتصاره به، فكان سعود الأمير الحاكم وابن عبد الوهاب الرئيس الديني، وصارت ذرية كلّ منهما تتولى مرتبة سلفها. وبعد أن صار سعود حاكماً على قبيلته تغلب على قبيلتين من اليمن.

ودان بهذا المذهب قبائل كثيرة من العرب وجميع أعراب نجد، واختاروا مدينة الدرعية قاعدة بلادهم، وهي في الجنوب الشرقي من البصرة، وبعد خمس عشرة سنة اتسعت ولاية سعود وهو يطمع في الزيادة، وكان يأخذ ممّن يطيعه عشر المواشي والنقود والعروض بل والأنفس، فيأخذ عشر الناس بالقرعة، فجمع أموالاً عظيمة، وصار جيشه يربو على مائة وعشرين ألف مقاتل^(٩) انتهى.

وفي خلاصة الكلام: (كان ابتداء ظهور محمد بن عبد الوهاب سنة (١١٤٣هـ)، واشتهر أمره بعد الخمسين فأظهر العقيدة الزائغة بنجد وقرأها، فقام بنصره محمد بن سعود أمير الدرعية، فحمل أهله على متابعتها، فتابعوه ومازال

٨- الصواب أن أول من تبعه محمد بن سعود كما مر عن خلاصة الكلام (المؤلف).

٩- راجع البدر الطالع ٢: ٢٨٣ ت ١٨١.

يطيعه كثير من أحياء العرب حتّى قوي أمره، فخافته البادية، وكان يقول لهم: إنّما ادعوكم إلى التوحيد وترك الشرك بالله^(١٠).

وعن كتاب تاريخ نجد لمحمود شكري الآلوسي: (إنّ ابن عبد الوهاب نشأ في بلد العيينة من بلاد نجد، فقرأ على أبيه الفقه على مذهب أحمد بن حنبل، وكان من صغره يتكلم بكلمات لا يعرفها المسلمون، وينكر عليهم أكثر الذي اتفقوا على فعله، فأخذ عن الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف، وشدد النكير على الإستغاثة بالنبيّ عند قبره، ثمّ رحل إلى نجد، ثمّ إلى البصرة يريد الشام، فلمّا ورد البصرة أقام فيها مدّة، وأخذ فيها عن الشيخ محمّد المجموعي، وأنكر على أهلها أشياء كثيرة، فأخرجوه منها، فخرج هارباً، ثمّ جاء بعد عدة تحولات إلى بلد (حريملة) من نجد، وكان أبوه بها، فلزمه وقرأ عليه، وأظهر الإنكار على مسلمي نجد في عقائدهم، فنهاه أبوه فلم ينته حتّى وقع بينهما نزاع، ووقع بينه وبين المسلمين في (حريملة) جدال كثير، فأقام على ذلك سنتين حتّى توفي أبوه سنة (١١٥٣ هـ)، فاجترأ على إظهار عقائده والإنكار على المسلمين فيما أطبقوا عليه، وتبعه حثالة من الناس إلى أن غص أهل البلد من مقالاته وهمّوا بقتله، فانتقل من (حريملة) إلى العيينة، ورئيسها يومئذ عثمان ابن أحمد بن معمر، فأطعمه ابن عبد الوهاب في ملك نجد، فساعده عثمان وأعلن النكير على المسلمين، فتبعه بعض أهل (العيينة)، وهدم قبة زيد بن الخطاب التي عند الجبيلة، فعظم أمره، وبلغ خبره سليمان بن محمّد بن عزيز

١٠- خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: ٢٢٨، باب ابتداء فتنة الوهاية مع الرد عليهم بما يبطل ما ابتدعوه سنة ١٢٠٥ هـ.

الحميدي صاحب الأحساء والقطيف وتوابعها، فأرسل سليمان كتاباً إلى عثمان يأمره فيه بقتله ويهدده على المخالفة، فلم تسعه مخالفته، فأرسل إليه وأمره بالخروج عن مملكته، فقال له: إن نصرتني ملكت نجداً، فلم يسمع منه.

وخرج إلى الدرعية سنة (١١٦٠ هـ)، وهي بلاد مسيلمة الكذاب، وصاحبها يومئذٍ محمد بن سعود من قبيلة عنيزة، فتوسل بامرأة الحاكم إليه، وأطمعه في ملك بلاد نجد، فتبعه وبايعه على قتال المسلمين، فكتب إلى أهل الدرعية بالقتال، فأجابوه وقاتلوا معه أهل نجد والأحساء مراراً كثيرة حتى دخل بعضهم في طاعته طوعاً أو كرهاً، وصارت إمارة نجد جميعها لآل سعود بالقهر والغلبة.

ومات ابن عبد الوهاب سنة (١٢٠٦ هـ)، ثم مات محمد بن سعود فخلفه ولده عبد العزيز، وقام بنصرة هذا المذهب، وقاتل عليه، وبلغت سراياه وعماله أقصى بلاد نجد، ثم مات عبد العزيز فخلفه ولده سعود وكان أشد من أبيه في التوهم؛ منع المسلمين عن الحج، وخرج إلى السلطان، وغالى في تكفير من خالفهم، ثم مات سعود وخلفه ابنه عبد الله^(١١) انتهى.

وفي خلاصة الكلام: (إن الوهابيين أرسلوا في دولة الشريف مسعود بن سعيد بن زيد المتوفى (١١٦٥ هـ) ثلاثين من علمائهم، فأمر الشريف أن يناظرهم علماء الحرمين، فناظروهم فوجدوا عقائدهم فاسدة، وكتب قاضي الشرع حجة بكفرهم وسجنهم، فسجن بعضهم، وفرّ الباقون.

ثُمَّ في دولة الشريف أحمد المتوفى سنة (١١٩٥ هـ) أرسل أمير الدرعية بعض علمائه فناظرهم علماء مكة واثبتوا كفرهم فلم يأذن لهم في الحج^(١) انتهى ملخصاً.

وهذا المذهب وإن كان ظهوره وانتشاره في زمن محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر إلا أن بذره قد بذر قبل ذلك من زمن أحمد بن تيمية في القرن السابع، وتلميذه ابن القيم الجوزية وابن عبد الهادي ومن نسج على منوالهم.

وقد عثرنا فيه على رسالة لمحمد بن إسماعيل الأمير اليمني الصنعاني المولود سنة (١٠٩٩ هـ) والمتوفى سنة (١١٨٢ هـ) كما عن كتاب البدر الطالع للشوكانى^(٢) سمّاها (تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد)، وسيأتي النقل عنها في في محاله. وهذا الرجل كان معاصراً لابن عبد الوهاب .

وعن كتاب أبجد العلوم للصديق حسن خان القنوجي: (كان المولى العلامة السيد محمد بن إسماعيل الأمير بلغه عن أحوال هذا النجدي ما سرّه، فقال قصيدته المشهورة:

سَلامَ عَلَى نَجْدٍ وَمَنْ حَلَّ فِي نَجْدٍ وَإِنْ كَانَ تَسْلِيمِي عَلَى الْبُعْدِ لَا يُجْدِي^(٣)
يُجْدِي^(٣) ثُمَّ لَمَّا تَحَقَّقَ الْأَحْوَالُ مِنْ بَعْضٍ مِنْ وَصَلَ إِلَى الْيَمَنِ وَجَدَ الْأَمْرَ غَيْرَ

١- خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام : ٢٢٧ - ٢٢٩ ابتداء فتنة الوهابية مع الرد عليها بما يبطل ما ابتدعوه.

٢- البدر الطالع ٥٢: ٢.

٣- وهي التي يقول فيها كما أورده الصنعاني في تطهير الاعتقاد: ٥٠٢ :
أعادوا بها معنى سواع ومثله يغوث وود ليس ذلك ودي

صافٍ عن الأدغال وقال:

رَجَعْتُ عَنِ الْقَوْلِ الَّذِي قُلْتُ فِي نَجْدٍ فَقَدْ صَحَّ لِي عَنْهُ خِلَافٌ الَّذِي عِنْدِي^(١)

انتهى.

وعن محمد بن إسماعيل المذكور أنه قال في شرح القصيدة المذكورة المسمّى بـ (محو الحوبة في شرح أبيات التوبة): (لَمَّا بَلَغْتَ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ نَجْدًا يَعْنِي الْأَبْيَاتِ الْأُولَى وَصَلَ إِلَيْنَا بَعْدَ أَعْوَامٍ رَجُلٌ عَالِمٌ يَسْمَى الشَّيْخَ مَرْبِدَ بْنَ أَحْمَدَ التَّمِيمِيِّ وَذَلِكَ فِي صَفَرِ سَنَةِ (١١٧٠ هـ)، وَحَصَلَ بَعْضُ كُتُبِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ وَابْنِ الْقَيِّمِ بِخَطِّهِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى وَطَنِهِ فِي شَوَالٍ مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ، وَكَانَ مِنْ تَلَامِيذِ ابْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الَّذِي وَجَّهَنَا إِلَيْهِ الْأَبْيَاتِ وَكَانَ تَقْدِمُهُ فِي الْوُصُولِ إِلَيْنَا الشَّيْخَ الْفَاضِلَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّجْدِيِّ، وَوَصَفَ لَنَا مِنْ حَالِ ابْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ أَشْيَاءَ أَنْكَرْنَاهَا عَلَيْهِ مِنْ سَفْكِ الدَّمَاءِ وَنَهْبِ الْأَمْوَالِ وَتَجَارِيهِ عَلَى قَتْلِ النَفُوسِ وَلَوْ بِالْإِغْتِيَالِ، وَتَكْفِيرِهِ الْأُمَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ فِي جَمِيعِ الْأَقْطَارِ، فَبَقِيَ مَعَنَا تَرَدُّدٌ فِيمَا نَقَلَهُ الشَّيْخُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَتَّى وَصَلَ الشَّيْخَ مَرْبِدَ، وَلَهُ نَبَاهَةٌ، وَمَعَهُ بَعْضُ رِسَائِلِ ابْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الَّتِي جَمَعَهَا فِي وَجْهِ تَكْفِيرِ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَقَتْلِهِمْ وَنَهْبِهِمْ، وَحَقَّقَ لَنَا أَحْوَالَهُ وَأَفْعَالَهُ، فَعَرَفْنَا أَحْوَالَهُ أَحْوَالَ رَجُلٍ عَرَفَ مِنَ الشَّرِيعَةِ شَطْرًا وَلَمْ يَمَعْنَ

وقد هتفوا عند الشدائد باسمها كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
→ وكم نحروا في سوحها من نحيرة أهلت لغير الله جهلاً على عمد
وكم طائف حول القبور مقبلاً ويلتمس الأركان منهن بالأيدي (المؤلف)
١ - أبجد العلوم ٣: ١٩٦.

النظر ولا قرأ على من يهديه نهج الهداية، ويدله على العلوم النافعة، ويفقهه، بل طالع بعض مؤلفات ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وقلدهما من غير اتقان مع أنَّهما يحرمان التقليد) انتهى.

وهذا يدل على أنَّ محمد بن إسماعيل المذكور رجع عن مغالاته في التوهب، ولعل رجوعه كان بعد تأليفه رسالة تطهير الاعتقاد، لأنَّ تلك الرسالة لا تقصر عن كتب ابن عبد الوهاب في المغالاة كما ستعرف.

وقد تبع هذا المذهب من بعد ظهوره بمظهر ترك البدع مع ما يروونه من كثرة البدع، لكن الإفراط آفة تُفسد أكثر ممَّا تصلح.

وكلُّ يدعي وصلاً بليلي

والبعض منهم لم يصل في تضليل المسلمين إلى حد التكفير واستحلال الدم والمال كالآلوسي صاحب تاريخ نجد فيما حكى عنه حيث قال بعد ذكر سعود بن عبد العزيز : (إنَّه قاد الجيوش على الخيل والعناق والركائب والبخت، وأذعنت له صناديد العرب، وذلت له رؤسائهم، بيد أنَّه منع الناس عن الحجّ، وخرج على السلطان ، وغالى في تكفير من خالفهم ، وشدد في بعض الأحكام ، وحملوا أكثر الأمور على ظواهرها ، كما غالى الناس في قدحهم.

والإنصاف الطريقة الوسطى لا التشديد الذي ذهب إليه علماء نجد وعامتهم من تسمية غاراته على المسلمين بالجهاد في سبيل الله، ومنعهم الحجّ، ولا التساهل الذي عليه عامّة أهل العراق والشامات وغيرهما من الحلف بغير الله، وبناء الأبنية المزخرفة بالذهب والفضة والألوان المختلفة على قبور

الصالحين، والنذر لهم وغير ذلك من الأمور التي نهى عنها الشارع.

والحاصل : إنّ الإفراط والتفريط في الدين ليس ممّا يليق بشأن المسلمين، بل الأحرى بهم اتباع ما عليه السلف الصالح، وتكفير بعضهم لبعض مستوجب للمقت والغضب^(١).

فتراه قد أنصف بعض الإنصاف لوم الوهابيين على تكفير من خالفهم، ومنع الناس عن الحجّ، والخروج على السلطان، وتسمية الغارة على المسلمين جهاداً في سبيل الله، ولكنه حاد عن الإنصاف في جعله الحلف بغير الله والبناء على قبور الصالحين ممّا نهى عنه الشارع، لما ستعرف من أنّ النهي منه غير واقع.

وجعله النذر للصالحين لما ستعرف أيضاً من أنّه لا ينذر أحد لهم، بل لله ويهدي الثواب إليهم.

وربما يكون كثير من غير النجديين ممّن ينسب إلى العلم ويميل إلى الوهابيين لا يصل في المغالاة إلى حدّ التكفير واستحلال المال والدّم ، والله العالم بأسرار عباده.

الفصل الثاني

في حروب الشريف غالب أمير مكّة المكرمة مع الوهابيين
واستيلائهم على الحجاز في زمانه وما فعلوه في الحجاز
والعراق وانقطاع الحجّ والزيارة في أيّامهم

في خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام لأحمد بن زيني دحلان مفتي
الشافعية : (إنّ الشريف غالباً غزا الوهابية ما ينوف عن خمسين غزوة من سنة
(١٢٠٥ هـ) إلى سنة (١٢٢٠ هـ) ، فأرسل عليهم في سنة (١٢٠٥ هـ) ستمائة
مقاتل مع أخيه عبد العزيز مع قبائل كثيرة حتّى وصل إلى عريق الدسم، وملك
عدّة من قرى نجد، وحاصر عنيزة قرية بسام، ثمّ رجع .

وفي سنة (١٢٠٦ هـ) جهز جيشاً بأمرة المذكور لقتال القبائل التي دخلت
في دين عبد العزيز بن محمّد بن سعود^(٢)، فوصل به إلى تربة، ثمّ إلى رينة،
ثمّ إلى بيشة^(٣)، فاطاعته كلّها، ثمّ عاد إلى مكّة.

٢- وهو الذي تأمر بعد موت أخيه محمّد بن سعود الذي أوّل من اتبع محمّد بن عبد الوهاب
(المؤلف).

٣- أودية بالقرب من مكّة على مسافة يومين منها، قال أحمد بن محمّد الهمداني: (تربة ورينة
وبيشة هذه الثلاثة أودية ضخام، مسيرة كلّ واحد منها عشرون يوماً، أسافلها في نجد وأعاليها في
السراة). راجع معجم البلدان ٢: ٢١.

وفي سنة (١٢٠٨ هـ) غزا الوهابيين بجيش من العربان بإمرة عثمان المضايقي فصبيح ابن قيحان بموضع يقال له: (عقيلان)، وحصلت ملحمة عظيمة انتصر فيها عثمان وأخذ جميع إبل ابن قيحان، ثم هزمه ابن قيحان ولم ينتزع منه الإبل.

وفي سنة (١٢٠٩ هـ) جهز جيشاً بإمرة أخيه عبد المعين لغزو هادي بن قرملة، وكان ممن توهب فنذر به وهرب، فقصد ابن قطنان من أتباع ابن سعود، فحصره في قصره، وقبض عليه وأرسله إلى الشريف غالب، فسأله العفو، فعفا عنه وأطلقه، فلما وصل إلى بلده غدر وأظهر العصيان، فدس إليه من قتله، وقصد مواضع فيها من أتباع ابن سعود فقتل منهم ثم رجع إلى مكة.

وفي سنة (١٢١٠ هـ) جهز جيشاً بإمرة السيد ناصر، فغزا جماعة من الوهابية، فقتل ونهب وعاد سالماً، ثم جهز جيشاً بإمرة السيد فهيد بن عبد الله، وغزا جماعة من الوهابية وقبض على ثلاثة جواسيس أرسلهم هادي بن قرملة، فقتل إثنين وأخبره الثالث بموضع القوم مخافة القتل فعفا عنه، وجد في السير، وفي اليوم الثاني وصل إلى محل هادي بن قرملة، فقتل من أصحابه نحو المائة وانهزم الباقون، ثم توجه على طريق الفرشة، فصادف جماعة من قحطان بإمرة ابن قيحان، وهو ممن توهب، فقتل منهم ونهب، وصادف ابن شذير من شيوخ قحطان غازياً، فقتل من أصحابه خمسة وأربعين، وأخذ ابن شذير وإبله وخمسة من الخيل وعشرين من جياذ الركاب.

ثم جهز جيشاً بإمرة أخيه عبد المعين، فأرسل الجواسيس، فوجد من يريده من العربان قد ترفع وابتعد لما سمعوا به، فأبقى جماعة في تربة وجمع.

ثم جهز جيشاً كثيفاً بإمرة السيد ناصر حتى أتى الشماس، فدهمهم جيش

الوهابيين، فجرت ملحمة عظيمة، وقتل من الفريقين خلق كثير، ورجع السيد ناصر إلى مكة.

وفي سنة (١٢١١ هـ) ^(٤) جهز جيشاً بإمرة السيد فهيد، فأرسل سرية إلى الخرمة، ففلت منهم، ثم أغار على قوم من حرب توهبوا، ثم ارتحل إلى روع النعام، فدهمهم الحجيلاني أمير الخرج بجند كثير، ف وقعت ملحمة عظيمة قتل فيها كثير من الطرفين، ثم غزا هادي بن قرملة بموضع يقال له: (البقرة)، فقتل منهم وأخذ فرس ابن قرملة وإبله، ثم رجع إلى مكة فجهز له الشريف غالب جيشاً وأمره بالرجوع، فملك رينة ونهبها وأحرق دورها، ثم أتى الجنية وأرسل الجواسيس إلى قوم سمّاهم، فأخبر بارتحالهم، فعاد إلى مكة.

وفي سنة (١٢١٢ هـ) جهز جيشاً بإمرة السيد فهيد على قوم من حرب في عريق الدسم توهبوا، فغنم وعاد سالماً، ثم جهز جيشاً بإمرة السيد مبارك، فأغار

٤- في رسالة الفواكه العذاب لأحمد ناصر النجدي إحدى رسائل الهدية السنية: ص ٦٤ المطبوعة بمطبعة المنار بمصر: (إنّ الشريف غالباً في سنة (١٢١١ هـ) طلب من عبد العزيز بن سعود ارسال عالم لمناظرته وأنه أذعن له علماء الحرم).

ولم يشر إليهما في خلاصة الكلام، بل أشار إلى وقوع مناظرة قبل ذلك في دولتي الشريفين مسعود ومساعد كما مرّ. وأتّى لنا بتصديق إقرار علماء الحرم له بصحة معتقده وأنه غلبهم بشبهاته التي بان ضعفها وفسادها ممّا أوردناه في هذا الكتاب.

نعم، يجوز أن تكون وقعت هذه المناظرة فلم يقنع ذلك النجدي، بل بقي على إصراره وعناده. خصوصاً إذا لاحظنا أنّهم ينقلون خطأً ويذكرون أموراً لا صحة لها، ويدعون الجماع على مسائل لم يقلها غيرهم، فالهزيمة عندهم نصر والخذلان عندهم كرامة عظيمة وفتح مبين.

على قوم من حرب توهبوا بموضع يقال له: (العلم)، فغنم مواشيهم، وصادف في طريقه خمسة وأربعين من الوهابية، فقتلهم وأراد الرجوع، فمنعه الشريف غالب وأمدّه بجيش بأمرة السيد سعد، فاجتمعوا على صلبة، وارتحلوا وأقاموا على مران وبثوا الجواسيس، فبلغهم أنّ الوهابي جمع لهم ما لا طاقة لهم به، فأرادوا الرجوع، فمنعهم الشريف غالب وخرج بنفسه في جيش عظيم حتّى وصل مران واجتمع بهما، ثمّ أغار على قوم من قحطان وأخذ مواشيهم، ثمّ أغار على ابن قرملة في القنصلية وقتل منهم مقتلة عظيمة، وفرّ ابن قرملة منهزماً، ثمّ عاد إلى رينة وحاربها وقطع نخلها، فطلب أهلها الصلح، فعفا عنهم وارتحل إلى بيشة، فأقرّ بها جماعة أطاعوه وفرّ آخرون، فأحرق دورهم، وارتحل إلى الخرمة فأبأها، وجاءه خبر بقدوم الوهابيين في جمع عظيم، فاتهم المخبر، وبعد يومين أقبلوا في جموعهم والتحم القتال، فقتل من الفريقين ما ينوف عن ألفين، ومن الأشراف نيف وأربعون، وكانت الغلبة للوهابية، ثمّ رجع إلى مكة^(٥).

صلح الشريف غالب مع الوهابية:

وفي سنة (١٢١٣ هـ) في جمادى الأولى انعقد الصلح بين الشريف غالب

٥- خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام : ٢٦١ - ٢٩١، ذكر قتال الشريف غالب للوهابية سنة ١٢٠٥ هـ.

وعبد العزيز بن محمد بن سعود بعد مكاتبات، وجعلوا حدوداً للأراضي والقبائل التي تحت طاعة الشريف وطاعة ابن سعود، وأخذت العهود والمواثيق بينهم على ترك الحرب وأن يحجّ الوهابيون، ونودي بالأمان، وحجّ من علمائهم حمد بن ناصر ومعه شزيمة منهم، ولم يحجّ أميرهم؛ لأنّ سليمان باشا والي بغداد جهّز عليه جيشاً بإمرة علي بك كتحدا فحاصروهم، لكنهم دسوا دسائس أفسدوا بها أهل العسكر وفرّ أميره هارباً.

وفي سنة (١٢١٤ هـ) حجّ سعود بن عبد العزيز ومعه أناس كثير، واجتمع بالشريف غالب في خيمة ضربت لهما بالأبطح.

وفي سنة (١٢١٥ هـ) حجّ سعود أيضاً ومعه جند يزيد على عشرين ألفاً، وأرسل قبل قدومه هدية للشريف غالب مع حمد بن ناصر وهي: خمسة وثلاثون من الخيل، وعشر من النوق العمانية، فقبلها الشريف وكافأهم عليها، وكان قد احترس قبل قدومهم خوفاً من غدرهم، فبنى سور الطائف والأبراج التي في أطراف مكة ومداخلها، وطلب كثيراً من القبائل، وترس جميع المداخل والأبراج، فلم يدخل سعود مكة بجيشه قبل الوقوف، بل نزل بعرفة.

وفي الثاني عشر من ذي الحجة وقع خصام بين عرب الشريف وقوم سعود أدّى إلى القتال بالرصاص، فمنع الشريف عربيه وكفّ القتال، ونزل الناس من منى قبل الزوال، ثمّ رحل سعود إلى بلاده^(٦).

٦- خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: ٢٦٧ - ٢٦٩ ذكر الصلح سنة ١٢١٣ هـ.

غزو الوهابية العراق سنة (١٢١٦ - ١٢٢٥ هـ) واعادتهم فاجعة كربلاء:

يقول المؤلف : وفي سنة (١٢١٦ هـ) جهز سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود الوهابي جيشاً عظيماً من أعراب نجد وغزا به العراق، وحاصر كربلاء، ثم دخلها عنوة وأعمل في أهلها السيف، ولم ينج منهم إلا من فرّ هارباً أو اختفى في مخبأ أو تحت حطب ونحوه، ولم يعثروا عليه، وهم جيران قبر ابن بنت رسول الله | السبط الشهيد، ونهبها، وهدم قبر الحسين عليه السلام، واقتلع الشباك الموضوع على القبر الشريف، ونهب جميع ما في المشهد من الذخائر، ولم يرع لرسول الله | ولا لذريته حرمة وأعاد بأعماله ذكرى فاجعة كربلاء ^(٧)، ويوم الحرّة ^(٨) ..

٧- وقعة كربلاء وقعة تاريخية مشهورة خرج فيها الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب على طاغوت بني أمية وابن آكلة أكباد الشهداء والصالحين، لما رأى أنّ دين جده قد آل إلى الاضمحلال وأنّ الرايات السفينانية التي قاتلته لما ظهر في ربوع الجزيرة تسمنت اليوم الخلافة وأخذت تتلاعب بالدين كيفما شاءت وأرادت، فشمر عن ساعديه وأعلن رفضه ليزيد، ليخرج مع صحبه وآل بيته على الجور والظلم، حتّى استشهد مع صحبه وآل بيته على يد الزمرة اليزيدية الحاكمة التي اتبعت هواها وحب الدنيا. وبقيت نهضته وصرخته حيّة إلى اليوم ومناراً للأحرار، ومنهاجاً للثوار، ومفخرة لمن خرج في سبيل الحق واستشهد.

استشهد الحسين عليه السلام سنة ٦١ للهجرة. ارجع إلى ترجمته في جميع كتب التواريخ والتراجم للإطلاع على تفاصيل الواقعة والأحداث التي جرت آنذاك.

٨- وقعة الحرّة: هي الغزوة الشهيرة التي غزا فيها يزيد بن معاوية مدينة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وقتل فيها الصحابة الخيرين واستباح أهلها ثلاثة أيام، وفجر بنات الصحابة حتّى افتضت آلاف ←

→ النساء على يد جيشه ، قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٤: ٣٨ معرفاً بيزيد: (وكان ناصبياً، فظاً، غليظاً، جلفاً، يتناول المسكر، ويفعل المنكر . افتتح دولته بمقتل الشهيد الحسين، واختتمها بواقعة الحرّة، فمقتته الناس، ولم يبارك في عمره. وخرج عليه غير واحد بعد الحسين، كأهل المدينة قاموا لله).

وقال ابن حبان في الثقات ٢: ٣١٣: (بعث يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة المزني إلى المدينة لست ليالٍ بقين من ذي الحجة سنة ست وستين، فقتل مسلم بن عقبة بالمدينة خلقاً من أولاد المهاجرين والأنصار واستباح المدينة ثلاثة أيام نهياً وقتلاً، فسميت هذه الوقعة وقعة الحرّة).

وقال ابن الأثير الجزري في أسد الغابة ٣: ١٤٧: (وفد عبد الله بن حنظلة مع غيره من أهل المدينة إلى يزيد بن معاوية ، فأرأوا منه ما لا يصلح ، فلم ينتفعوا بما أخذوا منه، فرجعوا إلى المدينة وخلعوا يزيد، وبايعوا لعبد الله بن الزبير، ووافقهم أهل المدينة، فأرسل إليهم يزيد مسلم بن عقبة المري.. فأوقع بأهل المدينة وقعة عظيمة ، قتل فيها كثير منهم في المعركة وقتل كثيراً صبراً).

وقال المناوي في فيض القدير في شرح الجامع الصغير ١: ٥٧: (وقعة الحرّة حين وجه يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة في جيش إلى المدينة ، فقتل من فيها من بقايا المهاجرين والأنصار وخيار التابعين وهم ألف وسبعمائة، ومن الأخلاط عشرة آلاف).

قال السهوي : قال القرطبي: والت الخيل في المسجد النبوي وبالت وراثت بين القبر والمنبر ، وخلت المدينة من أهلها).

وقال ابن حجر في الإصابة ٦: ٢٣٢: (وقد أفحش مسلم القول والفعل بأهل المدينة وأسرف في قتل الكبير والصغير حتى سمّوه مسرفاً، وأباح المدينة ثلاثة أيام لذلك العسكر ينهبون ويقتلون ويفجرون، ثم رفع القتل وبايع من بقي على أنهم عبيد ليزيد بن معاوية، وتوجه بالعسكر إلى مكة ليحارب ابن الزبير).

وقال الحموي في معجم البلدان ٢: ٢٤٩: (وسمّوه لقبيح صنيعه مسرفاً، قدم المدينة فنزل حرة وأقام، وخرج إليه أهل المدينة يقاتلونه ، وقتل من الموالى ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل، ومن الأنصار ألفاً وأربعمائة، ومن قريش ألفاً وثلاثمائة، ودخل جنده المدينة فنهبوا الأموال، وسبوا الذرية، واستباحوا الفروج، وحملت منهم ثمانمائة حرة وولدن، وكان يقال لأولئك الأولاد: أولاد الحرّة).

وأعمال بني أمية^(٩)..

٩- ركب بنو أمية أعمال شنيعة في حق الرسول الأكرم ﷺ وفي حق ذريته من بعده، فبنو أمية ليسوا على وفاقٍ مع بني هاشم من أول الأمر، وكان آباؤهم على خلاف دائم، ذكر المقرئ في كتابه النزاع والتخاصم واليماني معمر في كتابه فصل الحاكم أن عداءهم للرسول الأكرم ﷺ قديم، وضارب في إسفين الأرض، فمن بني أمية أبو أحيحة سعد بن العاص بن أمية مات مشركاً وكان شديد العداء للنبي الأكرم ﷺ، ومنهم عقبة بن أبي معيط، وكان فاجراً فاحشاً، حيث وضع رجله الخبيثة على عنق الرسول ﷺ لما رآه ساجداً، وفي مرة أخرى وضع سلا جزور على ظهره، وأسر النبي ﷺ في بدر، وضرب عنقه الإمام علي عليه السلام، وقال له الصبية إلى النار، ومنهم الحكم بن أبي العاص الذي لعنه رسول الله ﷺ وطرده من المدينة وأعاده عثمان إليها في خلافته، وكان سبب نقمة الصحابة عليه، وقد لعنه رسول الله ﷺ قال ابن الأثير في أسد الغابة ٢: ٣٤: «روى في لعنه ونفيه أحاديث كثيرة».

ومنهم عتبة بن ربيعة عدو الله ورسوله ﷺ، وهو جد معاوية لأمه، قتله الحمزة ببدر ولاكت ابنته هند كبد أسد الإسلام حمزة سلام الله عليه.

ومنهم الوليد بن عتبة قتله الإمام علي عليه السلام يوم بدر وهو مقيم على كفره وشركه، وهو خال معاوية. ومنهم شيبة بن ربيعة.

ومنهم أبو سفيان حامل راية الكفر ومحزب الأحزاب ضد الرسول الأكرم ﷺ، ثم أسلم لما فتحت مكة على كره، رأس النفاق، وشيخ المشركين، وقد خاطبه الإمام علي عليه السلام يوم وفاة الرسول ﷺ بقوله: «مازلت عدواً للإسلام وأهله، فما ضر ذلك الإسلام وأهله شيئاً» الاستيعاب لابن عبد البر ٣: ٩٧٤، وكفى بها شهادة على عداوته وبغضه للنبي الأكرم ﷺ وللإسلام حتى بعد أن وضع على رقبته السيف وأسلم.

ومنهم معاوية بن المغيرة، وقد قتل كافراً على يد الإمام علي عليه السلام بأمر من النبي الأكرم ﷺ هؤلاء هم الذين قتلوا الحسين بن علي عليه السلام، ولعنوا الإمام علي عليه السلام على المنابر سبعين سنة، وقتلوا الأخيار من الأمة كمحمد بن أبي بكر ومالك الأشتر وعمر بن الحمق الخزاعي وعبد الرحمن بن عديس البلوي وعدي بن حاتم وعمار بن ياسر، وقتلوا زيد بن علي ويحيى بن زيد، وعلي بن الحسين ←

→ ومحمد الباقر وجعفر الصادق.. وحاربوا الدين المحمدي بالقدرة التي مكنوها وبكل جهد وحزم، ولم يرعوا في ذلك الله إلا ولا ذمة.

راجع فيما تقدم: النزاع والتخاصم، فصل الحاكم، الاستيعاب، أسد الغابة وغيرها من المصادر المصرحة بذلك.

وسنذكر فيما يلي ترجمة مختصرة لخلفاء بني أمية وماركبوهم من المآسي والجرائم في حق أئمة العترة الطاهرة ومن شايعهم وتابعهم.

فأولهم معاوية بن أبي سفيان: كان مع أبيه في حربه للإسلام، أسلم في فتح مكة على كرهه، ثم حارب أمير المؤمنين عليه السلام وولده ونازعهم الخلافة حتى استولى على أمر الأمة، وأخذ يسوس السياسة الأموية، وهو الداعي إلى الشعوبية ومؤسس القومية العربية، يطالعنا الذهبي في ترجمته فيقول في السير ٣: ١٢٨: (وخلف معاوية خلقاً كثيراً يحبونه ويتغالون فيه ويفضلونه إما قد ملكهم بالحلم والكرم والعطاء، وإما قد ولدوا في الشام على حبه، وتربى أولادهم على ذلك.. ونشأوا على حب النصب..)، فهذه أول شهادة من مؤرخ أموي ولد في الشام يصرح بأن معاوية هو باذر النصب في الشام، والنصب هو العداء لعلي بن أبي طالب عليه السلام وبغضه، والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: <لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق> فتح الباري ١: ٦٠ وغيره من المصادر الكثيرة، فيكون معاوية مربى الجيل المنافق والمعادي للآل بعد جيل المنافقين الأول الذي كان منهم. وضعه عمر بن الخطاب في الشام بعد موت أخيه كحاكم لتلك المنطقة، وكان لا يحاسبه ولا يعرف عنه شيئاً، وأن صفقة أموية عدوية كانت بينهما، فأسس مملكته هناك، ولما مات عمر جاء عثمان إلى دفة الحكم، فازداد الأمر سوءاً، لأن عثمان من بني أمية، وأخذ يوثق عرى ملكه، حتى إذا ما ساءت الأمور على عثمان تركه معاوية نهباً لسيوف الصحابة، لتقتله شر قتلة، وليرتاح معاوية منه، قال الطبري في تاريخه ٣: ٤٠٢: أنه بعدما كتب عثمان إلى معاوية نجده: (فلما جاء معاوية الكتاب تربص به وكره إظهار مخالفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد علم اجتماعهم)، والواقع أنه أستاذس بسماع خبر محاصرته حتى يجعلوه كبش فداء ليكون ورقته الراحبة بعد موته.

وبعد مقتل عثمان حارب معاوية الخليفة من بعده، وهو الإمام علي بن أبي طالب، حتى أخذت الحرب بينهم مأخذها، وقتل فيها خيار الصحابة منهم عمار بن ياسر الذي قتل مع الإمام علي عليه السلام، وقد قال النبي الأكرم في حقّه: <ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار> مسند أحمد ٣: ٩١، فتح الباري ١: ٤٥١ وصححه، صحيح ابن

حبان ←

→ ١٥: ٥٥٥٤، وهي شهادة نبوية صادقة مصدقة، أثبتتها السماء والواقع، فمعاوية إمام الفئة الباغية، وإمام الدعاة إلى النار بشهادة الرسول ﷺ. حتى ربح معاوية الحرب، واستولى على دفة الحكم، وقتل علي بن أبي طالب على يد الخوارج. وما إن تولى الخلافة حتى شرع في قتل أصحاب علي بن أبي طالب عليه السلام، وشرع لعن علي عليه السلام على المنابر، وأصدر مرسوماً أمورياً بذلك، ففي صحيح مسلم ٧: ١٢٠ وغيره قال: (أمر معاوية سعداً فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب)، يعترض على سعد لماذا لا يسب علياً عليه السلام.

وأخذ يتبع شيعة علي بن أبي طالب تحت كل حجر ومدر، فقتل عبد الرحمن بن عديس البلوي الصحابي الرضواني قال ابن حجر في الإصابة ٤: ٢٨٢: (كان ابن عديس ممن أخره معاوية في الرهن فسجنه بفلسطين، فهربوا من السجن، فأدرك فارس ابن عديس فأراد قتله، فقال له ابن عديس: ويحك اتق الله في دمي فإنني من أصحاب الشجرة. قال: الشجر بالجبل كثير فقتله).

وقتل عمرو بن الحمق الخزاعي الصحابي الجليل الذي دعا له النبي ﷺ بأن لا يشيب رأسه، فبلغ ثمانين عاماً ولم ير في رأسه شيب، قتله معاوية بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام، ورفع رأسه على رمح، وهو أول رأس رفع في الإسلام، ارجع في ذلك إلى الإصابة لابن حجر ٤: ٥١٥، تقريب التهذيب ١: ٧٣٣، الثقات لابن حبان ٣: ٣٧٥.

وقتل حجر بن عدي وأصحابه لأنهم من أصحاب الإمام علي، قال ابن حجر في الإصابة ٢: ٣٢: (حجر بن عدي شهد القادسية، وأنه شهد بعد ذلك الجمل وصفين، وصحب علياً فكان من شيعته، وقتل بمرج عذراء بأمر من معاوية، وكان حجر هو الذي افتتحها فقدر أن قتل بها).

وقتل التابعي الجليل مالك الأشتر وقال: (إن الله جنوداً من غسل)، سير أعلام النبلاء ٤: ٣٤، معجم البلدان ١: ٤٥٤، وقال في اللباب في تهذيب الأنساب ٣: ٣٠٤: (وضع عليه معاوية من سمّه في غسل، فلما بلغه خبر موته قال: إن الله جنوداً من غسل).

وقتل محمد بن أبي بكر التابعي الجليل، وضعه في جوف حمار نافق وحرقه، ارجع إلى ذلك في الإصابة لابن حجر ٦: ١٩٤، والاستيعاب ٣: ٩٧٣، تهذيب التهذيب ٩: ٧٠.

وهكذا أخذ يتبع شيعة علي وأنصاره تحت كل حجر وفي كل ناحية ووادٍ، حتى أزهق الأنفس وأهلك الحرث، وقطع الأرزاق عن الأنصار ومحا أسماءهم من الديوان لأنهم آزرُوا علياً عليه السلام في

صفين، وخرجوا معه لردّ بغي الشاميين بقيادة الأمويين.

→ ثم أدلى بدلو الخلافة الى ابنه يزيد بن معاوية .

يزيد بن معاوية بن أبي سفيان : تسنّم الخلافة بعد موت معاوية أبيه بوصية منه فرضها على الرافضيين وأموال أرضى بها الطامعين وضعفاء الأنفس، قال الخزرجي في خلاصة التذهيب: ٤٣٤: (ولي بعد أبيه واستباح المدينة، فلم يمهل الله تعالى)، وقال الذهبي في ميزان الاعتدال ٤: ٤٤٠: (مقدوح في عدالته).

وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب مختصراً جرائمه القبيحة بعدة أسطر: (ولد في خلافة عثمان، وعهد إليه أبوه بالخلافة، فبويع سنة ستين، وأبى البيعة عبدالله بن الزبير ولاذ بمكة، والحسين بن علي ونهض إلى الكوفة، وأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب ليبيع له بها، فقتله عبيد الله بن زياد، وأرسل الجيوش إلى الحسين فقتل كما تقدّم في ترجمته سنة إحدى وستين.

ثم خرج أهل المدينة على يزيد وخلعوه في سنة ثلاث وستين، فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبجح المدينة ثلاثة أيام، وأن يبايعهم على أنهم خول وعبيد ليزيد، فإذا فرغ منها نهض إلى مكة لحرب ابن الزبير، ففعل بها مسلم الأفاعيل القبيحة، وقتل بها خلقاً من الصحابة وأبنائهم وخير التابعين، وأفحش القضية إلى الغية، ثم توجه إلى مكة، فأخذ الله تعالى قبل وصوله، واستخلف على الجيش حصين بن نمير السكوني، فحاصر ابن الزبير، ونصبوا على الكعبة المنجنيق، فأدى ذلك إلى وهي أركانها، وهي بنائها، ثم أحرقت أثناء أفعالهم القبيحة، فجأهم الخبر بهلاك يزيد بن معاوية، فرجعوا وكفى الله المؤمنين القتال).

وخلافته افتتحها بقتل سبط رسول الله ﷺ الحسين بن علي عليه السلام، وسبي نسائه وحمل رأسه مع النساء والعيال إليه، وضرب الرأس الشريف بقضيب بيده، قال الذهبي في السير ٣: ٣٩١: (دخل رجل على يزيد، فقال: أبشر، فقد أمكنك الله من الحسين، وجيء برأسه فوضع في طست.. وقرع ثناياه بقضيب، وصلب ثلاثة أيام في دمشق)، وقال بعدها: (وهي حكاية قوية الإسناد)، وفي سنته الثانية استباح أهل المدينة بوقعة الحرّة الشهيرة التي تقدم ذكرها وكيف أنه قتل الصحابة وأبناءهم وخيار التابعين واستباح بناتهم لجنوده ثلاثة أيام.

ثم ولي الخلافة ابنه معاوية بن يزيد، لكن الأحوال كانت غير منتظمة فعزل وأخذ الخلافة من بعده مروان بن الحكم بن أبي العاص، كان مبغضاً لأهل البيت ^٨، وكان يكره علي بن أبي طالب عليه السلام، صار الأمر بيده بعد أن تولى عثمان الخلافة، وأخذ يفعل الأفاعيل الشنيعة مع الصحابة

المؤمنين حتى نقموا على عثمان تقريبه مروان؛ لأنه وزغ ابن وزغ كما سماه النبي ←
→ الأكرم ﷺ حين أتى به إلى النبي ﷺ لما ولد ليدعو له، فرفض وقال: «هو الوزغ بن الوزغ
الملعون بن الملعون» المستدرك للحاكم ٤: ٤٧٩ وصححه، الطبقات الكبرى لابن سعد ٥: ٦٧،
الفتن للمروزي: ٧٣. وفي المستدرك أيضاً ٤: ٤٨١ عن عائشة: (أن النبي ﷺ لعن أبا مروان
ومروان في صلبه، فمروان قصص من لعنة الله)، ثم تحزب ضد علي عليه السلام وألب عائشة على
علي عليه السلام حتى قادت حرب الجمل، وفي ذلك اليوم رمى طلحة بن عبيد بنهم حتى قتله وقال هذا
ثأري لأن طلحة كان من الثائرين على عثمان، ففي تاريخ خليفة بن الخياط: ١٥ والسير
للذهبي ١: ٣٦: (أن مروان رمى طلحة بهسم فقتله، ثم التفت إلى أبان وقال: قد كفيناك بعض قتلة
أبيك)، وروى عن النبي ﷺ: «أن قاتل طلحة في النار». وعلق الذهبي فقال: (قاتل طلحة في
الوزر كقاتل علي)، وكان مع مسرف بن عقبة في وقعة الحرّة يحرضه على أهل المدينة التي
استبيحت فيها الدماء والأعراض.

وقال في ميزان الاعتدال ٤: ٨٩: (وله أعمال موبقة رمى طلحة وفعل الأفاعيل). فهو الوزغ،
والملعون في صلب أبيه، وهو المعادي للصحابة، ولأهل البيت ^٨، والمقاتل مع مسرف بن عقبة
أهل المدينة، والقاتل لطلحة بن عبيد، والمحرض والقائد في حرب الجمل.
ثم استولى على الخلافة عبد الملك بن مروان بن الحكم بعد هلاك أبيه، وعبد الملك كان مع أبيه
مروان في وقعة الحرّة التي ذبح يزيد وجيشه فيها آلاف الصحابة والتابعين، وانتهك حرمتهم، مع
أنه لما أخرج من المدينة أعطى العهد والمواثيق بأن لا يدل جيش يزيد على ثغراتهم، لكنه نكث
بعهده، وأخبر مسرفاً بكلّ ثغرة يعرفها، ولما وصله خبر قتل أهل المدينة من الصحابة والتابعين
استبشر خيراً وفرح فرحاً شديداً، ولما وصلته الخلافة بعد أبيه كان يقرأ القرآن: «فأطبقه وقال: هذا
آخر العهد بك» راجع تاريخ بغداد ١٠: ٩٠، تاريخ أبي الفداء ١: ٢٧٠، تاريخ مدينة دمشق ٢٧:
١٢٧، سير أعلام النبلاء ٤: ٢٤٨، وقال الذهبي: (وكان الحجاج من ذنوبه)، وهو الحجاج بن يوسف
التقفي الذابح للعلويين وغيرهم من ولاته على الكوفة التي ذبح فيها آلاف الأبرياء بتهمة الولاة
لأهل البيت ^٨.

ونقول إن الحجاج شيء قليل أمام نفسه الخبيثة الماكرة المستهينة بالدماء.
ففي محاضرات الأدباء: ١٧٢: «كان عبد الملك بن مروان يُسمى حمامة المسجد للزومه المسجد
الحرام، فلما أتاه الخبر بخلافته كان المصحف في حجره، فوضعه وقال: هذا فراق بيني وبينك.

وقال: إنني كنت أخرج أن أظأ نملة ، وإنّ الحجاج يكتب إليّ في قتل فنام من الناس فما ←
→ أحفل بذلك!

وقال له الزهري: بلغني إنّك شربت الطلاء؟

فقال: إي والله والدماء).

ثمّ استولى على الحكم الوليد بن عبد الملك بن مروان بعد وفاة أبيه عبد الملك بن مروان، وكان الوليد شديد العداء لعلي بن أبي طالب عليه السلام ففي شرح نهج البلاغة ٤: ٥٨: (أنّ الوليد بن عبد الملك في خلافته ذكر علياً عليه السلام ، فقال: لعنه الله كان لص ابن لص.

فعجب الناس من لحنه فيما لا يلحن فيه أحد، ومن نسبته علياً عليه السلام الى اللصوصية).

وفي سير أعلام النبلاء ٢: ١٦٠ عن الزهري قال: (كنت عند الوليد فقال: الذي تولى كبره علي.

فقلت: لا . حدثني سعيد.. عن عائشة تقول: إنّ الذي تولى كبره عبد الله بن أبي).

ونقل حريز بن عثمان الرحبي أنّ الوليد بن عبد الملك كان يقول: هذا الذي يرويه الناس: <أنت منّي بمنزلة هارون من موسى> غير صحيح، وإنّما قال الرسول ﷺ لعلي: (أنت مني بمنزلة قارون من موسى!) تهذيب التهذيب ٢: ٢٠٩.

والوليد أول من زخرف المساجد، وسكت عنه علماء السنّة خوفاً كما قال ابن حجر في فتح الباري ١: ٤٠٥.

وذكر العسكري في تصحيقات المحدثين ١: ١٤٧: (أنّ الوليد بن عبد الملك خطب يوماً وقال: ياليتها كانت القاضية.

فقال عمر بن عبد العزيز - وقد كان وزيراً له - : ياليتها كانت عليك، وأراحتنا منك).

وقال عمر بن عبد العزيز: (الوليد بن عبد الملك بالشام، والحجاج بن يوسف بالعراق، ومحمّد بن يوسف باليمن، وعثمان بن حيان في المدينة، وقرّة بن شريك بمصر؛ امتلأت الأرض والله جوراً)، تهذيب الكمال ١٩: ٢٦١، أخبار القضاة ٣: ٢٣٩، تاريخ الخلفاء للسيوطي ٢٣٣، تاريخ الإسلام ٦: ٤٥٦.

قال السيوطي في تاريخه ٢٣٣: (وكان الوليد جباراً ظالماً).

قال الذهبي في تاريخ الإسلام ٦: ١٤٤ وهو يذكر وصية عبد الملك لابنه الوليد جاء فيها: (وانظر الحجاج فأكرمه ، فإنّه هو الذي وطأ لكم المنابر، وهو سيفك يا وليد، ويدك على من ناوأك ، فلا تسمعنّ فيه قول أحد، وأنت إليه أحوج منه إليك.

← وادع الناس إذا مت إلى البيعة فمن قال برأسه هكذا، فقل بسيفك هكذا).
 → وقد سمع وصية أبيه فولى الحجاج على الكوفة، وقتل الحجاج في خلافته التابعي الكبير سعيد بن جبير كما قال أبو الفداء في تاريخه ١: ٢٧٦.
 وأخيراً قام الوليد بدس السم إلى الإمام السجاد عليه السلام ليرحل إماماً شهيداً مسموماً.
 ثم استولى على الخلافة سليمان بن عبد الملك، وكان شديد العداء لأهل البيت وأتباعهم، روي ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ٢: ٧٥: (أنّ سليمان أرسل إلى عمر بن عبد العزيز فأتاه، فقال: إني صالب غداً موسى بن نصير، فبعث عمر إلى موسى فأتاه، فقال: يا نصير، إني أحبك لأربع، الوحدة بعد أترك في سبيل الله، وجهادك لعدو الله، والثانية: حبك لآل محمد ﷺ).
 قال أبو الفداء في تاريخه ١: ٢٨٧: (كان خلفاء بني أمية يسبون علياً رضي الله عنه من سنة إحدى وأربعين.. إلى أول سنة تسع وتسعين، آخر أيام سليمان بن عبد الملك).
 وولي الخلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان، قال عنه الذهبي في السيرة ١٥١: (لما توفي عمر بن عبد العزيز قال يزيد: سيروا سيرة عمر بن عبد العزيز، فأتى بأربعين شيخاً شهدوا أنّ الخلفاء ما عليهم حساب ولا عذاب).
 وكانت عنده جارية أحب يوماً الخلوة معها، فخدفها بعينه، وهي تضحك، فوقعت في حينها فشرقت فماتت، وبقيت عنده حتى أروحت، واغتم لها، ثم زار قبرها.. ثم رجع فما خرج إلا على النعش.
 وكان تاركاً لمصالح المسلمين، وكان لا يصلح للإمامة، مصروف الهمة إلى اللهو والغواني..
 وجعل الزهري قاضياً، والزهري معروف بالنصب والعداء لأهل البيت ^٨.
 ثم ولي الخلافة من بعده هشام بن عبد الملك بن مروان، وقام زيد بن علي عليه فقتله مع ابنه يحيى، وهو الذي أنكر معرفة الإمام السجاد عليه السلام عندما كشف الناس عنه إلى الحجر كما في تهذيب الكمال ٢٠: ٤٠٢ وأخذ يتتبع العلويين وشيعتهم في كل بلد ومصر للقضاء عليهم.
 ثم ولي بعده ابنه الوليد بن يزيد، وقد روى في حقه أنّ النبي ﷺ قال فيه: «ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له الوليد، لهو شرّ على هذه الأمة من فرعون لقومه» مسند أحمد ١: ١٨، مجمع الزوائد ٧: ٣١٣ وقال: (رواه أحمد ورجاله ثقات).
 قال العيني في عمدة القارئ ٢٢: ٢١: (والوليد بن يزيد كان مشهوراً بالإلحاد، مبارزاً بالعناد)، وكان الزهري يذم الوليد لما عليه من الزندقة والخلاعة، قال المعاني الجريري: (كنت جمعت من

والمتوكل العباسي (١٠).

أخبار الوليد شيئاً ومن شعره الذي ضمنه ما فخر به من خرقه وسخفه وخسارته وحمقه، ←
→ وما صرّح به من الإلحاد في القرآن والكفر بالله تعالى، تاريخ الإسلام ٨: ٢٩٠. وأراد الحج
وشرب الخمر فوق ظهر الكعبة، ووصفه المهدي بأنه زنديق. وكان مغرماً بنصرانية وهائماً بها.
قال الذهبي في تاريخ الإسلام ٨: ٢٩١: (قلت: مقت الناس الوليد لفسقه وتأثموا من السكوت عنه
فقتلوه).

ثمّ ولي الخلافة يزيد بن الوليد بن يزيد المعروف بيزيد الناقص فلم يدم ملكه إلا خمسة أشهر
لنقصه العطاء وظلمه وجوره. تاريخ يعقوبي ٢: ٣٣٦.
ثمّ ولي الخلافة إبراهيم بن الوليد، وقام بجناية كبيرة وهي قتل الإمام محمد الباقر عليه السلام كما صرّح
الصدوق بذلك، شرح أصول الكافي ٧: ٢٤٠، وكذلك أملى عدّة أحاديث وعرضها على الزهري
وقال: أروها عنك عليه السلام فوافق الزهري، وارتكب جناية عظيمة في حق الحديث النبوي الشريف.
سير أعلام النبلاء ٥: ٣٧٧.
هذا مجمل ماركبه خلفاء بني أمية من الجرم والاعتداء وسلب حقوق الآخرين، من قتل وتشريد،
وسلب ونهب، والاستهانة بمقدرات الآخرين، وبالإرث الذي تركه النبي صلى الله عليه وآله.

١٠- المتوكل العباسي: جعفر بن محمد بن هارون، من خلفاء بني العباس، كان شديد النصب
والإنحراف عن أهل البيت^٨، قال ابن الأثير الجزري في الكامل ٧: ٥٥: (وكان المتوكل شديد
البغض لعلي بن أبي طالب عليه السلام ولأهل بيته، وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى علياً وأهله بأخذ
المال والدم، وكان من جلة ندمائه عبادة المخنث، وكان يشد على بطنه تحت ثيابه مخدة ويكشف
رأسه وهو أصلع ويرقص بين يدي المتوكل، والمغنون يغنون: قد أقبل الأصلع البدين خليفة
المسلمين. يحكي بذلك علياً عليه السلام، والمتوكل يشرب ويضحك، ففعل ذلك يوماً والمنتصر حاضر،
فأوماً إلى عبادة بتهده، فسكت خوفاً منه، فقال المتوكل: ما حالك؟
فقام وأخبره، فقال المنتصر: يا أمير المؤمنين، إنّ الذي يحكيه هذا الكلب ويضحك منه الناس هو
ابن عمّك، وشيخ أهل بيتك، وبه فخر، فكل أنت لحمه إذا شئت، ولا تطعم هذا الكلب وأمثاله
فقال المتوكل للمغنين: غنّوا جميعاً:

غار الفتى لابن عمّه رأس الفتى في حرّ أمه

وكان المتوكل يبغض من تقدمه من الخلفاء: المأمون والمعتصم والواثق في محبة علي ← وأهل بيته، وإنما كان ينادمه ويجالسه جماعة قد اشتهروا بالنصب والبغض لعلي، منهم علي ابن الجهم الشاعر الشامي من بني شامة وعمرو بن فروخ وأبو السمط من ولد مروان بن أبي حفصة وعبد الله بن محمد المعروف بابن أترجة.

وكانوا يخوفونه من العلويين، ويشيرون عليه بإبعادهم والإعراض عنهم، والإساءة إليهم، ثم حسنوا له الواقعة في أسلافهم الذين يعتقدون الناس علو منزلتهم في الدين، ولم يبرحوا به حتى ظهر منه ما كان).

وقال الصفدي وغيره في الوافي بالوفيات ١١: ١٠٢: «وكان المتوكل قد أمر في سنة ٢٣٦ هـ بهدم قبر الحسين رضي الله عنه، وهدم ما حوله من الدور، وأن يعمل مزارع، ومنع الناس من زيارته، وحرث وبقي صحراء، وكان معروفاً بالنصب، فتألم المسلمون لذلك، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان، وهجاه الشعراء، قال ابن السكيت:

بالله إن كانت أمية قد أتت	قتل ابن بنت نبيها مظلوماً
فلقد أتاه بنو أبيه بمثلته	هذا العمرك قبره مهدوماً
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا	ففي قتله فتبعوه رميمًا).

ارجع إلى: تاريخ الطبري ٧: ٣٦٥، الكامل في التاريخ ٧: ٥٥، تاريخ الإسلام ١٧: ١٨، فوات الوفيات ١: ٢٩٠، البداية والنهاية لابن كثير ١٠: ٣٤٧، سير أعلام النبلاء ١٢: ٣٥، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٣: ٣٦٥.

وممن صرح بنصبه ابن خلكان في وفيات الأعيان ٣: ٣٦٥ قال: (وكان المتوكل كثير التحامل على علي وولديه الحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين).

والذهبي في سير أعلام النبلاء ١٢: ٣٥ حيث قال: (وكان المتوكل فيه نصب وانحراف). والقلقشندي في مآثر الأناقة ١: ٢٢٨: (وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ولأهل بيته).

ومع كل هذا الحقد والبغض الذي يحمله المتوكل نحو علي وأهل بيته ^٨ وشيعته، إلا أن أهل السنة يمدحونه ويصفونه بأنه محبي السنة، وله منزلة رفيعة كمنزلة أبي بكر وعمر. راجع تاريخ الإسلام ١٢: ٣١، و ١٨: ١٩٦، تاريخ بغداد ٧: ١٨٠، الوافي بالوفيات ١١: ١٠١.

ويقول أهل العراق - وهم أعلم بما جرى في بلادهم - : إنه ربط خيله في الصحن الشريف، وطبخ القهوة ودقها في الحضرة الشريفة^(١١).

١١- قال محمد حامد الفقي في كتابه (أثر الدعوة الوهابية): ٨٤: (توجه سعود في ذي القعدة من سنة ١٢٢٦ هـ - ١٨٠١ م بمجموعة كثيرة وقوة عظيمة إلى العراق ، والتقى في كربلاء بمجموعة كثيفة من الأعاجم ورجال الشيعة الذين استمالوا في الدفاع عن معقل عزهم ومحط آمالهم ، قبة الإمام الشهيد الحسين - رضي الله عنه - وغيرها من القباب والمشاهد ، لكن جيش التوحيد قد تغلب بقوة إيمانهم ، وصدق عزيمتهم في الجهاد ، لهدم كل نصب وطاغوت ، اتخذ مع الله شريكاً في العبادات ، وجعل لله نداً في القربات ، وشأن مشاهد كربلاء والكاظمية والنجف ومعصومة قم وموسى الرضا عند الشيعة وتعظيمهم لها معلوم للقاصي والداني ، فكانت موقعة هائلة ، وكانت مذبحه عظيمة ، سالت فيها الدماء أنهاراً ، خرج منها سعود وجيشه ظافرين ، ودخل كربلاء ، وهدم القبة العظيمة ، بل الوثن الأكبر المنسوب على ما يزعمون من قبر الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وأقر الله بهدمها عين الإمام الحسين وعيون الموحدين الذين يتبعون شرعة جد الحسين أشرف الخلق محمد صلى الله عليه وآله وسلم ورضي الله عن الحسين وآله الطاهرين).
ارجع إلى المصادر التالية لمعرفة الواقعة بشكل أكثر: صفحات من تاريخ الجزيرة العربية لمحمد عوض الخطيب: ١٧٦، تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب لحسين خلف خزعل: ٣٨٦.

وقال عثمان بن بشر الحنبلي في كتابه المجد في تاريخ نجد ١: ٢١٧: (سار سعود بالجيش المنصورة والخيال العتاق المشهورة من جميع حاضر نجد وباديها، والجنوب والحجاز وتهامة وغير ذلك، وقصدوا أرض كربلاء ، ونازل أهل بلد الحسين، وذلك في ذي القعدة ، فحشد عليها المسلمون وتسوروا جدرانها ، ودخلوها عنوة، وقتلوا غالب أهلها في الأسواق والبيوت، وهدموا القبة الموضوعة بزعم من اعتقد فيها على قبر الحسين، وأخذوا ما في القبة وما حولها، وأخذ النصيبة التي وضعها على القبر، وكانت مرصوفة بالزمرد والياقوت والجواهر، وأخذوا جميع ما وجدوا في البلد من أنواع الأموال والسلاح واللباس، والفرش والذهب والفضة والمصاحف الثمينة

وقال العلامة السيد جواد العاملي - صاحب مفتاح الكرامة وفي عصره كان غزوهم للعراق - : (إنَّ سعوداً الوهابي الخارج في أرض نجد اخترع ما اخترع في الدين، وأباح دماء المسلمين، وتخریب قبور الأئمة المعصومين، فأغار في السنة المذكورة على مشهد الحسين عليه السلام وقتل الرجال والأطفال، وأخذ الأموال، وعاث في الحضرة المقدسة، فأفسد بنيانها، وهدم أركانها.

قال: وفي الليلة التاسعة من شهر صفر سنة ١٢٢١ قبل الصبح هجم علينا سعود الوهابي في النجف ونحن في غفلة، حتى إنَّ بعض أصحابه صعد السور وكادوا يأخذون البلد، فظهرت لأمير المؤمنين عليه السلام المعجزات الظاهرة، والكرامات الباهرة، فقتل من جيشه كثير ورجع خائباً^(١٢).

قال: (وفي جمادى الآخرة سنة ١٢٢٢ جاء الخارجي الذي اسمه سعود إلى العراق بنحو من عشرين ألف مقاتل أو أزيد، فجاءت النذر بأنه يريد أن يدهمنا في النجف الأشرف غيلة، فتحذرنّا منه، وخرجنا جميعاً إلى سور البلد، فأتانا ليلاً فرآنا على حذر قد أحطنا بالسور بالبنادق والأطواب، فمضى إلى الحلة، فرآهم كذلك، ثمّ مضى إلى مشهد الحسين عليه السلام على حين غفلة نهاراً، فحاصروهم حصاراً شديداً، فثبتوا له خلف السور، وقتل منهم وقتلوا منه، ورجع خائباً وعاث في العراق، وقتل من قتل، وقد استولى على مكة المشرفة والمدينة

وغير ذلك، ما يعجز عنه الحصر، ولم يلبثوا فيها إلا ضحى، وخرجوا منها قرب الظهر بجميع تلك

الأموال، وقتل من أهلها قريب ألفي رجل. ←

→ ثمّ إنَّ سعوداً ارتحل منها على الماء المعروف بالأبيض، فجمع الغنائم وعزل أخماسها، وقسم باقيها غنيمة للراجل، وسهم للفارس وسهمان، ثمّ ارتحل قافلاً إلى وطنه).

١٢- مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة ١٢: ٩١١، كتاب الصلح.

المنورة، وتعطل الحج ثلاث سنين^(١٣).

قال: (وفي سنة ١٢٢٥ أحاطت الأعراب من عنزة القائلين بمقالة الوهابي بالنجف الأشرف ومشهد الحسين عليه السلام وقد قطعوا الطريق، ونهبوا زوار الحسين عليه السلام بعد منصرفهم من زيارة نصف شعبان، وقتلوا منهم جمعاً غفيراً وأكثر القتلى من العجم، وربما قيل: إنهم مائة وخمسون، وبقي جملة من الزوار في الحلة ما قدروا أن يأتوا إلى النجف، فبعضهم صام في الحلة، وبعضهم ذهب إلى الحسكة، والنجف كأنها في حصار، والأعراب ممتدة من الكوفة إلى فوق مشهد الحسين عليه السلام بفرسخين أو أكثر^(١٤) انتهى.

انتقاض الصلح بين الوهابية والشريف غالب:

في خلاصة الكلام: إنَّ سعوداً ما زال يدس الدسائس بعد الصلح ويكتب مشائخ الأعراب سرّاً كشيخ محایل، وشيخ بارق، فصاروا يفسدان القبائل حتّى انتقض الصلح، وتوّهب جميع قبائل الحجاز، فارسل الشريف إلى وزيره بالقنفذة أن يذهب لقتال شيخ محایل، ففعل وحصل بينهما قتال شديد، فهزمهم الوزير، وملك ما في واديهم وأحرق ديارهم، وعاد إلى القنفذة، ثمّ بلغه أنّهم رجعوا وتجمعوا وصاروا يرسلون أهل تلك الأطراف ويتهددون من لم يطعهم، فأخبر بذلك الشريف فجهز جيشاً عظيماً بإمرة السيد منديل، فغزا بني كنانة وقتل منهم مقتلة.

وجاء الخبر أنّ أهل (حلى) توهبوا، فجهز الشريف غالب عليهم جيشاً

١٣- مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة ١٤: ٤٧٨، كتاب الشفعة.

١٤- مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة ١٦: ١٠٤٩ - ١٠٥٠، كتاب الوكالة.

بإمرة السيد ناصر بن سليمان، فقتل منهم كثيراً وغنم، ثم رجعوا إلى مكة ومعهم بعض أهل حلى تائنين، وطلبوا من الشريف أن يرسل معهم جيشاً ففعل، وأمر عليهم السيد منديل فبنى على حلى سوراً وجعل فيها كثير من الذخائر خوف هجوم العدو، وبعد ثمانية أشهر بلغه إقبال الوهابيين بإمرة رجل اسمه (حشر)، وكان فاجراً ختالاً، وأرسلوا إلى شيخ (حلى) فاستمالوه على أنهم متى خرجوا لقتالنا تمنعهم من الدخول، فأخرج السيد منديل بعض رجاله لقتالهم، وبقي أهل البلد في خمسين مقاتلاً، فنشب القتال وقتل من الفريقين جماعة وانهزم الوهابيون خديعة وجعلوا لهم كميناً، فخرج على جماعة الشريف، وحجز بين الفريقين حر النهار. وأظهر أهل (حلى) الخيانة، فاضطر الشريف منديل إلى الخروج والرجوع إلى مكة .

وبلغ الشريف غالباً أن عرباناً بساحل اليمن توهبوا، فأرسل عليهم غزية بإمرة السيد القتادي، فأغار على دمينه، وغامد الفرعاء، وقتل فيهم ونهب وأسر تسعة عشر رجلاً.

وكان وزير القنفذة أبو بكر بن عثمان أذاقهم الويل في قتاله لهم، فاحتالوا على قتله بأن أظهرت له الطاعة ثلاث قبائل، وكاتبوه أن يأتيهم ليحاربوا معه الوهابيين، واضمروا القبض عليه إذا أتاهم، فأقبل إليهم بمن معه من الجند، فبادروه بالقتال، فأظهره الله عليهم، وقتل كثيراً منهم ونهب، ثم اجتمع بعسكر السيد سعد، وبلغه أن الوهابيين أقبلوا بجنود كثيرة، وافترقوا فرقتين، فتوجه في أثرهم، فأقبلت فرقة تقاتل السيد سعداً، فلما أشرفوا عليه عرفوا عجزهم فتركوه، وأقبلت فرقة على القنفذة، فأدركهم الوزير بموضع يقال له (دكان) فأتخن فيهم القتل والنهب، ولم يسلم منهم إلا القليل.

وفي أوائل سنة ١٢١٧ هـ جمع معدي بن شار شيخ محائل إثني عشر ألفاً، وقصدوا القنفذة على حين غفلة، فخرج إليهم الوزير في سبعمئة رام وثلاثة

عشر من الخيل، فقتل منهم نحو الأربعمئة، وجرح مائتين، وأسر مائتين، وهرب الباقون، وأخذ سلاحهم ومواشيهم، حتى أفسدوا جميع أقليم اليمن وغيرهم.

ولما علم سعود أنّ أقليم اليمن سيصير تحت يده سلط سالم بن شكبان على قبائل زهران، فشرع في إفسادهم، وسلط عربانه عليهم، فلما علم بذلك الشريف أرسل كتاباً لعبد العزيز وسعود يطالبهما بالوفاء بالعهد، فأرسل كل منهما كتاباً يعتذر بأعذار واهية، وأنّ هذه الشوائع أكاذيب من العربان لأجل نقض الصلح، فأرسل الشريف رسولاً إلى زهران ليعرف الحقيقة، فأخبره أن ما بلغه حق، فأرسل إلى الدرعية زوج أخته عثمان بن عبد الرحمن المضايقي، والشريف عبد المحسن وابن حميد شيخ المقطة وغيرهم لتجديد الصلح، فوصلوا الدرعية وأعطوا الكتب لعبد العزيز، فرحب بهم وغدر المضايقي، فطلب من عبد العزيز أن يخلي له المجلس، ففعل، وطلب منه الإمارة ليملكه مكة وذكر له أسماء شيوخ القبائل التي يريد التأمر عليها، فكتب لهم كتاباً أنّه قد أقامه أميراً عليهم، وأمره على الطائف وما حولها وكتب مع الوفد جواباً للشريف بمداهنة ظاهرية وهم لا علم لهم بما جرى بينه وبين المضايقي على أنّهم لما خرجوا من الدرعية أنكروا على المضايقي مدحه للوهاية، فلما وصلوا العبيلاء وبينه وبين الطائف يوم وللمضايقي فيه حصن على جبل، فبقي فيه وقال لهم: أجيء في أثركم، ودخل الحصن ونصب بيرقاً ودق الزير، وأرسل الكتب لشيوخ القبائل القريبة منه، فأطاعوه.

وكان في الطائف الشريف عبد المعين وكيلاً عن أخيه الشريف غالب، فأرسل إليه المضايقي كتاباً يدعوه فيه إلى التوهم. وأول من أطاعه من القبائل الطفحة ثمّ النفعة والعصمة فغزا بهم علي الزوران، فأطاعوه بعد قتال، ثمّ غزا

عوفاً فكسروه، ثمَّ خرج على العرج فهزمهم وأحرق دورهم ونهب مواشيهم، فجمع الشريف غالب ما ينوف عن ثلاثة آلاف وأرسلهم إلى الطائف^(١٥).

هجوم الوهابيين على الطائف سنة (١٢١٧هـ):

وخرج المضايقي من حصنه قاصداً الطائف، فخرج إليه الشريف عبد المعين، فاقتتلوا بوادي العرج تمام النهار، فكان النصر للشريف عبد المعين، وقتل من أصحاب المضايقي نحو الستين، ولولا تحصنهم بالجبل ما سلم منهم أحد. وأخذ ما معهم من إبل وذخائر وعاد إلى الطائف، واستشهد من جماعة الشريف ثلاثة عشر.

ثمَّ خرج إليهم الشريف غالب بنفسه قاصداً العبيلاء، والتقى بأخيه عبد المعين، وأحاطوا بالحصن ورموا عليه بالقنبار والمدافع فلم يقدروا عليه فرجعوا إلى الطائف، ثمَّ عادوا ثانياً فامتنع عليهم فعادوا إلى الطائف، ثمَّ خرج المضايقي ومن معه فأحاطوا بالطائف، وجاءه مدد أمير بيشة سالم بن شكبان في عدد كثير، ووقع القتال طول النهار، وفي المساء تباعدوا عن السور، وفي الصباح عادوا وتقاتلوا طول النهار، وفي المساء عادوا إلى خيامهم بعد ما قتل كثير منهم. وفي تلك الليلة تفرق عن الشريف من معه من الأعراب، وعالجهم على البقاء فامتنعوا، وظهر خلل في السور والأبراج، وارتحل جماعة من الأشراف إلى مكة، وفي الغد أخبر الشريف بذلك وقيل له: إنَّ المضايقي وابن شكبان يريدان التوجه بمن معهم إلى مكة، فارسل من يكشف الخبر، فأخبره أنَّه رأهم نازلين من ريع التمارة، فتحقق عنده الخبر، فأعطى العسكر ومن بقي

١٥- خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: ٢٦٨ - ٢٧٢ ذكر الصلح سنة ٢١٣ هـ إلى عنوان الغزوة الثالثة والعشرين.

معه من البوادي لكل واحد عشرة مشاخصة، وحرّضهم على القتال، وتوجه هو إلى مكة عن طريق المثناة، فوقع الفشل فيمن بالطائف، وخرج رجل يسمّى دخيل الله بن حريب فلحق بالوهابيين وأخبرهم بتوجه الشريف إلى مكة فرجعوا إلى الطائف، وتقدمهم رجل من كبارهم يسمّى عبد الله البويحيث مع دخيل الله وجاء إلى بيت إبراهيم الزرعة، وهو من أعزّ أهل البلد وأغناهم، فاتفق معه على مبلغ من المال يدفعه لسلامة أهل البلد، فخرج عبد الله ليأتيهم بالأمان، فرماه بعض أهل الطائف برصاصة من منارة فقتله، فلمّا علمت الوهابية بذلك حملوا على السور ولم يوجد من يقدر على منعهم^(١).

دخول الوهابيين الطائف عنوة سنة (١٢١٧هـ) وفضائعهم فيها:

فدخلوا البلد عنوة^(٢) في ذي القعدة سنة ١٢١٧ هـ وقتلوا الناس قتلاً عاماً حتّى الأطفال، وكانوا يذبحون الطفل الرضيع على صدر أمه، وكان جماعة من أهل الطائف خرجوا قبل ذلك هاربين، فأدركتهم الخيل وقتلت أكثرهم، وفتشوا على من توارى في البيوت وقتلوه، وقتلوا من في المساجد وهم في الصلاة، ودخل نيف وعشرون رجلاً إلى بيت الفتني، ومائتا رجل إلى بيت

١ - خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: ٢٧٢ - ٢٧٤.

٢ - أما الجبرتي فإنّه قال: في أواخر سنة (١٢١٧): (غار الوهابيون على الحجاز، فلمّا قاربوا الطائف الطائف خرج إليهم الشريف غالب، فهزموه فرجع إلى الطائف، وأحرق داره، وهرب إلى مكة، فحاربوا الطائف ثلاثة أيام حتّى دخلوها عنوة، وقتلوا الرجال وأسروا النساء والأطفال، وهذا دأبهم مع من يحاربهم) عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٢: ٥٥٤، (وهدم المضايقي قبة ابن عباس بالطائف الغربية الشكل والوصف) عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٣: ٤٠٩، شهر شوال سنة ١٢٢٨ هـ.

الفرع، وامتنعوا عن التسليم، وقاتلوا ثلاثة أيّام، فراسلهم ابن شكبان بالأمان وقال: أنتم في وجه ابن شكبان وعثمان، وأعطوهم العهود، فكفوا عن القتال، فأرسلوا جماعة أخذوا منهم السلاح وقالوا: لا يجوز للمشرّكين حمله، ثمّ أمروهم بالخروج لمقابلة الأمير، فأمر بقتلهم فقتلوا جميعاً بقوز يُسمّى (دقاق اللوز).

وكان في بيوت ذوي عيسى نحو الخمسين مترسين يرمون بالرصاص، فأخرجوهم بالأمان على النفس دون المال، فسلبوهم وأخرجوهم إلى وادي (وج) وتركوهم فيه مكشوفين السوأتين، ومعهم النساء، حتّى رموا عليهم أطماراً بالية، ثمّ عاهدوا بعد ثلاثة عشر يوماً على التوّهّب، فصاروا يتكفّفون الناس، فيعطي السائل الحفنة من الذرة يقضمها، وصارت الأعراب تدخل كلّ يوم إلى الطائف وتنقل المنهوبات إلى الخارج، حتّى صارت كأمثال الجبال، فأعطوا خمسها للأمير، واقتسموا الباقي، ونشروا المصاحف وكتب الحديث والفقه والنحو في الأزقة، وأخبروا أنّ الأموال مدفونة في المخابئ، فحفروا في موضع فوجدوا فيه مالاً فعندها حفروا جميع بيوت البلد حتّى بيوت الخلاء، والبالوعات، ثمّ ارتحل ابن شكبان وبقي عثمان أميراً على الطائف، وكتبوا إلى سعود يخبرونه بذلك، فسّر به سروراً عظيماً وكان مبرزاً بالدهناء، مسير سبعة أيّام عن الدرعية يريد غزو العراق^(١).

قصد الوهاية مكة سنة (١٢١٧هـ):

فسار مسرعاً إلى الحجاز والتقى بابن شكبان وأصحابه فأعادهم معه، فلمّا

١ - خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: ٢٧٤ - ٢٧٥.

وصلوا العييناء قرية على ثلاث مراحل من مكة، وبلغ خبرهم أهل مكة والحجاج الذين بها من الآفاق خافوا واضطربوا، سَيِّمًا لَمَّا سمعوا بما جرى على الطائف، وكان مَمَّنْ حَجَّ فيها إمام مسكت سلطان بن سعيد، ونقيب المكلبي، وجاء أمير الحاج الشامي عبد الله باشا العظم، وأمير الحاج المصري عثمان بك قرجي ومعهما العساكر الكثيرة، وشاع يوم التروية أنَّ سعوداً نزل عرفة، فخاف الناس، ثُمَّ ظهر كذب ذلك، فلم يأت سعود في وقت الحج، لكثرة الحجاج كثرة لم يسبق مثلهما، وبعد تمام الحج نادى منادي الشريف أن يخرج الناس إلى الجهاد، فخرج شريف باشا والي جدة بعساكره، فتقهقر سعود يومين، وجمع الشريف أمراء الحجوج، وطلب منهم محاربة الوهابية، فلم يوافقوه معتلين بعدم الذخائر، فتعهد لهم بها مجاناً، فلم يقبلوا وقالوا: نكاتبه فإن رجع وإلا نحاربه، فكاتبوه، فأجابهم بالتهديد، فاضطربت آراؤهم، فطلب الشريف منهم ثانياً محاربته وقال: في ركوبنا عليه ناموس للدولة، وتكفل بكل ما يحتاجونه، فلم يقبلوا وأعادوا الرسل ثانياً، فأجابهم كالأول، وتهدد من أقام منهم بمكة فوق ثلاثة أيام، فعزموا على الرحيل، وأعاد الشريف عليهم القول فلم يقبلوا فاجتمع أعيان مكة وذهبوا إلى أمير الحاج الشامي طالبين منه البقاء عشرة أيام، فأبى وسافر خامس المحرم سنة ١٢١٨. وفي اليوم الثاني سافر أمير الحاج المصري ثُمَّ توجه شريف باشا إلى جدة، وبقي الشريف غالب وحده فتوجه هو أيضاً إلى جدة^(١).

وقال الجبرتي: إنَّ الشريف غالباً طلب من والي جدة وأمراء الحاج الشامي

١ - خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: ٢٧٥ - ٢٧٦.

والمصري البقاء معه أَيْاماً لينقل ماله ومتاعه إلى جدّه، فأجابوه بعد أن بذل لهم مالا، فبقوا معه إثني عشر يوماً، ثُمَّ ارتحلوا وارتحل بعد أن أحرق داره بمكة^(١). انتهى.

فأرسل أخوه الشريف عبد المعين كتاباً إلى سعود بطلب الأمان لأهل مكة وبذل الطاعة وأن يكون هو عامله فيها، وذهب مع الرسول جماعة من أفاضل أهل مكة، فاجتمعوا بسعود بوادي السيل على مرحلتين من مكة، فقال لهم: إنّما جئكم لتعبدوا الله وحده، وتهدموا الأصنام، ولا تشرکوا. فقال بعض علمائهم: والله ما عبدنا غير الله.

فمدّ يده وقال: عاهدتكم على دين الله ورسوله، توالون من والاه وتعادون من عاداه، والسمع والطاعة، فعاهدوه، فسّر بذلك وأمر كاتبه فكتب لهم كتاب الأمان في كاغذ لا يزيد عن خمسة أصابع، فيه بعد البسملة: <من سعود بن عبد العزيز إلى كافة أهل مكة والعلماء والأغوات وقاضي السلطان:

السّلام على من اتبع الهدى^(٢).

أما بعد؛ فأنتم جيران الله، وسكان حرمة، آمنون بأمنه، إنّما ندعوكم لدين الله ورسوله: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا

١- عجائب الآثار في التراجم والأخبار المعروف بتاريخ الجبرتي ٢: ٥٧٣، وعنه في كتاب من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي: ٩٢.

٢- لم يكتب إليهم السلام عليكم لأنّه لا يراهم مسلمين. (المؤلف).

مُسْلِمُونَ ٥} (١)، فأنتم في وجه الله ووجه أمير المسلمين سعود بن عبد العزيز، وأميركم عبد المعين بن مساعد، فاسمعوا له وأطيعوا ما أطاع الله والسلام، فقرأه مفتي المالكية على الناس بعد صلاة الجمعة (٢).

استيلاء الوهابية على مكة بدون حرب سنة (١٢١٨هـ) :

وفي ثامن المحرم وصل سعود (٣) محرماً فطاف وسعى ونحر من الإبل نحو المائة ، ونزل في بستان الشريف الذي في المحصب. وفي اليوم الثاني لوصوله نادى مناديه باجتماع الناس غداً ضحوة النهار، فاجتمعوا وصعد على أعلى درج الصفا، والمفتي عن يمينه والقاضي عن شماله، فحمد الله وأثنى عليه وقال: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله وحده صدق وعده، ونصر عبده، وانجز وعده،

١- سورة آل عمران: ٦٤.

٢- خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: ٢٧٦ - ٢٧٧.

والملاحظ في هذا الكتاب أنه كثر المسلمين من أهل مكة، ونزلهم بمنزلة أهل الكتاب، وطبق عليهم الآيات القرآنية النازلة في حق أهل الكتاب، فخاطبهم بها، ولم يخاطبهم بالإسلام، وهذا شأن السلفية أتباع ابن عبد الوهاب حيث يرون غيرهم ممن لا يتبع أفكارهم وآراءهم من الكفار الخارجين عن ربة الإسلام ، ويكفيك النظر في كتاب محمد بن عبد الوهاب كشف الشبهات، حيث كثر المسلمين في أول أسطر الكتاب ، وسيوافيك نقل المؤلف لبعض كلماته إن شاء الله تعالى.

٣- الذي في تاريخ الجبرتي أن الواصل مع عسكر الوهابيين إلى مكة هو عبد العزيز بن سعود، وأن دخولهم إليها كان يوم عاشوراء سنة ١٢١٨ هـ بعد ارتحال الحاج والشريف غالب بيومين قال: (فولى الشريف عبد المعين أميراً على مكة والشيخ عقيلاً قاضياً)، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٢: ٥٨٥.

وفي رسالة عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب أن دخولهم مكة كان يوم السبت نصف نهار ثامن المحرم سنة ١٢١٨ هـ، وهو الصواب لأنه كان معهم (المؤلف).

وأعز جنده، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

الحمد لله الذي صدقنا وعده وسكت، ثم قال: يا أهل مكة، أنتم جيران بيته، آمنون بأمنه وسكنى حرمة، وأنتم في خير بقعة، اعلّموا أنّ مكة حرام ما فيها لا يحتلى خلاها، ولا ينفر صيدها، ولا يعضد شجرها، وإنّما أحلت ساعة من نهار، وإنّا كنا من أضعف العرب، ولما أراد الله ظهور هذا الدين دعونا إليه، وكلّ يهزأ بنا ويقاثلنا عليه، وينهب مواشينا، ونشترىها منهم، ولم نزل ندعو الناس للإسلام، وجميع من تراه عيونكم ومن تسمعون به من القبائل إنّما أسلموا بهذا السيف، ورفع سيفه تجاه الكعبة! وقد كنت في هذا العام غازياً نحو العراق، فلما سمعت ما وقع من المسلمين بغزوة الطائف وأقبلوا عليكم يغزونكم خفت عليكم من العربان والبادية، فاحمدوا الله الذي هداكم للإسلام وأنقذكم من الشرك، وأنا أدعوكم أن تعبدوا الله وحده، وتقلعوا عن الشرك الذي كنتم عليه، وأطلب منكم أن تبايعوني على دين الله ورسوله، وتوالون من والاه، وتعادون من عاداه في السراء والضراء والسمع والطاعة.

ثم جلس فبايعه الشريف عبد المعين، ثم المفتي، ثم القاضي، ثم بقيّة الناس على طبقاتهم.

ثم قال: انتظروني بعد صلاة العصر بين الركن والمقام لأبين لكم الدين وشرائط الإسلام، ثم انصرف، فلما كان العصر اجتمعوا فصعد على ظهر زمزم ومعه المفتي، فجعل يعلمه وهو يعلم الناس ويقول: اعلّموا أيّها الناس إنّ الأمير سعوداً يقول لكم: إنّ الخمر والزنا حرام إلى آخر ما قال ممّا لا يجهله أحد.

ثم قال لهم: في غد اهدموا القباب والأصنام حتّى لا يكون لكم معبود غير

الله (١).

هدم الوهابية القبور والقبب بمكة وحملهم الناس على معتقداتهم (١٢١٨ هـ):

وفي الصباح بادر الوهابيون ومعهم كثير من الناس بالمساحي فهدموا أولاً ما في المعلى من القبب وهي كثيرة، ثم هدموا قبة مولد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ومولد أبي بكر وعلي وقبة السيدة خديجة .

وفي تاريخ الجبرتي : إنهم هدموا أيضاً قبة زمزم، والقباب التي حول الكعبة والأبنية التي هي أعلى من الكعبة. انتهى (٢).

وتتبعوا جميع المواضع التي فيها آثار الصالحين فهدموها، وهم عند الهدم يرتجزون ويضربون الطبل ويغنون ويبالغون في شتم القبور ويقولون : إن هي إلا أسماء سميتوها! حتى قيل : إن بعضهم بال على قبر السيد المحجوب .

وأما أهل مكة فمشوا معهم خوفاً ، فما مضى ثلاثة أيام إلا ومحو تلك الآثار، ثم نادوا بإبطال تكرار صلاة الجماعة في المسجد وأن يصلي الصبح الشافعي، والظهر المالكي، والعصر الحنبلي، والمغرب الحنفي، والعشاء من

١ - خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: ٢٧٧ - ٢٧٨. وقد كُفّر في هذه الخطبة القصيرة عموم المسلمين وكرر ذلك في ثلاثة مواطن:

١ - وجميع من تراه عيونكم.. إنما أسلموا بهذا السيف.

٢ - فاحمدوا الله الذي هداكم للإسلام.

٣ - وأنا أدعوكم أن تعبدوا الله وحده وتقلعوا عن الشرك.

٢ - عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٢: ٥٨٥، من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي: ١٠٤.

شاء، وأن يصلي الجمعة المفتي. ثم أمر بإحراق النارجيلات وآلات اللهب بعد كتابة أسماء أصحابها عليها، ليعرف من أطاعه، ووكل بذلك جماعة من قومه، ومنع شرب التتن والتنباك، وحمل الناس على ترك الاستغاثة بالمخلوقين وبناء القباب على القبور، وتقيل الأعتاب، وغير ذلك مما يروونه بدعة أو شركاً.

وكان ينزل من المحصب قبل الفجر ليحضر صلاة الصبح، فسمع المؤذنين يؤذنون الأذان الأول ويصلون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقولون: يا أرحم الراحمين، ويترضون عن الصحابة، فقال: هذا شرك أكبر، ومنعهم منه. ثم أمر علماء مكة أن يدرسوا عقيدة محمد بن عبد الوهاب المسمّاة (كشف الشبهات)، فلم تسعهم المخالفة، ثم طلب قبائل العرب الذين حول مكة فبايعوه وأخذ منهم أموالاً كثيرة زعم أنها نكال، ووضع في القلعة مائتين من بيضة وأمر عليهم فهيداً أخا سالم بن شكبان^(٣).

محاصرة الوهابية جدّة ورجوعهم عنها:

وأرسل كتاباً لأهل جدّه يطلب دخولهم في طاعته، فأجابوه بأننا رعية الشريف، فطاعتنا من طاعته وإن أطعناك هل تطلب منا شيئاً من المال؟ فأرسل يطلب منهم مائتي ألف ريال وستين ألف مشخص، ومن القماش ما قيمته ستة آلاف ريال، ووجه من يقبض ذلك، ثم توجه بجيوشه إلى جدّة، فاستعد له الشريف غالب بالمدافع والقلل، فجعلوا يحملون على السور وتشتتهم المدافع فينهزمون حتى قتل منهم خلق كثير، فبقوا ثمانية أيام، وجعل سعود

٣- خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: ٢٧٨ - ٢٧٩.

يشتم عثمان المضايقي لأنه هو الذي أشار بمنازلة جدّه، ثم ارتحلوا إلى بلادهم ولم يدخلوا مكة .

وقال الجبرتي في سنة ١٢١٨ جاءت كتب إلى مصر من الشريف غالب وشريف باشا أنّ الوهابيين جلّوا عن جدّة ومكة، لأنّه بلغهم أنّ العجم زحفوا على بلادهم الدرعية وملكوا بعضها . انتهى^(٤).

فغزا الشريف غالب أهل الوادي فقتل وأسر وفرّ أميرها ثمّ عاد إلى جدّة . وفي أيّام إمارة الشريف عبد المعين على مكة صارت العرب تقطع الطرق، وتنهب في كلّ ناحية، وليس عنده من الجند ما يدفعهم به^(٥).

دخول الشريف غالب مكة وخروج الوهابيين منها (سنة ١٢١٨ هـ):
ثمّ إنّ الشريف غالباً عزم على دخول مكة وإخراج من فيها من الوهابيين، فتوجه من جدّة ومعه شريف باشا والي جدّة وكثير من العسكر، وثلاثة مدافع، منها مدفع كبير أهده له إمام مسكت، فنزل بالزاهر، وأرسل العسكر والعييد فأحاطوا بقلعة جياد، وفيها الجند الذي خلفه سعود، ودخل الشريف مكة ومعه شريف باشا، ولم ينازعه الشريف عبد المعين وبقي الذين في القلعة محصورين، ثمّ هربوا ليلاً . وأقبلت هذيل لمبايعة الشريف وطلبوا الأمان لثقيف، فلم يعطهم الأمان

٤- عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٢: ٥٩٧، وعنه كتاب من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي: ٩٨.

٥- خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: ٢٧٩.

حتى يفارقوا المضايقي، فأظهرت ثقيف ذلك ثم نكتت.

وجهاز الشريف عسكرياً لمحافظة الزيماء، وجهاز جماعة لمحاصرة الطائف، فأحاطوا بها مع ثقيف وحاصروا عثمان أكثر من شهر، وضيقوا عليه، فأمدّه سعود بالجنود، فارتحل المحاصرون إلى قرن ثم عادوا إلى مكة، ثم أرسل الشريف جنداً إلى قرن، فجاءهم جند كثير من قبل عثمان، فعادوا إلى مكة، ودخلت ثقيف في طاعة عثمان، فجهّز الشريف عليهم عسكرياً، فقتل منهم وأخذ حلتهم ومواشيهم، ثم توجه المضايقي وابن شكبان لقتال هذيل الشام، فقتلوا من هذيل، وسلبوا النساء، ثم أرسلوا إلى بني مسعود وهم في جبلهم ليتوهبوا، فلم يقبلوا ووقع القتال، فقتل بنو مسعود من الوهابية نحو السبعمائة، ثم صعد الوهابية الجبل وقتلوا من أدركوه، ثم نزلوا ونادوا بالأمان، فعاد إليهم من بقي من بني مسعود، فأخذ منهم ابن شكبان غرامة شيئاً كثيراً.

ثم غزا المضايقي الأشراف بني عمر وأهل اللفّاع، وقامت الحرب بينهم حتى قتل من الأشراف ستة وعشرون، ونهبوهم وسلبوا نساءهم، حتى جردوها من الثياب، فطلبوا الأمان وتوهبوا، ثم أقبل المضايقي وابن شكبان لحصار مكة، فلما وصلوا السيل نهبوا كلّ ما في طريقهم من المواشي واقتسموه.

وكان أمير الحاج الشامي سليمان باشا مملوك أحمد باشا الجزائر، فطلب منه الشريف غالب إبقاء طائفة من العسكر لحماية البلد الحرام ويقوم الشريف بلوازمهم، فأبى، ثم قبل بواسطة أمين الصرة أن يبقى مائة وخمسين مع مائة وخمسين جملاً بما عليها من لوازم القتال^(٦).

٦- خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: ٢٨٠ - ٢٨٢.

محاصرة الوهابية جدة ثانياً ورجوعهم عنها:

ثم دخلت سنة (١٢١٩ هـ) وفيها في المحرم أقبل ابن شكبان والمضايقي باثني عشر ألف مقاتل لحصار جدة فأراد الشريف غالب تحصين مكة، لعلمه بعدم قدرتهم على جدة، فنادى بالنفير العام، فخرج الناس على طبقاتهم إلى الزاهر حاملين السلاح وبقوا هناك سبع ليالٍ.

أما الذين حاصروا جدة فبقوا ثلاثة أيام يحملون عليها حملة واحدة فيفرقهم المدفع ويقتل منهم فينهزمون إلى خيامهم حتى قتل الكثير منهم، وامتلات الحفر والقنوات من جيفهم، وكانوا يدفنون العشرة والعشرين في محل واحد، فلما رأوا ذلك ارتحلوا وقتل عثمان في طريقه حياً من الأعراب، وأخذوا إبلاً للشريف غالب، فجهز الشريف جيشاً إلى الليث من طريق البر بقيادة بعض الأشراف مع مائة من خيل الأتراك بقيادة حسين آغا، وجيشاً من طريق البحر معه عشر من الداوات الكبار مشحونة بالذخائر والمدافع الكبار بقيادة مفرح آغا عتيق الوزير ريحان، فوصل جيش البحر إلى الليث، وأطاعه أهلها بغير قتال، وتلاه جيش البر، وبعد ثلاثة أيام هجم عليهم أربعة آلاف من الوهابية، فكانت ملحمة عظيمة انجلت عن انهزام الوهابية، وقتل كثير منهم، واستشهد الشريف حسن أمير الجيش البري، وجمع بعض الأتراك رؤوس الوهابيين وأرسلها إلى الشريف، فعلمت خارج مكة، وهرع الناس للنظر إليها.

ثم جهز الشريف جيشاً إلى الليث، فلم يجدوا فيها أحد.

ثم جهز جيشاً آخر فيه من الأتراك نحو مائتين وخمسين فارساً وأمرهم أن يقيموا بالمدرسة مرابطين، فبقوا فيها ثلاثة أشهر، وتغير الهواء على الأتراك، فمرضوا ورجع الكثير إلى مكة ولم يبق إلا أربعون، فهجم عليهم المضايقي بغتة بأربعة آلاف مقاتل، ونصر الله الأربعين على الأربعة آلاف، فهزموهم وقتلوا فيهم قتلاً ذريعاً حتى وصلوا إلى الزيماء هاربين، وأرسل الشريف خلفهم مائتين من الخيل، فلم تلحقهم، وأنعم الشريف على أولئك الأربعين.

وجاءت الأخبار أنّ عشرين من الخيل الوهابية تصل إلى المغمس، فتنهب إذا ساحت لها الفرصة من بادية الحرم، فأرسل الشريف سرية فيها أربعة عشر فارساً وعشرون رامياً، فوصلوا إلى المغمس، فلم يجدوا أحداً، فلما أقبلوا على سولة رأوا ما ينوف عن خمسمائة، ف وقعت الحرب بينهم وانتصر ذلك العدد القليل على الوهابية، فأفنوا الكثير منهم وهزموهم هزيمة قبيحة، وغنموا منهم وعادوا إلى مكة ومعهم الرؤوس على الرماح^(٧).

استيلاء الوهابية على ينبع سنة (١٢١٩هـ) وإخراجهم منها:

ثمّ إنّ بداي شيخ حرب وقومه توهبوا وحاصروا ابن جبارة شيخ جهينة ينبع، وأرسل إبراهيم الرويتي إلى وزيرها محمد الحجري، فخدعه وخوفه وصعب عليه الأمور ولم يكن عنده دراية بالحرب، فطلب الأمان، ولولا ذلك لم يقدروا عليه، فدخلوا ينبع وقتلوا أهلها، وتوجه وزيرها إلى جدة في البحر ثمّ أتى مكة ورمى عند الشريف بالخيانة، فصلبه، وتوجه الشريف إلى جدة وجهز عشر داوات كباراً بالذخائر والعساكر، نصفها من عسكره ونصفها من الترك.

وفي أيام إقامته بجدة وصلها إبراهيم الرويتي، فوجد معه أوراقاً من بداي يفسد بها الرعية، فأمر بصلبه، فصلب ثلاثة أيام واستولى الجند المرسل إلى ينبع عليها بعد قتال ثلاثة أيام، وقتلوا أصحاب ابن بداي قتلاً ذريعاً^(٨).

٧- خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: ٢٨٢ - ٢٨٤، من الغزوة الثالثة والثلاثين إلى آخر الغزوة الإحدى والأربعين.

٨- خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: ٢٨٤ من آخر الغزوة الإحدى والأربعين إلى آخر الغزوة الثانية والأربعين.

محاصرة الشريف غالب الطائف وحروبه مع الوهابية:

ثمّ توجه الشريف غالب بعسكر عظيم ، وحاصر المضايقي في الطائف عشرة أيام، ثمّ عاد إلى مكة، وجاء عبد الوهاب أبو نقطة من قواد الوهابية إلى أرض اليمن حتّى وصل الليث بجند كثير، فخرج الشريف بجنوده إلى قتاله حتّى أتى السعدية، فوجد فيها جنود الوهابية، والتحم القتال، فكان النصر أولاً للشريف، ثمّ انتصر الوهابية، وقتل من الفريقين نحو الألفين، لكن القتلى من الوهابية أكثر، ثمّ انهزموا ولحققتهم خيل الشريف، ثمّ عادوا إلى مكة. ووصل المضايقي وابن شكبان إلى الزيما بجنود كثيرة، ثمّ أتوا عرفة، ودخل في دينهم بعض قريش وهذيل، وقتلوا من لم يطعمهم أو أسروه، وهدموا عين زبيدة، فقل الماء بمكة، ثمّ انتقل كثير منهم إلى وادي مرّ، وجعلوا ينهبون ويقتلون الوافدين إلى مكة، وجاء الحاج الشامي والمصري من طريق جدّة، وحجّ الناس، ولم يحج أحد من الحجاز بسبب هذه الفتنة^(٩).

محاصرة الوهابية مكة سنة (١٢١٩ هـ):

وقام الأعراب بمحاصرة مكة من جميع الجهات، وكلّم الشريف أمير الحاج الشامي إبراهيم باشا والي الشام أن يخرج لقتال الوهابية، فأبى فطلب منه جمالاً وعسكراً لاحتضار القوات والذخيرة من جدّة فوعده ثمّ أخلف. وجاء ليلة خمسة فوارس وهو مقيم بالزاهر، فصاحوا في أطراف العسكر وكبروا فخاف خوفاً شديداً، وكاتب المضايقي، وصار يأتيه بعض الوهابية فيكرمهم، ثمّ سافر فجر العشرين من ذي الحجة وأخذ معه العسكر الذي كان أبقاه أمير الحاج الشامي في السنة الماضية، ولم يأذن له المضايقي في الرحيل حتّى دفع له مائتي كيس فسكن الشريف روع أهل البلد، وقام بحفظه بمن معه

٩- خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: ٢٨٤ - ٢٨٥ ، الغزوة الثالثة والأربعون والغزوة الرابعة والأربعون.

من الأعوان، وترسه من الجوانب الأربعة^(١٠).

اشتداد الغلاء بمكة سنة (١٢١٩ هـ):

واشتد الغلاء والجوع لانقطاع الطرق وابتدأ من أواخر ذي الحجة سنة ١٩ واستمر إلى ذي القعدة سنة ٢٠، فبلغت كيلة القمح والرز مشخصين، والزبيب ثلاثة ريالات، ورطل السكر والشحم والزيت ريالين، والبن واللحم والتمر ريالاً، والسمن ريالاً ونصفاً، وباع أهل مكة جميع ما يملكونه بابخس الأثمان، ثمّ عدت الأقوات بالكلفة، وأكل الناس الأدوية، كبزر الخشخاش وزبيب الهوى والصمغ والنوى، وبزر الحمر، وشربوا الدم، وأكلوا الجلود والسنانير والكلاب وكلّ حيوان.

وكتب جملة من الناس المضايقي، وأنسل بعضهم إليه ليلاً، وكتبه بعض شيوخ العبيد الذين بيدهم القلعة، فبلغ ذلك الشريف، فسجن جماعة وقتل بعض شيوخ العبيد، ودخل كثير من الأشراف في طاعة الوهابي^(١١).

تشديد الوهابية الحصار على مكة:

وفي المحرم سنة ١٢٢٠ ارتحل الوهابيون الذين بالوادي إلى أطراف مكة، فقاتلهم العبيد الذين في الأبراج حول مكة من الظهر إلى الغروب وقتل من

١٠- خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: ٢٨٥ من منتصف الغزاة الرابعة والأربعين إلى آخرها.

١١- خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام : ٢٨٥ - ٢٨٦ من آخر الغزاة الرابعة والأربعين تحت

عنوان: <ذكر ابتداء القحط بمكة وانتهائه>.

الوهابيين سبعة، فتوجه الوهابيون إلى الحسينية وأخذوا مواشيها، وقتلوا من أهلها أحد عشر رجلاً، وتوجهوا إلى العابدية، لأنه بلغهم أن العبيد تركوا الأبراج وجأؤوا إلى مكة لطلب الزاد، فبلغ ذلك الشريف، فأعادهم في الحال وأمدهم بمثلهم فسبقوا الوهابيين إليها، ثم ارتحل المضايقي وابن شكان بعدما بنوا حصناً بالمدرّة، وتركوا فيه حامية، وكان قد بايعهم أكثر العربان الذين بأطراف مكة، فأمرهم بقطع الجلب عن مكة، فاجتهد الشريف في جمع الجمال وأرسلها إلى جدة لتأتي بالأقوات ومعها مائة فارس وعدد غيرهم، وخرج معهم كثير من أهل مكة فراراً من الجوع حتى بلغ كراء الجمل سبعين قرشاً إلى ثمانين، وبلغ الشريف خروج بعض الوهابية عليهم، فأمدهم بمائة فارس، وجاء الخبر أن الذاهيين أولاً خرج عليهم ثلاثة فرسان كانوا جواسيس، ثم ظهر نحو عشرين، فقتلوا بعضهم، وفرّ الباقيون، ولمّا بلغوا المنتجي، وهو جبل، وجدوا في حصنة سبعة من الوهابيين فقتلوهم وجأؤوا برؤوسهم إلى جدة، ووردت أغنام إلى جدة، فنهبها الوهابيون، ثم رجعت القافلة إلى مكة، وبلغ كراء البعير ثلاثين ريالاً، ثم أعاد الشريف القافلة إلى جدّة مخفورة، فذهبت وعادت سالمة، ثم أعادها ثالثاً ورابعاً، وخرج معها في المرّة الرابعة من أهل مكة نحو ثلاثة آلاف، ثم انقطع الطريق بالكلية، وأحاطت الوهابية بمكة من جميع جوانبها، فبقوا على ذلك شعبان ورمضان، ثم أرسل الشريف جيشاً على قوم من لحيان توهبوا، فقتل منهم ثلاثة، وأخذ خمسين بعيراً وفرّ الباقيون. ثمّ جهز جيشاً على المناعمة والمطارفة، فولوا هاربين، وغنموا منهم، ثمّ جهز جيشاً مكمل العدّة ومعهم مدفع كبير على حصن المدرّة، وفيه جماعة من

الوهابية فأحاطوا به ورموه بالقنابل، وجاء مدد لمن فيه فطردهم عسكر الشريف، وأرسل لهم الشريف مدفعاً آخر، وجاء قوم يريدون دخول الحصن، فقاتلهم العسكر، فانهزموا ثم هجموا على الحصن ووصل الترك إلى بابه، فوجدوا عليه عشرة فقتلوا ستة وفرّ أربعة، وأمدهم الشريف بمائتين مع مدفع، ثم بلغهم أنّ المضايقي أمدّ أهل الحصن بثلاثة آلاف، فعملوا متاريس، فلمّا أقبلوا رموهم بالمدفع وقاتلوهم إلى آخر النهار، فقتل من جيش المضايقي نحو الخمسين، ولم يقتل أحد من جيش الشريف، وفي الليل أشار عليهم بعض من خالطه الخوف بالعود إلى مكة فعادوا، فأدركتهم خيل الوهابية قبل دخول مكة، ففرّ بعضهم وثبت البعض، ووقعت بينهم ملحمة قتل فيها من عسكر الشريف عشرة ومن الوهابية جماعة من المشهورين، وغنم عسكر الشريف منهم خيلاً.

ثمّ وصل سالم بن شكبان الطائف بخمسمائة، واستقبله المضايقي، وخيّموا قرب جبال بني سفيان وأرسلوا إليهم وتهددوهم فأطاعوهم خوفاً، وجاءت مشائخهم إلى المضايقي وابن شكبان فطوقوهم بالحديد، ووضعوا على كلّ سفياني عشرين ريالاً، وأخذوا سلاحهم، فلمّا سمعت هذيل طلبت الأمان وحملت ما طلبوه من المال، فقالوا لهم قد صحّ إسلامكم فقاتلوا أهل مكة المشركين، وأنزلوا من جبالكم واسكنوا تهامة، وامنعوا القوت عن مكة، فبلغ ذلك الشريف، فأمر ببناء أبراج في الحسينية، ثمّ ارتحل ابن شكبان والمضايقي.

وبلغ الشريف أنّ الوهابية تريد أخذ القافلة الواردة من جدة، فجهز جيشاً لحمايتها، وأصبح الجيش بالركابي، فما ملأوا القرب حتّى جاءهم الوهابية، ووقع القتال على ظهور الخيل، وصعد ثلاثون من عبيد الشريف على جبل

وجعلوا يرمون بالبنادق، فقتلوا عدّة، وانهزم الوهابيون وقتل أميرهم، وقتل منهم جماعة مع ثمان من الخيل، ونهبت بعض خيلهم، ثمّ أحاط جماعة منهم بالعبيد الذين في الجبل، ووقع بينهم القتال، فقتل من الوهابيين سبعون، ومن العبيد خمسة وعشرون، وسلمت القافلة.

ثمّ جمع سعود أمراء منهم عبد الوهاب أبو نقطة أمير عسير، وسالم بن شكبان أمير بيشة، وعثمان المضايقي أمير الطائف وغيرهم وأمرهم بحصار مكة من جميع الجهات ومنع الأقوات عنها.

فجاء المضايقي بخمسة آلاف، وخيم في المضيق، وأرسل عشرين فارساً يركضون، فكبروا وطلبوا البراز، فطلبته خيل الشريف ففروا^(١٢).

محاصرة الوهابيين جدة وقطعهم الطرقات عنها وعن مكة:

ثمّ قصد جدة وأحاطوا بالسور ومعهم السلاط والمعاول، فابعدتهم حامية السور بالبنادق والمدفع، وقتلوا كثيراً منهم فانهزموا، ثمّ ارتحلوا إلى المدرة، وطلب المضايقي باقي العربان ورتبهم لقطع الطرقات، طريق جدة، واليمن ووادي نعمان وحصن المدرة، وانتقل هو وأصحابه إلى طريق جدة، يقتلون ويأسرون من يمر بهم من الحجاج وغيرهم وينادونهم: يا مشركون! ثمّ أمر أربعين من هذيل أن يكونوا بين مكة والحسينية يقطعون الطريق، فأخذوا أربعة من أصحاب الشريف، ومنعوا الناس من الإعتمار من التنعيم، وقتلوا بعض المعتمرين عند الزاهر، ثمّ ارتحل المضايقي من طريق جدة إلى الحسينية، فجهّز الشريف جماعة، فالتقوا بهم بأسفل مكة، ووقع القتال، فانهزم الوهابيون،

١٢- خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: ٢٨٦ - ٢٨٩، من الغزاة الخامسة والأربعين إلى منتصف الغزاة الثانية والخمسين.

وقتل منهم جماعة، وقتل من جماعة الشريف السيد فواز الحسيني أمير المدينة، وعاد أصحاب المضايقي إلى الحسينية، فحاربوا من فيها يومين وملكوها وأرسل المضايقي يبشر سعوداً بذلك، وجاء ابن شكبان بزهاء خمسة آلاف وأبو نقطة بنحو عشرة آلاف، فتكاملوا في الحسينية ثلاثين ألفاً، فاشتد الكرب على أهل مكة، وزاد الغلاء حتى بلغت الكيلة من القمح والرز مشخصين، ومن الزبيب ثلاثة ريالات، ورطل السكر والشحم والزيت ريالين، والسمن والعسل ريالين ونصفاً، والتمر والبن ريالاً، واللحم نصف ريال، والتبناك ستة ريالات ونصفاً، ونفدت النقود، فاشتروا بالأثاث والحلي، وباعوا ما قيمته مائة بعشرة، واشتروا ما قيمته عشرة بمائة، وأكلوا الجلود البالية والمطاط بعد حرقها بالنار والسنانير والكلاب، وكل حيوان، وشربوا الدم، وأكلوا نباتاً يسمّى (الأخريط)^(١)، فأثر فيهم ورماً، ثم يموتون، وفنيت الأقوات، فأكل الناس العقاقير والأدوية كما فعلوا سنة ١٢١٩، ومات كثير بالجوع، وبعضهم مات وهو يمشي، وترى الأطفال موتى في كل زقاق، فهرع الناس إلى الحسينية من الطرق الصعبة خوفاً من السطوة بهم فمنهم قتل، ومنهم مات جوعاً، ومنهم وصل محمولاً، ولم يبق بمكة إلا القليل ولا يتكامل الصف الأول عند الصلاة في المسجد الحرام وأغلقت الحوانيت^(٢).

١- قال ابن منظور في لسان العرب ٧: ٢٨٦ : (والأخريط من أطيب الحمض، وهو مثل الرغل، سُمِّي إخریطاً لأنه يخرط الإبل، أي يرقق سلحها)، ومثله الزبيدي في تاج العروس ١٠: ٢٣٦.
٢- وقال الجبرتي في تاريخه عجائب الآثار ٣: ١٨٩ سنة ١٢٢٢ هـ: (وإن سعود الوهابي وصل إلى مكة بجيش كثيف، وحج مع الناس بالأمن وعدم الضرر ورخاء الأسعار، وأحضر مصطفى جاويش أمير الركب المصري وقال: ما هذه العوידات والطبول التي معكم، يعني بالعوידات

صلح الوهابية مع الشريف غالب سنة (١٢٢٠ هـ):

وجاء من الحسينية عبد الرحمن بن نامي أحد علماء الوهابية، وتذاكر مع الشريف في الصلح على أن يأذن لهم في الحج، ثم يرجعوا لبلادهم، ويدخل في الطاعة، ويكون حكم مكة للشريف، وشرط عليهم إعادة الحسينية وغرامة ما ذهب فيها من نفوس وأموال وغير ذلك مما رأى فيه الصلاح والرفق بأهل مكة، وأن يخبروا سعوداً بالصلح وينتظروا الجواب، فدخلوا مكة وعاد إليها أهلها، وتنازلت الاسعار، وحجّ الوهابية، وجعلوا يركضون في الطواف، ويشيرون إلى الحجر الأسود بالمشاعيب والبواكير، ووصل الحاجّ الشامي وأميره عبد الله باشا ومعه قوة زائدة عن العادة نحو ألف وخمسمائة خيال، وقال سعود لأميري الحاجّ الشامي والمصري: ما هذه العوידات التي تأتون بها وتعظمونها؟ يعني المحمل.

فقالوا: جرت العادة بذلك علامة لاجتماع الحجاج، فتوعددهم بتكسيها إن جاؤوا بها ثانية، وشرط أن لا يأتوا بالطبل والزممر^(١).

وأقام الوهابيون إلى حادي عشر المحرم سنة ١٢٢١ ثم ارتحلوا، وأصيبوا مدة مقامهم بمكة بالجدرى، فمات كثير منهم حتى صاروا يدفنون في الحفرة

المحمل.

فقال: هو إشارة وعلامة على اجتماع الناس بحسب عاداتهم.

فقال: لا تأت بذلك بعد هذا العام، وإن أتيت به أحرقتك..، لكن تقدّم من تاريخ خلاصة الكلام أنّ ذلك كان عام ١٢٢٠ هـ، ولم ينقل أنّ سعوداً حجّ في تلك السنة بل الظاهر من كلامه أنّه لم يحج.

١ - تاريخ الجبرتي ٣: ١٨٩.

الواحدة جماعة، وكان الكثير منهم مدّة اقامتهم بمكة يؤجرون أنفسهم لأهل مكة للإحتطاب، وحمل القمائم، ونزح المراحيض وغير ذلك.

وفي افتتاح هذه السنة وجه الشريف عماله على الأقطار، فأرسل وزيراً إلى ينبع، وأرسل مائتين من الأتراك إلى سواكن، ومثلها إلى مصوع، ونزل هو إلى جدّة، ورتب أمورهما، وأمر بإصلاح السور وعمارة الخندق وبناء برج على باب البوغاز المُسمّى بالعلم يمنع الداغل إلى المرسى إن قصده عنوة.

ثمّ وصل من الدرعية عشرون رجلاً فيهم حمد بن ناصر أحد علمائهم، وكان الشريف بجدة، فأعطوه كتباً من سعود فيها إتمام أمر الصلح، ونزل حمد إلى مسجد عكاش وجمع الناس وقرأ عليهم رسالة محمّد بن عبد الوهاب التي يكفر فيها المسلمين، وقبل الشريف بمنع جميع الأمور التي يعتقد الوهابية منعها مرغماً على ذلك، فأمر بهدم القباب، وترك شرب التنباك وعدم بيعه، وبدخول الناس المسجد عند سماع الأذان لصلاة الجماعة، وتدرّس رسائل ابن عبد الوهاب، وترك تكرير الجماعة في المسجد الحرام، والاقتصار على الأذان في المنائر، وترك التسليم والتذكير والترحيم، وأبطل ضرب نوبة والي جدة فتوجه حمد بن ناصر إلى الدرعية يخبرهم بذلك، وأرسل الشريف معه رسولاً، فرجع بالجواب والشريف باقٍ بجدة، فأعاد الجواب لهم.

وفي مدّة غيابه في جدّة وقعت فتنة بين الأتراك والعييد، فحضر إلى مكة وأطفأها وعاقب من كان سببها، فلمّا بلغ خبرها المضايقي فرح وذهب من الطائف إلى الدرعية ليخبر سعوداً بذلك، ويشنع على الشريف، فلم يصادف قبولاً عند سعود، فرجع وأمر العربان بقطع الطرق مشاققة للشريف، وكان سعوداً أعطاه إمارة العربان، فارتفعت الأسعار بمكة لانقطاع الطرق، فأخبر الشريف سعوداً بذلك، فأرسل إلى عثمان ومنعه، فعاد الأمن، وتراخت الأسعار، ثمّ أمر الشريف ببناء حصن على رأس جبل الهندي، وحصّنه بالرجال والذخائر.

وكان مدة استيلائهم على مكة يصانعهم ويهدي لهم الأموال الجزيلة، وكانت هداياه تصل إلى أكثر أمرائهم وعلمائهم وأعوانهم، محافظة على نفسه وعلى أهل مكة، وكان سعود وكثير من أمرائهم يحجّون كلّ سنة بجنود كثيرة، فيكرمهم الشريف ويهيئ لهم الضيافات الكثيرة، ومع ذلك كان ي كاتب الدولة العثمانية سرّاً، ويحثهم على تعجيل تجهيز العساكر لانقاذ الحرمين من الوهابية^(١).

وفي خلاصة الكلام: <في هذه السنة كان أمير الحاج الشامي عبد الله باشا، فلماً وصل منزل هدية جاءه من الوهابي: لا تأت إلّا على ما شرطنا عليك في العام الماضي، فرجع الحاج من هدية ولم يحجوا .

أمّا المحمل المصري فأمر سعود بإحراقه، ونادى مناديه بعد انقضاء الحجّ: أن لا يأتي إلى الحرمين بعد هذا العام من يكون حليق الذقن، وتلا في المناداة: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا }^(٢)، فانقطع مجيء الحاج الشامي والمصري من هذا العام^(٣).

١- خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: ٢٩١ - ٢٩٤، ذكر انعقاد الصلح بين الشريف وأحد علمائهم على دخول مكة.

٢- سورة التوبة: ٢٨.

٣- خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: ٢٩٤، ذكر رجوع الحج الشامي من الطريق من غير حج سنة (١١٢١ هـ)، وذكر أمر سعود بإحراق المحمل المصري سنة (١٢٢١ هـ).

نهب الوهابية ذخائر الحجرة النبوية وهدم القباب بالمدينة المنورة سنة (١٢٢١ هـ):

وفيها أخذ الوهابي كُلَّ ما في الحجرة النبوية من الأموال والجواهر، وطرد قاضي مكة والمدينة، وأقام لقضاء مكة الشيخ عبد الحفيظ، ولقضاء المدينة بعض علمائها، ومنعوا الناس من زيارة النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم^(١). وقال الجبرتي: لما استولى الوهابيون على المدينة المنورة هدموا القباب التي فيها وفي ينبع، ومنها قبة أئمة البقيع بالمدينة، لكنهم لم يهدموا قبة النبي (صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم)^(٢)، وحملوا الناس على ما حملوهم عليه بمكة. وأخذوا جميع ذخائر الحجرة النبوية وجواهرها حتَّى إنَّهم ملأوا أربع سحاحير من الجواهر المحلاة بالماس والياقوت العظيمة القدر، ومن ذلك أربع شمعدانات من الزمرد، وبدل الشمعة قطعة ماس تضيء في الظلام، ونحو مائة سيف لا تقوم قراباتها، ملبسة بالذهب الخالص، ومنزل عليها ماس وياقوت، ونصابها من الزمرد والإيشم، ونحو ذلك ونصلها من الحديد الموصوف، وعليها أسماء الملوك والخلفاء السالفين^(٣)، وطرد الوهابية أغوات الحرم والقاضي الذي كان قد توجه لقضاء المدينة واسمه سعد بك وخدام الحرم المكي

١- خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: ٢٩٤ - ٢٩٥ ذكر أخذ الوهابي ما في الحجرة الشريفة سنة ١٢٢١ هـ.

٢- عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٣: ٩١ وقد ذكره في أحداث سنة ١١٢٠ هـ ١١ رجب المرجب، وأنهم دخلوا المدينة المنورة بعد حصار طال سنة ونصف.

٣- عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٣: ٢٤٥ - ٢٥٠ وهذا ذكره في أحداث سنة ١٢٢٣ هـ في مستهل شهر ذي الحجة.

وقاضي مكة فتوجه مع الشاميين^(١).

وقال الجبرتي في حوادث سنة ١٢٢٢: <في هذه السنة أخبر الحجاج المصريون أنهم منعوا من زيارة المدينة المنورة>^(٢).

انقطاع الحج من مصر والشام والعراق:

قال العلامة السيد جواد العاملي في حوادث سنة ١٢٢٢ أنه تعطل الحج ثلاث سنين كما مر، فيكون ابتداء انقطاعه من العراق سنة ١٢٢٠. وذكر الجبرتي في حوادث سنة ١٢٢٣ أن منها انقطاع الحجّ الشامي والمصري .

أقول: وكان ابتداء انقطاع الحجّ من الشام في سنة (١٢٢١ هـ) ومن مصر في سنة ١٢٢٢ كما مرّ، فيظهر أنّ الحج انقطع من العراق أربع سنين، ومن الشام ثلاث سنين، ومن مصر سنتين، ولا يعلم هل انقطع بعد ذلك أو لا.

هجوم الوهابيين على سورية سنة (١٢٢٥ هـ) :

عن تاريخ الأمير حيدر الشهابي أنه في هذه السنة هجم عبد الله بن سعود الوهابي على بلاد حوران فنهب الأموال، وأحرق الغلال، وقتل الأنفس البريئة، وسبى النساء، وقتل الأطفال وهدم المنازل وعاث في الأرض فساداً حتى قيل إنه أتلف في تلك البلاد ما قيمة ثلاثة آلاف ألف درهم^(٣).

١- عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٣: ٢٠٤ في أحداث سنة ١٢٢٢ هـ في بداية شهر ربيع الثاني في يوم الإثنين.

٢- عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٣: ٢٠٤.

٣- تاريخ الأمير حيدر أحمد الشهابي ٤: ١١٥٦، الفصل الثامن في ثورة الوهابيين وإخضاعهم

وفي خلاصة الكلام: إنه في هذه السنة أرسل الوهابيون جيشاً إلى ناحية الشام، فتوجه يوسف باشا المعدني إلى جهة المزيريب وحصن قلعتها، واستعد لهم بجيش، وحاربوهم وطردهم^(١).

* * *

بقيادة الأمير طوسون باشا.

١ - خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: ٢٩٣ - ٢٩٤.

الفصل الثالث

في محاربة محمد علي باشا للوهابيين

وننقل ذلك من تاريخ الجبرتي وخلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام
لأحمد بن زيني دحلان.

في سنة ١٢١٨ أرسلت الدولة العثمانية إلى محمد علي باشا والي مصر أن
يرسل أربعة آلاف عسكري إلى الحجاز لمحاربة الوهابية وأنهم أرسلوا من
جهة بغداد أربعة بشوات مع العساكر، وأرسلوا إلى أحمد باشا الجزار والي عكا
بالتوجه لمحاربتهم^(١).

وفي سنتي ١٢٢٢ و ٢٣ أرسلت تحته، فاعتذر بأن هذا الأمر لا يتم بالعجلة،
ويحتاج إلى الاستعداد^(٢).

وفي سنة ١٢٢٤ أرسلت له بذلك، وأن يوسف باشا المعدني تعين للسفر
إلى الحرمين عن طريق الشام^(٣)، وسليمان باشا والي بغداد تعين للسفر من
ناحيته على الدرعية^(٤).

وفي سنة ١٢٢٥ حضر عيسى أغا من قبل الدولة العثمانية إلى الإسكندرية
ومعه مهمات وآلات مراكب ولوازم حرب لسفر الحجاز ومحاربة الوهابية^(٥).

١- عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٢: ٦٢٥ في الخامس والعشرين من شهر شوال.

٢- عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٣: ٢٣٥.

٣- عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٣: ٢٤٧ في الثاني والعشرين من ذي الحجة.

٤- عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٣: ٢٥٣ في أول محرم سنة ١٢٢٤ هـ.

٥- عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٣: ٣٠٧.

وفي سنة ١٢٢٦ أهتم محمد علي باشا بأمر الحجاز وارسال العساكر إليها، فسافر إلى السويس، وحجز المراكب وكان عمل قبل ذلك مراكب بالسويس لهذا الغرض، وأمر بعمل مراكب كبار لحمل الخيول، ثم قلد ابنه طوسون باشا ساري عسكر الحجاز وعسكروا خارج مصر، ثم سافر طوسون في شهر رمضان من هذه السنة مع قسم من العسكر عن طريق البحر ومعه رئيس التجار السيد محمد المحروقي، وأوصاه أبوه بالأخذ برأيه، ومن العلماء الشيخ المهدي والسيد أحمد الطحطاوي، وسافر القسم الآخر من العسكر عن طريق البر، وكان الشريف غالب يرسل محمد علي باشا ويعدّه معاونة عساكره، والمذكور أيضاً يرسله، فلمّا وصلت العساكر البحرية إلى ينبع البحر لم يعطوهم ماء ومنعهم المرابطون عند العين، ورموا عليهم من القلعة بالمدافع والرصاص، فأحاطوا بها، وضربوا عليها بالقنابل، وصعدوا إليها بالسلالم غير مباينين بالرصاص النازل عليهم، فملكوها وقتلوا من بها سوى سبعة هربوا على خيولهم، منهم وزير الشريف، ونهبت ينبع، وسبيت نساؤها على رواية الجبرتي^(٦).

وأرسل بعض الرؤوس إلى مصر ووصلت العساكر البرية إلى المويلح، ثمّ اجتمعت بعساكر البحر، وأخذوا ينبع البر بلا قتال، وأتتهم العربان أفواجا، فخلع عليهم طوسون، ثمّ ملكوا قرية السوق قرية ابن جبارة وفرّ هارباً. واجتمع جماعة من كبار الوهابية فيهم عبد الله بن سعود والمضايفي في نحو من سبعة آلاف فارس عدى الرجالة، وقصدوا تبليت العسكر، فنذر بهم

٦- عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٣: ٣١٨ - ٣٣٢.

وخرج إليهم شديد شيخ الحويطات بفرسانه وطائفة من العسكر، فوافاهم قبل شروق الشمس، ووقع القتال والوهابية ينادون: هاه يا مشركون، فانهزمت الوهابية وغنموا منهم سبعين هجيناً، وكانت الحرب بقدر ساعتين^(٧). ثم انتقل العسكر إلى الصفراء والجديدة، واجتمع مع الوهابية كثير من قبائل العرب، فوقع القتال ثالث عشر ذي القعدة، ووجد العسكر المصري متاريس، فحاربوا عليها حتى أخذوها وصعدوا إلى الجبال، فهاهم كثرة جيش الوهابية وسارت الخيل في مضيق الجبال، وبقيت الحرب في أعاليها يوماً وليلة، فما شعر السفلاونيون إلا والذين في الأعالي هابطون منهزمون، فأنهزموا جميعاً وتركوا خيامهم وأثقالهم، وساروا طالبين السفن التي كانوا أعدوها بساحل البريك احتياطاً، ووقع في قلوبهم الرعب، وظنوا أن الوهابيين في أثرهم، والحال أنهم لم يتبعوهم، فازدحموا على السفن، وذهب كثير منهم مشاة إلى ينبع البحر، ورجع طوسون وخاصته والخيالة إلى ينبع البحر، فبقوا فيها خمسة وعشرين يوماً، وبعد الإذن من محمد علي باشا حضر طوسون ومن معه إلى مصر ومعهم العلماء والمحروقي في أوائل سنة ١٢٢٧، فسخط محمد علي باشا على العسكر وطرد الذين جاؤوا بغير إذن، ولم يثنه ما وقع عن عزمه، وشرع في تجهيز جيش آخر، فبعث عسكرياً من طريق البحر مع خزنداره الملقب بونا برته، وأمره أن يكون هو وطوسون في ينبع لمحافظتها، وأرسل عسكرياً مع صالح أغا إلى ينبع عن طريق البر، وسافر عدة من عسكر المغاربة والعثمانيين إلى ينبع، وجاءت عساكر كثيرة من الأتراك، وعينت للسفر، وقام هو بلوازمهم، وصار يوالي إرسال العساكر براً وبحراً، وأظهر العزم على السفر بنفسه إلى الحجاز،

٧- عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٣: ٣٣٥ مستهل شهر ذي الحجة سنة ١٢٢٦ هـ.

فاجتمعت العساكر في ينبع ومعهم صناديق الأموال، فأخذوا في تألف العربان واستمالتهم بالمال، واستولت عساكر الأتراك على عقبة الصفراء والجديدة بدون حرب، بل بالمخادعة والمصالحة مع العرب وتديير شريف مكة الذي كان يكاتبهم سرّاً ويكاتبونه ويعملون بتدييره، ولم يجدوا بها أحداً من الوهابيين، ثم وصلت عساكر الأتراك إلى المدينة المنورة ونزلوا بفنائها، ثم إن كبراء العرب الذين استمالوهم ومنهم شيخ الحويطات أخبروا أن الهزيمة السابقة كانت من مقاتلة عرب حرب والصفراء المتوهبين وأنهم مجهودون، والوهابية لا يعطونهم شيئاً ويقولون: قاتلوا عن دينكم وبلادكم، فإذا بذلت لهم الأموال صاروا معكم وملكوكم البلاد، فأرسل محمد علي بعض أمرائه، ومعه صناديق الأموال والكسوة، وأشاع الخروج بنفسه واستمر على إرسال النجدات، وهو معسكر خارج باب النصر، دأب على تعليم العساكر يومي الإثنين والخميس، فوصل الأمير ينبع البر، وذهب شيخ الحويطات وجماعة إلى شيخ حرب ولم يزالوا به حتى وافقهم وجأؤوا به إليه، فأكرمه وخلع عليه وعلى شيوخ العربان، فالبسهم الفرو والكسوة وشالات الكشمير، وصبّ عليهم الأموال، وأعطى شيخ حرب مائة ألف ريال فرانسيّة فرقها على عشيرته، وخصه بثمانية عشر ألف ريال، ورتب لهم العلوفات والمؤن ونقوداً في كلّ شهر، فأدخلوهم المدينة المنورة، فأخرجوا من فيها من الوهابية، واستولوا على قلعتها، ونزل متولي القلعة من قبل الوهابية واسمه مضيان أو ابن مضيان على حكمهم، فأرسلوه إلى مصر، فأرسله محمد علي إلى إسلامبول، فقتلوه وعلقوه على باب السراية، وجاء جماعة إلى مصر معهم مفاتيح المدينة، فزينت مصر، وأرسل محمد علي المفاتيح إلى إسلامبول، وأرسل البشائر إلى كافة بلاد الإسلام.

وحجّ سعود في هذا العام، ثمّ رجع إلى بلاده مسرعاً، وكاتب الشريف

العساكر الذين في ينبع، فحضرت منهم طائفة إلى جدة من طريق البحر في المحرم سنة ١٢٢٨ هـ وملكوها بدون قتال.

وكان في قلعة مكة جماعة من الوهابية يسمّونهم (المهاجرين)، فلمّا بلغهم وصول العساكر إلى جدّة هربوا ليلاً، وتوجه بعض عسكر جدّة إلى مكة فأكرمهم الشريف، ولمّا بلغ ذلك وهاية الطائف استولى عليهم الرعب فهربوا مع أميرهم المضايقي، ووصلت البشائر إلى مصر، فزيت خمسة أيّام، وأرسل محمد علي بشيراً إلى إسلامبول اسمه لطيف أغا، فتلّقاء أعيان الدولة في موكب عظيم ومعه مفاتيح زعموا أنّها مفاتيح مكة والمدينة وجدة والطائف وقد وضعوها على صفائح الذهب والفضة، وأمامها البخور في مجامر الذهب والفضة، وخلفها الطبول والزمور، وضربوا لذلك مدافع، وأنعم عليه السلطان وكبراء الدولة، وسمّي لطيف باشا، وأنعمت الدولة على محمد علي واهدته خنجرين وسيفاً مجوهره وعدة أطواع بالباشوية لمن يريده. وسأل الشريف مفتي المالكية الشيخ عبد الملك القلعي: هل جعلتم تاريخاً لانقضاء مدة الوهابية؟ فقال: قطع دابر الخوارج ١٢٢٧.

وأرسل محمد علي باشا ولده إسماعيل باشا إلى إسلامبول بالبشارة، فأكرمه الدولة، ثمّ عاد إلى مصر، وبعد استقرار العساكر بمكة والطائف شنوا الغارات على طوائف الوهابية القرييين من الطائف حتّى قتلوا كثيراً منهم وفرقوا جموعهم^(٨).

٨- عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٣: ٣٤٥-٤١٢.

القبض على المضايقي:

ثمّ قبضوا على المضايقي بناحية الطائف، وكان قد جرد على الطائف، فبرز إليه الشريف غالب مع عساكر الأتراك والعربان، ووقعت الحرب، وأصيب جواده، وأصابته جراحة، فنزل إلى الأرض واختلط بالعسكر، فلم يعرفوه، وارتفعت الحرب بنزوله، ثمّ خرج عنهم وسار نحو أربع ساعات، فصادفه جند الشريف، فقبضوا عليه، فجعل الشريف في عنقه زنجيراً.

وكان المضايقي زوج أخت الشريف، فاستاء منه وانضم إلى الوهابيين، فكان أعظم أعوانهم، وهو الذي كان يحارب لهم، ويجمع قبائل العرب، ويدعوهم عدة سنين، ويوجه السرايا، وهو الذي فتح الطائف، وهو المحارب مع عرب حرب بناحية الصفراء الذي هزم عساكر طوسون وشتتهم كما مرّ. وكان فصيحاً متأنياً في الكلام، عليه آثار الإمارة ومعرفة مواقع الكلام، ثمّ أرسلوه إلى جدة ومنها إلى مصر والزنجير في عنقه.

وجاءت البشارة إلى محمّد علي بالقبض على المضايقي وقد تهيأ للسفر إلى الحجاز، فوصل جدة في أواخر شوال سنة ١٢٢٨، وكانوا أرسلوا المضايقي، فلم يره، وبعد وصول المضايقي إلى مصر بثلاثة أيّام أرسلوه مع ابن مضيان إلى إسلامبول، فطافوا بهما فيها، ثمّ قتلوهما^(٩).

ولمّا وصل محمّد علي باشا إلى جدة واجتمع بولده طوسون حضر الشريف غالب لمقابلته، وجاءته رسل سعود الوهابي فقالوا: الأمير سعود يطلب الإفراج عن المضايقي، ويفتديه بمائة ألف ريال فرنسية، ويريد الصلح. فقال: أما المضايقي فأرسل إلى إسلامبول، وأما الصلح فلا نأباه بشرط دفع

٩- عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٣: ٤٠٨ الرابع عشر من شوال سنة ١٢٢٨ هـ.

كلّ ما صرفناه على العساكر من ابتداء الحرب إلى اليوم، وارجاع كلّ ما أخذناه من ذخائر الحجرة النبوية، ودفع ثمن ما استهلك منها، وأن يأتي إليّ لاتّعاهد معه ويتم صلحنا، وإن أبي فنحن ذاهبون إليه.
فقالوا: اكتب له كتاباً.

فقال: لا اكتب، إنّ لم يرسل معكم كتاباً، فكما جئتم بمجرد الكلام فعودوا به، فلمّا أرادوا الانصراف جمع العساكر ونصبوا ميدان الحرب والرمي من البنادق والمدافع ليرى الرسل ذلك^(١٠).

ثمّ توجه محمد علي إلى مكة فاحتفل به الشريف غاية الاحتفال، وبالغ في ضيافته وإكرامه مع شدة التحذر منه، وأنزله وولده طوسون كلاً في دار. كان الباشا يعظم الشريف غاية التعظيم، ويقبل يده وتعاهد معه في خوف الكعبة على الوفاء وعدم الخيانة من الطرفين.

ومن تحذره منه أن حسن له توجه العساكر من جدة إلى الطائف بدون دخول مكة، لئلا يحصل ضيق في الماء، ولكثرة الحاج، ففعل، ولم يكن مع الباشا في مكة من العساكر إلا قليل، وكان عند الشريف عساكر موظفون نحو الألفين، متفرّقون قلقات في أطراف مكة، ومن العبيد نحو الألف في القلاع، ولكن إذا جاء القدر لم ينفع الحذر.

القبض على الشريف غالب:

وكان محمد علي باشا مأموراً من السلطنة بالقبض على الشريف غالب، فتحير في ذلك لتحذر الشريف منه، ولما بينهما من العهود، فرأى أن يقبض

١٠- عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٣: ٤١٠ أواخر شهر ذي القعدة سنة ١٢٢٨ هـ.

عليه ابنه طوسون، تخلصاً من خلف العهد بزعمه، فأظهر أنّ بينه وبين ابنه منافرة، وذهب ابنه لجدة مظهراً أنّه مغاضب لأبيه، وكتب إلى الشريف أن يشفع له عنده ففعل، فكتب الشريف إليه بالحضور، فحضر، وذهب الشريف للسلام عليه وليأخذه إلى أبيه، فلمّا وصل إلى بيت طوسون وجد أكثر العساكر مجتمعة فلم ينكر ذلك لظنه أنّهم جاؤوا للسلام، فدخل على طوسون وتفرق أتباعه في الدهليز، وقبّل طوسون يده وعظّمه ومنع الناس من الدخول على العادة، ثمّ دخل عابدين بك من كبار العسكر فقبل يد الشريف وقبض على الجنبية ليأخذها من وسطه وقال: أنت مطلوب للدولة، فلم يجد بداً من التسليم. فقال: سمعاً وطاعة اقضي أشغالي في ثلاثة أيّام ثمّ أتوجه.

فقال: لا سبيل إلى ذلك، وأدخلوه إلى بيت آخر، ولا يعلم أحد بشيء، وذلك في أواخر ذي القعدة من سنة ١٢٢٨ ومكة مملوءة بالحجاج.

وأرسل طوسون إلى أبيه يعلمه بذلك، فاستشار الشيخ أحمد تركي الذي كانت هذه الحيلة بتدبيره، وهو مطوّف ذو عقل ودهاء، وكان من المختصين بالشريف، ويعتمد عليه في المهمات، ويبعثه إلى دار السلطنة، فلمّا قدم محمّد على الحجاز جعله ملازماً له، فوجده محمّد علي ذا خبرة ودارية، فقربّه وصار يستشيريه، ولمّا رجع إلى مصر أمر نائبه بمكة باستشارته فقال: إنّ الشريف له ثلاثة أولاد كبار، فيخشى أن يحدثوا فتنة والقلاع بأيدي عبيدهم، وعندهم عساكر موظفة، فلا بدّ من الاحتياال للقبض عليهم، فذهب الشيخ أحمد إلى الشريف غالب وقبّل يده وقال: أفندينا يسلم عليكم ويقول: لا تهتموا، والقصد أن تقابلوا مولانا السلطان وترجعوا إلى ملككم، ويكون مدة غيابكم أحد أولادكم نائباً عنكم، فاطلبوهم وأخبروهم بالحقيقة ليطمئنوا، فصدقه، وأمر بكتابة ورقة لهم ليحضروا وختمها، فحضروا وقبض عليهم.

وقيل: بل أرادوا الحرب لمّا علموا، فتهددهم الباشا وأرسل إليهم الشريف فمنعهم عن ذلك وخذعهم الشيخ أحمد تركي فقال: ليس على أبيكم بأس إنّما هو مطلوب في مشاورة مع الدولة ويعود بالسلامة، والباشا يريد أن يولي كبيركم نيابة عن أبيه حتّى يرجع، فانخدعوا وقاموا معه، والله أعلم .

وأشار الشيخ أحمد بتولية الشريف يحيى بن أخي الشريف غالب إمارة مكة قبل شيوع الخبر، فاحضره، والبسه محمد علي فرو سمور وشالاً ثميناً، وأحضر له صندوقاً من المال، وأركبوه على فرس مرخت ومشت القواسة بين يديه حتّى أوصلوه إلى داره.

وعندها علمت الناس بحقيقة الحال ارتجت البلد وعزّلت الأسواق خوفاً من الفتنة، فلم يحصل شيء، وفي الليل أرسلوا الشريف غالباً وأولاده مع أربعة عبيد طواشية إلى جدة ومعهم عسكر، فأخذ العسكر ما في جيوبه، ثمّ أرسلوا إلى مصر فوصلوها في المحرم سنة ١٢٢٩، وضربوا لوصولهم عدّة مدافع ودخل الشريف مصر بالإجلال والإكرام، لكن منعت الناس من السلام عليه إلا خواص الباشا، ثمّ أرسلوا حريمه إلى مصر، واستولى الباشا على جميع موجودات الشريف، فأخذ ما لا يحصيه إلاّ الله وأخرج حرمه وجواريه من داره بما عليهن من الثياب بعد ما فتشوهن تفتيشاً فاحشاً^(١١).

وفي خلاصة الكلام: إنّ العساكر نهبت داره التي بجياد وأخذوا منها أموالاً

١١ - عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٣: ٤٤٢ ، خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: ٢٩٨ - ٢٩٩، فتنة الوهابية لزيني دحلان : ١٦ وفيها: «وأما الشريف غالب فأرسلوه إلى سلانيك ، وبقي بها مكراً إلى أن توفي سنة إحدى وثلاثين ، ودفن بها، وبنيت عليه قبة تزار ، ومدة إمارته على مكة ست وعشرون سنة».

كثيرة، وأخرجوا أهله منها بصورة شنيعة، وحضر مرسوم من اسلامبول بارجاع ما أخذ من الشريف، فصالحوه عنه بخمسائة كيس، وكان أكثر من ذلك بكثير، وفي شعبان من هذه السنة أرسلوه مع أولاده وحريمة إلى سالونيك، فأقام بها منفياً إلى أن توفي رحمه الله تعالى سنة ١٢٣١، وكان من دهاة العالم، وكانت إمارته نحواً من سبع وعشرين سنة^(١٢).

مداومة محمد علي باشا على حرب الوهابية:

ثمّ استحضر الباشا من مصر سبعة آلاف عسكري وسبعة آلاف كيس، وكان بناحية تربة امرأة مشهورة بالشجاعة تُسمّى غالية هي الأميرة على العرب، واجتمع عندها كثير من أمراء الوهابية وجنودهم فأرسل إليها الباشا عسكرياً سنة ١٢٢٩ هـ فهزّمته شرّ هزيمة، ثمّ أرسل إليها ابنه طوسون فحاربته ثمانية أيام ورجعوا منهزمين، ونفرت العرب من الباشا بما صنعه مع الشريف غالب وانضم كثير من الأشراف إلى الخصم ووقع الغلاء بالحرمين^(١٣). وفيها في ربيع الثاني مات سعود أمير الوهابية في الدرعية وتولّى مكانه ابنه عبد الله^(١٤).

وفيه أرسل الباشا عساكر كثيرة إلى ناحية القنفذة براً وبحراً فاستولوا

١٢- خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام : ٢٩٨ - ٢٩٩.

١٣- عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٣: ٤٥٣ - ٤٥٣.

١٤- عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٣: ٤٥٥، فتنة الوهابية لزيني دحلان : ١٦، لكنه ذكر أنّ هلاكه في شهر جمادي الأولى، بينما في عجائب الآثار ذكر أنّ وصول خبر موته في شهر جمادي الأولى.

عليها، وهرب من فيها من الوهابية ولم يجدوا فيها غير أهلها فقتلوهم، فنجمعت قبائل عسير مع طامي أبي نقطة وحاصروا القنفذة ومنعوا عنها الماء، فانهزمت العساكر وقتل كثير منهم، فأرسل الباشا إليهم نجدة فهزموها^(١٥).

وفي جمادي الثانية توجه بنفسه إلى الطائف لمحاربة الوهابية والعساكر والذخائر والأموال تأتيه من مصر، وبلغت العشور بميناء جدة أربعة وعشرين لكاً، وجعل يستميل الناس بالمال، وصالح الأشراف ومشائخ العربان الذين فروا منه، ثم توجه من الطائف إلى كلاًخ^(١٦)، ووجه العساكر إلى جهات متفرقة، ووجه ابنه طوسون إلى المدينة ثم عاد هو إلى مكة إلى أن حج^(١٧).

وفي افتتاح سنة ١٢٣٠ هـ عاد إلى الطائف ووقع بينه وبين الوهابية حروب كان النصر له فيها عليهم، واستولى على تربة^(١٨) وبيشة^(١٩) ورينة، وقتل الكثير من الوهابيين، وتوجه إلى قنفذة من بلاد عسير فملكها وقبض على طامي أبي نقطة، فإن الشريف راجحاً بذل لابن أخي طامي مالاً جزيلاً ليقبض على عمه، فصنع وليمة ودعاه إليها فقبض عليه، فأرسلوه إلى مصر مغلولاً ثم إلى إسلامبول فقتل.

ولم يزل محمد علي باشا يجول في بلاد العرب ويقهر الخصوم، ويبذل الأموال، ويرتب الأمراء في كل موضع يستولي عليه إلى جمادي الأولى، ثم

١٥- عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٣: ٤٦٣.

١٦- كلاًخ: موضع قرب عكاظ. معجم البلدان ٤: ٤٧٤.

١٧- عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٣: ٤٥٧ - ٤٦٢، فتنة الوهابية: ١٦.

١٨- تربة: وادٍ بالقرب من مكة على مسافة يومين منها. معجم البلدان ٢: ٢١.

١٩- بيشة: من عمل مكة مما يلي اليمن من مكة على خمسة مراحل، وبها من النخل والفسيل شيء كثير. معجم البلدان ١: ٥٢٩.

عاد إلى مكة ورتب بها الأرزاق للأشراف وغيرهم، وجدد دفاتر الجراية لأهل مكة، وكانت انقطعت في زمن الوهابية، وأبطل ما استولى عليه الأغنياء منها بالفراغات ورتبها ترتيباً جديداً، ثم أقام حسن باشا الارنؤطي نائباً عنه بمكة وتوجه إلى مصر فوصلها في رجب (٢٠).

الصلح بين طوسون باشا والوهابية سنة (١٢٣٠ هـ) ووفاة طوسون:

وفي شعبان من هذه السنة تصالح طوسون وعبد الله بن سعود، وترك عبد الله الحرب وأذعن للطاعة، وجاء من الوهابية نحو عشرين شخصاً إلى طوسون، فأرسل إثنين منهم إلى أبيه بمصر، فلم يعجبه الصلح، ثم حضر طوسون إلى مصر في ذي القعدة، وفي سنة ١٢٣١ هـ توفي بالطاعون وعمره نحو عشرين سنة، وولد في غيابه مولود اسمه عباس، وهو الذي ولي مصر بعد عمه إبراهيم باشا.

وبقي أمر محمد علي باشا نافذاً بالحجاز، وعساكره في كل ناحية، ونائبه بمكة حسن باشا، ومستشاره بها الشيخ أحمد تركي والشريف شنبر، ولم ينقطع إرسال العساكر من مصر إلى الحجاز.

وفي أوائل سنة ١٢٣٢ أرسل ولده إبراهيم باشا إلى الحجاز لاكمال محاربة الوهابيين والاستيلاء على الدرعية، فتوجه بعساكر وأموال وذخائر كثيرة حتى دخل مكة، ثم خرج منها بالعساكر قاصداً الدرعية، وجعل يملك كل أرض وصلها بلا معارض حتى وصل إلى موضع يُسمى الموتان، ووقع بينه وبين الوهابية حرب شديدة، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وأسر منهم وغنم

٢٠- كل ما تقدم تجده في خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: ٣٠٠ - ٣٠١.

خيماً ومدفعين .

وفي سنة ١٢٣٣ أمدّه أبوه بعساكر أترّك ومغاربة، وملك بلداً من بلاد الوهابية، وقبض على أميرها ويسمّى عتيبة، ثمّ استولى على الشقراء، وكان بها عبد الله بن سعود، فخرج هارباً إلى الدرعية ليلاً، وبينها وبين الشقراء يومان، ثمّ استولى إبراهيم باشا على بلد كبير من بلادهم، ولم يبق بينه وبين الدرعية إلاّ ثمان عشرة ساعة، ثمّ زحف إلى الدرعية فملك جانباً منها، وحاصر الوهابية وأحاط بهم، ثمّ غاب عن معسكره لأمر اقتضى ذلك، فاغتنموا فرصة غيابه، وكبسوا العسكر، وقتلوا منه عدداً وافراً، وأحرقوا الجبخانه، ولمّا بلغ الخبر أباه أمدّه بالعساكر براً وبحراً مع قائد اسمه خليل باشا، ولم يزل يتابع ارسال الذخائر والأموال حتّى إنّها بلغت أجرة الذخيرة مرّة من ينبع إلى المدينة على جمال العرب خاصة خمسة وأربعين ألف ريال لكلّ بعير ستة ريالات، ومن المدينة إلى الدرعية مائة وأربعين ألف ريال، هذا في مرة واحدة ومثله مستمر .

ولم يزل إبراهيم باشا يغير على أطرافهم ويشدد الحصار عليهم، ولمّا وصله المدد ازدادت قوته، وحصل له معهم وقائع إلى أن استولى على الدرعية، وكسر الوهابية، وقبض على أميرهم عبد الله بن سعود وكثير من أقربائه وعشيرته، وأخرب الدرعية، فسكن من بقي من أهلها الرياض، ولمّا بلغ ذلك محمد علي باشا بمصر فرح فرحاً شديداً، وضرب لذلك نحو ألف مدفع، وبلغ عدد المدافع التي ضربت أيام الزينة ثمانين ألف مدفع^(٢١).

وفي أوّل سنة ١٢٣٤ هـ أرسل إبراهيم باشا عبد الله بن سعود وكثيراً ممن قبض عليهم إلى مصر، فدخلها وهو راكب على هجين، وأمامه العسكر، وخرج

٢١- خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: ٣٠١-٣٠٢.

الناس للتفرج، وضربوا عند دخوله المدافع، فلما أدخل على محمد علي باشا قابله بالبشاشة، وقام له وأجلسه إلى جانبه وقال له: ما هذه المطاولة؟

فقال: الحرب سجال.

قال: كيف رأيت إبراهيم باشا؟

فقال: ما قصر ونحن كذلك حتى كان ما كان قدره المولى.

قال: أنا إن شاء الله اشفع فيك عند السلطان، فقال: المقدر يكون، فخلع

عليه، وكان معه صندوق صغير مصفح، فسأله ما فيه؟

فقال: فيه ما أخذه أبي من الحجرة أصحابه معي إلى السلطان، فإذا فيه ثلاثة

مصاحف متقنة، وثلاثمائة حبة لؤلؤ كبار، وحبة زمرد كبيرة، وبها شريط ذهب.

فقال له: الذي أخذه أبوك من الحجرة أشياء كثيرة غير هذا.

فقال: هذا الذي وجدته، فإنه لم يستأصل كل ما في الحجرة لنفسه، بل

أخذ منه كبار العرب وأهل المدينة، وأغوات الحرم، وشريف مكة.

فقال: صحيح وجدنا عند الشريف غالب أشياء من ذلك، ثم أرسله في

تاسع عشر المحرم مع أتباعه مخفورا إلى إسلامبول فطافوا به البلدة وقتلوه عند

باب همايون، وقتلوا أتباعه في نواح متفرقة (٢٢).

وفيهما أرسل محمد علي ابن أخته خليل باشا بعساكر إلى الحجاز، فتوجه

إلى اليمن الحجاز واستولى عليه صلحا، ثم صار محافظا لمكة، وفيها في رجب

وصل من أسرى الوهابية نحو أربعمائة إلى مصر، أرسلهم إبراهيم باشا

بحريمهم وأولادهم ومعهم أولاد عبد الله بن سعود، وبعد أن حج إبراهيم باشا

توجه إلى مصر، فوصلها في صفر سنة ١٢٣٥ هـ وأحضر معه من رؤساء الوهابية فشهرتهم وقتلوهم واستقرّ ملك محمد علي باشا على مصر والحجاز ونجد^(١). وكان قد هرب كثير من كبار الوهابية من إبراهيم باشا حين ملك الدرعية، فلما ارتحل عنها رجعوا إليها منهم؛ عمر بن عبد العزيز، وتركى بن

١- وحارب السودان، واستولى على كثير من بلادها، وحصل اختلاف بينه وبين السلطان محمود محمود سنة ١٢٤٧، ثم أرسل ولده إبراهيم باشا إلى الشام فحصل قتال تملك بعده الشام، وزحف بعساكره على بلاد الدولة العثمانية من ناحية حلب، وجهازت إليه العساكر فكسرها، فاستغاثت بدول الغرب، فتهددوا باشهار الحرب إن لم يرجع، فرجع مرغماً، وتوفي السلطان محمود سنة ١٢٥٥ وتولى ابنه السلطان عبد المجيد واستقرت الحال على خروج محمد علي باشا من الشام والحجاز وإرجاعهما إلى الدولة العثمانية، وأن تكون مصر وتوابعها إمارة لمحمد علي وذريته باسم (خديوي)، أي نائب الملك، ويدفع كلّ سنة للدولة عشرين ألف ليرة عثمانية، وتقيم من قبلها معتمداً في مصر، وتعين هي القضاة، وينجدها الخديوي بالعساكر عند اللزوم، ولا يزيد عسكره في مصر عن عشرين ألفاً.

وفي سنة ١٢٦٤ تخلى محمد علي عن ملك مصر لولده إبراهيم باشا لمرض أصابه، فبقي أحد عشر شهراً، ثم توفي عن سبع وتسعين سنة، وكان من أهل (قولة) من بلاد الترك، وكان في أول مرة جندياً، ثم ترقى به الحال إلى ما سمعت، ولم يزل الملك في ذريته باسم خديوي إلى أن احتلت الدولة الإنكليزية مصر سنة ١٢٩٩، فبقي الحال على ذلك وليس للخديوي من الحكم إلا الاسم، فلما كانت الحرب العامة كان الخديوي في مصر عباس حلمي باشا، فصار في جانب الدولة العثمانية، فضبطت الإنكليز أملاكه وأقامت حسين كامل باشا من العائلة الخديوية سلطاناً على مصر وأعلنت انفصالها عن الدولة العثمانية، وضربت الدراهم والدنانير باسمه بعدما كانت تضرب باسم السلطان العثماني، ثم مات حسين كامل باشا، فعرضت سلطنة مصر على عمر طوسون باشا، فلم يقبل، فأقيم في السلطنة السلطان فؤاد بن إسماعيل باشا، ثم لقب بالملك فؤاد، وهو ملكها اليوم، وجعلت مصر مملكة مع بقاء الاحتلال الإنكليزي. راجع خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: ٣٠٣.

أخي عبد العزيز، ومشاري بن سعود، وكان قبض عليه إبراهيم باشا فهرب من الحمراء، فعمروا الدرعية، ورجع أكثر أهلها، وقدموا عليهم مشارياً المذكور، فجهز محمد علي عسكرياً له بإمرة حسين بك، فقبضوا على مشاري وأرسلوه إلى مصر، فمات في الطريق، وتحصن الباقون في قلعة الرياض المعروفة عند المتقدمين بحجر اليمامة، وبينها وبين الدرعية أربع ساعات، فحاصروهم حسين بك ثلاثاً، فطلبوا الأمان فأمنهم، وخرجوا إلا تركياً فهرب من القلعة ليلاً، فقيدهم وأرسلهم إلى مصر سنة ١٢٣٦ هـ.

ثم ملك تركي الرياض بعد سنين، وثار عليه رجل من آل سعود اسمه مشاري، فقتل تركياً، وكان لتركلي ولد اسمه فيصل كان عند قتل أبيه في الغزو، فلما بلغه جاء برجال الغزو وقتل مشاريّاً، واستقل بالملك، واستفحل أمره، وأشهر الدعوة التي كان عليها أسلافه، فجهز محمد علي العساكر لقتاله مع خورشيد باشا فتوجه من المدينة سنة ١٢٥٣ ومعه خالد بك بن سعود، وهو من أسرى سنة ١٢٣٣، كبر وتربى بمصر، فاستحسن محمد علي أن يؤمره في نجد، فلما وصل خورشيد إلى نجد حصل بينه وبين فيصل وقائع كثيرة إلى أن قبض على فيصل وأرسله إلى مصر سنة ١٢٥٤ هـ وأقام خالداً أميراً في الرياض ورجع، فاستمر خالد في الإمارة سنتين، ثم ظهر لأهل نجد عدم سلوكه الطريقة التي يرتضونها، فثار عليه عبد الله بن ثنيان مع النجديين وأرادوا الفتك به، فهرب إلى مكة، ثم مات وصار أمر نجد لابن ثنيان، فلما بلغ ذلك فيصلاً، وهو محبوس بمصر، قال لعبّاس باشا ابن طوسون باشا وكان يجتمع به: لو وصلت إلى نجد لانتزعتها من ابن ثنيان وصرت خادماً لافندينا، فاحتال عبّاس لإخراجه ليلاً من القلعة، فهرب بمن معه حتى وصلوا جبل شمر مقر إمارة ابن رشيد، فأكرمهم، وتوجهوا إلى القصيم، فانضاف إليهم كثير منهم، فقصدها ابن ثنيان

في الرياض، فقاتلوه وحصروه إلى أن قبضوا عليه وحبسوه، ثم قتل خنقاً في الحبس سنة ١٢٥٨ هـ واستقل فيصل بالملك^(١).

وفي سنة ١٢٦٢ هـ صدر الأمر من الدولة العثمانية بتجهيز العساكر لمحاربة فيصل بن تركي أمير الرياض، لأنه استفحل أمره ويخشى أن يقع منه ما وقع من أسلافه، وأن يكون ذلك برأي الشريف محمد بن عون أمير مكة المكرمة، فتوجه الشريف مع العساكر من المدينة حتى وصل جبل شمر، فسار معه أميره ابن رشيد بكثير من القبائل، ولما وصلوا القصيم أطاعهم أهله، فخاف فيصل خوفاً شديداً، فأرسل لأهل القصيم أن يتوسطوا في الصلح على تأدية عشرة آلاف ريال في كل سنة، فتم الصلح ورجع الشريف بالعساكر، واستمر فيصل يدفع ذلك حتى مات سنة ١٢٨٢، فقام بعده ابنه عبد الله، فنازعه أخوته وانتزعوا الأمر منه، وأقاموا أخاه سعوداً، ثم توفي فعادت الإمرة إليه إلى سنة ١٣٠٠، ولكن ملكه ضعف؛ لأن الدولة العثمانية انتزعت منه الحسا والقطيف وخرج عن طاعته أهل القصيم وأطاعوا الدولة العثمانية، وأدوا لها الخراج، وأميرهم منهم، وخرج عن طاعته ابن رشيد أمير جبل شمر، وقوي ملكه، وأطاع الدولة العثمانية وأدى لها الخراج، على قول صاحب خلاصة الكلام.

والذي نعلمه أنه لم يكن يؤدي لها خراجاً، وإنما يهدي لها الخيل الجياد وغيرها، وهي دائماً في جانبه دون ابن سعود، بل كان الشائع في ذلك العصر أن

١ - خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: ٣٠٣-٣١٣.

ابن سعود في جانب الإنجليز^(١).

١ - المصدر السابق: ٣١٣.

الفصل الرابع

فيما آل إليه أمر نجد وما فعله الوهابيون في الحجاز والعراق
والشام في هذا الزمان

بعدما تقلص حكم محمّد علي باشا عن بلاد نجد صار فيها إمارتان:
إحدهما لآل سعود، مقرها القصيم وعاصمتها الرياض، والأخرى لآل رشيد
وعاصمتها حائل في جبل شمر، وهو المعروف في القديم بجبل طيء، وقوت
الدولة العثمانية جانب إمارة آل رشيد، وصارت هي صاحبة الحول والطول في
نجد، وبخفارتها يسير الحاج العراقي والنجدي عن طريق حائل بخاوة (خفارة)
قدرها ثلاثون ريالاً فرانسية عن العربي وضعفها عن العجمي.

وليس للدولة العثمانية على نجد حكم سوى أنّها في جانب آل رشيد، ومع
ذلك فرعايا ابن رشيد كلّهم أو جلّهم على المذهب الوهابي، بل لعل آل رشيد
كانوا أيضاً على هذا المذهب، وفي عهد السلطان عبد الحميد أنشأت الدولة
العثمانية متصرفية في أطراف نجد غير متصرفية القطيف، فكان نصيبها الفشل،
وحاصر النجديون العساكر المرسلّة لحمايتها، فعادوا بأسوأ حال، والغيت تلك
المتصرفية، ثمّ إنّ ابن رشيد غلب آل سعود على أمرهم وأخرج الأمير عبد
الرحمن الفيصل آل سعود والد سلطان نجد الحالي وولده عبد العزيز
وأقرباءهم من الرياض عاصمة إمارتهم، فأقاموا عند ابن صباح صاحب
الكويت التي بأطراف العراق على بحر فارس.

ثمّ إنّ عبد العزيز استنفر زهاء ثلاثين رجلاً من قومه، فركب كلّ منهم

ذلولاً وخرجوا من الكويت إلى نجد، يستنفرون من مروا به من عشائرها في طريقهم، فحارب ابن رشيد واستعاد إمارة آبائه منه، ثمّ هجم في أيام الحرب الكبرى على عشائر شمّر في جبلهم، وأزال أمارتهم، وكانت قد ضعفت بعد موت الأمير محمّد بن رشيد باختلافهم، وقتل بعضهم بعضاً، وأخذ ابن سعود آخر أمير منهم وهو الأمير محمّد بن طلال وما بقي من آل رشيد أسراء وأبقاهم عنده.

وفي هذه السنة وهي سنة ١٣٤٦ حاول الأمير محمّد بن طلال قتل الأمير سعود بن عبد العزيز على ما يقال، فتسلق داره هو واتباعه وعبيده، فأخطأ مكانه، فأمر سعود بقتلهم، فقتلوا وهم عشرون شخصاً.

وما زال عبد العزيز سلطان نجد الحالي يتقوى شيئاً فشيئاً بذكائه ودهائه وعزمه وثباته ومساعدة التقادير له، وفي أواخر عهد الاتحاديين استولى على متصرفيه القطيف العثمانية على خليج فارس التي كانت لأجداده قبل، وقبض على منصور باشا أحد كبراء القطيف، لموالاته الدولة العثمانية، ثمّ قتله خفية، وسكتت الدولة العثمانية عنه، لانشغالها بالفتن والحروب، وصالحته كما صالحت إمام اليمن، وعقدت معه اتفاقاً اعترفت له فيه بإمارة نجد له ولذريته واستقلالها.

ولمّا نشبت الحرب العامة ودخلت فيها الدولة العثمانية سنة ١٣٣٢هـ ١٩١٤م بقي ابن سعود على الحياد، وتعاهد مع الإنكليز، واستمالت الدولة الإنكليزية إليها الشريف حسين بن علي أمير مكة، ووعدته ومنته استقلال بلاد العرب، وتعاهدت معه على ذلك، كما تعاهدت مع الفرنسيين في الوقت نفسه على اقتسام بلاد العرب، فساعدها الشريف حسين ورجال العرب مساعدة تذكّر، ولمّا وضعت الحرب العامة أوزارها سنة ١٣٣٧ هـ ١٩١٩م، ودخلت

جيوش الحلفاء سورية وبينها الجيوش العربية بقيادة الأمير فيصل أحد أنجال الملك حسين بن علي، ثمّ كان إلى الجيوش البريطانية والعربية احتلال المدن الأربع : دمشق، وحلب، وحمص، وحماة وتوابعها ومنها حوران، والتصرف الإداري فيها بيد الحكومة العربية، وإلى الجيوش الأفرنسية احتلال بيروت ولبنان وطرابلس وجبل عامل والأردن وتوابع ذلك، وإلى الجنود البريطانية احتلال فلسطين وشرق الأردن وبعض حوران، وأعلن استقلال الحجاز، ونودي بالشريف حسين ملكاً عليه باسم ملك العرب، ووافقت على ذلك الدول الكبرى، وخطب باسمه على المنابر حتّى في مدن سوريا وفلسطين، ثمّ بويع بالخلافة في الحجاز وأكثر تلك المدن.

وأعلن استقلال نجد تحت سلطنة الأمير عبد العزيز آل سعود باسم سلطان نجد، ووافقت على ذلك الدول العظمى وفي مقدمتها بريطانيا، ومنحته راتباً لا يقل عن أربعين ألف ليرة إنجليزية، وبلغ مجموع ما دفعته له من ابتداء سنة ١٩١٧ إلى سنة ١٩٢٣ ميلادية زهاء خمسمائة ألف وإثنين وأربعين ألف جنيه إنكليزي، وكان ذلك أولاً للمساعدة في الحرب ضد تركيا، وبعد الحرب ليمتنع عن القيام ضد الحجاز والكويت والعراق، ويساعد في صيانة طرق الحجاج في أرضه، وليسترشد برغائب بريطانيا في سياسته الخارجية، ويساعدها على ترويج سياستها الخاصة التي ترمي إلى إيجاد أحوال سليمة في بلاد العرب، وصرّح بذلك وزير المستعمرات مستر أمري، وتناقلته صحف العالم، ونقلناه بحروفه، وتعاهدت معه على أنّ إمارة نجد وملحقاتها له ولأولاده بشرط أن يكون الأمير اللاحق مختاراً من السابق، ولا يكون خصماً معادياً للحكومة البريطانية بمخالفته لشروط هذه المعاهدة، وأنّ تساعد وذريته على أي دولة أجنبية تعتدي على بلادهم إذا كان الاعتداء بدون علمها ولا إعطائها الوقت

الكافي لمراجعته في إزالة الخلاف المسبب للإعتداء، وأن لا يعقد إتفاقاً ولا معاهدة مع أي حكومة أو دولة أجنبية، ويعد بعدم مفاوضة أحد في ذلك، ويلتزم أعلام الحكومة البريطانية بكلّ تجاوز أو تعدٍ على بلاده، ويلتزم أن لا يبيع ولا يرهن ولا يؤجر ولا يختلئ عن شيء من أراضي بلاده، ولا يمنح امتيازاً لدولة أجنبية أو أحد رعاياها بدون رضا بريطانيا، وبأن يتبع في ذلك نصائحها، وبإبقاء الطرق الموصلة إلى البلاد المقدّسة مفتوحة، والمحافظة على الحجّاج الذين يسلكونها، وعدم الاعتداء على حكومات جيرانه في البحرين والكويت وقطر وعمان والمشائخ الذين تحت الحماية البريطانية .

ونقلنا ذلك من مجموع مقالات صاحب المنار (الوهابيون والحجاز) ^(١).

وأقيم الأمير عبد الله نجل الملك حسين أميراً على شرق الأردن، وأطلق على إمارته (إمارة الشرق العربي)، وجعلت تلك الإمارة له ولذريته.

وبقيت الجنود البريطانية في المدن الأربع سنة كاملة، ثم خرجت منها واستقلت بها الحكومة العربية تحت إمارة الأمير فيصل، ثم وقع الاختلاف بينها وبين الأفرنسيين بعد أن أقيم الأمير فيصل ملكاً على سوريا، وكانت وقعة (ميسلون) المشهورة بين العرب من الدمشقيين وغيرهم وبين الأفرنسيين التي انتهت بقتل جملة من العرب والأفرنسيين، وقتل يوسف بك العظمة وزير الحربية العربي بعدما أبدى بسالة تذكر، واحتلال الجنود الفرنسية المدن الأربع، وخروج الملك فيصل من سوريا سنة ١٣٣٨ هـ ١٩٢٠ م، ثم أقيم ملكاً على العراق برأي الإنجليز ومشورة العراقيين.

١- مجموع مقالات صاحب المنار: ١٠٨ - ١٤١ بتلخيص من المؤلف رحمه الله تعالى.

هجوم الوهابيين في الحجاز على عرب الفرع من قبيلة حرب:

في سنة ١٣٤٠ هـ غزا الوهابيون عرب الفرع من قبيلة حرب في عقر دارهم في الحجاز ونهبوا المواشي، فجاء النذير الى أهل الفرع فلحقوهم واستخلصوا منهم ما نهبوه وقتلوا فيهم وغنموا جميع ما معهم وولوا منهزمين، ومن جملة ما غنموه أعلام وبيارق، فدفعوا إلى الملك حسين، وانقطع مجيء أعراب نجد الى الفرع لاكتيال التمر، فحصل بذلك ضيق على أهل الفرع بسبب كساد تمورهم التي كان يشتريها النجديون.

قتل الوهابيين الحاج اليماني سنة (١٣٤١ هـ):

في هذه السنة التقى الوهابيون بالحاج اليماني وهو أعزل من السلاح وجميع آلات الدفاع، فسايروهم في الطريق وأعطوهم الأمان ثم غدروا بهم، فلما وصلوا إلى سفح جبل مشى الوهابيون في سفح الجبل واليمانيون تحتهم، فعطفوا على اليمانيين وأطلقوا عليهم الرصاص حتى قتلوهم عن بكرة أبيهم، وكانوا ألف إنسان ولم يسلم منهم غير رجلين هربا وأخبرا بالحال.

وأراد صاحب المنار على عادته في تلفيق الأعذار عن أفعال الوهابيين الاعتذار عن هذه الفعلة الشنعاء فقال في مجموعة مقالاته (الوهابيون والحجاز): إنَّ الملك حسيناً كان أرسل حملة على منطقة عسير بعد وفاة السيد محمد علي الإدريسي الذي كان قد تخلى عنها لسلطان نجد، وفي أثر تنكيل الوهابية بحملته هنالك وقعت حادثة حجاج اليمن الذين اعتقد الوهابيون أنَّهم نجدة منه، فأطلقوا عليهم الرصاص، وبعد أن عرف الأمر اعتذر السلطان

عبد العزيز للإمام يحيى عن هذا الخطأ واتفقا على حفظ المودة بينهما بتعويض مقبول معقول^(١). انتهى.

وهذا عذر فاسد بارد يراد به ستر فظائع الوهابيين في استحلالهم دماء المسلمين، وتوجيه بأسهم وسطوتهم وأفواه بنادقهم كلّها إلى قتال المسلمين خاصّة، وغزوهم كلّما سنحت لهم فرصة، وقتلهم بأنواع الغدر والبغي، تارة في سورية، وأخرى في الحجاز، وثالثة في العراق، ورابعة في اليمن.

وهيهات أن تستر هذه الأعداء الفاسدة فظائعهم، وقد عرفها العام والخاص، ولم تعد تخفى على أحد من الناس. يقول صاحب المنار: إنهم اعتقدوهم نجدة! وكيف ذلك وهم عزل من السلاح، ولا يؤذن لهم بحمله في مملكة أجنبية، ولو كانوا مسلحين ما استطاع الوهابية قتلهم، ولكانوا أقصر باعاً من ذلك، وهل تخفى حالة الحجاج من حالة الغزاة المحاربين فكيف يمكن لعادل أن يعتقد أو يظن أو يحتمل أنّهم نجدة؟!

وهل اعتقد الوهابيون في أعراب شرق الأردن أنّهم نجدة حينما غزوهم في عقر دارهم وأعملوا فيهم رصاص البنادق وحدود السيوف؟! وهل اعتقدوا في أهل العراق أنّهم نجدة فتابعوا عليهم الغزو والقتل والنهب؟!

وكيف ساغ للوهابيين، وهم وحدهم المسلمون الموحدون الأبرار الأتقياء الورعون الذين تورعوا عن الفتيا في التلغراف لعدم النصّ فيه أن يقتلوهم قبل سؤالهم وتعرف حالهم؟!

١ - مجموع مقالات الوهابيون والحجاز: ٦٠، ضمن المقالة الثالثة تحت عنوان: (الأسباب الخاصة بنجد لزحف أهلها إلى الحجاز).

ولكن حالهم كما قال الحسن البصري في أهل العراق يسألون عن دم البقرة ويستحلون دم الحسين!! وكما اقتضت المصلحة الانكليزية والدهاء البريطاني أن يكون الشريف حسين ملك الحجاز والأمير ابن سعود سلطان نجد اقتضت ثانياً أن يكون السلطان ابن سعود أيضاً ملكاً على الحجاز مكان الملك حسين وأولاده عقيب إمتناعه عن إمضاء المعاهدة البريطانية الحجازية.

هجوم الوهابيين على الحجاز وفضائعهم في الطائف سنة ١٣٤٣ - ١٩٢٤ هـ :

ففي أوائل هذه السنة هجم الوهابيون على الحجاز وحاصروا الطائف ومعهم الشريف خالد بن لؤي من أشرف مكة المعادين للملك حسين واحد عمال السلطان ابن سعود، ثم دخلوها عنوة وأعملوا في أهلها السيف، فقتلوا الرجال والنساء والأطفال حتى قتلوا منها ما يقرب من الفين بينهم العلماء والصلحاء، وأعملوا فيها النهب، وعملوا فيها من الفضائع ما تقشعر له الابدان وتتفطر القلوب، نظير ما عملوه في المرة الأولى كما سبق، وممن قتلوا من المعروفين الشيخ عبد الله الزواوي مفتي الشافعية بصورة فظيعة، وقتلوا جملة من بني شعبة سدنة الكعبة المكرمة كانوا مصطافين في الطائف، وجاءت الأخبار بارتكابهم فضائع لا يليق ذكرها، وأن السلطان ابن سعود لما سئل عنها لم ينكر وقوعها، لكنه اعتذر بما وقع من خالد بن الوليد يوم فتح مكة وقول النبي | : «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»^(١)، ثم أخذوا ما وراء الطائف من المعاقل الحصينة وأهمها الهدى وكرى.

١ - مسند أحمد ٢: ١٥١، صحيح البخاري ٤: ٦٧ باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام ، سنن النسائي ٨: ٢٣٧، السنن الكبرى للبيهقي ٩: ١١٥، المصنّف للصنعاني ٥: ٢٢٢، منتخب مسند بن عبد حميد : ٢٣٩، السنن الكبرى للنسائي ٥: ١٧٧، صحيح ابن حبان ١١: ٥٤، الإستيعاب ٢: ٤٢٨، تعليق التعليق ٣: ٤٨٢.

مهاجمة الوهابيين شرقي الأردن سنة ١٣٤٣ هـ :

وفيها هجم جماعة من الوهابيين فجأة على أعراب شرقي الأردن الآمنين فهجموا على أم العمد وجوارها فقتلوا ونهبوا وما لبثوا أن ارتدوا مدحورين مأسورين، لأنّ الطيارات والدبابات الانجليزية اشتركت في قتالهم مع عرب شرقي الأردن، وانجلت المعركة عن قتل ثلثمائة من الوهابيين وأسّر جماعة كثيرة منهم وقتل مائتين وخمسين من أهل شرقي الأردن، ثمّ أطلقت أسرى الوهابيين بأمر من الإنجليز وأوصلوا إلى مأمهم.

وفي هذه السنة وهي سنة ١٣٤٦ جاءت الأخبار بمهاجمة الوهابيين شرقي الأردن ووصولهم إلى عمان بنحو من ثلاثين ألفاً وأنهم أعلنوا الجهاد.

استيلاء الوهابيين على مكة المكرمة سنة ١٣٤٣ هـ :

وفيها دخل الوهابيون مكة بغير قتال بعدما خرج الملك حسين وولده منها إلى جدة فنهبوا داره واستولوا على جميع ما يؤول إليه، ثمّ أكره على التنازل عن الملك لولده الأمير علي وعلى الخروج من الحجاز إلى العقبة المصرية، وبعد فتح الوهابيين الطائف ومكة حضر السلطان عبد العزيز بن سعود إلى مكة وقامت الحرب بينهم وبين الملك علي المتحصن في جدة، وأنقطع الحج في تلك السنة، فاستحضر الملك علي إليه جماعة من السوريين من الضباط وغيرهم، واشترى الأسلحة والطيارات وصرف الأموال، ولكن على غير جدوى، وصادرت له الحكومة المصرية في الظاهر أسلحة واردة في البحر من طريق مصر عملاً بقانون الدول المتحايدة، وبقيت في يده أيضاً المدينة المنورة وباقي سواحل الحجاز، والحرب قائمة في الكلّ، وجدة والمدينة تحت الحصار، وأبوه وهو في العقبة يمدّه بالمال والرجال، ثمّ نفى أبوه من قبل

الإنجليز من العقبة إلى جزيرة قبرص على دارعة بريطانية مع حرمه وخدمه، ولم يحضر لوداعه أحد ممن كان يظهر له الصداقة غير ولده الأمير عبد الله، ولا يزال في جزيرة قبرص إلى الآن.

ولما طال الحصار على الملك علي اضطر إلى صلح الوهابية، فتم ذلك بتوسط قنصل الإنكليز في جدة، فخرج من جدة على دارعة أو باخرة بريطانية ودخلها الوهابية سنة ١٣٤٤ هـ واستولوا على مراكب أبيه البحرية، وذهب هو إلى العراق، فأقام عند أخيه الملك فيصل إلى اليوم، ودامت الحرب ما يزيد عن سنة كاملة، وأصبح ابن سعود سلطان نجد وملك الحجاز، واستولى الوهابيون على المدينة المنورة والحجاز كله، ودخلت جميع أعراب الحجاز تحت طاعتهم، ويقال إنهم نزعوا منها السلاح.

وكان السلطان ابن سعود يعلن وهو يحارب الملك علياً أنه ما جاء إلى الحجاز إلا لينقذه من ظلم الأشراف ولا يريد تملكه وإنما يجعل مصيره راجعاً إلى رأي عموم المسلمين، فكانت هذه الأقوال جارية على عادات المتغلبين في دهائهم وسياساتهم، لم يف منها بشيء.

نعم، عقد مؤتمراً بمكة دعا إليه الحكومات وأهل البلاد الإسلامية لإرسال مندوبين عنها، فحضره طائفة منهم وامتنع آخرون، وارجعت الدولة الإيرانية مندوبها بعدما عينته لمّا بلغها ما فعل بأئمة البقيع، واجتمع المؤتمر ولم يسفر عن نتيجة، وبث السلطان ابن سعود الأمن في الحجاز، وعاد الحج، وأرسلت الدولة المصرية عسكرها المعتاد مع أمير الحاج المصري، وفي منى استاء الوهابيون من فعل العسكر المصري بعض ما يراه الوهابيون محرماً، فرشقوا العسكر بالحجارة، فقابلهم العسكر برمي البنادق والمدفع، فقتلوا جماعة من الوهابيين، وقابلهم الوهابيون بالمثل، فجرح جماعة من العسكر بينهم بعض الضباط وقتل بعضهم، فأرسل السلطان ابن سعود ولده لإخماد الفتنة، فلم

يستطع، فحضر هو بنفسه وأخمدوها.

وفي سنة ١٣٤٥ منع الدولة المصرية من إرسال العسكر مع الحاج ومن إرسال المحمل المعتاد، كما أنه أبطل إرسال المحمل الشامي من بعد احتلال الشام وخروج الأتراك منها، وتفنن عماله هذه السنة في الاستفادة من أموال الحجاج، فدخل عليه بذلك أموال عظيمة تعد بالملايين من الليرات. ومما يذكر في هذه السنة أن الوقوف بعرفات كان واحداً، وذلك بتدبير من السلطان ابن سعود، تفادياً من تعدد الوقوف الذي كان يحصل في بعض السنين في عهد الدولة العثمانية، ولا يقبله الوهابية ويعدونه بدعة كتعدد أئمة الصلاة من المذاهب الأربعة.

التاريخ يعيد نفسه:

وقد جرى على الملك حسين من طرده من مقر ملكه إلى جدة ثم إلى العقبة ثم نفي الإنجليز له إلى جزيرة قبرص نظير ما جرى على سلفه الشريف غالب من خروجه من مكة ومحاصرته في جدة ونفيه إلى مصر، ثم إلى سلانيك كما مر، وجرى على الطائف وأهله في هذا العصر نظير ما جرى عليهم في ذلك العصر، وفعل الوهابيون في الحجاز في هذا العصر من هدمهم القباب والضرائح، ومحوهم آثار سادات الإسلام، ومنعهم الحرية المذهبية للمسلمين، واغاراتهم على بلاد المسلمين في العراق وسوريا، نظير ما فعلوه في ذلك العصر، فإن التاريخ كما يقولون يعيد نفسه.

هجوم الوهابيين على العراق:

وقد تكرر هجوم الوهابيين على أطراف العراق سنة ١٣٤٥ - ١٣٤٦ هـ بقيادة فيصل الدويش، يقتلون وينهبون، وكان نتيجة ذلك أن اشتكى العراقيون إلى الحكومة الإنجليزية وقالوا لها: إما تردعهم أو تترك العراقيين وإياهم

ليدفعوا عن أنفسهم، فخبرت معتمدها في البحرين ليخبر السلطان ابن سعود فكان جوابه أنه لا علم له بما جرى، وسيسأل فيصل الدويش عن ذلك، وما زال فيصل الدويش يشن الغارات على أعراب العراق المجاورة لنجد، فينهب مواشيهم ويقتل فيهم، وقد قرأنا اليوم في الجرائد خبر هجومه عليهم ونهبه وقتله لهم ومطاردة الطائرات البريطانية والجند العراقي لجنوده، وأن السلطان ابن سعود أرسل لحكومة العراق يحذرها منه ويقول: إنه خارج عن طاعته وغير قادر على رده^(١).

١- فاتنا أن نذكر في تاريخ الوهازية بعض أمور فنستدركها هنا نقلاً عن خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام وهي: أن محمّد بن سعود أمير الدرعية بعدما اتبع محمّد بن عبد الوهاب واتخذته وسيلة لاتساع الملك وانقياد الأعراب له، اتسع ملكه وملك أولاده من بعده حتى ملكوا جزيرة العرب، وكان إذا أراد أن يغزو بلدة كتب كتاباً بقدر الخنصر إلى الأعراب فيلبون دعوته ويتحملون على أنفسهم كلّ ما يحتاجون إليه، وإذا نهبوا شيئاً يدفعون له خمسه يأخذون أربعة أخماس، فإذا ملك قبيلة من العرب سلطها على من دنا منها وهكذا حتى ملك الشرق كلّهُ، ثمّ أقليم الحسا والبحرين وعمان ومسكت، وقرب ملكه من بغداد والبصرة، هذا من جهة الشمال.

ثمّ ملك من الجنوب الحرار بأسرها ثمّ الخيوف ذوات النخيل والحريّة والفرع وجهينة، وملك ما بين المدينة المنورة والشام حتى قرب ملكه من الشام وحلب، وملك العربان الذين بين الشام وبغداد وعربان المشرق والحجاز والقبائل التي حول الطائف ومكة، ثمّ ملك الطائف ودخل مكة بالصلح سنة ١٢٢٠ هـ بعد حرب الشريف غالب معه نحواً من خمس عشرة سنة وعجزه عنه، واستمر فيها إلى غاية سنة ١٢٢٧ هـ وحاربه محمّد علي باشا حتى وصل ابنه إبراهيم باشا إلى الدرعية سنة ١٢٣٣ هـ. راجع: خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: ٢٢٨ - ٣٠٠، ابتداء فتنة الوهازية سنة ١٢٠٥ هـ.

هدم الوهابيين القباب والمزارات بالحجاز عام (١٣٤٣ هـ) :

لَمَّا دخل الوهابيون إلى الطائف هدموا قبة ابن عَبَّاس كما فعلوا في المرة الأولى، وَلَمَّا دخلوا مكة المكرمة هدموا قباب عبد المطلب جد النبي | وأبي طالب عمّه وخديجة أم المؤمنين، وخربوا مولد النبي | ومولد فاطمة الزهراء عليها السلام ، وَلَمَّا دخلوا جدة هدموا قبة حواء وخربوا قبرها كما خربوا قبور من ذكر أيضاً، وهدموا جميع ما بمكة ونواحيها والطائف ونواحيها وجدة ونواحيها من القباب والمزارات والأمكنة التي يتبرك بها، وَلَمَّا حاصروا المدينة المنورة هدموا مسجد حمزة ومزاره، لأنّهما خارج المدينة، وشاع أنّهم ضربوا بالرصاص على قبة النبي |، ولكنهم أنكروا ذلك، وَلَمَّا بلغ ذلك مسامع الدولة الإيرانية اهتمت له غاية الاهتمام واجتمع العلماء وأكبروا ذلك، وجاءتنا إلى دمشق برقية من خراسان من أحد أعظم علماء المشهد المقدس بالاستعلام عن حقيقة الحال، ثُمَّ قررت الدولة الإيرانية بموافقة العلماء إرسال وفد رسمي إلى الحجاز لاستطلاع حقيقة الحال، فرفع الوفد إلى دولته تقريراً بما شاهده في الحجاز من أعمال الوهابيين، وَلَمَّا استولوا على المدينة المنورة خرج قاضي قضاتهم الشيخ عبد الله بن بلهيد من مكة إلى المدينة في شهر رمضان سنة ١٣٤٤ ووجه إلى أهل المدينة سؤالاً يسألهم فيه هدم القباب والمزارات، فسكت كثير منهم خوفاً وأجابه بعضهم بلزوم الهدم، وسيأتي ذكر السؤال والجواب إن شاء الله في فصل البناء على القبور.

وإنّما أراد بهذا السؤال تسكين النفوس لا الاستفتاء الحقيقي، فإنّ الوهابيين لا يتوقفون في وجوب هدم جميع القباب والأضرحة حتّى قبة النبي |، بل هو قاعدة مذهبهم وأساسه، وبعد صدور هذا السؤال والجواب هدموا جميع ما بالمدينة ونواحيها من القباب والأضرحة والمزارات، فهدموا قبة أئمة أهل البيت بالبقيع ومعهم العباس عمّ النبي | وجدرانها، وأزالوا الصندوق

والقفص الموضوعين على قبورهم، وصرفوا على ذلك ألف ريال مجيدي، ولم يتركوا غير أحجار موضوعة على تلك القبور كالعلامة، وهدموا قباب عبد الله وآمنة أبوي النبي | وأزواجه وعثمان بن عفان وإسماعيل بن جعفر الصادق ومالك إمام دار الهجرة وغير ذلك ممّا يطول باستيفائه الكلام.

وبالجملة هدموا جميع ما بالمدينة ونواحيها وينبع وغيرها من القباب والمزارات والأضرحة، وكانوا قبل ذلك هدموا قبة حمزة عمّ النبي | وشهداء أحد كما مر، حتّى أصبح مشهد حمزة والشهداء والجامع الذي بجانبه وتلك الأبنية كلّها أثراً بعد عين، ولا يرى الزائر لقبر حمزة اليوم إلّا قبراً في بركة على رأس تل من التراب، وترثوا خوفاً من عاقبة الأمر من هدم قبة النبي | وضريحة التي حالها عندهم كحال غيرها أو أشد، لشدة تعلق المسلمين بذلك وتعظيمهم له، وأدلتهم الآتية وفتواهم لا تستثني قبة نبي ولا غيره، وما أعلنه سلطانهم في الجرائد من أنّه يحترم قبة النبي | وضريحه يخالف معتقداتهم جزماً، ولا يراد منه إلّا تسكين الخواطر ومنع قيام العالم الإسلامي ضدّهم، ولو أمنوا ذلك ما توقفوا عن هدمها والحاقها بغيرها، بل كانوا بدأوا قبل غيرها، وفي بعض اعتذاراتهم أنّها قبة المسجد لا قبة النبي | . ومنعوا الزوار من الدنو إلى قبر النبي | وقبور أهل البيت عليه السلام ولمسها وتقبيلها، وأقاموا حرساً بأيديهم الخيزران يمنعون الناس من ذلك إلّا إذا قبضوا بعض الدراهم وكان لا يراهم أحد، فيشرون إلى الزائر بالدنو من ضريح النبي | ولمسه وتقبيله والرجوع بسرعة.

ولمّا شاع في الأقطار الإسلامية ما فعلوه في الحجاز بقبور أئمة المسلمين ومشاهدهم أكبر المسلمون ذلك وأعظموه، سيّما ما فعلوه بقبة أئمة البقيع، وجاءت برقيات الاحتجاج على ذلك من العراق وإيران وغيرها، وعطلت

الدروس والجامعات، وأقيمت شعائر الحزن في هذه البلدان احتجاجاً على هذا الأمر الفظيع، وكانت الدولة الإيرانية قررت إرسال معتمدها لحضور المؤتمر الاسلامي الذي عقده السلطان ابن سعود في مكة المكرمة ودعا إلى حضوره مندوبين من جميع الأقطار الإسلامية، فلما بلغها هدم قبة أئمة البقيع عدلت عن ذلك وقررت عدم الإشتراك في هذا المؤتمر كما مر، احتجاجاً على ما وقع، ثمّ إنّها منعت رعيّتها عن السفر إلى البلاد الحجازية لأداء فريضة الحج، لعدم ما تثق به في دفع الخطر عن رعيّتها من الوهابيين مع اعتقادهم المعروف في المسلمين، وعدم وجود حكومة منظمة في ذلك الحين، ولكنها في هذه السنة أعني سنة ١٣٤٦ أجازت لرعاياها السفر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج حيث أمنت عليهم الخطر، كما أنّ الحكومة المصرية منعت رعيّتها رسمياً من الحج في سنة ١٣٤٣ ثمّ أذاعت بلاغاً عام ١٣٤٥ ونشرته جريدة البرق في عددها الصادر ١٦ أيار سنة ١٩٢٧ وحاصله : إنّ السلطان ابن سعود يشترط تجريد الحامية المصرية التي تصحب المحمل من سلاحها، ومنع عرض المحمل وتسيير المواكب المعتادة وشروطاً أخرى تغاير التقاليد وتقيّد حرية الحجّاج، فلا يمكن الإطمئنان على سلامة ركب المحمل والحجّاج، فقرر مجلس الوزراء العدول عن إرسال المحمل وإعلان الحجّاج أنّهم بسفرهم قد يستهدفون لبعض المخاطر، فإذا شأوا السفر يكون تحت مسؤوليتهم .

ويناسب هنا أن نشير إلى بعض تمويهات صاحب المنار المتعلقة بالمقام قال في مجموع مقالاته الوهابيون والحجاز: >أرجف بعض الكتاب الذين يخدمون السياسة الإنجليزية من طريق الحجاز بأنّ سلطان نجد يريد بغزوه للملك حسين إكراهه على توقيع المعاهدة العربية البريطانية فمتى وقعها عاد عنه الجيش النجدي، وأنّ السلطان ابن سعود ينفذ للإنجليز في الحجاز ما لم

ينفذه الملك حسين، وأنهم هم الذين أغروه بالاستيلاء على الحجاز. واستشهد صاحب المنار على كذب ذلك باشتراط نوري باشا الشعلان أمير عرب الرولة على ابن السعود حين أخذ الجوف منه أن يمنع الإنجليز من مد سكة حديد بين فلسطين والعراق وببرقية مراسل التيمس الإسكندري القائلة: إن احتلال ابن سعود للحجاز وموانئه على البحر الأحمر مفعم بأخطار شديدة، ويطعن هذا الإنجليزي في مذهب الوهابية ووصفهم بالتوحش إلى آخر ما ذكره من العبارات المنمقة^(١).

وقد عرف العام والخاص حتى المخدرات في خدورها أن تمثيل الرواية بين الملك حسين وولده والسلطان ابن سعود كان منشىء فصولها هم الإنكليز للسبب المعلوم، ولو شأؤوا لم تطأ أقدام النجديين أرض الحجاز كما ردوهم عنها في أوائل الاحتلال في وقعة الخرمة المعروفة.

وإننا نسأل صاحب المنار هل أعطى نوري باشا الشعلان ابن سعود الجوف باختياره ورضاه وهل هو قادر على استرداده إن لم يف له بالشرط؟ وهل ابن سعود قادر على الوفاء بهذا الشرط حتى يتم استدلاله وقياسه المنطقي؟!

وإذا كان الإنجليز كارهين لاحتلال الوهابية الحجاز وموانئه على البحر الأحمر، ويرونه مفعماً بالأخطار كما يقول مراسل التيمس الإسكندري الإنجليزي خوفاً من أن تهاجم الأساطيل النجدية في البحر الأحمر مصر والهند وعدن وغيرها، فلماذا تمنع باسم الدولة المصرية الملك علياً من نقل الذخائر

١ - مجموع مقالات الوهابيون والحجاز " ١٢٠ - ٢٨، المقالة الثالثة (عود على بدء).

الحربية في البحر الأحمر عند محاربته مع السلطان ابن سعود عملاً بقانون الدول المتحيدة؟!

ولماذا تخرج الملك حسيناً من جدة إلى العقبة ثمّ منها إلى قبرص قهراً، كلّ ذلك كراهة بابن سعود وخوفاً من استيلائه على الحجاز وموانئ البحر الأحمر وحباً وشغفاً بالملك حسين؟!

وهل مراسل التيمس الإسكندري يعبر عن رأي وزارة المستعمرات الإنجليزية ورئاسة الوزارة ووزارة الخارجية؟

وإذا كان مراسل جريدة إنكليزية يقدر في مذهب الوهابية ويصفهم بالتوحش، ويتكلم بالحقائق، فهل يدل ذلك على أنّ حكومة بريطانيا العظمى تكره احتلال الوهابية للحجاز وتخاف منهم الخطر؟!

وقال صاحب المنار من جملة مقال له طويل نشره في جريدة كوكب الشرق المصرية في عددها الصادر في ١٧ شوال سنة ١٣٤٤ تحت عنوان:

السعي لابطال الحج وإثارة الفتن بين المسلمين^(١):

قال: (بلغنا أنّ دعاة التشيع في جاوة وسنغافورة الذين فرقوا كلمة

١- ولا بأس بذكر بعض ما كتبه أحد أفاضل الإيرانيين في مصر في جريدة المقطم في عددها الصادر في ٢٢ شوال سنة ١٣٤٤ جواباً لصاحب المنار على كلامه هذا بعنوان: (إثارة الفتن بين المسلمين من هم موقدو نارها)؟

قال: للأستاذ الشيخ محمد رشيد رضا منزلة بين علماء المسلمين وله إلى جانب تلك المنزلة ميول معروفة تدفع خصومه إلى مناهضته، وكنت أود أن أقف موقف الحيدة إزاء ذلك المقال الطويل العريض الذي طلع به علينا كوكب الشرق، لأنني واثق أنّه سيقابل كبقية أقوال الشيخ في غير الدين بالتحيز من قوم والاستنكار من أقوام لولا أنّني تسلمت كتباً من الإيرانيين يستغرب مرسلوها ذلك الموقف الذي وقفه أزاء حكومتهم في الوقت الذي يقول فيه أنّه رسول←

→ الوحدة بين الشعوب الإسلامية، وعلم التفاهم الخفاق بين المسلمين.

وليس الأستاذ بالمجهول فنعرفه ولا بالخامل فنصفه، ولكن ميله إلى الوهابية معروف مشهور بعدما كان من أمره ما كان مع الحسين بن علي وأولاده، فقد صافاهم بكلّ صنوف المصافاة أولاً ثم لا أدري لماذا أشاح بوجهه عنهم ثانياً؟!!!

وقد كان أبان مناصرتهم يحرق لهم بخور الثناء ويغريهم بالترك ومن إليهم من الذين كانوا يرجون الخير على أيديهم للمسلمين، وما لنا ولمواقفه السابقة فما هذا موقف الحساب وما نحن إلا من أحفظ الأصحاب للأصحاب.

أواجه حلو الثمار من شجره	أرخ على الناس ثوب سترهم
بستره ما استقر من ستره	واستبق من لم ترد قطيعته
فتش أبدى التفتيش عن عوره	فرب بادي الجمي لمنه إذا

قال الأستاذ: إنّ دعاة التشيع فيه جاوة ... الخ.

ونحن مع إجلالنا لأولئك السادة الغطارف الصيد أبناء الرسول وحفدة البتول الذين لولاهم ولولا أسلافهم لما عرف الإسلام في جاوة وما إليها من جزر الهند الشرقية وسلطنات الملايو، ندع لهم مقابلة الأستاذ بهما يدفع عنه وصفهم إياهم بأنهم علّة الفرقة وسبب الشقاق، فمن يقول إنّ السادة أمثال آل باعلوي وآل الجفري وآل العطاس وآل السقاف وآل الصافي وآل عقيل هم سبب الفرقة، مع العلم بتلك الذروة العالية التي أعلوا إليها كلمة الإسلام في تلك البلاد النائية؟! رمى الشيخ حكومة إيران بأنها ما لجأت إلى منع رعاياها عن أداء فريضة الحج إلاّ للتعصب المذهبي.

كأنما كانت الدول التي تحكم الحجاز قبل الوهابيين دول شيعية!

ثمّ غلا الأستاذ فوصف نزعتها بأنها (نزعة لا دينية)! وهنا يجب أن نحاسب فضيلته في هواده ورفق. تغلب الوهابيون على الحجاز فأوفدت حكومه إيران وفداً برئاسة وزيرها المفوض في مصر وقنصلها الجنرال بالشام إلى الحجاز، ليتبينوا وجه الحقيقة فيما أُذيع على العالم الإسلامي من فظائع الوهابيين في البلاد المقدسة، فرفع الوفد تقريره إلى حكومته، ولما تجدد نشر الإشاعات بأنّ الوهابيين هم هم وأنّ التطور الذي غشي العالم أجمع لم يصلح من فساد تطرفهم شيئاً، وأنهم هدموا القباب والمزارات، وضيقوا الحرية المذهبية، نشراً لمذهبيهم، أصدرت أمرها بوقف ←

→ السفر للحجاز، حماية لرعاياها من قصد بلاد لم يعرف تماماً كنه الحكم فيها، وعادت فأوفدت قنصلها في الشام للتحقق من مبلغ صدق تلك الإشاعات، فإذا بها صحيحة في جملتها، لم تمنع الحكومة الإيرانية رعاياها من السفر إلى الحجاز؛ لأنّ حكومته وهابية فحسب، لكن الإيرانيين ألفوا في الحج والزيارة شؤوناً يشاركونهم فيها جمهور المسلمين غير الوهابيين، كزيارة مشاهد أهل البيت والاستمداد من نفحاتهم، وزيارة مسجد منسوب للإمام علي عليه السلام، وقد قضى الوهابي على تلك الآثار جملة، وقضى رجاله - وكلّ فرد منهم حكومة قائمة - على الحرية المذهبية، فمن قرأ الفاتحة على مشهد من المشاهد جلد، ومن دخن سيجارة أو نرجيلة أهين وضرب وسجن، في الوقت الذي تحل فيه إدارة الجمارك الحجازية رسوماً على التن والتبناك، ومن استنجد بالرسول ﷺ بقول: يا رسول الله عد مشركاً، ومن أقسم بالنبي أو بآله عد خارجاً عن سياج الملة، وما حادثة السيد أحمد الشريف السنوسي، وهو علم من أعلام المسلمين المجاهدين، ببعيدة إذ كان وقوفه وقراءته الفاتحة على ضريح السيدة خديجة سبباً كافياً في نظر الوهابيين لآخراجه من الحجاز، كلّ هذا حاصل في الحجاز لا ينكره أحد ولا يستطيع الوهابي ولا دعاة ولا جنده أن يكذبوه.

لست فقيهاً حتّى أقف موقف الجدل من الشيخ الأستاذ الشيخ رشيد فهو الفقيه الذي لا يجارى، ولكنني مسلم أغار على ديني وأخشى الفتنة التي توقد اليوم نارها أن تكون الأكلة الهادمة التي لا تتدارك، وقد يتسع خرقها على الأستاذ وأمثاله.

يا مولانا إنّ إيران الدولة المسلمة التي يعيش رعاياها السنيون إلى جانب إخوانهم الشيعة عيشة الرغد والهناء، وهي التي قامت وسط الأعاصير الأجنبية، فنفضت عن كاهلها غبار النفوذ الأوربي جملة، لا يمكن أن تسمح لرعاياها بدخول بلاد الحرمين وهي خلو من حكومة منظمة.

إنّ في إيران من الأئمة المجتهدين من هم دعامة هذا الدين، ومن يعرفهم الأستاذ تمام المعرفة، يقصدهم السني كما يقصدهم أخوه الشيعي، لتعرف أحكام الله، إذ الكلّ أهل شرعة واحدة، وكتاب واحد، وأتباع نبي واحد، فهل يتظافر هؤلاء مع حكومتهم في أمر ينكره الشرع وتمنعه الحنيفية السمحاء؟!

كلا يا سيدي فالتعصب المذهبي لم يدفع إيران كما تقولون إلى منع رعاياها من أن يؤدوا فرضاً اشترط في أدائه أمان السبيل كما اشترطت الاستطاعة، ولكن التعصب المذهبي الوهابي هو الذي سبّب هذا كلّ.

→ فليعمل الأستاذ على أن يكون رسول وفاق لا داعية شقاق، ورجل دين سمح لا منار دنياً، فقد حاقت بلايا الأجانب بلاد المسلمين من كل جانب.

ولا يفوتني أن أؤكد لمولانا الأستاذ وهو عالم بالحقيقة أنه لو أراد الإنجليز أن يظل الوهابي داخل حدوده النجدية ومنعوا عنه مساعداتهم المعروفة لما تقدم شبراً واحداً في البلاد الحجازية، والله وحده كفيل بأن يرزق صديقنا الشيخ رشيد الرشد والهداية ويثبتته في سبيله دون التفات إلى ما سواه، فما سوى الله باطل) انتهى.

وعاد الشيخ رشيد رضا فكتب في كوكب الشرق في عددها الصادر في ٢٣ ذي القعدة سنة ١٣٤٤ مقالاً طويلاً رداً على هذا الأديب الفاضل جاء فيه بعنوان:

الفتنة بين المسلمين

(إيقاظ حزب الشريف حسين والشيعة لها)

(كتبت ذلك المقال لتنبية مسلمي مصر وحكومتها وتنبيه مثيري الفتن لما في منع الحج بمثل الدسائس والفتن التي أثارها بعض غلاة الشيعة باهواء التعصب المذهبي وكيد السياسة اللادينية من الخطر على أصل الإسلام).

يا الله يا لطيف يا كافي البلاء إذا لم يحج بعض المسلمين في بعض السنين خوفاً على أنفسهم من الوهابيين، ولم ينتفع الوهابي بأموالهم التي لا يمكن أن يعيش في الحجاز بدونها يتقوض الإسلام من أصله؟! فحيى الله هذه الغيرة على الإسلام والمسلمين التي خص الله بها صاحب المنار!!

وقال: (إنه سافر في أثر ذلك إلى الحجاز لنصيحة حكومته والتأليف بين المسلمين وجمع كلمتهم). وقال في الرد على الفاضل الإيراني: (إنه افتتح رده بكلمة ليست من الموضوع في ورد ولا صدر، وهي أنني كنت أحرق للحسين وأولاده بخور الثناء وأغريهم بالترك إلخ، وأنه لا يدري لماذا أعرضت عنهم؟!

تهم مبهمة باطلة، إننا لم نحرق بخور الثناء لحسين وأولاده في يوم من الأيام، ولا أغريناهم بالترك ولا يستطيع (مهدي بك رفيع مشكي) إثبات ذلك.

وأما حملتنا عليهم وانتصارنا للوهابية فإن كان لا يدري سببه كما أدعى فليراجع مجلدات المنار الأخيرة أو الخطاب العام الذي وجهناه إلى العالم الإسلامي أو مقالاتنا في الإهرام.

إلى أن قال: كل ما ذكره الكاتب الأديب من أمر الوهابية هو خوض في الأحكام الدينية ←

→ والأخبار التاريخية بغير علم، ولا نمن عليه بعدم محاسبته عليه، لأننا نكتب ما نرى فيه المصلحة والفائدة، ولا فائدة في بيان هذه المسائل له بأدلتها، لأنه لا يعني بقراءته، وإنما هو يدافع عن دولته ونحلته على حد قول الشاعر:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن تُرشد غزية أرشد

إلى أن قال: إن الشيعة في كل قطر وحكومتهم الإيرانية يعادون الدولة السعودية السنية السلفية الحاضرة، ويغنون إخراجها من الحجاز بالدسائس والفتن. إلى أن قال: إن من توفيق الله تعالى لابن سعود أن تتصدى شيعة العجم لعداوته بعد أن مكّن الله له في الحرمين.. إلخ.

وأجابه الفاضل الإيراني في جريدة المقطم في عددها الصادر في ٩ ذي الحجة سنة ١٣٤٤ وما قبله قائلاً: تحت عنوان: (من هم موقدو نارها)؟

(ما كان أغنانا عن الوقوف موقف الرد على صديقنا الأستاذ الشيخ محمود رشيد رضا الحسيني الحسني، وما كان أغناه عن الوقوف موقف سدل سجع الغرض المحض على الحق المحض ردنا في هودة ورقق على ما نشره في كوكب الشرق خاصاً بمنع حكومة إيران لرعاياها من إرتياد البلاد الحجازية، ولما تستقر حكومة منتظمة يطمئن لها المرتاد آمناً على ماله وعرضه ونفسه، وما كان لنا أن نعكر عليه صفو المهمة التي ندب نفسه إليها من مناصحة القائمين بالأمر في الحجاز ودلائتهم على طريق الخير، ولم نعدم بعد في الأستاذ دالاً على الخير، ومرشداً إلى الصواب، وقديماً كان الشيخ منذ شب عن الطوق فارس خطوب، ومقارع هيجاء، وناصح ملوك، ومنشئ ممالك، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

أما وقد أبى الأستاذ إلا أن يرمي خصومه بالإلحاد، وأبى إلا أن يجلسني على طريق القافية فلأعد إليه مفاخر مباحياً بآتي وإن اضطرت إلى الدفاع عن ديني ومذهبي وقومي وحكومي، فأبني لا أزال من أحفظ الأصحاب للأصحاب، ولا يزال لمولانا الأستاذ نصيبه من إكباري. قال الأستاذ: (افتتح الأديب رده بكلمة ليست من الموضوع في ورد ولا صدر وهي أنني كنت أحرق بخور الثناء لحسين وأولاده وأغريهم بالترك إلخ، ولا يستطيع مهدي رفيع مشكي إثبات ذلك).

يكتفي مهدي رفيع مشكي بأن يشهد العالم أجمع على ما كان يكتبه الشيخ رشيد في مجلة المنار مما يثبت جلياً أنه كان يحرق بخور الثناء لحسين وأولاده، وأنه كان يغريهم بالترك ومن ←

→ إليهم من الذين كانوا يرجون الخير على أيديهم للمسلمين قال الأستاذ الشيخ رشيد رضا الحسيني الحسني في صفحة ١٦٦ من المنار ج ٣ م ١٩: (إنّ الشريف يعلم كما يعلم العارفون وكلّ من له إمام بأحوال الدولة أنّ ملاحدة الإتحاديين قد سلبوا الخليفة نفوذه وجميع حقوقه حتّى ما هو مدون في قانونهم الأساس، فأصبح المسلمون بغير إمام شرعي لا حقيقي مستوف للشروط الشرعية، ولا متغلب يطاع، لضرورة جمع الكلمة، وإنّما المتصرف في الدولة جمعية الاتحاد والترقي الملحدة، فالسلطان محمّد رشاد لا نفوذ له الآن في المملكة ولا في قصره، ويسمّيه أهل الأستانة المهردار).

وقال في صفحة ١٦٧ ج ٣ م ١٩ من مجلة المنار: (إنّ ملاحدة الإتحاديين شرعوا في تنفيذ خطتهم بإذلال العرب التي هي مقدمة أو علة لإذلال الإسلام كما ثبت في الحديث الصحيح: «إذا ذلّت العرب ذلّ الإسلام» (مسند أبي يعلى الموصلي ٤: ٧٤، مجمع الزوائد ١٠: ٥٣، الجامع الصغير ١: ٩٥، كشف الخفاء ١: ٨٩، ميزان الاعتدال ٣: ٥٣٧، ذكر أخبار إصبهان ٢: ٣٤٠)، فبدأوا بالعراق والشام ثمّ مدوا برائتهم إلى الحجاز، فاضطرّ الشريف إلى دفع شرّهم عن العرب بمقاومتهم في الحجاز واستقلاله بالسلطة فيه من دونهم لمجموع ما تقدم من الأسباب). ثمّ قال في الصفحة ذاتها: (ومن وقف على الحقائق يرى أنّ الشريف قام بأعظم خدمة للإسلام والمسلمين).

وقال: (فهو باستقلاله هذا قد جعل الحجاز تحت سلطة إسلامية خالصة، ويوشك أن يكون هذا مقدمة لدولة عربية إسلامية كبيرة).

إنّ الأستاذ لم يحرق بخور الثناء للحسين في ثنايا هذه السطور ولم يغرب العرب بالترك أليس كذلك يا مولانا؟!

ولا أدري ما بال مولانا الأستاذ يستسهل رمي خصومه بالإلحاد وهو الحجّة الحافظ الذي بصر بقوله ﷺ: «ما قال مؤمن لمؤمن كافر إلّا بآء بها أحدهما»، (نصّ الحديث: «أيما أمرئ قال لأخيه يا كافر فقد بآء بها أحدهما») وهو في: مسند أحمد ٢: ٦، صحيح مسلم ١: ٥٦ باب بيان حال من قال لأخيه المسلم يا كافر، صحيح البخاري ٧: ٩٧ كتاب الأدب، سنن الترمذي ٤: ١٣٢، السنن الكبرى للبيهقي ١٠: ٢٠٨، مسند أبي داود الطيالسي: ٢٥٢، مسند الحميدي ٢: ٣٠، فحكومة إيران في زعمه ملحدة، ودعاة الإصلاح في الشرق ملاحدة، وكلّ من وقف في وجه أمانني الأستاذ وأغراضه ملحد، ومن قبل كان الإتحاديون ملاحدة، وسيصير غيرهم كذلك بعد الغصة وحرمان الفرصة ملاحدة، فمولانا الشيخ ←

→ رشيد محكمة شرعية جواله تحكم بالإلحاد على من تشاء وتفرغ حلة الدين على من تشاء .

ألا رب يوم لو رميتي رميتها ولكنّ عهدي بالنضال قديم

(الأمايلي للمرتضى ٢: ١٠٢، إعجاز القرآن: ٢٦٩، الأعلام للزركلي ٨: ١٠٣)

أما الخوض في الأحكام الدينية فالمسلمون لا يريدون إلا أن يتركوا أحراراً، وكان أولئك بلا شكّ خيراً من محمد بن عبد الوهاب وخلفائه إلى يومنا هذا.

وأما معاداة الشيعة في كلّ قطر وحكومتهم الإيرانية للدولة السعودية السنية وبغية إخراجها من الحجاز بالدسائس والفتن، فليس لنا أن ندحضه إلا بأن نعلم الأستاذ والناس جميعاً أنّ الشيعة في كلّ قطر لا يعرفون دولة سعودية سنية، وإنّما يعرفون أميراً لعرب نجد شاء القدر أن يتغلب على الحجاز بعنت الحسين بن علي ورفضه إمضاء المعاهدات الإنجليزية.

ونصّارح الأستاذ أنّه لو أمضى الحسين معاهدة فرساي أو معاهدة لورنس وترك التمسك بوثاقه الأولى التي خرج بعد الحصول عليها على الدولة العلية، وأغفل الاحتفاظ بفلسطين وسورية والعراق، وأعترف بعهد بلفور، لظلّ ملكاً عظيماً مهيب الجانب لا يجسر أن ينظر إليه ابن سعود وأشباهه من أمراء الجزيرة وشيوخها إلا نظرة الصغير للكبير. ولو أنّ الحسين أمضى في آخر لحظة معاهدة ناجي الأصيل لكف محرضوا ابن سعود وممدوه بالمال والسلاح عن تحريضهم وإمدادهم. أما وقد أراد الحسين أن يختم تاريخه بالمشادة مع الإنكليز فقد كان في موقفه هذا موجداً للدولة السعودية السنية السلفية الحاضرة بيد الإنكليز وبمال الإنكليز، وبمعاهدات الإنكليز، حيث دخلت في كنف الإنكليز والأستاذ حفظه الله لا ينكر ذلك.

وأما الدعاية بتصوير الوهابية بصورتهم الحقيقية ودفع مناهضتهم عن أهل القبلة المحمدية فهو فرض على كلّ مسلم، دفعاً لشروهم، وصدّاً لعنتهم، وإذلالاً لكبريائهم على إخوانهم المسلمين، وعوداً بهم إلى مضارب خيامهم، فإنّهم أظهروا قصوراً عن اللحاق ببناء المدنية الإسلامية الذين شادوا مجد الإسلام على ممر الأعوام، فكانوا عز الغابر ومفخرة الحاضر.

وأما أن يعد الأستاذ من توفيق الله لابن سعود أن يتصدى الشيعة لعداوته بعد أن مكّن الله له في الحرمين فذلك منطق معكوس، إذ لم نعلم أنّ فريقاً من المسلمين في أنحاء الأرض أيّاً كان مذهبه يناصر الوهابية والوهابيين، اللهم إلا مولانا الأستاذ رشيد وأشباهه من المتمثلين بقول الشاعر: ←

في هذه السنين، يسعون في صدّ الناس عن سبيل الله بالإمتناع عن أداء فريضة الحج).

ونقول : إنّ ذرية أهل البيت الطاهر، وأشرف السادات الأفاضل في جاوة وسنغافورة الذين دلّ شرف حسبهم على صحة نسبهم، وطهارة فرعهم على طهارة أصلهم، وطيب ثمرهم على طيب شجرهم، وزكاة نبتهم على زكاة غرسهم، يفخرون بأنهم من دعاة مذهب آبائهم وأجدادهم الطيبين الطاهرين، ومتبعو طريقتهم، وسالكو نهجهم:

إذا العلويّ تابع ناصياً لمذهبه فما هو من أبيه
فإنّ الكلب خير منه طبعاً لأنّ الكلب طبع أبيه فيه

وإذا كان نشر المسلم معتقده الذي يدين الله به والدعوة إليه يعدّ تفریقاً لكلمة المسلمين، ويستوجب به الدم، فما بال الوهابية وداعيتهم صاحب المنار قد فرقوا كلمة المسلمين حتّى استوجبوا اللوم والدم؟!

مع الفرق الظاهر بين من ينشر دعوته بالحجّة والبرهان وبالتي هي أحسن، ومن ينشرها بالسيف والسنان ورصاص البنادق والغزو، والقتل، والنهب والسلب، والشتم والتحقير!

→ يوماً يمان إذا لا قيت ذا يمين وإن لقيتُ معدياً فعدناني).

(هذا البيت لعمران بن حطان السدوسي الخارجي الذي مدح قاتل علي بن أبي طالب عليه السلام عبد الرحمن بن ملجم، قاله لمّا طلبه عبد الملك بن مروان، وهو في : شرح كافية ابن الحاجب ٢: ١٤، شرح نهج البلاغة ٥: ٩٣، كتاب المتوارين : ٦٩) (المؤلف).

وبعد أن ذكر أن دولة إيران وحكومة العراق منعتا رعاياهما من الحج، وأنها أذيعت أراجيف افترضها أعداء الإسلام لصدّ المصريين عن الحج، واغراء الحكومة بمنعه رسمياً بالصفة التي اقترفتها في العام الماضي، قال : (أما سعي دعاة الرفض والشقاق في جزائر الهند الشرقية الملاوية فلا قيمة له، ولا يخشى أن يكون له تأثير يذكر).

ونقول: ليس في الجزائر المذكورة دعاة لما يسمّيه الرفض والشقاق، بل دعاة إلى الحق والوفاق.

والعجب ممن نصب نفسه للإصلاح بزعمه كيف جعل همّه مصروفاً إلى ثلب أعراض الناس وشتمهم والوقعة فيهم، تنفيذاً لمآربه وغاياته؟! ولا يزال قلمه ينفث السموم في تفريق كلمة المسلمين، وايعار صدورهم، ولا يترك فرصة تمر به إلا ويصرفها في ذلك، حتّى وصلت سهام قذفه وقذعه إلى جزائر الهند الشرقية، انتقاماً من أهلها الذين امتنعوا عن الحج، خوفاً على دمائهم وأموالهم من قوم يعتقدون فيهم الشرك وحلية المال والدم، وقد امتنع عن الحج في تلك السنة جميع مسلمي جاوة من جميع المذاهب خوفاً على أنفسهم.

وهل كانت الحكومة المصرية بمنعها رعاياها رسمياً في العام الماضي كما أشار إليه من دعاة الرفض والشقاق في نظره، وهو وحده السالم من الشقاق والنفاق؟!

وما الذي يحمي الحاجّ من بنادق الوهابية إذا سبق إلى لسان أحدهم ما تعودوه من قول: يا محمّد، يا رسول الله، ومن قولهم عند زيارة النبي | : الشفاعة يا رسول الله، مما يراه الوهابية شركاً؟! أتحميمهم مقالات صاحب المنار المنشورة في كوكب الشرق وغيرها؟!

ومن هو الموقظ نار الفتنة أهم الوهابية بإصدارهم الفتاوى في حق أهل الأحساء والعراق وغيرهم، ونشر صاحب المنار لكتبهم التي يكفرون بها جميع المسلمين، ويستحلون دماءهم وأموالهم وأعراضهم، ونشره لرسالة تطهير الاعتقاد مستقلة بعدما نشرها في المنار، الجاعلة كفر المسلمين أصلياً لا إرتدادياً، ونشره في سيرة ابن عبد الوهاب أنه يرى البراءة مما عليه الرافضة، وأنهم سفهاء لثام؟!

ولكن الذين يسميهم بالرافضة، وهم شيعة علي وأبنائه الطاهرين، والذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وهو إمامهم الذي يدعون به يوم يدعو الله كل أناس بإمامهم، ويصفهم بالسفاهة واللؤم - وأي سفاهة ولؤم أعظم من قوله هذا - أولى بالفوز يوم القيامة منه برواية أئمتهم: «وشيعته هم الفائزون». أما وصف صاحب المنار سادة الملايو بالرفض لاتباعهم مذهب أجدادهم الذين يدعي الانتساب إليهم فهو من أقوى شواهد الصحة لدعواه!!

وإذا كان صاحب المنار يعتقد كما يعتقد الوهابية بكفر جميع المسلمين ما عداهم وشركهم فليقل إثارة الفتن بين المسلمين والمشركون، وإذا كان لا يعتقد ذلك فأَيّ فتنة أعظم من نشر تلك الكتب المتضمنة لذلك الاعتقاد؟ وهل في الكون شيء أعظم على المسلم من نسبة الكفر والشرك إليه، الموجب لاستحلال ماله ودمه وعرضه؟ وكيف جاز له نشر ما لا يعتقدده ممّا هو أعظم مثير للفتنة بين المسلمين؟!

قال: (وأما فعلة الدولة الإيرانية فسببها الظاهر التعصب المذهبي، ويظن أنّ ذلك خداع للشعب في الظاهر، والسبب الباطني نزعة لا دينية كنزعة أنقرة). ونقول: التعصب المذهبي لا يحمل الإنسان على ترك ركن من أركان الدين والمذهب، نعم سببه الباطن والظاهر التعصب المذهبي من الوهابيين

الحاكمين بشرك من عداهم، واستحلال ماله ودمه، ولذلك لمّا ظهر عدم الخوف ارتفع المنع من الدولة الإيرانية والمصرية والعراقية وبلاد جاوة وغيرها، وظهر أنّه لا تعصّب مذهبيّاً، ولا نزعة لا دينية، وأنّ نسبة ذلك محض إفتراء، ومن يبلغ به التعصّب المذهبي إلى هذه الدرجة لا يمكن أن يظن به نزعة لا دينية.

ثمّ قال: (إنّ الخلاف بين أهل السنة والشيعة الذين كان مثار أعظم الفتن والبدع في الإسلام، وسبب العداوة والشقاق بين المسلمين، كان قد ضعف بضعف أسبابه وهو تداعي الخلافة الإسلامية، والسلطنة العربية فزوالهما). ونقول: إن كان ضعف فليس ضعفه من تداعي الخلافة الإسلامية والسلطنة العربية، فقد ضعفتا في عهد الدولة البويهية الشيعية وغيرها، ولم يضعف الخلاف، وهل هو بمقالاته هذه يسعى في إضعافه أو في تقويته أو في الوصول إلى مآربة، غير مبال بضعف الخلاف وقوته؟

وبعد الخلاف الذي نحن بصدده ليس هو الخلاف بين أهل السنة والشيعة، بل بين الوهابية وسائر المسلمين من السنّين والشيعيين، فالجميع يكفرهم الوهابيون ويشركونهم، ويستحلّون دماءهم وأموالهم، ولا يفرقون بينهم، فما باله يخلط الوهابيين بأهل السنة ويقابلهم بالشيعة، وينفخ في نار الخلاف بين أهل السنة والشيعة، ليقضي مآربه على حساب الفريقين؟! وقال: (وإنّما كان الغلو في التشيع والشقاق بين المسلمين من زنادقة الفرس لأجل هذا لا حباً بأهل البيت عليه السلام).

ونقول: الغلو في التشيع كالغلو في النصب لم يكن مختصاً بقوم دون قوم، وأمّا الشقاق بين المسلمين فلا يجهل هو ولا غيره أسبابه الحقيقة التي ترجع إلى هضم الحقوق، وحب الاستثثار، وما أسسه علماء سوء ممّا ليس هذا مقام

بيانه، لا إلى زنادقة الفرس الذين خلقتهم مخيلته، ومن هم زنادقة الفرس الذين غلوا في التشيع، وأحدثوا الشقاق بين المسلمين، لبيّنهم لنا إن كان من الصادقين؟

وهل حرب الجمل وصفين والنهروان ووقعة كربلاء والحرّة وسائر الحروب الإسلامية كانت من زنادقة الفرس الذين غلوا في التشيع، أو من مؤمني العرب الذين اعتدلوا في التشيع أو غلوا في النصب، لبيّنهم لنا الأستاذ؟! وهل أعظم علماء الأمة الإسلامية من سنيين وشيعيين كانوا من غير الفرس؟ وما ربط هذه المباحث الفارغة بما نحن فيه؟

قال : (ثمّ تجدد بتجديد دولة قوية منسوبة إلى السنة، وهي الدولة العثمانية، ثمّ ضعف بضعفها، وجعل رجالها وغباوتهم الذي مكن للشيعية بثّ دعوة مذهبهم في العراق وغيره، ثمّ تجدد بظهور الدولة السعودية الأولى، ثمّ سكن بضعفها، ثمّ هبت عاصفته بظهور الدولة السعودية اليوم).

مقدمات رصينة متينة، ونتائج ظاهرة بينة؛ التعصب المذهبي دعا دولة إيران إلى منع رعيّتها من الحجّ، وسببه الخلاف بين أهل السنة والشيعية، وأهل السنة هم الوهابية، والخلاف ضعف بتداعي الخلافة، ثمّ قوي بظهور الدولة القوية السنيّة العثمانية، ثمّ ضعف بضعفها، ثمّ قوي بظهور الدولة السعودية الأولى، ثمّ ضعف بضعفها، ثمّ قوي قوة عظيمة وهبت عواصفه بظهور الدولة السعودية اليوم.

مقدمات واهية، ونتائج معكوسة، والوجدان أعظم شاهد على أنّ هذا الخلاف لم تؤثر فيه قوّة الدولة العثمانية ولا ضعفها قوّة ولا ضعفاً، ولا هو مرتكز على أساس ضعفها وقوتها، ولا ربط له بخلافتها وسلطنتها، وليس عند الشيعة في عصرها خليفة ينازعها وتنازعه الخلافة حتّى يسبب ذلك الخلاف،

وما هي قوّة الدولة السعودية الأولى في جنب الدولة العثمانية؟! وأما قوله بضعفها وجهل رجالها وغباوتهم الذي مكن للشيعة بثّ دعوة مذهبهم في العراق وغيره، فجملة معترضة لا محلّ لها من الصحة والفائدة، حملة عليها التعصب الذي نسبة إلى غيره، وعادة القدح والقذف، وكأنّه ينسب إلى الدولة العثمانية الجهل والغباوة بعدم ضغطها على الحرية المذهبية كما تفعله الوهابية.

ثمّ قال : (إنّ السلطان ابن سعود لم يتعرض هو ولا عماله لحرية رعيته من الشيعة في الأحساء، ولا لتفضيل أهل السنة عليهم في الحقوق). هذه دعواه ولكنه لم يأت عليها بشاهد ، فمن أين لنا بتصديقها؟ وما أهون الدعاوى بلا شاهد، ولكن فتوى علماء الوهابية الآتية في الخاتمة في حقّ أهل الأحساء وغيرهم تجعلنا نجزم بكذبهما ، والوهابيون كانوا أولاً ي قفلون الحسينيات في الأحساء قائلين: أمر الإمام بإقفالها ، فإذا قبضوا مئات الروبيات قالوا: جاء أمر الإمام بفتحها! أما الآن فلا شكّ أنّهم منعوا من إقامة عزاء الحسين عليه السلام بالكلية، فقد هدد حاكم المدينة المنورة هذه السنة شيعتها بحرق الدار التي يقيم فيها عزاء الحسين عليه السلام، وحبسوا السيد عبّاس مختار في جدة شهراً لإقامة العزاء في داره، وحبسوا القارئ خمسة عشر يوماً، وطرّدوا شيعة العراق جميعهم من نجد، فهذه هي الحرية التي لم يتعرضوا لها بزعم صاحب المنار؟!!

قال : (ورغب في موادة دولة الشيعة الإمامية، فأكرم وفادة وزيرها المفوض بمصر عندما زاره في مكة المكرمة قبل انتهاء مشكلة الحجاز، وكان هذا بعد أن أظهرت حكومة إيران ورعيته من السخط والاحتجاج عليه وعلى قومه أشدهما وأنكرهما، لاتهامها الباطل بتدمير قبة الحجرة النبوية، ومسجد

حمزة عم الرسول | .

إلى أن قال: ثم عمل عملاً آخر يؤذي الشيعة، وهو أنه أمر بأقفال مسجد سيدنا علي.

ثم قال: الظاهر أنه أحد المساجد التي بنيت في المصلّى، أي المكان الذي كان النبي | يصلي فيه العيدين والاستسقاء، وقد نهى أن يُبنى فيه شيء، ولكن المسلمين بنوا فيه عدة مساجد، ولم تكن هذه أول مخالفته له | في أمر الدين، ولا سيما بناء المساجد والقباب على القبور وغير ذلك).

ثم نقل عن مرآة الحرمين أنه أقيم في بعض المصلّى بناء مسجد سمّي مسجد المصلّى أو مسجد الغمامة، وفي شماليه مسجد يعرف بمسجد أبي بكر الصديق وفي شمالي المسجد الأخير مسجد يعرف بمسجد عليّ عمره أمير المدينة زين الدين ضيغم المنصوري سنة ٨٨١ هـ، قال: (فإن كان ملك الحجاز أمر بإقفال هذا المسجد وحده دون ما جاوره من المساجد التي بنيت حيث نهى النبي | عن البناء للشيعة أن يستأووا منه).

قال: (والغالب أنه أمر بإقفاله وإقفال غيره مما بني في مصلّى المسجد النبوي، لمخالفة أمره | في بنائها إلا أن يكون قد أعتد في هذا المسجد وحده القيام ببدع لا تقام في غيره، وسيعرف زوار المدينة المنورة من جميع الشعوب حقيقة ما وقع) انتهى المراد نقله.

فجعل موجب إستياء الإيرانيين واحتجاجهم تهمهم الباطلة للوهابيين بتدمير القبة النبوية ومسجد حمزة، كأنّ الوهابيين لم يدمروا مسجد حمزة، ولم يتركوا تلك البقعة قاعاً صفصفاً، وسكت عما هو السبب الأعظم في استياء الإيرانيين، بل وجميع المسلمين، مخادعة منه ومواربة عن الحقائق، وهو تدمير قبة أئمة أهل البيت الطاهر بالبقيع التي حوت قبور أربعة من أعظم أهل البيت،

وهم : الإمام علي بن الحسين زين العابدين وسيد الساجدين، وابنه الإمام الباقر، باقر العلوم، وابنه الإمام جعفر الصادق، وحوت قبر العباس عم النبي |، وقبر البضعة الزهراء على رواية، وحصر السبب في تهمة باطلة بزعمه وهي : هدم مسجد حمزة، وأمر لا يؤبه له وهو إقفال مسجد علي | بالمصلّي الذي لا نطن أنّ جل الإيرانيين سمعوا به أو بإقفاله إلى اليوم، أو خطر ذلك ببالهم، وهل هدم قبة أئمة البقيع أيضاً تهمة باطلة عند صاحب المنار كتهمة هدم مسجد حمزة العظيم، الذي أصبح قبر حمزة سيد الشهداء بعد هدمه في فلاة من الأرض على كومة من التراب؟!|

أما اعتذاره من هدم هذا المسجد أو إقفاله بنهي النبي | عن البناء في هذا المكان، وأنّ المسلمين بنوا فيه ولم يبالوا بمخالفته |، وأنّها ليست أوّل مخالفتهم له | في الدين ، فاعتذار واهٍ ، وسوء ظنّ بالمسلمين، نهى الله ورسوله عنه، وأمر بحسن الظن وحمل أفعالهم وأقوالهم على الصحة، ما لم يعلم الفساد، فإنّ هذا النهي على فرض ثبوته مصروف إلى بناء البيوت أو المساجد في ذلك المكان في زمانه |، حيث كان يصلي فيه العيدين، والبناء مانع عن ذلك، فلا يشمل البناء بعده | حيث لا تعتاد الصلاة في ذلك المكان؛ لأنّه لا علّة فيه توجب حرمانه من وجود المسجد فيه، وإن كان الأمر كذلك فعلى الوهابية أن يهدموه، لا أن يقفلوه فإنّه | نهى عن البناء لا عن الصلاة.

والحقيقة أنّهم هدموه كما قاله الفلسطيني في كلامه الآتي ، ولكن صاحب المنار أبدل الهدم بالإقفال، تهويناً للأمر، كما أعرض عن هدم قبة أئمة البقيع إلى إقفال هذا المسجد، والداعي له في المقامين واحد!! وأبرد من الكلّ قوله : (إلا أن يكون قد اعتيد في هذا المسجد بدع لا تقام

في غيره)، فما هي تلك البدع التي أوحاها الخيال إلى صاحب المنار، والقوم قد هدموه ولم يقفلوه؟ أفي إقامة البدع الموهومة في مسجد تجعل جزاءه الهدم عند الوهابية؟! إذاً فليهدموا مسجد النبي |؛ لأنها تقام فيه البدع من تعظيم قبر النبي |، والترحيم والتذكير وغيرها، وليهدموا المسجد الحرام أو مناراته، لأنها تقام فيه البدع من التذكير والترحيم!

والعجب من هؤلاء أنهم يتورعون من محرم موهوم ويقدمون على محرم معلوم، من هدم المساجد، ومنع ذكر اسم الله فيها: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا} - الى قوله - : لَّهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (١).

قوله : (وسيعرف زوار المدينة المنورة من جميع الشعوب حقيقة ما وقع). نعم قد عرفوا حقيقة ما وقع من هدم كل مزار لهم فيها، وعرفوا أنّ ما قاله هذا الرجل وما لا يزال يقوله محض تمويه وستر للحقائق الظاهرة، لغرض في نفسه، وإنّ هدم مسجد حمزة وغيره ليس بتهمة باطلة، وعرفوا أنّهم ممنوعون عن الدنو إلى قبر نبيهم والتبرك به، وأنّه لا يمنع الوهابيين عن هدم قبته | وقبره غير الخوف من هياج الرأي العام الإسلامي ضدهم أزيد ممّا هو حاصل. وبناءً على هذه العلة التي اخترعها صاحب المنار لاستياء الإيرانيين من الوهابيين وهي إقفال أو هدم مسجد علي، توهم طالب فلسطيني بالأزهر وهو محمّد بدر الدين الخطيب أنّ هذا المسجد الذي لم نسمع به قبل اليوم من فروض الحجّ عند الشيعة، فعقد في جريدة المقطم بتاريخ ٩ ذي القعدة سنة

١٣٤٤ هـ مقالاً للمحاكمة بين الوهابيين وخصومهم قائلاً: (وهنا اتجرد عن التحزب لفريق دون آخر)، ورغماً عن هذا التجرد الذي شرطه على نفسه فإنّ تمويهات المموهين، وأكاذيب الناقلين التي لم يطلع على غيرها أوقعته في الخطأ في آخر كلامه، لا عن تعمّد منه، قال في محاكمة:

(لا ينكر إلا كلّ مكابر أنّ الوهابيين بلغوا من الغلو حد الإفراط حتّى كادت تنعكس الآية التي يعلنونها على العالم الإسلامي من محاولة الإصلاح، وإعادة الإسلام إلى سيرته الأولى، وبلغ بهم الإفراط إلى اعتقاد أنّهم وحدهم ذوو الإيمان الصحيح، وغيرهم لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه، وأنّ ما سوى مذهبهم ممّا يدين به المسلمون وثنية وكفر، يهدمون القبور؛ لأنّها أوثان سواء قبر النبي والولي وغيره، ولولا حوائل تعترض لهم في هدم قبة النبي |، بل في هدم قبره الشريف لفعلوا.

لم يحترموا شعائر غير مذهبهم، فهدموا مسجد سيدنا علي المقدّس عند الشيعة: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} ^(١)، وقال | : «الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها» .

ثمّ قال: (والشيعة مغالون في تشيعهم وأعمالهم التعبدية، إذ يعتقدون أنّ مسجد سيدنا علي من فروض الحجّ وشروطه، مع أنّه لم يرد بذلك نصّ شرعي، فلا يسعني إلا أن أرميهم بالمغالاة، لا كما ينظر إليهم الوهابيون، بل باعتدال، ولا أخال أنّ ما يرمون به من قولهم: إنّ جبرائيل أخطأ في تبليغ الرسالة للنبي |، إذ هي لعلي، إلاّ كذباً وافتراءً، اختلقته الأوهام والأغراض . ولا نغفر لمسلمي الشيعة مخالفتهم لسائر المسلمين في بعض مناسك الحجّ

كالوقوف بعرفة وغير ذلك ، فقد أجمع علماء الإسلام على مناسك الحج وصفتها وكيفيتها وأوقاتها مما يؤديه أهل السنة اليوم غير منقوص ولا مبتور) انتهى المراد نقله.

ونقول : أحكم أيها الطالب على ما نسب إلى الشيعة من اعتقادهم أن مسجد علي الذي يجهل جل الشيعة إن لم يكن كلهم أنه في عالم الوجود من فروض الحج وشروطه، بأنه كذب وافتراء اختلقته الأوهام والأغراض كما حكمت على نسبة خطأ جبرائيل في تبليغ الرسالة، ولا تخف ولا ترتب. وأعلم أن أكثر الشيعة لم يسمعوا بهذا المسجد إلى اليوم فضلاً عن أن يكون من فروض الحج وشروطه عندهم، وقد تشرفنا بحج بيت الله الحرام مرتين، وبزيارة المدينة المنورة مرتين، ولم نأت هذا المسجد، ولم نسمع به، ولا ذكره أمامنا ذاكر.

وهذا الطالب يقول : إنه من فروض الحج وشروطه عند الشيعة ، فهل علم من معتقدات الشيعة ما لم يعلموه هم أنفسهم؟! ولم ندر من أين سرى إليه هذا الوهم، ولعله من مقالة صاحب المنار التي مرّ نقلها عن كوكب الشرق، حيث اخترع صاحب المنار علة لاستياء الشيعة هي هدم مسجد علي أو إقفاله، فظن هذا الطالب أنه من فروض الحج وشروطه عندهم^(١).

وهذه كتب مناسك الحج للشيعة وكتبهم الفقهية مطبوع منها الملايين، فليرجع إليها إن شاء ولينظر هل يجد فيها لهذه الفرية أثراً، بل يعلم يقيناً أنها كالفرية الأخرى، ولها أمثالها فريات كثيرة.

ومن هذا البحر وعلى هذه القافية قوله : (إنه لا يغتفر للشيعة مخالفتهم

١- وفي كلام الفاضل الإيراني المتقدم في الحاشية السابقة ما يشبه أن يكون تسرب إلى ذهنه من كلام صاحب المنار شيء من هذا الوهم حيث قال: إن الإيرانيين ألفوا في الحج والزيارة، شؤوناً يعتقدون أنها من مستلزمات أداء الركن، كزيارة مشاهد أهل البيت^ع، ومسجد منسوب للامام علي^{عليه السلام}. (المؤلف).

لسائر المسلمين في بعض مناسك الحج، كالوقوف بعرفة وغير ذلك)، فترى أنّ جواد فكره لم ينته به إلى آخر ساحة الإنصاف الذي شرطه على نفسه أولاً بل كبا في أثنائها، وأوقعه في وهم علق بذهنه من أقاويل المفتريين على الشيعة بأنهم يخالفون سائر المسلمين في بعض مناسك الحج كالوقوف بعرفة. وما ندري ما يريد بالوقوف بعرفة الذي زعم مخالفتهم فيه فإنّ عرفة مكان مخصوص معلوم محدود عند جميع المسلمين، سنيهم وشيعيهم، يقفون فيه يوم التاسع من ذي الحجة، ولعله يريد أنّ الشيعة قد يقفون في ثاني اليوم الذي يقف فيه غيرهم، وهذا لا لوم فيه عليهم إذا لم يروا الهلال، ولم يثبت عندهم كون يوم وقوف غيرهم يوم عرفة، ولم يحصل حكم حاكمهم الشرعي بذلك، سيما في أيام قضاة الترك الذين علمت حالهم في التساهل في أمر إثبات الهلال، وكانوا يبذلون الجهود في تدبير الشهود لجعل وقوف عرفة يوم الجمعة، لينالوا الخلعة السلطانية!!

ولم لا يكون اللوم على غيرهم في ذلك، أو لا لوم على الفريقين في عملهم ما أوجبه مذهبهم، لا عناداً ولا خلافاً للحقّ، وفي كثير من السنين كان يتحد يوم الوقوف للكلّ، ونحن قد حججنا مرتين كان الوقوف فيهما واحداً. أما قوله: (وغير ذلك) فلسنا نعلم ما هو غير ذلك حتّى نجيبه عليه، ولا يعلم الغيب إلاّ الله.

قوله: (فقد أجمع علماء الإسلام على مناسك الحج) الخ.

ونقول: إنّ الذي أجمع عليه علماء الإسلام من مناسك الحجّ لا يخالف فيه الشيعة، ولا يجوز عندهم مخالفته، لا في أوقاته ولا في صفاته، ولكنه خفي عليه أنّ الخلاف بين أهل السنة أنفسهم في بعض مناسك الحجّ أشدّ منه ما بين الشيعة وأهل السنة، فالمالكي يكشف كتفه في الإحرام ويتوشح بالرداء،

ورأينا جماعة من المغاربة خارجين إلى عرفات للحجّ وهم لا بسون للمخيط والعمائم على رؤوسهم، وبعض أهل السنة يهرول في الطواف، وبعض أهل المذاهب الأربعة لا يجيز التظليل للرجال في الإحرام حال السير، وبعضهم يجيزه، راجع ميزان الشعراني، إلى غير ذلك ممّا لا تسعه حال هذه العجالة.

ونحن نرغب إلى هذا الطالب وغيره من إخواننا أهل السنة أن لا يتسرعوا في أحكامهم على إخوانهم الشيعة، استناداً إلى أقوال الجاهلين ومفتريات المعاندين، بل يترثوا ويتثبتوا، فطالما نسبت إلى الشيعة أمور هم بريئون منها، صوّرها الجهل واختلقها الأوهام وأوجدتها العداوة والعصبية.

* * *

المقدمة الثانية في أمور مهمة يتوقف عليها المقصود من رد شبهات الوهابية

الأول: أحكام الشرع الإسلامي منها ما هو ضروري كوجوب الصلاة والصوم وحرمة الزنا والكذب، وهذا لا يحتاج إلى إقامة الدليل عليه، ولا يجوز الإجتihad بخلافه، بل يخرج منكروه عن الإسلام.

ومنها ما هو نظري ككون أفعال العباد مخلوقة لله والكسب للعبد، وكون صفات الله عين ذاته، وثبوت الكلام النفسي، ورؤية الله تعالى، وأن الإمامة بالنص أو باختيار الأمة وغير ذلك، هذا في الأصول.

وأما في الفروع فكحكم الشك في الصلاة، والبناء على القبور، وحكم ما لا نص فيه كالتدخين وغير ذلك. وهذا يجب أخذه من أدلة الشرع الكتاب والسنة والإجماع والعقل للقادر على ذلك، وغيره يقلد القادر.

ولا يجوز الحكم بضلالة أحد أو فسقه فضلاً عن شركه وكفره لمخالفته في أمر اجتهادي، أي ليس من ضروريات الدين، ولا يجوز معارضته وممانعته وإجباره على اتباع قول غيره مما يخالف اجتهاده، بل هو معذور في اجتهاده ما لم يكن مقصراً. وللمخطيء أجرٌ واحد، وللمصيب أجران، روى البخاري في صحيحه عنه عليه السلام: >إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا

حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر^(١).

وقال ابن تيمية في كتابه الذي سمّاه منهاج السنة على ما حكى: (قول السلف وأئمة الفتوى كأبي حنيفة والشافعي والثوري وداود بن علي وغيرهم لا يؤثمون مجتهداً مخطئاً، لا في المسائل الأصولية ولا في الفرعية)^(٢) انتهى. فمن اجتهد في إباحة شيء كالتدخين أو استحبابه كالتبرك بقبة النبي | وتقبيله وشد الرحال إلى زيارته، أو أنه ليس ببدعة كالترحم والتذكير؛ ليس لمن اجتهد على خلافه معارضته وممانعته ولا تفسيقه وتضليله، فضلاً عن تكفيره وتشريكه؛ لأن ذلك ليس من ضروريات الدين التي لا يجوز الاجتهاد فيها.

الثاني: الكتاب كلام الله تعالى المنزل على نبيه |، وهو قطعي السند، لاتفاق المسلمين كافة على أن ما بين الدفتين منزل منه تعالى. أما دلالاته ففيه المحكم والمتشابه أو المجمل والمبين، فالمحكم ما يكون ظاهر الدلالة، ويسمى المبين، والمتشابه ما يكون غير ظاهر الدلالة، بل المعاني فيه على السواء في الاحتمال، ويسمى المجمل.

١- صحيح البخاري ٨: ١٥٧، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، صحيح مسلم ٥: ١٣١ كتاب الأفضية، باب بيان أجر الحاكم، سنن ابن ماجة ٢: ٧٧٦، سنن أبي داود ٢: ١٥٨، سنن الترمذي ٤: ٣٩٣، سنن النسائي ٨: ٢٢٤، السنن الكبرى للبيهقي ١٠: ١١٨، السنن الكبرى للنسائي ٣: ٤٦١، مسند أبي يعلى ١٠: ٣٠٩، صحيح ابن حبان ١١: ٤٤٦، المعجم الأوسط ٣: ٢٩٢، سنن الدارقطني ٤: ١٣٠، جامع بيان العلم وفضله ٢: ٧٢، رياض الصالحين للنووي ٧١٧، نصب الراية ٥: ٣٩، الجامع الصغير ١: ٨٨، نظم المتناثر من الحديث المتواتر: ١٦٢، إرواء الغليل ٨: ٢٢٣.

٢- منهاج السنة النبوية ٥: ٨٧.

ثمّ المبين قسمان: النصّ: وهو ما لا يحتمل الخلاف، والظاهر: وهو الراجح مع احتمال الخلاف. ويسمّى المرجوح المقابل للظاهر المؤول. وفي الكتاب أيضاً العام، والخاص، والمطلق، والمقيد، والناسخ، والمنسوخ.

ولا يجوز الاحتجاج من الكتاب بغير النصّ والظاهر إلّا ما بيّنته السّنة بعد ثبوتها أو الإجماع، كما لا يجوز العمل بالعام أو المطلق إلّا بعد الفحص عن الخاصّ أو المقيد، ولا بالدليل إلّا بعد الفحص عن معارضه أو ناسخه؛ لأنّ الدليل لا يكون دليلاً بدون ذلك.

وبسبب وجود هذه الأقسام الكثيرة في القرآن وغيرها أمكن لكلّ ذي قول حقّاً كان أو باطلاً أن يستند في صحة قوله إلى ظاهر آية من القرآن، فربما استند إلى الحقيقة وغفل عن قرينة المجاز، أو المطلق أو العام وغفل عن المقيد أو الخاص إلى غير ذلك^(١).

وقد جمع أحمد بن محمّد بن المظفر الرازي^(٢) من أعيان القرن السابع

١- ولهذا لما أرسل الإمام عليه السلام عبد الله بن عباس إلى الخوارج أوصاه بقوله: <لا تخصمهم بالقرآن، فإنّ القرآن حمّال ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن حاججهم بالسّنة، فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً> شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨: ٧١، الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ١: ٤١٠، النهاية في غريب الحديث ١: ٤٤٤، لسان العرب ١١: ١٧٥.

وفي مصنف الصنعاني ١١: ٢٥٥ وغيره عن أبي الدرداء قال: <لا تفقه كلّ الفقه حتّى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة..>

٢- أحمد بن محمّد بن أحمد المظفر بن المختار: ترجمه الزركلي في الأعلام ١: ٢١٧ فقال: (أبو العباس بدر الدين الرازي الحنفي: عالم بالتفسير والحديث، عارف بالأدب، له نظم حسن. دخل دمشق وكان يفسّر القرآن على المنبر بجامعها. سمع بها الحديث من أبي اليمن الكندي وغيره، ثمّ ذهب إلى بلاد الروم وتولى بها القضاء والتدريس. له كتب منها: ←

ومن علماء أهل السنة كتاباً سماه (حجج القرآن) ذكر فيه من الآيات ما يمكن أن تحتج به كل فرقة لمذهبها وأقوالها المتباينة المتناقضة.

ونحن نذكر مثلاً من ذلك من جملة ما ذكره وما لم يذكره. فالوعيدية المنكرون للعفو الموجبون المؤاخذة على المعاصي يمكنهم الاستدلال بآية: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} (١)، والوعيدية القائلون برفع المؤاخذة بالكلية، وأن الله لا يعاقب على المعصية لهم الاستناد إلى آية: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} (٢)، والمثبتون للرؤية في الآخرة استندوا إلى آية: {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} (٣)، والناقمون إلى قوله: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} (٤) وإلى قوله {لَنْ تَرَانِي} (٥)، والجبرية إلى آيات كثيرة مثل: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ} (٦)، {قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} (٧)، {يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ

→ (مباحث التفسير) في دار الكتب ، وهو مناقشات لتفسير أبي إسحاق الثعلبي . وفي نهايته إجازة منه لتلميذه جمشيد بن يهوذا في ربيع الأول سنة ٦٣٠ هـ ، و (ذخيرة الملوك في عالم السلوك) في المخطوطات المصورة و (المقامات) بتونس تعرف بمقامات الحنفي ، إثنتا عشر مقاماً... و (الناسخ والمنسوخ في الحديث) ، و (لطائف القرآن) و (حجج القرآن) رسالة في التفسير .

١- سورة الزلزلة : ٧ - ٨ .

٢- سورة الزمر : ٥٣ .

٣- سورة القيامة : ٢٢ - ٢٣ .

٤- سورة الأنعام : ١٢٨ .

٥- سورة الأعراف : ١٤٣ .

٦- سورة الأنعام : ١٠١ .

٧- سورة النساء : ٧٨ .

لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ { (١)، { يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } { (٢)، { إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } { (٣)، { فَأَعْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ } { (٤).

والعدلية إلى مثلها كقوله تعالى: { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } { (٥)، { وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ } { (٦) أو { لِلْعَالَمِينَ } { (٧)، { سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا } { (٨)، { فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا } { (٩)، { قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا } { (١٠).

والقائلون بالتجسيم على الحقيقة بالجهة يستندون إلى الآيات التي فيها اليد والعين والوجه، والنافون إلى آية: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } { (١١).

والمجوزون المعصية على الأنبياء إلى آيات: { وَعَصَى آدَمُ } { (١٢)، { وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَلَمَّا تَغَفَّرَ رَبُّهُ } { (١٣) الآية، { فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ

١- سورة آل عمران: ١٧٦.

٢- سورة النحل: ٩٣.

٣- سورة المائدة: ٦٧.

٤- سورة المائدة: ١٤.

٥- سورة البقرة: ١٨٥.

٦- سورة غافر: ٣١.

٧- سورة آل عمران: ١٠٨.

٨- سورة الأنعام: ١٤٨.

٩- سورة المزمل: ١٩.

١٠- سورة المائدة: ٧٧.

١١- سورة الشورى: ١١.

١٢- سورة طه: ١٢١.

١٣- سورة ص: ٢٤.

رَبِّهِ {^(١)، {سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} {^(٢)، {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ
ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} {^(٣)، والنافون إلى آية: { لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ } {^(٤).

والقائلون بخطاب الكفار بالفروع إلى عموم: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا
رَبَّكُمْ } {^(٥)، والنافون بخطاب: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا } {^(٦).

والوهابية استدلو على عدم جواز دعاء غير الله والتشفع بغيره والاستغاثة به
بآية: {فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} {^(٧)، {لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا} {^(٨)، ...، وغيرهم بآية:
{فَلَسْتَعَاثُهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ} {^(٩)، {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ} {^(١٠)
الآية، {يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا} {^(١١)، {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} {^(١٢)، {مَنْ ذَا
الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} {^(١٣)، {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ

١- سورة يوسف: ٤٢

٢- سورة الأنبياء: ٨٧.

٣- سورة الفتح: ٢.

٤- سورة البقرة: ١٢٤

٥- سورة البقرة: ٢١

٦- سورة البقرة: ١٠٤.

٧- سورة الجن: ١٨.

٨- سورة الزمر: ٤٤.

٩- سورة القصص: ١٥.

١٠- سورة النساء: ٦٤.

١١- سورة يوسف: ٩٧.

١٢- سورة الأنبياء: ٢٨.

١٣- سورة البقرة: ٢٥٥.

المُؤْمِنِينَ} (١)، {اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ} (٢)، {أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ} (٣)، {آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ} (٤)، {سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} (٥).

الثالث: السّنة قول المعصوم أو فعله أو تقريره، وشرط الاحتجاج بالفعل ظهور الوجه، فلو فعل المعصوم شيئاً وجهه علم عدم تحريره مع ترده بين الوجوب والندب والكرهية، ولم يثبت واحد منها. ولا تثبت السّنة لنا إلا بالخبر المتواتر وهو: إخبار جماعة كثيرة يمتنع عند العقل تؤاطوهم على الكذب، أو المحفوف بقرائن توجب القطع بصدوره (٦)، ولا يثبت بخبر الفاسق ولا مجهول الحال؛ لعدم إفادته العلم، وعدم الدليل على حجّيته، بل الدليل قائم على عدمها من قوله تعالى: {إِنْ جَاءَكُمْ فَلْيَقُ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا} (٧) الآية، والنهي عن اتّباع الظن.

أما خبر الثقة العدل مع عدم إفادته العلم فقد اختلف في حجّيته، فمنعها

١- سورة الأنفال: ٦٤.

٢- سورة يوسف: ٤٢.

٣- سورة التوبة: ٧٤.

٤- سورة التوبة: ٥٩.

٥- سورة التوبة: ٥٩.

٦- نهاية الدراية: ٩٧، الحبل المتين: ٤، طرائف المقال ٢: ٢٥٠، فائق المقال في الحديث والرجال: ٢١، رسائل في دراية الحديث ١: ٥٣٦، شرح اللمعة الدمشقية للشهيد الثاني ٢: ١٠٩، معالم الدين: ١٨٤، مشارق الشموس ٢: ٤٦٣، الحقائق الناطرة ١٨: ٤٠٢، مستند الشيعة ٤: ١٨٧، الجامع لجوامع العلوم: ٥١، نظم المتناثر من الحديث المتواتر: ١٠، قوانين الأصول: ٤٢٠، أجود التقريرات ٢: ١١٣ وغيرها من المصادر.

٧- سورة الحجرات: ٦.

قوم، لإصالة عدم حجّية الظن، وأثبتها آخرون، واستدلوا بأدلة مذكورة في الأصول^(١).

وعلى القول بحجّيته لا بدّ من ثبوت العدالة إما بالعلم أو شهادة عدلين، وفي كفاية العدل الواحد خلاف.

والعدالة: ملكة تبعث على اجتناب الكبائر وعدم الإصرار على الصغائر، وترك منافيات المروءة الكاشفة عن عدم مبالاة فاعلها بالدين^(٢).

وإثبات عدالة من بعد عنا زمانهم من أصعب الأمور، لانحصار الأمر في علمنا بها في أخبار الغير، وهو مفقود غالباً، إلّا من إخبار البعض المستند على الظنون والاجتهادات التي تخطئ كثيراً، لا على الممارسة والمعاشرة، مع اختلاف الآراء فيما يوجب الجرح وما لا يوجب، ولذلك وقع الاختلاف كثيراً في الجرح والتعديل، فما عدله واحد جرحه آخر.

والقاعدة: إنّ الجرح مقدم على التعديل؛ لجواز إطلاع الجارح على ما لم يطلع عليه المعدل^(٣).

فعلم من هذا أنّ التسرع إلى القول بمضمون الخبر بمجرد وجوده في أحد

١- مقالات الأصول ٢: ٨٢، نهاية الدراية في شرح الكفاية ٢: ١٨٥، وسيلة الوصول إلى حقائق الأصول ٤٩٦: ١، نهاية الأفكار ٣: ١٠١، أصول الفقه للمظفر ٣: ٧٥، حقائق الأصول ٢: ١٠٩، دروس في علم الأصول ١: ٢٥٢، أنوار الهداية ٢: ٢٧٥.

٢- العروة الوثقى ٣: ١٨٩، جواهر العقود ١: ١١، المصطلحات: ١٧٠٨.

٣- هذا الكلام فيه تأمل، لأنّ التعديل والجرح إذا كانا عن حس فلا يقدم الجرح على التعديل دائماً، بل يقدم في صورة ما إذا كان الجرح مفسراً والتعديل مبهم، فحينئذٍ يقدم الجرح على التعديل، وأما إذا لم يكن الجرح مفسراً فنرجع إلى القرائن ويتبع الأقوى قرينة. وأما إذا كان التعديل والتجريح عن حدس فلا يقدم أحدهما على الآخر بل يبقى الراوي مجهولاً.

كتب الحديث أو بمجرد قول واحد أنه صحيح، وتخطئة الغير بذلك، فضلاً عن الحكم بكفره أو شركه؛ خطأ محض.

ويشترط لجواز العمل بالخبر عدم مخالفته لدليل قطعي من إجماع المسلمين وسيرتهم، أو نص القرآن، أو نص خبر آخر متواتر، بل وعدم مخالفته للمشهور بين علماء المسلمين، مع كونه بمرأى منهم ومسمع، وعدم معارضته بدليل أقوى منه بأحد الوجوه الآتية في الأمر الرابع.

والخبر فيه الأقسام السابقة في الكتاب كلها، وما يحتج به من الكتاب من تلك الأقسام يحتج به من الخبر، وما لا فلا.

ويشترط في العمل بالخبر ما اشترط في العمل بالكتاب ممّا مرّ في الأمر

الثاني.

وبسبب وجود هذه الأقسام في الخبر أمكن لكلّ ذي قول حقّ أو باطل الاستناد إلى ظاهر رواية، كما يعرفه المتتبع لأقوال العلماء وأدلتهم حتّى إنّ البابية يحتجون على ضلالتهم بخبر أنّ المهدي يأتي بأمر جديد وقرآن جديد، واتباع المسيح المهدي القادياني يحتجون على ضلالتهم بخبر: <لا مهدي إلّا عيسى> (١).

والحاصل: إنّ كلّ من يريد العناد والعصية فله مدرك يتشبث فيه من الكتاب أو السنّة، ما لم يكن له حاجب من تقوى الله، والمنصف الطالب للحقّ لا يتمسك بظواهر الآيات والأحاديث ما لم يبحث عن معارضاتها من عقل أو

١- المستدرک للحاکم ٤: ٤٤١، فتح الباری ٦: ٣٥٨، تحفة الأحوذی ٦: ٤٠٢، عون المعبود ١١: ٢٤٤، مسند الشهاب ٢: ٦٩، معرفة السنن والآثار ٧: ٥٢٧، فیض القدير فی شرح الجامع الصغير ١: ٤٦٦، والحديث ضعيف عند أهل السنة أيضاً.

نقل أو إجماع، وما لم يبحث عن سند الحديث ويستفرغ الوسع في فهم معناه.

الرابع: الأخبار المتعارضة الواردة عن النبي ﷺ كثيرة، وسبب التعارض إما كون بعضها مكذوباً، فقد كثرت الكذابة على النبي ﷺ في عصره حتى قام خطيباً فقال ما معناه: «قد كثرت عليّ الكذابة، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^(١)، وبعد عصره تقرباً إلى الملوك وترويجاً للأهواء، ومحافضة على الدنيا من طريق الدين وغير ذلك، وخبر الذي روى للمهدي العباسي، وكان يحبّ اللعب بالحمام: «لا سبق إلا في خف أو حافر أو جناح»، فزاد أو جناح اتباعاً لهوى المهدي، فلما خرج قال المهدي: أشهد أنّ قفاه قفا كذاب على رسول الله ﷺ؛ مشهور^(٢)! وكم أعطيت الجوائز، ووليت

١- أصول الكافي ١: ٦٢، باب اختلاف الحديث، الخصال ٢٥٦، وفي المصادر السنية بألفاظ مختلفة كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» كما في مسند أحمد ١: ٧٨، سنن الدارمي ١: ٧٦، صحيح البخاري ٢: ٨٢، باب الجنائز، صحيح مسلم ١: ٨، باب النهي عن الحديث بكلّ ما سمع، سنن ابن ماجه ١: ١٣، سنن أبي داود ٢: ١٧٧، سنن الترمذي ٤: ١٤٢، المستدرک للحاكم ١: ٧٧، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٧٢، مجمع الزوائد ١: ١٤٢، المصنّف للصنعاني ١١: ٢٦، مسند الحميدي ٢: ٤٩٢، مسند ابن الجعد ٦٥: ٦٥، المصنّف لابن أبي شيبة ٦: ٢٠٣، مسند ابن راهوية ١: ٥٣، مسند أبي يعلى ١: ٧٥، صحيح ابن حبان ١: ٢١٥، المعجم الأوسط ١: ١١٦.

٢- المهدي العباسي هو: محمد بن عبد الله بن محمد بن علي العباسي مولده سنة (١٢٦ و ١٢٧هـ) ومات سنة (١٦٩ هـ)، وقد مدحه أهل السنة بكونه من أنصارهم وقامع للأهواء والبدع. راجع ترجمته في سير أعلام النبلاء ٧: ٤٠٠، البداية والنهاية ١٠: ١٢٩.

والقصة كالتالي: وهي أنّ الخليفة المهدي العباسي كان مولعاً باللعب بالحمام، وكان قد استقدم إليه المحدثين، أو وعاظ السلاطين، وكان من بينهم غياث بن إبراهيم - الذي كذب على رسول الله ﷺ في هذا الحديث - فدخل غياث يوماً على المهدي العباسي وكان يلعب بالحمام، فقبل له: حدث أمير المؤمنين حديثاً، فحدث عن أبي هريرة أنّه سمع رسول الله ﷺ.. الحديث المتقدم

← وزاد فيه: أو جناح، فأمر له المهدي بعشرة آلاف.

→ ويمكن الرجوع إليها في المصادر التالية: تاريخ بغداد ١٢: ٣٢٠، الموضوعات لابن الجوزي ٣: ٧٨، ميزان الاعتدال ٣: ٣٣٨، الكشف الحثيث ٢٠٧: ٤، لسان الميزان ٤: ٤٢٢، تاريخ الاسلام للذهبي ١٠: ٣٨٩.

والملاحظ في هذه القصة أنّ الخليفة، وهو خليفة الدولة الإسلامية، والجالس على منبر الخلافة النبوية، وهو من آل النبي ﷺ كما يزعمون، الملاحظ في ذلك أنه مشغوف بالحمام!! ومولع به، فمن كان هذا حاله كيف يمكنه تسنّم الخلافة وقيادة المجتمع الإسلامي؟! هذا من جانب.

ومن جانب آخر يجمع من حوله المرتزقة وطلاب الدنيا لأجل تشييد أركان حكمه، ودعم قواعد دولته لإسكات المغفلين والخانعين.

والملاحظ أنّ المحدث المذكور لم يتوانا لحظة واحدة في اصطناع الحديث بذيله، والكذب على النبي ﷺ، ومن ثمّ أخذه أموال المسلمين من خليفة المسلمين لأجل كذبة كذبها على النبي ﷺ.

واللطيف في الخبر أنّ غياث بن إبراهيم اصطنع الذيل للحديث على لسان أبي هريرة، فتدبر. ولكن وعاظ السلاطين لم يقفوا عند هذا الحدّ، بل أضافوا للرواية شيئاً آخر، يضرب نفسه بنفسه، ويتنافى مع ما صدروا به القصة، إذ بعدما نقلوا القصة قالوا بأنّ الخليفة المهدي أمر بذبح الحمام، وخاطب المحدث بعد ذهابه بأن قفاه قفا كذاب على رسول الله ﷺ!!

ولا أدري كيف تسنى لهم نقل هذه الزيادة الجليلة البطلان والواضحة التنافر، وذلك لأنّ المهدي أعطى هذا المحدث الكذاب عشرة آلاف دينار أو درهم لأجل كذبة كذبها على النبي ﷺ، فمن ثمّ لا معنى لأنّ يتهمه بالكذب وإلا أي معنى لا عطائه الأموال مع علمه بكذبه؟! اللهم إلا أن يكون الخليفة من محبي الكذب على رسول الله ﷺ.

ومن جانب آخر لماذا يخاطب الخليفة المحدث بالكذب بعد ذهابه ولم يخاطبه أمام وجهه، أكان يخاف منه؟!

وهو أمر غير معقول؛ لأنّه الحاكم والخليفة وكذب المحدث لأجل التزلف!!

أم أنّه خاطبه لأجل الحياء منه؟!

وهذا غير معقول أيضاً، إذ لا مجال للحياء من الكذاب! ثمّ كيف ذهب عنه الولع بالحمام فجأة مع

الولايات، وأقطعت الإقطاعات على اختراع الروايات الموافقة للشهوات.
وأما الاشتباه لخطأ في فهم المراد أو سماع اللفظ أو الإطلاع على العام أو
المطلق أو المنسوخ وعدم الإطلاع على الخاص أو المقيد أو الناسخ أو غير
ذلك^(١).

وللتعارضات علاجات وردت بها الأخبار والروايات، وقال بها علماء
المسلمين منها: العرض على كتاب الله والثابت من سنة رسول الله ﷺ، فيؤخذ

علمه بأنّ الحديث كذب على رسول الله ﷺ وإعطائه الأموال إلى المحدث الكاذب؟! ←
→ فإنّ هذه الأمور لا تجتمع أصلاً!!

فهذه الأسطر الأخيرة المضافة إلى القصة مصطنعة لا يمكن قبولها لأجل ما تقدم من ملاحظات.
١- أما العرض على الكتاب والسنة فلقول الصادق عليه السلام: «كلّ شيء مردود إلى كتاب الله
والسنة، وكلّ حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف»، المحاسن ١: ٢٢٠، ونحوه
الكافي ١: ٦٩.

وعن النبي الأكرم ﷺ: «وإنّه سيفشوا عني أحاديث فما أتاكم من حديثي فاقرأوا كتاب الله
واعتبروه، فما وافق كتاب الله فأنّا قلته، وما لم يوافق كتاب الله فلم أقله» المعجم الكبير ١٢:
٢٤٤، مجمع الزوائد ١: ١٧٠، جامع بيان العلم وفضله ٢: ١٩١، كشف الخفاء ١: ٨٦.
وأما الأخذ بالمجمع عليه فلقول الصادق عليه السلام في رواية طويلة: «ينظر إلى من كان من روايتهم
عنا في ذلك الذي حكما به المجمع عليه من أصحابك فيؤخذ به، ... فإنّ المجمع عليه لا ريب
فيه» أصول الكافي ١: ٦٨، تهذيب الأحكام ٦: ٣٠٢.

وقال الخطيب البغدادي في الكفاية في علم الدراية ٤٧٤: (كلّ خبر واحد دلّ العقل أو نصّ
الكتاب أو الثابت من الأخبار أو الإجماع أو الأدلة الثابتة المعلومة على صحته وجد خبر آخر
يعارضه فإنّه يجب اطراح ذلك المعارض والعمل بالثابت الصحيح اللازم؛ لأنّ العمل بالمعلوم
واجب على كلّ حال).

وأما الأخذ بالمشهور من الأخبار فلخبر زرارة عن الصادق عليه السلام: «خذ بما اشتهر بين أصحابك
ودع الشاذ النادر» فقه الرضا ٥٢، عوالي اللآلي ٤: ١٣٣ وهو موجود في الفقه السنّي أيضاً كما
في البحر الرائق ٢: ٢٠١، حاشية رد المختار ٢: ٥٥٠.

بما وافق ويترك ما خالف.

ومنها: الموافقة للإجماع أو السيرة أو المشهور بين علماء المسلمين، أو الموافقة لما عليه الصحابة والتابعين.

ومنها: الترجيح بحسب السند بكون رواته أوثق أو أحفظ، أو أكثر، أو الدلالة بكونه أظهر دلالة، أو العبارة بكونها أفصح أو أحسن سبكاً، أو غير ذلك.

الخامس: الكتاب والخبر عريان وفيهما كسائر كلام العرب الحقيقة والمجاز، فالحقيقة^(١) الكلمة المستعملة فيما وضعت له كقولك: سمعت زئير الأسد في الغاب وتريد الحيوان المفترس، والمجاز: الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لمناسبة ما وضعت له مناسبة موافقة للعرف غير مستهجنة^(٢)، كقولك: رأيت أسداً في الحمام، وتريد رجلاً شجاعاً، والمناسبة بينهما الشجاعة.

وقد كثر المجاز في كلام العرب جداً ومنه الكتاب والخبر، بل أكثر كلام العرب مجاز، ومما جاء منه في القرآن: { يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ }^(٣)، { وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا }^(٤)، { وَلِتَصْنَعِ عَلَى عَيْنِي }^(٥)، { فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا }^(٦)، { وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ }^(٧)، { يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ }^(٨)،

١- فصلنا هذه الأمور ليفهمها من لم يطلع على معانيها، فيعم النفع، فلا ينسبنا أحد في ذلك إلى ذكر ما لا لزوم له، لأنها مبينة في مواضعها. (المؤلف).

٢- احتراز عن مثل استعمال الحائط في الرجل الطويل، لمناسبة الطول، فانه مستهجن عرفاً. (المؤلف).

٣- سورة الفتح: ١٠.

٤- سورة هود: ٣٧.

٥- سورة طه: ٣٩.

٦- سورة الطور: ٤٨.

٧- سورة الأنعام: ٣٠.

{ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ }^(٢)، { أَيْنَ مَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ }^(٣)، { وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ }^(٤)، { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى }^(٥)، { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ }^(٦)، { فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى }^(٧)، { إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ }^(٨)، { إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ }^(٩)، { وَعَظِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ }^(١٠)، { اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ }^(١١)، { وَجَاءَ رَبُّكَ }^(١٢).

والقرينة على المجاز في الكلّ عدم إمكان إرادة المعنى الحقيقي المستلزم للتجسيم والتحيز والوجود في مكان دون غيره وكونه تعالى محلاً للحوادث. ومما جاء منه في السنّة حديث أبي هريرة: «أما جهنم فإتّها لا تمتلئ حتّى يضع الله قدمه فيها»^(١٣)...

١- سورة الزمر: ٥٦.

٢- سورة العنكبوت: ٨٨.

٣- سورة البقرة: ١١٥.

٤- سور الرحمن: ٢٧.

٥- سورة طه: ٥.

٦- سورة النحل: ٥٠.

٧- سورة النجم: ٩.

٨- سورة هود: ١١٩.

٩- سورة الدخان: ٤٢.

١٠- سورة النساء: ٩٣.

١١- سورة البقرة: ١٥.

١٢- سورة الفجر: ٢٢.

١٣- كتاب السنة : ٢٣٢ وصححه محقق الكتاب الشيخ محمّد ناصر الدين الألباني وقال: (والحديث أخرجه مسلم ٨: ١٥١ من طريق محمّد بن حميد عن معمر به، وأحمد ٢: ٥٠٧، وابن خزيمة: ٦١ من طريق هشام بن حسان عن محمّد بن سيرين به أتم).

لقد عجب^(١) الله أو ضحك^(٢) من فلان وفلانة، والقرينة ما مرّ.
ولابدّ للمجاز من قرينة كقولنا في المثال المتقدم في الحمام: لأنّ الحيوان
المفترس لا يكون في الحمام عادة.
وقد تكون القرينة حالية لا مقالية فتخفى على بعض الأفهام، ويقع فيها
الاشتباه، وقد يكثر استعمال اللفظ في المعنى المجازي حتّى يصير مجازاً
مشهوراً لا يحتاج إلى قرينة غير الشهرة، وقد يكثر حتّى يبلغ درجة الحقيقة
فيسمّى منقولاً.

ثمّ المجاز قد يكون في الكلمة كما مرّ، وقد يكون في الإسناد كأنبت
الربيع البقل، وصام نهاره، وجرى النهر، وبنى الأمير المدينة، وغير ذلك، فأسند
الإنبات إلى الربيع مجازاً باعتبار أنّه زمان له، وحقّه أن يسند إلى الله، والصوم
إلى النهار باعتبار أنّه زمانه، وحقّه أن يسند إلى الشخص، والجري إلى النهر
باعتبار أنّه مكانه، وحقّه أن يسند إلى الماء، والبناء إلى الأمير باعتبار أنّه سبب
آمر وحقّه أن يسند إلى البناء.

ومما جاء منه في القرآن الكريم: { فَمَا رِبِدَتْ تِجَارَتُهُمْ }^(٣)، أي فما

قلت: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، وقد أخرجاه وكذا غيرهما من طرق أخرى عن أبي
هريرة كما تقدم بيانه في الذي قبله).

١- مسند أحمد ٢: ٤٥٧، صحيح البخاري ٤: ٢٠، باب دعاء النبي ﷺ، صحيح مسلم ٦: ١٢٨،
المصنّف لابن أبي شيبة ٨: ٩٠، كتاب السنة: ٢٥٠.

٢- مسند أحمد ٢: ٢٧٦، صحيح البخاري ٣: ٢١٠ كتاب الجهاد والسير، صحيح مسلم ١: ١١٤،
باب معرفة طريق الرؤية، سنن النسائي ٦: ٣٩، صحيفة همام بن منبه: ٣٩، المصنّف
للصنعاني ١١: ١٨٤، مسند الحميدي ٢: ٤٧٧، كتاب السنة: ٢٠٨.

٣- سورة البقرة: ١٦.

ربحوا في تجارتهم، { وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا }^(١)، والذي زادهم هو الله والآيات سبب، { يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ }^(٢)، والذي ذبحهم أتباع فرعون وهو سبب أمر، { يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا }^(٣)، والنازع هو الله وإبليس سبب، { يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا }^(٤)، والجاعل هو الله، واليوم سبب لكثرة أهواله، { يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا }^(٥)، والبناء فعل العملة وهامان سبب أمر، { فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ }^(٦)، والمخرج الله وإبليس سبب، { ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ }^(٧)، والآكل أهل السنين وهي زمان للأكل، { وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا }^(٨)، والمخرج الله والأرض مكان للإخراج.

ولابد للمجاز في الإسناد أيضاً من قرينة لفظية أو عقلية كقول الموحّد: أنبت الربيع البقل، فإنّ كونه موحداً كاف في حمل كلامه على المجاز في الإسناد، ومثله لو قال المسلم الموحّد: يا رسول الله اغفر لي، أو اشف ولدي، أو طول عمري، أو ارزقني، أو رد غائبي، أو نحو ذلك، فيجب حمل كلامه على المجاز في الإسناد، أي كن سبباً في ذلك بشفاعتك، ودعاء الله لي.

١- سورة الأنعام: ٣.

٢- سورة القصص: ٤.

٣- سورة الأعراف: ٢٧.

٤- سورة المزمل: ١٧.

٥- سورة غافر: ٣٦.

٦- سورة طه: ١١٧.

٧- سورة يوسف: ٤.

٨- سورة الزلزلة: ٢.

ويكفي قرينة على ذلك كونه مسلماً موحداً، ولا يجوز تخطئته في هذا اللفظ فضلاً عن الحكم بكفره وشركه الموجب لحل دمه وماله إلا من غبي غير عارف بأساليب كلام العرب أو معاند.

ثم إنه قد اختلف في المعاني الحقيقية لألفاظ كثيرة واردة في الكتاب والأخبار مثل صيغة: (افعل) هل هي للوجوب أو الندب أو مشتركة بينهما، وصيغة (لا تفعل) هل هي للحرمة أو الكراهة أو مشتركة بينهما، وكذا مادة الأمر والنهي وما يشتق منهما إلى غير ذلك مما تضمنته كتب الأصول.

وكيفما قلنا فقد كثر استعمال اللفظتين في الندب والكراهة كثرة مفرطة بحيث يصعب الحكم بالوجوب أو الحرمة بمجرد ورودهما، إذ لعلهما صارا مجازاً مشهوراً في ذلك، خصوصاً بملاحظة خصوصيات المقامات المبعدة للحمل على الوجوب أو التحريم.

وفي الكتاب والخبر أيضاً كسائر كلام العرب التصريح والكناية، فالتصريح كقولنا: فلان كريم، والكناية - وهي ذكر اللازم وإرادة الملزوم - كقولنا: كثير الرماد، وجبان الكلب، كناية عن كرمه لأنّ الكريم يلزمه كثرة الطبخ للأضياف المستلزم كثرة الرماد، ويلزمه كثرة الطراق المستلزم جبن الكلب عادة.

وفي الكتاب والخبر كسائر كلام العرب المبالغات كقوله تعالى: {عَبْدًا مَّملُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ} (١) {يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ} (١)،

وقوله ﷺ:

«لو أمرت أحداً بالسجود لغير الله لأمرت المرأة بالسجود لزوجها»^(٢)، «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد»^(٣)، «لا يزني الزاني وهو مؤمن»^(٤) الحديث^(٥)، وقول عليّ: «ما زال رسول الله ﷺ يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه، وما زال يوصيني بالمرأة حتى ظننت أنه لا ينبغي طلاقها»^(٦).

١- سورة البقرة: ٢٠.

٢- تفسير الرازي ٦: ١٠٢، تفسير القرطبي ٣: ١٢٥، كنز العمال ١٢: ٣٧٤، تاريخ مدينة دمشق ٤٨: ١٣٥.

٣- خلاصة الإيجاز: ٣٩، الانتصار للسيد المرتضى: ١٨٢، المستدرک على الصحيحين ١: ٢٤٦، السنن الكبرى للبيهقي ٣: ٥٧، فتح الباري ١: ٣٧٢، المصنّف للصنعاني ١: ٤٩٧، المصنّف لابن أبي شيبه ١: ٣٨٠، سنن الدارقطني ١: ٣٩٩، الاستذکار ١: ٨٢، تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق ١: ٢٥١، نصب الراية ٦: ٥٢٧، الجامع الصغير ٢: ٧٤٨، إرواء الغلیل ٢: ٢٥١.

٤- المحاسن ١: ١٠٧، الكافي للكليني ٢: ٢٧٨، باب الكبائر، مسند أحمد ٢: ٣٧٧، سنن الترمذي ٤: ١٢٧، مجمع الزوائد ١: ١٠١، فتح الباري ١: ٥٧، المصنّف للصنعاني ٧: ٤١٦، منتخب مسند عبد بن حميد: ٢٨٨، السنن الكبرى للنسائي ٤: ٢٦٨، صحيح ابن حبان ١١: ٥٧٥، المعجم الأوسط ٤: ٣٥٥، المعجم الكبير ١١: ١٩٥.

٥- وفيه نفى الإيمان، أيضاً عن السارق وشارب الخمر والقاتل، وسيأتي في الأمر السادس. (المؤلف).

٦- الاعتقادات في دين الإمامية: ٨٥، وأما الشطر الأول فهو في من لا يحضره الفقيه ١: ٥٢ ح ١٠٨، روضة الواعظين: ٣٨٧، شرح أصول الكافي ١١: ١٥١، أمالي الطوسي: ٥٢٠، مسند أحمد ٢: ٨٥، صحيح البخاري ٧: ٧٨، كتاب الآداب، صحيح مسلم ٨: ٣٧، باب استحباب مجالسة الصالحين، سنن ابن ماجه ٢: ١٢١١ ح ٣٦٧٣، وح ٣٦٧٤، سنن أبي داود ٢: ٥٠٩ ح ٥١٥٢، سنن الترمذي ٣: ٢٢٣ ح ٢٠٠٧، وح ٢٠٠٨، المصنّف للصنعاني ١١: ٧، المصنّف لابن أبي شيبه ٦: ١٠١. الشطر الثاني في: الكافي ٥: ٥١٢، باب حق المرأة على الزوج، من لا يحضره الفقيه ١: ٥٢ ح ١٠٨.

وقال المتنبي:

وضاقت الأرض حتى ظلّ هاربهم إذا رأى غير شيء ظنّه رجلاً^(١)
وقال الآخر:

كفى بجسمي نحولاً أنني رجلٌ لولا مخاطبتي إياك لم ترن^(٢)
وقال شاعر العرب:

أنعى فتى الجود إلى الجود ما مثل من أنعى بموجود
أنعى فتى مصّ الثرى بعده بقيّة الماء من العود^(٣)

وقال شاعرهم:

عقيلية أما ملات أزارها فدعص وأما خصرها فبتيل^(٤)
وزادوا في المبالغة حتى قال قائلهم في وصف من يتغزل بها:
تدخل اليوم ثم تدخل أردادها غداً^(٥)

وهذا باب متسع لا تمكن الإحاطة بأطرافه، ولم نر أحداً قال: إنهم مهما بالغوا قد خرجوا عن طريقة العرب ومنهج كلامهم.
والمبالغة أيضاً واقعة في لساننا ومحاوراتنا، بل في كل لسان.
ومن المبالغات الواقعة في الكتاب والخبر تسمية الذنب أو العظيم منه
كفراً وفاعله كافراً ونحو ذلك كما يأتي في الأمر السادس، وإطلاق المعصية

١ - أعيان الشيعة ٢: ٥٣٣.

٢ - تاريخ بغداد ٤: ٣٢٦، مغني اللبيب ١: ١٠٩.

٣ - أعيان الشيعة ٣: ٤٥٩.

٤ - وفيات الأعيان ٦: ٣٦٨، شرح ابن عقيل ٢: ٤٩٨.

٥ - الأمالي للسيد المرتضى ٤: ١٤.

على فعل المكروه، خصوصاً إذا صدر من الأنبياء والأولياء، ولكن ذلك كما قال بعض العظماء: بلسان الورع والتقوى لا بلسان الفقه والفتوى، ومنه المعاصي المنسوبة في القرآن إلى الأنبياء عليهم السلام بعد قيام الدليل على وجوب عصمتهم وامتناع صدور المعاصي منهم.

السائل: ليست جميع المعاصي ولا الكبائر منها كفراً، خلافاً لما يحكى عن الخوارج، لعدم الدليل على ذلك، ومتمى حكم بالإسلام لا يحكم بغيره إلاّ بيقين، ومضت على ذلك سيرة النبي | والصحابة والتابعين وتابعي التابعين. ولو كانت المعاصي أو الكبائر منها كفراً لبطلت الحدود والتعزيرات، ولم يبق لها ثمرة، فالمرتد يستتاب وإلاّ قتل، فلا معنى لإقامة الحد عليه أو تعزيره، وللزم الحكم بإرتداد جميع الخلق الذين لا يسلمون من المعاصي، بل والكبائر، ولم ينج منه إلاّ القليل، ولو كان كذلك لبنته العلماء في كتبها، ونادت به الوعاظ والخطباء، وعرفه كلّ أحد وصار من ضروريات الدين، لشدة الحاجة إليه من عموم المكلفين، وكون المرتد له أحكام خاصة به يلزم على كلّ مكلف معرفتها وترتيبها عليه، روى عبادة بن الصامت عن النبي | : «خمس صلوات كتبهنّ الله على العباد، من أتى بهنّ... كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهنّ فليس له عند الله عهد، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له...»^(١)، وهذا دليل على أن ترك الصلاة ليس كفراً، لأنّ الكفر لا يغفره الله

١- مسند أحمد ٥: ٣١٥، سنن الدارمي ١: ٣٧٠، سنن أبي داود ١: ٣٢٠ ح ١٤٢٠، سنن النسائي ١: ٢٣٠، باب المحافظة على الصلوات الخمس، السنن الكبرى للبيهقي ١: ٣٦١، باب عدد ركعات الصلوات الخمس، فتح الباري ٢: ٢٠١، باب وجوب القراءة، المصنّف للصنعاني ٣: ٥ ح ٥٥٧٧، مسند الحميدي ١: ١٩٢ ح ٣٨٨، المصنّف لابن أبي شيبة ٢: ١٩٦، ح ٦، كتاب السنن: ٤٥٤

{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} ^(١). هذا إن لم يكن مستحلاً لما ثبت وجوبه أو تحريمه بضرورة الدين وإلا كان كافراً، ولكن قد يطلق على كثير من الذنوب اسم الكفر أو الشرك أو النفاق أو نحو ذلك، تعظيماً للذنب وتحذيراً منه، وتشبيهاً لمواخذته لعظمها بمؤاخذه الكفر، وبياناً لأن مقتضى الإسلام والإيمان أن لا يفعل ذلك الذنب، أو لآثمه ربما انجر بالآخرة إلى ذلك كما ورد: «إِنَّ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ نَكْتَةً بِيضَاءً فَإِذَا عَصَى اللَّهَ أَسْوَدَ مِنْهَا جَانِبٌ وَهَكَذَا إِلَى أَنْ يَتِمَّ سَوَادُهَا فَذَلِكَ الَّذِي طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهِ» ^(٢)، وكما جاء التهديد بالنار واللعن على ترك بعض المستحبات أو فعل بعض المكروهات، بياناً لتأكيد الاستحباب حتى كأنها واجبه، ولشدة الكراهة حتى كأنها محرمة، أو لأنّ التهاون بها ربما ينجر إلى التهاون بالواجب وفعل المحرم، كما ورد: أن من ترك فرق شعره فرق بمنشار من نار ^(٣)، ونظير ذلك اللعن على فعل المكروه كلعن المحلل والمحلل له، ولعن النائم في البيت وحده ^(٤)، والمسافر وحده، وآكل طعامه وحده، كما يأتي في فصل اتّخاذ

ح ٩٦٦، الجامع الصغير ١: ٦٠٩ ح ٣٩٤٧.

١- سورة النساء: ١١٦.

٢- ورد في الحديث الشريف عن أبي جعفر عليه السلام: «ما من عبدٍ إلّا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب خرج في النكتة نكتة سوداء، فإذا تاب ذهب ذلك السواد، إن تمادى في الذنب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض، فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير، وهو قول الله عز وجل: {كَأَلَّا بِلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} الكافي ٢: ٢٧٣ ح ٢٠، وسائل الشيعة ١١: ٢٣٩ ح ١٤.

٣- من لا يحضره الفقيه ١: ٥٤ ح ١١٧.

٤- راجع: من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٥٩، وسائل الشيعة ٥: ٣٣٢، مسند أحمد ٢: ٢٨٧، سنن الدارمي ٢: ١٥٩، سنن ابن ماجه ١: ٦٢٢، باب المحلل والمحلل له، سنن أبي داود ١: ٤٦١ ح ٢٠٧٦،

القبور مساجد، وإطلاق المعصية على فعل المكروه كما في المعاصي المنسوبة إلى الأنبياء ^٨ على ما مرّ في الأمر الخامس.

ومما ورد من إطلاق الكفر ونحوه على الذنب في القرآن قوله تعالى: {لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} ^(١)، وفي الأحاديث قوله صلى الله عليه وآله: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم

رقاب بعض» ^(٢)، «اثنان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت» ^(٣)، «أما عبد أبى من مواليه فقد كفر حتى يرجع إليهم» ^(٤)، روى الثلاثة مسلم.

وفي الجامع الصغير للسيوطي عن الطبراني في الكبير: «من أرضى سلطاناً

مجمع الزوائد ٤: ٢٥١، مع أنّ فاعل هذه الأمور غير مرتكب لمحرّم، ولا يستحق الطرد من رحمة الله تعالى، وإنّما يكون فاعلاً لأمرٍ مبغوض بغض كراهة لا تحریم.

١- سورة آل عمران: ٩٧.

٢- بحار الأنوار ١٨: ١٢٢ ح ٣٦، مسند أحمد ١: ٢٣٠ و ٢: ٨٥ و ٣: ٤٧٧، سنن الدارمي ٢: ٦٩، صحيح البخاري ١: ٣٨، كتاب العلم، صحيح مسلم ١: ٥٨، باب تسمية العبد الآبق كافراً، سنن ابن ماجه ٢: ١٣٠٠، باب لا ترجعوا بعدي كفاراً، سنن أبي داود ٢: ٤٠٩ ح ٤٦٨٦، سنن الترمذي ٣: ٣٢٩، باب لا ترجعوا بعدي كفاراً، سنن النسائي ٦: ٢١٥، المستدرک للحاکم ١: ٩٣ و ٣: ١٥، السنن الكبرى للبيهقي ٢: ٤٤٥، المصنّف للصنعاني ١١: ٣٦٢، المصنّف لابن أبي شيبة ٨: ٥٩٤، مسند أبي يعلى ٣: ٣٩.

٣- مسند أحمد ٢: ٤٩٦، صحيح مسلم ١: ٥٨، باب تسمية العبد الآبق.

٤- مسند أحمد ٤: ٣٦٥، صحيح مسلم ١: ٥٩، باب بيان كفر من قال: مطرنا، عون المعبود ١٢: ١٠، المعجم الكبير ٢: ٣٢٠، الجامع الصغير ١: ٤٥٧، تاريخ بغداد ٣: ١٥٨.

بما يسخط ربّه خرج من دين الله»^(١)، قال العزيزي في الشرح: «إن استحل وإلا فهو زجر وتهويل»^(٢) انتهى.

وقال الحفني في الحاشية: (أي من كماله أو حقيقته إن استحل)^(٣) انتهى.
 وقوله | : «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»^(٤) رواه مسلم،
 «العهد بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»^(٥)، رواه أحمد وأهل السنن،
 «ليس بين العبد والشرك إلا ترك الصلاة فإذا تركها فقد أشرك»^(٦)، «من

١- المستدرک للحاکم ٤: ١٠٤ وصححه، الجامع الصغير ٢: ٥٦٥، كنز العمال ٦: ٧٠ ح ١٤٨٨٨،
 فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٦: ٦٧ وقال: «أخرج ابن سعد عن ابن مسعود قال: إن الرجل
 يدخل على السلطان ومعه دينه، فيخرج وما معه دينه.
 قيل: كيف؟

قال: يرضيه بسخط الله . (ك) في الأحكام (عن جابر) بن عبد الله. قال الذهبي تبعاً للحاكم: تفرد به
 علاقة عن جابر والرواة إليه ثقات»، ذكر أخبار إصفهان ٢: ٣٤٨.
 والخبر نقله السيوطي عن المستدرک لا عن المعجم الكبير .

٢- السراج المنير لأحمد بن محمد العزيزي ٣: ٣٢٦.

٣- حاشية الحفني على السراج المنير ٣: ٣٢٦.

٤- صحيح مسلم ١: ٦٢، باب بيان الإيمان بالله تعالى، السنن الكبرى للبيهقي ٣: ٣٦٦، عون المعبود
 ١٢: ٢٨٥، منتخب مسند بن عبد الحميد ٣: ٣١٤، رياض الصالحين ١: ٤٦٩، الجامع الصغير ١: ٤٨٩.

٥- مسند أحمد ٥: ٣٤٦، سنن ابن ماجه ١: ٣٤٢، سنن الترمذي ٤: ١٢٦ ح ٢٧٤٧، سنن النسائي ١:
 ٢٣١، المستدرک للحاکم ١: ٧، السنن الكبرى للبيهقي ٣: ٣٦٦، المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٢٢٢
 ح ٤٥، صحيح ابن حبان ٤: ٣٠٥، سنن الدارقطني ٢: ٤٠، الاستذکار ١: ٢٣٥، تخريج الأحاديث
 والآثار ١: ٢٠٤، موارد الضمآن ١: ٣٩٧ ح ٢٥٥، الجامع الصغير ٢: ١٩٦.

٦- سنن ابن ماجه ١: ٣٤٢، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، الجامع الصغير ٢: ٤٥٥ ح ٧٥٩٧، كشف
 الخفاء ومزيل الإلتباس ٢: ١٦٨، الدر المنثور ١: ٢٩٨.

تركها - أي الصلاة - عمداً فقد خرج من الملة»^(١)، «من تركها متعمداً فقد برئت منه الذمة»^(٢)، رواهما عبد الرحمن بن أبي حاتم في سننه، «من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت ذمة الله»^(٣) رواه أحمد. أنس عنه رضي الله عنه: «لا دين لمن لا عهد له»^(٤)، أبو هريرة عنه رضي الله عنه: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يقتل حين يقتل وهو مؤمن»^(٥)، أبو هريرة عنه رضي الله عنه: «علامة

١- كنز العمال ١٦: ٩٥ ح ٤٤٠٥، مجمع الزوائد ٤: ٤١٦، عن الطبراني، لكن الموجود عن الطبراني في الأوسط ٣: ٣٤٣: «من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر جهاراً»، وفي المعجم الأوسط ٨: ٥٨: «من ترك الصلاة متعمداً برئت منه ذمة الله».

٢- سنن ابن ماجه ٢: ١٣٣٩ ح ٤٠٣٤، مجمع الزوائد ٤: ٢١٦، الأدب المفرد ١٥: ١٥، المعجم الكبير ٢: ١٨٨.

٣- مسند أحمد ٥: ٢٣٨، المستدرک للحاكم ٤: ٤١، السنن الكبرى ٧: ٣٠٤، مجمع الزوائد ١: ١٠٥، مسند ابن المبارك ١٤٣، المصنّف للصنعاني ٣: ١٢٤، ح ٥٠٠٨، المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٢٢٩ ح ٨٧، المعجم الأوسط ٨: ٥٨، المعجم الكبير ١٢: ١٩٦، إرواء الغليل ٧: ٨٩.

٤- مسند أحمد ٣: ١٣٥، السنن الكبرى ٩: ٢٣١، مجمع الزوائد ١: ٩٦، المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٢٢٣، مسند أبي يعلى ٥: ٢٤٧، صحيح ابن حبان ١: ٤٢٣، المعجم الأوسط ٣: ٩٨، المعجم الكبير ١٠: ٢٢٧.

٥- بهذا اللفظ في المحلّي لابن حزم ١: ٢٢٧، كنز العمال ١: ٢٦١. وورد من دون الجملة الأخيرة «ولا يقتل حين يقتل وهو مؤمن» في: صحيح البخاري ٦: ٢٤١، صحيح مسلم ١: ٥٥، سنن أبي داود ٢: ٤١٠، سنن النسائي ٨: ٦٤، السنن الكبرى للبيهقي ١٠: ١٨، مجمع الزوائد ١: ١٠، مسند أبي داود ١١٠: ١، مسند الحميدي ٢: ٤٧٨، مسند ابن الجعد ١٢٠: ١٢٠، المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٢٢٢ ح ٣٩، مسند ابن راهويه ١: ٣٨٦، مسند أبي يعلى ١١: ٢٤٦.

النفاق الكذب وسوء الخلق والخيانة»^(١)، عبد الله بن عمر عنه رضي الله عنه: «إن النفاق عبارة عن أربع: الخيانة والكذب والغدر والفجور»^(٢)، أبو هريرة عنه رضي الله عنه: «المراء في القرآن كفر»^(٣)، وعنه رضي الله عنه: «لا يفوت حضور الجماعة إلا منافقاً»،^(٤) أبو ذر عنه رضي الله عنه: «الرقى والتمايم من الشرك»^(٥)، أبو هريرة

-
- ١- نصّ الحديث هو: «آية النفاق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أئتمن خان»، وهو في: مسند أحمد ٢: ٣٥٧، صحيح البخاري ١: ١٤، كتاب الإيمان، صحيح مسلم ١: ٥٦، سنن الترمذي ٤: ١٣٠ ح ٢٧٦٦، السنن الكبرى للبيهقي ٦: ٥٨، معرفة السنن والآثار للبيهقي ٥: ١١٠ ح ٣٩٣٩، أدب الإملاء والاستملاء: ٤٩، الجامع الصغير ١: ٨، كشف الخفاء: ٢١.
 - ٢- نصّ الحديث هو: «أربع من كنّ فيه كان منافقاً، أو من كانت فيه خصلة من الأربع كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» وهو في: مسند أحمد ٢: ١٨٩، صحيح البخاري ١: ١٤، كتاب الإيمان، صحيح مسلم ١: ٥٦، سنن الترمذي ٤: ١٣٠، سنن النسائي ٨: ١١٦، السنن الكبرى للبيهقي ٩: ٢٣٠، صحيح ابن حبان ١: ٤٨٩، موارد الضمآن ١: ١٦١.
 - ٣- مسند أحمد ٢: ٣٠٠، سنن أبي داود ٢: ٣٩٢، مجمع الزوائد ١: ١٥٧، السنن الكبرى ٥: ٣٣، صحيح ابن حبان ٤: ٣٢٥، المعجم الأوسط ٣: ٢٦١، المعجم الصغير ١: ١٧٨، تخريج الأحاديث والآثار ٣: ٢١٧، موارد الضمآن ١: ١٥٩، الجامع الصغير ٢: ٦٦٥.
 - ٤- نصّ الحديث: «وما يتخلف عن الجماعة إلا منافق» وهو في مسند أحمد ١: ٤١٥، صحيح مسلم ٢: ١٢٤، سنن ابن ماجه ١: ٢٥٥، سنن أبي داود ١: ١٢٣ ح ٥٥٥، سنن النسائي ٢: ١٠٩، السنن الكبرى للبيهقي ٣: ٥٩، مسند أبي داود الطيالسي ٤٠: ١، المصنّف للصنعاني ١: ٥١٦، مسند أبي يعلى ٨: ٤٣٨، صحيح ابن خزيمة ٢: ٣٧٠، صحيح ابن حبان ٥: ٤٥٦، المعجم الكبير ٩: ١١٦، نصب الراية ٢: ٢٨.
 - ٥- نصّ الحديث: «إن الرقى والتمايم والتولة شرك» وهو في مسند أحمد ١: ٣٨١، سنن ابن ماجه ٢: ١١٦٧، سنن أبي داود ٢: ٢٢٥، المستدرک للحاكم ٤: ٢١٧، السنن الكبرى للبيهقي ٩: ٣٥٠، مسند أبي يعلى ٩: ١٣٣، صحيح ابن حبان ١: ١٧١، المعجم الأوسط ٢: ١١٩، المعجم الكبير ١٠: ٢١٣، موارد الضمآن ٤: ٣٩٢، الجامع الصغير ١: ٣٠٦.

عنه عليه السلام: «من قال: مطرنا بنوء كذا فهو كافر»^(١)، «من أتى حائضاً أم امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل الله»^(٢)، رواه الدارقطني وابن ماجه والترمذي، عمر بن لبيد عنه عليه السلام: «الرياء الشرك الأصغر»^(٣)، أبو سعيد عنه عليه السلام: «الرياء شرك خفي»^(٤)، عمر عنه عليه السلام: «كسب الربا شرك»^(٥)، شداد بن أوس عنه عليه السلام: «من صلى يراني فقد أشرك»^(٦)، ابن مسعود عنه عليه السلام: «قتال المسلمين كفر»^(٧)، ابن عمر: «نسبة المسلم إلى الكفر كفر»^(٨)، وهذا الأخير منطبق على الوهابيين في نسبتهم المسلمين إلى الكفر.

-
- ١- نصّ الحديث: «من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بالله مؤمن بالكواكب» وهو في مسند أحمد ٤: ١١٧، الديباج على مسلم ١: ٨٩، صحيح ابن حبان ١: ٤١٨، معرفة السنن والآثار ٣: ١٠٢، تفسير البغوي ٢: ٣٧٣.
 - ٢- نحوه في مسند أحمد ٢: ٤٠٨، سنن الدارمي ١: ٢٥٩، سنن الترمذي ١: ٩٠ ح ١٠٢، سنن ابن ماجه ١١: ٢٠٩ ح ١٢٢، المصنّف لابن أبي شيبة ٣: ٣٦٤ ح ٨، السنن الكبرى للنسائي ٥: ٣٢٣ ح ٩٠١٦، إرواء الغليل ٧: ٦٨، المستدرک للحاكم ١: ٨، شرح معاني الآثار ٣: ٤٤، مجمع الزوائد: ١١٨.
 - ٣- مسند أحمد ٥: ٤٢٨، المستدرک للحاكم ٤: ٣٢٩، مجمع الزوائد ١: ١٠٢، فتح الباري ١: ٦٢، المعجم الكبير ٤: ٢٥٣، جامع بيان العلم وفضله ٢: ٣، تخريج الأحاديث والآثار ٢: ٣١٥.
 - ٤- مسند أحمد ٣: ٣٠، سنن ابن ماجه ٢: ١٤٠٦ ح ٤٢٠٥، المستدرک للحاكم ٤: ٣٢٩، مجمع الزوائد ٧: ٥٤، تخريج الأحاديث والآثار ٣: ٢٠٦، الجامع الصغير ٢: ٨٤.
 - ٥- الكامل لابن عدي ٧: ٢٤، تاريخ الإسلام ٩: ٥٥٩، البداية والنهاية ٧: ٣٤١.
 - ٦- مسند أحمد ٤: ١٢٦، المعجم الكبير ٧: ٢٨١، المستدرک للحاكم ٤: ٣٢٩، كنز العمال ٣: ٤٨٢ ح ٧٥٢٨، تفسير الثعلبي ٦: ٢٠٤، تفسير ابن كثير ٣: ١١٥، الدر المنثور ٤: ٢٥٦.
 - ٧- نصّ الحديث: «قتال المسلم كفر» وهو في: مسند أحمد ١: ١٧٨، سنن النسائي ٧: ١٢١، مسند أبي داود الطيالسي ٣٩: ٣٩، منتخب مسند عبد بن حميد ٧٧: ٧٧، الجامع الصغير ٢: ٢٥.
 - ٨- نصّ الحديث: «إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها» وهو في مسند أحمد ٢: ٤٧،

وروى أحمد بن حنبل في مسنده عنه عليه السلام: «إذا أحدكم قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما»^(١)، وروى عدة روايات بهذا المعنى أو قريباً منه وروى ذلك غيره أيضاً.

وما ذكرناه أحسن وجه للجمع بين حديث عبادة المتقدم وهذه الأخبار، ويرشد إليه حديث أبي هريرة السابق: «لا يزني الزاني...» ألخ حيث نفى الإيمان عنه في حال تلبسه بالمعصية لا مطلقاً، فدلّ على أن المراد تلبسه بالمعصية خلاف مقتضى الإيمان، فنفي الإيمان عنه في تلك الحال مجاز، تشبيهاً لمن لا يعمل بمقتضى إيمانه بغير المؤمن نظير: «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد»^(٢) فتكون هذه الرواية شاهداً للجمع المذكور.

وحكم الوهابيون بكفر تارك الصلاة أو الزكاة وإن لم يكن مستحلاً، واستحلوا القتل بترك بعض فرائض الإسلام أو شعائره على عاداتهم في التسرع إلى تكفير المسلمين واستحلال دمائهم وتشددهم في ذلك، إقتفاء بالخوارج الذين أشبهوهم من كلّ الوجوه، كما يأتي في المقدمة الثالثة، فقالوا في الرسالة الثالثة من رسائل الهدية السنية: (اختلف العلماء في تارك الصلاة كسلاً

صحيح البخاري ٧: ٩٧ كتاب الأدب ، صحيح مسلم ١: ٥٦، سنن الترمذي ٤: ١٣٢، مسند الحميدي ٢: ٣٠٦، مسند ابن الجعد ٢: ٢٤٢، المعجم الكبير ٢: ٧٥، الجامع الصغير ١: ٧٥.
١- مسند أحمد ٢: ١٩، كتاب الموطأ ٢: ٩٨٤، صحيح البخاري ٧: ٩٧ كتاب الأذان ، صحيح مسلم ١: ٥٦، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه ، سنن الترمذي ٤: ١٣٢ وقال : (هذا الحديث حسن صحيح) مسند الحميدي ٢: ٣٠٦.

٢- المستدرک على الصحيحين ١: ٢٤٦، السنن الكبرى للبيهقي ٣: ٥٧، فتح الباري ١: ٣٧٢، ←
→ المصنّف للصنعاني ١: ٤٩٧، المصنّف لابن أبي شيبة ١: ٣٨٠ سنن الدارقطني ١: ٣٩٩، تخريج الأحاديث والآثار ١: ٨٨، نصب الراية ٦: ٥٢٧، الجامع الصغير ٢: ٧٤٨.

في غير جحود لوجوبها، فذهب الإمام أبو حنيفة والشافعي في أحد قوليهِ ومالك إلى أنه لا يحكم بكفره، واحتجوا بما رواه عبادة المتقدم.. وذهب إمامنا أحمد بن حنبل والشافعي في أحد قوليهِ وإسحق بن راهويه.. وغيرهم إلى أنه كافر. وحكاه إسحق بن راهويه إجماعاً.

وقال الإمام أبو محمد بن حزم: سائر الصحابة.. ومن بعدهم والتابعون يكفرون تارك الصلاة مطلقاً ويحكمون عليه بالإرتداد)، وعدّ عشرة من الصحابة، ثمّ قال: (ولا نعلم لهؤلاء مخالفاً من الصحابة).

قال: (وأجابوا عن حديث عبادة أنّ المراد عدم المحافظة عليهنّ في أوقاتهم، بدليل الآيات والأحاديث الواردة فيها وفي تركها)، وأورد جملة مما مرّ ثمّ قال: (إنّ العلماء كلّهم مجمعون على قتل تارك الصلاة كسلاً إلّا أبا حنيفة والزهري وداود فإنّهم قالوا: يحبس حتّى يموت أو يتوب، واحتجوا على قتله بقوله تعالى: { فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ } إلى قوله: { فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ }، ويقول: | : «أمرت أن أقاتل الناس حتّى يشهدوا أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله، وقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة» (١) الحديث.

ثمّ ذكر رواية الترمذي: «أمرت أن أقاتل الناس حتّى يشهدوا أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله، وأنّ يستقبلوا قبلتنا، ويأكلوا ذبيحتنا، ويصلّوا

١- صحيح البخاري ١: ١١ كتاب الإيمان، صحيح مسلم ١: ٣٩ كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال حتّى يقولوا: لا إله إلّا الله).

صلاتها»^(١) الحديث.

قال: (والمقصود فساد هذه الشبهة التي دسها من يدعي أنه من العلماء على الجهلة من الناس أن من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله أنه مسلم ولا يجوز قتله وإن ترك فرائض الإسلام).

ثم أطال في الاستشهاد بكلام الأجهوري والأذرعي والهيتمي وابن تيمية وغيرهم الدال على أن ترك بعض شعائر الإسلام موجب للمقاتلة كأهل القرية إذا تركوا الأذان أو الجماعة أو صلاة العيد أو غير ذلك، وفي جملة ما نقله عن ابن تيمية: (أيما طائفة ممتنعة عن بعض الصلوات المفروضة أو الزكاة أو الصيام أو الحج أو عن التزام تحريم الدماء والأموال والخمر والزنا والميسر أو نكاح المحارم أو الجهاد أو ضرب الجزية أو غير ذلك، فإنها تقاتل عليها وإن كانت مقرّة بها)^(٢).

ونقول: أما الأحاديث التي أطلق فيها الكفر على جملة من المعاصي فقد عرفت أنه لم يُرد بها الحقيقة، للشواهد التي قدمناها من لزوم لغوية الحدود، ورواية عبادة، وحديث لا يزني الزاني وهو مؤمن وغيرها.

أما حمل ترك الصلاة في حديث عبادة إلى إرادة عدم المحافظة عليها في وقتها فلا شاهد عليه، بل هو تخرص على الغيب، بخلاف حمل الكفر على تعظيم الذنب فإن له نظائر وشواهد كثيرة كما عرفت، ولا أقل من وقوع الشبهة فلا يجوز التهجم على الدماء مع وجودها وعدم صراحة النصوص.

ومن الغريب ما نقلوه عن إسحق بن راهويه من حكاية الإجماع مع مخالفة عظماء أئمة المذاهب كأبي حنيفة والشافعي في أحد قوليهِ ومالك التي نقلوها

١- سنن الترمذي ٤: ١١٨ ظ ح ٢٧٣٥.

٢- الرسالة الثالثة من رسائل الهدية السننية المسمّاة بالفواكه العذاب: ٨٥ - ١٠٠.

في صدر الكلام كاستدلال ابن حزم عليه بقول نفر من الصحابة، إن صح النقل عنهم مع عدم العلم بمذهب الباقيين، وهم ألوف، وكقولهم: العلماء مجمعون على قتل تارك الصلاة كسلاً إلا أبا حنيفة والزهري وداود، فما فائدة هذا الإجماع مع مخالفة هؤلاء الثلاثة؟!

أما الاستدلال بآية { فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ } فغير صحيح؛ لأن الإسلام قول باللسان وعمل بالأركان، فمن كان مشركاً وتشهد الشهادتين ولم يأت بأعمال الإسلام لا يحكم بإسلامه، بخلاف المسلم المولود على فطرة الإسلام، الملتزم بأحكامه، الفاعل لها إذا عصى بترك فرض يعتقد بوجوبه ويعلم أنه عاص بتركه، فالآية واردة في الأول لا في الثاني، وكذلك ما أطالوا به بدون طائل من الاستشهاد بكلام فلان وفلان على أن ترك بعض شعائر الإسلام موجب للقتال لا شاهد فيه على حلية قتل تارك الفرائض كسلاً فضلاً عن كفره، فإنه إن صحّ جواز القتال على ترك بعض الشعائر حتى المستحبة كالأذان والجماعة لا ربط له بترك الفرض كسلاً.

والحاصل: إنه لا يجوز الإقدام والتهجم على دماء المسلمين بأخبار غير ظاهرة وبأقوال الأجهوري والأذرعي والحراني والهيتمي، فليترك الله المتهجمون والمتهورون.

السابع: الإجماع اتفاق أهل الحل والعقد من أمه محمد | على أمر ديني في عصر من الأعصار، وهو حجة، إما لما روي عنه | : «لا تجتمع أمتي على خطأ»^(١) أو لوجود معصوم بينهم، بناءً على عدم خلو العصر من

^١ - المجموع النووي ١٠ : ٤٢ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨ : ١٢٣ ، نظم المتناثر من

معصوم، كما يقوله أصحابنا، وهو رئيس أهل الحل والعقد، أو للكشف عن أن ذلك مأخوذ من صاحب الشرع، كما يستكشف رأي المتبوع برأي أتباعه الذين لا يصدر عن إلا عن رأي، فيعلم رأي أبي حنيفة باتفاق الحنفية والشافعية باتفاق الشافعية وغير ذلك.

وفي حكم الإجماع سيرة المسلمين.

والفرق بينهما أن الإجماع اتفاق قولي والسيرة إجماع عملي، فيكشف عن أن ذلك مأخوذ عن صاحب الشرع يداً عن يد ويشمله: «لا تجتمع أمتي على الخطأ»^(١).

والوهابية لا ينكرون حجّة الإجماع، وقد تكرّر في كتبهم الاحتجاج به والرد على غيرهم بمخالفته، وفي الرسالة الثالثة من رسائل الهدية السنية ما نصّه: (والعلماء إذا أجمعوا فإجماعهم حجّة، لا يجتمعون على ضلالة)^(٢) انتهى. ولكن الصنعاني من الوهابية أنكر في رسالته تطهير الاعتقاد إمكان وقوع الإجماع أو إمكان العلم به حيث قال - بعدما عرّف الإجماع بأنه اتفاق مجتهدي أمة محمّد | على أمر بعد عصره -: (وعلى ما نحققه فالإجماع

الحديث المتواتر: ١٦١، وقال: «١٧٩ - عصمة الأمة وأنها لا تجتمع على ضلالة وخطأ. ذكر ابن همام في التحرير وغير واحد أنها متواترة معنى، ونصّ ابن الهمام: ومن الأدلة السمعية - أي على أن الإجماع حجّة قطعية - آحاد تواتر منها مشترك: لا تجتمع أمتي على الخطأ - ونحوه كثير...».

١ - المجموع للنووي ١٠: ٤٢، الابهاج ٢: ٣٦٠، التبصرة ١: ٣٧١، المعتمد ٢: ١٦، روضة الناظر ١: ١٣٩.

٢ - الرسالة الثالثة من رسائل الهدية السنية المسماة بالفواكه العذاب: ٨٥.

وقوعه محال، فإنَّ الأُمَّةَ المحمّدية قد ملأت الآفاق، فعلماءُها لا ينحسرون، ولا يتم لأحد معرفة أحوالهم، فمن ادّعى الإجماع بعد انتشار الدين وكثرة علماء المسلمين فإنَّها دعوى كاذبة كما قال أئمة التحقيق^(١) انتهى.

وصدر كلامه دال على استحالة وقوعه، وعجزه ظاهر في عدم إمكان الاطلاع عليه، وكلاهما فاسد، فإنَّ كثرة العلماء لا تمنع من اتفاقهم لا عقلاً ولا نقلاً، والاطلاع عليه أيضاً ممكن وواقع بملاحظة الفتاوى وعمل المسلمين وعدم نقل الخلاف وقرائن أخرى، فإننا نعلم علماً ضرورياً باتفاق العلماء على أنَّ البنيتين لهما الثلثان في الميراث بالفرض إذا انفردن عن الإخوة لا النصف، وإن لم نشافه جميع العلماء، ونطلع على فتاواهم تفصيلاً، وأمثال ذلك في الشرعيات كثير، كما نعلم علماً ضرورياً بإجماعهم على استحباب زيارة النبي |، وتعظيم قبره وحجرتة، ورجحان بنائها، والتبرك به وبها، وجواز بناء القبور، وبناء القباب عليها، لاستمرار سيرتهم على ذلك قولاً وفعلاً، من الصدر الأول إلى اليوم، وعدم نهى أحد عنه من الصحابة فمن بعدهم قبل الوهابية، بل الإنصاف أنَّه ما من مسألة اتفق عليها المسلمون قولاً وعملاً من جميع المذاهب مثل هذه المسألة.

الثامن: الأصل الإباحة فيما لا نص فيه ولم يقم دليل على تحريمه، لحكم العقل بقبح العقاب بلا بيان^(٢)، ولقوله تعالى: {خُلِقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً} ^(٣)، أي لانتفاعكم، وقوله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} ^(٤)، وبعث الرسول كناية عن وصول الأحكام وإلا فمجرد البعث قبل

١ - تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد : ٥١٠ المطبوع ضمن الجامع الفريد.

٢ - قاعدة عقيلة وشرعية يستدل بها الفقهاء على إباحة الأشياء المشكوكة الحكم ولم يرد نص يحرم أو يحلل، ويمكن مراجعة الكتب الأصولية للإطلاع عليها بشكل مفصل ..

٣ - سورة البقرة: ٢٩ .

٤ - سورة الإسراء: ١٥ .

تبليغ الأحكام لا تتم به الحجة، وقوله تعالى: {قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} ^(١) وأمثالها من الآيات.

التلسع: البدعة إدخال ما ليس من الدين في الدين ^(٢)، ولا يحتاج تحريمها إلى دليل خاص، لحكم العقل بعدم جواز الزيادة على أحكام الله تعالى ولا التقيص منها، لاختصاص ذلك به تعالى وبأنبيائه الذين لا يصدر عن إلا عن أمره، مع أنه قد ورد النص بأن: «كُلُّ بدعة ضلالة، وكُلُّ ضلالة في النار» ^(٣)، وأما تشخيصها فهو مما يقع فيه الاشتباه، فكم بدعة عدت سنة وبالعكس ^(٤).

١ - سورة الأنعام: ١٤٥.

٢ - راجع في تعريف البدعة المصادر التالية: غنائم الأيام ١: ٢٧٧، جواهر الكلام ٢: ٢٧٨، ينابيع الأحكام في معرفة الحلال والحرام ١: ٥٤٢، العناوين الفقهية ١: ٤٢٣، فوائد الأصول ٤: ٤٥٦، منتهى الأصول ١: ١٨٧.

٣ - مسند أحمد ٤: ١٢٦، سنن الدارمي ١: ٤٥، سنن ابن ماجه ١: ١٦، المستدرك للحاكم ١: ٩٦ وصححه، السنن الكبرى للبيهقي ١٠: ١١٤، فتح الباري ١٣: ٢١٣، المصنّف للصنعاني ١١: ١٥٩، كتاب السنة ١٧: ١٧ وصححه محققه الشيخ الألباني، مسند أبي يعلى الموصلي ٤: ٨٥، صحيح ابن خزيمة ٣: ١٤٣، قصيدة عبد الله بن الأشعث ٢٦: ٢٦، المعجم الكبير ٩: ٩٧، شرح نهج البلاغة ٣: ٤٣، الأذكار النووية ١٥٠: ١٥٠، موارد الضمآن ١: ٢٠٥، الجامع الصغير ١: ٢٤٣، العهود المحمدية: ١٧.

٤ - كابنداع أبي بكر عدم وراثه أبناء الأنبياء ^٨ آبائهم واصطناع حديث: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة»، لمنع فاطمة عليها السلام من حقها في إرث أبيها. والقصة معروفة يمكن مراجعتها في المصادر التالية: الغدير ٨: ٢٣٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٢٢٤. ←

→ وكابتداع عمر صلاة شهر رمضان المسماة بصلاة التراويح وقوله: (نعمت البدعة هذه)، وارجع إلى: كتاب الموطأ ١: ١١٤، صحيح البخاري ٢: ٢٥٢، كتاب صلاة التراويح، السنن الكبرى للبيهقي ٢: ٤٩٣، تحفة الأحوذى ٣: ٤٥٠، معرفة السنن والآثار ٢: ٣٠٤، الفائق في غريب

الحديث ٣ : ٣٥٩. وابتدع تحريم زواج المتعة الذي كان حلالاً في زمن الرسول ﷺ وأبي بكر لكن عمر بعدما تولى الخلافة بمدة قام بتحريمه، فعن عمران بن الحصين قال: (نزلت آية المتعة في كتاب الله، ففعلناها مع رسول الله ﷺ ولم ينزل حتى مات، قال رجل برأيه ما شاء، قال محمد: يقال إنه عمر) صحيح البخاري ٥: ١٥٨، شرح مسلم ٨: ٢٥، فتح الباري ٣: ٣٤٤، المصنف لابن أبي شيبه الكوفي ٣: ٣٩، وحديث معاقبته على من تزوج متعة نقله ابن حزم في المحلى ٧: ١٠٧، وابن سلمة في شرح معاني الآثار ٢: ١٤٦، وابن عبد البر في الاستذكار ٤: ٩٥.

وهناك بدع كثيرة أحدثت في الدين بعد وفاة الرسول الأكرم ﷺ، سعيًا لمحق سنته وإماتها بين المسلمين يمكن الرجوع إليها في الكتب المعدة لذلك.

وقال ابن حزم في المحلى ٤ : ٣٢ : (وكره الصلاة إلى القبر وفي المقبرة وعلى القبر أبو حنيفة وسفيان والأوزاعي، ولم ير مالك بذلك بأساً، واحتج له بعض مقلديه بأن رسول الله ﷺ صلى على قبر المسكينة السوداء).

وفي صحيح البخاري ٢ : ٨٨ باب في الجنائز : « أن رسول الله ﷺ مرّ بقبر دفن ليلاً فقال : متى دفن هذا؟

قالوا : البارحة .

قال : أفلا آذنتموني ؟

قالوا : دفناه في ظلمة الليل فكرهنا أن نوقظك ، فقام فصففنا خلفه. قال ابن عباس : وأنا فيهم فصلّى عليه).

وفي صحيح مسلم ٣ : ٥٥ باب الصلاة على القبر : (أن رسول الله ﷺ صلى على قبر بعدما دفن صاحبه).

وفي صحيح مسلم ٣ : ٥٥ باب الصلاة على القبر : (أن رسول الله ﷺ صلى على قبر بعدما دفن صاحبه قال : «إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها وأن الله عز وجل ينورها لهم بصلاتي عليهم».

←

→ وفي مصنف ابن أبي شيبه ٢: ٢٧٤ عن الأسود بن شيبان: > رأيت موسى بن أنس يصلي العصر في قبر أخيه النضر بن أنس>.

وهناك آثار كثيرة دالة على جواز الصلاة عند القبور وحولها وأفتى بذلك بعض علماء المذاهب

وسبب الاشتباه إما خطأ في الدليل المستدل به على أنّ ذلك من الشرع أو ليس منه أو تقليد من سنها، لحسن الظن به مع أنّه مبتدع، أو توهم أنّه لا بدّ من ورود النصّ بها بالخصوص مع دخولها في عمومه أو إطلاقه، كما وقع في زماننا من بعض المتشددین فقالوا: إنّ القيام عند ذكر ولادة النبي | بدعة، لعدم ورود النصّ به، والحال أنّه يكفي فيه عموم ما فهم من الشرع من لزوم احترام النبي |، ورجحان تعظيمه حياً وميتاً، بكلّ أنواع الاحترام التي لم ينصّ الشرع على تحريمها.

ثمّ البدعة لا تكون بدعة إلا إذا فعلت بعنوان أنّها من الدين، فما قاله بعضهم من أنّ ما اصطلح عليه بعض المسلمين في هذه الأعصار من ترك الأعمال يوم الجمعة بدعة لأنّه لم ينصّ الشرع على ذلك، بل أمر بالعمل بعد قضاء صلاة الجمعة اشتباه؛ لأنّ الترك هنا بعنوان الراحة أو بعنوان مصلحة أخرى دينية أو دنيوية، كإظهار حرمة يوم الجمعة وغير ذلك لا بعنوان أنّه في نفسه عبادة وطاعة.

ومن ذلك توهم الوهابية أنّ التذكير والترحيم بدعة لأنّه لم يكن في عهد النبي |، إذ يكفي في مشروعيته عموم ما دلّ على رجحان ذكر الله تعالى والصلاة على نبيه ﷺ والدعاء ونحو ذلك، وتخصيصه ببعض الأمكنة والأزمنة لفائدة مع عدم إتيانه بعنوان الخصوصية أي بعنوان أنّه مأمور به بالخصوص في هذا الزمان والمكان لا يجعله بدعة، وكذلك جملة أشياء ممّا جعلوه بدعة كما سيأتي بيان ذلك في الباب الأوّل.

العشر: الأفعال تختلف أحكامها باختلاف القصد الموجب لاختلاف

العنوان وتبدل الموضوع، وباختلاف الأزمان والأمكنة والأحوال والأشخاص الموجب لذلك، وهذا معنى ما اشتهر أن الأحكام تتغير بتغير الأزمان. أما اختلافها باختلاف القصد فكضرب اليتيم فإنه مُحَرَّم بقصد الإيذاء راجح بقصد التأديب، وكفية المسلم فإنها محرمة بقصد الانتقاص واجبة بقصد نهيه عن المنكر، أو نصح المستشير أو إقامة الحق في مقام جرح الشاهد، وكالسجود عند قبر النبي | فإنه راجح مستحب بقصد الشكر لله تعالى على توفيقه لزيارته، مُحَرَّم بقصد السجود للنبي ﷺ لعدم جواز السجود لغير الله تعالى إلى غير ذلك^(١).

وأما اختلافها باختلاف الأزمان والأشخاص والأحوال فكلبس الأزرق مثلاً حيث يعد زينة في بعض الأزمان أو الأمكنة، فيحرم على الزوجة في وقت الحداد، ويستحب إذا أرادت التزين لزوجها، ولباس الشهرة، ولباس النساء المحرّم على الرجال وبالعكس، فإنه يختلف باختلاف الأزمان والأشخاص والأمكنة، وكدفن المؤمن الجليل القدر قريباً من المذبلة، فإنه يعد إهانة له فيحرم، بخلاف دفن الزبالة أو من صنعتة نزع الكنيف، وكانزال الضيف

١- كان الصحابة يصلون عند قبر النبي ﷺ ففي صحيح البخاري ١: ١١٠: (رأى عمر أنس بن مالك يصلّي عند قبر، فقال: القبر القبر ولم يأمره بالإعادة)، وفي صحيح ابن حبان ١٢: ٥٠٦ عن عبيد الله بن عبد الله قال: (رأيت أسامة بن زيد يصلّي عند قبر النبي ﷺ، فخرج مروان بن الحكم فقال: تصلي إلى قبر، فقال: إني أحبه، فقال له قولاً قبيحاً...) وهو في موارد الضمآن ٦: ٢٧٠، تغليق التعليق ٢: ٢٢٨، إرواء الغليل ٧: ٢٠٩ ووثق رجال السند، سير أعلام النبلاء ٢: ٥٠٢، وأخرج أحمد في المسند ٥: ٤٢٢ والحاكم في المستدرک ٤: ٥١٥ عن داود بن أبي صالح قال: (أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر، فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه فقال: جئت رسول الله ﷺ ولم آت الحجر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن أبكوا عليه إذا وليه غير أهله).

الشريف في مرابط الدواب، فإنه يعدّ إهانة مع إمكان غيره بخلاف المكارى. وقد يكون ترك القيام للشخص في زمان أو بلاد يعدّ إهانة له فيحرم، وفي زمان آخر أو بلاد أخرى لا يعدّ فلا يحرم، وملبوس الزهد ومأكوله يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال، وكهدم قبور الأنبياء والأولياء وقبابهم ومشاهدهم، فهب أنه كان منهيّاً عن البناء نهى كراهة أو تحريم إلا أن الهدم صار يعدّ في هذا الزمان إهانة لهم، فيتعارض عنوان واجب وهو الهدم وعنوان محرم وهو الإهانة فيقدم الأهم، ولا شك أن مراعاة عدم إهانة النبي أو الولي أهم من كلّ شيء.

الحادي عشر: قد يتعارض عنوان واجب مع عنوان محرم فيقدم الأهم، كلمس بدن الأجنبية فإنه محرّم، لكن إذا توقف عليه انقاذها من الغرق أو شفاؤها من المرض فيجوز أو يجب، وكالنظر إلى عورة الغير فهو محرم، ويباح للطبيب، وكأخذ المكوس فهو محرم عند الوهابية وغيرهم، لكن الوهابية في فتواهم المذكورة في الخاتمة قالوا: إن تركها الإمام فهو الواجب عليه، وإن امتنع فلا يجوز شقّ عصا المسلمين والخروج عن طاعته من أجلها^(١).

أقول: وذلك لأنّ جمع كلمة المسلمين وعدم شقّ عصاهم أهم في نظر الشرع من عدم أخذ المكوس؛ لأنّ المفسدة التي تترتب على شقّ عصا المسلمين أعظم من المفسدة المترتبة على أخذ المكوس، وبناء على هذا كان يجب على الوهابية عدم التعرض لهدم قبور أئمة المسلمين الذي يسوء ثلاثمائة وخمسين مليوناً من المسلمين، تحن قلوبهم إلى هذه القبور، ويسوءهم هدمها وتدميرها، أفما كانت هذه المفسدة التي تشتت كلمة المسلمين وتسوءهم

١ - صرّحوا بذلك في مواطن عديدة من رسائل الهدية السنية فراجع.

وتوقع الخصام والعداوة بينهم في هذه الأيام العصيبة التي تبدد فيها جمعهم،
ووهي ركنهم، وضعف سلطانهم، وفتحت بلادهم أعظم من مفسدة تحريم
البناء على القبور إن كانت، وأهم وأولى بالرعاية؟!
أفما تقابل هذه المفسدة شقّ عصا المسلمين؟!

بلى والله بل هي أعظم منها وأفظع وأوجع لقلوب المسلمين، فهلا أبقيتم
هذه القبور ولو حرم عندكم إبقاؤها كما أبقيتم قبر النبي ﷺ، وإبقاؤه عندكم
حرام، مراعاة لأهم المصلحتين، ودرءاً لأعظم المفسدتين، ومنعتم الناس من
الدنو إليها ولمسها الذي هو عندكم شرك، كما منعتم من لمس قبر النبي
والدنو إليه، مع أنّكم لا ترون إبقاء القبور شركاً غايته التحريم؟!

الثاني عشر: تكفير المقرّ بالشهادتين المتبع طريقه المسلمين واستحلال
دمه وماله وعرضه عظيم، وأي عظيم؟! فلا يجوم الإقدام عليه واعتقاده استناداً
إلى أمور نظرية اجتهادية يكثر فيها الخطأ وأخبار ظنية محتملة للكذب
والتأويل، كالاكتفاء بالأخبار التي يستند إليها الوهابية في تكفير المسلمين،
ولا يجوز تكفير المسلم إلا بشيء قطعي يوجب خروجه عن دين الإسلام،
وكانت سيرة النبي ﷺ | والصحابة والتابعين وتابعي التابعين معاملة الناس على
الاكتفاء بإظهار الشهادتين والالتزام بأحكام الإسلام، أخرج البخاري عنه | :
«أمرت أن أقاتل النّس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها وصلّوا
صلاتنا، واستقبلوا قبلتنا، وذبحوا ذبيحتنا، فقد حرّمت علينا دماؤهم
وأموالهم»^(١)، وعنه | : «أمرت أن أقاتل النّس حتى يشهدوا أن لا إله إلا
الله محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك

١ - صحيح البخاري ١: ١٠٣، نصب الراية للزيلعي ٤: ٢٢٦، الدراية في تخريج أحاديث الهداية ٢: ١١٥.

عصموا منّي دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله»^(١)، وعنه | : «من صلّى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله»^(٢)، وعن أبي هريرة أنّه | : «أتي بمخنث قد خضب يديه ورجليه بالحناء، فقال: ما بال هذا؟ قالوا: يتشبه بالنساء، فنفاه إلى النقيع.

ف قيل: يا رسول الله، ألا تقتله؟

فقال: نهيت عن قتل المصلين»^(٣).

فيستفاد من هذه الأخبار أنّه بعد إظهار الشهادتين يبنى على الإسلام ما لم يعلم شيء ينافيه، ولا يلزم التفتيش والتجسس، بل نهى الله تعالى عنه. ولسنا نقول: إنّ المقرّ بالشهادتين الذي يصلّي ويزكّي لا يمكن الحكم بكفره مع ذلك، لجواز أن يحكم بكفره مع ذلك كلّ، كالخوارج، والمجسمة، ومنكر الضروري وغير ذلك، لكننا نقول: الإقرار بالشهادتين والتزام أحكام الإسلام كافٍ في الحكم بالإسلام حتّى يثبت ما ينافيه باليقين والقطع، لا بالاجتهادات الظنية، والأخبار الظنية، وحتّى ينتفي احتمال التأويل، وما كفر

١ - مسند أحمد ١ : ١١، صحيح البخاري ١ : ١١، كتاب الإيمان، السنن الكبرى ٣ : ٩٢، المعجم الأوسط ٨ : ٢٣٨، سنن الترمذي ٥ : ١١٠ وقال : (هذا حديث حسن صحيح)، سنن النسائي ٦ : ٦، باب وجوب الجهاد، المستدرک للحاكم ٢ : ٥٢٢ وصححه ، السنن الكبرى للبيهقي ٣ : ٩٢، المصنّف للصنعاني ٦ : ٦٧، مسند أبي يعلى الموصلي ١ : ٦٩، صحيح ابن حبان ١ : ٣٩٩.

٢ - صحيح البخاري ١ : ١٠٢، باب فضل استقبال القبلة، السنن الكبرى للبيهقي ٢ : ٣، مسند ابن راهوية ١ : ٣٨٢، المعجم الكبير ٢ : ١٦٢، مشكاة المصابيح ١ : ١١، شرح العمدة ٤ : ٥٢٢، أخبار القضاة ١ : ٣٧.

٣ - ورد الحديث في سنن أبي داود ٢ : ٤٦٢، السنن الكبرى للبيهقي ٨ : ٢٢٤، سنن الدارقطني ٢ : ٥٤، شعب الإيمان ٢ : ٣٥، فتح الباري ١٢ : ١٤٢.

به الوهابية المسلمين لم تجتمع فيه هذه الشروط.

الثالث عشر: القول أو الفعل الصادر من المسلم وله وجهان على أحدهما يكون صحيحاً وعلى الآخر فاسداً يجب حمله على الوجه الصحيح، ولا يجوز حمله على الوجه الفاسد إلا مع العلم، وعلى ذلك سيرة المسلمين وإجماعهم، وبه انتظام أمر معاشهم ومعاملاتهم، مثلاً: لو رأينا المسلم يضرب يتيماً وأمكن أن يكون ضربه له تأديباً وإيذاءً وجب حمله على الصحيح، ولم تنتقض بذلك عدالته إن كان عدلاً، وكذا لو رأينا يضاجع امرأه ولم نعلم أنها زوجته أو أجنبية، أو يشرب شراباً أحمر ولم نعلم أنه خل أو خمر، أو سجد ولم نعلم أن سجوده لله أو لمخلوق أو تزوج أو طلق أو باع أو وقف أو نذر أو ذبح ولم نعلم أن ذلك على وجه الصحة أو الفساد وجب حمله على الصحيح إلا أن يعلم الفساد، ولا يكفي الظن بالفساد فضلاً عن الشك، ولو صدر من المسلمين فعل أو قول وله وجه أو معنى يوجب الإرتداد، ولكن يمكن حمله على وجه أو معنى صحيح لا يوجب الإرتداد لا يجوز الحكم بإرتداده، ووجب حمل فعله على الوجه الصحيح وقوله على المعنى الصحيح، ولو كان احتمال قصده لذلك المعنى ضعيفاً فضلاً عما لو كان ظاهراً أو مساوياً في الاحتمال، فإذا استغاث مسلم بنبي أو ولي واحتمل أن تكون استغاثته لطلب أن يدعو له ويشفع له إلى الله لم يجز الحكم بإرتداده لمجرد احتمال إرادته معنى يوجب الإرتداد.

وكذا لو قال: ارزقني، وعاف ولدي، وانصرني على عدوي ونحو ذلك واحتمل إرادته طلب أن يكون واسطة وشفيعاً فيسأل الله ذلك، وأن إسناد الفعل إليه من باب إسناده إلى السبب كما في بنى الأمير المدينة؛ لم يجز الحكم بشركه وإرتداده فضلاً عما لو علم إرادته ذلك أو كان ظاهر حاله ذلك باعتبار أنه مسلم يعلم أن هذه الأمور لا يقدر عليها غير الله تعالى.

الرابع عشر: في تحقيق معنى العبادة:

العبادة في اللغة: الذل والخضوع، ومنه بعير معبد أي مذلل، وطريق معبد أي مسلوكة مذلل^(١). ونقلت في الشرع إلى معنى جديد، أو أريد بها معنى خاص من المعاني اللغوية كما نقلت ألفاظ كثيرة غيرها، كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج التي كانت في اللغة لمطلق الدعاء والنمو والامساك والقصد ونقلت في الشرع إلى معانٍ جديدة؛ وذلك لأنّ الألفاظ اللغوية قد تبقى في الشرع على معانيها القديمة كالبيع والشراء، وقد تنقل عنها في الشرع إلى معانٍ جديدة، فإذا لم تنقل وجب حملها على معانيها القديمة إذا لم يعلم أنّه أريد بها معنى خاص منها، سواء وردت في الكتاب أو الخبر أو غيرهما، وأما إذا نقلت عن المعاني الأولى إلى معانٍ جديدة فلا بدّ من معرفة تلك المعاني بما ثبت عن الشارع، فإن عرفت وجب الحمل عليها وإلا بقيت تلك الألفاظ مجعولة، وكذا لو علم عدم إرادة المعاني القديمة وأنّها استعملت في المعاني الجديدة المحدودة مجازاً فلا بدّ من معرفة تلك المعاني أيضاً، وإلا كانت من المجمل المحتاج إلى البيان، فالعبادة بمعناها اللغوي الذي هو مطلق الذل والخضوع والانقياد ليست شركاً ولا كفراً قطعاً، وإلا لزم كفر الناس جميعاً من لدن آدم إلى يومنا هذا؛ لأنّ العبادة بمعنى الطاعة والخضوع لا يخلو منها أحدٌ، فيلزم كفر المملوك، والزوجة، والولد، والخادم، والأجير، والرعية، والجنود بإطاعة المولى، والزوج، والأب، والمخدوم، والمستأجر، والملك، والأمراء وجميع الخلق؛ لإطاعة بعضهم بعضاً، بل كفر الأنبياء ^٨ لإطاعتهم آبائهم وخضوعهم

١ - قال ابن منظور في لسان العرب ٣: ٢٧١: « وأصل العبودية الخضوع والتذلل»، ومثله في صحاح الجوهري ٢: ٥٠٣، ومختار الصحاح لعبد القادر: ٢١٦، مفردات غريب القرآن للراغب: ٣١٩، وغيرها من المصادر الأخرى.

لهم، وقد أوجب الله إطاعة الأبوين وخفض جناح الذل لهما، وقال لرسوله | : {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} ^(١)، وإطاعة الزوجة لزوجها حتى ورد: «لو أمرت أحداً بالسجود لأحدٍ لأمرت الزوجة بالسجود لزوجها» ^(٢)، وأوجب طاعة العبيد لمواليهم وسمّاهم عبيداً، وإطاعة الأنبياء وجعل نبينا | أولى بالمؤمنين من أنفسهم ^(٣)، وأمرنا بإطاعته وإطاعة أولي الأمر منا وقرنها بإطاعته تعالى ^(٤) إلى غير ذلك.

ثم إنه ورد في الشرع إطلاق العباد والعبادة على مطلق المطيع والطاعة، فورد أن العاصي عبد الشيطان وعبد الهوى، قال تعالى: {مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} ^(٥)، {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ} ^(٦) مع ما ورد أنهم ما صاموا لهم ولا صلّوا وإنما حرموا عليهم حلالاً وأحلّوا لهم حراماً،

١ - سورة الشعراء : ٢١٥.

٢ - بصائر الدرجات : ٣٧٢، الكافي للكليني ٥ : ٥٠٨ ، باب كراهية أن تمنع النساء أزواجهن، من لا يحضره الفقيه ٣ : ٤٣٩ ، باب حق الزوج على المرأة ، مسند أحمد ٣ : ١٥٩ ، سنن الدارمي ١ : ٣٤٢، سنن ابن ماجه ١ : ٥٩٥ ، سنن الترمذي ٢ : ٣١٤ ، المستدرک للحاكم ٤ : ١٧٢ وصححه، فتح الباري ١ : ٧٨ ، المصنّف للصنعاني ١١ : ٣٠٠ ، صحيح ابن حبان ٩ : ٤٧٠، إرواء الغليل للألباني ٧ : ٥٤ وصرّح بصحّته ، وهو مروي بطرق كثيرة وأسانيد صحيحة ومصادر مختلفة، متفق عليه عند الطرفين.

٣ - كما قال تعالى في سورة الأحزاب الآية ٦ : { النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ }.

٤ - كما قال تعالى في سورة النساء : الآية ٥٩ : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا }.

٥ - سورة الفرقان : ٤٣.

٦ - سورة التوبة : ٣١.

فاتبعوهم^(١)، وأنّ الإنسان عبد الشهوات^(٢)، وأنّ: «من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق يؤدي عن الله عزّ وجلّ فقد عبد الله، وإن كان الناطق يؤدي عن الشيطان فقد عبد الشيطان»^(٣)، ومن هذا القبيل قول رابعة العدوية:

لَكَ أَلْفَ مَعْبُودٍ مُطَاعٍ أَمْرُهُ دُونُ الْإِلَهِ وَتَدْعِي التَّوْحِيدَ^(٤)

ولا ريب أنّ هذه الأمور التي سمّيت عبادة لا توجب الكفر والارتداد، وإلّا لم يسلم منه أحد، والضرورة قاضية بخلافه.

ثمّ إنّ من جملة العبادة السجود، وقد أمر الله الملائكة بالسجود لآدم^(٥)، وسجد يعقوب وزوجته وبنوه ليوسف^(٦)، كما أخبر عن ذلك القرآن الكريم، فدلّ على أنّ السجود ليس في نفسه قبيحاً وممنوعاً منه، موجباً للشرك والكفر، وإنّ سمّي عبادة، وإلّا لم يأمر به الله تعالى، وأنّه ليس مثل اتخاذ الشريك للباري في جميع صفاته، فإنّ هذا لا يعقل أن يأمر الله به أو يجيزه، ولا يمكن أن لا يكون شركاً وكفراً.

١ - ففي الكافي ١: ٥٣ ح ٣: «والله ما صاموا لهم ولا صلّوا لهم، ولكن أحلّو لهم حراماً، وحرّموا عليهم حلالاً فاتبعوهم»، وورد مقارب له في المصادر السنية كسنن الترمذي ٤: ٢٤٢، السنن الكبرى للبيهقي ١٠: ١١٦، المصنّف لابن أبي شيبة ٨: ٢٢٠، المعجم الكبير ١٧: ٩٢، جامع بيان العلم وفضله ٢: ١٠٩، جامع البيان ١٠: ١٤٨، أحكام القرآن ٣: ١٣٤، زاد المسير ٣: ٢٨٩.

٢ - ورد في جامع أحاديث الشيعة ١٣: ٣١١ عن الإمام عليّ عليه السلام: «إنّ في الموت راحة لمن كان عبد شهوته».

٣ - الكافي ٩: ٤٣٥ ح ٢٤، الاعتقادات: ١٠٩، عيون أخبار الرضا ١: ٢٧٢، تحف العقول: ٤٥٦، وسائل الشيعة ١٧: ٣١٧، بشارة المصطفى: ٣٤.

٤ - مشرق الشمسین: ٤٠٣.

٥ - سورة البقرة: ٣٤، والأعراف: ١١، والإسراء: ٦١، والكهف: ٥٠.

٦ - راجع سورة يوسف: ١٠٠.

وعلم من ذلك أيضاً أنه ليس مطلق الخضوع والتعظيم حتى السجود لغير الله قبيحاً في نفسه وشركاً وكفراً.

ثم إنه ورد إطلاق العبادة على دعاء الله تعالى في القرآن الكريم: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي} (١)، والأخبار بقوله | : «الدعاء مع العبادة» (٢)، ولكن ليس المراد بالدعاء هنا معناه اللغوي قطعاً، وهو النداء، وإلا كل من نادى أحداً وسأله شيئاً عابده، بل المراد به نداء الله تعالى وسؤاله والقيام بغاية الخضوع والتذلل بين يديه، وإنزال حاجات الدنيا والآخرة به، على أنه الفاعل المختار والمالك الحقيقي لأُمور الدنيا والآخرة، والمتصرف فيها كما يشاء، فمن دعا مخلوقاً على هذا النحو كان عابداً له، أما من دعاه ليشفع له إلى الله بعد ثبوت أن الله جعل له الشفاعة فلا يكون عابداً له، ولا فاعلاً ما لا يحل.

فظهر أنه ليس كل ما يطلق عليه اسم العبادة موجباً للشرك والكفر إذا وقع لغير الله، بل ولا محرماً إلا أن ينص الشارع على تحريمه، كالسجود للشمس والقمر المنهي عنه في القرآن (٣)، والسجود لغير الله المتفق على تحريمه، وأن مطلق الخضوع والانقياد لغير الله لا يوجب ذلك، ولو فرض أنه سمي عبادة، وأن

١ - سورة غافر: ٦٠.

٢ - الدعوات: ١٨، وسائل الشيعة ٧: ٢٧ ح ٨٦١٥، سبل السلام ٤: ٢١٢، سنن الترمذي ٥: ١٢٥ وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه»، فتح الباري ١١: ٧٩، أحكام الجنائز: ١٩٤، المعجم الأوسط ٣: ٢٩٤، كتاب الدعاء: ٢٤، الاستذكار ٣: ٨٤، الجامع الصغير ١: ٦٥٤، كشف الخفاء ومزيل الإلتباس ١: ٤٠٣.

٣ - كما قال تعالى في سورة فصلت: الآية ٣٧: {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}.

العبادة التي يترتب عليها ذلك ليست العبادة اللغوية، بل عبادة خاصة لا يمكن معرفتها إلا ببيان الشارع، وبدون بيانه تكون مجمله، وأنه لا يجوز ترتيب حكم الشرك والكفر، بل ولا التحريم على ما يُسمّى عبادة إلا إذا علم أنّها من تلك العبادة الخاصة، ومع الشك أو الظن لا يجوز ترتيب ذلك الحكم، فإذا فرض ورود النهي عن عبادة غير الله فما علم أنّه من المنهي عنه حرم وما لم يعلم لم يلحقه الحكم كالتكفير^(١)، والانحناء عند العجم، ورفع اليد عند الجنود، وكشف الرأس عند الإفرنج، وغير ذلك، للعلم بأنّ المنهي عنه ليس مطلق ما يُسمّى عبادة وخضوعاً.

ثمّ إنّ الذي علم ترتب حكم الشرك والكفر عليه من العبادات أو الاعتقادات أمور:

الأول: اعتقاد المساواة لله تعالى في جميع الصفات أو أنّ هو الله كما يقوله عبدة المسيح وأمه فيما حكاه عنهم القرآن^(٢)، وكما يقوله السبئية في أمير

(١) هو وضع إحدى اليدين على الأخرى كما يفعل في الصلاة (المؤلف). راجع : المجموع للنووي ٣: ٣١٠، المغني لابن قدامة ١: ٥١٥، الشرح الكبير ١: ٥١٤، فقه السنة ١: ١٤٥، تخريج الأحاديث والآثار ٣: ١٤٦، النهاية في غريب الحديث ٤: ١٠٠، لسان العرب ٥: ١٥٠ فصل الكافي، تاج العروس ٧: ٤٥٥ فصل (كفر).

٢ - قال الله سبحانه وتعالى حاكياً عقيدة النصارى في المسيح وأمه عليهما السلام: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمَتْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ...} سورة النساء: ١٧١، وقال تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ} سورة المائدة: ١١٦.

المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام^(١)، وكما يقوله الدرّوز في الحاكم أحد الخلفاء العلويين المصريين وغيرهم من الألوهية لشخص من الأشخاص ولو بطريق الحلول^(٢).

(١) السيئة فرقة منسوبة إلى عبد الله بن سبأ، قال السيد الخوئي في معجم رجال الحديث ١١: ٢٠٥: عبد الله بن سبأ الذي رجع إلى الكفر وأظهر الغلو: من أصحاب علي عليه السلام، رجال الشيخ. وقال الكشي: حدّثني محمّد بن قولويه القمي، قال: حدّثني سعد بن عبد الله بن أبي خلف القمي... عن عبد الله بن سنان قال: حدّثني أبي عن أبي جعفر عليه السلام: «إِنَّ عبد الله بن سبأ كان يدّعي النبوة، وكان يزعم أَنَّ أمير المؤمنين عليه السلام هو الله، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً! فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام، فدعاه وسأله، فأقرّ بذلك، وقال: نعم أنت هو وقد كان أُلقي في روعي أَنَّك أنت الله وأنّي نبي! فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «وذلك قد سخر منك الشيطان، فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتب، فأبى فلستأبّه ثلاثة أيّام فلم يتب فأحرّقه بالنار...».

إلى أن يقول: وأما عبد الله بن سبأ فعلى فرض وجوده فهذه الروايات تدل على أنه كفر وادّعى الألوهية في علي عليه السلام، لا أنه قائل بفرض إمامته عليه السلام. مضافاً إلى أن أسطورة ابن سبأ وقصص مشاغبه الهائلة موضوعة مختلقة اختلقها سيف ابن عمر الوضّاع الكذاب.. وقد أغنانا العلامة الجليل والباحث المحقّق السيّد مرتضى العسكري في ما قدم من دراسات عميقة دقيقة عن هذه القصة الخرافية وعن سيف بن عمر وموضوعاته في مجلدين ضخمين طبعاً باسم (عبد الله بن سبأ...).

(٢) الدرّوز: طائفة تنسب إلى محمّد بن إسماعيل الدرزي أبو عبد الله، وذكر بأنّه فارسي الأصل قدم إلى مصر سنة ٤٠٧ هـ، وقام يخدم الحاكم، ومن ثمّ صنّف كتاباً ذكر فيه: أن روح آدم انتقلت إلى عليّ بن أبي طالب، ومنه إلى أسلاف الحاكم متقمّصة من واحد إلى آخر حتّى انتهت إلى الحاكم.

وذكر المحبّي بأنّ الدرزي الذي ينسب إليه الدرّوز رجل من مولدي الأتراك بمصر، ظهر في أيّام الحاكم بأمر الله العبيدي، وجاهر في القول بالحلول والتناسخ، وصنّف كتاباً ذكر فيه أن الإله حلّ في عليّ، وأنّ روح عليّ تنقلت في أولاده إلى أن وصلت إلى الحاكم، واتفق مع حمزة على → الدعوة إلى عبادة الحاكم، وانقادت إليهم جماعة كثيرة قبل اختلافهما.

الثاني: إنكار الشرائع، وتكذيب الرسل، وإن اعترف فاعله بتوحيد الله تعالى ولم يعبد وثناً، بل بقي على شريعة منسوخة.

الثالث: ما ذكر مع عبادة الأوثان بما لم يأذن به الله تعالى، بل نهى عنه من سجود، ونحر، وذبح لها، وذكر اسمها عليه، وطلبها بدمه، وتعظيم باعتقاد استحقاق ذلك بالاستقلال، لرفعة ذاتية، واعتقاد أن له تدبيراً واختياراً كما كان يفعل عبدة الأصنام، سواء كان مع الاعتراف بوجود إله وعدمه.

الخامس عشر: لا شك أن الله تعالى فاوت بين مخلوقاته في الفضل، فجعل بعضها أفضل من بعض، من الأزمنة، والأمكنة، والأحجار، والآبار، والحيوانات، وبني آدم وغير ذلك، ففي الأزمنة فضل شهر رمضان على سائر شهور السنة، وجعل فيه ليلة القدر، وجعلها خيراً من ألف شهر^(١)، وجعل من أشهر السنة الاثني عشر أربعة حرماً، حرم فيها القتال^(٢)، وفضل يوم الجمعة

وفي النجوم الزاهرة: قال الحاكم لداعية: كم في جريدتك؟ قال: ستة عشر ألفاً يعتقدون أنك الإله. ويرى الزبيدي في التاج أن الصواب الدرزي بفتح الدال).
وارجع إلى ذلك في كتاب التراجم لمعرفة أحوالهم ومعتقداتهم كالأعلام للزركلي ٢: ٢٧٨ و٦: ٣٥، معجم المؤلفين ٩: ٥٥.

١ - قال تعالى في محكم كتابه: { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ... } سورة البقرة: ١٨٥، وقال تعالى: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ } سورة القدر: ١-٣.

٢ - قال تعالى: { إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ... } سورة التوبة: ٣٦، والأشهر الحرم هي: رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم.

على سائر الأيام^(١)، وفضل ساعة منه على سائره.
وفي الأمكنة فضل الكعبة على سائر بقاع الأرض^(٢)، وتعبد الناس بالحج إليها، والطواف حولها، ومكة، والمقام، وحجر إسماعيل، والمسجد، والمساجد الأربعة، والمسجد الحرام منها على غيرها.
وفي الأحجار فضل الحجر الأسود على غيره^(٣)، وتعبد الناس بإستلامه وتقيله.
وفي الآبار فضل بئر زمزم على غيره^(٤).
وفي الحيوانات فضل الخيل على غيرها، وأمر بارتباطها وإكرامها، وجعل

-
- ١ - ورد في فضل يوم الجمعة عدة آثار فمنها ما في البحار ٨٦: ٢٨٢: «.. فليلة الجمعة أفضل الليالي ويومها أفضل الأيام، وليلة الجمعة ليلة غراء، ويوم الجمعة يوم أزهر...».
 - ٢ - قال ابن عابدين في حاشية د المختار ٢: ٦٨٨: «فإن الكعبة أفضل من المدينة ما عدا الضريح الأقدس...»، وفي المحاسن للبرقي عن أبي عبد الله عليه السلام ١: ٢٥٨: (... الكعبة أفضل من المسجد، وأن الكعبة تشرك المسجد، والمسجد لا يشرك الكعبة...)، وفي تفسير مجمع البيان للطبرسي ٢: ٣٤٧ قال: «وقال المسلمون: بل الكعبة أفضل، فأنزل الله تعالى: { إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ }».
 - ٣ - في علل الشرائع للصدوق ٢: ٤٢٦ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مرّ عمر بن الخطاب على الحجر الأسود فقال: يا حجر، إنا لنعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع إلا إنا رأينا رسول الله | يحببك فنحن نحبك».
 - فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: كيف يا بن الخطاب؟ فوالله لبيعته الله يوم القيامة وله لسان وشفعتان فيشهد لمن وافاه، وهو يمين الله في أرضه، ويباع بها خلقه...»، وفي مصنف الصنعاني ٥: ٣٩، والمستدرک للحاكم ١: ٤٥٧.
 - ٤ - ففي المحاسن للبرقي ٢: ٥٧٣ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ماء زمزم خير ماء على وجه الأرض...»، وهو في الكافي ٦: ٣٨٦ وعقد باباً بعنوان (فضل ماء زمزم وماء الميزاب)، الدر المنثور للسيوطي ٣: ٣٣١.

الخير معقوداً بنواصيها^(١)، وجعل بعض دم الغزال مسكاً، وفي ذلك يقول الشاعر:

فإنَّ تَفَقُّ الأَنَامُ وَأَنْتَ مِنْهُمُ فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ^(٢).
وفي بني آدم فَضْلُ الأنبياء على غيرهم، ومحمد ﷺ على سائر الأنبياء، والشهداء على غيرهم، والعلماء على الشهداء وعلى بعض الأنبياء، بل الشيء الواحد له فضل في حال دون حال، فالكنيف لا فضل له وهو منتهى الخسة، فإذا جعل مسجداً صار معظماً عند الله، وحرَمَ تنجيسه، ووجب تعظيمه، وجلد الشاة يجعل نعلًا وحذاء، فيكون في منتهى الإهانة، ويعمل جلداً للقرآن الكريم، فيكون في منتهى الإكرام والإعظام كما قال الشاعر:

أَوْ مَا تَرَى نَوْعَ الْأَدِيمِ فَإِنَّهُ مِنْهُ الْجِذَاءُ وَمِنْهُ جِلْدُ الْمُصْحَفِ.
والرجل يكون كسائر الناس فيبعثه الله بالنبوة فتجب إطاعة أمره ونهيه، أو ينصبه النبي ﷺ بعده خليفة أو المسلمون، بناءً على أنَّ الإمامة باختيار الأمة، فيدخل في قوله تعالى: { وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ }^(٣).

ومن هذا القبيل البقعة من الأرض تكون كسائر البقاع، فيدفن فيها نبي أو ولي فتكتسب شرفاً وفضلاً وبركة بدفنه لم تكن لها من قبل، ويجب احترامها

١ - كقوله عليه الصلاة والسلام: «الخیل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة» كما في المحاسن ٢: ٦٣٠ والكافي ٥: ٤٨ ح ٢ ومسند أحمد ٣: ٣٥٢ وسنن الدارمي ٢: ٢١٢ وصحيح البخاري ٣: ٢١٥ كتاب الجهاد والسير، وصحيح مسلم ٦: ٣١، وسنن ابن ماجه ٢: ٩٣٢، وسنن الترمذي ٣: ٩٥، وسنن النسائي ٦: ٢٢٢، والمستدرک للحاکم ٢: ٩١ وغيرها من المصادر الجمة.
٢ - قصيدة لأبي الطيب المتنبي راجع: مختصر المعاني: ٢٠٢، البلغ في المعاني والبيان والبدیع: ٢٠٤.

٣ - سورة النساء: ٥٩.

وتحرم إهانتها لحرمة مَنْ فيها، ومن احترامها قصدها لزيارة مَنْ فيها، وبناء القباب عليها، والحجر حولها، لتقي زائريها من الحرّ والبرد، وعمل الأضرحة لها التي تصونها عن كُلِّ إهانة، وإيقاد المصابيح عندها، لانتفاع زائريها واللاجئين إليها، وجعل الخدمة والسدنة لها، وتقيلها والتبرك بها، ووضع الخلع عليها، والمعلقات فوقها^(١) وغير ذلك .

ومن إهانتها هدمها وهدم ما فوقها من البناء، وتسويتها بالأرض، وجعلها معرضاً لوقوع القاذورات، ووطء الدواب والكلاب والآدميين، وترويث وبول الدواب والكلاب وغير ذلك.

وما ورد ممّا يوهّم المنافاة لذلك ممّا سيأتي في محلّه على فرض صحته مخصوص بغيرها أو منصرف بحكم التبادر إلى غيرها، لما علم من الشرع من لزوم تعظيم أصحابها أحياءً وأمواتاً، وهذا من تعظيمهم وحرمة إهانتهم أحياءً وأمواتاً، وهذا منها.

وهل يشك في ذلك عاقل وهو يرى أنّ الله تعالى جعل احتراماً لصخرة

١ - قال البهوتي في كشف القناع ٢: ٥٤٨: (وما خلق الله خلقاً أكرم عليه من نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم) كما دلّت عليه البراهين، وأما نفس تراب تربته (صلى الله عليه وآله وسلم) فليس هو أفضل من الكعبة، بل الكعبة أفضل منه). قال في الفنون: الكعبة أفضل من مجرد الحجرة، فأما والنبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها فلا والله ولا العرش وحملته والجنة؛ لأنّ بالحجرة جسداً لو وزن به لرجح (...).

وقال النووي في المجموع ٨: ٤٧٦: (إنّ القاضي عياض نقل الإجماع على أنّ موضع قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الأرض...)، وكذلك في مغني المحتاج للشربيني ١: ٤٨٢، وابن الجوزي في دفع شبه التشبيه ١: ٦٢، والنووي في شرح صحيح مسلم ٢: ١٠١٢.

صمّاء بسبب وقوف إبراهيم الخليل عليه السلام عليها حين بنى البيت، فقال: { وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى }، ^(١) أفيجعل الله احتراماً لمقام رجل خليله ولا يجعل احتراماً لمدفن جسده أو مدفن جسد سيّد أنبيائه، وإذا كان له هذا الاحترام فلماذا حرم تقبيله والطواف والتبرك به والصلاة عنده ودعاء الله تعالى كما يصلّي عند مقام إبراهيم عليه السلام ويدعى؟

فإن كان لتوهم أنّه عبادة له كعبادة الأصنام فهو توهم فاسد؛ لأنّ احترام من جعل الله له حرمة احترام الله، وعمل بأمر الله، وعبادة وإطاعة الله، فهو كتقبيل الحجر الأسود، وتعظيم الكعبة، والحرم، والمقام، والمساجد، والتبرك بماء زمزم، وسجود الملائكة، لآدم عليه السلام، وإن كان لزعم ورود النهي فستعرف أنّه لا نهى.

السادس عشر: الأحكام لا تتغير الموضوعات، فإذا كان الموضوع على حالة أو صفة قبل الحكم كان كذلك بعد الحكم، وهذا من البديهيات الأولى التي لا يشكّ فيها من عنده أقل إمام بالعلوم، مثلاً إذا حرم الشرع شتم زيد أو أوجبه وكان الشتم في نفسه - مع قطع النظر عن الحكم بتحريمه أو وجوبه - إهانة لزيد لا يصير بعد التحريم أو الوجوب احتراماً له، وكذا لو أوجب إضافة زيد أو حرّمها، وكانت إضافته في نفسها إكراماً له لا تصير بعد إيجابها أو تحريمها إهانة له، وإذا كان تعظيم المخلوق واحترامه والتبرك به والقيام في خدمته بغاية الذل والخضوع وما أشبه ذلك عبادة له وشركاً بالله تعالى فإذا أوجب الله تعالى تعظيم المخلوق واحترامه والتبرك به، وإطاعته والذل والخضوع له ونحو ذلك لم يخرج هذا الوجوب عن كونه عبادة وشركاً، بل يكون الله تعالى قد أوجب الشرك وعبادة المخلوق، لما عرفت من أنّ الحكم

لا يغيّر الموضوع.

إذا عرفت هذا فاعلم أنّ وجوب تعظيم المخلوق من جماد وإنسان واحترامه والتبرك به وإطاعته والقيام في خدمته بغاية الذل والخضوع وما ينتظم في هذا السلك ثابت في الشرع بلا شك ولا ريب، فقد أمر الله الملائكة بالسجود لآدم، ويعقوب وأولاده بالسجود ليوسف، والولد بتعظيم الوالدين، وخفض جناح الذل لهما، وأمر بإطاعة الرسول وأولي الأمر منّا، وبالإثمار بأمره، والانتهاز عن نهيه، وعدم رفع أصواتنا فوق صوته، وأمر بتعظيم المساجد والكعبة والطواف بها، وتعظيم المقام والحجر الأسود، وبثّر زمزم والتبرك بمائه، وتعظيم الحرم.. إلى غير ذلك ممّا ورد في الشرع فلا بدّ حينئذٍ من التزام أحد أمرين: إما القول بأنّه ليس كلّ تعظيم عبادة وشركاً أو القول بأنّ الله أمر بالشرك وعبادة غيره، ولما كان الشرك قبيحاً، منهياً عنه، موجباً للخلود في نار جهنم، يغفر الله ما دونه من الذنوب ولا يغفره بنصّ القرآن الكريم؛ لم يمكن أن يأمر الله به، فتعيّن القول بأنّه ليس كلّ تعظيم عبادة موجبة للشرك.

السابع عشر: في حياة النبيّ | بعد موته، وأنّه يسمع الكلام، ويرد الجواب كما في حياته، غير أنّ الله تعالى حبس سمع الناس عن سماعه إلا قليلاً من الخواصّ، ولا بعد في ذلك بعد الإقرار بعموم قدرة الله تعالى، ولا ينافي ذلك إطلاق اسم الموت عليه، وأنّ الحياة إنّما هي وقت البعث، لإمكان الجمع بإرادة ارتباط الروح بهذا الجسد بنوع من الارتباط في البرزخ وعودها إليه عند البعث على الكيفية التي كانت قبل الموت، مع ما ورد من عدم فناء أجساد الأنبياء.

والحاصل إنّ ذلك أمر ممكن، فإذا ورد النصّ به وجب قبوله، وقد اعترف الوهابية بحياته | ففي الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية: (ونعتقد... أنّه حيّ في قبره حياة برزخية، أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها في التنزيل،

إذ هو أفضل منهم بلا ريب، وأنه يسمع سلام المسلم عليه^(١)، ومثله في الرسالة الخامسة إلا أنه زاد: (وأما الحياة التي تقتضي العلم والتصرف والحركة في التدبير فهي منفية عنه)^(٢) انتهى.

ونفيه العلم بعد تسليم الحياة وسماع الكلام تمحل بل تناقض. واعتذار صاحب المنار عنه في الحاشية بأن المنفي العلم بشؤون أهل الدنيا لا العلم بالله ونحوه تحكم وتمحل في تمحل، فالعلم لازم حياته |، والتفريق لا دليل عليه.

ومن النصوص الواردة في حياته وسماعه الكلام ما ذكره السهمودي في وفاء الوفاء قال: روى أبو داود بسند صحيح - كما قال السبكي - عنه | : **«ما من أحد يسلم عليّ إلا ردّ الله رuchi حتى أرد عليه السلام»**^(٣). قال: وقد صدر به البيهقي باب زيارة قبر النبي |، واعتمد عليه جماعة من الأئمة فيها، منهم الإمام أحمد، قال السبكي: وهو اعتماد صحيح، لتضمنه فضيلة ردّ النبي | وهي عظيمة.

١ - الهدية السنية والتحفة النجدية، الرسالة الثانية لمحمد بن عبد الوهاب: ٥١.

٢ - الهدية السنية والتحفة النجدية، الرسالة الخامسة، أحمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب: ١٤٩.

٣ - مسند أحمد ٢ : ٥٢٧، سنن أبي داود ١ : ٤٥٣، السنن الكبرى للبيهقي ٥ : ٢٤٥، مجمع الزوائد ١٠ : ١٦٢، فتح الباري ٦ : ٣٥٢ وقال : « رواه ثقات »، مسند ابن راهوية ١ : ٤٥٣، المعجم الأوسط ٣ : ٢٦٢، معرفة السنن والآثار ٤ : ٢٦٨، الجامع الصغير ٢ : ٥٠٦، نظم المتناثر من الحديث المتواتر: ١٢٧، وقال: (وغير ذلك مما يحصل من جملة القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غيَّبوا عنا بحيث لا ندركهم وإن كانوا موجودين أحياء، وذلك الحال في الملائكة فإنهم أحياء موجودين ولا نراهم)، رفع المنارة: ٥٤.

قال: وقال أبو عبد الرحمن المقرئ من أكابر شيوخ البخاري: هذا في الزيارة: «إذا زارني فسلم عليّ رد الله عليّ رuchi حتى أرد عليه»، وأما حديث: «أتاني ذلك فقال: يا محمد، أما يرضيك أن لا يصلي عليك أحد من أمّتك إلا صليت عليه عشرًا، ولا يسلم عليك إلا سلّمت عليه عشرًا»^(١)، فالظاهر أنّه في السلام المقصود به الدعاء كقول | .
قال: وذكر ابن قدامة الحديث من رواية أحمد بلفظ: «ما من أحد يسلم عليّ عند قبري»^(٢).

وروى البنائي وإسماعيل القاضي بسند صحيح عنه عليه السلام مرفوعاً: «إنّ لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغونني من أمّتي السلام»^(٣)، وجاءت أحاديث أخرى في عرض الملك لصلاة الأمة وسلامها على النبي صلى الله عليه وآله وهذا في حقّ الغائب.

أما الحاضر عند القبر فروى جماعة عن أبي هريرة عنه | : «من صلّى عليّ عند قبري سمعته ومن صلّى عليّ نائباً بلغته»^(٤)، وعن أبي هريرة

١ - مسند أحمد ٤: ٣٠، سنن الدارمي ٢: ٣١٧، سنن النسائي ٣: ٥٠، المستدرک للحاکم ٢: ٤٢٠ وصححه، مسند ابن المبارك ٣٣، المصنّف لابن أبي شيبة ٢: ٣٩٨، المعجم الكبير ٥: ١٠٠.

٢ - المغني لابن قدامة ٣: ٥٨٨، كشف القناع للبهوتي ٥: ٣٦، كنز العمال ١: ٤٩٨، رفع المنارة: ٥٤.

٣ - مسند أحمد ١: ٤٤١، سنن الدارمي ٢: ٣١٧، سنن الترمذي ٥: ٢٣٧، سنن النسائي ٣: ٤٣، المستدرک للحاکم ٢: ٤٢١ وصححه، مجمع الزوائد ٩: ٢٤ وقال: «رواه البزار ورجاله رجالاً لصحيح»، المصنّف للصنعاني ٢: ٢١٥، المصنّف لابن أبي شيبة ٢: ٣٩٩، مسند أبي يعلى الموصلي ٩: ١٣٧، صحيح ابن حبان ٣: ١٩٥، المعجم الكبير ١٠: ٣١٩، موارد الضمآن ٨: ٢٧.

٤ - فتح الباري ٦: ٣٥٢، شرح سنن النسائي للسيوطي ٤: ١١٠، عون المعبود ٦: ٢١، ميزان الاعتدال ٤: ٣٣، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢: ٧٩، شفاء السقام: ١٣٢.

عنه | : «من صلَّ عليَّ عند قبري وكَلَّ الله بها ملكاً يبلغني، وكُفِّي أمر آخرته، وكنت له شهيداً وشفيعاً»^(١)، وفي رواية: «ما من عبد يصلي عليَّ عند قبري إلَّا وكَلَّ الله بها ملكاً يبلغني، وكُفِّي أمر آخرته ودنياه، وكنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة»^(٢).

قال: وروى ابن النجار عن إبراهيم بن بشار قال: حججت في بعض السنين، فجئت المدينة فتقدمت إلى قبر رسول الله | فسلمت عليه، فسمعت من داخل الحجرة: وعليك السلام^(٣).

قال: ونقل مثل ذلك عن جماعة من الأولياء والصالحين. وقد قال | : «علمي بعد وفاتي كعلمي في حياتي» رواه الحافظ المنذري.

قال: وروى البزاز برجال الصحيح: «إنَّ لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أَمَتِي».

وقال | : «حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض عليَّ أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شرٍّ

١ - كنز العمال ١: ٤٩٨، الدر المنثور ١: ٢٣٧، شفاء السقام: ١٣٢.

٢ - مغني المحتاج ١: ٥١٢، إعانة الطالبين ٢: ٣٥٤، كنز العمال ١: ٤٩٨، تاريخ مدينة دمشق ٥٦: ٣٠٢، إمتاع الأسماع ١١: ٥٢، شفاء السقام: ١٣٢.

٣ - فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٢: ٦٠٨، شفاء السقام: ١٣٤، إمتاع الأسماع ١٤: ٦١٦، سبل الهدى والرشاد ١٢: ٣٥٧، تطهير الفؤاد: ٤٣.

استغفرت لكم»^(١).

أقول: قال القسطلاني في إرشاد الساري شرح صحيح البخاري ما لفظه: (وفي حديث ابن مسعود عن البزار بإسناد جيد رفعه: حياتي خير لكم، ووفاتي خير لكم، تعرض عليّ أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شرّ استغفرت لكم^(٢))^(٣) انتهى .

إلى أن قال السمهودي: (وقصة سعيد بن المسيب في سماعه الأذان والإقامة من القبر الشريف أيام الحرة مشهورة^(٤))، ثم ذكر الحديث الذي فيه قول خالد

١ - وفاء الوفاء بأخبار المصطفى ٤: ١٣٤٩ - ١٣٥٣ الفصل الثاني (في بقية أدلة الزيارة وإن لم تتضمن لفظ الزيارة نصاً). وقد نقل المؤلف العبارة بتقطيع وتقديم وتأخير مع إدراج بعض الكلمات منه، ويمكن الرجوع إلى الحديث في المصادر التالية: مسند الحارث ٢: ٨٨٤، فضل الصلاة على النبي ١: ٣٨، مجمع الزوائد ٨: ٥٩٤ وقال: (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح)، ← كشف الخفاء ومزيل الإلتباس ٢: ١٥٧، أهوال القبور ١: ١٥٠، البداية والنهاية ٥: ٢٧٥، روح المعاني ١٤: ٢١٢، الطبقات الكبرى ٢: ١٩٤.

٢ - إرشاد الساري شرح صحيح البخاري ٦: ٣٤٥.

٣ - والحديث في: مسند البزار ٥: ٣٠٨، مجمع الزوائد وقال: (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح)، بغية الباحث عن مسند الحارث ٢: ٨٨٤، طرح الثريب في شرح التقريب ٣: ٢٧٥، الفردوس بمأثور الخطاب ١: ١٨٣، البداية والنهاية ٥: ٢٩٦، الإغاثة ١: ١١، رفع المنارة ٤: ٦٤، الخصائص الكبرى للسيوطي ٢: ٢٨١ وصححه، أهوال القبور ١: ١٥٠.

٤ - أخرج أبو نعيم في دلائل النبوة عن سعيد بن المسيب قال: (لقد كنت في مسجد رسول الله | فما يأتي وقت صلاة إلا سمعت الأذان من القبر)، وهو في تاريخ الإسلام ٦: ٣٧٥، إمتاع الأسماع ١٤: ٦١٥، كرامات الأولياء ١: ١٦٦، سبل الهدى والرشاد ١٢: ٣٧٥، شرح الصدور ١: ٢٠٩.

ابن الوليد بن الحكم بن العاص على منبر رسول الله | يوم الجمعة: لقد استعمل رسول الله | عليّ بن أبي طالب وهو يعلم أنه خائن، لكن شفعت فيه ابنته فاطمة، وخروج كفّ من قبر رسول الله |، وهو يقول: كذبت يا عدو الله، كذبت يا كافر مراراً^(١) انتهى وفاء الوفاء.

الثامن عشر: في حياة جميع الأنبياء والشهداء:

وفي وفاء الوفاء: (لا شك في حياته ﷺ بعد وفاته، وكذا سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أحياء في قبورهم، حياة أكمل من حياة الشهداء التي أخبر الله تعالى بها في كتابه العزيز، ونبينا | سيّد الشهداء، وأعمال الشهداء في ميزانه.

إلى أن قال: روى ابن عدي في كامله عن ثابت عن أنس عنه ﷺ: «الأنبياء أحياء في قبورهم...»^(٢). ورواه أبو يعلى برجال ثقات، ورواه

وأخرج ابن سعد في الطبقات ٥: ١٣٢ عن سعيد بن المسيب: (أنّه كان يلازم المسجد أيام الحرة، فإذا جاء الصبح سمع أذاناً من القبر الشريف)، وهو في سير أعلام النبلاء ٤: ٢٢٩، السيرة الحلبية ١: ٢٦٩. وأخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن سعيد بن المسيب: (لم أزل أسمع الأذان والإقامة من قبر رسول الله | أيام الحرة حتّى عاد الناس)، وهو في سبل الهدى والرشاد ١٢: ٣٥٧.

وأخرج الدارمي في سننه ١: ٤٤ عن سعيد بن المسيب قال: (أنّه كان يعرف وقت الصلاة بهمهمة تخرج من القبر)، وهو في إمتاع الأسماع ١٤: ٦١٥، سبل الهدى والرشاد ١٢: ٣٥٧.

١ - وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ٤: ١٣٥٥ - ١٣٥٦.

٢ - مسند أبي يعلى ٦: ١٤٧، حواشي الشرواني ٤: ١٤٥، تلخيص الحبير ٥: ١٩٨، نيل الأوطار ٣: ٣٠٥ وقال: (رواه المنذري وصححه البيهقي)، أحكام الجنائز للألباني ٢١٣ وقال:

البیهقي وصححه، ثمّ أورد حديث الأنبياء لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة، ولكن يصلّون بين يدي الله.

وقال: في سنده سيء الحفظ، ثمّ نقل عن البیهقي تأويله بإرادة لا يتركون يصلّون إلّا هذا المقدّر، قال البیهقي: ولحياة الأنبياء بعد موتهم شواهد من الأحاديث الصحيحة. ثمّ ذكر حديث: «مررت بموسى وهو قائم يصلّي في قبره» وغيره من أحاديث لقاء النبي ﷺ الأنبياء وصلاته بهم وغيرها، ثمّ ذكر حديث: «أكثرُوا عليّ من الصلاة يوم الجمعة فإنّ صلاتكم معروضة عليّ».

قالوا: وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت - يعني بليت -؟

فقال: إنّ الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»^(١) أخرجه أبو داود، وابن ماجّة، وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه، وذكر البیهقي له شواهد.

وروى ابن ماجّة بإسناد جيد: «أكثرُوا الصلاة عليّ يوم الجمعة، فإنّه مشهود تشهده الملائكة، وإنّ أحد لا يصلّي عليّ إلّا عرضت عليّ صلاته حين يفرغ منها».

(أخرجه أبو يعلى الموصلي بإسناد جيد، وقد خرجته في الأحاديث الصحيحة ٦٢٢)، مجمع الزوائد ٨: ٢١١ وقال: (رواه أبو يعلى والبزار ورجال أبي يعلى ثقات)، فتح الباري ٦: ٣٥٢.

١ - مسند أحمد ٤: ٨، سنن الدارمي ١: ٣٦٩، سنن ابن ماجّة ١: ٣٤٥، سنن أبي داود ١: ٢٣٦، سنن النسائي ٣: ٩١، المستدرک للحاكم ١: ٢٧٨ وصححه، السنن الكبرى للبیهقي ٣: ٢٤٩، فتح الباري ٦: ٣٥٢، المصنّف لابن أبي شيبة ٢: ٣٩٨، السنن الكبرى للنسائي ١: ٥١٩، صحيح ابن خزيمة ٣: ١١٨، صحيح ابن حبان ٣: ١٩١، المعجم الكبير ١: ٢١٧، موارد الضمآن ٢: ٢٧٢، الجامع الصغير ١: ٣٨٠، إرواء الغلیل ١: ٣٤.

قلت: وبعد الموت؟

قال: وبعد الموت، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ.

فنبى الله حيّ يرزق» هذا لفظ ابن ماجة^(١).

وقال السندي في الحاشية: (هذا لا ينبغي أن يشك فيه، فقد جاء مثله في حق الشهداء، فكيف الأنبياء وقد جاء في حياة الأنبياء أحاديث من جملتها أنه ﷺ رأى موسى يصلي في قبره وغير ذلك)^(٢). انتهى.

وبمعنى ذلك أحاديث عديدة رواها السيوطي في الخصائص الكبرى^(٣)، والحافظ أبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة كما حكي عنها.

ويكفي في حياة الشهداء قوله تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} ^(٤).

وفي وفاء الوفاء: (قال البيهقي في كتاب الاعتقاد: الأنبياء بعدما قبضوا ردت إليهم أرواحهم، فهم أحياء عند ربهم كالشهداء، وقد رأى نبينا | ليلة المعراج جماعة منهم)^(٥) انتهى.

١ - سنن ابن ماجة: ١: ٥٢٤، كشف الخفاء ومزيل الإلتباس ١: ١٦٧، نيل الأوطار ٣: ٣٠٤، تفسير ابن كثير ٣: ٥٢٢، البداية والنهاية ٥: ٢٩٧، وكل ما تقدّم في وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ٤: ١٣٥٢-١٣٥٣.

٢ - غير موجود في حاشية السندي على سنن النسائي، وموجود قريب منه في عون المعبود شرح سنن أبي داود ٣: ٢٦١، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ٤: ١٣٥٢-١٣٥٣.

٣ - الخصائص الكبرى ٢: ٢٧٩، باب اختصاصه ﷺ بعدم بلاء جسده.

٤ - سورة آل عمران: ١٦٩.

٥ - الاعتقاد: ١٧٣، وعنه السهودي في وفاء الوفاء ٤: ١٣٥٤.

التاسع عشر: في حياة سائر الموتى:

في وفاء الوفاء: (روى عبد الحق في الأحكام الصغرى وقال: إسناده صحيح، عن ابن عباس عنه عليه السلام: «ما من أحدٍ يمرّ بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام»^(١)، ورواه ابن عبد البر وصححه كما نقله ابن تيمية، لكن بلفظ: «ما من رجل يمرّ قبر الرجل كان

وقال ملا علي القاري في مرقاة المفاتيح ٣: ٤١٥: (وصح خبر: الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون . قال البيهقي : وحلولهم في أوقات مختلفة في أماكن متعددة جائز عقلاً، كما ورد به خبر الصادق (حي) أي دائماً، (يرزق) رزقاً معنوياً، فإن الله تعالى قال في حق الشهداء من أمته: {يَلْأَلُ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} فكيف سيدهم بل رئيسهم، لأنه حصل له أيضاً مرتبة الشهادة مع زيد السعادة بأكل الشاة المسمومة...».

وقال الشوكاني في نيل الأوطار ٣: ٣٠٥: «وقد صح عن ابن عباس مرفوعاً: «ما من أحد يمر على قبر أخيه المؤمن وفي روايته: بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه»، ولابن أبي الدنيا: «إذا مرّ الرجل بقبر يعرفه فيسلم عليه رد عليه السلام وعرفه، وإذا مرّ بقبر لا يعرفه رد عليه السلام».

←

→ وصح أنه كان يخرج إلى البقيع لزيارة الموتى ويسلم عليهم، وورد النص في كتاب الله في حق الشهداء أنهم أحياء يرزقون، وأن الحياة فيهم متعلقة بالجسد فكيف بالأنبياء والمرسلين؟! وقد ثبت في الحديث أن الأنبياء أحياء في قبورهم. رواه المنذري وصححه البيهقي».

١ - عمدة القارئ ٨: ٦٩ قال: (وعند ابن عبد البر بسند صحيح...) وذكره، عون المعبود ٣: ٢٦١، الاستذكار لابن عبد البر ١: ١٨٥، فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٥: ٦٢٢ قال: (وأفاد الحافظ العراقي أن ابن عبد البر خرّجه في التمهيد والاستذكار بإسناد صحيح من حديث ابن عباس وممن صحّحه عبد الحق بلفظ) وذكره، الإغاثة للسقاف: ٩، تفسير الآلوسي ١٥: ١٦٣، أضواء البيان ٦: ١٣٦، شفاء السقام: ١٩١، تطهير الفؤاد: ٧٣.

يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام». ومن حديث عائشة: «ما من رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده إلا استأنس به حتى يقوم»، وروي ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة: «إذا مرّ الرجل بقبر يعرفه فسلم عليه ردّ عليه السلام وعرفه، وإذا مرّ بقبر لا يعرفه فسلم عليه ردّ عليه

١١ - ٢١ - »

١ - وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ٤: ١٣٥١، الفصل الثاني (في بقية أدلة الزيارة وإن لم تتضمن لفظ الزيارة نصاً).

المقدمة الثانية

في شبه الوهابيين بالخوارج وذلك من عدّة وجوه:
أولاً: كما أنّ الخوارج^(١) شعارهم (لا حكم إلّا لله)، وهي كلمة حقّ يراد

١ - الخوارج هم: الذين يكفرون بالمعاصي، ويخرجون على أئمة المسلمين. أوّل ما ظهرت هذه الفرقة بعد التحكيم الذي جرى بين الإمام عليّ عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان، فرفضت التحكيم بعدما أرادت وأعلنت تكفير عليّ عليه السلام ومبايعة عبد الله بن وهب الراسبي، وهو أوّل افتراق رسمي في الأمة الإسلامية، ومن ذلك الحين بدأ ظهور هذه الفرقة ونشوء عقائد خاصّة بها. وقد لقب الخوارج بعدة أوصاف أو أطلق عليهم عدّة أسماء:

١ - الخوارج. ٢ - المحكّمة. ٣ - الحرورية. ٤ - أهل النهروان. ٥ - الشراة. ٦ - المارقة. ٧ - المكفّرة. ٨ - السبئية. ٩ - الناصبة.

ومن عقائدهم: تكفير عليّ عليه السلام، وتكفير مرتكب الكبيرة إلّا فرقة النجدة منهم، وأنّ الله سبحانه وتعالى يعذب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً، والخروج على الحكام واعتقاد كفرهم، وكذلك تكفير جماعات المسلمين ما لم يهاجروا إليهم، وصرف النصوص الآمرة بالمعروف والناهيّة عن المنكر إلى خصوص حكام المسلمين، وأنّ الخليفة لا بدّ أن ينتخب من عامّة المسلمين، وأنّ الخلافة ليست محصورة في قريش، ومع أمن الناس لا حاجة إلى قيام خليفة كما يقول النجدة بذلك. فرق الخوارج: اختلف الخوارج إلى عدّة فرق وهي كما يلي:

- ١ - الأزارقة: أتباع نافع بن الأزرق، كان من بني حنيفة، وكان قوي الشكيمة والعزم، قتل على يد الأمويين وتولّى نافع بن عبيد الله مكانه، ومن عقائدهم:
 - أ - تكفير غيرهم من المسلمين وأنهم مخلدون في النار.
 - ب - أنّ المخالف لهم يكون حريماً مباح الدم.
 - ج - أنّ أطفال المخالفين مخلدون في النار تبعاً لأبائهم.
 - د - لا يرون حداً للرجم ويؤمنون بالجلد فقط.

بها باطل، كما قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام^(١). كلمة حقّ لمطابقتها قوله تعالى:

→ هـ - يجوز على الأنبياء إرتكاب الكبائر والصغائر.

٢ - النجدات: أتباع نجدة بن عويمر. خالفوا الأزارقة في عدة أمور: فهم لا يكفرون قعدة الخوارج، ولا يرون إقامة الإمام واجبة شرعاً، ويؤمنون بمبدأ التقية.

٣ - الصفريّة: وهم أتباع زياد بن الأصفر، وقد خالفوا الأزارقة في تخليد مرتكب الكبيرة فالأزارقة يرونه خالداً في النار فضلاً عن كفره، بينما الصفريّة لا يرون شركه، ولا يرون دار المخالفين دار حرب، ولا يجوزون سبي النساء والأطفال.

٤ - العجاردة: هم أتباع عبد الكريم بن عجرد، ومن عقائدهم أنّهم يرون أنّ قعدة الخوارج المتقين منهم، ولا يرون وجوب الهجرة من دار المخالفين، ولا يستبيحون أموال غيرهم.

٥ - الأباضية: وهم أتباع عبد الله بن إباح، ويعدون من معتدلة الخوارج. ومن عقائدهم: أ - أنّ مخالفهم ليسوا مشركين ولا مؤمنين، بل هم كفار نعمة، لأنّهم لم يكفروا بالله وإنّما قصّروا في حقّ الله تعالى.

ب - تحريم دماء مخالفهم، ودارهم دار إسلام.

ج - لا يستحلون من غنيمة المسلمين إلّا ما حواه العسكر من خيل وسلاح دون الذهب والفضة.

د - تجوز شهادة المخالف ومناكحته ويرث ويورث.

ومن شاء الاطلاع عليه بمراجعة: الفرق بين الفرق للبغدادي : ٥٠، مقالات الإسلاميين للأشعري: ٨٦، تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة: ٥٨، الخوارج أو الفرق في تاريخ الإسلام لعبد الكريم العقل، الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية للعوادي، الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي للفرد بل : ١٤٠.

١ - نهج البلاغة بشرح محمّد عبده ١: ٩١ خطبة ٤٠ و ٤: ٤٥ باب المختار من حكم أمير المؤمنين رقم ١٩٨.

{إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ} ^(١)، يراد بها باطل، وهو أنه لا إمارة لأحدٍ، ولا يجوز التحكيم في الأمور الدينية، وفرّعوا عليه أن التحكيم الذي كان بصفين كان معصية وكفراً، مع أن التحكيم قد جاء في الشرع بقوله تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا} ^(٢) وقال تعالى في جزاء الصيد: {يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ} ^(٣).

كذلك الوهابيون شعارهم لا دعاء إلا لله، لا شفاعة إلا لله، لا توسل إلا بالله، لا استغاثة إلا بالله، ونحو ذلك كلمات حق يراد بها باطل. كلمات حق لأن المدعو والمتوسل به حقيقة لدفع الضرر وجلب النفع والمغيث الحقيقي ومالك أمر الشفاعة هو الله.

يراد بها باطل وهو: منع تعظيم من عظمه الله بدعائه والتوسل به، ليشفع عند الله تعالى ويدعوه لنا، وعدم جواز التشفع والاستغاثة والتوسل بمن جعله الله شافعاً مغيثاً، وجعل له الوسيلة كما يبين في محله.

وهي كجملته من كلماتهم المزخرفة كقولهم لمن يقول: يا محمد، ويا فلان، ويا فلان، هل الله أعطاك القوة أو محمد ﷺ؟

فلا بد أن يقول: الله، فيقولون له: لم لا تدعو الله، وتدعو محمداً؟ وهذا تمويه وتضليل يراد به باطل، إذ لا يوجد أحد يعتقد أن محمداً ﷺ أو غيره بيده الأمر أصالة، وإنما هو التوسل وطلب الشفاعة ممن له الوسيلة والشفاعة.

وإعتراضهم هذا يرجع إلى الإعتراض على الله الذي جعل الشفاعة

١ - سورة الأنعام: ٥٧ وسورة يوسف: ٤٠ و ٦٧.

٢ - سورة النساء: ٣٥.

٣ - سورة المائدة: ٩٥.

لمحمد ﷺ، وإلا فمتى جعلها له فعلينا أن نطلبها منه.

ولو صحَّ إعتراضهم هذا لتوجه على من يسأل الدعاء من الغير فيقال له: الله الذي يجيب دعائك أو أخوك المؤمن؟ فلا بد أن يقول: الله.

فيقال له: لم لا تدعو الله وتطلب من أخيك أن يدعو لك؟

وكقولهم لمن يقبل ضريح النبي ﷺ أو المنبر الموضوع في مسجده وفي مكان منبره: إنما تقبل حديداً أو خشباً جيء من بلاد الإفرنج! ولم يعلموا أنه كما يحترم جلد الشاة بعمله جلدًا للمصحف، والورق والمداد بكتابة المصحف عليه وبه، كذلك يحترم الحديد والخشب الذي وضع على قبر النبي ﷺ أو في مسجده وفي مكان منبره، ومرّ بيانه في الأمر الخامس عشر من المقدمة الثانية.

ثانياً: كما أنّ الخوارج متصلّبون في الدين مواظبون على الصلوات وتلاوة القرآن والعبادة حتّى أسودت جباههم من طول السجود طالبون للحقّ كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تقتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحقّ فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه»^(١)، متورعون عن المحارم، حتّى بلغ من تورعهم أنّ إنساناً منهم ضرب خنزيراً برياً بسيفه فقالوا: هذا فساد في الأرض! والتقط أحدهم ثمرة من الطريق فوضعها في فمه فبادر آخر وطرحها من فمه، كذلك الوهابيون متصلّبون في الدين، يؤدون الصلاة لأوقاتها، ويواظبون على العبادة، ويطلبون الحقّ وإن أخطأوه، ويتورعون عن المحرّمات حتّى بلغ من تورعهم أنّهم توقفوا في استعمال (التلغراف) كما يأتي في الخاتمة.

وقد رأيت نجدياً يصرف المجيديّات الجديدة بالقدّيمة بتفاوت، فأراد

١ - نهج البلاغة بشرح محمد عبده ١: ١٠٨.

رجل أن يعطيه قديماً وزيادة بجديد، فقال على الفور: لا هذا ربا! وكان معه دلال يهودي ، فلما فارقه قال له اليهودي: أدع لنا، فقال : الله يهديك، والتفت إليّ وقال: هذا يهودي.

ثالثاً: كما أنّ الخوارج كفّروا من عداهم من المسلمين، وقالوا: إنّ مرتكب الكبيرة كافر مخلّد في النار، واستحلوا دماءهم وأموالهم وسبي ذراريهم، وقالوا: إنّ دار الإسلام تصير بظهور الكبائر فيها دار كفر، حتّى إنّهم قتلوا

عبد الله بن خباب^(١)، أحد أصحاب رسول الله ﷺ صائماً في شهر رمضان،

١ - عبد الله بن خباب بن الأرت: ذكره غير واحد من علماء الحديث والتراجم، واختلفوا في مولده، فبعض ذكر ولادته قبل زمن النبي ﷺ ، وبعض نصّ على ولادته في زمنه ﷺ ، وروى عنه، وكان موصوفاً بالخير والصلاح والإيمان ، انضمّ إلى الإمام عليّ عليه السلام في حروبه، وصار من أنصاره ، ففي أنساب الأشراف : ٣٦٧ بسنده قال: «وكان الخوارج الذين قدموا من البصرة مع مسمع ابن فذكي استعرضوا الناس في طريقهم ، فإذا هم برجل يسوق بامرأته على حمار له، فدعوه وانتهره ورعبه وقالوا له: من أنت؟

فقال: رجل مؤمن.

قالوا: فما اسمك؟

قال: أنا عبد الله بن خباب بن الأرت صاحب رسول الله ﷺ ، فكفوا عنه، ثمّ قالوا له: ما تقول في عليّ؟

قال: أقول: إنّهُ أمير المؤمنين ، وإمام المسلمين، وقد حدّثني أبي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: ستكون فتنة يموت فيها قلب الرجل فيصبح مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً».

والقرآن في عنقه، وقتلوا زوجته وهي حبلى، وبقروا بطنها، لأنه لم يتبرأ من عليّ بن أبي طالب وقالوا له: (هذا الذي في عنقك يأمرنا بقتلك)^(١)، فذبحوه على شاطئ النهر حتى سال دمه في النهر.

وكانوا إذا أسروا نساء المسلمين يبيعونهن فيما بينهم، حتى إنهم تزايدوا في بعض الوقائع على امرأة جميلة وغالوا في ثمنها فقام بعضهم فقتلها وقال: إن

فقالوا: والله لنقتلنك قتلة ما قتلها أحد، وأخذوه فكتفوه، ثم أقبلوا به وبامراته وهي حبلى متم حتى نزلوا تحت نخل موافير، فسقطت رطبة ففقدوها بعضهم في فيه، فقال له رجل منهم: أبغير حلها ولا ثمن لها؟ ←

→ فألقاها من فيه واختلط سيفه وجعل يهزه، فمر به خنزير لذمي فقتله بسيفه، فقال بعض أصحابه: إن هذا لمن الفساد في الأرض، فطلب صاحب الخنزير حتى أرضاه، فقال ابن خباب: لئن كنتم صادقين فيما أرى وأسمع إنني لآمن شركم. فقال: فجأؤوا به فأضجعوه على شفير نهر، وألقوه على الخنزير المقتول فذبحوه عليه، وصار دمه مثل الشراك قد امزق في الماء، وأخذوا امرأته فبقروا بطنها وهي تقول: أما تتقون الله؟ وقتلوا ثلاث نسوة كن معها).

والخبر باختلاف الألفاظ والزيادة والنقصنة تجده في: المعجم الكبير ٤: ٦٠، أسد الغابة ٣: ١٥٠، تاريخ الطبري ٤: ٦١، الكامل في التاريخ ٣: ٣٤٢، تاريخ الإسلام ٣: ٥٨٨. وارجع إلى ترجمة عبد الله بن خباب في المصادر التالية: الطبقات الكبرى ٥: ٢٤٦، التاريخ الصغير ١: ١١٤، معرفة الثقات ٢: ٢٦، الأخبار الطوال: ٢٠٧، الثقات ٥: ١١، تاريخ بغداد ١: ٢١٩، أسد الغابة ٣: ١٥، تهذيب الكمال ١٤: ٤٤٧، الكاشف ١: ٥٤٨، الإصابة لابن حجر ٤: ٦٤، تهذيب التهذيب ٥: ١٧٢، تقريب التهذيب ١: ٤٨٨، المعارف: ٣١٧.

١ - شجرة طوبى ٢: ٣٥، أعيان الشيعة ١: ٥٢٢.

هذه الكافرة كادت تقع فتنة بسببها بين المسلمين^(١)، وقالوا للحسن بن عليّ يوم ساباط المدائن: أشركت يا حسن كما أشرك أبوك^(٢).

كذلك الوهابيون حكموا بشرك من خالف معتقدهم من المسلمين، واستحلوا ماله ودمه، وبعضهم استحل سبي الذرية كما سيأتي في الباب الأوّل، ولم يخاطبوه إلّا بقولهم: يا مشرك! وجعلوا دار الإسلام دار حرب، ودارهم دار إيمان تجب الهجرة إليها، وحكموا بقتال تارك الفرض وإن لم يكن مستحلّاً كما في الرسالة الثالثة من رسائل الهدية السنية، ونقلوه فيها أيضاً عن ابن تيمية^(٣).

قال سليمان بن عبد الوهاب - على ما حكى عنه في رسالته في الردّ على أخيه محمّد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة الوهابية - : (قال ابن القيم: الخوارج لهم خاصيتان مشهورتان فارقوا بهما جماعة المسلمين وأئمتهم **إحداهما**: خروجهم عن السنّة وجعلهم ما ليس بسنة سنة ، **والثانية**: أنّهم يكفّرون بالذنوب والسيئات ، ويترتب على ذلك استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وأنّ دار الإسلام دار الحرب، ودارهم دار الإيمان.. فينبغي للمسلم أن يحذر من هذين الأصلين الخبيثين وما يتولد عنهما من بغض المسلمين وذمهم ولعنهم واستحلال دمائهم وأموالهم. وعامة البدع إنّما تنشأ من هذين الأصلين)^(٤).

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢٨١.

٢ - مقاتل الطالبين: ٤١، كشف الغمّة ٢: ١٦٣، الفصول المهمّة في معرفة الأئمة ٢: ٧٢٢.

٣ - الهدية السنية والتحفة النجدية، الرسالة الثالثة المسماة بالفواكه العذاب: ٨٤ - ١١١.

٤ - الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية: ٢٢، فصل الخطاب: ٦١.

وهذا الذي ذكره بعينه موجود في الوهاية.

رابعاً: كما أنّ الخوارج استندوا في شبهتهم هذه إلى ظواهر بعض الآيات والأدلة التي زعموها دالة على أنّ كلّ كبيرة كفر، كذلك الوهابيون استندوا في هذه الشبهة إلى ظواهر بعض الآيات والأدلة التي توهموها دالة على أنّ الاستغاثة والاستعانة بغير الله شرك، وعلى غير ذلك من معتقداتهم كما يظهر من استشاداتهم بالآيات التي لا دلالة فيها على معتقداتهم عند نقلنا لها، وسيأتي في الأمر العاشر عدّة روايات تشير إلى ذلك.

خامساً: كما أنّ الخوارج استحلّوا قتال ملوك الإسلام والخروج عليهم لأنّهم باعتقادهم أئمة ضلال، كذلك الوهابيون استحلّوا قتال ملوك الإسلام وأمرائهم لأنّهم باعتقادهم أئمة ضلال ناصرون للشرك والبدع.

سادساً: كما أنّ الخوارج لا يبالون بالموت ويقدمون على الحرب لأنّهم رائحون بزعمهم إلى الجنّة، حتّى إنّ بعضهم طعن برمح فمشى والرمح فيه إلى طاعنه، فقتله وهو يتلو: {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى} (١) كذلك الوهابيون يظهرون بسالة وإقداماً، لا يبالون بالموت لأنّهم بزعمهم رائحون إلى الجنّة، ويقولون في حروبهم مع المسلمين.

هَبَّتْ هُبُوبُ الْجَنَّةِ وَأَيْنَ أَنْتَ يَا بَاغِيهَا

سابعاً: كما أنّ الخوارج على جانب من الجمود والغباوة، فبينما هم يتورعون عن أكل ثمرة ملقاة في الطريق، ويرون قتل الخنزير الشارد في البر فساداً في الأرض، تراهم يرون قتل الصحابي الصائم وفي عنقه القرآن طاعة لله تعالى، ويكفّرون جميع المسلمين، ويرون كلّ كبيرة كفراً، ولقيهم قوم مسلمون فسألوهم: من أنتم؟ وكان فيهم رجل ذو فطنة فقال: اتركوا الجواب

لي، قال: نحن قوم من أهل الكتاب استجرنا بكم حتى نسمع كلام الله، ثم تبلغونا مأمنا! فقالوا: لا تخفروا ذمة نبيكم، فأسمعوهم شيئاً من القرآن، وارسلوا معهم من يوصلهم إلى مأمهم^(١)، وقالوا لعبد الله بن خباب الصحابي: ما تقول في علي بن أبي طالب؟ فأثنى خيراً.

فقالوا: إنك ممن يتبع الرجال على أسمائها، وفعلوا معه ما تقدم^(٢).

كذلك الوهابيون على جانب من الجمود، فبينما هم يحرمون الترحيم والتذكير، لأنه بزعمهم بدعة وأمثال ذلك، ويتوقفون في التلغراف، لعدم وقوفهم على نص فيه، ويحرمون التدخين ويعاقبون عليه؛ تراهم يكفرون المسلمين ويشركونهم، ويستحلون أموالهم ودماءهم، ويقاثلونهم بالبنادق والمدافع، لطلبهم الشفاعة ممن جعل الله له الشفاعة، وتوسلهم بمن له عند الله الوسيلة^(٣).

ثامناً: كما أن الخوارج قال بمقالتهم جماعة ممن ينسب إلى العلم، لظهورهم بمظهر مقاومة أئمة الضلال، ورفع الظلم الذي لاشك أنه كان موجوداً في الجملة، وأنه لا حكم إلا لله الكلمة التي قال عنها أمير المؤمنين علي عليه السلام أنها كلمة حق يراد بها باطل كما مر، كذلك الوهابيون قال بمقالتهم جماعة ممن ينسب إلى العلم، لظهورهم بمظهر رفع البدع التي لاشك في وجودها في الجملة، وأنه لا عبادة ولا شفاعة إلا لله، ولا استعانة ولا استغاثة إلا بالله. وهذه كتلك كلمة حق يراد بها باطل كما عرفت وستعرف.

تسعاً: كما أن الخوارج قال فيهم رسول الله ﷺ: «يمرقون من الدين

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢٨١، الأماشي للسيد المرتضى: ١١٧.

٢ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢٨٢.

٣ - الهدية السنية والتحفة النجدية، الرسالة الثانية: ٤٣ - ٦١.

كما يمرق السهم من الرمية»^(١)، وفي رواية: «يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية»^(٢)، كذلك الوهابيون أشار إليهم

رسول الله ﷺ

بما رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده بإسناده عن ابن عمر أن النبي ﷺ

قال: «اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا. قالوا: وفي نجدنا؟

قال: اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا.

قالوا: وفي نجدنا؟

قال: هنالك الزلازل والفتن منها، أو قال: بها يطلع قرن الشيطان»^(٣).

وأخرج البخاري في كتاب الفتن عن ابن عمر: «ذكر النبي ﷺ: اللهم

بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا.

١ - مسند أحمد ١: ٨٨، صحيح البخاري ٤: ١٠٨ كتاب بدء الخلق، صحيح مسلم ٣: ١١١ باب ذكر الخوارج وصفاتهم، سنن ابن ماجه ١: ٦٠، سنن أبي داود ٢: ٤٢٨، سنن الترمذي ٣: ٣٢٦، سنن النسائي ٧: ١١٨، المستدرک للحاکم ٢: ١٤٦، السنن الكبرى للبيهقي ٣: ٢٢٥، مجمع الزوائد ٥: ١٨٨، مسند أبي داود الطيالسي ٢٤، المصنّف للصنعاني ١٠: ١٥٧، مسند الحميدي ٢: ٣٣٠.

٢ - مسند أحمد ٢: ٢١٩ و ٣: ٣٣، فتح الباري ١٢: ٢٥٦، كتاب السنة ٤٤٠ وصححه الشيخ الألباني، الدرر ٢٣٤، مجمع الزوائد ٢: ١٥٥ و ٦: ٢٢٨، تاريخ الطبري ٢: ٣٦٠، الكامل في التاريخ ٢: ٢٧١، البداية والنهاية ٤: ٤١٦.

٣ - مسند أحمد ٢: ١١٨، صحيح البخاري ٢: ٣٣ كتاب الكسوف، سنن الترمذي ٥: ٣٩٠، صحيح ابن حبان ١٦: ٣٩٠، الاستذكار لابن عبد البر ٨: ٢٢١، التمهيد لابن عبد البر ١: ٢٧٩، تذكرة الحفاظ ٣: ٨٣٦ وقال: «هذا حديث صحيح غريب».

قالوا: يارسول الله، وفي نجدنا؟

فاظنه قال في الثالثة: هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان»^(١).

وأخرجه الترمذي في المناقب.

وأخرج أحمد في مسند عبد الله بن عمر، ومسلم في صحيحه قول النبي ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول: «رأس الكفر من ها هنا، من حيث يطلع قرن الشيطان»^(٢).

وأخرج البخاري في كتاب الفتن، في باب قوله ﷺ: (الفتنة من قبل المشرق)، عن ابن عمر أنه ﷺ قام إلى جنب المنبر فقال: «الفتنة ها هنا، الفتنة ها هنا، من حيث يطلع قرن الشيطان أو قال قرن الشمس»^(٣).

وأخرج البخاري عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول: «ألا إن الفتنة ها هنا، من حيث يطلع قرن الشيطان»^(٤).

وأخرج مالك في الموطأ عن ابن عمر رأيت رسول الله ﷺ يشير إلى

١ - صحيح البخاري ٨: ٩٥ كتاب الفتن، سنن الترمذي ٥: ٣٨٩ وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه...»، الاستذكار ٨: ٢٢١، التمهيد ١: ٢٧٩.

٢ - مسند أحمد ٢: ٢٣، صحيح مسلم ٨: ١٨١، باب الفتنة من المشرق، مسند ابن راهويه ١: ٤٠٦، كنز العمال ١١: ١١٩.

٣ - صحيح البخاري ٨: ٩٥ كتاب الفتن، سنن الترمذي ٣: ٣٦٢ وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، المصنف للصنعاني ١١: ٤٦٣.

٤ - مسند أحمد ٢: ٩٢، صحيح البخاري ٨: ٩٥ كتاب الفتن، صحيح مسلم ٨: ١٨٠ باب الفتنة من المشرق، مسند الشاميين ٤: ١٤٥، المعجم الأوسط ١: ١٢٢، طبقات المحدثين بإصبهان ٤: ١٠٧، ذيل تاريخ بغداد ٥: ١١٥.

المشرق ويقول: «ها إنَّ الفتنة ها هنا ، إنَّ الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان»^(١)، وفي القاموس: (قرن الشيطان وقرناه : أُمته والمتبعون لرأيه، أو قوته وانتشاره، أو تسلطه)^(٢) انتهى.

وقال القسطلاني: (إنَّ الشيطان يقرن رأسه بالشمس عند طلوعها لتقع سجدة عبدتها له)^(٣) انتهى.

وأخرج مسلم في صحيحه قوله ﷺ: «رأس الكفر نحو المشرق»^(٤) وفي رواية: «الإيمان يمان والكفر قبل المشرق»^(٥)، وفي رواية: «غلظ

١ - موطأ مالك ٢: ٩٧٥، مسند أحمد ٢: ٤٠، صحيح البخاري ٤: ٩٣، كتاب بدء الخلق ، المعجم الأوسط ١: ١٢٢، مسند الشاميين ٤: ١٤٥، صحيح ابن حبان ١٥: ٢٤، البداية والنهاية ١: ٦٧، صحيح ابن حبان ١٥: ٢٤، الاستذكار ٨: ٥١٩، التمهيد لابن عبد البر ١٧: ١١.

٢ - القاموس المحيط ٤: ٢٥٨ مادة (قرن)، تاج العروس ١٨: ٤٤٦ مادة (قرن).

٣ - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ١٥: ٤٦، فتح الباري ١٣: ٣٩ لكن فيه: «ليقع سجود عبدتها لها»، ونحوه في تأويل مختلف الحديث: ١١٩.

٤ - صحيح مسلم ١: ٥٢، باب تفاضل أهل الإيمان، الأدب المفرد: ١٢٦، الموطأ ٢: ٩٧٠، مسند أحمد ٢: ٤١٨، صحيح البخاري ٤: ٩٧، مسند أبي يعلى ١١: ٢٢٦، الجامع الصغير ٢: ٣، الاستذكار لابن عبد البر ٨: ٤٩٨، التمهيد ١٨: ١٤٢.

٥ - صحيح مسلم ١: ٥٢، باب تفاضل أهل الإيمان ، مسند أحمد ٢: ٣٧٢ و ٣٨٠ و ٤٠٨ و ٤٨٤، مسند أبي يعلى ١١: ٣٩٤، صحيح ابن حبان ١٣: ٨٩، فتوح مصر وأخبارها: ٤٧٠، سبل الهدى والرشاد ١٠: ١٦٥.

القلوب والجفاء في المشرق والإيمان في أهل الحجاز»^(١).

والخبران الأولان القائلان بأنّ طلوع قرن الشيطان بنجد يفسران باقي الأخبار، ويدلان على أنّ المراد بالمشرق فيها هو نجد، وكذا قوله: «من حيث يطلع قرن الشيطان أو قرن الشمس» المراد نجد؛ وذلك لأنّ نجداً في شرقي المدينة.

ومنه يعلم أنّ المراد بالمشرق المقابل به الحجاز في الرواية الأخيرة هو نجد.

وما يُحكى عن بعض الوهابيين من أنّ المراد من نجد هو العراق^(٢)؛ لأنها أعلى من الحجاز، والنجد في اللغة ما أشرف من الأرض؛ معلوم الفساد، فإنّ نجداً حيثما يطلق بلا قيد يراد به بلادهم التي لا تُسمى عرفاً إلا بهذا الاسم قديماً وحديثاً، ويسمّى أهلها النجديون، وسلطانها سلطان نجد، وسلطنتها السلطنة النجدية، وكلام أهل اللغة صريح في ذلك وكذلك أشعار العرب، ففي القاموس: (النجد: ما أشرف من الأرض، والطريق الواضح المرتفع، وما خالف الغور، أي: تهامة، أعلاه تهامة واليمن، وأسفله العراق والشام، وأوله من جهة

١ - صحيح مسلم ١: ٥٣ باب بيان أنّه لا يدخل إلا المؤمنون، مسند أحمد ٣: ٣٣٥، صحيح ابن

حبان ١٦: ٢٨٥، المعجم الأوسط ٩: ٣٧، الجامع الصغير ٢: ٢٠١، مجمع الزوائد ١٠: ٥٣.

٢ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣: ٤٦، عمدة القارئ: ٥٩، سلسلة الأحاديث

الصحيحة ٥: ٣٠٢ ح ٢٢٤٦

الحجاز ذات عرق^(١) انتهى.

وفي الصحاح: (نجد: من بلاد العرب، وهو خلاف الغور، والغور: تهامة وكلّ ما ارتفع عن تهامة إلى أرض العراق فهو نجد)^(٢)، وعن المصباح: (نجد: بلاد معروفة من ديار العرب مما يلي العراق، وليست من الحجاز، وإن كانت من جزيرة العرب. قال في التهذيب: كلّ ما وراء الخندق الذي خندقه كسرى على سواد العراق فهو نجد إلى أن تميل إلى الحرة، فإذا ملت إليها فأنت في الحجاز)^(٣) انتهى.

وكلّ ذلك صريح في خروج العراق عن نجد كخروج الحجاز واليمن والشام، وأنّ المراد به ما يقابل تهامة التي تُسمّى بالغور أيضاً .
على أنّ قول الصحابة الذين هم من أهل الحجاز وفي الحجاز للرسول ﷺ: (وفي نجدنا) صريح في أنّ المراد نجد الحجاز، وهي أرض الوهابية الواقعة في مشرق الحجاز، وحينئذٍ فلا يبقى لهذا الاحتمال الوهمي مجال .

وقال الأبيوردي الأموي:

فإنك إن أعرقت والقلب مُنجدٌ ندمت ولم تشمم عراراً ولا رندا^(٤)

١ - القاموس المحيط ١: ٣٤٠ مادة (نجد) ، الصحاح ٢: ٥٤٢، مادة (نجد) ، لسان العرب ٣: ٤١٤ مادة (نجد) ، تاج العروس ٥: ٢٦٩ مادة (نجد).

٢ - الصحاح للجوهري ٢: ٥٤٢ مادة (نجد) ، مجمع البحرين ٤: ٢٧٠ مادة (نجد).

٣ - معجم البلدان ٥: ٢٦٢، لسان العرب ٣: ٤١٤ فصل النون، تاج العروس ٥: ٢٦٩ مادة (نجد)، المصباح المنير ٢: ٥٩٣ مادة (نجد).

(٤) القصيدة للأبيوردي مطلعها:

فقابل العراق بنجد .

وعن قاموس الأمكنة والبقاع: (بلاد نجد: هي الواقعة شرقي بلاد الحجاز ، وهي قسمان: نجد الحجاز، ونجد العارض، وقد خرج منها القرامطة ، ومسيلمة الكذاب، والوهابيون. وعاصمتها مدينة الرياض، سكانها ثلاثون ألفاً^(١)) انتهى . فالزلازل والفتن وطلوع قرن الشيطان التي أشار ﷺ إلى وقوعها في نجد هي خروج مسيلمة الكذاب والقرامطة والوهابية .

وكذلك الوهابيون يتعمقون في الدين كتعمق الخوارج، فإنَّ المراد بالتعمق فيه والله العالم التشدد فيه، وتكلف ما لم يكلف الله به ونحو ذلك .

وممن قال إنَّ هذه الأحاديث واردة في الوهابية وأجاد في استدلاله على ذلك الشيخ سليمان بن عبد الوهاب، فإنه قال في رسالته التي يرد بها على أخيه محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة الوهابية على ما حُكي عنه: (ومما يدل على بطلان مذهبكم (يعني أخاه وأتباعه) ما في الصحيحين: «رأس الكفر نحو المشرق»، وفي رواية: «الإيمان يمانى والفتنة من ههنا حيث يطلع قرن الشيطان»، وفي الصحيحين أنه ﷺ قال وهو مستقبل المشرق: «إنَّ الفتنة ها هنا».. وللإمام أحمد: «اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي صاعنا، وفي مدنا، ويمننا، وشامنا - ثم استقبل مطلع الشمس - فقال: ها هنا يطلع قرن الشيطان. وقال: من هاهنا الزلازل والفتن».

أقول لسعدٍ وهو خلي مطانة وأي عظيمٍ لم أنبه له سعدا.

ديوان الآيوردي : ٤٢٠.

(١) قاموس الأمكنة والبقاع: ٤٣٨ .

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ سَلِيمَانُ: أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَصَادِقٌ، لَقَدْ أَدَّى الْأَمَانَةَ، وَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ.

ثُمَّ حَكَى عَنْ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ أَنَّهُ قَالَ: الْمَشْرِقُ عَنْ مَدِينَتِهِ ﷺ شَرْقًا، وَمِنْهَا خَرَجَ مَسِيلِمَةُ الْكَذَّابِ الَّذِي ادَّعَى النُّبُوَّةَ، وَهُوَ أَوَّلُ حَادِثٍ حَدَثَ بَعْدَهُ ﷺ، وَاتَّبَعَهُ خَلَائِقٌ.

ثُمَّ قَالَ سَلِيمَانُ: وَجْهُ الدَّلَالَةِ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ وَجْهِهِ نَذَرُ بَعْضُهَا: مِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ: «الْإِسْلَامُ يَمَانِي، وَالْفِتْنَةُ تَخْرُجُ مِنَ الْمَشْرِقِ» ذَكَرَهَا مَرَارًا لِلتَّعْقُلِ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ دَعَا لِلْحِجَازِ وَأَهْلِهِ مَرَارًا، وَأَبَى أَنْ يَدْعُو لِأَهْلِ الْمَشْرِقِ، لِمَا فِيهِمْ مِنَ الْفِتَنِ، خُصُوصًا أَهْلَ نَجْدٍ.

وَمِنْهَا: أَنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ وَقَعَتْ بَعْدَهُ ﷺ بِأَرْضِنَا هَذِهِ، يَعْنِي نَجْدًا. فَنَقُولُ: هَذِهِ الْأُمُورُ الَّتِي تَجْعَلُونَ الْمُسْلِمَ بِهَا كَافِرًا.. مَلَأَتْ مَكَّةَ، وَالْمَدِينَةَ، وَالْيَمَنَ مِنْ سَنِينَ مُتَطَاوِلَةٍ، بَلْ بَلَّغْنَا أَنَّهُ مَا فِي الْأَرْضِ أَكْثَرَ مِنْهَا فِي الْيَمَنِ وَالْحَرَمَيْنِ، وَبَلَدُنَا هَذِهِ هِيَ أَوَّلُ مَنْ ظَهَرَ فِيهَا الْفِتْنُ، وَلَا نَعْلَمُ أَنَّ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ أَكْثَرَ مِنْ فِتْنَتِهَا قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَأَنْتُمْ الْآنَ مَذْهَبُكُمْ أَنْ يَتَّبَعَ الْعَامَّةُ مَذْهَبَكُمْ، وَأَنَّ مَنْ اتَّبَعَهُ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِظْهَارِهِ فِي بِلَدٍ وَتَكْفِيرِ أَهْلِ بِلَدِهِ وَجِبَتْ عَلَيْهِ الْهَجْرَةُ إِلَيْكُمْ، وَأَنْتُمْ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ، وَهَذَا خِلَافُ هَذَا الْحَدِيثِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخْبَرَهُ اللَّهُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ عَلَى أُمَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ ﷺ أَخْبَرَ بِمَا يَجْرِي عَلَيْهِمْ وَمِنْهُمْ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّ بِلَادَ الْمَشْرِقِ خُصُوصًا نَجْدًا (بِلَادِ مَسِيلِمَةَ) تَصِيرُ دَارَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الطَّائِفَةَ الْمَنْصُورَةَ تَكُونُ بِهَا، وَأَنَّهَا بِلَادُ يَظْهَرُ فِيهَا الْإِيمَانُ وَيَخْفَى فِي غَيْرِهَا، وَأَنَّ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَالْيَمَنَ تَكُونُ بِلَادَ كُفْرٍ،

تعبد فيها الأوثان، وتجب الهجرة منهما؛ لأخبر بذلك ، ولدعا لأهل المشرق، خصوصاً أهل نجد، ولدعا على أهل الحرمين واليمن وأخبر أنهم يعبدون الأصنام، وتبرأ منهم، مع أنه لم يكن إلا ضد ذلك، فإنه ﷺ عمّ المشرق ، وخصّ نجداً، وأنّ فيها يطلع قرن الشيطان، وأنّ منها وفيها الفتن، وامتنع من الدعاء لها، وهذا خلاف زعمكم، وأنّ اليوم عندكم الذين دعا لهم! رسول الله ﷺ كفّار، والذين أبى أن يدعو لهم وأخبر أنّ منها يطلع قرن الشيطان، وأنّ منها الفتن هي بلاد الإيمان تجب الهجرة إليها وهذا بيّن واضح من الأحاديث إن شاء الله^(١).

ومن الأخبار المرجح ورودها في الوهابية قوله ﷺ في ذي الخويصرة التميمي: «من ضدّضى هذا قوماً يقرأون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»^(٢).

١ - الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية: ٤٤ بتصرف من المؤلف & .

٢ - مسند أحمد ٣ : ٧٣، صحيح البخاري ٤ : ١٠٨ كتاب بدء الخلق و ٨ : ١٧٨ كتاب التوحيد، صحيح مسلم ٣ : ١١٠ باب ذكر الخوارج، سنن أبي داود ٢ : ٤٢٧، سنن النسائي ٥ : ٨٨، السنن الكبرى للبيهقي ٧ : ١٨، مسند أبي داود الطيالسي: ٢٩٦، المصنّف للصنعاني ١٠ : ١٥٧، كتاب السنة : ٤٢٦، وصححه محققه الشيخ الألباني ، مسند أبي يعلى ٢ : ٣٩١، صحيح ابن حبان ١ : ٢٠٦.

والضئضى : الأصل والمعدن^(١)، وحينئذ فيكون المراد من ضئضئه أي: من أصله وعشيرته، لا من نسله وعقبه، لأن عشيرة الرجل هي أصله ومعدنه، وذو الخويصرة وابن عبد الوهاب من أصل واحد وعشيرة واحدة فكلاهما تميمي.

كما أن جملة من رؤساء الخوارج كانوا من بني تميم كشيث بن ربعي^(٢)

١ - قال ابن سلامة في غريب الحديث ٣: ١١٠: «الضئضى : هو أصل الشيء ومعدنه...»، وارجع إلى: الصحاح للجوهري ١: ٦٠ مادة (ضئضى)، النهاية في غريب الحديث ٣: ٦٩ ، لسان العرب ١: ١١٠ مادة (ضئضى)، مجمع البحرين ٣: ٣ مادة (ض أ ض أ)، تاج العروس ١: ١٩٤ مادة (ضأضى) وغيرها من مصادر اللغة.

٢ - شيث بن ربعي : يكنى أبا عبد القدوس بن حصين بن عثيم بن ربيعة، من بني تميم: أدرك عصر النبي ﷺ وأسلم، ثم ارتد والتحق بسجاح التي أدعت النبوة وصار مؤذنها، ثم تاب ورجع إلى الإسلام ، وقام بوجه عثمان بن عفان فيمن ثاروا عليه، ثم رجع بعد ذلك مع جمع من الحرورية، ثم التحق بركب يزيد وشارك في قتل الحسين عليه السلام ، وولي الكوفة ليزيد حتى ثار المختار الثقفي وقتله مع جملة قتلة الحسين عليه السلام .

فانظر إلى هذا المعثر كيف يتقلب ويتلاعب فمرة مسلم وأخرى مرتد، وثالثة ثائر على عثمان، ورابعة خارجي، وخامسة قاتل للذرية النبوية، وإن عشت رأيت الأعجب.

والأعجب من ذلك كله أن هذا المعثر من ثقات رواة السنة، ووصفوه بالوثاقة وصحة الرواية، فهذا العجلي يعدّه من الثقات في كتابه معرفة الثقات ١: ٤٤٨ رقم ٧١٤ ، ويصفه الرازي ← في الجرح والتعديل ٤: ٣٨٩ رقم ١٦٩٥ بقوله: (حديثه مستقيم لا أعلم به بأساً)، ويعده ابن حبان من الثقات في كتابه الثقات ٤: ٣٧١، والمزي في تهذيب الكمال ١٢: ٣٥٢ رقم ٣٦٨٦، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٦: ٢١٦، والبخاري في التاريخ الكبير ٤: ٢٦٦، وابن حجر في تقريب التهذيب ١: ٤١١، وتهذيب التهذيب ٤: ٢٦٧، والذهبي في ميزان الاعتدال ٢: ٢٦١، وابن حجر في الإصابة ٣: ٣٠٢ وغيرها من المصادر.

ومسعر بن فدكي^(١) وغيرهما، فبعد انطباق أكثر صفات الخوارج على الوهابية يترجح كون هذه الأخبار شاملة لهم أيضاً.

عشرًا: كما أن الخوارج عمدوا إلى الآيات الواردة في الكفار فجعلوها في المسلمين والمؤمنين، كذلك الوهابيون جعلوا الآيات النازلة في المشركين منطبقة على المسلمين، أما صدور ذلك من الخوارج فيدل عليه ما في خلاصة الكلام ما هذا لفظه: (روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر (رض) في وصف الخوارج أنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين)^(٢)، وفي رواية أخرى عن ابن عمر عند غير البخاري أنه عليه السلام قال: «أخوف ما أخاف على أمتي رجل متأول للقرآن، يضعه في غير

١ - هو مسعر بن فدكي التميمي: ممن صار مع الخوارج بعد التحكيم، وشارك في قتل خباب بن الأرت المتقدم ذكره في الصفحات السابقة، وارجع إلى أخباره في: تاريخ الطبري ٤: ٣٤، أنساب الأشراف: ٣٦٧، الملل والنحل ١: ١١٤، كتاب الفتوح ٤: ٢٥٥، الكامل في التاريخ ٣: ٢٩٤، البداية والنهاية ٧: ٣٠٣، تاريخ خليفة بن خياط: ١٤٩.

ومن خوارج بني تميم:

١ - حرقوص بن زهير السعدي التميمي. راجع ترجمته في أسد الغابة ٢: ١٣٩، الإصابة ٢: ٤٣، الأعلام للزركلي ٢: ١٧٣.

٢ - عروة بن أدية التميمي. راجع ترجمته في تاريخ يعقوبي ٢: ١٩٠، ميزان الاعتدال ٣: ٦٣، أنساب الأشراف: ٣٣٦، أعيان الشيعة ١: ٥١٤.

٣ - هلال بن علقمة التميمي من زعماء الخوارج. راجع الأعلام للزركلي ٨: ٩١.

٤ - المستورد بن علقمة التميمي من الخوارج. راجع الأعلام للزركلي ٧: ٢١٥.

٢ - صحيح البخاري ٨: ٥١ كتاب استتابة المرتدين، تعليق التعليق ٥: ٢٥٩.

موضعه»^(١) انتهى .

وعن ابن عباس : (لا تكونوا كالخوارج تأولوا آيات القرآن في أهل القبلة، وإنما نزلت في أهل الكتاب والمشركين، فجهلوا علمها، فسفكوا الدماء، وانتهبوا الأموال)^(٢).

وأما صدور ذلك من الوهابيين فيدل عليه ما سيأتي نقل كلماتهم ومعتقداتهم من جعلهم الآيات الكثيرة النازلة في الكافرين والمشركين منطبقة على المسلمين مثل: {قُلْ أَغِيرَ اللَّهُ أَتَّخِذُ وَلِيًّا} ^(٣)، {فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} ^(٤) ، {قُلْ أَتُتَّبِعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} ^(٥)، {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا} ^(٦)، {أَجَعَلُوا لِلَّهِ إِلَهًا وَاحِدًا} ^(٧) ، {أَجِنْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ} ^(٨) ، {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ

١ - نحوه في مسند الشاميين ٢: ١٦٤، وراجع خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: ٢٣٠، الدرر السنية في الرد على الوهابية لزيني دحلان: ٤.

٢ - تفسير الثعلبي ٢: ٢٧١، تفسير البغوي ١: ٢٥٧، الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية: ٤.

٣ - سورة الأنعام: ١٤.

٤ - سورة لقمان: ١١.

٥ - سورة يونس: ١٨.

٦ - سورة الحج: ٧٣.

٧ - سورة ص: ٥.

٨ - سورة الأعراف: ٧٠.

أنداداً^(١)، {أَيْنَ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} ٢ ، {لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ} ^(٣) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي يسردونها وهي نازلة في الكافرين والمشركين فيجعلونها منطبقة على المسلمين انطباقاً تاماً بغير مائز ولا فارق.

حادي عشر: كما أنّ الخوارج سيّماهم التحليق أو التسبيد كذلك الوهابيون سيّماهم التحليق، وعن النهاية: (في حديث الخوارج التسبيد فيهم فاش > هو الحلق واستئصال الشعر)^(٤) انتهى.

وقد جاء في أخبار كثيرة ذكر قوم سيّماهم التحليق، ومن المرجح أو المعلوم انطباق تلك الأخبار على الوهابية أو عليهم وعلى الخوارج، كقوله ﷺ: «إِنَّ أُنْلَساً مِنْ أُمْتِي سَيِّمَاهُمُ التَّحْلِيْقُ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يَجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ»^(٥)، «يُخْرِجُ نَاسٌ مِنْ أُمْتِي مِنْ قَبْلِ الْمَشْرِقِ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ ، لَا يَجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ حَتَّى يَعُودَ السَّهْمُ إِلَى فَوْقِهِ».

قيل: ما سيّماهم؟

١ - سورة البقرة : ٢٢.

٢ - سورة الأنعام : ٢٢.

٣ - سورة الرعد : ١٤.

٤ - النهاية في غريب الحديث ٢: ٣٢٣، وعنه العيني في عمدة القارئ ٢٢: ٤٤، غريب الحديث لابن سلامة ١: ٢٦٧، لسان العرب ٣: ٢٠٢، دفع الشبه عن الرسول للحصني: ٨٢.

٥ - مسند أحمد ٥: ١٧٦ وصححه محقق المسند شعيب الأرناؤوط، مسند أبي داود الطيالسي : ٦٠، كنز العمال ١١: ٣٠٥.

قال: سيّماهم التحليق»^(١) رواه البخاري.

«يجيء أقوام من الشرق سيّماهم التحليق، أدق العيون، يدعون بالدين وليسوا من أهله، لا يرحمون من بكاء، ولا يجيبون من شكاء، قلوبهم كزبر الحديد...»^(٢)، الحديث رواه مسلم.

«سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل، ويسئون الفعل، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، لا يرجعون حتّى يرتد على فوقه - إلى أن قال - يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء».

قالوا: يا رسول الله، ما سيّماهم؟

قال: التحليق»^(٣)، رواه أبو داود.

ذكر: «قوماً يكونون في أمتهم يخرجون في فرقة من النّس، سيّماهم التحليق، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»^(٤) الحديث.

١ - صحيح البخاري ٨: ٢١٩، كتاب التوحيد، مسند أحمد ٣: ٦٤ و ٤: ٤٢٢ و ٤٢٥، سنن ابن ماجه ١: ٦٢ ح ١٧٥، سنن أبي داود ٢: ٤٢٨ ح ٤٧٦٦، سنن النسائي ٧: ١٢٠، المستدرک للحاکم ٣: ٤٤٤، مسند أبي داود الطيالسي ٦١: ٦١، كتاب السنة ٤٣٥، وغيرها من مصادر الحديث.

٢ - غير موجود في صحيح مسلم و المصادر السنية الأخرى.

٣ - مسند أحمد ٣: ٣٢٤، سنن أبي داود ٢: ٤٢٨ ح ٤٨٦٥، المستدرک للحاکم ٢: ١٤٧، السنن الكبرى ٨: ١٧١، مسند أبي يعلى الموصلي ٥: ٤٢٦، كنز العمال ١١: ٢٠٢، أحكام القرآن ٣: ٥٣٢، البداية والنهاية ٧: ٣٢٨.

٤ - السنن الكبرى للنسائي ٥: ١٥٨، ونحوه في مسند أحمد ٣: ٥، صحيح مسلم ٣: ١١٣ باب التحريض على قتل الخوارج، صحيح ابن حبان ١٥: ١٣٨.

عن عليّ: «في آخر الزمان قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين مروق السهم عن الرمية.. سيماهم التحليق»^(١) رواهما النسائي في الخصائص.

وفي خلاصة الكلام : (في قوله ﷺ : «سيماهم التحليق» تنصيص على هؤلاء الخارجين من المشرق التابعين لمحمد بن عبد الوهاب؛ لأنهم كانوا يأمرون من اتبعهم أن يحلق رأسه لا يتركونه يفارق مجلسهم إذا اتبعهم حتى يحلقوا رأسه.

قال: ولم يقع من أحد قط من الفرق التي مضت أن يلتزموا مثل ذلك، فالحديث صريح فيهم.

قال: وكان السيد عبد الرحمن الأهدل مفتي زبيد يقول: لا يحتاج إلى التأليف في الرد على ابن عبد الوهاب، بل يكفي في الرد عليه قوله ﷺ : «سيماهم التحليق» فإنه لم يفعله أحد من المبتدعة.

قال: وكان ابن عبد الوهاب يأمر أيضاً بحلق رؤوس النساء اللاتي يتبعنه، فدخلت في دينه امرأة وجددت إسلامها بزعمه، فأمر بحلق رأسها، فقالت: شعر الرأس للمرأة بمنزلة اللحية للرجل، فلو أمرت بحلق لحى الرجال لساغ أن تأمر بحلق رؤوس النساء، فلم يحر جواباً^(٢) انتهى.

١ - خصائص أمير المؤمنين : ١٤٠، مسند أحمد ١: ١٥٦، سنن النسائي ٧: ١٢٠، مجمع الزوائد ٦: ٢١٣، مسند ابن الجعد : ٣٨٠.

٢ - خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: ٢٣٤ تحت بحث (سنة ١٢٠٧ هـ)، الدرر السنية في الرد على الوهابية : ٥٠.

ثاني عشر: كما أنّ الخوارج يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان كما أخبر النبي ﷺ عنهم بما رواه في السيرة الحلبية من قوله: **في الخوارج يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم أو تراقبيهم، لا تفقهه قلوبهم، ليس لهم حظ منه إلا تلاوة الفم، وأنهم يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان** (١). كذلك الوهابيون يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، ولم ينقل عنهم أنهم حاربوا أحداً سوى المسلمين أو قتلوا أحداً من أهل الأوثان، وفي قتلهم أهل الطائف أولاً وآخرأ بلا ذنب، وقتلهم أهل كربلاء سنة (١٢١٦هـ)، وغزوهم بلاد الإسلام المجاورة لهم كالعراق والحجاز واليمن وشرقي الأردن وغيرها، وقتلهم من ظفروا به من المسلمين، وقتلهم نحو ألف رجل من اليمانيين جاؤوا لحج بيت الله الحرام سنة (١٣٤٠ هـ)، وذبحهم لهم ذبح الأغنام كما مرّ ذلك كلّهُ في تاريخهم، وعدم غزوهم لأهل الأوثان، وقد امتلأت الأرض كفرأ وإلحادأ، وتوجيه بأسهم وحربهم كلّهُ إلى المسلمين، خاصّة بعدما ضعفت قواهم، واستعمرت بلادهم وممالكهم، وصار الإسلام غريباً في وطنه، أقوى شاهد على ذلك (٢).

ثالث عشر: كما أنّ الخوارج كلّما قطع منهم قرن نجم قرن كما أخبر عنهم أمير المؤمنين عليه السلام (٣)، كذلك الوهابيون كلّما قطع منهم قرن نجم قرن،

١ - السيرة الحلبية ٣: ٨٩، وورد شرح الحديث في: شرح مسلم للنووي ٧: ١٥٩، عمدة القارئ

للعيبي ١٥: ٢٣١، شرح سنن النسائي ٥: ٨٨.

٢ - السيرة الحلبية ٣: ٨٩.

٣ - في نهج البلاغة ١: ١٠٨ خطبة ٦٠ لما قيل له: يا أمير المؤمنين، هلك القوم بأجمعهم! قال عليه السلام: <كلا والله، إنهم نطف في أصلاب الرجال، وقرارات النساء، كلّما نجم منهم قرن قطع حتّى يكون

فقد حاربهم محمد علي باشا، واستأصل شأفتهم، ووصل ولده إبراهيم باشا إلى قاعدة بلادهم الدرعية وأخربها، ثم نجم قرنها بعد ذلك وقطع، ثم نجم وقطع مراراً.

آخريهم لصوصاً سلايين>.

←

→ وهذا الوصف ينطبق على الوهابية أتباع محمد بن عبد الوهاب ، فإن نشأتهم كانت قطع الطريق على المارة ، وقتل الأبرياء ، وسلب ونهب القوافل السائرة في الصحراء، مستخدمين البدو والأعراب ممن يسكن البراري، ويقتات على الغارة والحرب والغزو، فتمالاً معهم ابن عبد الوهاب مظهراً لهم الدين ومكفراً عموم أمة المسلمين، فراق لهم فعله من القتل والسلب والنهب، حتى نبت لهم نابذة، وبرز قرنها في شبه الجزيرة العربية.. ومن ثم ظهرت عيون النفط والغاز لتضفي على هؤلاء الأعراب القوة وتشتري الذمم بأموالٍ بخسة نتیجتها الضلال والإضلال.

الباب الأول:

في ذكر جميع معتقدات الوهابية ومحور مذهبهم
الذي يدور عليه. الوهابيون سنيون وينتحلون مذهب
الإمام أحمد بن حنبل

الاجتهاد عند الوهابيين:

إلا أنهم لا يقولون بإنسداد باب الاجتهاد ، ولا يلتزمون بتقليد أحد
المذاهب الأربعة، بل قد يجتهدون على خلافها، قال محمد بن إسماعيل الأمير
اليمني الصنعاني المعاصر لابن عبد الوهاب وأحد مؤسسي المذهب الوهابي
في رسالته تطهير الاعتقاد: (وفقهاء المذاهب الأربعة يحيلون الاجتهاد من بعد
الأربعة، وإن كان هذا قولاً باطلاً، وكلاماً لا يقوله إلا من كان للحقائق
جاهلاً)^(١) انتهى.

وقال محمد بن عبد اللطيف أحد أحفاد ابن عبد الوهاب في آخر الرسالة
الخامسة من رسائل الهدية السنية: (وأما مذهبنا فمذهب الإمام أحمد بن حنبل،
إمام أهل السنة في الفروع، ولا ندعي الاجتهاد، وإذا بان لنا سنة صحيحة عن
رسول الله ﷺ عملنا بها، ولا نقدم عليها قول أحدٍ كائناً من كان)^(٢) انتهى.
وهذا هو الاجتهاد الذي أنكره في أول كلامه وقال به في آخره!!

١ - تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد: ٥١٠ المطبوع ضمن مجموع رسائل الجامع الفريد.

٢ - الهدية السنية والتحفية النجدية، الرسالة الخامسة: ١٤٩ - ١٥٠.

وما هي السنة الصحيحة التي تبين له هل يشافهه بها الرسول ﷺ أو تكون متواترة خفيت على جميع أئمة المذاهب الأربعة وغيرهم وبانت له؟ هذا مستحيل عادة.

أو هي خبر ظني الدلالة والسند أو السند فقط، والله تعالى قد نهى عن العمل بالظن في كتابه وذم متبعه، فهل يكون العمل بذلك الخبر الظني إلا بالاجتهاد الذي أنكره؟!

وقال أبوه عبد اللطيف في إحدى رسائل الهدية السنية إنَّ محمد بن عبد الوهاب: (لا يرى ترك السنن والأخبار النبوية لرأي فقيه ومذهب عالم خالف ذلك باجتهاده - إلى أن قال - : نعم عند الضرورة وعدم الأهلية والمعرفة بالسنن والأخبار وقواعد الاستنباط والاستظهار يصار إلى التقليد.. ولا يرى إيجاب ما قاله المجتهد إلا بدليل من الكتاب والسنة خلافاً لغلاة المقلدين)^(١).

وقال عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية: (ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق، ولا أحد منا يدعيها إلا أنه إذا صحَّ لنا نصُّ جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصوص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الأئمة الأربعة أخذنا به وتركنا المذهب، كإرث الجدِّ والإخوة، فنقدم الجدَّ بالإرث وإن خالفه مذهب الحنابلة .

إلى أن قال : ولا نعترض على أحدٍ في مذهبٍ إلا إذا اطلعنا على نصٍّ جلي مخالف لأحد الأئمة، وكانت المسألة ممَّا يحصل بها شعائر ظاهرة كإمام الصلاة، فنأمر الحنفي والمالكي مثلاً بالطمأنينة في الاعتدال، والجلوس بين

١ - الهدية السنية والتحفة النجدية: الرسالة الرابعة: ١٢٨ (نبذة من سيرة محمد بن عبد الوهاب).

السجدتين، لوضوح ذلك، بخلاف جهر الإمام الشافعي بالبسملة فلا نأمره بالإسرار، ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض، وقد اختار جمع من أئمة المذاهب الأربعة ما يخالف مذهب مقلّدهم^(١) انتهى.

وهذا الأخير يخالف ما ذكره محمد بن عبد اللطيف وما حكاه أبوه عن محمد بن عبد الوهاب، فهذا يشترط في جواز الأخذ بالنص من الكتاب والسنة أن يقول به أحد الأئمة الأربعة، ومحمد يقول لا نقدم على السنة قول أحد كائناً من كان، وابن عبد الوهاب لا يرى إيجاب ما قاله المجتهد إلاّ بدليل!!

ثمّ إلزام صاحب المذهب بخلاف مذهبه فيما فيه شعار ظاهره خطأ، فإنّه إن كان معذوراً لم يجب إلزامه، بل لم يجز، وإن لم يكن معذوراً وجب إلزامه، سواء كان فيه شعائر ظاهرة أو لا.

١- التحفة السنية والهدية النجدية، الرسالة الثانية: ٤٨، لكن الموجود فيها يغير ما ذكره المؤلف في الألفاظ، وإن كان يتفق معه في المعنى ونص عبارة الرسالة كالتالي قال عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في الصفحة المتقدمة: < ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق، ولا أحد منا يدعيها إلاّ أنّه إذا صحّ لنا نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصوص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الأئمة الأربعة أخذنا به، وتركنا المذهب كإمام الصلاة فنأمر الحنفي والمالكي مثلاً بالمحافظة على نحو الطمأنينة في الاعتدال والجلوس بين السجدتين، لوضوح ذلك، بخلاف جهر الإمام الشافعي بالبسملة فلا نأمره بالإسرار، وشتان ما بين المسألتين، فإذا قوي الدليل أرشدناهم بالنص وإن خالف المذهب، وذلك يكون نادراً جداً.

ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض ولا مناقضة، لعدم الاجتهاد المطلق، وقد سبق جمع من أئمة المذاهب الأربعة لاختيارات لهم في بعض المسائل مخالفة للمذهب الملتزمين تقليد صاحبه).

اعتقاد الوهابية وقدوتهم ابن تيمية في الله تعالى وصفاته:

اعلم أنّ الوهابية ومؤسس دعوتهم محمد بن عبد الوهاب، وباذر بذورها أحمد بن تيمية، وتلميذه ابن القيم وأتباعهم ادّعوا أنّهم موحدون، وأنّهم باعتقاداتهم التي خالفوا بها جميع المسلمين حموا جناب التوحيد عن أن يتطرق إليه شيء من الشرك.

وادّعى الوهابيون أنّهم همّ الموحدون وغيرهم من جميع المسلمين مشركون كما سيأتي، ولكن الحقيقة أنّ ابن تيمية وابن عبد الوهاب وأتباعهما قد أباحوا حمى التوحيد، وهتكوا ستوره، وخرقوا حجاب، ونسبوا إلى الله تعالى ما لا يليق بقدس جلاله، تقدس وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

فأثبتوا لله تعالى جهة الفوق والاستواء على العرش الذي هو فوق السماوات والأرض، والنزول إلى سماء الدنيا، والمجيء، والقرب وغير ذلك بمعانيها الحقيقية، وأثبتوا له تعالى الوجه، واليدين، اليد اليمنى واليد الشمال، والأصابع، والكف، والعينين، كلّها بمعانيها الحقيقية من دون تأويل، وهو تجسيم صريح. وحملوا ألفاظ الصفات على معانيها الحقيقية، فأثبتوا لله تعالى المحبة والرحمة والرضا والغضب وغير ذلك بمعانيها الحقيقية من غير تأويل، وأنّه تعالى يتكلم بحرف وصوت، فجعلوا الله تعالى محلاً للحوادث، وهو يستلزم الحدوث كما بيّن في محلّه من علم الكلام^(١).

١ - من الأمور المهمة التي تميّز المذهب الوهابي عن غيره تصريحه بالتجسيم والتشبيه لله سبحانه وتعالى، وتجسيمه لم ينشأ من ابن تيمية أو محمد بن عبد الوهاب، بل ترجع أصوله إلى مؤسس المذهب الحنبلي أحمد بن حنبل، إذ يلاحظ تصريحه بالتجسيم بشكل لا يحتاج معه ←

→ إلى تأويل أو كلفة فهم للكلام، ولرؤية الأمر جلياً ننقل كلمات المذهب الحنبلي متسلسلاً بدءاً بمؤسس المذهب وإلى المعاصرين منهم قدر الإمكان.

إذا رجعنا الى كتاب العقيدة لأحمد بن حنبل وتصفحناه نجده يصرح بالتجسيم في عدّة مواطن، فيقول في ص ٤٥: كُتِبَ ما أثبتّه الله لنفسه، أو أثبتّه له رسول الله ﷺ من الأسماء والصفات على حقيقتها من إثبات وجه الله ويدين على الحقيقة.. وبأنّ القرآن غير مخلوق، وأنّ الله تكلم به، وأنّ الله على عرشه، وأنّ معنى الاستواء العلو والارتفاع.. وننكر أنّ الله في كلّ مكان بذاته.. وأنّ الله يغضب ويرضى، وأنّ الله نفساً.. وأنّ الله يرى في الآخرة بالأبصار.. إلى غير ذلك من كلماته المبنوثة في الكتاب المذكور فراجع.

ويقول الشيخ عبد المغيث المقدسي بأنّ الله يستلقي حيث ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢١: ١٦٠: (إنّ الله لما انتهى من الخلق استلقى ووضع رجلاً على رجل).

ويقول الإمام الحسن بن علي الأهوازي الحنبلي: (إنّ الله لما أراد أن يخلق نفسه خلق الخيل، فأجراها حتّى عرقت، ثمّ خلق نفسه من ذلك العرق) سير أعلام النبلاء ١٨: ١٧.

وكتب الهروي الحنبلي كتاباً في الصفات أورد فيه جملة أحاديث باطلة في الصفات . سير أعلام النبلاء ١٨: ٥٠٨.

وعن يحيى الحنبلي قال: (قال لي شاذان: إذهب الى أبي عبد الله أحمد بن حنبل فقل: ترى لي أن أحدث بحديث قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال: رأيت ربّي عزّ وجلّ في صورة شابّ أمرد قال: فأتيت أبا عبد الله فقلت له .

فقال لي: قل له: تحدّث به، قد حدث به العلماء > طبقات الحنابلة ١: ٢١٨.

وعن محمّد بن إبراهيم القيسي الحنبلي : (قلت لأحمد بن حنبل: يحكى عن ابن المبارك أنّه قيل له: كيف نعرف ربّنا عزّ وجلّ؟

قال: في السماء السابعة على عرشه بحد، فقال أحمد: هكذا هو عندنا) طبقات الحنابلة ١: ٢٦٧.

وكان البربهاري الحنبلي يحدث بأنّ الله سبحانه وتعالى يجلس النبي ﷺ معه على العرش. طبقات الحنابلة ٢: ٤٣.

→ وقال ابن تيمية في التفسير ٦: ٣٨٦: «صار الناس فيما ذكر الله في القرآن من الاستواء والمجيء ونحو ذلك ستة أقوال.. والمنتسبون إلى السنة وأتباع السلف يطلون تأويل ذلك..» أي يثبتون استواء ومجيء حقيقي.

وقال في الرسالة التدمرية: ٩٠: (والكبد والطحال ونحو ذلك هي أعضاء الأكل والشرب، فالغني المنزه عن ذلك منزّه عن آلات ذلك، بخلاف اليد فإنّها للعمل والفعل، وهو سبحانه موصوف بالعمل والفعل، إذ ذاك من صفات الكمال، فمن يقدر أن يفعل أكمل ممّن لا يقدر على الفعل، وهو سبحانه منزّه عن الصاحب والولد، وعن آلات ذلك وأسبابه، وكذلك البكاء والحزن وهو مستلزم الضعف والعجز، الذي ينزه عنه سبحانه، بخلاف الفرح والغضب فإنّه من صفات الكمال).

وقال في نقض أساس التقديس ١: ١٠٩: (والموصوف بهذه الصفات لا يكون إلاّ جسمًا، فالله تعالى جسم لا كالأجسام).

وأثبت في العقيدة الواسطية وغيرها أنّ الله سبحانه وتعالى وجهًا ويدين ورجلين وقدم، وأنه مستوى على العرش، وينزل إلى السماء الدنيا ويضحك وغير ذلك، ولم ينفر عن الله تعالى الجسمية بل يصفه بأنّه جسم لكن لا كالأجسام!

ولا ندري كيف يكون جسمًا ولكنه يختلف عن الأجسام؟!

وألّف ابن القيم الجوزية كتاباً تحت عنوان الصواعق المرسلة ورد فيه على مؤولي الصفات، ومن أمثلة ما ذكره إثبات عدة صفات فقال في ٢: ٤٦٩: (قوله: {جاء ربك} وقوله: {هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظل من الغمام}.. فعطف مجيء الملك على مجيئه سبحانه يدل على تغاير المجيئين، وأنّ مجيئه سبحانه حقيقة.. بل مجيء الرب سبحانه أولى أن يكون حقيقة من مجيء الملك..).

وقال في ٢: ٥١١ في إثبات صفة: «ليدين».. قال تعالى: {مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ}، {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}... وقوله في الحديث الصحيح: «المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين».. فالقبض والإمساك باليد يصير المجموع حقيقة..).

←

وقال في ٢: ٥١٥: (خلق آدم باليدين ينفي المجاز عنها:

→ إنَّ الله تعالى جعل ذلك خاصّة خص بها آدم دون غيره، ولهذا قال له موسى وقت المحاجة: أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه...>

وقال في ٥٢٢: ٢: <إنَّ هذه الألفاظ كلفظ اليمين والوجه إما أن يكون لها معنى، أو تكون ألفاظاً مهملة لا معنى لها؟

والثاني ظاهر الاستحالة، وإذا لم يكن بد من إثبات معنى لها فلا ريب في أنَّ ذلك المعنى قدر زائد على الذات، وله مفهوم غير مفهوم الصفة الأخرى فأبي محذور في إثبات حقيقة اليد لزم مثله في مجازها..).

وفي ٥٣١: ٢: قال: (المثال الخامس في إثبات الوجه لله سبحانه:

وجه الربّ جلّ جلاله، حيث ورد في الكتاب والسنة، فليس بمجاز، بل على حقيقته..

قال الدارمي: لما فرغ المريسي من إنكاره لليدين ونفيهما عن الله أقبل على وجه الله ذي الجلال والإكرام لينفيه عنه كما نفى عنه اليدين.. ثم ساق الكلام في الرد عليه والقول بأنّ لفظ الوجه مجاز باطل من وجوه..).

وقال في ٥٣٦: ٢: (إنّ من تدبّر سياق الآيات والأحاديث والآثار التي فيها ذكر وجه الله الأعلى ذي الجلال والإكرام قطع بطلان قول من حملها على المجاز..).

وفي ٥٦١: ٢: أثبت الفوقية لله سبحانه وتعالى وساق الآيات الدالة على ذلك كقوله تعالى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} الأنعام: ١٨.

وفي ٥٧٧: ٢: عقد فصلاً لإثبات نزول الله سبحانه وتعالى ونقل الحديث القائل بأنّ الله سبحانه وتعالى: <ينزل ربنا كلّ يوم إلى السماء فيقول: وعزتي وجلالي لا أسأل عن عبادي غيري>، وقوله: <من ذا الذي يسألني فأعطيته>، وقوله: <فيكون كذلك حتّى يطلع الفجر ثمّ يعلو على كرسيه>، ثمّ نقل جملة من الأحاديث التي تذكر النزول الحقيقي لله جلّ وعلا.

وفي ٣٢: ٢: يثبت وجود النداء والصوت لله تعالى وقال: (وقد ذكر سبحانه النداء في تسعة مواضع من القرآن، أخبر فيها عن ندائه بنفسه، ولا حاجة إلى أن يقيّد النداء بالصوت، فإنّه بمعناه وحقيقته باتفاق أهل اللغة، فإذا انتفى الصوت انتفى النداء قطعاً).

←

→ وفي ٢: ١٣٩ ذكر أنّ الله تعالى يكلم الناس يوم القيامة ونقل الحديث الذي فيه: **يقول الله يوم القيامة: يا آدم؟ فيقول: لبيك ربنا وسعديك! فينادي بصوت: إنّ الله يأمرك أن تخرج من ذريّتك بعثاً إلى النار**، وفي ٢: ٦٩٤ ذكر أنّ الله سبحانه وتعالى يضحك ضحكاً حقيقياً، وأنّ له أصابع ونقل في ذلك عدّة أحاديث تشير إلى ذلك.

وفي ٢: ٦٩٧ ذكر أنّ الله سبحانه وتعالى صورة ونقل حديث: **إنّ الله خلق آدم على صورة الرحمن**.

وفي كتاب (عقيدة السلف وأصحاب الحديث أو الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة) لإسماعيل الصابوني والذي يعدّ من أئمة السلف والمعتمد عند الوهابية يذكر المؤلف عدّة صفات لله سبحانه وتعالى.

ففي ص ١٧٥: أثبت الاستواء الحقيقي لله سبحانه وتعالى على العرش ، وفي ص ١٩١ ذكر صفات النزول الحقيقي والمجيء والإتيان الحقيقيين لله جلّ شأنه، وفي ص ٢٦٣ أثبت رؤية المؤمنين لله تعالى رؤية حقيقية يوم القيامة.

وفي كتاب (الإرشاد شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد) لأبي عبد الله المقدسي ذكر عدة صفات لله جلّ شأنه منها صفة الوجه كما في ص ١١٨، وصفة اليدين كما في ص ١٢٠، وصفة النفس والمجيء والإتيان كما في ص ١٢٧، وصفة الرضا والمحبة والغضب والسخط كما في ص ١٣٢، وصفة الاستواء كما في ص ١٤٧، وصفة العلو والفوقية كما في ص ١٦٢ ، وصفة رؤية الله تعالى رؤية حقيقية يوم القيامة كما في ص ١٩٣.

وفي كتاب (الدرر السنية في الأجوبة النجدية) الذي جمع فيه رسائل ومسائل محمّد بن عبد الوهاب ذكر فيه أمور جمّة نستعرضها للقارئ تاركين الحكم له على عقيدة محمّد بن عبد الوهاب ، فيقول في ٣: ٦: (وأما ما لا يوجد عن الله ورسوله إثباته ولا نفيه مثل الجوهر والجسم والعرض والجهة وغير ذلك لا يثبتونه ، فمن نفاه.. فهو عند أحمد والسلف مبتدع، ومن أثبته.. فهو عندهم مبتدع..).

→ وفي ٣: ١٢ يقول: **سئل أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والشيخ حمد بن ناصر.. عن آيات الصفات الواردة في الكتاب كقوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} وكذلك قوله: {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي}، وقوله: {بِأَعْيُنِنَا}، وقوله: {أَسْمِعْ وَأَرَى}، وقوله: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}.. وقوله: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}، وقوله: {وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}.**

ومن السنة: **«قلب المؤمنين بين إصبعين من أصابع الرحمن»** وقوله: **«حتى يضع رجله فيها فتقول: قط قط»**.. على ما تحملون هذه الآيات ، وهذه الأحاديث والصفات ﷺ فأجابوا ما نصّه:

الحمد لله ربّ العالمين؛ قولنا فيها ما قال الله ورسوله، وما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها من أصحاب رسول الله ﷺ ومن اتّبعهم بإحسان وهو الإقرار بذلك والإيمان من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل كما قال الإمام مالك لما سئل عن قوله: **{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}** كيف استوى؟

فأطرق مالك وعلته الرخصاء، يعني العرق، وانتظر القوم ما يجيء منه فيه، فرفع رأسه إليه وقال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة ، وأحسبك رجل سوء، وأمر به فأخرج.

ومن أوّل الاستواء بالاستيلاء فقد أجاب بغير ما أجاب به مالك وسلك غير سبيله. وهذا الجواب من مالك في الاستواء شافٍ كافٍ في جميع الصفات مثل: النزول، والمجيء، واليد، والوجه وغيرها فيقال في النزول: النزول معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وهذا يقال في سائر الصفات الواردة في الكتاب والسنة...

وقال في ٣: ٢٥: **«أهل السنة والجماعة يصفون الله بجميع ما وصف به نفسه، كما يليق بجلاله وعظمته، فيثبتون النزول كما وردت بذلك السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يُنْزَلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ»**، ويثبتون صفة اليدين كما يليق بجلاله وعظمته ،

أما ابن تيمية فقال بالجهة والتجسم والاستواء على العرش حقيقة، والتكلم بحرف وصوت، وهو أول من زقا بهذا القول، وصنّف فيه رسائل مستقلة كالعقيدة الحموية، والواسطية، وغيرها، واقتفاه في ذلك تلميذاه ابن القيم الجوزية وابن عبد الهادي وأتباعهم، ولذلك حكم علماء عصره بضلاله وكفره، والزموا السلطان بقتله أو حبسه، فأخذ إلى مصر ونوظر، فحكموا بحبسه، فحبس وذهبت نفسه محبوساً بعدما أظهر التوبة، ثمّ نكث. ونحن ننقل ما حكوه عنه في ذلك وما قالوه في حقه لتعلم ما هي قيمة ابن تيمية عند العلماء.

قال أحمد بن حجر الهيتمي المكي الشافعي صاحب الصواعق في كتابه (الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرّم) في جملة كلامه الآتي في فصل الزيارة: (إنّ ابن تيمية تجاوز إلى الجناب المقدّس، وخرق سياج عظمتة بما

وكذلك صفة الوجه الكريم كما يليق بجلاله وعظمتة، وكذلك الضحك الذي وردت به ←
→ السنة، والتعجب، والغضب، والقبضتان، والأصابع، فيصفون الله بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله..).

وقال في ٢٦: <مسألة الحروف والصوت فتساق هذا المساق، فإنّ الله تعالى قد تكلم بالقرآن المجيد وبجميع حروفه فقال: {ألم}، وقال: {المص}... وكذلك جاء في الحديث: <فينادي يوم القيامة بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب>.. والتحقيق هو: إنّ الله تكلم بالحروف>.. إلى غير ذلك من الكلمات الكثيرة المصرّحة بصفات التجسيم التي أثبتوها بزعمهم لله سبحانه وتعالى عمّا يقول أحمد بن حنبل وابن تيمية وابن عبد الوهاب علواً كبيراً.

أظهره للعامة على المنابر من دعوى الجهة والتجسيم..^(١) إلخ.

١ - الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوي المكرم: ٣١. ←

→ والعبارة بكاملها كالتالي قال في الكتاب المذكور ص ٢٩ - ٣١ : (فإن قلت : كيف تحكي الإجماع السابق على مشروعية الزيارة والسفر إليها وطلبها وابن تيمية من متأخري الحنابلة منكر لمشروعية ذلك كله ؟

كما رآه السبكي بخطه وأطال - يعني ابن تيمية - في الاستدلال لذلك بما تحججه الأسماع وتنفر عنه الطباع، بل زعم حرمة السفر إليها إجماعاً وأنه لا تقصر فيه الصلاة، وأن جميع الأحاديث الواردة فيها موضوعة، وتبعه بعض من تأخر عنه من أهل مذهبه؟

قلت : من ابن تيمية حتى ينظر إليه أو يعول في شيء من أمور الدين عليه؟

وهو هل إلا كما قال جماعة من الأئمة الذين تعقبوا كلماته الفاسدة وحججه الكاسدة، حتى أظهروا عوار سقطاته وقبائح أوهامه وغلطاته، كالعز بن جماعة : عبد أضله الله تعالى وأغواه، وألبسه رداء الخزي. وقد تصدى شيخ الإسلام وعالم الأنام، المجمع على جلالته واجتهاده وصلاحه وإمامته التقى السبكي قدس الله روحه وأوضح بباهر حججه طريق الصواب، فشكر الله تعالى مسعاها....

ربه وعاه إذا أفرط وفرط رجع إلى لِّبه، لكن إذا غلبت والعياذ بالله تعالى الشقاوة، واستحكمت الغباوة، فمعاذاً بك اللهم وضراعة إليك يارب، عزت قدرتك في أن تديم لنا سلوك أوضح المسالك هذا. وما وقع من ابن تيمية مما ذكر وإن كان عثرة لا تقل أبدأً، ومصيبة ستمرّ عليه شؤمها سرمداً ليس بعجيب، فإنه ضرب مع المجتهدين بسهم صائب، وما درى المحروم أنه أتى بأقبح المعاييب، إذ خالف إجماعهم في مسائل كثيرة، وتدارك على أئمتهم سيما الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيفة شهيرة، وأتى من نحو هذه الخرافات بما تمجّه الأسماع وتنفر عنه الطباع حتى تجاوز إلى الجنب الأقدس، منزّه سبحانه وتعالى من كل نقص، والمستحق لكل كمال أنفس، فنسب إليه العظام والكبائر، وأحرق سياج عظمته وكبرياء جلالته بما أظهره للعامة على المنابر من

وقال ابن حجر أيضاً في الدرر الكامنة على ما حكى أنّ الناس افترقت في ابن تيمية: (فمنهم من نسبته إلى التجسيم، لما ذكره في العقيدة الحموية والواسطية وغيرهما من ذلك كقوله: إنّ اليد، والقدم، والساق، والوجه صفات حقيقية لله، وأنه مستوٍ على العرش بذاته.

فقل له: يلزم من ذلك التحيز والانقسام؟

فقال: أنا لا أسلم أنّ التحيز والانقسام من خواص الأجسام! فالزم بأنه يقول بالتحيز في ذات الله.

ومنهم من ينسبه إلى الزندقة لقوله: إنّ النبي ﷺ لا يستغاث به، وإنّ في ذلك تنقيصاً ومنعاً من تعظيم رسول الله ﷺ. وكان أشدّ الناس عليه في ذلك النور البكري، فإنّه لما عقد له المجلس بسبب ذلك قال بعض الحاضرين: يعزر، فقال البكري: لا معنى لهذا القول فإنّه إنّ كان تنقيصاً يقتل، وإن لم يكن تنقيصاً لا يعزر.

ومنهم من ينسبه إلى النفاق لقوله في عليّ إنّ كان مخذولاً حيث ما توجه، وإنّه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها، وإنّما قاتل للرياسة لا للديانة، وإنّه كان يحب الرياسة، وأنّ عثمان كان يحب المال، ولقوله: أبو بكر أسلم شيخاً يدري ما يقول، وعليّ أسلم صبيّاً، والصبي لا يصح إسلامه على قول. وبكلامه في قصة خطبة بنت أبي جهل، وما نسبته من الثناء على قصة أبي العاص بن الربيع،

دعوى الجهة والتجسيم وتضليل من لم يعتقد ذلك من المتقدمين والمتأخرين حتّى قام عليه علماء عصره والزموا السلطان بقتله أو حبسه وقهره).

وما يؤخذ من مفهومها فإنه شنع في ذلك فالزموه بالنفاق لقوله ﷺ: < لا يبغضك إلا منافق >

ونسبه قوم إلى أنه يسعى في الإمامة الكبرى، فإنه كان يلهج بذكر ابن تومرت ويطريه، وكان ذلك مؤكداً لطول سجنه، وله وقائع شهيرة. وكان إذا حوقق والزم يقول: لم أرد هذا إنما أردت كذا، فيذكر احتمالاً بعيداً^(١).

وعن منتهى المقال في شرح حديث: < لا تشد الرحال > للمفتي صدر الدين أنه قال فيه: (قال الشيخ الإمام الحبر الهمام سند المحدثين الشيخ محمد البرلسي في كتابه (إتحاف أهل العرفان برؤية الأنبياء والملائكة والجان): وقد تجاسر ابن تيمية الحنبلي عامله الله تعالى بعدله، وذكر تحريمه للسفر إلى زيارة النبي ﷺ - إلى أن قال - : حتى تجاوز الجنب الأقدس المستحق لكل كمال أنفس، وخرق سياج الكبرياء والجلال، وحاول إثبات ما ينافي العظمة، وأظهر هذا الأمر على المنابر، وشاع وذاع ذكره بين الأكابر والأصاغر^(٢) إلى آخر ما يأتي في فصل الزيارة.

وعن صاحب (أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل) أنه قال في بيان إرخاء العمامة بين الكتفين: (قال ابن القيم عن شيخه ابن تيمية: إنه ذكر شيئاً بديعاً وهو أنه ﷺ لما رأى ربه واضعاً يده بين كتفيه أكرم ذلك الموضع بالعذبة! قال العراقي: لم نجد لذلك أصلاً.

١ - الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ١ : ١٨١.

٢ - منتهى المقال في شرح حديث: < لا تشد الرحال >: ٨٦.

أقول: بل هذا من قبيل رأيهما وضلالهما، إذ هو مبني على ما ذهبوا إليه وأطالا في الاستدلال له، والخط على أهل السنة في نفهم له وهو: إثبات الجهة والجسمية لله تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً، ولهما في هذا المقام من القبائح وسوء الاعتقاد ما تصم عنه الأذان، ويقضي عليه بالزور والكذب والضلال والبهتان، قبحهما الله وقبح من قال بقولهما. والإمام أحمد وأجلاء مذهبه مبرؤون عن هذه الوصمة القبيحة، كيف وهي كفر عند كثيرين^(١) انتهى.

وعن المولوي عبد الحليم الهندي في (حل المعاهد حاشية شرح العقائد): (كان تقي الدين ابن تيمية حنبلياً، لكنه تجاوز عن الحد، وحاول إثبات ما ينافي عظمة الحق تعالى وجلاله، فأثبت له الجهة والجسم، وله هفوات أخر، كما يقول: إنّ أمير المؤمنين سيدنا عثمان (رض) كان يحب المال، وإنّ أمير المؤمنين سيدنا عليّ (رض) ما صح إيمانه، فإنّه آمن في حال صباه، وتفوّه في حق أهل بيت النبي صلى الله عليه وعليهم السلام ما لا يتفوّه به المؤمن المحق، وقد وردت الأحاديث الصحاح في مناقبهم في الصحاح، وأنعقد مجلس في قلعة الجبل، وحضر العلماء الأعلام والفقهاء العظام، ورئيسهم قاضي القضاة زين الدين المالكي، وحضر ابن تيمية، فبعد القيل والقال بهت ابن تيمية، وحكم قاضي القضاة بحبسه سنة (٧٠٥ هـ)، ثمّ نودي بدمشق وغيرها: من كان على عقيدة ابن تيمية حلّ ماله ودمه، كذا في مرآة الجنان للإمام أبي محمّد

١ - أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل : ١٧٢ ، مرقاة المفاتيح ٨ : ٢١٦ نقلاً عن شرح الشمائل لابن حجر الهيتمي .

عبد الله اليافعي، ثُمَّ تاب وتخلّص من السجن سنة (٧٠٧ هـ)، وقال: إنني أشعري، ثُمَّ نكث عهده، وأظهر مرموزه، فحبس حبساً شديداً، ثُمَّ تاب وتخلّص من السجن، وأقام في الشام، وله هناك واقعات كتبت في كتب التواريخ. ورد أقاويله وبَيَّن أحواله الشيخ ابن حجر في المجلد الأول من الدرر الكامنة، والذهبي في تاريخه وغيرهما من المحققين.

والمرام أنّ ابن تيمية لما كان قائلاً بكونه تعالى جسماً قال بأنه ذو مكان، فإنَّ كُلَّ جسم لا بد له من مكان على ما ثبت، ولما ورد في الفرقان الحميد: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} قال: إنّ العرش مكانه!

ولمّا كان الواجب أزلياً عنده وأجزاء العالم حوادث عنده أضطرّ إلى القول بأزلية جنس العرش وقدمه، وتعاقب أشخاصه الغير المتناهية، فمطلق التمكن له تعالى أزلي، والتمكنات المخصوصة حوادث عنده، كما ذهب المتكلّمون إلى حدوث التعلقات^(١) انتهى.

وعن اليافعي في مرآة الجنان أنّه قال في ذكر فتنة ابن تيمية: (وكان الذي ادعي عليه بمصر أنّه يقول: إنّ {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} حقيقة، وإنّه يتكلّم بحرف وصوت، ثُمَّ نوّدي بدمشق وغيرها من كان على عقيدة ابن تيمية حلّ ماله ودمه)^(٢) انتهى.

١ - حل المعاهد حاشية شرح العقائد: ٢٣٢.

٢ - مرآة الجنان لليافعي ٤: ٢٤٠، من ذيول العبر ٦: ٣١، وارجع الى كلام ابن تيمية وابن القيم في المصادر التالية: كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير ١٢: ٥٢٩ ومجموع الفتاوى

وعن تاريخ أبي الفداء في حوادث سنة (٧٠٥ هـ): (وفيها استدعي تقي الدين أحمد بن تيمية من دمشق إلى مصر، وعقد له مجلس، وأمسك وأودع الاعتقال بسبب عقيدته، فإنه كان يقول بالتجسيم)^(١) انتهى.

وجاء في المنشور الصادر بحقه من السلطان: (وكان الشقي ابن تيمية في هذه المدة قد بسط لسان قلمه، ومد بجهله عنان كلمه، وتحدث في مسائل القرآن والصفات، ونص في كلامه الفاسد على أمور منكرات، وأتى في ذلك بما أنكره أئمة الإسلام، وانعقد على خلافه إجماع العلماء والحكام، وشهر من فتاويه ما استخف به عقول العوام، وخالف في ذلك فقهاء عصره وأعلام شامه ومصره.. وعلمنا أنه استخف قومه فأطاعوه، حتى اتصل بنا أنهم صرحوا في حق الله بالحرف والصوت والتجسيم)^(٢) انتهى.

وعن كشف الظنون عن بعضهم: (أنه بالغ في رد ابن تيمية حتى صرح بكفر من أطلق عليه شيخ الإسلام)^(٣) انتهى.

وأما محمد بن عبد الوهاب فاقتفى هو وأتباعه في ذلك أثر ابن تيمية، كما اقتفى أثره في زيارة القبور والتشفع والتوسل وغير ذلك، وبنى على أساسه وزاد، وقد أثبت ابن عبد الوهاب لله تعالى جهة الفوق والاستواء على العرش

الكبرى ١٢: ٥٢٩ و ٥٩٧ وشرح قصيدة ابن القيم ١: ٢٢٩ لتجدهم يصرحون بأن الحق جل شأنه

يتكلم بحرف وصوت حقيقي، تعالى الله عما يقول المبطلون علواً كبيراً.

١- المختصر في أخبار البشر ١: ٤٩٤.

٢- دفع شبه من شبه وتمرد للحصني ١: ٣٨.

٣- كشف الظنون ١: ٢٢٠.

الذي هو فوق السماوات والأرض، والجسمية، والرحمة، والرضا، والغضب، واليدين اليمنى والشمال، والأصابع، والكف، كلُّها بمعانيها الحقيقية من دون تأويل^(١).

قال محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد الذي هو حقّ على العبيد على ما حكى عنه في باب قوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} (٢)، (العشرون: إثبات الصفات خلافاً للأشعرية المعطّلة)^(٣).

قال الشارح: (الأشعرية: الفرقة المنتسبة لأبي الحسن الأشعري أنكرت كثيراً من الصفات منها: علو الله تعالى واستواؤه على عرشه بائناً عن خلقه، ومحبته لعباده الصالحين، ورحمته لهم، ورضاه وغضبه وغير ذلك، خلافاً لما جاء عن رسول الله ﷺ وأصحابه وسائر السلف الصالحين)^(٤).

ثمّ استدلّ على ذلك بالأحاديث فقال: (باب ما جاء في قوله تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} (٥)، الآية عن ابن مسعود (رض) قال: جاء خبر من الأخبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا

١- تقدم نقل كلماتهم ومنهم ابن عبد الوهاب والذي يصرح فيها بعدم نفي أو إثبات الجسمية لله سبحانه وتعالى.

٢- سورة سبأ: ٢٣.

٣- كتاب التوحيد: ٦٨.

٤- مغني المريد الجامع لشروح كتاب التوحيد ٤: ١٤٦٠، القول المفيد على كتاب التوحيد ٢: ٣٢٦.

٥- سورة الزمر: ٦٧.

نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع ، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع فيقول: أنا الملك.

فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجره تصديقا لقول الجبر، ثم قرأ: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} الآية (١).

وفي رواية لمسلم: (والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، أنا الله) (٢)، وفي رواية للبخاري: (يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع) (٣).

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً: (يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون، أين المتكبرون، ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون) (٤).

وروي عن ابن عباس : (ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف

١ - مسند أحمد ١ : ٤٥٧، صحيح البخاري ٦ : ٣٣ كتاب التفسير، كتاب السنة لابن أبي عاصم : ٢٣٨ وصححه محققه الشيخ الألباني.

٢ - مسند أحمد ١ : ٤٥٧، صحيح مسلم ٨ : ١٢٥، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، السنن الكبرى للنسائي ٤ : ٤١٤.

٣ - مسند أحمد ١ : ٤٥٧، صحيح البخاري ٨ : ١٨٧ كتاب التوحيد، كتاب السنة : ٣٣٨ وصححه محققه الشيخ الألباني، تخريج الأحاديث والآثار ٣ : ٢٠٨.

٤ - صحيح مسلم ٨ : ١٢٦ كتاب صفة القيامة والجنة والنار، سنن أبي داود ٢ : ٤٢٠، مجمع الزوائد ١٠ : ٣٤٤، كتاب السنة : ٢٤١ وصححه محققه الشيخ الألباني ، مسند أبي يعلى ٩ : ٤١١.

الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم^(١)، وعن ابن مسعود: (بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم)^(٢) أخرجه ابن مهدي. وعن العباس بن عبد المطلب (رض): قال | : هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ! قال : بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم^(٣)، أخرجه أبو داود وغيره.

وفيه مسائل: الأولى: تفسير قوله تعالى: { وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }.

الثانية: إن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه ﷺ لم ينكروها ولم يتأولوها.^(٤)

١ - جامع البيان ٢٤ : ٣٢، تفسير الثعلبي ٨ : ٢٥٣، الدر المنثور ٥ : ٣٣٦.

٢ - المعجم الكبير للطبراني ٩ : ٢٠٢، مجمع الزوائد ١ : ٨٦ وقال : « رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح ».

٣ - مسند أحمد ١ : ٢٠٦، المستدرک للحاكم ٢ : ٢٨٨، كتاب العرش لابن أبي شيبة : ٥٦، مسند أبي يعلى الموصلي ١٢ : ٧٥، البداية والنهاية ١ : ١١،

٢ - لاحظ العبارة جيداً ثم قارنها مع آيات القرآن الكريم المصّرة بضلّال وانحراف اليهود وأنهم ليسوا على شيء ، لترى التباين بين ما ينطق به القرآن الكريم وبين ما يقوله ابن عبد الوهاب حينما حكم على اليهود بأنّ لديهم العلم بالتوحيد والمسائل المختلفة، وذلك يكشف

الثالثة: إنَّ الحبر لما ذكر ذلك للنبي ﷺ صدّقه، ونزل القرآن بتقرير ذلك.
الرابعة: وقوع الضحك منه ﷺ لما ذكر الحبر هذا العلم العظيم.
الخامسة: التصريح بذكر اليدين، وأنَّ السماوات في اليد اليمنى، والأرضين في الأخرى.
السادسة: التصريح بتسميتها الشمال^(١) انتهى.

وهو صريح في إثبات جهة الفوق لله تعالى والاستواء على العرش الذي هو فوق السموات والأرض، وإثبات المحبة والرحمة والرضا والغضب، وإثبات اليدين، والأصابع، واليد اليمنى، واليد الشمال، والكف له تعالى كلّها بمعانيها الحقيقية من دون تأويل، ونسبة الأشعرية الذين يؤولونها إلى التعطيل، وهو عين التجسيم الذي أطبق المسلمون على كفر معتقده، لاستلزامه التركيب والتحيز، والوجود في جهة دون جهة، وكلّ ذلك يستلزم الحدوث كما قرر في محلّه، ويلزم من إثبات المحبة والرحمة والرضا والغضب بمعانيها الحقيقية، وهي ميل القلب ورقته وعدم هيجان النفس وهيجانها كونه تعالى محلاً للحوادث الموجب حدوثه كما علم من علم الكلام، مع أنّ حديث حبر اليهود عليه لا له، فإنّ الضحك لم يكن لتصديق قول الحبر كما توهم، بل للرد عليه، فهو ضحك تعجب من نسبة ذلك إليه تعالى مع بطلانه في العقول، ويدل عليه قراءته ﷺ: { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ }، أي ما قدروه حقّ قدره بنسبتهم

عن الخلل الموجود في عقيدة الوهابية وأنها مبنية على أمور باطلة مأخوذة من ظواهر الآيات أو المتشابهات أو الأحاديث المنقولة عن المجسمة أمثال الحديث المتقدم.

١- كتاب التوحيد : ٨٨ - ١٩١، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد : ١ - ٦٦٥ - ٦٦٨، التمهيد لشرح كتاب التوحيد : ٢ - ٣٢٩ - ٣٣٢.

إليه الجسمية والأعضاء^(١).

١ - وقد صرح بذلك بعض الحنابلة قال أبو الفرج بن الجوزي في كتابه دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه: ٢٠٥ : (ظاهر ضحك النبي ﷺ الإنكار، واليهود مشبهة ، ونزول الآية دليل على إنكار الرسول ﷺ).

وقال الكوثري في هامش السيف الصقيل: ٥٩ : (إن قول النبي ﷺ بعد أن قال الحبر ذلك: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} يدل على إنكار ما قاله الحبر كما قال ابن حجر في شرح البخاري رداً على ابن خزيمة).

وقال العيني في عمدة القاريء ١٩: ١٤٣ تحت شرحه للحديث: (الأصل في الإصبع ونحوه أن لا يطلق على الله إلا أن يكون بكتاب أو خبر مقطوع بصحته، فإن لم يكونا فالتوقف ← عن الإطلاق واجب، وذكر الأصابع لم يوجد في الكتاب ولا في السنة القطعية، وليس معنى اليد في الصفات بمعنى الجارحة حتى يتوهم من ثبوتها ثبوت الإصبع، وقد روى هذا الحديث كثير من أصحاب عبد الله من طريق عبدة، فلم يذكروا فيه تصديقاً لقول الحبر، وقد ثبت أنه ﷺ قال: «ما حدثكم به أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكتبوهم» والدليل على أنه لم ينطق فيه بحرف تصديقاً له وتكذيباً، وإنما ظهر منه الضحك المخيل للرضا مرة، وللتعجب والإنكار أخرى. وقول من قال: إنما ظهر منه الضحك تصديقاً للحبر ظن منه، والاستدلال في مثل هذا الأمر الجليل غير جائز، ولو صح الخبر لابد من التأويل بنوع من المجاز...).

وقال في كشف المشكل ١: ٢٧٠ : (قال أبو سليمان الخطابي: يحتمل أن يكون ضحك رسول الله إنكاراً).

قال: وقول من قال تصديقاً ظن منه، والظاهر أن ذلك من تخليط اليهود وتحريفهم، وإن ضحك رسول الله إنما كان تعجباً وإنكاراً).

وأما أتباع محمد بن عبد الوهاب فأثبتوا لله تعالى جهة العلو والاستواء على العرش، والوجه، واليدين، والعينين، والنزول إلى سماء الدنيا، والمجيء، والقرب، وغير ذلك بمعانيها الحقيقية، ففي الرسالة الرابعة من الرسائل الخمس المسمّى مجموعها بالهدية السنّية لعبد اللطيف حفيد محمد بن عبد الوهاب عند ذكر بعض اعتقادات الوهابية وأنها مطابقة لعبارة أبي الحسن الأشعري قال: (وأنّ الله تعالى على عرشه كما قال: { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى }، وأنّ له يدين بلا كيف كما قال: { لَمَّا خُلِقْتُ بِيَدَيَّ }، وكما { بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ }، وأنّ له عينين بلا كيف، وإنّ له وجهاً جلّ ذكره كما قال: { وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ

وقال في إيضاح الدليل ١: ١٧٩: (وجب تأويله لأنّه كلام يهودي فلا يحتج به، وقد علم أنّ اليهود مشبهة ومجسمة).

وأما ضحك النبي ﷺ فلعله كان استخفافاً باليهودي وإنكاراً لما قاله بدليل تلاوة الآية، فإنّه ظاهر في رد ما قاله والإنكار عليه، فإنّ سامع الكلام الباطل يضحك منه استخفافاً. فإن قيل: قد ورد في بعض طرقه تعجباً وتصديقاً.

قلنا: لم يرو الأكثر ذلك ولعله توهم من الراوي لا أنّ ذلك من ألفاظ الرسول عليه الصلاة والسلام ولا في اللفظ ما يشعر بذلك).

وقال ابن حجر في فتح الباري ١٣: ٣٣٦: (وأما ضحكه صلى الله عليه وآله وسلّم من قول الحبر فيحتمل الرضا والإنكار، وأما قول الراوي: تصديقاً له فظن منه وحسان، وقد جاء الحديث من عدّة طرق ليس فيها هذه الزيارة).

→ وقال السيوطي في الديباج على مسلم ٦: ١٤٧: (وقال بعض المتكلمين: ليس ضحكه وتعجبه وتلاوته الآية تصديقاً للحبر، بل هو رد لقوله وإنكار وتعجب من سوء اعتقاده، فإنّ مذهب اليهود التجسيم، ففهم منه ذلك، قوله: تصديقاً له إنّما هو من كلام الراوي على ما فهم).

ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» { (١) }.

وقال: (ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ أن الله ينزل إلى سماء الدنيا فيقول: هل من مستغفر، إلى أن قال: ويقرّون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال: { وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا } ، وأنه يقرب من خلقه كيف شاء كما قال: { وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ } { (٢) }.

وفي الرسالة الخامسة لمحمد بن عبد اللطيف المذكور: (ونعتقد أن الله تعالى مستوٍ على عرشه، عالٍ على خلقه، وعرشه فوق السماوات، قال تعالى: { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } فنؤمن باللفظ وثبت حقيقة الاستواء، ولا نكيّف ولا نمثل، قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس - وبقوله نقول - وقد سأله رجل عن الاستواء فقال: الاستواء معلوم، والكيّف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

إلى أن قال: فمن شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف به نفسه فقد كفر.

ونؤمن بما ورد من أنه تعالى ينزل كلّ ليلةٍ إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول... > { (٣) } إلخ.

ونقول: يلزم من ذلك أحد أمرين: التجسيم أو القول بالمحال، وكلاهما محال؛ لأنّ حصول حقيقة الاستواء مع عدم الكيف محالٌ بحكم العقل، ومع الكيف تجسيم، فلا بدّ من التأويل والمجاز والقرينة العقلية.

١ - الهدية السنية والتحفة النجدية، الرسالة الرابعة : ١٣٢.

٢ - المصدر السابق: ١٣٥.

١ - الهدية السنية والتحفة النجدية، الرسالة الخامسة: ١٤٤ - ١٤٥.

ومنه تعلم أنّ الكلام المنسوب إلى الإمام مالك لا يكاد يصح، وحسن الظن به يوجب الريبة في صحة النسبة إليه، وذلك لأنّ قوله: (الاستواء معلوم)، إن أراد أنّه معلوم بمعناه الحقيقي فهو ممنوع، بل عدمه معلوم بحكم العقل باستحالة الجسمية عليه تعالى واستحالة الاستواء الحقيقي بدون الجسمية، وإن أراد بالمعنى المجازي فلا يصلح شاهداً لقوله ثبت حقيقة الاستواء، ولا يكون السؤال عنه بدعة، ولا يلزم الكيف حتّى يقال: إنّّه مجهول، ثمّ كيف يكون السؤال بدعة والتصديق بالمجهول محال؟!

وإن أراد أنا نؤمن به على حسب المعنى الذي أراده الله تعالى منه وإن لم نعلمه تفصيلاً، فإنّ كان يحتمل أنّه أراد حقيقة الاستواء ففاسد، لما عرفت من استحالة بحكم العقل، وإن كان الترديد بين المعاني المجازية فقط فأين حقيقة الاستواء التي أثبتناها؟!

وإذا كان قول الإمام مالك عند هؤلاء قدوة وحجّة في مثل هذه المسألة الغامضة فلم لم يقتدوا بقوله فيما هو أوضح منها وأهون وهو: رجحان استقبال القبر الشريف والتوسل بصاحبه عند الدعاء حسبما أمر به مالك المنصور فيما مرت الإشارة إليه^(١).

وكذا الاعتقاد باليدين والعينين والوجه بدون الكيف فإنّ كانت بمعانيها

١ - حديث مالك للمنصور حينما خاطب مالك بقوله: «يا أبا عبد الله، أستقبل القبلة وأدعو أم

استقبل رسول الله صلى عليه وآله وسلم؟

فقال: لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى إلى يوم القيامة؟

بل استقبله واستشفع به...» الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢: ٤١، دفع الشبه عن الرسول ﷺ:

١٤٠، سبل الهدى والرشاد ١١: ٤٣٩، شفاء السقام: ١٦٤.

الحقيقية لزم اعتقاد المحال، لاستحالة المعاني الحقيقية بدون الكيف، ومع الكيف يلزم التجسيم، فلا بد من المجاز والتأويل، والقرينة حكم العقل. وكذا الاعتقاد بأنه تعالى ينزل إلى سماء الدنيا، ويجيء يوم القيامة، ويقرب من خلقه إن كان بمعانيها الحقيقية لزم التجسيم، فلا بد من المجاز والتأويل لعين ما مرّ.

قوله: **كفمن شبه الله بخلقه كفر!**

قلنا: إثبات حقيقة هذه الأشياء له هي تشبيه له بخلقه، فتكون كفراً، لعدم إمكان إثباتها بدون التشبيه كما عرفت.

قوله: **كومن جحد ما وصف به نفسه فقد كفر.**

قلنا: جحد الصفة والإقرار بها حكم عليها، والحكم على الشيء فرع معرفته، فيلزم أولاً أن نعرف ما أريد بهذا اللفظ هل هو معناه الحقيقي أو المجازي، لنعرف ما وصف به نفسه فنقرّ به، وإذا كان المعنى الحقيقي يستحيل إرادته - كما بينا - فلا يكون ممّا وصف به نفسه، فلا يكون جحوده كفراً، وما أشبه هذا بقول النصاري: الأب والابن وروح القدس إله واحد، فإنه إذا قيل لهم: كيف تكون الثلاثة واحداً؟ قالوا: هذا شيء فوق العقل، ولم يعلموا أنّ ما هو فوق العقل لا يمكن للعقل أن يدعن به.

ومن هنا تعلم فساد ما حكى عن محمود شكري الآلوسي في تاريخ نجد من أنّ الوهابيين: (يقرون آيات الصفات والأحاديث على ظاهرها ويكلمون معناها إلى الله تعالى)^(١) انتهى.

فإنّ إقرارها على ظاهرها يناقض إيكال معناها إلى الله كما هو واضح، بل

١ - تاريخ نجد للآلوسي: ٤٨، وأخذ بعد ذلك بإيراد كلمات من رسائل الهدية السنينة، ولم يأت

بشيء جديد.

إيكالها إليه تعالى عبارة عن التوقف وعدم الحكم ببقائها على ظاهرها.
أما قول عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في الرسالة الثانية من رسائل
الهدية السنية أنه: (لا يلزم أن نكون مجسمة، وإن قلنا بجهة العلو؛ لأنّ لازم
المذهب ليس بمذهب)^(١).

ففيه: إنّ كون لازم المذهب ليس بمذهب - إن صح - فمعناه أنّ من ذهب
إلى القول بشيء لا يجب أن يكون قائلاً بلازمه، إلّا أنّه إذا كان هذا اللازم
باطلاً كان ملزومه الذي ذهب إليه باطلاً، لأنّ بطلان اللازم يدل على بطلان
الملزوم، وإلّا لبطلت الملازمة، فمن قال بجهة العلو وإن لم يقل بالتجسيم إلّا
أنّه لازم قوله، فإذا كان التجسيم باطلاً فالقول بجهة العلو خطأ وباطل، مع أنّك
قد عرفت أنّاً أنّ قدوتهم ومؤسس ضلالتهم ابن تيمية قد صرّح بالجسمية
وكفره علماء عصره لذلك، وحكموا بقتله أو حبسه، وأنّ مؤسس مذهبهم ابن
عبد الوهاب اقتدى بابن تيمية في ذلك، فأثبت اليمين واليمين والشمال،
والأصابع، والكف، وهم على طريقته لا يحيدون عنها قيد أنملة، فلا ينفعهم
التبري من القول بالتجسيم.

اعتقاد الوهابيين في النبي ﷺ وسائر الأنبياء والصالحين وقبورهم:
واعتقادهم في النبي ﷺ أنّ الاستغاثة به وطلب الشفاعة منه إلى الله
والتوسل به إليه بقول: يا رسول الله، اشفع لي أو أتوسل بك إلى الله، والتبرك

١- الهدية السنية والتحفة النجدية، الرسالة الثانية: ٥٥، والعبارة فيها تقديم وتأخير ونصّ العبارة:
(لازم المذهب ليس بمذهب كما هو مقرر، ومثل ذلك لا يلزم أن نكون مجسمة وإن قلنا بجهة
العلو).

بقبره، والصلاة، والدعاء عنده، وتعظيمه، كُلُّ ذلك شرك وكفر وعبادة للأصنام والأوثان، موجبة لحل المال والدم، وأنه يحرم السفر لزيارته، ويجب هدم ضريحه وقبته، ويحرم التبرك بتربته، ولمس ضريحه وتقبيله، وأنَّ ضريحه صنم من الأصنام، ووثن من الأوثان، بل هو الصنم الأكبر والوثن الأعظم، وكذلك سائر الأنبياء والصالحين^(١)، وفي خلاصة الكلام: (كان محمد بن عبد الوهاب

١- تمنع المدرسة السلفية التوسل بالنبي ﷺ وذاته المقدسة في حال حياته وبعد مماته، والذي أسس ذلك لهم إمامهم ابن تيمية الحراني ، وتبعه تلامذته من بعده حتى جاء محمد بن عبد الوهاب ومنع من ذلك منعاً مطلقاً إقتفاءً بسلفه وسيده ابن تيمية. قال ابن تيمية في كتاب (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة): ٧١ : (لفظ التوسل يراد به ثلاثة معانٍ: أحدها : التوسل بطاعته ، فهذا لا يتم الإيمان إلا به.

والثاني: التوسل بدعائه وشفاعته، وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته. ← والثالث: التوسل به بمعنى الأقسام على الله بذاته والسؤال بذاته، فهذا هو الذي لم يكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه، لا في حياته ولا بعد مماته، لا عند قبره ولا غير قبره، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم، وإنما ينقل من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عمن ليس قوله حجة كما سنذكر ذلك إن شاء الله تعالى).

وقال في ص ٨٩ : (إنَّ التوسل المشروع عندهم هو التوسل بدعائه وشفاعته لا السؤال بذاته، إذ لو كان هذا مشروعاً لم يعدل عمر والمهاجرون والأنصار عن السؤال بالرسول إلى السؤال بالعباس..). لكن نسي ابن تيمية أنَّ العدول عن النبي الأكرم ﷺ إن كان هنالك عدول، لأجل طبيعة الاستسقاء وصلاة الاستسقاء، لأنها لا تقام إلا من الحي فلذلك جاء العباس وصلى بالناس وطلبوا بحقه أن يغاثوا بالماء.

وقال في ص ٩٨: (وأما دعاء الرسول وطلب الحوائج منه وطلب شفاعته عند قبره أو بعد موته فهذا لم يفعله أحد من السلف ، ومعلوم أنه لو كان قصد الدعاء عند القبر مشروعاً لفعله الصحابة والتابعون، وكذلك السؤال به ، فكيف بدعائه وسؤاله بعد موته؟!

فدل ذلك على أن ما في الحكاية المنقطعة من قوله: «استقبله واتشفع به» كذب على مالك).

وقال في ص ٩٨: (فإن أحاديث زيارة قبره كلها ضعيفة لا يعتمد على شيء منها في الدين، ولهذا لم يرو أهل الصحاح والسنن شيئاً منها، وإنما يروونها من يروي الضعاف كالدارقطني والبخاري وغيرهما. وأجود حديث فيها.. قوله: «من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي» فإن هذا كذب ظاهر مخالف لدين المسلمين).

وقال في ص ١٠٥: (فإن طلب شفاعته ودعائه واستغفاره بعد موته وعند قبره ليس مشروعاً عند أحد من المسلمين، ولا ذكر هذا أحد من الأئمة الأربعة وأصحابهم القدماء، وإنما ذكر هذا بعض المتأخرين، ذكروا حكاية عن النبي أنه رأى أعرابياً عند قبره وقرأ هذه الآية ، وأنه رأى في المنام أن الله غفر له).

→ وقال في ص ١٠٠: (فأما التوسل بذاته في حضوره أو مغيبه أو بعد موته، مثل الأقسام بذاته أو بغيره من الأنبياء ، أو السؤال بنفس ذواتهم لا بدعائهم، فليس هذا مشهور عند الصحابة والتابعين، بل عمر بن الخطاب ومعاوية ومن بحضرتهم من أصحاب النبي ﷺ والتابعين لهم بإحسان لما أجدبوا استسقوا وتوسلوا بالعباس).

وغير ذلك من كلماته الكثيرة والمبثوثة في كتاب التوسل والوسيلة وهو ينكر التوسل بذات النبي الأكرم ﷺ في حياته ومماته ، ويحكم بوضع وكذب الأخبار الواردة في جواز ذلك وفعله من قبل بعض الصحابة.

وفي الفتاوى المهمة ١: ٩٠ بعد نقله الحديث قال: (وأما ذات النبي ﷺ فليست وسيلة ينتفع بها العبد، وكذلك القول الراجح لا يجوز التوسل بجاه النبي ﷺ؛ لأنّ جاه النبي ﷺ إنّما ينتفع به النبي ﷺ نفسه ولا ينتفع به غيره...).

وقال عبد الرؤوف عثمان في كتابه (محبة الرسول بين الاتباع والابتداع) ١: ٣٤٢: (التوسل غير المشروع:

ويقصد به التوسل بذات النبي ﷺ ، وسؤال الله بجاه نبيه، والأقسام على الله به. وهذا النوع غير مشروع، لفقدان الدليل الشرعي على مشروعيته ، فلم ترد به سنة صحيحة، ولم يكن الصحابة يفعلونه لا في حياته ﷺ ولا بعد موته، ولا عند قبره ولا في أي مكان آخر، ولم ينقل ذلك عنهم بوجه صحيح يعتمد عليه عند أهل العلم، بل الثابت عنهم أنّهم عدلوا عنه إلى غيره، كما فعل عمر مع العباس).

وهذا التوسل غير المشروع هو مقصود غالب المتأخرين بالتوسل بالنبي ﷺ).

وقال في التمهيد شرح كتاب التوحيد لابن عبد الوهاب ٢: ٣٨٦: (أما التوسل بالنبي عليه الصلاة والسلام أي بدعائه أو بذاته أو نحو ذلك بعد وفاته فإنّه لا يجوز؛ لأنّه طلب للشيء ممن لا يمكنه).

→ وقال صاحب كتاب (السنن والمبتدعات) ١: ١٢٦: (إنّ التوسل بالنبي ﷺ جائز ولا نزاع فيه، لكن بدعائه لا بذاته كما توسل هذا الرجل الضرير وكما توسل به أصحابه في حياته فلا مانع أبداً من التوسل بدعاء النبي ﷺ).

وألّف الشيخ مقبل الوادعي - شيخ الوهابية في اليمن - رسالة بعنوان هدم المنارة وصرّح فيها بوجوب هدم قبة النبي الأكرم ﷺ وأنها وثن يعبد من دون الله سبحانه وتعالى.

ومفتي السلفية الحالي المتواجد في السعودية وهو الشيخ عبد الله بن جبرين يفتي بوجوب هدم القبور وعدم صحة البناء عليها. فتاوى ابن جبرين: ٢٢٠.

يقول عن النبي ﷺ إنه طارش، وإنّ بعض أتباعه كان يقول: عصاي هذه خير من محمد؛ لأنه ينتفع بها في قتل الحية ونحوها، ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع، وإنما هو طارش ومضى. وكان يقال ذلك بحضرته أو يبلغه فيرضى، وكان يقول: وجدت في قصة الحديبية كذا وكذا كذبة^(١) انتهى.

اعتقادهم في عموم المسلمين:

واعتقادهم في عموم المسلمين أنّهم كفروا بعد إيمانهم، وأشركوا بعد توحيدهم، أو أنّهم كفار بالكفر الأصلي، بل شرّ من الكفار، فيجب قتالهم، وتحل دماؤهم وأموالهم، وعلى بعض الأقوال تسترق ذراريهم. وهذا الكفر والشرك حصل منهم منذ ستمائة سنة قبل ابن عبد الوهاب على ما في خلاصة الكلام، وأنّهم أبدعوا في دين الإسلام، وهذا محور مذهب الوهابية الذي يدور عليه.

أما كفرهم وشركهم فعبادتهم الأنبياء والصالحين، بل وغير الصالحين ممّن يعتقدون فيهم الولاية، وهم من فسقة الناس وعبادتهم قبورهم، فكانوا بذلك كمشركي قريش وغيرهم الذين عبدوا الأصنام والأوثان من الأحجار والأشجار وغيرها، وعبدوا الملائكة والجن، وكالنصارى الذين عبدوا المسيح وأمه، وذلك باستغاثتهم بالأموات، ودعائهم لكشف الملمات، والتهاف بأسمائهم، والتشفع بهم إلى الله بقول: يا رسول الله، أسألك الشفاعة ونحو ذلك، والنذر والذبح لهم، وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها، وعمل الأضرحة لها،

١- خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: ٢٣٠، الدرر السنية في الرد على الوهابية: ٤٢، الفجر الصادق: ١٨.

ووضع الجوخ وغيره عليها، وعمل الستور لها، وإسراجها، وتخليقها، والعكوف عليها كما كان المشركون يعكفون على أصنامهم، والنذر لها، وتزيينها بالقناديل والذهب والفضة وغيرها، وجعل الخدمة والسدنة لها، وعمل أعياد ومواسم لها، وتقيلها والطواف حولها، والتمسح بها، وأخذ ترابها تبركاً، والصلاة عندها، واتخاذها مساجد، وشد الرحال إليها، وكتب الرقاع عليها: يا مولاي، افعل لي كذا وكذا، ونحو ذلك، فإن ذلك كله عبادة لها ولأهلها، وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها موجب للشرك والكفر.

وفرعوا على ذلك وجوب هدم قبور الأنبياء والصالحين والقباب المبنية عليها، وعدم جواز تعميرها وتعليق المعلقات فيها والوقف عليها، بل هو باطل، وعدم جواز لمسها والتبرك بها والصلاة والدعاء عندها وإيقاد السرج عليها وغير ذلك^(١).

١ - قال السلمي في كتابه (بدع وأخطاء ومخالفات تتعلق بالجناز والقبور والتعازي): ٢١٤ :
(مظاهر التبرك بقبور الصالحين):

→ لم يقف أصحاب بدع القبور عند حدّ السنة فيما يتعلق بالقبور وزيارة أصحابها، بل تجاوزوا ذلك، وأحدثوا بدعاً كثيرة وخطيرة، خاصة عند قبور الأولياء والصالحين أو من يسمون ذلك. يفعلون ذلك كله باسم التبرك بالصالحين واعتقاد منفعتهم وتعظيمهم وتقديس أضرحتهم، مدّعين أنّ ذلك من شرائع الدين.

١ - دعاء أصحاب القبور وطلب الحوائج منهم:

وهذا من أعظم ما ابتدع عند القبور حيث إنّ من أصحاب البدع من يستغيث بالأموات ويطلب منهم الحاجات الدنيوية أو الدنيوية.

يسأل أحدهم المقبور الميت كما يسأل الذي لا يموت يقول: يا سيدي فلان، اغفر لي وارحمني وتب عليّ، أو يقول: اقض عني الدين، اشف مريضني وانصرني على فلان ونحو ذلك. قال الإمام ابن القيم مبيّناً مخالفة هؤلاء لهدي النبي ﷺ في زيارة القبور: (وكان هديه أن يقول عند زيارتها من جنس ما يقول عند الصلاة على الميت من الدعاء والترحم والاستغفار، فأبى المشركون إلا دعاء الميت والاشراك به، والأقسام على الله عز وجلّ، وسؤاله الحوائج والاستعانة به، والتوجه إليه بعكس هديه ﷺ، فإنه توحيد لله عز وجلّ، وإحسان إلى الميت، وهدي هؤلاء شرك وإساءة إلى نفوسهم وإلى الميت) زاد المعاد ١: ٥٢٦ - ٥٢٧.

ومن البدع المستحدثة أيضاً التوسل بصاحب القبر ليدعو الله عز وجلّ له. قال شيخ الإسلام في حكم هذا الفعل: (وهذه بدعة باتفاق المسلمين) الرد على البكري: ٥٦. وقال الشيخ محمد بن إبراهيم: (وأما التوسل بالأموال إلى الله عز وجلّ وجعلهم واسطة بينهم وبين الله عز وجلّ، فهذا من أكبر المحرمات، بل هو عين ما يفعله المشركون، فإنهم ما كانوا يعتقدون أنّ اللات والعزى ونحوها تخلق وترزق، وإنما كانوا يتوسلون بها إلى الله كما قال عز وجلّ عنهم: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}) فتاوى ابن إبراهيم ١: ١٢٤ - ١٢٥.

٢ - أداء العبادات عند قبورهم:

١ - أشهر هذه العبادات قصد الدعاء عند قبور الصالحين، لاعتقاد بركة هذه المواضع، وأنّ الدعاء يستجاب، وأما إذا حصل هذا الدعاء اتفاقاً ودون قصد ولا اعتقاد فيها فلا بأس في ذلك. ←
→ قال شيخ الإسلام موضعاً حكّم هذه المسألة: (الدعاء عند القبور وغيرها من الأماكن ينقسم إلى نوعين:

النوع الأول: أن يحصل الدعاء في البقعة بحكم الاتفاق.. فهذا ونحوه لا بأس به.
النوع الثاني: أن يتحرى الدعاء عندها، بحيث يستشعر أنّ الدعاء هناك أجوب منه في غيره، فهذا النوع منهي عنه إما نهى تحريم أو تنزيه، وهو إلى التحريم أقرب) اقتضاء الصراط المستقيم ٢: ٦٧٦ - ٦٧٧.

٢ - ومن العبادات الموجودة إقامة الصلاة عند قبور الصالحين أو إليها تبركاً بهم، قال شيخ الإسلام بعد أن أشار إلى نهى النبي ﷺ عن الصلاة في المقبرة مطلقاً وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته، كما يقصد بركة المساجد الثلاثة ونحوها، وسدّ لذريعة الشرك، قال & مبيّناً عظم مخالفة من يصلي قاصداً التبرك: (فأما إذا قصد الرجل الصلاة عند قبور الأنبياء والصالحين، متبركاً بالصلاة في تلك البقعة، فهذا عين المحادة لله ولرسوله ﷺ، والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن به الله عز وجل، فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله عز وجل من أن الصلاة عند القبر - أي قبر كان - لا فضل فيها، ولا للصلاة في تلك البقعة مزية خير أصلاً، بل مزية شر) اقتضاء الصراط المستقيم ٢: ٦٧٤.

وقال في ص ٢١٧: (قصد القبور لأداء سائر أنواع العبادات الأخرى، كذكر الله عز وجل، وقراءة القرآن، والصيام والصدقة والذبح عندها، كل ذلك ونحوه من البدع المذمومة، وليس في فعل شيء منها عند القبور فضل على غيرها من البقاع) اقتضاء الصراط المستقيم ٢: ٧٣٣. وعقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد باباً بعنوان (باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده)؟

وكان من النتائج السيئة لتعظيم هذه القبور واعتقاد بركة العبادة عندها: بناء المساجد على بعض قبور الأولياء والصالحين أو من يسمون بذلك.

وهذا العمل محدث في الإسلام، فلم يكن شيء منه في القرون الثلاثة المفضلة. الرد على البكري ٢: ٤٠٩.

→ ولا ريب أن بناء المساجد على القبور محرّم باتفاق العلماء، لنهي النبي ﷺ عن ذلك، وهذا يستلزم النهي عن الصلاة فيها لهذا فإن الصلاة في المساجد التي على القبور إما محرّمة أو مكروهة. الفتاوى الكبرى ١: ١٣٧، زاد المعاد ٣: ٥٧٢.

وإذا قصد الشخص الصلاة في تلك المساجد معتقداً بركة الصلاة فيها فإن النهي يكون أعظم. تحذير الساجد للألباني: ١٢١ - ١٣٨.

وقال في ص ٢١٨ : (ومن العادات الشائعة لدى بعض القبوريين التمسح بقبور الصالحين وما قد وضع عليها من الجدران والأبواب وتقييلها أو الاستشفاء بتربتها ، ونقل شيء منها لإهدائه للآخرين..).

وقال في ص ٢١٩: (العكوف والمجاورة عند قبور الصالحين وبناء المساجد والقباب عليها، وتعليق الستور عليها، كأنها بيت الله الكعبة، وإيقاد الشموع القناديل عليها، وزخرفتها وتشييدها. تقدم بيان تحريم بناء المساجد على القبور، فكيف إذا ضمَّ إلى ذلك المجاورة في ذلك المسجد، والعكوف فيه كأنه المسجد الحرام، بل إنَّ العكوف فيه عند بعضهم أحب إليه من العكوف في المسجد الحرام).

قال ابن قيم الجوزية: (فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيداً، وقد نزلوا عن الأكوار والدواب إذا رأوها من مكان بعيد، فوضعوا لها الجباه، وقبلوا الأرض، وكشفوا الرؤوس، وارتفعت أصواتهم بالضجيج، وتباكوا حتى تسمع لهم الشجج، ورأوا أنهم قد أربوا في الريح على الحجيج، فاستغاثوا بمن لا ييدي ولا يعيد، ونادوا ولكن من مكان بعيد، حتى إذا دنوا منها صلّوا عند القبر ركعاً سجداً، يتغنون فضلاً من الميت ورضواناً، وقد ملؤوا أكفهم خيبة وخسراناً، فلغير الله بل للشيطان ما يراق هناك من العبرات ويرتفع من الأصوات ، ويطلب من الميت الحاجات، ويسأل من تفريج الكربات، وإغناء ذوي الفاقات، ومعافاة أولي العاهات والبيات، ثم اثنوا بعد ذلك حول القبور طائفين، تشبيهاً له بالبيت الحرام، الذي جعله الله مباركاً وهدى للعالمين، ثم أخذوا في التقبيل والاستلام..) إغاثة اللهفان ١: ١٩٤.

→ ويقول في ص ٢٢١ إنَّ من البدع: (السفر إلى القبور ولو قبر النبي ﷺ لحديث: < لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ والمسجد الأقصى>، والنهي للتحريم، ولا عبرة بمن يجوز شدّ الرحال إلى غير المساجد الثلاثة؛ لأنّ قوله مخالف للكتاب والسنة، مردود على قائله مهما سمت منزلته العلمية، لأنّ الله عزّ وجلّ أمر باتباع القرآن والسنة حيث قال عزّ وجلّ: {اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ}، سدّ للذرائع

المفضية إلى الشرك، لئلا يلحق غير الشعائر، وأن لا يصير شدّ الرحال إلى القبور ذريعة إلى عبادتها، لأنّ شدّ الرحال إلى القبور والأضرحة هو الغلو فيها المفضي إلى الشرك الأكبر، والشرك حرام، ووسائله حرام، فالوسائل لها أحكام ومقاصد).

ويقول في ص ٢٢٣: (فاعلم أنّ الأضرحة ليست قبوراً شرعية، لخروجها عن نظام القبور الشرعية، بل صارت طواغيت تعبد من دون الله عزّ وجلّ، فكيف تحصل العبرة بها، وقد أحاطت به الزخارف والبناء المحكم وعلقت على جدرانها صناديق النذور؟

كيف تأتي العظمة من أضرحة غطيت بثياب من الحرير، وأحاطتها الأنوار الساطعة، وفاحت منها العطور الفياحة التي يضعها السدنة الكاذبون بأيديهم على الخشب والنحاس في غيبة الزائرين ليخدعهم بها؟ فإذا كانت تلك البدع والمظاهر الوثنية تصرف الزائر عن الهدف الشرعي من الزيارة الشرعية فيجب هدم هذه الأضرحة وتسويتها، تمهيداً للقضاء على مظاهر الوثنية التي جلبت إلى الأذهان معتقدات الجاهلية، امثالاً لحديث أبي الهيثاج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته>.

ألم يقطع الفاروق الشجرة التي بايع النبي ﷺ أصحابه تحتها يوم صلح الحديبية لما رأى المسلمون افتتنوا بها، وذهبوا إليها يصلّون تحتها تبركاً بها؟!

لم لا نقتدي بعمر الذي نطق القرآن على لسانه مرات عديدة، والذي تفرّ منه الشياطين؟!

لم لا نقطع جذور الوثنية المتمثلة في تلك الأضرحة كما فعل عمر بالشجرة..؟
→ وقال في ص ٢٢٤: (لا يجوز زيارة النساء للقبور، ولو قبر النبي ﷺ لحديث <إن النبي ﷺ لعن زوارات القبور>).

يقول الشيخ بكر أبو زيد: (وأعلم أنّ القائل بالإباحة مقيداً لها بما إذا لم تشتمل زيارة النساء على ما يفعله من نساء زماننا من المنكر قولاً وعملاً، بل ما يفعله كثير من جهلة الرجال أيضاً، فلا خلاف إذاً في الحرمة كما لا يخفى على المطالع الخبير).

وقال أيضاً: (ومن شهد ما يقع في عصرنا هذا عند مزارات قبور الصالحين وغيرهم لا سيما عند قبر النبي ﷺ علم غاية العلم أنّ ما ذكرناه من المفساد المترتبة على فتح هذا الباب أمر واقع لا يحتمل الشك والارتياب، وأنّ منعهنّ من زيارة القبور هو مقتضى شرعه وحكمه ومن محاسن شريعته.. وعن شدّ الرحال إليها لئلا يكون ذريعة لاتخاذها أوثاناً).

وفي ص ٢٣٥ في الفصل الثالث تحت عنوان (البدع والأخطاء الشائعة التي تحدث عند قبر النبي ﷺ) ذكر عدة أمور مبتدعة وهي كالتالي:

١ - المشي إلى الورا عند إرادة الخروج من المسجد النبوي عند توديع النبي ﷺ، زاعمين أنّ ذلك من باب الآداب والاحترام.

٢ - الذهاب والسلام على النبي ﷺ.

٣ - الصلاة في المسجد النبوي القديم قبل أن يوسع.

٤ - صلاة توديع المسجد بركتين وإن نصّ عليها النووي وغيره.

٥ - زيارة المساجد الأخرى والصلاة فيها وفي مزارات المدينة.

كُلّ هذه الأمور جعلها من المبتدعات التي يفعلها الزائر والقاصد مكة المكرمة وقبر النبي الأكرم ﷺ، وأنّها أمور غير شرعية تفتقر للدليل فلا ينبغي فعلها، ومن فعلها يكون مبتدعاً ومرتبكاً لما يقربه من الشرك متدرجاً بالأصغر إلى أن يصل إلى الشرك الأكبر المخرج من الملة).

وفي ص ٢٤٢ تحت عنوان: (مقدمة للأخطاء المتعلقة بقبر النبي ﷺ).

قال: (أرى من المستحسن إيراد كلام عبد الله بن جبرين حيث قال: وليس منه - أي التوحيد الخالص - تعظيم القبر بشدّ الرحال إليه وجعله مقصداً أو مطلباً، بل يكون شركاً خفياً أو جلياً ← → لما يصحبه من التعظيم الذي يظهر أثره في التذلل والخضوع، وهذا خالص حقّ الله تعالى، وهذا ما يحصل بكثرة من جلّ أولئك الزوّار الذين يقفون أمام القبور بالمسجد والشهداء بالبقيع،

فتراهم هناك مهطعين مقنعي رؤوسهم تغشاهم الذلة والهيبة، وقد وضعوا الأيدي على الصدور أو رفعوها داعين مبتهلين بخشوع وهيبة واستكانة لا يحصل بعضها في صلاتهم بين يدي ربهم تعالى. وأكثرهم يتوجهون ناحية القبر حالة الجلوس أو الدعاء أو قراءة الأوراد، مفصلين له على القبلة، وهم في تلك الحال متصفون بالسكينة والخشوع والاحبات.. وكثيراً تبدر منهم كلمات تنافي أصل التوحيد أو كماله: كوصف الرسول ﷺ أو بعض أهل بيته بما لا يستحقه إلا الله من سعة الملك والتصرف في الكون والإعطاء والمنع والضرب والنفع.. وأقل ذلك ملك الشفاعة.. وبموجب هذا الاعتقاد يدعونه ﷺ ويسألونه بما لا يملكه إلا الله، ويعتمدون عليه، وتصدر منهم أفعال كهذه الأقوال تدل على التعظيم واعتقاد التأثير.. وكأن محبة الرسول ﷺ إنما تتجلى بدعائه والتوسل بذاته والخفض والذل أمام قبره الشريف وشبه ذلك مما هو خالص حق الله تعالى، مما قد نهى عنه نبينا ﷺ وعمّن هو دونه، ككونه خير البرية أو تسميته سيّداً، أو قول: ما شاء الله وشئت) السراج الوهاج للمعتمر والحاج: ٩٠ - ٩٤.

وقال في ص ٢٥١: (ومن المخالفات استقبال الحجرة النبوية حال الدعاء، قال شيخ الإسلام: ولا يدعو هناك مستقبل الحجرة، فإنّ هذا كلّه منهى باتفاق الأئمة، والإمام مالك من أعظم الأئمة كراهية لذلك، والحكاية المروية عنه.. كذب على مالك) التوسل والوسيلة: ٦٨، اقتضاء الصراط المستقيم ٢: ٧٦٤.

ولا يقف عند القبر بالدعاء لنفسه، فإنّ هذه بدعة ولم يكن أحد من الصحابة يقف عنده ليدعو لنفسه، ولكن كانوا يستقبلون القبلة في مسجده، ولا عند قبره ولا إليه، فلا يستحب أن يستقبل حال الدعاء.. لهذا لا يجوز للداعي أن يستقبل حال الدعاء قبراً أو ولياً ولا جهة ما، حتّى عند قبر النبي ﷺ.. وفعل شيء من ذلك فيه مضارعة للنصارى في دينهم المحرّف).

→ وفي ص ٢٥٢: ذكر جملة من البدع المنهي عنها - حسب زعمه - فقال معدداً لها:

١< - الجلوس عند القبر وحوله لتلاوة القرآن والذكر.

وقسموا التوحيد إلى توحيد الربوبية وهو: الاعتقاد بأن الخالق الرازق المدبر للأمر هو الله، وتوحيد العبادة وهو: صرف العبادة كلها إلى الله، قالوا: ولا ينفع الأول بدون الثاني؛ لأنّ مشركي قريش كانوا يعتقدون بالأول فلم ينفعهم لعدم إقرارهم بالثاني، كذلك المسلمون لا ينفعهم الإقرار بتوحيد الربوبية، لعبادتهم الأنبياء والصالحين وقبورهم بنفس الأشياء التي مرّ ذكرها التي كان المشركون يعبدون أصنامهم بها.

وقالوا: الكفر نوعان : مطلق، ومقيّد، فالمطلق أن يكفر بجميع ما جاء به الرسول ﷺ، والمقيّد أن يكفر ببعضه، وهو كفر المسلمين الذين هم

٢ - قراءة الفاتحة عند قبر النبي ﷺ أو سورة يس أو الإخلاص أو نحوها من القرآن عند قبره ﷺ أو غيره من القبور وتثويبه للأموات ، وكلّ ذلك بدعة.

٣ - سؤالهم بذاته أو بجاهه ﷺ عند قبره وإقسامهم على الله به وسؤالهم الشفاعة منه ﷺ وإنشادهم : يا خير من دفنت بالقاع أعظمه.

٤ - دعاؤهم عند قبر النبي ﷺ ، يظنون أنّ للدعاء عند قبره ﷺ مزية، بل بعضهم يصلي عند قبره ﷺ.

٥ - الوقوف بالميت أمام قبر النبي ﷺ والدعاء والتوسل به ﷺ، وهذه بدع لا دليل عليها). وقال في ص ٢٥٣: (قولهم بمشروعية الاستغفار عند قبر النبي ﷺ وقراءتهم لآية: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا}، ويزعمون أنّ ذلك وإن كان قد ورد في حال الحياة فهي رتبة له ﷺ ولا تنقطع بموته ﷺ تعظيماً له على حد قولهم.

وهذا كلّه لا يجوز..).

باعتقادهم مشركون.

وقسموا الشرك إلى قسمين: أكبر وأصغر، فالأكبر هو الذي تقدم، والأصغر كالرياء والحلف بغير الله تعالى^(١).

وفرع الوهابية على هذا الاعتقاد الذي اعتقدوه من إشراك جميع المسلمين وجوب قتالهم، واستحلال دمائهم، وجعل بلادهم دار حرب، وقاتلهم جهاداً في سبيل الله، وبلادهم بلاد شرك، تجب الهجرة منها إلى بلاد الإسلام التي أهلها وهاوية موحدون، كما كانت هذه الأشياء ثابتة في حق عبدة الأوثان والأصنام، قال محمد بن عبد الوهاب في رسالة ثلاثة الأصول: (والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة)^(٢).

أما سبي ذراري المسلمين فهو مقتضى قواعد المذهب الوهابي الذي أساسه ومبناه ومحوره الذي يدور عليه التسوية بين عبدة الأصنام وبين المسلمين في الإشراك بالعبادة، وقد صرح الصنعاني في تطهير الاعتقاد في عدة مواضع بما يدل على ذلك حيث قال: (ومن فعل ذلك - أي الاستغاثة وما يجري مجراها - لمخلوق حي أو ميت أو جماد أو غيره فهذا شرك في العبادة، وصار من تفعل له هذه الأمور إلهاً لعبديه، وصار بهذه العبادة أو بأي نوع منها عابداً لذلك المخلوق، وإن أقرّ بالله وعبدته، فإنّ إقرار المشركين بالله وتقرّبهم إليه لم

١- كشف الشبهات: ٨٠، مؤلفات محمد بن عبد الوهاب ١: ١٩ و ٢١ و ٦٧ و ٨٩ و ١٢١، رفع الشبهة والغرور ١: ٦٧، فتح المجيد ١: ١٤٠، شرح قصيدة ابن القيم ١: ١٨، تيسير العزيز الحميد ١: ١٧ و ٢٣، فتاوى مهمة ١: ٤ و ٨، كشف الأوهام ١: ٥٨، معارج القبول ١: ٩٨ و ٢: ٤٠١ و ٤٠٢ و ٤٥٩.

٢- عقيدة الفرقة الناجية لمحمد بن عبد الوهاب ١: ٢٨.

يخرجهم عن الشرك وعن وجوب سفك دماءهم وسبي ذراريهم ونهب أموالهم^(١).

وقال في موضع آخر : (فمن رجع وأقرّ حقن عليه دمه وماله وذاريه، ومن أصرّ فقد أباح الله منه ما أباح لرسوله ﷺ من المشركين)^(٢) انتهى.

ويدل عليه ما حكاه الجبرتي في تاريخه في حوادث سنة (١٢١٧ هـ) كما تقدم نقله عنه في بعض الحواشي السابقة أنّهم لمّا دخلوا الطائف قتلوا الرجال وأسروا النساء والأطفال، قال: (وهذا دأبهم مع من يحاربهم)^(٣).

وعن كتاب التوضيح لسليمان بن عبد الله بن محمّد بن عبد الوهاب أنه قال: (وأباح لأهل التوحيد أموالهم ونساءهم، وأن يتخذوهم عبيداً)^(٤) انتهى.

ومرّ عن تاريخ الأمير حيدر أنّ الوهابيين في بعض حروبهم سبوا النساء وقتلوا الأطفال^(٥).

ولكن في الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية: (وممّا نحن عليه أنا لا نرى سبي العرب ولم نفعله، نقاتل غيرهم - كذا - ولا نرى قتل النساء

١- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد : ٥٠٠، مطبوع ضمن الجامع الفريد.

٢- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد : ٥٠٤، مطبوع ضمن الجامع الفريد.

٣- عجاب الآثار في التراجم والأخبار ٢: ٥٥٤ ونصّ العبارة كالتالي: (فحاربوا الطائف وحاربهم أهلها ثلاثة أيّام حتّى غلبوا، فأخذ البلدة الوهابيون واستولوا عليها عنوة، وقتلوا الرجال وأسروا النساء والأطفال، وهذا دأبهم مع من يحاربهم).

٤- التوضيح لسليمان بن عبد الوهاب: ٧٠.

٥- تاريخ الأمير حيدر الشهابي ٤: ١١٥٦، الفصل الثامن في ثورة الوهابيين وإخضاعهم بقيادة الأمير طوسون باشا.

والصبيان^(١) انتهى.

وهذا مناقض لقواعد مذهبهم، ولما سمعت من كلام بعضهم، والتناقض في كلامهم غير عزيز كما يظهر لك من تضاعيف هذا الكتاب. وأما إبداع المسلمين في الدين فيأحدثهم أشياء فيه لم تكن على عهد النبي ﷺ والصحابة، وقالوا: البدعة وهي ما حدثت بعد القرون الثلاثة، أي قرون النبي ﷺ وما بعده؛ مذمومة مطلقاً، ذكره حفيد ابن عبد الوهاب في إحدى رسائل الهدية السننية،^(٢) وذلك مثل المحاريب الأربعة في المساجد للأئمة الأربعة، وجعل أربعة أئمة للصلاة من أهل المذاهب الأربعة، والترحيم، والتذكير الذي يفعل في المآذن ليلة الجمعة ويومها وليلة الإثنين، وبين الأذان والإقامة وقبل الفجر، ورفع الصوت في مواضع الأذان كالمنابر بغير الأذان من قرآن أو صلاة على النبي ﷺ أو ذكر بعد أذان أو في ليلة جمعة أو رمضان أو العيدين، وقراءة حديث أبي هريرة قبل خطبة الجمعة، والاجتماع على قراءة سيرة المولد الشريف النبوي، وقراءة المولد النبوي بقصائد بالحن وتخلط بالصلاة عليه، والأذكار والقراءة، وتكون بعد التراويح، والتظاهر باتخاذ المسابح، والاجتماع على رواتب المشائخ برفع الصوت، وقراءة الفوتوح كراتب السمان والحداد وغيرهما، وقراءة الفواتح للمشائخ بعد الصلوات الخمس، وكصلاة الخمسة فروض بعد آخر جمعة من رمضان، ورفع الصوت بالذكر عند حمل الميت، وعند رش القبر بالماء، وكاتخاذ الطرائق، وتعليق الأسلحة والبيارق في التكايا والزوايا، وعمل الذكر المتعارف، ونقر الدفوف، وما يتخلل ذلك من الشهيق والنهيق والنعيق، وتكرار لفظ الجلالة: (الله الله)

١- الهدية السننية والتحفة النجدية، الرسالة الثانية لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: ٤٩.

٢- المصدر السابق: ٥٧.

وغير ذلك^(١).

واحرق الوهابية دلائل الخيرات بدعوى اشتغالها على البدعة أو الشرك، وفي خلاصة الكلام: (إنَّ محمد بن عبد الوهاب كان ينهى عن الإتيان بالصلاة على النبي ﷺ ليلة الجمعة، وعن الجهر بها على المنابر، وأنه قتل رجلاً أعمى كان مؤذناً صالحاً ذا صوت حسن، نهاه عن الصلاة على النبي صلى عليه وآله وسلم في المنارة بعد الأذان فلم ينته، فأمر بقتله فقتل).

ثم قال: إنَّ الرابة في بيت الخاطئة أقل إثماً ممَّن ينادي بالصلاة على النبي ﷺ في المنابر^(٢) انتهى.

وذلك لأنَّ الرابة في بيت الخاطئة لا يتجاوز أثمها صاحبها، أما الصلاة على النبي ﷺ بتلك الكيفية فهي بزعمه بدعة، فيتعدى إثمها لكل من يقتدي بفاعلها.

ونقول: البدعة كما مرَّ في المقدمات ادخال ما ليس من الدين في الدين، كإباحة محرَّم أو تحريم مباح أو إيجاب ما ليس بواجب أو ندبه أو نحو ذلك، سواء كانت في القرون الثلاثة أو بعدها، وتخصيصها بما بعد القرون الثلاثة لا وجه له، ولو سلمنا حديث: <خير القرون قرني>^(٣) إلخ فإنَّ أهل القرون الثلاثة غير معصومين بالاتفاق.

١- الهدية السنية والتحفة النجدية، الرسالة الثانية لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: ٥٨ - ٦٠

٢- خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: ٢٣، الدرر السنية في الرد على الوهابية: ٤١.

٣- الحديث هو: <خير القرون قرني الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم> مسند

أحمد ١: ٣٧٨، صحيح البخاري ٣: ١٥١ كتاب الشهادات، صحيح مسلم ٧: ١٨٤، فتح

الباري ٧: ٥، فيض القدير ٦: ٥٧١، نظم المتناثر من الحديث المتواتر: ١٩٩، مجمع الزوائد ١٠: ٢٠،

الإصابة ١: ٢١، معجم البلدان ٤: ٣٣٢، البداية والنهاية ١: ١١٤.

وتقسيم بعضهم لها إلى حسنة وقبيحة أو إلى خمسة أقسام ليس بصحيح، بل لا تكون إلا قبيحة^(١).

ولا بدعة فيما فهم من إطلاق أدلة الشرع أو عمومها أو فحواها أو نحو ذلك، وإن لم يكن موجوداً في عصر النبي ﷺ، فتقيل يد العالم أو الصالح أو الأبوين بقصد التعظيم والاحترام تقرباً إليه تعالى جائز وراجح، وإن لم يكن ذلك في عصره ﷺ، ولا ورد فيه نص خاص فإنه بعد أن صار نوعاً من التعظيم عادة، وفهم من أدلة الشرع رجحان تعظيم المؤمن بوجه العموم يكون جائزاً وراجحاً، وكذا القيام عند ذكر ولادة النبي ﷺ^(٢) أو ذكر اسم رجل عظمه

١ - راجع على سبيل المثال: حاشية رد المختار ١: ٦٠٣، شرح مسلم ٦: ١٥٤، فتح الباري ١٣: ٢١٣، الديباج على مسلم ٢: ٤٤٥، شرح سنن النسائي ٣: ١٨٩، روح المعاني ٢٧: ١٩٢.

٢ - من الأمور التي سل الوهابية سيفهم عليها وأصلته بوجه عموم المسلمين، ممن لا يعتقدون بخرافاتهم وآرائهم الباطلة بدعة القيام عند سماع ذكر النبي |، قال الصالحي الشامي في كتابه سبل الهدى والرشاد ١: ٣٤٤: (جرت عادة كثير من المحبين إذا سمعوا بذكر وضعه صلى عليه وآله وسلم أن يقوموا تعظيماً له صلى الله عليه وآله وسلم وهذا القيام بدعة لا أصل له). وقال في السيرة الحلبية ١: ١٣٦: (جرت عادة كثير من الناس إذا سمعوا بوضعه صلى عليه وآله وسلم أن يقوموا تعظيماً له صلى الله عليه وآله وسلم وهذا القيام بدعة لا أصل له).

وقال ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الحديثية: ٥٨: (ونظير ذلك فعل كثير عند ذكر مولده صلى عليه وآله وسلم ووضع أمه له من القيام، وهو أيضاً بدعة لم يرد فيه شيء، على أن الناس إنما يفعلون ذلك تعظيماً له صلى الله عليه وآله وسلم، فالعوام معذورون لذلك بخلاف الخواص).

وقال محمد رشيد رضا في فتاواه ٥: ٢١١٣: (أما القيام عند ذكر وضع أمه صلى عليه وآله وسلم وإنشاء بعض الشعر أو الأغاني في ذلك فهو من جملة هذه البدع، وقد صرح بذلك الفقيه ابن حجر المكي الشافعي).

الشرع هو من هذا القبيل ما لم يكن التعظيم بفعل حرّمه الشرع، كالغناء وآلات اللهو والكذب في المدح ونحو ذلك.

كما أنّه لا بدعة فيما فعل لا بقصد الخصوصية أو العبادة. ومنه يعلم عدم صحة الحكم بالبدعة في كلّ ما ذكره وصحته في

→ إلى غير ذلك من الكلمات الكثيرة المبدعة للمحتفلين بالمولد النبوي الشريف والقيام وإنشاء الشعر في حقّه صلى عليه وآله وسلّم.

وقد ألف الشيخ العلامة محمّد العلوي المالكي الحسني كتاباً في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ورد فيه على المبدعين للاحتفال بمولده صلى عليه وآله وسلّم، ومن جملة كلامه ما ذكره في ص (٤١) حيث قال : (أما القيام في المولد النبوي عند ذكر ولادته وخروجه إلى الدنيا فإنّ بعض الناس يظنّ ظناً باطلاً لا أصل له عند أهل العلم فيما أعلم، بل عند أجهل الناس ممن يحضر المولد ويقوم مع القائمين، وذلك الظن السيء هو أنّ الناس يقومون معتقدين أنّ النبي صلى عليه وآله وسلّم يدخل إلى المجلس في تلك اللحظة بجسده الشريف، ويزيد سوء الظن ببعضهم فيرى أنّ النجوى والطيب له، وأنّ الماء الذي يوضع في وسط المجلس ليشرب منه !!

كلّ هذه الظنون لا تخطر ببال عاقل من المسلمين، وإنّا إلى الله من كلّ ذلك، لما في ذلك من الجرأة على مقام رسول الله صلى عليه وآله وسلّم والحاكم على جسده الشريف بما لا يعتقد إلاّ ملحد مفترٍ، وأمور البرزخ لا يعلمها إلاّ الله تعالى ...

ونعم إننا نعتقد أنّه صلى عليه وآله وسلّم حيّ حياة برزخية كاملة لائقة بمقامه، وبمقتضى تلك الحياة الكاملة تكون روحه جواله سياحة في ملكوت الله سبحانه وتعالى، ويمكن أن تحضر مجلس الخير ومشاهد النور والعلم.

إذا علمت هذا فاعلم أنّ القيام في المولد النبوي ليس هو بواجب ولا سنّة، ولا يصح اعتقاد ذلك أبداً، وإنّما هو حركة يعبر بها الناس عن فرحهم وسرورهم، فإذا ذكر أنّه صلى عليه وآله وسلّم ولد وخرج إلى الدنيا يتصوّر السامع في تلك اللحظة أن الكون كلّ يهتزّ فرحاً وسروراً بهذه النعمة، فيقوم مظهر الفرح والسرور، معبراً عنه، فهي مسألة عادية محضة لا دينية...).

البعض، ورفع الصوت بالأشياء المذكورة لا مانع منه، لعموم أدلتها أو إطلاقها، وعدم تقييدها برفع الصوت ولا بخفضه، خصوصاً إذا كان في رفع الصوت فائدة، كالإعلان بذكر الله، واتعاظ السامع ونحو ذلك. نعم، لو فعلت بقصد الخصوصية والورود كانت بدعة.

ودعوى: أن السامع يتوهمها كذلك لا تسمع؛ لأن السامع عليه الفحص وسؤال أهل المعرفة، وكذا التذكير والترحيم يشمله عموم ذكر الله ودعائه والترحم على المؤمنين والصحابه ونحو ذلك، وعد ذلك بدعة جمود وقلة فقه، فلو أن رجلاً اصطاح على أن يصلي على النبي ﷺ عند طلوع الشمس عشر مرات أو أن يكبر بعد العصر سبعين مرة مثلاً أو نحو ذلك ولم يقصد أن هذا مأمور به بخصوصه لم يكن مبدعاً في الدين، بعد دلالة الأدلة الشرعية بعمومها أو إطلاقها على استحباب الصلاة على النبي ﷺ في أي وقت كان^(١)، واستحباب ذكر الله بالتكبير وغيره.

ولو فرضنا أنه يلزم فعل العبادات بجميع الخصوصيات التي كان يفعلها النبي ﷺ بها، ولا يجوز فعلها بدونها، بل تكون بدعة لكانت الصلاة بالطربوش أو الشال الهندي أو البنطلون أو العقال والمنديل بدعة، ولكانت الخطبة في الجمعة والعيدين بدون قلنسوة بدعة، إذا فرض أنه ﷺ كان يفعلها متقلنساً، وبقلنسوة بيضاء بدعة إذا فرض أنه كان يفعلها بقلنسوة حمراء مثلاً وهكذا، وهذا لا يقول به من عنده أدنى معرفة بأدلة الشرع.

١ - راجع في ذلك الأحاديث الواردة من الطرفين شيعةً وسنةً في المصادر التالية : المحاسن ١ : ٩٥، أصول الكافي ٢ : ٤٩٥ ، الأمالي : ٦٧٦ ، ثواب الأعمال : ٢٠٦ ، وسائل الشيعة ٦ : ٤٠٨ ، مسند أحمد ١ : ٢٠١ ، سنن الترمذي ٥ : ٢١١ ، المستدرك على الصحيحين ١ : ٥٤٩ ، مجمع الزوائد ١ : ١٣٧ ، مسند أبي داود : ٢٨٣ ، المصنف لابن أبي شيبة ٧ : ٤٤٣ ، فضل الصلاة على النبي ﷺ : ٤٢ وغيرها من المصادر الغفيرة.

وكأنهم منعوا الترحيم الذي يقال فيه: يا أرحم الراحمين ارحمنا بجناه فلان، لأنّ ذلك عندهم من التوسل الموجب للكفر، وستعرف فسادهم. والالتزام بقراءة حديث فيه فائدة أمام خطبة الجمعة لا ضرر فيه إن لم يفعل بقصد الورود، والاجتماع على قراءة سيرة المولد الشريف فيه تعظيم للنبي ﷺ واستبشار بخبر ولادته التي كانت سبباً لسعادتنا الأبدية، فيشملة عموم ما دلّ على رجحان ذلك.

وقراءة المولد مع قصائد وصلاة عليه لا مانع منها إن لم تشتمل على الغناء المحرّم، لعموم الأدلة، والتظاهر بحمل المسابح لا محذور فيه، لما فيه من الفوائد من عد الأذكار الموظفة بعدد خاص، فتكون كما ورد من العد على النوى الذي أشار إليه صاحب المنار في الحاشية.

وقوله في الحاشية: (أي اتخاذها شعاراً يوهّم أنّه مطلوب شرعاً) مردود بأنّه لا يوهّم ذلك عند ذي المعرفة، وغيره لا يضرنا وهمه، ولا يلزمنا دفعه، ولا يصير فعلنا بدعة بسببه.

وقراءة الفواتح للمشائخ بعد الصلوات يراد بها إهداء الثواب إليهم، فيعمها ما دلّ على جواز إهداء الثواب للميت واختيار أوقات الصلاة، لأنّها أفضل فيزداد الثواب.

ومن ذلك تعلم أنّ قوله: (فالربابة..) ألخ مع ما فيه من سوء الأدب العظيم مبني على ما هو فاسد من كون رفع الصوت في المنارة بالصلاة بدعة، وقد عرفت فسادهم، وأنّ الصلاة عليه ﷺ مستحبة مطلقاً، مع رفع الصوت وبدونه، على المنارة وغيرها، فيجوز مطلقاً إلا أن يقصد وروده في الشرع بهذه الكيفية، وهذا لا يقصده أحد.

والحاصل: إنّ ما ثبت استحبابه على وجه العموم إذا التزم بكيفية منه لا

من باب الخصوصية لا يكون ذلك بدعة.

أما المحاريب الأربعة والأئمة الأربعة للصلوات الخمس فقد بينا في مقام آخر من هذا الكتاب أنه لو كان بدعة لكانت المذاهب الأربعة بدعة، ومع كونها سنة فلا بد أن يكون سنة.

أما اتخاذ الطرائق وما يتبعها مما عدوه إلى الشهيق والنهيق والنعيق وتكرار الجلالة الذي يشبه في كثير من حالاته نبج الكلاب فنحن نوافقهم في أنه من البدع القبيحة ومن تسويلات الشيطان.

ثم قال حفيد ابن عبد الوهاب في إحدى رسائل الهدية السنية بعد كلامه السابق: (وأما ما لا يتخذ ديناً ولا قرينة كالكهنة وإنشاد قصائد الغزل، ومدح الملوك فلا ننهي عنه.

ويحل كل لعب مباح، لأن النبي ﷺ أقر الحبشة على اللعب في يوم العيد.

ويحل الرجز والحداء وما يورث الحماسة فيه لطبل الحرب.

ولا بأس بدف العرس، وقد قال ﷺ: بعثت بالحنيفية السمحة، لتعلم اليهود أن في ديننا فسحة^(١) انتهى.

وهنا نشكر للوهابية تسامحهم وتساهلهم في تحليل الأشياء المذكورة وعدم عدهم لها كفراً وشركاً أو تحريمهم لها أو عدها بدعة، كما حرّموا التدخين وعاقبوا عليه، وكما توقفوا في التلغراف كما ستعرف في الخاتمة.

وإذا كانوا يعلمون أنه ﷺ بعث بالحنيفية السمحة فما بالهم يضيّقون على

١ - الهدية السنية والتحفة النجدية، الرسالة الثانية لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: ٦١ - ٦٠.

العباد في الأمور الاجتهادية التي ليست من ضروريات الدين، مع تجويزهم الاجتهاد ومخالفة جميع المذاهب الأربعة، واعتقادهم أنّ المخطئ في اجتهاده مأجور؟!

وتحريم التدخين ليس من ضروريات الدين، ولم يرد فيه نص، ولم يكن في زمن النبي ﷺ، وحاله حال القهوة التي يشربونها، وصرّحوا بحليتها، فإن كان تحريم الدخان لعدم النص فالقهوة كذلك، وإن كان للإضرار فلا يحرم على من لا يعتقد الضرر، وإن كان للإسراف فالمدخنون يرتاحون إليه، ويستعينون به على التسلي وتصفية الفكر، وإن كان لأنّه من الخبائث فليس بمأكل ولا مشروب حتّى يعمّه تحريم الخبائث، لأنّ إضافة التحريم إلى الأعيان على حذف الفعل المناسب، فحرمت الخمر أي شربها، والميتة أي أكلها، وأمها تكم أي نكاحها، والخبائث أي أكلها وشربها وغير ذلك.

على أنّ الخبائث مجملة، فما شكّ في دخوله فيها بقي على إصالة الحل، وبعد ذلك كلّه فالمجتهد في حلية التدخين ليس لنا معارضته أصاب أو أخطأ، لأنّه معذور، وكذا كلّ ما ينقمونه على المسلمين لا يخرج عن أمور اجتهادية ليست ضرورية، فكيف ساغ لهم معارضة المسلمين فيها بالسيف والسنان، وجعل الوهابية حالهم في الدعاء إلى مذهبهم وإلى تجديد التوحيد ورفع البدع حال رسول الله ﷺ والأنبياء قبله في الدعاء إلى الإسلام والتوحيد، فكما جاءت الأنبياء لتلزم الناس بالتوحيد، وتمنعها من الشرك، وترفع من بينها البدع، وكما دعا النبي ﷺ مشركي قريش ومن ضارعههم من عبدة الأوثان إلى إخلاص التوحيد، واستحلّ دم ومال من أبى. فالوهابيون يدعون جميع المسلمين الذين هم جميعاً عندهم من عبدة الأوثان إلى إخلاص التوحيد، وترك الشرك والبدع، ومن أبى ولم يتوّهب حلّ ماله ودمه كما حلّ مال ودم عبدة الأصنام ومشركي قريش في زمن النبي ﷺ، صرح بذلك محمّد بن

عبد الوهاب في كشف الشبهات، وصرّح به محمّد بن إسماعيل الصنعاني في تطهير الاعتقاد كما سيأتي عند نقل كلامهما وغيرهما.

والحاصل: إنّ حكم الوهابيين بكفر وشرك جميع المسلمين هو أساس مذهبهم ومحوره الذي يدور عليه، لا يتحاشون منه، وكتبهم مشحونه بالتصريح به تصريحاً لا يقبل التأويل، بل صرّح محمّد بن عبد الوهاب في رسالتي أربع القواعد وكشف الشبهات - كما سيأتي - بأنّ شرك المسلمين أغلظ من شرك عبدة الأصنام؛ لأنّ أولئك يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، وهؤلاء شركهم دائم في الحالتين، ولأنّ أولئك يدعون مع الله أناساً مقرّبين عنده، وأشجاراً وأحجاراً غير عاصية، وهؤلاء يدعون معه أناساً من أفسق الناس، وصرّح بذلك الصنعاني في رسالة تطهير الاعتقاد في عدّة مواضع، بل صرّح في تلك الرسالة كما ستعرف بأنّ كفر المسلمين كفر أصلي لا كفر ردة^(١).

١- صرّح الصنعاني في رسالته تطهير الاعتقاد بكفر المسلمين في عدّة مواضع ننقل شطراً منها حسب التسلسل الرقمي للصفحات:

١ - قال في ص ٥٠٠: (وجميع أنواع العبادات من الخضوع والقيام تذلاًّ لله تعالى والركوع والسجود والطواف والتجرد عن الثياب والحلق والتقصير كلّ لا يكون إلّا لله عزّ وجلّ، ومن فعل ذلك لمخلوقٍ حي أو ميت أو جماد أو غيره فهذا شرك في العبادة، وصار من تفعل له هذه الأمور إلهاً لعبديه، سواء كان ملكاً أو نبياً أو ولياً أو شجراً أو قبراً أو جنيّاً..).

٢ - قال في ص ٥٠١: (من اعتقد في شجر أو حجر أو قبر أو ملك أو جني أو حي أو ميت أنّه ينفع أو يضر أو أنّه يقرب إلى الله أو يشفع عنده في حاجة.. فإنّه قد أشرك مع الله غيره واعتقد ما يخل اعتقاده كما اعتقد المشركون في الأوثان).

٣ - قال في ص ٥٠٣: (فإنّ تعظيم الأولياء ونحر النحائر لهم شرك).

←

وصرح بالتكفير بجملة مما كفر به الوهابية غيرهم ابن تيمية في (رسالتي الواسطية وزيارة القبور)^(١) كما ستعرف، ومنه أخذ الوهابية تكفير المسلمين،

→ وقال أيضاً: (ومن نادى الله ليلاً ونهاراً وسراً وجهاً وخوفاً وطمعاً ثم نادى معه غيره فقد أشرك في العبادة).

وقال أيضاً: (إذا كانوا مشركين وجب جهادهم والسلوك فيهم ما سلك رسول الله ﷺ في المشركين؟

قلت: إلى هذا ذهب طائفة من أئمة العلم فقالوا: يجب أولاً دعاؤهم إلى التوحيد وإبانه أن ما يعتقدون ينفع ويضر لا يغني عنهم من الله شيئاً.. وأن هذا الاعتقاد منهم فيهم شرك لا يتم الإيمان بما جاءت به الرسل إلا بتركه والتوبة منه.. فمن رجع وأقر حقن عليه دمه وماله وذرايه، ومن أصر فقد أباح الله منه ما أباح لرسوله ﷺ من المشركين).

٤ - وقال في ص ٥٠٥: (فهؤلاء القبوريون والمعتقدون من جهال الأحياء وضلالهم سلكوا مسلك المشركين حذو القذة بالقذة..).

٥ - وقال في ص ٧٠٥: (قد ذكر العلماء أن من تزىي بزي الكفار صار كافراً، ومن تكلم بكلمة الكفر صار كافراً فكيف بمن بلغ هذه الرتبة اعتقاداً وقولاً وفعلًا) يقصد بذلك من يستغيث ويتوسل ويزور القبور.

٦ - وقال في ص ٥١١: (هذه القباب والمشاهد صارت أعظم ذريعة إلى الشرك والإلحاد) إلى غير ذلك من الكلمات المكفرة لزائري القبور والمتوسلين والمستغيثين بها.

١ - في العقيدة الواسطية لم يتعرض لتكفير المسلمين وإنما استعرض عقيدة أهل السنة والجماعة ولمح إلى انحراف الجهمية والرافضة، وأما في كتابه زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور فقد كفر فيه المسلمين، وافتتح كتابه بالتكفير كما في ص ٤ و ٥ و ٦ و ٧.

وقال في ص ١٧ و ١٨ وهو يذكر أقسام المتوسلين بالنبي ﷺ عند قبره: (أن يسأله حاجته مثل أن يسأله أن يزيل مرضه أو مرض دوابه أو يقضي دينه أو ينتقم من عدوه أو يعافي نفسه وأهله ←

وعلى أساسه بنوا وزادوا.

وصرّح بذلك أيضاً الوهابية في عدّة مواضع من رسائل الهدية السنّية الخمس^(١) وغيرها ، وصرّح به عبد اللطيف حفيد ابن عبد الوهاب فيما حكاه

→ ودوابه ونحو ذلك ممّا لا يقدر عليه إلاّ الله عزّ وجلّ فهذا شرك صريح، يجب أن يستتاب صاحبه فإنّ تاب وإلاّ قتل .

وإن قال أنا أسأله لكونه أقرب إلى الله منّي ليشفع لي في هذه الأمور؛ لأنّي أتوسل إلى الله به كما يتوسل إلى السلطان بخواصّه وأعوانه من أفعال المشركين والنصارى، فإنّهم يزعمون أنّهم يتخذون أبحارهم ورهبانهم شفعاء يستشفعون بهم في مطالبهم، وكذلك أخبر الله عن المشركين أنّهم قالوا: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}..).

وقال في ص ٢١: (وقال كثير من الضلال: هذا أقرب إلى الله منّي، وأنا بعيد من الله لا يمكنني أن أدعوه إلاّ بهذه الوساطة ، ونحو ذلك من أقوال المشركين..).

وقال في ص ٢٢: (ثمّ يقال لهذا المشرك..).

وقال في ص ٣٤: (وإنّما يقرّ على الغلو فيه وتعظيمه بغير حقّ من يريد علواً في الأرض وفساداً كفرعون، ونوح، ومشايخ الضلال الذين غرضهم العلو في الأرض والفساد والفتنة بالأنبياء والصالحين واتّخذهم أرباباً والإشراك بهم ممّا يحصل في مغيبهم وفي مماتهم كما أشرك بالمسيح وعزير).

وقال في ص ٣٥: (ومن أعظم الشرك أن يستغيث الرجل بميت أو غائب).

وقال في ص ٣٦: (وهؤلاء المشركون يضمّون إلى الشرك الكذب..).

وقال في ص ٥٤: (وأما التمسح بالقبر - أي قبر كان - وتقبيله وتمريغ الخد عليه، فمنهي عنه باتفاق المسلمين، ولو كان ذلك من قبور الأنبياء.. بل هذا شرك..).

١- صرّح بالتكفير عبد العزيز بن محمّد بن سعود في الرسالة الأولى من الهدية السنّية حيث

قال في ص ١٠ : (فنحن نقول ليس للخلق من دون الله من ولي ولا نصير، وسائر الشفعاء

- محمّد ﷺ سيدهم وأفضلهم فمن دونه - لا يشفعون لأحد إلاّ بإذنه .. وكذلك حق أوليائه ←

→ محبتهم.. لا دعاؤهم ليجلبوا لمن دعاهم خيراً لا يقدر عليه.. لأنّ ذلك عبادة مختصة بجلاله تعالى..).

وقال في ص ١٢: (ولا نكفر إلا من أنكر أمرنا هذا ونهينا..).

وقال في ص ١٥: (فبدل أهل الشرك والبدع قولاً غير الذي قيل لهم، بدلوا الدعاء له بدعائه نائياً عنهم..).

وقال في ص ٢١: (واتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد هو الموقع لكثير من الأمم إما في الشرك الأكبر أو فيما دونه من الشرك.. والشرك بقبر النبي ﷺ أو الرجل المعتقد بصلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو بحجر، ولهذا تجد أهل الشرك كثيراً ما يتضرعون ويخشعون عندها ما لا يخشعون لله في الصلاة، ويعبدون أصحابها بدعائهم ورجائهم، والاستغاثة بهم، وسؤال النصر على الأعداء، وتكثير الرزق وإيجاده، والعافية، وقضاء الديون، ويبدلون لهم النذور لجلب ما أملوه أو دفع ما خافوه مع اتخاذهم أعياداً، والطواف بقبورهم وتقيلها واستلامها، وتعفير الخدود على تربتها، وغير ذلك من أنواع العبادات والطلبات التي كان عليها عبّاد الأوثان يسألون أوثانهم ليشفعوا لهم عند مليكهم..).

وقال في ص ٢٢: (فأمر الله العباد بإخلاص تلك العبادة له وحده، فلا يدعونهم ولا يسألونهم الشفاعة فإنّ ذلك دين المشركين..).

وقال في ص ٢٦: (فمجرد معرفتهم بربوبيته تعالى واعترافهم بها لم تدخلهم في الإسلام مع جعلهم مع الله آلهة أخرى يدعونها ويرجونها لتقربهم إلى الله زلفى وتشفع لهم عنده، فبذلك كانوا مشركين في عبادته ومعاملته.. والدعاء مخ العبادة كما أنّ الآلهة اسم المعبود.. إذ كلّ مدعو فهو آلهة قصد الداعي أن يكون مدعوه إلهاً أم لا، اتخذ المشركون الأولون أم لا، وليس ثمّ دعاء آلهة آخر له برهان).

وقال في ص ٣٩: (فهذا يتبيّن أنّ الشيطان اللعين نصب لأهل الشرك قبوراً يعظمونها ويعبدونها أوثاناً من دون الله، ثمّ يوحى إلى أوليائه أنّ من نهى عن عبادتها واتخاذها أعياداً وجعلها.. أوثاناً فقد انتقصها وغمطها حقّها فيسعى الجاهلون المشركون في قتالهم وعقابهم، وما ذنبهم عند ←

→ هؤلاء المشركين إلا أنهم أمروهم بإخلاص التوحيد، ونهوههم عن الشرك بأنواعه وقالوا بتبطله، فعند ذلك غضب المشركون واشمأزت قلوبهم فهم لا يؤمنون.

وقالوا: قد انتقصوا أهل المقامات والرتب، فاستحقوا الويل والتعب، وفي زعمهم أنهم لا حرمة لهم لدينا ولا قدر، حتى سرى ذلك في نفوس الجاهل والطغام، وكثير ممن ينسب إلى العلم والدين، حباً للأولياء اتباع المرسلين، ويسبب ذلك عادونا ورمونا بالعظائم والجرائم، ونسبوا كل قبيح إلينا، ونفروا الناس عنا وعمّا ندعو الناس إليه، ووالوا أهل الشرك وظاهروهم علينا، وزعموا أنهم أولياء الله وأنصار دينه ورسله وكتابه، ويأبى الله ذلك، فما كانوا أولياءه إن أولياءه إلا المتقون له، الموافقون له، العارفون به وبما جاء به، لا المتشبعون بما لم يعطوا، اللابسون ثياب الزور، الذين يصدون الناس عن دين نبيهم وهديه وسنته ويغونها عوجاً وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً باتباعه واحترامه والعمل به.. وهم أعصى الناس لهم، وأبعدهم منهم ومن هديهم ومتابعيهم، كالنصارى مع المسيح وكاليهود مع موسى والرافضة مع علي.. فالؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، والمنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات بعضهم أولياء بعض.

ومن أصغى إلى كلام الله بكليّة قلبه تدبره وتفهمه أغناه عن اتباع الشياطين وشركهم الذي يصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وينبت النفاق في القلب.. فالمعرض عن التوحيد عابد للشيطان مشرك شاء أم أبى..>

وفي الرسالة الثانية لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب من الهدية السنية في ص ٤٤ وهو في معرض سبب قتالهم أهل مكة سنة (١٢١٨ هـ) ودخولها قال: (لم يكن بيننا وبينهم خلاف له وقع إلا في أمرين:

أحدهما: إخلاص التوحيد لله تعالى، ومعرفة أنواع العبادة وأنّ الدعاء من جملتها، وتحقيق معنى الشرك الذي قاتل الناس عليه نبينا محمد ﷺ، واستمر دعاؤه برهة من الزمان بعد النبوة إلى ذلك التوحيد وترك الاشراك قبل أن تفرض عليه أركان الإسلام الأربعة..).

وقال في ص ٤٥ في كلامه عن علماء مكة الذين ناقشوه حول الاستنجاد بالمقبور والتوسل عند القبور: (حلفوا لنا بالإيمان المعقدة من دون استحلاف لهم على انشراح صدورهم وجزم ←

→ ضمائرهم أنه لم يبق لديهم شك في أن من قال: يا رسول الله، أو قال: يا بن عبّاس، أو يا عبد القادر أو غيرهم من المخلوقين طالباً بذلك دفع شرّ أو بلية خير من كلّ ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى من شفاء المريض والنصر على العدو والحفظ على المكروه ونحو ذلك أنه مشرك الشرك الأكبر الذي يهدر دمه ويبيح ماله، وإن كان يعتقد أنّ الفاعل المؤثر في تصريف الكون هو الله وحده، لكنه قصد المخلوقين بالدعاء، متشفعاً بهم ومتقرباً لهم لقضاء حاجته من الله بشفاعتهم له فيها أيام البرزخ.

وأنّ ما وضع من البناء على قبور الصالحين صارت في هذه الأزمان أصناماً تقصد لطلب الحاجات ويتضرع عندها أو يهتف بأهلها في الشدائد كما كانت تفعله الجاهلية الأولى..).

وقال في ص ٥٢: (فلا يقال: يا رسول الله، أو يا ولي الله أسألك الشفاعة أو غيرها كأدر كني أو أغثني أو شفّعني أو انصرني على عدوّي أو نحو ذلك ممّا لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فإذا طلبت ذلك ممّا ذكر في البرزخ كان من أقسام الشرك..).

وقال في ص ٥٣: (ولو قبل يد أحدهم لقدم من سفر أو لمشيخة علم أو في بعض أوقات أو لطول غيبة فلا بأس به، إلا أنه لما أُلّف في الجاهلية الأخرى أنّ التقبيل صار علماً لمن يعتقد فيه أو في أسلافه أو عادة المتكبرين من غيرهم نهينا عنه مطلقاً، لاسيما لمن ذكر، حسماً لذرائع الشرك ما أمكن..).

وقال في ص ٥٤: (وإنما هدمنا بيت السيدة خديجة وقبة المولد وبعض الزوايا النبوية لبعض الأولياء حسماً لتلك المادة، وتنفيراً عن الإشراف بالله ما أمكن، لعظم شأنه، فإنّه لا يغفر، وهو أقبح من نسبة الولد لله تعالى إذ الولد كمال في حق المخلوق، وأما الشرك فنقص حتى في حق المخلوق..).

وبعد كلام له يقول في نفس الصفحة: <فإنّ قال قائل:.. يلزم من تقريركم وقطعكم في أنّ من قال: يا رسول الله، أسألك الشفاعة أنه مشرك مهذور الدم أن يقال بكفر غالب الأمّة، ولا سيّما المتأخرين، لتصريح علمائهم المعبرين أنّ ذلك مندوب، وشنوا الغارة على من خالف في ذلك؟

→ قلت: لا يلزم من ذلك، لأنّ لازم المذهب ليس بمذهب كما هو مقرر، ومثل ذلك لا يلزم أن نكون مجسمة وإن قلنا بجهة العلو كما ورد الحديث بذلك، ونحن نقول فيمن مات: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ}.
 ولا نكفر إلا من بلغته دعوتنا للحقّ، ووضحت له المحجّة، وقامت عليه الحجة، وأصرّ مستكبراً معانداً كغالب من نقاتلهم اليوم يصرون على ذلك الإشراك، ويمتنعون من فعل الواجبات، ويتظاهرون بأفعال الكبائر المحرّمات..).

وقال الشيخ أحمد بن ناصر بن عثمان المعمرى في الرسالة الثالثة المسمّاة بـ (الفواكه العذاب) في الهدية السنية ص ٦٧ بعد أن عرض عقيدة الموحدين بنظره: <فبدل أهل الشرك قولاً غير الذي قيل لهم، بدلوا الدعاء له بدعائه، والشفاعة له بالاستشفاع به، وقصدوا بالزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ إحساناً إلى الميت سؤال الميت وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذي هو مخ العبادة.. ومن المحال أن يكون دعاء الموتى مشروعاً ويصرف عنه القرون الثلاثة..).

وقال في ص ٦٨: <ونحن نعلم بالضرورة أنّ النبي ﷺ لم يشرع لأُمَّته أن يدعو أحداً من الأموات لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها، بل نعلم أنّه نهى عن كلّ هذه الأمور، وأنّ ذلك من الشرك الأكبر الذي حرّمه الله ورسوله..).

وقال في ص ٧٠: (فكلّ من دعا ميتاً أو غائباً من الأنبياء والصالحين فقد تناولته الآية، ومعلوم أنّ المشركين يسألون الصالحين بمعنى أنّهم وسائط بينهم وبين الله، ومع ذلك فقد نهى الله عن دعائهم وبيّن أنّهم لا يملكون كشف الضرّ عن الداعي..).

فكلّ من دعا ميتاً من الأنبياء والصالحين أو دعا الملائكة أو الجن فقد دعا من لا يغيّثه ولا يملك كشف الضرّ عنه ولا تحويلاً.

وهؤلاء المشركون اليوم منهم من إذا نزلت به شدة لا يدعو إلاّ شيخه ولا يذكر إلاّ اسمه..).

وقال في ص ٧٢: (إذا تمهد هذا فنقول: الذي نعتقده وندين الله به أنّ من دعا نبياً أو ولياً أو غيرهما وسأل منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات إنّ هذا من أعظم الشرك الذي كفر الله ←

→ به المشركين حيث اتخذوا أولياء وشفعاء يستجلبون بهم المنافع ويستدفعون بهم المضار بزعمهم..

فمن جعل الأنبياء أو غيرهم كابن عباس أو المحجوب أو أبي طالب وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، بمعنى أنّ الخلق يسألونهم وهم يسألون الله، كما أن الوسائل عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسألونهم أدباً منهم أن يباشروا سؤال الملك أو لكونهم أقرب الى الملك، فمن جعلهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك حلال المال والدم..).

وقال في ص ٧٨ : (إنّ طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم في الشدائد من الشرك الأكبر الذي كفر الله به المشركين).

وقال في ص ٧٩: (فأسعد الناس بشفاعه رسول الله ﷺ أهل التوحيد الذين جردوا التوحيد واخلصوه من التعلقات الشركية..).

وقال في ص ٨٠ : (فمتخذ الشفيع مشرك لا تنفعه شفاعته..).

وقال أيضاً في نفس الصفحة: (يُبين أنّ المتخذين شفعاء مشركون).

وقال أيضاً في نفس الصفحة: (الكتاب والسنة دلا على أنّ من جعل الملائكة والأنبياء أو ابن عباس أو أبا طالب أو المحجوب وسائط بينهم وبين الله ليشفعوا لهم عند الله، لأجل قربهم من الله كما يفعل عند الملوك أنّه كافر مشرك حلال الدم والمال وإن قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله وصلى وصام وزعم أنّه مسلم، بل هو من الأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً).

وقال في ص ٨١ : (فإذا تبين لكم أنّ القرآن الكريم قد صرح بهذه المسائل الثلاث، أعني اعتراف المشركين بتوحيد الربوبية، وأنّهم يدعون الصالحين، وأنّهم ما أرادوا منهم إلا الشفاعه تبين لكم أنّ الذي يفعل عند القبور اليوم من سؤالهم جلب الفوائد، وكشف الشدائد، أنّه الشرك الأكبر الذي كفر الله به المشركين، فإنّ هؤلاء المشركين مشبهون شبهوا الخالق تعالى بالمخلوق).

←

→ وقال في ص ٨٤: <من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله وهو مقيم على شركه يدعو الموتى، ويستغيث بهم، ويسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات فهذا كافر مشرك حلال الدم والمال، وإن قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله وصلى وصام وزعم أنه مسلم..>.

وقال في ص ١١٥: (وأعظم من هذا كله وأشدّ تحريماً الشرك الأكبر الذي يفعل عندها وهو دعاء المقبورين وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات..).

وقال في نفس الصفحة: (ولا ريب أن دعاء الموتى وسؤالهم جلب الفوائد وكشف الشدائد أنه من الشرك الأكبر الذي كفر الله به المشركين..).

وفي الرسالة الرابعة من رسائل الهدية السنية في نبذة من سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب في ص ١٢٢: (قال - يعني جدّه - والشرك المراد بهذه الآيات ونحوها يدخل فيه شرك عبادة القبور وعبادة الأنبياء والملائكة والصالحين، فإنّ هذا هو شرك جاهلية العرب الذين بعث فيهم عبد الله ورسوله محمد ﷺ، فإنّهم كانوا يدعونها ويلتجئون إليها ويسألونها على وجه التوسل بجاهها وشفاعتها لتقربهم إلى الله).

وقال في ص ١٢٥: (فجنس هؤلاء المشركين وأمثالهم ممن يعبد الأولياء والصالحين نحكم بأنّهم مشركون، نرى كفرهم إذا قامت عليهم الحجّة الرسالية).

وقال في ص ١٢٦ عند تقسيمه الكفر: (إنّ بعض العلماء كفر من أنكر فرعاً مجمعاً عليه كتورث الجد والأخت وإن صلى وصام، فكيف بمن يدعو الصالحين ويصرف لهم خالص العبادة ولّبها..).

وقال في ص ١٢٧: (فتشبه عبادة القبور بأنّهم يصلون ويصومون ويؤمنون بالبعث مجرد تعميه على العوام وتلييس، لينفق شركهم ويقال بإسلامهم وإيمانهم، ويأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون).

وفي الرسالة الخامسة من رسائل الهدية السنية للشيخ محمد بن عبد اللطيف قال في ص ١٣٨ في مقدمة رسالته: <أما بعد: فإنّه لما كان في هذه السنة ١٣٣٩ هـ .. بعثنا الإمام المقدام والرئيس المفضل المفخم.. عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود.. لأجل تعليمكم ما أوجه الله ←

→ عليكم وتعبدكم به من دين الإسلام.. فلما قدمنا بعض جهاتكم رأينا أهلها قد جال بهم الشيطان والهوى، وتمادوا في البغي والطغيان، والإعراض عن النور والهدى، فرقوا أمرهم وكانوا شيعاً.. وغلب على أكثرهم الاعتقاد في أهل القبور والأحجار والغيران، وتعظيم أهل الصلاح من المقبورين، وهذا هو دين الجاهلية الأولى..).

وقال في ص ١٤١: (فمن دعا غير الله من ميت أو غائب أو استغاثة به فهو مشرك كافر وإن لم يقصد إلا مجرد التقرب إلى الله وطلب الشفاعة عنده، وقد دخل كثير من هذه الأمة في الشرك بالله والتعلق على سواه..).

وقال أيضاً: (وكذا من ارتكب شيئاً من الأمور الشركية فهو مشرك وإن سمى ذلك توسلاً وتشفعاً..).

وقال في ص ١٤٣: (ومن كان له معرفة بما بعث الله به رسوله علم أن ما يفعل عند القبور من دعاء أصحابها والاستغاثة بهم والعكوف عند ضرائحهم والسجود لهم، والنذر لهم، أعظم وأكبر من فعل الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وأقبح وأشنع من قول الذين قالوا اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط).

قال بعض العلماء المحققين: فإذا كان اتخاذ هذه الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف عليها اتخاذاً له مع أنهم لا يعبدونها ولا يسألونها فما الظن بالعكوف حول القبر والدعاء به ودعائه والدعاء عنده؟

فأي نسبة للفتنة بشجرة إلى الفتنة بالقبر لو كان أهل الشرك والبدع يعملون؟.

وقال في ص ١٤٤: <فنحن ننكر الغلو في أهل القبور والإطراء والتعظيم، ونهدم البنايات التي على قبور الأموات، لما فيها من الغلو والتعظيم الذي هو أعظم وسائل الشرك بالله..).

هذه قراءة سريعة في كتاب الهدية السنية الذي يحتوي على خمس رسائل لكبار علماء السلفية الوهابية والتي ذكر فيها التكفير عشرات المرات تارة بتكفير عموم الأمة وأخرى بتكفير من يفعل أفعالاً لا تمس التوحيد وإنما مرتبطة بأمر آخر يقوي التوحيد ويعضده، فمن يتوسل بالنبي الأكرم ﷺ لا يكفر بالله تعالى وإلا لزم التناقض إذ لو كان منكراً لله تعالى فمن الأولى أن ←

عند الآلوسي في تاريخ نجد^(١).

وقد أطلق محمد بن عبد الوهاب في رسالة كشف الشبهات اسم الشرك والمشركين على عامة المسلمين عدا الوهابيين فيما يزيد عن أربعة وعشرين موضعاً^(٢)، وأطلق عليهم اسم الكفر والكفار، وعباد الأصنام، والمرتدين،

→ لا يؤمن بالنبي ﷺ ومنزلته ومقامه ، فنفس الاعتقاد بمقام النبي الأكرم ﷺ عند الله تعالى هو إيمان بالله وقوة لتوحيد العابد.

إلا أنّ هذا الأمر لا يمكن أن يفهمه من جعل رسالة السماء في قبر طوله متر وعرضه نصف متر، ومن يجوز الصلاة خلف يزيد وزباد يمكنه بهذه العقلية أن يكفر من يتوسل بالنبي الأكرم ﷺ ويتقرب به إلى الله تعالى!!

١- تاريخ نجد : ٥٣ - ٥٧ .

٢- أما ألفاظ الشرك فهي كالتالي حسب تسلسل الصفحات:

١- قال في ص ٥١: (هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد...).

٢- قال في ص ٥٣: (ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد...).

٣- وقال في ص ٥٨: (والعامي من الموحدين يغلب الألف من علماء هؤلاء المشركين).

٤- وقال في ص ٥٩: (وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله تعالى في كتابه جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا..).

٥- وقال في ص ٦٠: (إذا قال لك بعض المشركين : {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} أو أنّ الشفاعة حق...>.

٦- وقال في ص ٦١: (وما ذكرته لي أيها المشرک...).

٧- وقال في ص ٦١: (منها قولهم: نحن لا نشرك بالله شيئاً).

٨- وقال في ص ٦٦: (فقل له: إذا أقررت أنّها عبادة.. هل أشركت في عبادة الله غيره فلا بد أن

←

يقول : نعم..).

والمنافقين، وجاحدي التوحيد، وأعدائه وأعداء الله، ومدعي الإسلام، وأهل الباطل والذين في قلوبهم زيغ، والجهال، والجهلة والسياطين، وأنّ جهال الكفار عبدة الأصنام أعلم منهم، وأنّ إبليس إمامهم ومقدمهم إلى غير ذلك من

→ ٩ - وقال في ص ٦٧ : (فقل له : إذا نحررت لمخلوق .. هل أشركت في هذه العبادة غير الله؟ فلا بد أن يقول: نعم..).

١٠ - وقال في ص ٦٩: (والله نهاك أن تشرك في هذه العبادة أحداً).
١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ - قال في ص ٧١: (فإن قال: أنا لا أشرك بالله شيئاً حاشا وكلا، ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك؟

فقلت : إذا كنت تقرّ أنّ الله حرّم الشرك .. وكيف تبرىء نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه).
١٥ - وقال في ص ٧٣: (فلا بد أن يقرّ لك أنّ من أشرك في عبادة الله أحداً من الصالحين فهو الشرك المذكور في القرآن..).

١٦ - وقال في ص ٧٤: (بيّنت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان أنّه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه).
١٧ - وقال في ص ٧٧: (إذا عرفت أنّ هذا الذي يسمّيه المشركون في زماننا هو الشرك الذي أنزل فيه القرآن..).

١٨ - وقال في ص ٧٧: (فاعلم أنّ شرك الأولين أخف من شرك أهل وقتنا..).
١٩ - وقال في ص ٧٨: (تبين لك الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين).
٢٠ - وقال في ص ٧٩: (إذا تحققت أنّ الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصبح عقولاً وأخف شركاً من هؤلاء).

٢١ - وقال في ص ٩٠: (وللمشركين شبهة أخرى..).
٢٢ - وقال في ص ٩١: (فيقال لهؤلاء الجهلة المشركين..).
٢٣ - وقال في ص ٩٨: (فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك).

الألفاظ الشنيعة فيما يزيد عن خمسة وعشرين موضعاً^(١)، وأطلق عليهم

١ - أطلق عليهم الألفاظ المذكورة في صفحات كتابه ونحن نذكرها متسلسلاً:

١ - قال في ص ٥٤: (فالعجب ممّن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرف جهّال الكفّار..).

٢ - وقال في ص ٥٥: (وعرفت ما أصبح غالب الناس عليه من الجهل بهذا..).

٣ - وقال في ص ٥٧: (وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وحجج).

٤ - وقال في ص ٥٨: (فالواجب عليك أن تعلم من دين الله ما يصير سلاحاً تقاتل به هؤلاء الشياطين..).

٥ - وقال في ص ٥٩: (ف نقول : جواب أهل الباطل).

٦ - وقال في ص ٦٠ : (إذا قال لك بعض المشركين .. فجاوبه بقولك: إنّ الله تعالى ذكر أنّ الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه).

٧ - وقال في ص ٦١: (فإنّ أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل، يصدون بها الناس عنه).

٨ - وقال في ص ٦٤: <فإنّ قال: الكفّار يريدون منهم.. فالجواب أنّ هذا قول الكفّار سواء بسواء..>.

٩ - وقال في ص ٦٩: (والله نهاك أنّ تشرك في هذه العبادة أحداً).

١٠ - وقال في ص ٧٣: (فهذا أقرّ أنّ فعلهم هذا هو عبادة الأصنام).

١١ - وقال في ص ٧٣ : (فهذا يردّه ما ذكره الله تعالى في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة أو عيسى أو الصالحين).

١٢ - وقال في ص ٧٨: (ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهماً راسخاً..).

١٣ - وقال في ص ٧٩ : (إذا تحققت أنّ الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصحّ عقولاً وأخف شركاً

←

من هؤلاء).

→ ١٤ - وقال في ص ٨٢ : (فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور كفر ولو عمل بكُلِّ ما جاء به الرسول ﷺ ، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كُلِّهم لا يكفر؟ سبحانه الله ما أعجب هذا الجهل).

١٥ - وقال في ص ٨٨ : (ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة..).

١٦ - وقال في ص ٨٩ : (ومعرفة أنّ قول الجاهل: التوحيد فهمناه أنّ هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان).

١٧ - وقال في ص ٩٠ : (وللمشركين شبهة أخرى..).

١٨ - وقال في ص ٩١ : (ومراد هؤلاء الجهلة أنّ من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل).

١٩ - وقال في ص ٩١ : (فيقال هؤلاء الجهلة المشركين..).

٢٠ - وقال في ص ٩١ : (وهؤلاء الجهلة مقرّون أنّ من أنكر البعث كفر..).

٢١ - وقال في ص ٩١ : (ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث).

٢٢ - وقال في ص ٩٥ : (سبحان من طبع على قلوب أعدائه، فإنّ الاستغاثة بالمخلوق على ما يقدر عليه لا ننكرها..).

٢٣ - وقال في ص ٩٨ : (فأين هذا من استغاثة العباد والشرك لو كانوا يفقهون).

ومن يقرأ كتب الوهابية لا يجدها تخرج عن مفاهيم التكفير والتبديع والتضليل لسائر فرق المسلمين، بل لعموم الأمة الإسلامية ممن لا يسير على منهجهم ولا يقبل بتكفير وقتل وذبح من قال: يا رسول الله، بمقامك عند الله أشفع لي أو نحو ذلك، سواء كان شيخاً أو شاباً أو طفلاً، فمن قبل التكفير والقتل فهو في حضيرة محمد بن عبد الوهاب ومن لم يقبل ذلك فهو في جهنم وبئس المصير، مع أنّهم لو كانوا من أهل التوحيد ودعائه لراجعوا القرآن والسنة المطهرة ولا حظوهم بعين البصيرة - لا ببصر ابن تيمية وابن كثير وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب - عندها يجدون أنفسهم أبعد الناس عن ملّة الإسلام، وأكثر المسلمين بعداً عن حضيرة التوحيد وعن مفاهيم القرآن والسنة النبويّة اللذين جاءا لهداية الناس من الظلام إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، ومن خشونة الخلق إلى نعومته، ومن العادات السيئة إلى الفطرة السليمة، ولم يأتيا ←

الصنعاني في تطهير الاعتقاد اسم الشرك فيما يزيد عن ثلاثين موضعاً^(١)، وأطلق

→ إلى التكفير والذبح والقتل، سوء الخلق والتعامل السيء الذي صار مشهوراً ومعلوماً للقاصي والداني عند أصحاب اللحى الطويلة والقمصان القصيرة، إلا أن عقول الصحراء بإضافة البترول الغزير أنتج ذلك وجعله يخرج من طيات المخطوط إلى الطباعة المذهبة ونشرها بالترهيب والترغيب في جميع أرجاء المعمورة، وخلق لنا هذا الوباء العضال الذي تعاني من ويلاته الأمة ومازالت باستنزاف الأموال ونهران الدم واحتلال الدول، نتيجة سيطرة أصحاب الأباغر الذين لا يحسنون كتابة أسمائهم أو النطق بكلمة صحيحة فضلاً عن جملة على مقدرات الأمة الإسلامية وسوقها إلى نار اليهود والنصارى الذين ما فتئوا يكيدون للدين الإسلامي وأنصاره المؤمنين كيداً عظيماً.

١- أورد ذلك الصنعاني في عدة مواضع من رسالته نذكرها تباعاً:

١ - قال في ص ٥٠٠: (ومن فعل ذلك لمخلوق حي أو ميت أو جماد أو غيره فهذا شرك في العبادة).

٢ - وقال في ص ٥٠٠: (وهم في قعر جهنم أن خلطهم الإقرار بذرة من بذرات الإشراك..).

٣ - وقال في ص ٥٠١: (إذا عرفت هذا كله أن من اعتقد في شجر أو حجر أو قبر أو ملك أو جني.. أو نحو ذلك فإنه قد أشرك مع الله غيره).

٤ - وقال في ص ٥٠١: (فإن هذا هو الشرك بعينه الذي كان عليه عباد الأصنام).

٥ - وقال في ص ٥٠٢: (ومن يعتقدون فيه ولياً لا يخرجهم عن اسم الصنم والوثن إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأصنام).

٦ - وقال في ص ٥٠٢: (وفي كل قرية أموات يهتفون بهم.. وهو بعينه فعل المشركين في الأصنام).

٧ - وقال في ص ٥٠٢: قل له هذا النحر لغير الله بل أشركت مع الله تعالى غيره>.

٨ - وقال في ص ٥٠٣: (فإن قلت: أفيسير هؤلاء الذين يعتقدون في القبور والأولياء والفسقة

والخلعاء مشركين كالذين يعتقدون في الأصنام؟ ←

عليهم اسم الإلحاد، والكفر، والكفر الأصلي، وأنهم عبدوا غير الله، وزادوا على عبادة الأصنام، وأنهم مثل أصحاب مسيلمة، والسبئية، واليهود، والخوارج، وأهل الجاهلية، فيما يزيد عن خمسة عشر موضعاً، وأطلق اسم الإله والصنم

-
- قلت: نعم، قد حصل منهم ما حصل من أولئك وساوهم في ذلك، بل زادوا في الاعتقاد..).
- ٩ - وقال في ص ٥٠٣: (فإن تعظيمهم الأولياء ونحرهم النحائر لهم شرك..).
- ١٠ - وقال في ص ٥٠٣: (فهذا الذي يفعلونه لأوليائهم هو عين ما فعله المشركون وصاروا به مشركين، ولا ينفعهم قولهم: نحن لا نشرك بالله شيئاً! لأن فعلهم هذا أكذب قولهم).
- ١١ - وقال في ص ٥٠٣: (ومن نادى الله ليلاً ونهاراً.. ثم نادى معه غيره فقد أشرك).
- ١٢ - وقال في ص ٥٠٣: (وإن هذا الاعتقاد منهم فيهم - الأموات - شرك).
- ١٣ - وقال في ص ٥٠٤: (الاعتقاد الذي تفرعت عنه النذور والنحائر والطواف بالقبور شرك محرم).
- ١٤ - وقال في ص ٥٠٤: (وأنه عين ما كان يفعله المشركون لأصنامهم).
- ١٥ - وقال في ص ٥٠٥: (فهؤلاء القبوريون والمعتقدون في جهال الأحياء.. سلكوا مسالك المشركين).
- ١٦ - وقال في ص ٥٠٧: (فثبت أن مجرد كلمة التوحيد غير مانع من ثبوت شرك من قالها لارتكابه ما يخالفها من عبادة غير الله).
- ١٧ - وقال في ص ٥٠٧: (ولا يخفى حكم الراضي بالشرك..).
- ١٨ - وقال في ص ٥١١: (فإن هذه القباب والمشاهد التي صارت أعظم ذريعة إلى الشرك والإلحاد).
- ١٩ - وقال في ص ٥١٣: (وصيرت هؤلاء الأموات مشركين).
- ٢٠ - وقال في ص ٥١٣: (وزعمت أن هذه كرامات لهؤلاء المجاذيب الضلال المشركين).
- ٢١ - وقال في ص ٥١٣: (فإن زعمت هذا فقد أثبت الكرامات للمشركين الكافرين).

والوثن والند لله على من يستغيثون ويتبركون به في نحو من عشرة مواضع^(١)،

١- ذكر ذلك في صفحات رسالته وهي كالتالي:

١ - قال في ص ٥٠١: (من اعتقد في شجر أو حجر أو قبر.. أنه ينفع ويضر اعتقد كما اعتقد المشركون في الأوثان..).

٢ - وقال في ص ٥٠١: (وإنما يفعلونه لما يسمونه وثناً وصنماً..).

٣ - وقال في ص ٥٠٢: (وكذلك تسمية القبر مشهداً.. لا يخرج عن اسم الصنم والوثن..).

٤ - وقال في ص ٥٠٢: (وهو بعينه فعل المشركين في الأصنام).

٥ - وقال في ص ٥٠٢- ٥٠٣: (فيا للعقول أين ذهبت، ويا للشرائع كيف جهلت..).

٦ - وقال في ص ٥٠٣: (وهذا جهل منهم بمعنى الشرك).

٧ - وقال في ص ٥٠٣: (قد خرج الفقهاء في كتب الفقه.. أن من تكلم بكلمة الكفر كفر وإن لم يقصد معناها.. فصاروا حينئذٍ كفاراً كفراً أصلياً).

٨ - وقال في ص ٥٠٤: (ويأتون بمنكرات ما بلغ إليها المشركون).

٩ - وقال في ص ٥٠٤: (وهذا شيء ما بلغ إليه عبادة الأصنام..).

١٠ - وقال في ص ٥٠٥: (وهكذا كان عبادة الأصنام..).

١١ - وقال في ص ٥٠٦: (والقبوريون لم يفرّدوا هذه العبادة فلم تنفعهم كلمة الشهادة.. ألا ترى أن بني حنيفة قالوا: مسيلمة نبي فقاتلهم الصحابة..).

١٢ - وقال في ص ٥٠٦: (وقع إجماع الأمة أن من أنكر البعث كفر وقتل.. فكيف من يجعل لله نداً).

١٣ - وقال في ص ٥٠٦: (ولذلك - يعني الشهادة - لم تنفع اليهود ولا نفعت الخوارج..).

١٤ - وقال في ص ٥٠٨: (كذلك الأصنام قد يدرك منها ما هو أبلغ..).

١٥ - وقال في ص ٥١١: (فإن هذه القباب والمشاهد.. أكبر وسيلة إلى هدم الإسلام وخراب بنيانه..).

١٦ - وقال في ص ٥١٢: (ومن أعظم حمر الكون الذين ألّبستهم حلل التليس والتزيين). ←

وأطلق أصحاب الهدية السنية على المسلمين اسم الشرك والإشراك، والشرك بالله، والشرك الأكبر، وأعظم الشرك، والشرك الوخيم، ومتخذي الشريك،

→ ١٧ - وقال في ص ٥١٣: (وقد صان الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ وأهل الكساء.. عن إدخالهم في أفواه هؤلاء الجهال الضلال، فيجمعون أنواعاً من الجهل والشرك والكفر).

١٨ - وقال في ص ٥١٣: (هذه أحوال شيطانية.. لما هتف هذا الضال بأسمائهم..).

١٩ - وقال في ص ٥١٣: (وزعمت أن هذه كرامات لهؤلاء المجاذيب الضلال).

٢٠ - وقال في ص ٥١٣: (فإن زعمت هذا فقد أثبت الكرامات للمشركين الكافرين المجانين).

٢١ - وقال في ص ٥١٣: (إذا عرفت بطلان هذين الأمرين علمت أن هذه أحوال وأفعال طاغوتية وأعمال إبليسية يفعلها الشياطين لإخوانهم من هؤلاء الضالين).

وهكذا سار الصنعاني سيرة من سبقه من الوهابية حول القبور، وأنها الشرك والضلال، وأن الدين يندرس بوجودها ويحيى إذا ما محيت وأبليت، وكأن الشرع لا همّ له إلا هذا القبر!!

ومن طريف ما ذكره الصنعاني في رسالته ص ٥١٢ من إشكال وهو: (هذا قبر رسول الله ﷺ قد عمرت عليه قبة عظيمة أنفقت عليها الأموال > فهل هي شرك ويجب هدمها؟

فأجاب مفتينا الصنعاني قائلاً: <هذا جهل عظيم بحقيقة الحال، فإن هذه القبة ليس بناؤها منه ﷺ ولا من أصحابه ولا من تابعيهم.. ولا من علماء أمته وأئمة ملته، بل هذه القبة المعمولة على قبره ﷺ من أبنية بعض ملوك مصر المتأخرين وهو قلاوون الصالحي المعروف بالملك المنصور سنة ٦٧٨ هـ.. >.

لكن هذا لا يكفي في دفع الإشكال وهو هل هذه القبة معدودة من القباب المبتدعة الشركية أم لا؟ فقد ذهب في الجواب إلى الجوانب الخارجة عن السؤال ولم يذكر جواب الإشكال؛ لأنّ الكلام ليس فيمن بناها وإنما الكلام حول هدمها وأنه هل يجب إزالتها من على قبره مادام بناء القباب على القبور شركاً؟

ولعلّ الشيخ مقبل الوادعي الوهابي اليمني أجاب عن ذلك عندما ألف رسالة في وجوب هدم القبة الشريفة المبنية على القبر المكرم.

والشرك الموجب لحلية المال والدم، والمشركين والمشركات، وأقبح المشركين، وأنهم مشركون شأؤوا أو أبوا، وأنّ شركهم أقبح وأشنع ممّن قالوا اجعل لنا ذات أنواط، وأعظم وأكبر من شرك الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً، وأنّ الوهابيين لمّا جاؤوا إلى مكة عبد الله وحده، فيما يزيد عن ستين موضعاً^(١)، واسم الكفر والكفار، وأنهم كاليهود والنصارى والسبيّة وعباد

١ - في الهدية السنية خمس رسائل لكبار علماء الوهابية ، نورد ما ذكروا حول ذلك تباعاً حسب تسلسل الرسائل:

١ - قال الشيخ عبد العزيز بن سعود في رسالته الأولى من الهدية السنية ص ٩: (فالمشرك مشرك شاء أم أبى..).

٢ - وقال في ص ١٢: (بل حكم بضده الذي هو الشرك الأكبر..).

٣ - وقال في ص ١٢: (وأمرهم أن يبدأوا بقتالنا ليرجعوا عن دين الله الذي وصفنا إلى ما هم فيه وكانوا عليه من الشرك بالله..).

٤ - وقال في ص ١٤: (فإنّ هذا - يعني التوسل بالنبي ﷺ - بعينه فعل المشركين واعتقادهم).

٥ - وقال في ص ١٥: (فبدل أهل الشرك والبدع قولاً غير الذي قيل لهم).

٦ و ٧ و ٨ و ٩ - وقال في ص ٢١: (واتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد هو الموقع لكثير من الأمم في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك، فإنّ النفوس قد أشركت بتمثيل القوم الصالحين.. والشرك بقبر النبي أو الرجل المعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو بحجر..).

١٠ - وقال في ص ٢٢ وهو يتحدث عن دعاء الواسطة: (فإنّ ذلك دين المشركين..).

١١ - وقال في ص ٢٣: (فالمشرك إنّما يدعو غير الله بما لا يقدر عليه إلّا هو تعالى..).

١٢ - وصفهم بالشرك في ص ٢٦.

١٣ - وصفهم بالشرك في ص ٢٧.

- ١٤ - وقال في ص ٢٧: «وقد وصف الله سبحانه وتعالى دين المشركين بقوله: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ} فَبَيَّنَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِنَّمَا قَصْدُهُمُ الشَّفَاعَةُ».
- ١٥ - وقال في ص ٢٧: (فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أَكْظَمَ الذَّنْبِ الشَّرْكَ بِاللَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْأَنْدَادَ وَاتَّخَذَهُمْ مِنْ خَلْقَةٍ لِيَقْرَبُوهُمْ إِلَيْهِ).
- ١٦ - وقال في ص ٢٨: (والشرك شركان: أكبر وله أنواع، ومنه الذي تقدّم بيانه آنفاً..).
- ١٧ - وقال في ص ٣٤: (ولا حاجة لنا إلى قول مخترع يجر إلى الشرك..).
- ١٨ - وقال في ص ٣٧: (لا يقال: هذه نزلت في عبّاد الأصنام، ونفعل فعلهم ويقول لسنا مشركين).
- ١٩ - وقال في ص ٣٧: (بل الآيات البينات والأحاديث وأقوال العلماء ترشد أنّ هذا شرك محقق).
- ٢٠ - وقال في ص ٣٩: (فهذا يَتَبَيَّنُ أَنَّ الشَّيْطَانَ اللَّعِينَ نَصَبَ لِأَهْلِ الشَّرْكَ قُبُورًا).
- ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ - قال: (فيسعى الجاهلون المشركون في قتالهم وعقوبتهم، وما ذنبهم عند هؤلاء المشركين إلا أنّهم أمروهم بإخلاص التوحيد، ونهوه عن الشرك بأنواعه، فعند ذلك غضب المشركون .. ووالوا أهل الشرك وظاهروهم علينا).
- ٢٦ - قال في ص ٤٠: (لَمَنَافِقُونَ وَالْمَنَافِقَاتُ وَالْمَشْرِكُونَ وَالْمَشْرَكَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ).
- ٢٧ - وقال في ص ٤٠: (فالمعرض عن التوحيد.. مشرك شاء أم أبى).
- ٢٨ - وفي الرسالة الثانية لمحمّد بن عبد الوهاب قال في ص ٤٣: (أما بعد؛ فإننا معاشر غزو الموحدين.. فلمّا زحفت أجناد الموحدين القى الله الرعب في قلوبهم..).
- ٢٩ - وقال في ص ٤٤: (إنّه لم يكن بيننا وبينهم خلاف له وقع إلّا أمرين: أحدهما إخلاص التوحيد.. وتحقيق معنى الشرك..).
- ٣٠ - وقال في ص ٤٥: (ولم يبق عند أحد منهم شك في أنّ من قال: يا رسول الله.. أنّه مشرك بالشرك الأكبر الذي يهدر دمه ويبيح ماله، وإن كان يعتقد أنّ الفاعل المؤثر في تصديق الكون هو الله وحده..).
- ٣١ - وقال في ص ٤٦: (وأنّ ما وضع من البناء على قبور الصالحين صارت في هذه الأزمان أصناماً تقصد لطلب الحاجات ويتضرع عندها..).
- ←

- ٣٢ - وقال في ص ٤٧: (فبعد ذلك أزلنا جميع ما كان يعبد بالتعظيم والاعتقاد فيه.. من جميع البناء على القبور وغيرها حتى لم يبق في البقعة المطهرة طاغوت يعبد..).
- ٣٣ - وقال في ص ٤٧: (ليعرفوا التوحيد فيتمسكوا بعروته الوثيقة، ويتضح لهم الشرك فينفروا عنه..).
- ٣٤ و ٣٥ - وقال في ص ٥٢: (فلا يقال: يا رسول الله، أو يا ولي الله أسألك الشفاعة.. فإذا طلبت ذلك كان من أقسام الشرك.. بل ورد أنّ ذلك شرك أكبر قاتل عليه رسول الله ﷺ).
- ٣٦ - وقال في ص ٥٢: (كما يقع لبعض غلاة المشركين من أهل زماننا..).
- ٣٧ - وقال في ص ٥٤: (وإنما هدمنا بيت السيدة خديجة .. حسماً لتلك المادة، وتنفرًا عن الإشراف بالله ما أمكن..).
- ٣٨ و ٣٩ - وقال في ص ٥٤: (فإن قال قائل: يلزم من تقريركم وقطعكم في أنّ من قال : يا رسول الله، أسألك الشفاعة أنّه مشرك مهدور الدم أن يقال بكفر غالب الأمة..).
- ٤٠ - وقال في ص ٥٥: (من نقاتلهم اليوم يصرون على ذلك الإشراف..).
- ٤١ - وقال في ص ٥٨: (بل قد يشتمل ما ذكر على شرك أكبر فيقاتلون على ذلك..>).
- ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٥ - وقال في ص ٦١: (ومن البدع المنهي عنها قراءة الفواتح للمشايخ بعد الصلوات الخمس.. والتوسل بهم.. وهو ربما جرّ إلى الشرك من حيث لا يشعر الإنسان، فإنّ الإنسان يحصل منه الشرك من دون شعور به لخفائه.. وينبغي المحافظة على هذه الكلمات والتحرز عن الشرك ما أمكن، فإنّ عمر بن الخطاب قال: إنّما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية.. وذلك لأنّه يفعل الشرك ويعتقد أنّه قربة).
- ٤٦ - وقال الشيخ أحمد بن ناصر العمري في الرسالة الثالثة من رسائل الهدية السنوية الموسومة بالفواكه العذاب ص ٦٧: (فبدل أهل الشرك قولاً غير الذي قيل لهم، بدلوا الدعاء له بدعائه ، والشفاعة له بالاستشفاع به).
- ٤٧ - وقال في ص ٦٨: (وأنّ ذلك من الشرك الأكبر - يقصد دعاء الميت - الذي حرّمه الله ورسوله).

- ٤٨ - وقال في ص ٧٠: (ومعلوم أنّ المشركين يسألون الصالحين بمعنى أنّهم وسائط بينهم وبين الله، ومع هذا فقد نهى الله عن دعائهم..).
- ٤٩ - وقال في ص ٧٠: (وهؤلاء المشركون اليوم منهم من إذا نزلت به شدة لا يدعو إلاّ شيخه ولا يذكر إلاّ اسمه..).
- ٥٠ و ٥١ - وقال في ص ٧٢: (إذا تمهد هذا فنقول: الذي نعتقد وندين الله به أنّ من دعا نبياً أو ولياً أو غيرهما وسأل منهم قضاء الحاجات.. أنّ هذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركون..).
- ٥٢ - وقال في ص ٧٢: (فمن جعلهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك حلال المال والدم).
- ٥٣ - وقال في ص ٧٤: (وهذه الشبهة هي التي اعتقدها المشركون في قديم الدهر وحديثه).
- ٥٤ - وقال في ص ٧٨: (وبيان أنّ طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم في الشدائد أنّه من الشرك الأكبر الذي كفر الله به المشركين).
- ٥٥ - وقال في ص ٧٩: (فأسعد الناس شفاعته رسول الله ﷺ أهل التوحيد الذين جردوا التوحيد لله وأخلصوه من التعلقات الشركية..).
- ٥٦ - وقال في ص ٨٠: (فمتخذ الشفيع مشرك لا تنفعه شفاعته).
- ٥٧ - وقال في ص ٨٠: (فبيّن أنّ المتخذين شفعاء مشركون..).
- ٥٨ - وقال في ص ٨٠: (الكتاب والسنة دلّا على أنّ من جعل الملائكة والأنبياء أو ابن عباس أو أبا طالب.. وسائط بينهم وبين الله ليشفعوا لهم عند الله.. أنّه كافر مشرك حلال الدم والمال وإن قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله، وصلى وصام وزعم أنّه مسلم، بل هو من الأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسون صنعاً).
- ٥٩ - وقال في ص ٨١: (فإذا تبين لكم أنّ القرآن قد صرح بهذه المسائل الثلاث.. تبين لكم أنّ الذي يفعل عند القبور اليوم.. أنّه الشرك الأكبر الذي كفر الله به المشركين، فإنّ هؤلاء المشركين مشبهون شبهاً الخالق تعالى بالمخلوق).
- ←

الملائكة والشمس والقمر، والقائلين اجعل لنا ذات أنواط، بل شر منهم، وعباد اللات والعزى، وعباد الأصنام والأوثان، وإنّ ما هم عليه هو دين الجاهلية فيما يزيد عن عشرين موضعاً^(١)، ووصفوههم بعبادة غير الله فيما يزيد عن عشرة

-
- ٦٠ - وقال في ص ٨٣: (والمشركون يتخذون شفعاء من جنس ما يعدونه عند المخلوق).
- ٦١ - وقال في ص ٨٤: (أما من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله وهو مقيم على شركه يدعو الموتى ويستغيث بهم ويسألهم قضاء الحاجات.. فهذا كافر مشرك حلال الدم والمال، وإن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله، وصلى وصام وزعم أنّه مسلم..).
- ١ - ورد ذلك في الهدية السنية في عدّة مواضع من رسائلها:
- ١ - قال الشيخ محمد بن عبد العزيز في أوّل رسائل الهدية السنية ص ٢١: (ولا نكفر إلا من أنكر أمرنا هذا..).
- ٢ - وقال في ص ٢١: (ويعبدون أصحابها - أي أصحاب القبور - بدعائهم ورجائهم والاستغاثة بهم).
- ٣ - وقال في ص ٢١: (وغير ذلك من أنواع العبادات والطلبات التي كان عليها عبّاد الأوثان يسألون أوثانهم ليشفعوا لهم عند مليكهم).
- ٤ - وقال في ص ٣٧: (ودعوة الأموات هي فعل عبّاد الأصنام).
- ٥ - وقال في ص ٤٠: (وهم أعصى الناس.. كالنصارى مع المسيح وكاليهود مع موسى).
- ٦ - وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الرسالة الثانية من الهدية السنية ص ٤٦: (أو يهتف بأهلها في الشدائد كما كانت تفعله الجاهلية الأولى).
- ٧ - وقال في ص ٥٣: <إلا أنّه لما ألف في الجاهلية الأخرى أن التقبيل صار لمن يعتقد فيه أو في أسلافه.. نهينا عنه..).
- ٨ - وقال في ص ٥٥: (ولا نكفر إلا من بلغته دعوتنا للحقّ..).
- ٩ - وقال الشيخ أحمد بن ناصر المعمرى في الرسالة الثالثة الموسومة بالفواكه العذاب من الهدية السنية ص ٧٢: (إنّ هذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركون).
- ←

مواضع^(١)، وسمّوا من يتوسل ويتبرك بهم المسلمون وبقبورهم بالأصنام

→ ١٠ - وقال في ص ٧٢: (فمن جعلهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك حلال المال والدم).

١١ - وقال في ص ٧٢: (من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم.. كفر إجماعاً؛ لأنّ ذلك كفعل عابدي الأصنام..).

١٣ - وقال في ص ٧٣: (وهم عندي كفّار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور..).

١٤ - وقال في ص ٧٣: (وهذا كفر منهم) إشارة إلى التوسل وغيره.

١٥ - وقال في ص ٧٣: (فتأمل ما ذكره صاحب الاقناع.. وابن عقيل من تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج وأنّ ذلك كفر..).

١٦ - وقال في ص ٧٨: (وبيان أنّ طلب الحوائج من الموتى.. أنّه من الشرك الأكبر الذي كفّر الله به المشركين).

١٧ - وقال في ص ٨٠: (الكتاب والسنة دلّا على أنّ من جعل الملائكة والأنبياء.. وسائط بينهم وبين الله ليشفعوا لهم عند الله.. أنّه كافر مشرك حلال الدم والمال..).

١٨ - وقال في ص ٨٤: (أما من قال لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله وهو مقيم على شركه يدعو الموتى.. فهذا كافر مشرك حلال الدم والمال..).

١٩ - وقال في ص ١١٥: (وأعظم من هذا كلّه وأشدّ تحريماً الشرك الأكبر الذي يفعل عندها وهو دعاء المقبورين).

٢٠ - وقال في ص ١١٥: (ولأريب أنّ دعاء الموتى وسؤالهم وجلب الفوائد وكشف الشدائد أنّه من الشرك الأكبر الذي كفّر الله به المشركين).

١ - ورد ذلك في عدّة مواضع من رسائل الهدية السنية:

١ - قال الشيخ عبد العزيز محمّد بن عبد الوهاب في ص ٣١: (وبهذا عبدت اللات والعزى..).

٢ - وقال في ص ٢٢: (فدعائهم آلهتهم هو عبادتهم لها).

←

والأوثان والأنداد فيما يزيد عن إثني عشر موضعاً. وسننقل في تضاعيف ما يأتي جملة من كلماتهم الصريحة في ذلك.

وأطلق حفيد ابن عبد الوهاب على المسلمين اسم الكفر في ثلاثة مواضع، والشرك في أربعة، ومدعي الإسلام وأنهم يحبون مع الله محبة تأله، وأنهم شرّ من جاهلية العرب، وأنّ شركهم أشدّ وأشنع وأكبر من شركها، وأنه لم يبلغ شرك الجاهلية الأولى شركهم، ونسبهم الى الفساد، وأنهم من أجهل الخلق وأضلهم، وخارجون عن الإسلام، وعابدون لغير الله، وخارجون عن الملة إلى غير ذلك من الألفاظ الشنيعة^(١).

→ ٣ - وقال في ص ٣٨: (ويعبدون أنفسهم لهم كعبد فلان وفلان والله قد سمّانا المسلمين).
٤ - وقال في ص ٣٩: (فيهذا يتبيّن أنّ الشيطان اللعين نصب لأهل الشرك قبوراً يعظّمونها ويعبدونها أوثاناً من دون الله).

٥ - وقال في ص ٤٠: (فالمعرض عن التوحيد عابد للشيطان).

٦ - وقال عبد اللطيف في الرسالة الرابعة من رسائل الهدية السنية ص ١٢٢: (والشرك المراد بهذه الآيات ونحوها يدخل فيه شرك عبّاد القبور وعبادة الأنبياء والصالحين..).

١ - ذكر ذلك الشيخ عبد اللطيف في رسالته المسماة (نبذة في سيرة الشيخ محمّد بن عبد الوهاب) وهي الرسالة الرابعة من رسائل الهدية السنية، نذكر عدّة موارد ممّا ذكره:

١ - قال في ص ١٢٢: (والشرك المراد بهذه الآيات ونحوها يدخل فيه شرك عبّاد القبور وعبادة الأنبياء والملائكة والصالحين، فإنّ هذا هو شرك جاهلية العرب..).

٢ - وقال في ص ١٢٤: (وعبادة الأنبياء والصالحين كعبادة الكواكب والأصنام من حيث الشرك والكفر بعبادة غير الله).

٣ - وقال في ص ١٢٥: (فجنس هؤلاء المشركين وأمثالهم ممّن يعبد الأولياء والصالحين نحكم بأنهم مشركون ونرى كفرهم).
←

وفي القصائد الملحقة بالهدية السنية تصريح بذلك في عدة مواضع يطول الكلام بنقلها^(١).

→ ٤ - وقال في ص ١٢٦: (حتّى إنّ بعض العلماء كفّر من أنكر فرعاً مجمعاً عليه.. فكيف بمن يدعو الصالحين ويصرف لهم خالص العبادة ولبيها؟)

٥ - وقال في ص ١٢٧: (فتشبه عبّاد القبور بأنهم يصلّون ويصومون .. مجرد تعمية لينفق شركهم).

٦ - وفي الرسالة الخامسة لمحمّد بن عبد اللطيف قال في ص ١٤١: (ومن ارتكب شيئاً من الأمور الشركية فهو مشرك وإن سمي ذلك توسلاً وتشفعاً).

٧ - وقال في ص ١٤٣: (ومن كان له معرفة بما بعث الله به رسوله علم أنّ ما يفعل عند القبور من دعاء أصحابها والاستغاثة بهم والعكوف عند ضرائحهم والسجود لهم أعظم وأكبر من فعل الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وأقبح وأشنع من قول الذين قالوا اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط).

٨ - وقال في ص ١٤٤: (فنحن ننكر الغلو في أهل القبور والإطراء والتعظيم، ونهدم البنايات التي على قبور الأموات لما فيها من الغلو والتعظيم الذي هو أعظم وسائل الشرك بالله، وهذه الأمور التي أوجبت عبادتها من دون الله ابتدعها أناس أرادوا بها التعظيم وإظهار تشريفهم فجاء من بعدهم فعبدوهم من دون الله، وقصدوا منهم كشف الملمات وسألوهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات واعتقدوا هذا الشرك الوخيم قرينة وديناً يدينون به ، واشتد تكبرهم على من أنكر ذلك وحذّروا عنه، ورموه بالزور والبهتان..).

١ - ورد في القصيدة الملحقة بالهدية السنية وهي لسليمان بن سمحان عدة مواضع في التكفير والتهجم على كافة المسلمين فمنها:

- ١ - ولا تُشركوا بالله شيئاً وجنبوا طرائق أهل الغي من كلّ ملحدٍ
كمن كان يغدو للمقابر زائراً ويدعوهم في كلّ خطب ويحتدي
- ٢ - وفي حرفها أو بعضها الشرك قد أتى فجانبه واحذر أن تجيء بمؤند ←

وفي خلاصة الكلام : (كان محمد بن عبد الوهاب إذا اتبعه أحد وكان قد حج حجة الإسلام يقول له: حج ثانياً، فإنَّ حجَّك الأولى فعلتها وأنت مشرك فلا تقبل ولا تسقط عنك الفرض، وإذا أراد أحد الدخول في دينه يقول له بعد الشهادتين: أشهد على نفسك أنَّك كنت كافراً، وعلى والديك أنَّهما ماتا كافرين، وعلى فلان وفلان ويُسمِّي جماعة من أكابر العلماء الماضين أنَّهم كانوا كفَّاراً، فإن شهد قبله وإلا قتلته. وكان يصرِّح بتكفير الأمة منذ ستمائة سنة، ويكفر من لا يتبعه ويسمِّيهم المشركين، ويستحل دماءهم وأموالهم)^(١).

وفي خطبة سعود بمكة التي تقدّمت تصريحات عديدة بأنَّ جميع من عداهم من المسلمين هم مشركون وإنَّما يصيرون مسلمين باتِّباعهم إيَّاهم، مثل قوله: (ولم نزل ندعو الناس للإسلام وجميع القبائل إنَّما أسلموا بهذا السيف)، وقوله: (فاحمدوا الله الذي هداكم للإسلام وأنقذكم من الشرك، وأنا أدعوكم أن تعبدوا الله وحده وتقلعوا عن الشرك الذي كنتم عليه)^(٢).

وقد صرَّح بذلك محمود شكري الآلوسي في تاريخ نجد على ما حكى، وهو غير متهم في حقِّ الوهابيين فقال: (إنَّ سعوداً غالى في تكفير من خالف الوهابيين، وأنَّ علماء نجد وعامَّتهم يسمُّون غاراتهم على المسلمين بالجهاد في سبيل الله)^(٣).

-
- ٣ - وتكفير عبّاد القبور ومن على طريقته من كلِّ غاويٍّ ومعتدٍ
٤ - ومن دين عبّاد القبور جميعهم ومن كلِّ جهمي كفور وملحدٍ
٥ - فلا قبة ترجى ولا وثن ولا قبر له سبب من الأسباب

١ - خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام : ٢٢٩ - ٢٣٠.

٢ - تقدم تخريجه في الصفحات السابقة.

٣ - تاريخ نجد للآلوسي ٩٨ - ٩٩.

وقد صرّح بذلك صاحب المنار في مجموعة مقالاته (الوهايون والحجاز) فقال: (كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجدداً للإسلام في بلاد نجد بارجاع أهله عن الشرك والبدع إلى التوحيد والسنة على طريقة شيخ الإسلام ابن تيمية)^(١) انتهى.

وإذا كان هذا اعتقاد صاحب المنار في المسلمين فما باله يكرر في تلك المجموعة نداءه للمسلمين بقوله: (أيّها المسلمون، إنّ الحجاز مهبط دينكم. أيّها المسلمون إلى متى أنتم غافلون.

أيّها المسلمون، إنّ الله لا يهلك المسلمين إلاّ بقتال بعضهم لبعض. أيّها المسلمون حسبكم ما بيّنا لكم)^(٢) إلى غير ذلك، بل كان عليه أن يقول: أيّها المشركون المدعون للإسلام! فما باله لا يبالي بالتناقض في كلامه؟! ولعله يريد بالمسلمين خصوص أهل نحلته الوهابية.

ومع كلّ هذه التصريحات التي لا تقبل التأويل والتي نشاهد أعمال الوهابية موافقة لها وسيرتهم عليها، فإنّهم لا يفترون عن غزو المسلمين والهجوم عليهم في عقر ديارهم وقتلهم وقتالهم كلّما سنحت لهم فرصة وأمكنهم ذلك، ومناداتهم بقول: يا مشركون؛ نرى بعض الوهابيين وأتباعهم كصاحب المنار يريدون التبري من هذا المعتقد وستره لمّا رأوا بشاعته وشناعته، وتقبيح الناس له، ونفورهم عنهم، وتشنيعهم عليهم بسببه، وهيهات!

فمّمّن رام ستر ذلك والتبري منه صاحب الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية فإنّه قال في تلك الرسالة: (وأما ما يكذب علينا ستراً للحقّ، وتلبساً على

١- مجموع مقالات، الوهابيون والحجاز: ٢٥ - ٢٦، المقدمة.

٢- مجموع مقالات الوهابيون والحجاز : ٧٤ - ٨٦ ، المقالة الخامسة تحت عنوان : (ما ينبغي للمسلمين علمه وعمله).

الخلق - إلى أن قال - وأنا نضع من رتبة نبينا محمد ﷺ بقولنا: النبي رمة في قبره، وعصا أحدنا أنفع له منه..

إلى أن قال : وأنا نكفر الناس على الإطلاق، أهل زماننا ومن بعد الستمائة إلا من هو على ما نحن عليه، ومن فروع ذلك أن لا نقبل بيعة أحد إلا بعد التقرر عليه بأنه كان مشركاً، وأن أبويه ماتا على الشرك بالله.. فجميع هذه الخرافات وأشباهها.. جوابنا عنها سبحانه هذا بهتان عظيم، فمن روى عنا شيئاً من ذلك أو نسب إلينا فقد كذب علينا وافتري، وأن جميع ذلك وضعه علينا وافتراه أعداء الدين وإخوان الشياطين، تنفيراً للناس عن الإذعان بإخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة، وترك أنواع الشرك الذي نص عليه بأن الله لا يغفره ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء^(١).

وتراه في نفس إعتذاره الذي حاول فيه انكار تكفير المسلمين صرح بتكفيرهم وتشريكهم بقوله: (تنفيراً للناس عن الإذعان بإخلاص التوحيد لله بالعبادة وترك أنواع الشرك)، فحكم على الناس بأنهم مشركون بشرك العبادة، وأن من ينسب إلى الوهابية هذه الأشياء يريد تنفير الناس عن التوحيد وترك الشرك، فكان بهذا الاعتذار شبيهاً بما يحكى أن رجلاً قال لأعجمي: لماذا تقلبون الذال زايًا والقاف غيناً؟

فقال: (كذب الزبيغول ذلك)! و بما يحكى أن عالماً قال لبعض أمراء الحرافشة: إن أهل هذه القرية يسبون الدين فمرهم بترك ذلك، فأمر الأمير مناديه أن ينادي: (يا أهل القرية، اتركوا مسبة الدين، ومن سب منكم الدين فالأمير يحرق دينه ودين دينه)!

١ - الهدية السنية والتحفة النجدية، الرسالة الثانية لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : ٤٩ - ٥١.

وهؤلاء يصرّحون بأنّ التوحيد لا يتم إلا بتوحيد العبادة، وأنّ الناس مشركون وغير موحددين بتوحيد العبادة، وأنّ الذي أحلّ دماء المشركين في زمن النبي ﷺ وأموالهم ودماءهم وسبي ذراريهم هو شركهم في العبادة، وأنّ المسلمين مثلهم بلا فرق، ومع ذلك يقولون من نسب إلينا أنا نكفر الناس فقد كذب وافترى! هذه خرافات هذا بهتان عظيم!

ومن نسب إلينا أنا نلزم المباحي الشهادة على نفسه وأبويه بالشرك فقد كذب وافترى وأتى بالخرافة والبهتان العظيم!

هل هذا إلاّ التناقض الذي لا يرضى به لنفسه عاقل؟!

ومن نسب إلينا أنا نكفر الناس فقد كذب وافترى وقصد بافترائه تنفير الناس عن الرجوع عن شركهم إلى إخلاص التوحيد، فهذا هو الاعتذار الذي وضع صاحب المنار فوقه الخطوط المستطيلة ليكون عذر الوهابية بارزاً جلياً للأنظار، ومن يكون أساس مذهبهم ومحوره الذي يدور عليه كفر وشرك المسلمين واستحلال أموالهم ودمائهم وسبي ذراريهم، وكتبهم مشحونه بالتصريح بذلك، وقد طبع منها الألوف .

ألا يخجلون من إنكاره والتبري منه بعبارة هي إقرار به؟!

ولئن صح عنهم قولهم عن النبي ﷺ أنّه طارش ومضى، وأنّه رمة في قبره، وعصا أحدنا أنفع له منه أو لم يصح فجعلهم قبر النبي ﷺ وثناً، وتعظيمه والتبرك به شركاً، ومنعهم من زيارته أو من شدّ الرحال إليه وغير ذلك لا يقصر عن هذا القول، ومعتقده لا يستبعد منه قول ذلك.

وممن رام ستر ذلك والتملص منه عبد الله بن محمّد بن عبد الوهاب فإنّه قال في الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية: (فإن قال منفر عن قبول الحقّ والإذعان: يلزم من تقريركم وقطعكم أنّ من قال: يا رسول الله، أسألك الشفاعة

أنّه مشرك مهذور الدم، أن يقال بكفر غالب الأمة ولا سيّما المتأخرين، لتصريح علمائهم المعتبرين أنّ ذلك مندوب، وشنّوا الغارة على المخالف لذلك؟ قلت: لا يلزم لأنّ لازم المذهب ليس بمذهب كما هو مقرر، ومثل ذلك لا يلزم أن نكون مجسمة وإن قلنا بجهة العلو، ونحن نقول فيمن مات: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ}، ولا نكفر إلاّ من بلغته دعوتنا للحقّ.. وقامت عليه الحجّة، وأصرّ مستكبراً معانداً كغالب من نقاتلهم اليوم، وغير الغالب إنّما نقاتله لنصرته لمن هذه حاله ورضاه به، ولتكثير سواد من ذكر والتغلب معه، فله حينئذٍ حكمه في حل قتاله.

ونعتذر عمّن مضى بأنّهم مخطئون معذورون، لعدم عصمتهم من الخطأ والإجماع في ذلك ممنوع قطعاً، ومن شنّ الغارة فقد غلط، ولا بدع أن يغلط فقد غلط من هو خير منه كمثّل عمر بن الخطاب في مسألة المهر، فلمّا نبهته المرأة رجع^(١).. بل غلط الصحابة وهم جمع ونبينا ﷺ بين أظهرهم سار فيهم

١ - عن مسروق بن الأجدع قال: «ركب عمر بن الخطاب منبر رسول الله | ثمّ قال: أيّها الناس ما أكثركم في صداق النساء!! وقد كان رسول الله | وأصحابه والصدقات فيما بينهم أربعمئة درهم فما دون ذلك، ولو كان الإكثار في ذلك تقوى عند الله أو كرامة لم تسبقوهم إليها، ثمّ نزل فاعترضته امرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين، نهيت الناس أن يزيدوا في مهر النساء على أربعمئة درهم؟

قال: نعم.

فقالت: أما سمعت ما أنزل الله في القرآن؟

قال: وأي ذلك؟

نوره، فقالوا: اجعل لنا ذات أنواط^(١).

ثُمَّ قَالَ: فَإِنْ قُلْتُ: هَذَا فَيَمْنٌ ذَهَلْ فَلَمَّا نَبِهَ انْتَبَهَ فَمَا الْقَوْلُ فَيَمْنٌ حَرَّرَ الْأَدْلَةَ
وَاطْلَعَ عَلَى كَلَامِ الْأُئِمَّةِ الْقُدُوةِ وَاسْتَمَرَ مُصِرًّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى مَاتَ؟
قُلْتُ: وَلَا مَانِعَ أَنْ نَعْتَذِرَ لِمَنْ ذَكَرَ، وَلَا نَقُولَ إِنَّهُ كَافِرٌ، وَلَا لِمَا تَقْدُمُ أَنَّهُ
مَخْطِئٌ وَإِنْ اسْتَمَرَ عَلَى خَطِئِهِ، لِعَدَمِ مَنْ يَنَاضِلُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي وَقْتِهِ
بِلِسَانِهِ وَسَيْفِهِ وَسَنَانِهِ، فَلَمْ تَقُمْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، وَلَا وَضَحَتْ لَهُ الْمَحْجَةُ، بَلِ الْغَالِبُ
عَلَى زَمَنِ الْمُؤَلِّفِينَ الْمَذْكُورِينَ التَّوَاتُؤُ عَلَى هَجْرِ كَلَامِ أئِمَّةِ السَّنَةِ فِي ذَلِكَ
رَأْسًا، وَمَنْ اطَّلَعَ عَلَيْهِ أَعْرَضَ عَنْهُ قَبْلَ أَنْ يَتِمَّكَنَ فِي قَلْبِهِ، وَلَمْ يَزَلْ أَكَابِرُهُمْ
تَنْهَى أَصَاغِرَهُمْ عَنْ مَطْلَقِ النَّظَرِ فِي ذَلِكَ إِلَّا مِنْ شَاءَ اللَّهِ مِنْهُمْ.

فَقَالَتْ : أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ : { وَأَتَيْنُكُمْ إِحْدَاهُنَّ قِتْظَارًا ۝ } ؟

←

→ قَالَ : فَقَالَ اللَّهُ غَفْرًا، كُلُّ النَّاسِ أَفْقَهُ مِنْ عَمْرِ، ثُمَّ رَجَعَ فَرَكِبَ الْمَنْبِرَ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي
كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ أَنْ تَزِيدُوا النِّسَاءَ فِي صَدَقَاتِهِنَّ عَلَى أَرْبَعِمِائَةِ دِرْهَمٍ، فَمَنْ شَاءَ أَنْ يُعْطِيَ مِنْ مَالِهِ أَوْ
فَمَنْ طَابَتْ لَهُ نَفْسُهُ فَلْيَفْعَلْ»، مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ ٤ : ٢٨٤، تَخْرِيجُ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ ١ : ٢٩٧، كَشَفُ
الْخُفَاءِ وَمَزِيلُ الْإِلْتِبَاسِ ١ : ٢٦٩، تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ ١ : ٤٧٨.

وَالْمَلَاظِظُ فِي الرِّوَايَةِ أَنَّ عَمْرَ يَقْرَأُ وَيُعْتَرَفُ بِأَنَّ كُلَّ النَّاسِ وَمِنْهُمْ النِّسَاءُ وَرَبَّاتُ الْحِجُولِ أَفْقَهُ مِنْهُ
وَأَعْرَفُ.

١ - الْحَدِيثُ وَارِدٌ فِي مَسْنَدِ أَحْمَدَ ٥ : ٢١٨، سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ ٣ : ٣٢٢، مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ ٧ : ٢٤، مَسْنَدُ
أَبِي دَاوُدَ الطَّيَّاسِيِّ : ١٩١، مَسْنَدُ الْحَمِيدِيِّ ٢ : ٣٧٥، الْمُصَنَّفُ لِابْنِ أَبِي شَيْبَةَ ٨ : ٦٣٤، مَسْنَدُ أَبِي
يَعْلَى الْمُوَصَّلِيِّ ٣ : ٣٠، صَحِيحُ ابْنِ حَبَانَ ١٥ : ٩٤، الْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ ٣ : ٢٤٤، مَوَارِدُ
الضَّمَانِ ٦ : ٧٨.

هذا وقد رأى معاوية وأصحابه منابذة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، بل وقتاله ومناجزته الحرب، وهم في ذلك مخطئون بالإجماع، واستمروا في الخطأ حتى ماتوا، ولم يشتهر عن أحد من السلف تكفير أحد منهم إجماعاً، بل ولا تفسيقه، بل أثبتوا لهم أجر الاجتهاد.

ونحن كذلك لا نقول بكفر من صحت ديانتهم وشهر صلاحه، وعلم ورعه وزهده وحسنت سيرته، وبلغ من نصحه الأمة ببذل نفسه، لتدريس العلوم النافعة والتأليف فيها، وإن كان مخطئاً في هذه المسألة أو غيرها كابن حجر الهيتمي، فإننا نعرف كلامه في الجوهر المنظم، ولا ننكر سعة علمه، ولهذا نعني بكتبه.. ونعتمد على نقله^(١).

أقول : اعتذاره عن لزوم تكفير غالب الأمة بل كُلهَا عدا الوهابيين بأن لازم المذهب ليس بمذهب، فذهابهم إلى أن من قال: يا رسول الله أسألك الشفاعة، مشرك مهذور الدم وإن لم منه تكفير غالب الأمة سيما المتأخرين المصرحين بأنه مندوب إلا أنهم لا يقولون بهذا اللازم؛ غير صحيح: أولاً: لمخالفته لتصريحاتهم التي لا تقبل التأويل.

ثانياً: إن تكفير غالب الأمة ليس بلازم المذهب، بل هو عين المذهب، فإن مذهبهم أن كل من توسل أو تشفع بمخلوق فقد أشرك، فإذا كان المسلمون يفعلون ذلك فمذهبهم أنهم مشركون بطريق الصراحة ودلالة المطابقة لا بطريق اللزوم.

وقياسه على مسألة التجسيم - إن صحت - قياس مع الفارق؛ فالقائل بجهة العلو لا يصرح بالتجسيم، لكن يلزم من جهة العلو الجسمية، ولكن لا يلزم أن

١ - الهدية السنية والتحفة النجدية، الرسالة الثانية لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: ٥٤ - ٥٧.

يكون القائل بجهة العلو قائلاً بالتجسيم، لجواز أن يعتقد الشخص شيئاً ولا يعتقد بلازمه، بل إذا سئل عن لازمه يبرأ منه، ولذلك لم يكن لازم المذهب مذهباً بخلاف ما نحن فيه إذ مذهب الوهابية أنّ المتشفع والمتوسل بغير الله مشرك، وهذا شامل بوجه العموم والدلالة المطابقة لمن يقول: يا رسول الله اشفع لي، لا بوجه الملازمة.

ولا يمكن الجمع بين القول بأنّ من تشفع بغير الله مشرك ومن قال: يا رسول الله اشفع لي ليس بمشرك، بل هو تناقض صريح محال، بخلاف الجمع بين القول بجهة العلو والقول بعدم الجسم فإنّه ممكن واقع. وإن أرادوا أنّهم لا يكفرون من يعتقد رجحان التشفع إذا لم ينطبق به ففيه: أولاً: إنّّه إذا كان سؤال الشفاعة كفراً وشركاً لزم أن يكون معتقد جوازه كافراً مشركاً وإن لم يتلفظ بالسؤال، فهو كمن يعتقد جواز السجود للصنم وإن لم يسجد، والكفر كما يكون بالأعمال يكون بالاعتقاد.

ثانياً: إنّ هذا لو سلّم لا ربط له بمسألة كون لازم المذهب ليس بمذهب. **ثالثاً:** إنّّه لا يوجد بين المسلمين من لم يقل طول عمره: يا رسول الله أسألك الشفاعة ولم يهتف باسمه، ولم يستغث، ولم يتوسل به، ولم يفعل شيئاً ممّا يروونه كفراً وشركاً، بل اعتقد جوازه فقط ولم يفعله، وهم قد قطعوا بأنّ من قال ذلك مشرك مهدور الدم كما صرّحوا به في نفس السؤال، فقد قطعوا بأنّ جميع المسلمين مشركون مهدورة دماؤهم.

ولم ينفع هذا الاعتذار مهما أكثر صاحب المنار فوقه من الخطوط المستطيلة ليزيد في ظهوره للأبصار وجلوته للأنظار.

أما تقييده التكفير ببلوغ الدعوة الوهابية وقيام الحجّة مع الإصرار مستكبراً معانداً فهو مخالف لما ذكره أبوه وغيره كما عرفت من إطلاق اسم الكفر والشرك والإرتداد ونحو ذلك على عامّة المسلمين من دون تقييد بذلك في

مواضع تنبو عن الحصر، بل عرفت تصريح الصنعاني - أحد مؤسسي مذهبهم - بأن كفر المسلمين أصلي لا ارتدادي ، وكل ذلك مبطل لهذا العذر الواهبي .
وجميع الوهابيين لا يخاطبون المسلمين إلا بقولهم: يا مشرك من غير نظر إلى قيام الحجّة على المخاطب وعدمه، وسمعت بعض النجديين في مجلس صديقنا الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي & (١) بمحضر صديقنا الشيخ عبد الرزاق البيطار & (٢) يقول: (قرر الإخوان أن لا يخاطبوا أحداً إلا بقول:

١- ترجمة الزركلي في الأعلام ٢: ١٣٥ فقال: (جمال الدين القاسمي: ١٢٨٣ - ١٣٣٢ هـ = ١٨٦٦ - ١٩١٤ م).

جمال الدين أو محمد جمال الدين بن محمد بن سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط: إمام الشام في عصره، علماً بالدين، وتضلّعاً في فنون الأدب. مولده ووفاته في دمشق. كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد. انتدبته الحكومة للرحلة واللقاء الدروس العامة في القرى والبلاد السورية ، فأقام في عمله هذا أربع سنوات (١٣٠٨ - ١٣١٢ هـ) ثم رحل إلى مصر وزار المدينة، ولمّا عاد اتهمه حسدته بتأسيس مذهب جديد في الدين سمّوه (المذهب الجمالي)، فقبضت عليه الحكومة سنة (١٣١٣ هـ) وسألته فردّ التهمة، فأخلي سبيله واعتذر إليه والي دمشق ، فانقطع في منزله للتصنيف واللقاء الدروس الخاصة والعامة في التفسير وعلوم الشريعة الإسلامية والآداب ، ونشر بحوثاً كثيرة في المجلات والصحف.

إطلعت له على اثنين وسبعين مصنفاً منها: دلائل التوحيد وديوان خطب والفتوى في الإسلام .. ونقد النصائح الكافية.. وقواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث..).
وقال عنه ابن عقيل في تقوية الإيمان : ٨٥ : (وهو من أهل الاطلاع غير أنه قد انغرس في فؤاده ميل ما إلى مذهب سلفه الشاميين.. فإنه قال في كتابه الجرح والتعديل في تزكية الخوارج ص ٢٨ ما لفظه: ويكفي أن الإمام مالكا رضي الله عنه عدّ ممن يرى رأيهم..).

٢- ترجمه الزركلي في الأعلام ٣: ٣٥١ فقال: (البيطار : ١٢٥٣ - ١٣٣٥ هـ = ١٨٣٧ - ١٩١٦ م عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي: عالم بالدين، ضليع في الأدب

يا مشرك، حتّى لو أراد أحدهم شراء لبن بعشر بارات فعليه أن يقول: يا مشرك، أعطني لبناً بعشر بارات).

فمع كلّ هذه التصريحات لا ينفع هذا الاعتذار عن الوهابيين شيئاً. أما اعتذاره عمّن مضى بأنهم مخطئون معذورون لعدم بلوغ الدعوة لهم، وتنظيره بغلط عمر في المهر والصحابة في ذات أنواط، ففيه: إنّ معتقد الكفر والشرك غير معذور لقيام الحجّة عليه من العقل والنقل قبل أن يخلق الله الوهابيين، ولو كان معذوراً لعذر عبدة الأصنام من أهل الجاهلية الذين ماتوا في الفترة، ولم يقل أحد بعذرهم، مع أنّ بلوغ الدعوة المعتبر إنّما هو بلوغ الدعوة النبويّة إلى التوحيد وترك عبادة الأوثان، وهذا قد حصل. ومع ذلك فقد بقي المسلمون مصرّين على عبادة الأوثان بقولهم: نسألك الشفاعة يا رسول الله.

وجهلهم بأنّه شرك لا يكون عذراً، كجهل من عبد الأصنام بعد الإسلام، والمجتهد معذور مثاب وإن أخطأ في الفروع لا في الأصول. ومن ذلك يظهر بطلان التنظير بغلط عمر في المهر، لأنّه في مسألة فرعية لا في مسألة اعتقادية توجب الشرك. وأما التنظير بغلط الصحابة وبينهم النبي ﷺ في ذات أنواط، فنقول: لو لم يرجعوا عن ذلك لأشركوا فبطل التنظير.

والتاريخ. مولده ووفاته بدمشق. حفظ القرآن في صباه، وتمهّر في علومه، وكان حسن الصوت وله نظم، واشتغل بالأدب مدّة، واقتصر في آخر عمره على علمي الكتاب والسنة، ← وكان من دعاة الإصلاح في الإسلام، سلفي العقيدة وقوراً حسن المفاكهة، طيب النفس، ولقي في سبيل ذلك عنتاً من الجاحدين، من كتبه: حلية البشر في تاريخ الثالث عشر والرحلة..).

وأما اعتذاره عن عدم كفر من حرر الأدلة وعرف كلام الأئمة ومات مصرّاً بأنّه لم يكن في زمنه وهابية يناضلون باللسان والسيف والبنادق فلم تقم عليه الحجّة، فغير صحيح، لما عرفت من أنّه يكفي في قيام الحجّة أدلة الشرع من العقل والنقل بعدما أكمل الله الدين وأتمّ الحجّة قبل خلق الوهابية.

ثمّ إنّ هؤلاء المسلمين الذين يكفّهم الوهابية ويشركونهم يعتقدون أنّ حججهم أقوى من حجج الوهابية، وأنّ الوهابية مخطئون وكلّهم يقولون: لو ظهر لنا صحة أقوال الوهابيين لا تبعناها فكيف قامت عليهم الحجّة وبقوا مصرّين معاندين؟! اللهمّ إلّا أن تكون حجّة السيف والبنادق. وآية السيف تمحو آية القلم^(١).

وليس مع الوهابية معجز تقوم به الحجّة كما كان مع الأنبياء، ولو كانت الحجّة تقوم باللسان والسنان لما احتاج الأنبياء إلى المعجز، كما لم يحتج إليه الوهابية.

ولو كانت الحجّة لا تقوم إلّا بالسيف والسنان لكان الذين قبل منهم النبي ﷺ الجزية ولم يجبرهم على الإسلام لقوله تعالى: { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ }^(٢) معذورين؛ لأنّهم لم تقم عليهم الحجّة. ونسبته إلى علماء المسلمين أنّهم تواطؤوا على هجر كلام أئمة السنة والإعراض عنه افتراء وسوء أدب.

وإذا كان منتهى قيام الحجّة المناضلة باللسان والسيف والسنان لم يكن معاوية وأصحابه معذورين، فقد ناضلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام باللسان والسيف والسنان، فكيف عذرتهم الأئمة وأثبتت لهم أجر الاجتهاد؟!

١- مثل يضرب.

٢- سورة البقرة: ٢٥٦.

وأما قوله: (لا نقول بكفر من صحت ديانتهم) إلخ وإن أخطأ في هذه المسألة فكيف تصح ديانتهم ويعتمد على نقله وقد اعتقد الكفر والشرك، وفعل ما يوجب ما ينفعه مع ذلك التدريس والتأليف؟! { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ }^(١).

وممن رام ستر الحقائق وانكار تكفير الوهابيين للمسلمين بكلام هو إقرار واعتراف بتكفيرهم للمسلمين، ولم يبال بالتناقض الصريح الواقع في كلامه وكلامهم صاحب المنار في مجموعة مقالاته (الوهابيون والحجاز) فإنه قال: (إن الأمير فيصلاً نجل السلطان عبد العزيز آل سعود نشر بلاغاً في شوال سنة ١٣٤٢ هـ جاء فيه:

إن أهل نجد يوافقون إخوانهم أهل مصر والهند في وجوب عرض مسألة الخلافة على مؤتمر يمثل الشعوب الإسلامية تمثيلاً صحيحاً).

وتعقبه صاحب المنار بقوله: (فهذه تصريحات قطعية ونصوص لا تحتمل التأويل بأن أئمة نجد وحكامها يعدون جميع الشعوب الإسلامية إخواناً لهم، خلافاً لما يفتريه عليهم حسين بن علي واجراؤه من عدم اعتراف النجديين لأحد بالإسلام غير الوهابيين)^(٢).

ووصف في المجموعة المذكورة مؤتمر الشورى المنعقد في الرياض في ذي القعدة سنة (١٣٤٢ هـ) وأنه اجتمع فيه كبار علماء البلاد وزعمائها

١- سورة النساء: ٤٨ و ١١٦.

٢- مجموع مقالات الوهابيون والحجاز: ٦٦، المقالة الرابعة (الوثائق الرسمية لنجد على طاغوت الحجاز).

ورؤساء الأجناد وقوادها وتذاكروا في أمر الحج، وأن السلطان ابن سعود أجابهم بما معناه: إن شريف مكة قد لا يمنعكم من الحج، ولكنه يخشى وقوع فتنة في الموسم، وفيه المسلمون من كل جنس ألخ،^(١) ثم قال ما نصّه: (وفي تصريح السلطان عبد العزيز نصّ قطعي باعترافه هو وعلماء بلاده بإسلام جميع الشعوب الإسلامية، والرغبة في التعارف والتواد معها)^(٢).

هذا كلامه (معزى ولو طارت).

فإذا كانت هذه تصريحات قطعية ونصوص لا تقبل التأويل من سلطان نجد وعلماء بلاده وحكامها بإسلام جميع الشعوب الإسلامية وإخوتها للوهابية، وإذا كان في رسائل علماء بلاده التي طبعت بأمر جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد كما كتب على ظهرها وغيرها من رسائل ابن عبد الوهاب التي طبعها صاحب المنار، وفي كلام صاحب المنار نفسه تصريحات قطعية ونصوص لا تقبل التأويل كما بيّناه فيما سبق بتكفير جميع المسلمين وإشراكهم عدا الوهابيين، ومناداة بتكذيب هذه الدعوى، وبأن مدعيها كمن يقول: بأن مكة ليست بموجوده والوهابيون لم يوجدوا في الدنيا؛ كان كلام الوهابية ومنهم صاحب المنار متناقضاً صريحاً قطعياً لا يقبل التأويل.

ومن لا يبالي بالتناقض الصريح في كلامه لا يتكلم معه، فعند حاجتهم الى المسلمين في ميدان السياسة وجلب القلوب يسمّونهم إخوانهم، ويعترفون بإسلامهم، وعند بيان معتقدتهم، وأساس مذهبهم، ونشر دعوتهم يكفرون المسلمين ويشركونهم بدون تحاشٍ، فهم في ذلك كالنعامة قيل لها: أحملني

١- مجموع مقالات الوهابيون والحجاز: ٦٨، المقالة الرابعة.

٢- المصدر السابق: ٦٩، المقالة الرابعة.

قالت: أنا طائر.

قيل لها: طيري

قالت: أنا جمل^(١).

وكانَّ صاحب المنار يرى من موجبات الإخوة وأهمَّ أسباب التعارف بين الوهابيين والشعوب الإسلامية والتواد معها غزوها، وشنَّ الغارات عليها، وقتلها كلّما سنحت الفرصة، لتوثق عرى الإخوة ويتم التعارف، وتكمل المودة!! ويقول صاحب المنار في المجموعة المذكورة أيضاً: (لَمَّا فشت البدع ورسخت صارت مألوفة، وعزَّ على المشتغلين بالعلم أن يطبقوا على أصحابها أحكام الشرع في أحكام الردة والخروج من الإسلام.. لهذا اضطرب الناس في الإصطلاح والتجديد للدين الذي قام به الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب الحنبلي السلفي في نجد وأولاده وتلاميذهم، بتأييد أمراء نجد.. فرأى أمراء الحجاز المفسدون مجالاً لاتهامهم بتكفير المسلمين واستباحة دمائهم، ووافقتهم الدولة العثمانية يومئذٍ على ذلك لامانة ذلك، لئلا يفضي ذلك إلى تأسيس دولة عربية قوية في بلاد العرب، مع أنَّ الدولة كانت تعد فرق الباطنية كالنصيرية والإسماعيلية والدروز مسلمين، إذ كانت أبعد الحكومات الإسلامية عن التكفير وعن مقاومة البدع، إلّا أن يكون لأجل السياسة كقتالها للإيرانيين، وكُلَّ من هذا وذاك دوران مع السياسة يدل عليه أنَّ الشعب التركي يثني على الوهابيين اليوم، وتتمنى جرائده لهم الفوز بالاستيلاء على الحجاز؛ لأنَّ الحجاز قد خرج من دائرة دولتهم، وكان المتغلب عليه عدواً لهم)^(٢).

١ - شرح الرضي على الكافية ٣ : ١٩٤.

٢ - مجموع مقالات الوهابيون والحجاز : ٩٤ - ٩٥، المقالة السابعة (القبور ومساجدها وقبابها).

فجعل تكفيرهم للمسلمين واستباحه دمائهم تهمة باطلة، موجهة إليهم رغماً عن تصريحاتهم الكثيرة التي لا تقبل التأويل، وانكاراً للمحسوس، ومناقضة لصدر كلامه الذي شكاه فيه من العلماء عدم تطبيق أحكام الردة والخروج من الإسلام على غير الوهابية من المسلمين.

أما دعواه أنّ الدولة العثمانية كانت تجعل فرق الباطنية مسلمين فلم نجد لها شاهداً!!

وأما جعله قتالها للإيرانيين سياسياً لا دينياً فيكذبه أنّها وجهت حروبها إلى الدولة الإيرانية التي لا خشية منها على مملكتها، وأعرضت عمّن هو أقوى منها من الدولة الغربية، ولم يكن ذلك إلاّ بباعث ديني وتعصب مذهبي، ولأجله قتل السلطان سليم سبعين ألفاً من الشيعة في الأناضول، وشواهد ذلك كثيرة ظاهرة لا حاجة إلى استقصائها.

أما استشهاد على أنّ حرب العثمانيين للوهابيين كان سياسياً لا دينياً بأنّ الشعب التركي وجرائده تثنى على الوهابيين اليوم وتتمنى لهم الفوز، فاستشهاد غريب، فإنّ الشعب التركي الذي سمع الاستاذ ثناءه في الجرائد إنّما هي الحكومة الكمالية التي يرميها في مقالاته الكثيرة في المنار وغيره بالإلحاد، فلا يدلّ ثنائها اليوم على الوهابية الذين قهروا عدوها، وهي لا دينية عنده، لا تفرق بين وهابي وغيره على أنّ حربها بالأمس - وهي دينية متعصبة في دينها - كان سياسياً محضاً!

وقال صاحب المنار في مجموعة مقالاته (الوهابيون والحجاز) في مقام انكار أنّ الوهابيين يكفرون جميع المسلمين: (فالآخذون بهذه البدع يعدون كلّ منكر لها وهابياً، ويضيفون إلى ذلك ما حفظوه من البهتان الذي جدده

الملك حسين في جريدته القبلة من رميهم بتكفير من عداهم من المسلمين^(١). مساكين الوهابية ينسب إليهم زوراً وبهتاناً أنهم يكفرون من عداهم من المسلمين، والحال أن كل أقوالهم وصف للمسلمين بخالص الإسلام ومحض الإيمان، مثل قولهم: إنهم كمشركي قريش وعبداء الأوثان، وعبداء المسيح، وأنهم أشركوا بشرك العباد، وأن المسلمين اليوم أغلظ شركاً من الأولين؛ لأن أولئك يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، وهؤلاء شركهم دائم في الحاليتين، وأنهم مرتدون عن الإسلام، وقول بعضهم: إن كفرهم أصلي لا ارتدادي إلى غير ذلك مما مر^(٢).

فهذا كله تصريح منهم باثبات الإسلام الخالص والإيمان المحض للمسلمين، ومع ذلك يتهمون بهتاناً بأنهم يكفرون المسلمين، ولولا أن أتاح الله لهم صاحب المنار يرفع هذه التهمة عنهم لالتصقت بهم، فجزاه الله عن الوهابية ما يستحق!!

يحكى أن رجلاً كانت له معشوقة فلماً واصلها قالت له وهو يواقعها: إن الناس يتهمونني بك.

فقال لها: كذبوا يا بنية!!

وقال في مجموعة مقالاته المذكورة أيضاً: إن رميه - أي الملك حسين - الوهابية بالمروق من الدين، واستحلال دماء المسلمين، قد اتبع فيه سلفه الصالح عند ظهور أمرهم في فجر القرن الثالث عشر للهجرة.

١- مجموع مقالات الوهابيون والحجاز : ٣١، تحت عنوان (الوهابية والحجاز).

٢- تقدم نقل ذلك في هوامش الصفحات السابقة عن كتاب الهدية السنية الذي جمع فيه مقالات مشايخ الوهابية.

ثمَّ استشهد على بطلان ذلك بكلام محمود فهمي باشا المهندس المصري في تاريخه (البحر الزاخر) حيث وصف عقائد الوهابية بأنها عقائد إصلاحية للديانة الإسلامية^(١).

فتأمل ما مُنيَ به الوهابية من التهم الباطلة من أنهم يستحلون دماء المسلمين، والحال أنهم لا يستحلون دماء المسلمين وحدها، بل دماءهم وأموالهم، وبعضهم يستحل استرقاقهم ويجعلونهم كمشركي قريش، وحاشا لله أن يستحل الوهابية دماء المسلمين في نظر صاحب المنار، وليس قتالهم للمسلمين وغزوهم بلادهم وقتلهم الأُلوف منهم في العراق والحجاز واليمن وشرق الأردن وتسميته جهاداً في سبيل الله إلا احتراماً لدماء المسلمين ومحافظة عليها.

وكفى في ذلك تصريح محمود فهمي باشا المهندس المصري بأن عقائدهم عقائد إصلاحية للديانة الإسلامية!!

وهذا حديث إجمالي عن اعتقادات الوهابية وتفصيل ذلك وردّه في الباب الثاني والباب الثالث.

وحيث ذكرنا معتقدات الوهابية إجمالاً فيناسب أن نذكر هنا بعض ما يدل إجمالاً على فساد شبهتهم في حكمهم بشرك جميع المسلمين، وهو ما رواه البخاري في باب الصلاة على الشهيد، وعلامات النبوة، والمغازي، وذكر

١ - مجموع مقالات الوهابيون والحجاز: ٥٨، المقالة الثالثة (الأسباب الخاصة بنجد لزحف أهلها إلى الحجاز).

الحوض، ومسلم في فضائل النبي ﷺ، وأبو داود في الجنائز، وكذا النسائي عن النبي ﷺ: <إني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها>^(١) وفي رواية لمسلم: <أن تنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من قبلكم>^(٢).

ولو كان الأمر كما زعم الوهابية من أن الناس أشركت كلها قبل ظهورهم، وأنهم جاؤوا ليدعوهم إلى التوحيد، للزم تكذيب هذه الأحاديث كلها. وقوله ﷺ: <ألا إن الشيطان قد أيس أن يعبد في بلدكم هذا أبداً، ولكن ستكون له طاعة في بعض ما تحقرون من أعمالكم، فيرضى بها>^(٣) رواه

١- مسند أحمد ٤: ١٤٩ و ١٥٤، صحيح البخاري ٢: ٩٤، باب الجنائز، و ٤: ١٧٦ باب علامات النبوة في الإسلام، و ٥: ٤٠، باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان، و ٧: ١٧٣، كتاب الرقاق، صحيح مسلم ٧: ٦٨، باب إثبات حوض نبينا ﷺ، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ١٤، سنن أبي داود ٢: ٨٤، باب الميت يصلّى على قبره بعد حين، لكن لم ينقل الحديث بكامله، سنن النسائي ٤: ٦٢، باب مكان الماشي من الجنائز، ولم ينقل الحديث بكامله، صحيح ابن حبان ٧: ٤٧٢، المعجم الكبير ١٧: ٢٧٨، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١: ١٦٩.

٢- صحيح مسلم ٧: ٦٨، باب إثبات حوض نبينا ﷺ، الأحاد والمثاني ٥: ٤٦، المعجم الكبير ١٧: ٢٧٩، نصب الراية ٢: ٣٦٢، إمتاع الأسماع ٣: ٣٠٣.

٣- مسند أحمد ٢: ٣٨٦ بلفظ: <إن الشيطان قد أيس أن يعبد بأرضكم هذه، ولكنه قد رضي منكم بما تحقرون> وفي ٤: ١٢٦ بلفظ: <إن الشيطان قد ينس أن يعبد> سنن ابن ماجه ٢: ١٠١٥، سنن الترمذي ٣: ٣١٣ وصححه، مجمع الزوائد ١: ٣٤ و ٣: ٢٨٥ و ١٠: ٥٤، مسند الحميدي ١: ٥٤، السنن الكبرى للنسائي ٢: ٤٤٥ و ٦: ٣٥٣، مسند أبي يعلى ٤: ٧٣، المعجم الكبير ٢٠: ١٧٣ وغيرها من المصادر.

أحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه، وهذا ينافي حكم الوهابيين بإشراك أهل مكة، بل قالوا: إنهم لم يروا بلداً تعبد فيه القبور والأموات مثل مكة!

وقوله ﷺ: <إن الشيطان قد أيس أن تعبد الأصنام بأرض العرب، ولكن رضي منهم بما دون ذلك؛ بالمحقرات وهي الموبقات>^(١) رواه الحاكم وصححه وأبو يعلى والبيهقي، وفي رواية أنه ﷺ قال: <إن الشيطان قد يئس أن يعبد في جزيرة العرب>^(٢)، ومكة والمدينة من جزيرة العرب قطعاً، بل حكى في النهاية الأثرية عن أنس بن مالك أنه قال: (أراد بجزيرة العرب المدينة نفسها)^(٣).

وهذا ينافي حكمهم بإشراك أهل جزيرة العرب عدا نجد بعبادة الأوثان!! وقال ﷺ: <إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها>^(٤)

١- مستدرك الحاكم ٣: ٢٧ بلفظ: <إن إبليس يئس أن تعبد الأصنام بأرض العرب، ولكنه سيرضى بدون ذلك منكم بالمحقرات من أعمالكم وهي الموبقات> مسند الحميدي ١: ٥٤، مسند أبي

يعلى ٩: ٥٧، مجمع الزوائد ١٠: ١٨٩ وصححه، الدر المنثور ٢: ٢٥٧.

٢- مسند أحمد ٤: ١٢٦، عمدة القارئ ١٤: ٢٩٩، مجمع الزوائد ١٠: ٥٣ وقال: (رواه الطبراني وإسناده حسن)، سير أعلام النبلاء ٢: ٤٦٨، النهاية في غريب الحديث ١: ٢٦٨.

٣- النهاية في غريب الحديث ١: ٢٦٨، مادة (جزر)، لسان العرب ٤: ١٣٤، مادة (جزر).

٤- مسند أحمد ٢: ٢٨٦، صحيح البخاري ٢: ٢٢٢، باب حرم المدينة، صحيح مسلم ١: ٩٠ باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً، سنن ابن ماجه ٢: ١٠٣٨، سنن الترمذي ٤: ١٢٩، شرح النووي على مسلم ٢: ١٧٦، مجمع الزوائد ٧: ٣١٨، المصنف لابن أبي شيبة ٧: ٥٥١، صحيح

ذكره ابن الأثير في النهاية،^(١) وفيه من المبالغة في ثبوت الإيمان ورسوخه في المدينة ما لا يخفى المنافي لما يدعيه الوهابية من رسوخ الكفر فيها، وجعل بلادهم بلاد الإيمان.

ابن حبان ٩: ٤٥، الفائق في غريب الحديث ١: ٢٩ مادة (أرز)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩: ١١٨، موارد الضمآن ٣: ٢٦١، الجامع الصغير ١: ٢٩٩، كشف الخفاء ١: ٢٨٢، الثقات ٢: ٢٨١.
١- النهاية في غريب الحديث ١: ٣٧، مادة (أرز).

الباب الثاني:

في ذكر معتقدات الوهابية التي كفّروا بها المسلمين
وحججهم على ذلك وردّها على وجه العموم:

ناقلين لها من كتبهم المطبوعة المشهورة كرسالتي أربع القواعد وكشف
الشبهات عن خالق الأرض والسموات لمحمّد بن عبد الوهاب والثانية هي
التي ألفها لأهل نجد حينما اتّاهم بالدعوة، وكتابهم الذي أرسلوه إلى شيخ
الركب المغربي وذكره الجبرتي في تاريخه في حوادث سنة (١٢١٨ هـ)،
ورسالة تطهير الاعتقاد عن أدراّن الإلحاد لمحمّد بن إسماعيل الأمير اليمني
الصنعاني المعاصر لابن عبد الوهاب، ورسالتي الواسطية وزيارة القبور
والاستنجاد بالمقبور لابن تيمية باذر البذر الأوّل لمذهب الوهابية، والرسائل
الخمس المسمّى مجموعها بالهدية السنية، وتاريخ نجد لمحمود شكري
الآلوسي الذي ينقل فيه عن كتبهم، وغير ذلك مع استيفاء نقل كلماتهم كلّها
وردّها، وإن أدى ذلك إلى الإطالة وبعض التكرار.

قال محمّد بن عبد الوهاب في رسالة أربع القواعد ما حاصله: إنّ الخلاص
من الشرك يكون بمعرفة أربع قواعد:

الأولى: إنّ الكفّار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرّون بأنّ الله تعالى هو
الخالق الرازق المدبر، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام لقوله تعالى: {قُلْ مَنْ

يَرْزُقُكُمْ} ^(١) الآية.

الثانية: إنهم يقولون ما دعونا الأصنام وتوجهنا إليهم إلا لطلب القرب والشفاعة: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} ^(٢)، {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ} ^(٣).

الثالثة: إنه ﷺ ظهر على قوم متفرقين في عبادتهم، فبعضهم يعبد الملائكة، وبعضهم الأنبياء و الصالحين، وبعضهم الأشجار والأحجار، وبعضهم الشمس والقمر، فقاتلهم ولم يفرق بينهم.

الرابعة: إن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين ، لأنَّ أولئك يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة وهؤلاء شركهم في الحالتين لقوله تعالى: {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} ^(٤) (٥).

وقال في رسالة كشف الشبهات ما حاصله: إن التوحيد إفراد الله بالعبادة، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده، فأولهم نوح ﷺ أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين؛ وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً، وآخرهم

١ - سورة يونس : ٣١.

٢ - سورة الزمر: ١٨.

٣ - سورة يونس : ١٨.

٤ - سورة العنكبوت : ٦٥.

٥ - شرح القواعد الأربع لمحمد بن عبد الوهاب بشرح صالح الفوزان : ١٧ - ٣٨. وقد لخص المؤلف في كلامه جميع رسالة محمد بن عبد الوهاب.

محمّد ﷺ الذي كسر صورة هؤلاء الصالحين، أرسله إلى قوم يتعبدون ويحجّون ويتصدقون ويذكرون الله، لكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله، يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله وشفاعتهم عنده، كالملائكة وعيسى ومريم وغيرهم من الصالحين، فبعثه الله يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم، ويخبرهم أنّ هذا التقرب والاعتقاد محض حقّ الله، لا يصلح منه شيء لملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عن غيرهما، وإلاّ فهم يشهدون أنّ الله وحده هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر الأمر، وأنّ السماوات والأرض وما فيها كلّهم عبيده وتحت تصرفه وقهره لقوله تعالى: { مَنْ يَرْزُقْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ } (١)، { قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تُعْلَمُونَ }، فإذا عرفت أنّ إقرارهم هذا لم يدخلهم في التوحيد، وأنّ التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسمّيه المشركون في زماننا الإعتقاد، وكانوا يدعون الله ليلاً ونهاراً، ومنهم من يدعو الملائكة لصلاحتهم وقربهم إلى الله ليشفعوا له، أو رجلاً صالحاً كالكالات أو نبياً كعيسى؛ عرفت أنّه ﷺ قاتلهم على هذا الشرك، ودعاهم إلى إخلاص العبادة كمــــا قــــال : { فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا } (٢)، { لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ

١ - سورة يونس : ٣١.

٢ - سورة الجن : ١٨.

لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ} ^(١)، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاتَلَهُمْ لِيَكُونَ الدُّعَاءُ وَالنَّذْرُ وَالذَّبْحُ وَالِاسْتِغَاثَةُ وَجَمِيعُ الْعِبَادَاتِ كُلُّهَا لِلَّهِ، وَأَنَّ إِقْرَارَهُمْ بِتَوْحِيدِ الرَّبُّوبِيَّةِ لَمْ يَدْخُلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، وَأَنَّ قَصْدَهُمُ الْمَلَائِكَةَ وَالْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْلِيَاءَ يَرُدُّونَ شَفَاعَتَهُمْ وَالتَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ بِذَلِكَ هُوَ الَّذِي أَحَلَّ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ.

وعرفت التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون، وهو معنى لا إله إلا الله، فَإِنَّ الْإِلَهَ عِنْدَهُمْ هُوَ الَّذِي يَقْصِدُ لِأَجْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ، مُلْكًا كَانَ أَوْ نَبِيًّا أَوْ وَلِيًّا أَوْ شَجَرَةً أَوْ قَبْرًا أَوْ جَنِيًّا، لَا الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ، فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ كَمَا مَرَّ، وَإِنَّمَا يَعْنُونَ بِالْإِلَهِ مَا يَعْنِي الْمَشْرُكُونَ فِي زَمَانِنَا بِلَفْظِ (السَّيِّدِ)، وَالْمَرَادُ مِنْ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ مَعْنَاهَا لَا مَجْرَدَ لَفْظُهَا، وَالْكَفَّارُ الْجَهَالُ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَرَادَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا هُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ بِالتَّعْلُقِ وَالْكَفَرُ بِمَا يَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَمَّا قَالَ لَهُمْ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالُوا: {أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} ^(٢).

فالعجب ممَّن يدَّعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفرة بل يظن أنَّ ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني والحاذق منهم يظن أنَّ معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله، فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بلا إله إلا الله ^(٣).
ثُمَّ قَالَ: فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ هَذَا الَّذِي يَسْمِيهِ الْمَشْرُكُونَ فِي وَقْتِنَا الْإِعْتِقَادَ هُوَ

١- سورة الرعد: ١٤.

٢- سورة ص: ٥.

٣- كشف الشبهات: ٤٩ - ٥٤، تحقيق عبد الله القحطاني.

الشرك الذي أنزل فيه القرآن، وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه؛ فاعلم أنّ شرك الأولين أخف من شرك أهل وقتنا بأمرين:

أحدهما: إنّ الأولين لا يشركون إلّا في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله: { وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ }^(١)، { أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغِيرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِلَهُهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ }^(٢)، { وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ - الى قوله تعالى - قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ }^(٣)، { وَإِذَا عَشِيَهِمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ }^(٤).

الثاني: (إنّ الأولين يدعون مع الله أناساً مقربين نبياً أو ملكاً، ويدعون أشجاراً وأحجاراً مطيعة ليست عاصية، وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس، يحكون عنهم الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك)^(٥).
وقريب من ذلك ما حكى عن محمود شكري الألوسي في تاريخ نجد أنّه حكاه عن ابن عبد الوهاب، ولعله لخصه وانتخبه من مجموع كلماته، فإننا لم نجده بهذه العبارات في كتبه المطبوعة.
قال بعد ذكر الآيات الدالة على توحيد الله والرد على المشركين الذين

١- سورة الإسراء: ٦٧.

٢- سورة الزمر: سورة الأنعام: ٤٠ - ٤١.

٣- سورة الزمر: ٨.

٤- سورة لقمان: ٣٢.

٥- كشف الشبهات: ٧٧ - ٧٩. تحقيق عبد الله القحطاني.

يعبدون مع الله آلهة أخرى: (والشرك المراد بهذه الآيات ونحوها يدخل فيه شرك عبّاد القبور وعبّاد الأنبياء والملائكة والصالحين، فإنّ هذا هو شرك جاهلية العرب الذين بعث فيهم عبد الله ورسوله محمد ﷺ، فإنّهم كانوا يدعونها ويلجأون إليها ويسألونها على وجه التوسل بجاهها وشفاعتها لتقرّبهم إلى الله زلفى كما حكى ذلك الله عنهم بقوله تعالى: {مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ يَقُولُونَ هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ شَفَعْنَا عِنْدَ اللَّهِ} (١) الآية {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} (٢) وغيرها من الآيات.

ومعلوم أنّ المشركين لم يزعموا أنّ الأنبياء والأولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السماوات والأرض واستقبلوا بشيء من التدبير والتأثير والإيجاد ولو في خلق ذرة من الذرات، قال تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ} (٣)، فهم معترفون بهذا، مقرون به لا ينازعون فيه، ولذلك حسن موقع الاستفهام وقامت الحجّة بما أقروا به من هذه الجمل.

ومجرد الإتيان بلفظ الشهادة من غير علم بمعناها ولا عمل بمقتضاها لا يكون به المكلف مسلماً، بل هو حجّة على ابن آدم خلافاً لمن زعم أنّ الإيمان مجرد الإقرار كالكرامية، ومجرد التصديق كالجهمية، وقد أكذب الله

١- سورة يونس: ١٨.

٢- سورة الزمر: ٣.

٣- سورة الزمر: ٣٨.

المنافقين فيما أتوا به وزعموه من الشهادة، وسجل على كذبهم مع أنهم أتوا بألفاظ مؤكدة بأنواع التأكيدات، قال تعالى: { إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ } (١)، فأكدوا بلفظ الشهادة وأنّ واللام والجملة الاسمية، فأكذبهم وأكد تكذيبهم بمثل ما أكدوا به شهادتهم سواء بسواء، وزاد التصريح باللقب الشنيع.

وبهذا تعلم أنّ مسمى الإذعان لا بد فيه من الصدق والعمل، ومن شهد أن لا إله إلا الله وعبد غيره فلا شهادة له وإن صلى وزكى وصام، قال تعالى: { أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ } (٢) الآية، { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ } (٣)(٤) الآية انتهى.

والجواب: أما إجمالاً: فإنّ جعله ما يصدر من المسلمين في حقّ الأنبياء من الاستغاثة بهم وطلب شفاعتهم، الذي مرجعه إلى طلب الدعاء منهم والنذر والذبح لله والتصدق به، وإهداء الثواب إليهم، الذي توهم أنّه نذر وذبح لهم، وتعظيمهم، وتعظيم قبورهم والتبرك بها وغير ذلك، عبادة لهم ولقبورهم كعبادة الأصنام خطأ وغلط، فإنّه ليس المراد من العبادة التي لا تصلح لغير الله، وتوجب الشرك والكفر إذا وقعت لغيره ؛ مطلق التعظيم والخضوع كما مرّ مفصلاً في المقدمات، بل عبادة خاصة لم يصدر شيء منها من أحد من

١ - سورة المنافقون: ١.

٢ - سورة البقرة: ٨٥.

٣ - سورة النساء: ١٥٠.

٤ - تاريخ نجد : ٨٠ - ٨٤، تحت عنوان (سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب).

المسلمين.

وأما تفصيلاً: فقله في رسالة أربع القواعد : (إنّ الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرّون بأنّ الله هو الخالق الرازق المدبر، وإنّ ذلك لم يدخلهم في الإسلام).

فنقول: لم يدخلهم في الإسلام لأنّهم يكذبون رسول الله ﷺ مع ظهور المعجزات على يديه الدالة على صدقه، ويقولون: إنّه ساحر كذاب، وينكرون جميع شرائعه، ويدنّون بدين الجاهلية، وهذا كاف في كفرهم، سواء تشفّعوا بالأصنام وعبدوها أو لا، فكيف يقاس بهم ويجعل مساوياً لهم من يؤمن بالله وبرسوله، وبأنّ جميع ما جاء به من عند الله حقّ لأنّه يتشفّع إلى الله تعالى بمن جعله شافعاً ومشفعاً، ويتوسل إليه بمن جعل له الوسيلة؟! سبحانه اللهم ما هذا التمويه والتضليل.

وليس موجب كفرهم تشفّعهم بالأنبياء والصالحين كما زعم. واستدلّاه على ذلك بالآيتين واضح الفساد كما يأتي في الفصل الثاني من الباب الثالث.

قوله: (إنّه ﷺ ظهر على قوم متفرقين في عبادتهم فقاتلهم ولم يفرق بينهم).

نعم، لم يفرق بينهم لاشتراكهم جميعاً في تكذيبه، وانكار نبوّته، ورد ما جاء به من عند ربّه، والتمسك بأديان آبائهم الفاسدة، وهؤلاء لا فرق بين أن يعبدوا ملكاً أو نبياً أو صنماً أو كوكباً أو لا يعبدوا، وإنّما يتم لابن عبد الوهاب ما أراد لو كان بعضهم آمن بالنبي ﷺ وصدّق بجميع ما جاء به، ولكنه بقي

يتشفع إلى الله بنبي أو صالح فقاتله النبي ﷺ ولم يفرق بينه وبين من يعبد الحجر والشجر والشمس والقمر، وأنّى له بذلك.

أما قوله في كشف الشبهات: (إنّ الله تعالى أرسل محمداً ﷺ إلى قوم يتعبدون ويحجّون ويتصدّقون، لكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله) فيظهر فسادُه من وجوه:

الأول: إنهم كانوا يتعبدون ولكن كانت عبادتهم كما أخبر الله تعالى عنها بقوله: {وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً...} ^(١)، المكاء: التصفير. والتصدية: التصفيق ^(٢). وفي الكشف: (كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء، وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون) ^(٣) انتهى.

كانوا يتعبدون فيسجدون للأصنام التي نهى الله عن السجود لها، ويقربون لها القرابين، ويهلون عليها بأسمائها، ويطلونها بدمائها، هذه كانت عبادتهم.

ويحجّون، ولكنهم أحدثوا في الحجّ بدعاً وقبائح كثيرة، منها: أنهم كانوا يطوفون عراة رجالاً ونساء، وعوراتهم بادية، يتقربون إلى الله بذلك، وقصة المرأة التي الزموها بذلك، وكانت جميلة، ففعلت، واجتمع أهل مكة للنظر

١- سورة الأنفال: ٣٥.

٢- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ٢: ١٥٦، تفسير القرآن للصنعاني ٢: ٢٥٩، جامع البيان للطبري ٩: ٣١٧ - ٣١٨، معاني القرآن للنحاس ٣: ١٥٢، أحكام القرآن للجصاص ٣: ٦٥، تفسير السمعاني ٢: ٢٦٣، تفسير البغوي ٢: ٢٤٧، روح المعاني ٩: ٢٠٣، كتاب العين ٥: ٤١٨، غريب الحديث ٢: ٤٨٨ - ٤٨٩، مجمع البحرين ٢: ٥٩٧.

٣- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ٢: ١٥٦، تفسير جوامع الجامع للطبرسي ٢: ٢٣.

إليها، فطافت عارية ويدها على فرجها وهي تقول:
اليوم يبدؤ بعضة أو كُله فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحله
مشهورة^(١).

فهؤلاء الذين انحصر كفرهم وشركهم في تشفعهم بالصالحين عند ابن عبد الوهاب. (ويتصدقون) مع تكذيبهم الرسل فما تنفعهم صدقاتهم. (ويذكرون الله) أحياناً إن صح ذلك، وفي غالب أحوالهم أو كُلهما يعرضون عن ذكر الله ويذكرون أسماء أصنامهم كما كانوا يقولون: (أُعل هبل)، وكانوا يذكرون أسماءها على ذبائحهم دون اسم الله.

وما أدري لِمَ لَم يقل ابن عبد الوهاب: ويصلّون ويزكّون ولا يزنون ولا

١ - القصة منقولة في المصادر الشيعية وهي كالتالي كما في تفسير القمي ١: ٢٨١: <جاءت امرأة من العرب وسيمة جميلة، فطلبت ثوباً عارية أو كراء فلم تجده، فقالوا بها: إن طففت في ثيابك احتجت أن تتصدقني بها.

←

فقلت: وكيف أتصدق بها وليس لي غيرها؟!

→ فطافت بالبيت عريانة، وأشرف عليها الناس، فوضعت إحدى يديها على قُبْلِها والأخرى على دبرها فقلت مرتجزة...> وذكر البيت. وارجع أيضاً الى تفسير الصافي للكاشاني ٢: ٣١٩، نور الثقلين ٢: ١٨١، الميزان في تفسير القرآن ٩: ١٦١.

وفي المصادر السنية بنقل يختلف عن ذلك ففي صحيح مسلم ٨: ٢٤٣: <عن ابن عباس: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عارية، فتقول من يعيرني تطواً فجعله على فرجها وتقول:...> وذكر البيت. وهو في سنن النسائي ٥: ٣٣٤، المستدرک للحاكم ٢: ٢٢٠، السنن الكبرى للبيهقي ٢: ٢٢٣، صحيح ابن خزيمة ٤: ٢٠٨، جامع البيان ٨: ٢٠٢، تفسير الثعلبي ٤: ٢٢٧، أسباب النزول للواحدي: ١٥١، تفسير السمعاني ٢: ١٧٤، أحكام القرآن ٢: ٣٠٥، زاد المسير ٣: ١٢٧، تفسير الجلالين: ٣٨٨، الدر المنثور ٣: ٧٨.

ينكحون ما نكح آبائهم، ولا يشربون الخمر، ولا يعملون الميسر، ولا الأنصاب، ولا الأزلام، ولا يأكلون الربا، ولا يئدون البنات، ويفعلون جميع شرائط الإسلام حتى صلاة التراويح، ولا يصدر منهم إلا أمر واحد هو التشفع بذوي المكانة عند الله، وجعلهم وسائط بينهم وبينه كالملائكة وعيسى، فلذلك قاتلهم النبي ﷺ، وحكم بشرهم وكفرهم؛ أليس كذلك أيها الإخوان، ألم يقل الله تعالى: { وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً }^(١)!

ألم يكونوا يكرهون فتياتهم على البغاء، وهن يردن التحصن؟!

ألم يكونوا يفعلون جميع الموبقات والمنكرات وأفعال الجاهلية؟!

فكيف يسوغ لمحمد بن عبد الوهاب أن يقول: إن رسول الله ﷺ لم

يقاتلهم إلا على تشفعهم إلى الله بالملائكة والأنبياء والصالحين؟!!

الثاني: إن حصره شرك وكفر من بعث إليهم النبي ﷺ في جعلهم بعض المخلوقات وسائط وشفعاء عند الله جهل أو تمويه، أما مشركو قريش فإنهم وإن اعتقدوا أن الرازق الخالق المحيي المميت المدبر الأمر المالك ما في السموات والأرض هو الله، كما دلت عليه الآيات التي ذكرها إلا أنه لا شيء يدلنا على أنهم لا يعتقدون في الأصنام والأوثان ومعبوداتهم من الجن والإنس والملائكة أنه لا تأثير لها في الكون، وأن التأثير وحده لله تعالى، وهي شافعة فقط، إذ يجوز أن يعتقدوا أن لها تأثيراً بنفسها بغير ما في الآيات المستشهد بها، فتشفي المرضى، وتنصر على الأعداء، وتكشف الضرر وغير ذلك، وأنها تشفع عند الله حتماً، ولا يرد شفاعتها، أو أن الله تعالى جعل لها قسطاً من التأثير أو كله إليها، بل ظاهر الآيات هو ذلك مثل قوله تعالى: { قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ

مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا^(١)، بل ظاهر قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا^(٢)}. إنهم كانوا لا يسجدون لغير الأصنام، ولا يعتقدون إلهاً غيرها. وظاهر قوله تعالى حكاية عن أهل جهنم: {قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ* تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ* إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ^(٣)} اعتقادهم أنها مساوية لرب العالمين، وإن لم يكن من جميع الوجوه، بل يخرج عن الأمور المذكورة في الآيات المستشهد بها في كلام ابن عبد الوهاب، وذلك كافٍ في الشرك والكفر، وذلك أيضاً ظاهر جميع الآيات الدالة على اتخاذهم آلهة من دون الله وشركاء لله ونحو ذلك مثل: {إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا^(٤)، {أَنِنَا لَتَنَارِكُوا آلِهَتِنَا^(٥)، {ءَإِفْكَآ آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ^(٦)، {أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا^(٧)، {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ^(٨)، {وَقَالُوا ءَآلِهَتِنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ^(٩)، {أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا^(١٠)، {لَا تَذَرُنَّ

١- سورة الإسراء: ٥٦.

٢- سورة الفرقان: ٦٠.

٣- سورة الشعراء: ٩٦ - ٩٨.

٤- سورة الفرقان: ٤٢.

٥- سورة الصافات: ٣٦.

٦- سورة الصافات: ٨٦.

٧- سورة ص: ٥.

٨- سورة القصص: ٦٢.

٩- سورة الزخرف: ٥٨.

{إِهْتَكُمُ} (٢)، {وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا} (٣)، {فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} (٤)، {الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} (٥)، {قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ} (٦)، {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا} (٧)، {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا} (٨) إلى غير ذلك.

وكيف يمكن حصر شركهم وكفرهم في جعلهم بعض المخلوقات وسائط وشفعاء عند الله، وهم يكذبون رسول الله ﷺ، ويجعلونه ساحراً، وينكرون ما جاء به من عند ربّه من الأحكام والشرائع مع ظهور المعجزات على يديه، ويتمسكون بدين الجاهلية كما مر، أفلا يكفي هذا في كفرهم وشركهم؟!

وماذا ينفعهم الإقرار بوجوده تعالى والعبادة والحج والصدقة وذكر الله إن

١- سورة الأحقاف : ٢٢.

٢- سورة نوح : ٢٣.

٣- سورة هود: ٣٥.

٤- سورة هود: ١٠١.

٥- سورة الحجر: ٩٦.

٦- سورة الإسراء: ٤٢.

٧- سورة مريم: ٨١.

٨- سورة الفرقان: ٣.

سَلِّم صدور ذلك منهم؟!

وهل ينفي ذلك عنهم الكفر الذي أوضحناه ويحصر شركهم في تشقُّعهم بالصالحين؟! هيهات.

وكيف يمكن حصر كفرهم في ذلك وقد بدَّلوا دين الله تعالى الذي جاءهم به إبراهيم عليه السلام ، فأحدثوا البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي والنسيء^(١) وغير ذلك من مبتدعاتهم ومخترعاتهم. وهذا أيضاً كافٍ في

١- البحيرة : الناقة إذا نتجت خمسة أبطن، فإن كان آخرها ذكراً بحروا أذننها، أي شقوها وحرموا ركوبها، ولا تطرد عن ماء، ولا مرعى ولو لقيها المعبي لم يركبها. ←
→ والسائبة: كان الرجل يقول: إذا قدمت من سفري أو برأت من مرضي فناقتي سائبة، فكانت كالبحيرة في تحريم الانتفاع.
والوصيلة: كانت الشاة إذا ولدت أنثى فهي لهم، وإن ولدت ذكراً ذبحوه لآلئتهم، فإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا: وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذكر.
والحامي: الفحل كان إذا نتجت من صلبه عشرة أبطن قالوا: قد حمى ظهره، فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى.
والنسيء: كانوا إذا احتاجوا إلى القتال في شهر حرام قاتلوا فيه وأخروه إلى شهر غيره، وجعلوه مكانه، فتركوا فيه القتال.

راجع : التبيان ٤: ٣٨، مجمع البيان ٣: ٤٣٢، فقه القرآن ٢: ٢٩١، غريب القرآن : ٤٨٤ ، تفسير الأمل ٦: ٣٨٨، تفسير مقاتل بن سليمان ١ : ٣٢٥، تفسير القرآن للصنعاني ١: ١٩٦، جامع البيان ٧: ١٩٠، تفسير ابن أبي حاتم ٤: ١٢٢٢ و ٦: ١٧٩٣، أحكام القرآن ٣: ١٤١، تفسير الثعلبي ٤: ٩.

كفرهم، مع أنّهم قد عبدوا الأصنام والأوثان والملائكة، وجعلوهم شركاء لله تعالى، وعبادتهم لهم مشاهدة معلومة، ولم تكن تلك العبادة مجرد التشفع والتوسل بمن جعل الله له الشفاعة والوسيلة وما يجري مجرى ذلك كما موّه به ابن عبد الوهاب.

أما عبادتهم للأصنام والأوثان فإنّهم عمدوا إلى أصنام من حجر أو نحاس أو خشب أو غيرها على صور قوم صالحين متوهّمة أو غيرهم عملوها بأيديهم وإلى أشجار فعبدوها من دون الله، وسجدوا لها، ونحروا وذبحوا لها، وأهلّوا بذبائحهم لها، وذكروا أسماءها عليها دون اسم الله، وطلوها بدمائها كما قال قائلهم:

أما ودماء ما ئراتُ تخالّها على قنة العزى وبالنسر عندما^(١)

وطلبوا منها كلّ ما يطلب من الله، وأعرضوا عن عبادة الله، فكانوا يقولون: لا طاقة لنا على عبادة الله، فنحن نعبدّها لتقرّبنا إلى الله. وهذا أيضاً صريح في أنّ عبادتهم لها غير طلب الشفاعة منها، وتشفّعوا بها، وخالفوا أمر الله وأنبيائه في نهيه عن عبادتها، وطلب شيء منها عناداً وعتوّاً، وخالفوا مقتضى عقولهم الحاكمة - لو رجعوا إليها - بأنّها جماد لا تضر ولا تنفع ولا تعقل ولا تسمع ولا تقرّب ولا تشفع، ولو كانت على صورة نبي أو صالح، فإنّ الشافع هو النبي أو الصالح لا صورته الموهومة، ولا تدفع عن أنفسها بول الثعالب عليها، ولا تروث الدواب فوقها، فقد كان لبعضهم صنم، فجاء ثعلب فبال عليه، فقال

١- معجم البلدان ٥: ٢٨٤، باب السين والنون، الصحاح للجوهري ٢: ٨٢٧، فصل النون، شرح الرضي على الكافية ٣: ٢٤٢، لسان العرب ٥: ٢٠٦، فصل النون، تاج العروس ٧: ٥٢١ مادة (نسر).

قاتلهم:

أَرْبُ يُبُولُ الثَّعْلِبَانِ بِرَأْسِهِ لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ^(١).
ومنهم من عمل صنماً من تمر فسجدوا له أوّل النهار وعبدوه، فلمّا كان
آخر النهار جاعوا فأكلوه!!

وكانوا يعينون أشياء من حرث ونتاج لله وأشياء منها لآلهتهم، فإذا زكا ما
جعلوه لله رجعوا فجعلوه للآلهة، وإذا زكا ما جعلوه للأصنام تركوه، وذلك قوله
تعالى: { وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ
بِرَّعْمِهِمْ

وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ
إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ }^(٢).

ولم يفعل أحد من المسلمين شيئاً من ذلك مع نبي ولا ولي ولا قبر ولا
غيره، وإنما تشفع المسلمون بمن جعله الله شافعاً، وتوسلوا بمن جعل له الوسيلة.
وما التشفع سوى سؤال الدعاء الذي لا ينكره الوهابية، وكذا الاستغاثة وما
جرى مجراها لا تخرج عن سؤال الدعاء، وأهدوا ثواب الصدقة بالمذبح إلى
النبي أو الولي الذي ثبت جواز إهداء الثواب إليه، ولم يذكروا اسمه عليه، بل
اسم الله تعالى، كما سيأتي تفصيل ذلك كلّ في الفصول المختصة بذلك.

فهذه الاعتقادات والأعمال والتكذيب للرسول هي التي قاتلهم النبي ﷺ

١- تفسير القمي ٢: ١١٤، التفسير الصافي ٤: ١٧، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١: ٦٧،
تفسير القرطبي ١: ١٣٧، تفسير البحر المحيط ٥: ١٥٨، فتح القدير ١: ٢١، الطبقات
الكبرى ١: ٣٠٨، الإصابة لابن حجر ٢: ٣٦١، البداية والنهاية ٥: ١٠٧.
٢- سورة الأنعام: ١٣٦.

عليها ودعاهم إلى تركها، لا على مجرد التشفع بنبي أو صالح والتوسل به إلى الله تعالى.

وأما عبادتهم للملائكة فقد اتخذوهم أرباباً من دون الله كما يدل عليه قوله تعالى في سورة آل عمران: {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ - إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى - : وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (١)، وفي هذا دليل على أنهم فعلوا أو اعتقدوا بالنسبة إليها ما هو من خصائص الربوبية ولا يليق إلا بالله تعالى من سجود ونحوه من أنواع العبادات والاعتقادات.

وليس لنا ما يدل على أنه لم يصدر منهم إلا مجرد التشفع بالملائكة إلى الله. وذكر صاحب الكشف في تفسير الآية: (أنه ﷺ كان ينهى قريشاً عن عبادة الملائكة، واليهود والنصارى عن عبادة عزيز والمسيح، فلما قالوا له: أنتخذك رباً؟

قيل لهم: ما كان لبشر أن يستنبأه الله ثم يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والأنبياء.. (بعد إذا أنتم مسلمون) دليل على أن المخاطبين كانوا مسلمين، وهم الذين أستاذنوه أن يسجدوا له) (٢) انتهى.

وفي ذلك دليل على أن اتخذهم الملائكة أرباباً كان من هذا السنخ بإرادة عبادتهم لهم بالسجود وغيره، كما أرادوا أن يتخذوه ﷺ رباً ويسجدوا له.

١- سورة آل عمران: ٧٩ - ٨٠.

٢- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ١: ٤٤٠، تفسير الرازي ٨: ١٢١، تفسير البحر المحيط ٢: ٥٣١، البرهان ٣: ٨٢، مغني اللبيب ١: ٢٥٣.

وكانوا يقولون في الملائكة : إنهم بنات الله كما قالت اليهود والنصارى في عزير والمسيح إنهما أبناء الله، وقد أخبر الله تعالى عنهم بذلك كله بقوله في سورة الزخرف: {وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا..*} أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ* وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ* .. وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثَاءً*.. وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ..} (١) ، ففي قوله تعالى لا يأمركم أن تتخذوا الملائكة أرباباً دليل على أن فعلهم معها ما هو من خصائص الربوبية كما مر، وقوله تعالى: {وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ} صريح في عبادتهم لهم. ولا شيء يدل على أنها كانت مجرى الاستغاثة والتشفع، بل ما مر يدل على عدمه.

وقوله: {بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا} دليل على جعلهم لها مماثلة لله تعالى مشابهة له؛ لأنّ الولد مماثل للوالد ومن جنسه، وكذلك قوله: {مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا} ، قال صاحب الكشف : (فجعلوهم جزءاً له وبعضاً منه، كما يكون الولد بضعة من والده وجزءاً له) (٢) انتهى.

وافترضوا على الله في ذلك عدة افتراءات:

أحدها: نسبة الولد إلى الله تعالى.

ثانيها: نسبتهم إليه أحسن النوعين الذي كانوا إذا بشر به أحدهم ظل وجهه مسوداً وهو كظيم، ووأده حياً.

١- سورة الزخرف: ١٥ - ٢٠.

٢- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ٣: ٤٨١، تفسير الجامع ٣: ٢٩٩، تفسير غريب القرآن: ٤٨٠.

ثالثها: جعلهم لها من الملائكة الذين هم من أكرم عباد الله عليه، فاستخفوا

بهم.

رابعها: نسبتهم إلى الله تعالى أنه رضي لهم عبادة الملائكة.

وبذلك ظهر أن كفرهم ليس لمجرد استغاثتهم بالملائكة وتشفعهم وتوسلهم بهم، وستعرف أن الملائكة ممن ثبتت لهم الشفاعة باعتراف الوهابية، فالمتشفع بهم ليس مخطئاً فضلاً عن أن يكون مشركاً وكذا المتشفع بالنبي ﷺ.

ومن جعل الله له الشفاعة فليس مخطئاً فضلاً عن أن يكون مشركاً، فكيف يقاس من يستغيث ويتشفع ويتوسل بنبي أو وصي ليشفع له إلى الله تعالى بالمشرّكين في عبادتهم الملائكة؟!

وكون قریش لم تكن تعتقد في الملائكة أنها تخلق وترزق وتدبر الأمر من دون الله بدليل: { قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ - إِلَى قَوْلِهِ - هَسَيْفُوهُ }^(١) لا يدل على أن كفرها وشركها لتشفعها وتوسلها واستغاثتها بالملائكة، لأنّ الشرك يكون بغير اعتقاد الخلق والرزق ممّا مرّ في صدر الكلام.

ولو كان الصادر منه الاستغاثة بالملائكة والتشفع بها فقط لم يكن ذلك موجباً لشركها وكفرها.

وأما من عبد المسيح وأمه فلم يكن منه مجرد الاستغاثة والتوسل وطلب الشفاعة قطعاً، بل جعل المسيح ﷺ إلهاً مستحقاً لجميع صفات الألوهية، وقد أخبر الله تعالى عنهم في القرآن تارة بأنهم قالوا: إنّ الله هو المسيح بن مريم،

وتارة أنهم قالوا: إن الله ثالث ثلاثة، المسيح أحدهم، وذلك أنهم قالوا الأقاليم الثلاثة إله واحد، وتارة أنهم اتخذوه وأمه إلهين من دون الله بقوله تعالى: {عَآنَتَ قُلُتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ} ^(١)، وتارة أن المسيح ابن الله.

فتسوية ابن عبد الوهاب بين من يستغيث ويتشفع ويتوسل من المسلمين إلى الله بنبي أو ولي جعل الله له الشفاعة والوسيلة، وجعله مغيثاً بدعائه، وجاءت الأخبار بأنه حي بعد الموت وبين من يعبد المسيح وأمه؛ تمويه وتضليل. وأما قوم نوح عليه السلام فقد فعلوا فعل مشركي قريش من تكذيب الرسل وإنكار ما جاءت به وعبادة غير الله، كما أخبر بذلك عنهم القرآن الكريم، وكفى ذلك في كفرهم.

ولم يرد في دليل قوي ولا ضعيف أن عبادتهم لغير الله كانت مجرد التشفع والتوسل إليه بالصالحين، وأنهم كانوا يقيمون جميع شرائع الدين سوى هذه، وأن نوحاً عليه السلام ما بُعث إلا لينهاهم عن التوسل بالصالحين والتشفع بهم، وأي كتاب أو سنة نطق بذلك؟! بل إنهم قد غلوا في الصالحين، وعبدوهم بما نهى الله عنه كما أخبر الله عنهم في كتابه العزيز، أما أنه لم يصدر منهم إلا مثل ما يصدر من المسلمين من الاستغاثة والتوسل والتشفع بالصالحين، فهو تخرص على الغيب، بل افتراء محض، وكذا غيرهم من أمم الأنبياء ^٨.

وظاهر قوله تعالى حكاية عن قوم هود في خطابهم لهود عليه السلام: {إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ} ^(٢) اعتقادهم بأنها قادرة مختارة بنفسها على

١- سورة المائدة: ١١٦.

٢- سورة هود: ٥٤.

الضرّ والنفع والاعتراء بسوء، فظهر أنّ عبادة المشركين للأصنام لم تكن مجرد الاستغاثة والتوسل والتشفع إلى الله بذوي المكانة عنده كما توهم الوهابيون. وسيأتي كلام في مثل ذلك في ردّ كلام الصنعاني ويأتي له مزيد توضيح في الباب الثالث إن شاء الله .

قوله: (فبعثه الله يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم) إلخ.

قد ظهر بطلانه مما مر، فإنّ دين أبيهم إبراهيم الذي بعث محمد ﷺ لتجديده ليس هو عبارة عن عدم التشفع بالصالحين ولا داخلاً فيه، أما أنّه ليس عبارة عن عدم التشفع بالصالحين، فلاّ دين أبيهم إبراهيم ﷺ الذي جدّده لهم رسول الله ﷺ هو ترك ما كانوا يفعلونه من المحرمات والموبقات التي مرّ بعضها، كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي والنسيء والطواف بالبيت عراة، ونكاح أزواج آبائهم والخمر والميسر، وإكراه فتياتهم على البغاء، ووأد بناتهم، وسجودهم للأصنام، وذكر أسمائها على ذبائحهم، وتركهم الصلاة، واستبدالها بالمكاء والتصدية وغير ذلك، فهذا وأمثاله ممّا بدّلوه من دين أبيهم إبراهيم الذي بعث رسول الله ﷺ لتجديده لهم.

وأما أنّ عدم التشفع والتوسل بالصالحين ليس داخلاً فيما جدّده لهم؛ فلاّ ذلك وما يجري مجراه لم ينههم الرسول ﷺ عنه، فضلاً عن أن يكون بعثه محصوراً في ذلك، بل أقرّهم على التشفع والتوسل الذي هو نوع من طلب الدعاء منه بما حثّ عليه من سؤال الدعاء من المؤمنين، وبما أخبرهم به من أنّ الله تعالى جعل له الشفاعة والوسيلة وأكرمه بذلك، كما ستعرفه مفصلاً في الفصول الخاصة بذلك، ولا ينكره الوهابيون.

قوله: (ويخبرهم أنّ هذا التقرب والإعتقاد محض حقّ الله).

هذا افتراء على الله وعلى إبراهيم ﷺ، فمتى أمر الله تعالى محمداً ﷺ أن يخبرهم أنّه لا يجوز طلب الشفاعة ممّن له الشفاعة، وأنّ طلبها محض حقّ لله لا يجوز طلبها من غيره؟!!

ومتى أخبرهم محمد ﷺ بأن لا يطلبوا منه الشفاعة؟! بل الأمر بالعكس، فقد أخبرهم بأنه الشفيع المشفع، وصاحب الوسيلة، ولازم ذلك أن يطلب منه ما جعله الله له.

ولم يقل لهم حين أخبرهم بذلك أن طلب الشفاعة منه شرك وكفر مع أنه أمرهم بطلب الدعاء من الغير، وطلب الشفاعة لا يخرج عن ذلك كما ستعرف. وتشبث الوهابية بالمنع بآية: {لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً} (١)، {فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} (٢) وستعرف أنه من السخافة بمكان، فالذي أوجب شركهم وكفرهم وأحل قتالهم تبدلهم دين الله، وتكذيبهم رسله، وعبادتهم الصور والتماثيل من دون الله، لا مجرد التشفع بالصالحين إلى الله.

وبذلك تعرف أن توحيد العبادة الذي جحدوه ليس هو عدم التشفع والتوسل بالصالحين إلى الله، وأن هذا التشفع ليس عبادة لغير الله، ولا منافياً لتوحيد الله في العبادة، وأن ما يسميه المسلمون الاعتقاد لا محذور فيه، فإنهم لم يعتقدوا في الأنبياء والصالحين إلا بما جعلهم الله له أهلاً.

قوله: (وكانوا يدعون الله ليلاً ونهاراً، ومنهم من يدعو الملائكة لصلاحتهم وقربهم ليشفعوا له، أو رجلاً صالحاً كاللات أو نبيّاً كعيسى).

وعبادتهم للملائكة لم تكن مجرد تشفعهم بهم، بل فعلهم معهم ما هو من خصائص الربوبية واعتقادهم مماثلتهم لله، وأنهم بناته إلى غير ذلك كما مرّ مفصلاً.

١- سورة الزمر: ٤٤.

٢- سورة الجن: ١٨.

وعبادتهم لللات الذي هو رجل صالح^(١) لم تكن مجرد التشفع به إلى الله، بل السجود وأنواع العبادة لحجر زعموا أنه على صورته، مع نهى الله لهم عن ذلك على لسان أنبيائه إلى غير ذلك ممّا مر.

وعبادة النصارى لعيسى عليه السلام ليست مجرد التشفع به إلى الله، بل أثبتوا له جميع صفات الإلهية كما مر.

وكيف يتوهم عاقل أنّ عبادتهم له مجرد التشفع به؟! إنّ هذا لمخالفة للمحسوس، وتكذيب للقرآن، وتمويه وتضليل!!

قوله : (وإنّه قاتلهم ليكون الدعاء والنذر والذبح والاستغاثة وجميع العبادات كلّها لله).

سيأتي الكلام على الأربعة المذكورة، كلّ في فصله، وما تقدم هنا حديث إجمالي.

وقد ظهر أنّ قوله: (إنّ قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحلّ دماءهم وأموالهم) كذبٌ وافتراء على الله وعلى رسوله، بل الذي أحلّ دماءهم وأموالهم تبديلهم للأصنام بالوجوه التي ذكرناها من دون أمر الله، بل عناداً وخلافاً عليه، لا مجرد تشفعهم وتوسلهم بالصالحين.

ومن ذلك يعلم إنّه دمار وفساد كلّ ما بناه على هذا الأساس الفاسد من

١ - فتح الباري ٨ : ٤٧١، تفسير الثعلبي ٩ : ١٤٥، تفسير السمعاني ٥ : ٢٩٤، تفسير البغوي ٤ : ٢٤٩، تفسير القرطبي ١٧ : ١٠٠، الدر المنثور ٦ : ١٢٦، فتح القدير ٥ : ١٠٨، تفسير الآلوسي ٢٧ : ٥٥.

تفسير كلمة التوحيد التي دعا النبي ﷺ المشركين إلى الإقرار بها؛ بأنّ المراد بالآله فيها ما يعم من قصد لأجل الشفاعة ونحوها، وأنّه ليس المراد به الخالق الرازق المدبر فقط؛ لأنّهم كانوا يعلمون أنّ ذلك لله وحده، فإنّ المبنى في الكلّ واحد، وهو توهم أنّ الاستغاثة والتشفع إلى الله بذوي المكانة عنده يوجب اتخاذهم آلهة، ويكون عبادة لهم، وقد عرفت وستعرف مفصلاً فساد هذا التوهم وسخافته، وأنّ التشفع بذوي المكانة وما يجري مجراه ليس عبادة لهم، ولا يوجب اتخاذهم آلهة لهم، وأنّ قياسهم على عبّاد الأصنام والكواكب وعيسى ومريم والملائكة جهل أو عناد، وأنّ تفضيل جهّال مشركي قريش وعبدة الأصنام على المسلمين اليوم من أعظم الجبهالات والافتراءات وأقبحها، وأنّه لا يظن ولا يحتمل أحد من المسلمين أنّ الإسلام هو التلفظ بكلمة التوحيد من دون اعتقاد معناها، ولا يظن حاذق منهم ولا غيره أنّ معناها لا يخلق ولا يرزق إلّا الله، وكلّهم يعلمون أنّ من كذب الرسل وخالفهم وعمل عمل عبدة الأصنام أو أنكر شيئاً من ضروريات الدين كافر، لكنهم لا يعتقدون أنّ من عظم الذي أمر الله بتعظيمه، واستشفع بمن جعله الله شافعاً، وتوسل بمن جعل الله له الوسيلة كافر ومشرك، مع أنّه لم يخرج عن أمر الله وطاعته، فأيّ الفريقين أحقّ بنسبة الجهالة إليه لو كانوا يعلمون؟!

وكذلك ظهر فساد قوله: (وإنّما يعنون بالآله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد)، فإنّ المسلمين الذين سمّاهم المشركين لا يعنون بلفظ السيد معنىً ينافي العبودية الخالصة، وإنّما يعنون به أنّ له منزلة عند الله أوجبت امتيازَه عن غيره، وأنّ يقبل الله شفاعته، ويسمع دعاء من تشفّع به إليه، كرماً منه تعالى وفضلاً.

فهم لم يثبتوا له إلّا ما أثبتته الله، أما الوهابية فنّفوا عنه ما جعله الله له، ونسبوا إلى المسلمين ما هم منه براء، فكانوا أشبه بالمشركين الذين خالفوا الله ورسله،

ونسبوا إلى الرسل وأتباعهم ما هم منه براء.

أما إطلاق السيد على غير الله تعالى، بل والرب، فلا مانع منه إذا لم يقصد به معنى ينافي العبودية الخالصة لله تعالى، كما ستعرفه في الفصل الخاص به مفصلاً، وحاشا لله أن يقصد به أحد من المسلمين معنى ينافي العبودية الخالصة لله تعالى.

ومما ذكرنا تعلم فساد المحكي في تاريخ نجد عن ابن عبد الوهاب: (وإذا كان المشركون لم يزعموا أنّ الأنبياء والأولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السماوات والأرض أو ذرة من الذرات كما قال، فلا دليل يدلنا على أنّهم لم يزعموا استقلالهم بشيء من التدبير والتأثير، وآية: { إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ } (١)... (٢) لا تنفي ذلك، إذ لم يظهر منهم الاعتراف بذلك، بل الظاهر والله أعلم أنّه من قبيل الاحتجاج عليهم، وإظهار بطلان معتقدهم أنّها تكشف الضر وتمسك الرحم، فلا يدل على أنّهم لا يعتقدون أنّها كذلك، وبذلك يحسن موقع الاستفهام، فيكون انكارياً لا تقريرياً، وهم لم يقرّوا بجميع تلك الجمل، مع أنّهم كانوا يعبدون صور الأنبياء والصالحين لا أنفسهم، وكانوا يقولون عن الملائكة إنّها بنات الله، ومن عبد المسيح يعتقد فيه ما يعتقد في الله كما مرّ ذلك كلّّه، وإذا كانوا لا يعتقدون في الأوثان ما ورد في الآيات ممّا أقروا به فلا دليل على أنّهم لا يعتقدون غيره من صفات الربوبية كما مرّ مفصلاً.

١ - سورة الزمر: ٣٨.

٢ - تاريخ نجد: ٨٣، والمؤلف نقل كلام الآلوسي بمعناه لا بنصّه.

أما ما أطال به من قوله: (إنّ مجرد الإتيان بلفظ الشهادة) ألخ فهو تطويل بلا طائل، فلسنا نكتفي بمجرد الإتيان بلفظ الشهادة كالكرامية، ولكن أين العرش حتّى تنقش؟!

وكون الإيمان مجرد التصديق عند الجهمية لا يظهر لذكره فائدة غير التطويل، ومثله الاستشهاد بآية المنافقين التي لا مساس لها بما نحن فيه والإطالة في تفسيرها.

ومما بيّناه من عدم وقوع العبادة المنهي عنها من أحد من المسلمين لنبي ولا صالح ولا قبر ولا غيره تعرف إنه دام ما بناه على ذلك من قوله: (من شهد أن لا إله إلا الله وعبد غيره فلا شهادة له)^(١).

ثبت العرش ثمّ أنقش، وكذا الاستشهاد بباقي الآيات.

ثمّ قال محمّد بن عبد الوهاب في رسالة كشف الشبهات: «إذا تحققت أنّ الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصبح عقولاً وأخفّ شركاً من هؤلاء، فاعلم أنّ هؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرناه، وهي من أعظم شبههم، ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه إلينا.. وهي: إنّ الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون ألاّ إله إلاّ الله، ويكذبون رسول الله ﷺ، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن، ويجعلونه سحراً، ونحن نشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله | ونصدّق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلّي، ونصوم، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟ فالجواب: أنّه لا خلاف بين العلماء كلّهم أنّ الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شيء وكذّبه في شيء أنّه كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه كافر كما قال الله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ

بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا^(١)، ولَمَّا لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج أنزل الله تعالى في حقهم: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}^(٢).

فإذا كان من صدق الرسول في كل شيء، وكذّبه في شيء واحد كالبعث أو الصلاة أو الصيام فهو كافر حلال الدمن والمال، فكيف إذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر؟! سبحان الله ما أعجب هذا الجهل!!^(٣).
ثمّ استشهد بأنّ أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وهم يشهدون الشهادتين، ويصلّون، ويؤذنون، قال: (فإن قال: إنهم يشهدون أنّ مسيلمة نبي. قلنا: هذا هو المطلوب، إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النبي ﷺ كفر، وحلّ ماله ودمه، ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسين أو يوسف أو صحابياً أو نبياً في مرتبة جبار السماوات والأرض: {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}^{(٤)(٥)}).

١- سورة النساء: ١٥٠. وهذه الجملة من قوله: <كافر كما قال الله تعالى إلى آخر هذه الآية> من كلام المؤلف وليست من كلام محمد بن عبد الوهاب.

٢- آل عمران: ٩٧.

٣- كشف الشبهات: ٧٩-٨٢، وآخر العبارة نقلها المؤلف بالمعنى لا بالنص.

٤- سورة الروم: ٥٩.

٥- كشف الشبهات: ٨٢-٨٣، تحقيق عبد الله القحطاني.

قال: (وبنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمن بني العباس كلهم يشهدون ألا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ﷺ، ويدعون الإسلام، ويصلّون الجمعة والجماعة، فلمّا أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء - دون ما نحن فيه - أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأنّ بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتّى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين)^(١).

قال: (وإذا كان الأولون لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسل والقرآن وإنكار البعث وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكره العلماء في كلّ مذهب (باب حكم المرتد)، وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه؟! وذكروا أشياء كثيرة، كلّ نوع منها يكفر، ويحلّ دم الرجل وماله، حتّى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب.

قال: ويقال أيضاً: والذين قال الله فيهم: {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ}^(٢) أما سمعت الله كفرهم بكلمة مع كونهم في زمن الرسول | ويجاهدون معه، ويصلّون معه، ويزكون، ويحجّون ويوحدون؟!

وكذلك الذين نزل فيهم: {قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ* لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}^(٣)، فهؤلاء الذين صرح الله أنّهم كفروا بعد إيمانهم، وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قالوا كلمة ذكروا أنّهم قالوها على وجه المزح.

١- المصدر السابق : ٨٥ .

٢- سورة التوبة: ٧٤.

٣- سورة التوبة: ٦٤ - ٦٥.

فتأمل هذه الشبهة وهي قولهم: تكفرون المسلمين أناساً يشهدون ألا إله إلا الله، ويصلّون ويصومون، ثم تأمل جوابها فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق^(١). واستدل أيضاً بما حكاه الله تعالى عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم أنهم قالوا لموسى: { اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُم آلِهَةٌ }^(٢)، وقول ناس من الصحابة: (اجعل لنا ذات أنواط).

فحلف ﷺ أن هذا نظير قول بني إسرائيل: اجعل لنا إلهاً^(٣). ثم قال: (وللمشركين شبهة أخرى يقولون: إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال: لا إله إلا الله، وقال: أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله، وكذلك قوله: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، وكذلك أحاديث أخرى في الكف عمّن قالها)^(٤).

١- كشف الشبهات: ٨٦-٨٨، تحقيق عبد الله القحطاني.

٢- سورة الأعراف: ١٣٨.

٣- مسند أحمد ٥: ٢١٨، سنن الترمذي ٣: ٣٢١ وصححه، مسند الطيالسي: ١٩١، المصنّف للصنعاني ١١: ٣٦٩، مسند الحميدي ٢: ٣٧٥، المصنّف لابن أبي شيبة ٨: ٦٣٤، كتاب السنة: ٣٧ وصححه الألباني، مسند أبي يعلى ٣: ٣٠، صحيح ابن حبان ١٥: ٩٤، المعجم الكبير ٣: ٢٤٣، افتراق الأمة للصنعاني: ٦٥، السنن الكبرى للنسائي ٦: ٣٤٦، الثقات لابن حبان ٢: ٦٧.

٤- كشف الشبهات: ٩٠، تحقيق عبد الله القحطاني، وحديث قتل أسامة لمن شهد لا إله إلا الله أخرجه البخاري ٧: ٥٩٠ كتاب المغازي، صحيح مسلم ٢: ٩٩ كتاب الإيمان، مسند أحمد ٥: ٢٠٠، تاريخ المدينة ٢: ٤٤٩، السيرة الحلبية ٣: ١٩٣، والحديث الثاني أخرجه أحمد في مسنده ١: ١١، سنن الدارمي ٢: ٢١٨، صحيح البخاري ١: ١١ كتاب الإيمان، صحيح مسلم ١: ٣٨، سنن ابن ماجه ١: ٢٧، سنن أبي داود ١: ٣٤٧، سنن الترمذي ٤: ١١٧، ← سنن النسائي ٥: ١٤، المستدرک ١: ١٨٧، السنن الكبرى ٢: ٣، مسند أبي داود: ١٥١، المصنّف للصنعاني ٤: ٤٤، المصنّف لابن أبي شيبة ٦: ٥٧٦، مسند ابن راهوية ١: ٣٩٤، السنن الكبرى

قال: (ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل)^(١).

وأجاب: (بأن اليهود وبني حنيفة والذين حرقهم علي بن أبي طالب يقولون: لا إله إلا الله، وهؤلاء الجهلة يقولون من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها، فكيف إذا جحد التوحيد؟!

قال: ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث؛ فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلاً ادعى الإسلام، لظنه أنه ما ادعاه إلا خوفاً، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله تعالى في ذلك: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا} (٢) أي: تثبتوا ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى، وكذلك الأحاديث الأخر.

والدليل على هذا أن رسول الله ﷺ الذي قال: «أقمته بعدما قال لا إله إلا الله»، وقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» هو الذي قال في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم»^(٣)، «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل

للنسائي ٢ : ٨ ، مسند أبي يعلى الموصلي ١ : ٦٩ ، صحيح ابن خزيمة ٤ : ٧ ، صحيح ابن حبان ١ : ٣٩٩ ، المعجم الأوسط ١ : ٢٨٨ ، المعجم الكبير ١ : ٢١٨ ، سنن الدارقطني ١ : ٢٣٨ ، معرفة السنن والآثار ٣ : ١١٧ .

١- كشف الشبهات : ٩١ ، تحقيق عبد الله القحطاني .

٢- سورة النساء : ٩٤ .

٣ - مسند أحمد ١ : ٨١ و ٤ : ٤٢٥ ، صحيح البخاري ٤ : ١٧٩ باب علامات النبوة في الإسلام ، صحيح مسلم ٣ : ١١٤ باب التحريض على قتل الخوارج ، سنن أبي داود ٢ : ٤٢٩ ، سنن → النسائي ٧ : ١١٩ ، المستدرک للحاكم ٢ : ١٤٦ ، السنن الكبرى للبيهقي ٨ : ١٧٠ ، مسند أبي داود الطيالسي : ١٢٤ ، مسند ابن الجعد : ٣٨٠ ، كتاب السنة : ٤٢٩ و صححه الألباني محققه ، السنن الكبرى

عاد^(١)، مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلاً، حتّى إنّ الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم، وتعلموا العلم من الصحابة، فلم ينفعهم لا إله إلا الله، ولا كثرة العبادة، ولا ادعاء الإسلام لمّا ظهر منهم مخالفة الشريعة^(٢).

وقال ابن عبد الوهاب أيضاً فيما حكاه عنه الآلوسي في تاريخ نجد: (الكفر نوعان: مطلق ومقيد، فالمطلق أن يكفر بجميع ما جاء به الرسول ﷺ، والمقيد أن يكفر ببعض ما جاء به الرسول ﷺ، حتّى إنّ بعض العلماء كفر من أنكر فرعاً مجمعاً عليه كتوريث الجد والأخت، وإن صلّى وصام، فكيف بمن يدعو الصالحين، ويصرف لهم خالص العبادة ولّبها؟! وهذا مذكور في المختصرات من كتب المذاهب الأربعة.

إلى أن قال: فتشبه عبّاد القبور بأنهم يصلون ويصومون ويؤمنون بالبعث مجرد تعمية على العوام وتلبيس؛ لينفق شركهم ويقال بإسلامهم وإيمانهم،

ويأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون)^(١).

للنسائي ٢ : ٣١٢ ، مسند أبي يعلى الموصلي ١ : ٢٢٦ ، صحيح ابن حبان ١٥ : ١٣٦ ، المعجم الصغير ٢ : ١٠٠ ، نظم المتناثر من الحديث المتواتر ٤٨ : ٤٨ ، إرواء الغليل ٨ : ١٢٠ وغيرها من المصادر الغفيرة.

١ - مسند أحمد ٣ : ٦٨ ، صحيح البخاري ٤ : ١٠٨ كتاب بدء الخلق ، صحيح مسلم ٣ : ١١٠ باب ذكر الخوارج وصفاتهم ، سنن النسائي ٥ : ٨٨ ، السنن الكبرى للبيهقي ٦ : ٣٣٩ ، المصنّف الصنعاني ١٠ : ١٥٧ ، كتاب السنة ٤٢٧ : ٤٢٧ و صححه الألباني محققه ، نظم المتناثر من الحديث المتواتر ٤٨ : ٤٨ ، إرواء الغليل ٣ : ٣٦٨ ، تاريخ الإسلام ١ : ٣٩٢ ، السيرة الحلبية ٣ : ٨٩ .

٢ - كشف الشبهات : ٩ - ٩٣ . تحقيق عبد الله القحطاني . ونقل المؤلف العبارة بالمعنى .

والجواب: إنَّ انكار شيء مما جاء به النبي ﷺ بعد العلم بأنَّه جاء به، لكونه ممَّا ورد في القرآن، أو جاءت به السنة القطعية، وصار من ضروريات الدين؛ لا ريب في أنَّه تكذيب للنبي ﷺ، موجب للكفر. وإذا وقع من مسلم حُكم بارتداده، ولا يحتاج إلى الإطالة وإكثار الشواهد عليه من الآيات وغيرها، وذكر العلماء باب المرتد وغير ذلك الذي أطل به بدون طائل.

إنَّما الكلام في أنَّ الاستغاثة والتشفع والتوسل بالصالحين هل هي موجبة لجحود التوحيد، ولرفع في مرتبة جبار السماوات والأرض كما زعم؟ وقد تبين بما شرحناه وأوضحناه في هذا المقام وغيره وفي الفصول المختصة بتلك الأمور أنَّه ليس فيها شيء ممَّا ينافي التوحيد، ولا توجب رفع مخلوق إلى مرتبة جبار السماوات والأرض، ولا تخرج عن طلب الدعاء ممن يرجى من الله إجابة دعائه لنا، لما له من المنزلة عنده، بإخلاصه في عبوديته. ولمَّا قاس الوهابيون حال المسلمين المستغيثين بالصالحين على حال مشركي قريش فقالوا: إنَّ كليهما أقرَّ بتوحيد الربوبية، ولكنه تشفع واستغاث وتوسل بالمخلوقين، فلم ينفعهم إقراره بتوحيد الربوبية، وأنَّ النبي ﷺ لم يقاتل عبدة الأوثان إلا على استشفاعهم بغير الله رجلاً صالحاً أو غيره، فدُلَّ ذلك على أنَّ الاستشفاع عبادة، وعبادة غير الله شرك كما صرَّح به ابن عبد الوهاب في كلماته السابقة؛ توجه عليهم حينئذ اعتراض بعض أهل الأحساء بأنَّ هذا قياس مع الفارق، فمشركوا قريش لا يشهدون الشهادتين،

ويكذبون الرسل والقرآن، وينكرون البعث، وهذا هو الذي أوجب كفرهم، وأحلّ قتالهم، ونحن نقرّ بذلك كلّ، فبطل القياس.

نعم، لو كان الصادر من الأولين مجرد الاستغاثة والاستشفاع وتعظيم القبور كان القياس صحيحاً، ولكن الصادر منهم غير ذلك ممّا يوجب الكفر والشرك. ولا ينفع الجواب بأنّ من صدّق الرسول في شيء وكذّب به في شيء كفر، الذي لا ينكره أحد.

ومن ذلك تعلم أنّ قوله: (سبحان الله ما أعجب هذا الجهل) لا ينطبق إلا عليه خاصة، وأنّ قوله: (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) ليس أحد أولى به منه.

ومع كون الشواهد التي استشهد بها وأطال بذكرها لا حاجة إليها، بل هي تطويل بلا طائل أكثرها غير صحيح في نفسه، كدعواه أنّ الفاطميين المصريين بني عبيد قد أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأنّ بلادهم بلاد حرب، فإنّه ادعاء باطل وافتراء على العلماء، ولو كان ذلك صحيحاً لتمسك به أعداؤهم خلفاء بني العبّاس، وجعلوه من أعظم الحجج لهم، فأخذوا فتاوى العلماء بذلك، ولو وقع ذلك لشاع وذاع، ولذكره أهل السير والتواريخ ونقله الأخبار، مع أنّه ليس له في كتبهم عين ولا أثر، ولما كان بنو العبّاس يعدلون عنه إلى كتابة محضر بعدم صحة نسبهم، فقد شهد فيه جماعة من العلماء خوفاً على أنفسهم، وامتنع من الشهادة الشريف الرضي، وقصته في ذلك مع القادر العبّاسي مشهورة، ذكرها المؤرخون^(١).

١- راجع عمدة الطالب لابن عنبه: ٢٣٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٣٨، حقائق التأويل: ٣٨، الدرجات الرفيعة: ٤٦٩، الكامل في التاريخ ٨: ٢٤، البداية والنهاية ١٢: ٥، تاريخ ابن خلدون ٣: ٣٦٠.

ولا شيء أطرف من قوله: (وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلاد المسلمين)، فإننا لا نعلم أحداً من المسلمين غزاهم، وهذه كتب التواريخ شاهدة بذلك، وإنما استنجد آخر خلفائهم الملقب بالعاقد بنور الدين ملك الشام لما خاف على بلاده من الأفرنج، فأرسل إليه صلاح الدين الأيوبي، فكان انقراض دولتهم على يده بدون حرب ولا قتال ولا غزو، بل على عادة الملوك في تغلبهم على ملك غيرهم إذا أنسوا منهم ضعفاً، كما تغلب صلاح الدين على ملك مصر وخرج عن طاعة نور الدين، مع أنه هو الذي أرسله، وكان بمنزلة العامل عنده، ثم تغلب صلاح الدين على الشام بعد موت نور الدين وطرده ولده من الملك، وخبر ذلك في التواريخ مشهور، أفهذه أدلة محمد بن عبد الوهاب وهذا مبلغ علمه بالتاريخ^(١)!

وقوله: (غزاهم المسلمون) طريف جداً، فإنه مناف لتكفير الوهابية المسلمين وإشراكهم إياهم، فإن المسلمين في عصر الفاطميين المصريين مثلهم في عصر الوهابيين لا يزيدون عنهم بشيء، فقد كانوا في ذلك العصر ينون القباب على القبور، ويعظمونها، ويتشفعون بالصالحين، فإن كان هؤلاء مشركين فأولئك مشركون، ولم يكن في عصر الفاطميين وهاوية يغزون، فكيف سمّاهم مسلمين؟!

وهذا كقول صاحب المنار: أيها المسلمون، مع تصويبه اعتقاد الوهابية فيهم كما بيناه في غير هذا الموضع، ولكن هؤلاء عند حاجتهم للمسلمين يعترفون بإسلامهم وإذا استغنوا عن ذلك كفّروهم وأشركوهم.

١- الكامل في التاريخ ١١: ٣٢٤، عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٦٣٧، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ١: ٢٥٧، تاريخ الإسلام ٤٤: ٢٦٩، الوافي بالوفيات ١٠: ٣١، البداية والنهاية ١٢: ٣٥٥، تاريخ ابن خلدون ٤: ٧٨، الأعلام للزركلي ٨: ٢٢٠.

نعم، إنّ المسلمين أجمعوا على ضلالة الوهابيين وخروجهم من الجماعة، وقاتلهم وغزاهم المسلمون بأمر خليفة الإسلام السلطان العثماني وعساكره وعساكر مصر والشام والعراق والعجم في عهد محمّد علي باشا، حتّى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين كما فصلناه في تاريخهم، فإنّ كان ذلك دليلاً على الكفر والارتداد، فهو دال على كفر الوهابية وخروجهم من الدين.

كما أنّك قد عرفت في الباب الأوّل أقوال العلماء في حقّ ابن تيمية، قدوة الوهابية، وبأذر بذور مذهبهم، وأوّل من زقا بالقول بالتجسيم وصنّف فيه، فإجماع العلماء قائم على ضد قول ابن عبد الوهاب لا معه، مع أنّه لا قيمة لإجماع العلماء عنده، وإنّ تظاهر بالتمسك به.

أما قوله: (إذا كان الأوّلون لم يكفروا إلّا أنّهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسل وغير ذلك فما معنى ذكر العلماء باب المرتد) إلخ .

ففيه كما مرّ أنّ المعارض لم يقل إنّ الأوّلين لم يكفروا إلّا أنّهم جمعوا بين هذه الأشياء بحيث لو نقص واحد منها لم يكفروا، وأنّه ليس شيء سواها مكفراً، بل لمّا قاس الوهابية حال المسلمين اليوم على حال مشركي قريش توجه عليهم الاعتراض بأنّ هذا قياس مع الفارق كما عرفت.

نعم، لو كان الصادر من الأوّلين مجرد الاستغاثة والتوسل والاستشفاع وتعظيم القبور كان القياس صحيحاً، ولكن الصادر منهم غير ذلك ممّا يوجب التكفير، فلم يبق في ذلك دلالة على أنّ الاستشفاع ونحوه موجب للكفر، وحينئذٍ فاستشهاده بذكر العلماء باب المرتد تطويل بلا طائل كما عرفت؛ لعدم إنكار أحد إمكان حصول الارتداد مع الإقرار بالشهادتين، إنّما الكلام في أنّ المتنازع فيه هو موجب للارتداد أم لا؟ وهذا لا ينفع فيه ذكر العلماء باب المرتد.

على أنّ جميع علماء المذاهب الذين ذكروا باب المرتد وبيّنوا ما يوجب الارتداد لم يذكروا من جملته الاستغاثة والاستشفاع بالصالحين، فدلّ على أنّ إجماعهم على أنّه ليس موجباً للارتداد، وبطل بذلك زعم الوهابية، فما استشهد به شاهد عليه لا له.

قوله: (مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه).

أقول: الذي ذكره علماء المذاهب في باب المرتد أنّ من تكلم بكلمة الكفر كقوله: الله ثالث ثلاثة، استهزاءً أو عناداً أو اعتقاداً كفر لا مطلق من قالها^(١)، كما يقتضيه إطلاق كلامه قصداً لتهوين أمر الارتداد.

قوله: (أو على وجه المزح واللعب).

ستعرف مما يأتي بعده شرح ذلك ورده وأنّه خيانة في النقل وتدليس.

ومن الغريب قوله: (بأنّ الذين نزل فيهم: {يَخْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُوا} (٢) الآية كفرهم الله بكلمة، مع أنّهم في زمن الرسول ﷺ يجاهدون معه ويصلون ويزكون ويحجون ويوحدون)، فإنّ هذه الآية - مع كونها كغيرها من استشهاداته لا حاجة إلى الاستشهاد بها كما عرفت - نزلت في المنافقين، ففي أسباب النزول للواحدي: (قال الضحاك: خرج المنافقون مع رسول الله ﷺ إلى تبوك، وكانوا إذا خلا بعضهم ببعض سبّوا رسول الله ﷺ وأصحابه وطعنوا في الدين،

١- البحر الرائق ٥: ٢١، حاشية رد المختار ٤: ٤٠٨، الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ٢: ٢٢٩. قال في البحر الرائق: (والذي تحرر أنّه لا يفتى بتكفير مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن أو كان في كفره اختلاف ولو رواية ضعيفة، فعلى هذا فأكثر ألفاظ التكفير المذكورة لا يفتى بها. وقد ألزمت نفسي أن لا أفتي بشيء من ألفاظ التكفير المذكورة في كتاب الفتاوى).

٢- سورة التوبة: ٧٤.

فنقل ما قالوا حذيفة إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: يا أهل النفاق، ما هذا الذي بلغني عنكم؟! فحلفوا ما قالوا شيئاً من ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية إكذاباً لهم^(١).

وقال قتادة: (ذكر لنا أنّ رجلاً من جهينة ورجلاً من غفار اقتتلا، فظهر الغفاري على الجهني، فنادى عبد الله بن أبي: يا بني الأوس، انصروا أخاكم، فوالله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال قائل: سمن كلبك يأكلك، فوالله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذل، فسمع بها رجل من المسلمين فجاء رسول الله ﷺ فأخبره، فأرسل إليه، فجعل يحلف بالله ما قال، فأنزل الله تعالى هذه الآية)^(٢).

وفي الكشف: (أقام رسول الله ﷺ في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين، فيسمع من معه منهم، فسمع الجلاس بن سويد، فقال الجلاس: والله لئن كان ما يقول محمد حقّاً لإخواننا الذين خلفناهم، وهم سادتنا وأشرفنا، فنحن شرّ من الحمير.

فقال عامر بن قيس الأنصاري للجلاس: أجل والله إنّ محمداً لصديق، وأنت شرّ من الحمار، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاستحضره، فحلف بالله ما قال، فرفع عامر يده فقال: اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب

١- أسباب النزول للواحدى: ١٧٠، سورة براءة، تفسير الثعلبي ٥: ٦٩، تفسير الميزان ٩: ٣٤٣،

تفسير الواحدى ١: ٤٧٣، زاد المسير ٣: ٣٢٠، العمدة لابن البطريق: ٣٤١.

٢- فتح الباري ٨: ٤٩٨، عمدة القارئ ١٩: ٢٤١، تحفة الأحوذى ٩: ١٥٥، صفة المنافق: ٣١،

تخريج الأحاديث والآثار ٤: ٣٣، أسباب النزول للواحدى: ١٧٠، تفسير الرازي ١٦: ١٣٦،

تفسير الثعلبي ٥: ٧٠، تفسير القرآن للصنعاني ٣: ٢٩٣، جامع البيان ١٠: ٢٣٧، تفسير

السمرقندي ٢: ٧٤، تفسير النسفي ٤: ٢٤٨.

فتكذيب الصادق، فنزلت: { يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا }^(١).

ولكونها نزلت في المنافقين قال صاحب الكشف: (كفروا بعد إسلامهم وأظهروا كفرهم بعد إظهارهم الإسلام)^(٢).

والذي همّوا به فلم ينالوه الفتك برسول الله ﷺ عند مرجعه من تبوك، توافق خمسة من النافقين على أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادي إذا صعد العقبة، فرآهم عمار قائد ناقة النبي ﷺ أو حذيفة سائقها، وهم ملثمون، فقال: إليكم اليكم يا أعداء الله فهربوا ذكره الواحدي عن الضحّاك، وذكره الزمخشري^(٣).

١ - الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ٢ : ٢٠٣، تفسير أبي السعود ٤ : ٨٤، تفسير النسفي ٢ : ٩٩، تفسير البغوي ٢ : ٣٠٦، زاد المسير ٣ : ٣١٢، والحديث في فتح الباري ٨ : ٤٩٩، تخريج الأحاديث والآثار ٢ : ٨١، الاستيعاب ٣ : ١٢١٥.

٢ - الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ٢ : ٢٠٣، تخريج الأحاديث والآثار ٢ : ٨١، تفسير مقاتل بن سليمان ٢ : ٥٩، تفسير النسفي ٢ : ٩٩، تفسير البيضاوي ٣ : ١٥٨، تفسير مجاهد ١ : ٢٨٤، جامع البيان ١٠ : ٢١٨، تفسير ابن أبي حاتم ٦ : ١٨٢٦، تفسير السمرقندي ٢ : ٧٤، تفسير الثعلبي ٥ : ٦٤، تفسير السمعاني ٢ : ٣٢٨، تفسير البغوي ٢ : ٣٠٦، زاد المسير ٣ : ٣١٣، التسهيل لعلوم التنزيل ٢ : ٨٠، الدر المنثور ٣ : ٢٥٤.

٣ - تخريج الأحاديث والآثار ٢ : ٨٣، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ٢ : ٢٠٣، تفسير السمعاني ٢ : ٣٢٩، تفسير النسفي ٢ : ٩٩، تفسير جوامع الجامع ٢ : ٨١، تفسير ابن أبي حاتم ٦ : ١٨٤٤، أسباب النزول : ١٧٠، تفسير البحر المحيط ٥ : ٧٣، الدر المنثور ٣ : ٢٥٩، سبل الهدى والرشاد ٥ : ٤٦٦، السيرة الحلبية ٣ : ١٢٠.

فهؤلاء هم الذين قال عنهم ابن عبد الوهاب: إنهم يجاهدون ويصلون ويزكّون ويحجّون ويوحدون وما ينفعهم ذلك، وهم منافقون يسبون رسول الله ﷺ، ويطعنون في الدين، ويقولون في حقّه ﷺ: سمنك بك يا كلك، ويحاولون قتله والقائه عن راحلته إلى الوادي، فجعلهم كالمسلمين الذين يستشفعون إلى الله تعالى، ويستغيثون بالنبي ﷺ الذي جعله شافعاً ومغيثاً على السواء.

هذا علم ابن عبد الوهاب، وهذه حججه وأدلتها!!
وكذلك قوله: (إِنَّ آيَةَ {أَبَاللَّهِ وَآيَاتِهِ} ^(١) الْخ نَزَلَتْ فِيْمَنْ قَالُوا كَلِمَةً ذَكَرُوا أَنَّهُمْ قَالُوا عَلَى وَجْهِ الْمَزْح) ^(٢) تهويناً وتصغيراً وتخفيفاً لعملهم حتى يتسنى له تشبيه المسلمين بهم، وهل ينفعهم ذلك وادعائهم المزح، والحال أنهم من المنافقين الذين أنزل الله تعالى فيهم: {يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ* وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبَاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ* لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} ^(٣) في الكشف: (بينا رسول الله ﷺ يسير في

١ - سورة التوبة : ٦٥.

٢ - يتبين مما سيأتي في سبب نزول الآية أنهم لم يعترفوا بتلك الكلمة ولا ادعوا قولها، لا على سبيل المزح كما يدّعيه ابن عبد الوهاب ولا غيره، بل أنكروها بتاتاً، وادعوا أنهم كانوا يمزحون بشيء غيرها.

ثم إنه هنا يقول: (ذكروا أنهم قالوا على وجه المزح)، وفي ص ٧٢ من كشف الشبهات يقول: (كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب والمزح)، فجزم بذلك فتناقض كلامه، وكلاهما مخالف للواقع، فانظر إلى تحريف الأخبار ترويحاً لمقاصده!! (المؤلف)

٣ - سورة التوبة : ٦٤ - ٦٦.

غزوة تبوك وركب من المنافقين يسرون بين يديه، فقالوا: انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه، هيهات هيهات، فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك فقال: احبسوا على الركب، فأتاهم فقال: قلتم كذا وكذا؟ فقالوا: يا نبي الله، لا والله ما كنّا في شيء من أمرك.. ولكن في شيء ممّا يخوض فيه الركب، ليقصر بعضنا على بعض السفر، فنزلت الآية^(١).

وذكر نحوه الواحدي في أسباب النزول عن قتادة وأنهم (قالوا: يا رسول الله، إنّما كنّا نخوض ونلعب)^(٢)، وذكر الواحدي أيضاً عن زيد بن أسلم ومحمّد بن وهب: (قال رجل من المنافقين في غزوة تبوك: ما رأيت مثل هؤلاء، يعني النبي ﷺ وأصحابه، أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجن عند اللقاء، فأخبر النبي ﷺ، فاعتذر القائل: بأنّا كنّا نخوض ونلعب فنزلت الآية)^(٣).

أفبهؤلاء يقاس المسلمون المتشفعون إلى الله تعالى بنبيّه، صاحب الشفاعة عنده؟!

١- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ٢: ٢٠٠، تخريج الأحاديث والآثار ٢: ٧٩، تفسير القرآن للصنعاني ٢: ٢٨٢، جامع البيان ١٠: ٢٢١، تفسير الثعلبي ٥: ٦٥، تفسير النسفي ٢: ٩٦، أحكام القرآن ٢: ٥٤٢.

٢- أسباب النزول للواحدى ٦: ١٩٦.

٣- أسباب النزول للواحدى ١٦٩، تفسير الواحدى ١: ٤٧٠، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣: ٥٥، تفسير ابن أبي حاتم ٦: ١٨٢٩، تفسير الثعلبي ٥: ٦٥، زاد المسير ٣: ٣١٥، تفسير البحر المحيط ٥: ٦٧، فتح القدير للشوكاني ٢: ٣٧٨.

ثُمَّ يَتَجَحَّ بِقَوْل: (تأمل هذه الشبهة ثُمَّ تأمل جوابها، فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق)، وهو كما عرفت لم يأت بجواب ولا شبه جواب.

وكذا استشهاده بحلف النبي ﷺ أن قول بعض الصحابة له: (اجعل لنا ذات أنواط) نظير قول بني إسرائيل: (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) لا محل له ولا فائدة فيه، ومن الذي يشكّ في أن اتخاذ شجرة تناط بها الأسلحة وتعبّد كما تعبّد الأصنام هو نظير عبادة بني إسرائيل للأصنام؟!

وطلب بعض الصحابة ذلك من النبي | هو نظير طلب قوم موسى منه، ولكن هذا لا يثبت أن الاستغاثة والاستشفاع بالنبي صلى عليه وآله وسلّم نظير عبادة الأصنام.

وأما جوابه عن قصة أسامة وتنظيره باليهود وبني حنيفة والذين حرّقهم علي بن أبي طالب والخوارج، فهو مبني على الأساس الفاسد الذي أسسه من جعل الاستشفاع والتوسل بالصالحين عبادة لهم وشركاً، فلا ينفع معها قول لا إله إلا الله.

وحيث عرفت فساد هذا الأساس تعرف فساد ما بُني عليه، وتعرف أن من وصفهم بأعداء الله - وهو أحقّ بهذا الوصف منهم - قد فهموا معنى الأحاديث، وأفنوا أعمارهم في فهمها ودراستها، وأنها تدل على أن من قال: لا إله إلا الله حرم دمه إلا أن يثبت خروجه عن الإسلام بيقين، ولا يجوز تكفيره واستحلال دمه بمجرد الظنّ والتخمين، فاليهود أنكروا نبوة عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ وجميع شرائع الإسلام، وبنو حنيفة الذين قتلهم خالد إعتل لقتلهم بمنع الزكاة التي وجوبها من ضروريات الدين التي يكفر منكراها، والذين اتبعو مسيلمة ادعوا فيه النبوة وارتدّوا عن الإسلام.

وجعله المسلمين أشدَّ كفرًا منهم باعتبار أنَّ أولئك ادَّعوا النبوة في مسيلمة والمسلمون رفعوا المخلوقين إلى درجة الإلهية، بسبب استغاثتهم وتشفعهم بهم؛ من السخافة بمكان، لما عرفت ولما هو أوضح من الشمس في رائحة النهار من أنَّ استغاثة المسلمين واستشفاعهم بذوي المكانة عنده تعالى وجميع ما يفعلونه ليس فيه شائبة ورفع المخلوق عن درجة العبودية إلى درجة الإلهية، وقد أوضحنا ذلك مكرراً فلا نطيل بإعادته.

والذين حرَّقهم علي بن أبي طالب قالوا له: أنت الله.

أما من توسَّل بنبيٍّ أو صالح إلى الله ودعاه واستغاث به، ليدعو الله له، ويكون له شفيعاً، فلم يكفر ولم يشرك ولم ينكر ضرورياً حتَّى يباح دمه إلا عند الجاهل الذي لا يفهم معنى الأحاديث.

وأما استشهاده بأخبار الخوارج، وأنَّ الرسول ﷺ أمر بقتلهم لما ظهر منهم من مخالفة الشريعة؛ ففيه إنَّ الذين ظهر منهم هو تكفير المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم، وإخافة السبيل.

وإشهار الحرب على المسلمين، لشبهة دخلت عليهم، أعظم أسبابها الجمود، وأشبه الناس بهم في هذا الزمان كان كما مرَّ من يكفِّر المسلمين ويستحلّ دماءهم وأموالهم، ويغزو بلاد الإسلام، ويشهر الحرب على المسلمين، ويخيف السبل، بشبهة أنَّهم يستغيثون ويستشفعون بذوي المكانة عند الله.

وتوهَّم أنَّ ذلك شرك بالله، والحال أنَّه ليس فيه من ذلك شائبة كما بيَّناه وأوضحناه فأَي الفريقين أحقُّ بأن يشبَّه بالخوارج لو كانوا يعقلون؟!

وأما قوله فيما حكى عنه في تاريخ نجد: (إنّ بعض العلماء كفّروا من أنكر فرعاً مجمعاً عليه)^(١) فهو اعتراف منه على نفسه وعلى أتباعه بالكفر، فإنّهم قد أنكروا فروعاً فضلاً عن الفرع الواحد، مجمعاً عليها بين المسلمين، كالاستشفاع بالنبي ﷺ، وتعظيم قبره، والتبرك به وغير ذلك ممّا خالفوا فيه عامة المسلمين، بعد إتّفاقهم وإجماعهم عليه أجيالاً عديدة، فتوى وعملاً .

قوله: (فتشبيه عبّاد القبور) إلخ .

قد علمت ممّا بيّناه وشرحناه أنّه ليس في ذلك تشبيه، بل هو الحقّ الذي لا شبهة فيه، وأنّ تشبيه الوهابيين بأنّ الاستشفاع والتوسل بالنبي ﷺ، الذي جعله الله شافعاً وجعل له الوسيلة كفر وشرك؛ مجرد تعمية على العوام وتلبيس، لتنفق ضلالتهم التي كفّروا بها المسلمين، ويأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون .

وممّا ذكره ابن عبد الوهاب في رسالة كشف الشبهات أنّه ما «بعث الله نبياً بهذا التوحيد إلّا جعل الله له أعداءً كما قال: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ}»^(٢)، وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج كما قال تعالى: {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ} ^(٣) .

إذا عرفت ذلك أنّ الطريق إلى الله لا بدّ له من أعداء قاعدين عليه، أهل فصاحة وعلم وحجج، فالواجب عليك أن تعلم من دين الله ما يصير لك سلاحاً

١ - تاريخ نجد : ٨٤ .

٢ - سورة الأنعام: ١١٢ .

٣ - سورة غافر: ٨٣ .

تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومقدمهم لرّبك عزّ وجلّ: {لَا فَعْدَنَ لَهُمْ صِرَاطُكَ الْمُسْتَقِيمَ* ثُمَّ لَا تَجِدُهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ} (١) الآية.

ولكن إذا أقبلت إلى الله تعالى، وأصغيت إلى حجج الله وبيّناته فلا تخف ولا تحزن: {إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا} (٢).

والعامّي من الموحدين يغلب الألف من علماء هؤلاء المشركين، فوجد الله تعالى هم الغالبون بالحجّة واللسان، كما هم الغالبون بالسيف والسنان: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جُنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} (٣)، قال بعض المفسرين: (هذه الآية عامة في كلّ حجّة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة) (٤).

ونقول: جعله علماء المسلمين كالشياطين الذين يصدّون عن سبيل الله، وقدحه في علومهم وكتبهم وحججهم؛ لأنّهم لا يوافقونه على معتقده الفاسد، كجملة من كلماته الشنيعة في حقّهم السابقة والآتية، خروج عن جادة الأدب، وعمّا أمر الله تعالى به نبيّه ﷺ من المجادله بالتي هي أحسن، والدعاء إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة.

ولو كان له دليل واضح لاكتفى به ولم يحتج إلى سوء القول في علماء المسلمين وحماة الدين.

وما أحقّه بما وصمهم به، وأشدّ انطباقه عليه وعلى أتباعه.

١- سورة الأعراف: ١٦ - ١٧.

٢- سورة النساء: ٧٦.

٣- سورة الفرقان: ٣٣.

٤- كشف الشبهات: ٥٧ - ٥٩، تحقيق عبد الله القحطاني.

قال: (وأنا أذكر لك أشياء ممّا ذكر الله تعالى في كتابه، جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا فنقول: جواب أهل الباطل من طريقين: مجمل ومفصّل؛ أمّا المجمل فهو الأمر العظيم، والفائدة الكبيرة لمن عقلها وذلك قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ..} (١)، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنّه قال: <إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَى اللَّهُ فاحذروهم> (٢).

مثال ذلك إذا قال لك بعض المشركين: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (٣)، وأنّ الشفاعة حقّ أو أنّ الأنبياء لهم جاه عند الله، أو ذكر كلاماً للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله، وأنّ لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره، فجأوبه بقولك: إنّ الله تعالى ذكر أنّ الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه.

وما ذكرت لك من أنّ الله ذكر أنّ المشركين يقرّون بالربوبية، وأنّه كفّهم بتعلقهم على الملائكة، أو الأنبياء أو الأولياء مع قولهم: {هُؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ} (٤)، وهذا أمر محكم لا يقدر أحد أن يغير معناه.

١- آل عمران: ٧.

٢- صحيح البخاري ٨: ٥٧ كتاب التفسير، صحيح مسلم ١٦: ٢١٦ كتاب العلم، مسند أحمد ٦: ٢٥٦، سنن الدارمي ١: ٥٥، سنن أبي داود ٢: ٣٩١، سنن الترمذي ٤: ٢٩١، خلق أفعال العباد: ٤٤، صحيح ابن حبان ١: ٢٧٤.

٣- سورة يونس: ٦٢.

٤- سورة يونس: ١٨.

وما ذكرته لي أيها المشرك.. لا أعرف معناه، ولكن أقطع أن الله لا يتناقض، وأن كلام النبي لا يخالف كلام الله عز وجل .
وهذا جواب جيد سديد، ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله فلا تستهونه، فإنه كما قال تعالى: {وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا نُو حَظٌّ عَظِيمٌ} (١)(٢).

ونقول: ما أحقّه بهذه الأوصاف التي وصف بها المسلمين .
وأما إيضاؤه من يتبعه بأن يجعل كلام مخالفه من المتشابه ومعتقده هو من المحكم ليدخل مخالفه تحت: {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ} فطريف جداً، وما ندري ما الذي يجعل: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (٣)، وكون الشفاعة حقاً، والأنبياء لهم جاه عند الله؛ من المتشابه؟
فالمتشابه كما ذكرناه في الأمر الثاني من المقدمة الثانية ما لا يكون ظاهر المعنى، لسبب من الأسباب، وهذه الألفاظ معناها بين ظاهر، فكيف جعلها من المتشابه.

قوله: (أو ذكر كلاماً للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطلها) أي الشفاعة (فجاوبه) إلخ.

١- سورة فصلت: ٣٥.

٢- كشف الشبهات: ٥٩ - ٦١، تحقيق عبد الله القحطاني.

٣- سورة يونس: ٦٢.

هذا خطأ منه في تعليم الاحتجاج والمجادلة، فإنه إذا كان الحديث مجملًا متشابهًا، والوهابي لا يفهم معناه مع كونه من أهل العلم والفهم فكيف يستدل به العلماء وأهل المعرفة والفهم؟!

وإذا فرض فالجواب عنه سهل مختصر، وهو أنه لا دلالة فيه، لإجماله من جهة كذا، ولا يحتاج إلى هذه المقدمة الطويلة العريضة، والتبجح الزائد بقوله: (فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة)، وقوله: (وهذا جواب جيد سديد) الخ. ولعله يكون ظاهر الدلالة والمخاطب لا يفهم معناه، لكونه إعرابياً نشأ في البادية ولم يتعلّم، وإن كان قلبه محشواً بالتوحيد، فكيف يسوغ لمحمد بن عبد الوهاب أن يعلمه هذا الجواب؟!

أما السرّ في هذه الوصية فهو أنه لما منّى أصحابه الموحّدين أنّ الواحد منهم يغلب الألوف من المشركين، وعلم أنّهم لا بد أن يغلبوا في كثير من مجادلاتهم، أراد أن يعلمهم طريقاً يرفع به عن نفسه خلف الوعد والكذب فيما وعدهم ومنّاهم به، ويتخلصون به عندما يجابون بجواب فيعجزون عن ردّه، وهو أن يقولوا لخصمهم: هذا الذي ذكرته متشابه، وما نعتقد محكم، والمتشابه لا يجوز التمسك به ولا يعارض المحكم! فهذه طريقة يمكن التخلص بها في كلّ مقام ومن كلّ إيراد ولم يعلم أنّ المتشابه لا يكون متشابهاً بمجرد الدعوى، بل له أسباب لا بدّ لمن يدعي التشابه من بيانها مثل: كونه مشتركاً بين معنيين، ولا قرينة على تعيين أحدهما، أو أنّه قامت قرينة على عدم إرادة المعنى الحقيقي ولم تعين المجازي ونحو ذلك.

ونظير هذه الوصية ما حكى أنّ رجلاً طلب للمحاكمة مع آخر، فاسترشد صديقاً له ما الذي ينبغي أن يفعله حتّى لا يغلب، فأوصاه باستعمال الإنكار، فلمّا حضر للمحاكمة ادعى عليه خصمه بمال، فسأله القاضي عن اسمه؟

فقال: أنا منكر!

فقال: هل أخذت منه هذا المال؟

قال: نعم، ولكن أنا منكر، فأمره القاضي بدفع المال.

فقال: أنا منكر!

ولم يفهم المسكين أن الإنكار بعد الإقرار لا يفيد.

أمّا جعله كفر المسلمين وشركهم بتعلقهم على الصالحين وتشفعهم بهم من المحكم، فقد عرفت وستعرف بما لا مزيد عليه أنه من الوهي والوهن بمكان، وأنه لا إحكام فيه، بل هو رقم على الماء، وأنّ جوابه: لا شيء فيه من السداد.

قال: (وأمّا المفصل: فإنّ أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة يصدون بها الناس عنه، منها قولهم: نحن لا نشرك بالله شيئاً، بل نشهد أنه لا يخلق، ولا يرزق، ولا ينفع، ولا يضر إلا الله وحده لا شرك له، وأنّ محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً، فضلاً عن عبد القادر أو غيره، ولكن أنا مذنّب، والصالحون لهم جاه عند الله، واطلب من الله بهم).

فجابه بما تقدم وهو أنّ الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرّون بما ذكرت لي، ومقرّون أنّ أوثانهم لا تدبر شيئاً، وإنّما أرادوا الجاه والشفاعة، وقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضّحه.

فإن قال: إنّ هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، فكيف تجعلون

الصالحين مثل الأصنام؟

فجاوبه بما تقدّم، فإنّه إذا أقرّ أنّ الكفّار يشهدون بالربوبية كلّها لله، وأنّهم ما أرادوا ممّا قصدوا إلّا الشفّاعه، ولكن أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر، فاذا ذكر له أنّ الكفّار منهم من يدعو الأصنام، ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ} (١)، ويدعون عيسى بن مريم، وقد قال الله تعالى: {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ} (٢)، واذكر قوله تعالى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ* قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ} (٣).

فإنّ قال: الكفّار يريدون منهم، وأنا أشهد أنّ الله هو النافع الضار المدبّر، لا أريد إلاّ منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء، ولكن أرجو من الله شفاعتهم.

فالجواب: إنّ هذا قول الكفّار سواء بسواء، فاقرأ عليه قوله تعالى: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} (٤)، وقوله تعالى: {هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ} (٥).

١- سورة الإسراء: ٥٧.

٢- سورة المائدة: ٧٥.

٣- سورة سبأ: ٤٠.

٤- سورة الزمر: ٣.

٥- سورة يونس: ١٨.

قال: (واعلم أنّ هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم)^(١).

ونقول: يظهر فساد ما أطال به بلا طائل ممّا قدمنا من أنّ الذين قاتلهم رسول الله ﷺ لم يقاتلهم على مجرد التشفع بالصالحين إليه، بل على عدم قبولهم أحكام الإسلام، وتكذيبهم له مع ظهور المعجزات على يديه، وارتكابهم الموبقات والعظائم، وغير ذلك ممّا مرّ في صدر الكلام، حتّى ممّن يعبد صور الصالحين من الأحجار المنحوتة.

أما قوله تعالى: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا* أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ} ^(٢)، فنزلت على ما ذكره المفسّرون في قوم من العرب كانوا يعبدون الجنّ، فأسلم الجنّ، أو كانوا يعبدون الملائكة. وقيل: كانوا يعبدون عيسى وعزيراً ^(٣). واعترضه الطبري في تفسيره بما حاصله: (إنّ الآية دالة على وجودهم في عهد النبي | وعزير وعيسى ليسا كذلك)^(٤) انتهى.

١- كشف الشبهات : ٦١ - ٦٥ ، تحقيق عبد الله القحطاني .

٢- سورة الإسراء: ٥٦ - ٥٧ .

٣- صحيح مسلم ٨ : ٢٤٤ ، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ٢ : ٤٥٤ ، جامع البيان ١٥ : ١٣٠ - ١٣١ ، تفسير السمرقندي ٢ : ٣١٧ ، زاد المسير ٥ : ٣٦ ، تفسير العز بن عبد السلام ٢ : ٢٢٢ ، تفسير القرطبي ١٠ : ٢٧٩ ، تفسير البحر المحيط ٦ : ٢١ ، تفسير ابن كثير ٣ : ٥٠ ، الدر المنثور ٤ : ١٩٠ .

٤- جامع البيان ١٥ : ١٣٢ .

وفي الكشف: ((أولئك > مبتدأ، و(الذين يدعون) صفته، و{يَبْتَغُونَ} خبره.. و{أَيُّهُمْ} بدل من واو يبتغون، وأي موصولة، أي يبتغي من هو أقرب منهم وأزلف الوسيلة إلى الله فكيف بغير الأقرب)^(١).

فالآية دالة على أنهم اتخذوهم آلهة من دون الله وعبدوهم، وليس فيها ما يدل على أنه لم يصدر منهم في حقهم إلا طلب شفاعتهم عند الله والتوسل بهم إليه، وإن اشتملت على لفظ الدعاء، وأن المدعوين يبتغون إلى ربهم الوسيلة، لكن قوله: {فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا} دال على أنهم كانوا يعتقدون فيهم القدرة على كشف الضرّ وتحويله عنهم بأنفسهم، ولذلك عبدوهم واتخذوهم آلهة من دون الله، بدليل قوله تعالى: {الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ}، ومع ذلك فقد كذبوا الرسل وعاندوهم.

أمّا من يعبد عيسى وأمّه فحالهم أوضح وأظهر. والعجب كيف جعل عبادة عيسى وأمّه، وجعله إلهاً خالقاً رازقاً مدبراً للكون، متحداً مع الله تعالى، كمن يتشفع بصالح إلى الله؟! ما هذا إلا الجهل أو العناد.

وكذلك جعله رجاء الشفاعة من الصالحين هو قول المشركين: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا} وهؤلاء شفعائنا؛ واضح الفساد بما عرفت من صراحة الآيتين في وقوع عبادة منهم غير الشفاعة، جعلت علّة لها مرة، وعطفت عليها أخرى، والعلة غير المعلول، ومقتضى العطف التغاير كما سيأتي في فصل الشفاعة. وقال الصنعاني في تطهير الاعتقاد ما حاصله، بعد حذف تكريرات كثيرة وتقديم وتأخير: (التوحيد قسمان: توحيد الربوبية والخالقية والرازقية ونحوها، أي إنّ الله وحده هو الربّ الخالق الرازق للعالم، وهذا لا ينكره المشركون.

١- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ٢: ٤٥٤.

وتوحيد العبادة: أي أفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات، وعدم عبادة غيره معه، وهذا الذي جعلوا الله فيه الشركاء، ولفظ الشريك يشعر بالإقرار بالله تعالى.

والرسل والأنبياء من أولهم وهو نوح إلى آخرهم وهو محمد بعثوا لتقرير توحيد الربوبية كقولهم: {أَفِي اللَّهِ شَكٌّ} (١)، {هَلْ مِنْ خَالِقِ غَيْرِ اللَّهِ} (٢)، {قُلْ أَعِزَّ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا} (٣)، {فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} (٤)، {أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ} (٥) استفهام تقرير لهم، لأنهم به مقرون، ولم ترد الآيات في الغالب إلا بصيغة استفهام التقرير.

والدعاء إلى توحيد العبادة وإخلاصها والنهي عن شركها، قال الله تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ} (٦)، فأفاد أن جميع الأمم لم ترسل إليهم الرسل إلا لطلب توحيد العبادة: {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ} (٧)، {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} (٨).

١- سورة إبراهيم: ١٠.

٢- سورة فاطر: ٣.

٣- سورة الأنعام: ١٤.

٤- سورة لقمان: ١١.

٥- سورة فاطر: ٤٠.

٦- سورة النحل: ٣٦.

٧- سورة هود: ٢ و٢٦، وسورة فصلت: ١٤، وسورة الأحقاف: ٢١.

٨- سورة البينة: ٥.

وكلّ رسول أوّل ما يقرع به أسماع قومه: {يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} (١)، {أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا} (٢)، ولم ترسل الرسل لطلب توحيد الربوبية؛ لأنّ المشركين مقرّون به، بدليل قوله تعالى: {وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} (٣)، {وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} (٤)، {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ} (٥) الآيات المتقدّمة في كلام

ابن

عبد الوهاب.

وكلّ مشرك مقرّ بأنّ الله خالقه وخالق السماوات والأرض، ولهذا احتجّ عليهم الرسول بقولهم: {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ} (٦)، {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ} (٧).

والعبادة اعتقادية كالاعتقاد بالتوحيد، ولفظية كالنطق بكلمته، وبدنية كالصلاة، ومالية كالزكاة.

والعبادة أقصى باب الخضوع والتذلل، ولم تستعمل إلا في الخضوع لله؛ لأنّه مولٍ أعظم النعم، فكان حقيقاً بأقصى غاية الخضوع كما في الكشف (١).

١- سورة الأعراف: ٥٩ و ٦٥ و ٧٣ و ٨٥ وسورة هود: ٦١ و ٨٤ وسورة المؤمنون: ٢٣ و ٣٢

٢- سورة نوح: ٣.

٣- سورة الزخرف: ٨٧.

٤- سورة الزخرف: ٩.

٥- سورة يونس: ٣، سورة سبأ: ٢٤.

٦- سورة النحل: ١٧.

٧- سورة الحج: ٧٣.

ورأس العبادة وأساسها التوحيد الذي تفيده كلمته، والمراد اعتقاد معناها، وهو إفراد الله بالعبادة والإلهية والنفي والبراءة من كُلِّ معبود دونه، لا مجرد قولها، وقد علم الكفار هذا المعنى لأنهم أهل اللسان فقالوا: {أَجْعَلِ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا} ^(٢)، وقالوا: {قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ} ^(٣)، أي لنفرد به بالعبادة دون الأوثان، فأنكروا إفراده بالعبادة، وعبدوا معه غيره، واتخذوا له أنداداً، قال تعالى: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} ^(٤)، أي وأنتم تعلمون أنه لا ندَّ له. وكانوا يقولون في تلبيتهم للحج:

ليك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك
تملكه وما ملك ^(٥).

١- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ١: ٦٢، تفسير جوامع الجامع ١: ٥٦، تفسير النسفي ١: ٧، تفسير ابن عربي ١: ٥١، تفسير البضاوي ١: ٦٦، فتح القدير ٣: ٣٢١، تفسير الألوسي ٥: ٢٨.

٢- سورة ص: ٥.

٣- سورة الأعراف: ٧٠.

٤- سورة البقرة: ٢٢.

٥- صحيح مسلم ٤: ٨، كتاب الحج، مجمع الزوائد ٣: ٢٢٣، المعجم الأوسط ٨: ٤٥، و ١٢: ١٦، تفسير مجمع البيان ٥: ٢٥، فقه القرآن ١: ٢٩٤، تفسير مقاتل بن سليمان ٢: ٢٢٩، جامع البيان ١٨: ٢٣٩، تفسير ابن أبي حاتم ٧: ٢٢٠٨، تفسير السمرقندي ١: ٥٦، تفسير الثعلبي ٥: ٢٦٢، تفسير السمعاني ٢: ٢٩٣، تفسير البغوي ٣: ٢٨٦، زاد المسير ٤: ٢١٩، تفسير العز بن عبد السلام ٢: ٥٢٧، تفسير القرطبي ٢: ٢٦٦، تفسير البحر المحيط ٢: ٨٠، تفسير ابن كثير ٢: ٣١٧، العجائب في بيان الأسباب ١: ٤٨٧، تفسير الثعالبي ٣: ٣٥٤، فتح القدير ٣: ٦٠، الأعلام ٨: ١٦، البداية والنهاية ٢: ٢٣٧، عيون الأثر ٢: ٢٧٥، السيرة النبوية ١: ٦٣، الأعلام ٨: ١٦.

فالمشركون إنّما أشركوا في العبادة ولم يشركوا في توحيد الربوبية، وكانت عبادتهم للأصنام هي اعتقادهم فيهم أنّهم يضرّون وينفعون ويقربونهم إلى الله زلفى، ويشفعون لهم عنده، فنحروا لهم النحائر، وطافوا بهم، ونذروا النذور عليهم، وقاموا متذللين متواضعين في خدمتهم، وسجدوا لهم، ولم يعبدوهم بالخضوع لهم والتقرب بالنذور والنحر لهم إلاّ لاعتقادهم أنّها تقرّبهم من الله زلفى، وتشفع لهم لديه، وقالوا وهم في النار: {تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ* إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} (١)، مع أنّهم لم يسوؤهم به من كلّ وجه، ولا جعلوهم خالقين رازقين.

وكان المشركون منهم من يعبد الملائكة، ويناديهم عند الشدائد، ومنهم من يعبد أحجاراً ويهتف بها عند الشدائد، فبعث الله محمداً ﷺ يدعوهم إلى إفراد الله بالعبادة، كما أفردوه بالربوبية، وأن لا يدعو مع الله أحداً، قال تعالى: {لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ} (٢) الآية، وقال: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (٣)، أي من شرط الصدق - كذا - بالله أن يفردوه بالتوكل، كما يجب إفراده بالدعاء والاستغفار.

وهذه الحال التي أشرك بها السابقون بشرك العبادة هي بعينها حال المسلمين مع الأنبياء والصالحين وغيرهم، فاعتقدوا فيهم أنّهم يضرّون وينفعون، ويقربون إلى الله، ويشفعون عنده، فدعوهم ونادوهم في الشدائد

١- سورة الشعراء: ٩٧ - ٩٨.

٢- سورة الرعد: ١٤.

٣- سورة المائدة: ٢٣.

والرخاء، وهتفوا بأسمائهم، واستغاثوا، واستعانوا، وتوسلوا، وتشفعوا، وحلفوا بهم، وطلبوا منهم ما لا يطلب إلا من الله من عافية المريض، وقدم الغائب، ونيل المطالب، ونذروا لهم بأموالهم وأولادهم، ونحروا على قبورهم، وطافوا بها، وتبركوا وتمسحوا بها، فصار الذين يعتقدون في القبور والأولياء والفسقة والخلعاء مشركين كالذين يعتقدون في الأصنام، لأنه قد حصل منهم ما حصل من أولئك، وساووه في ذلك، بل زادوا في الاعتقاد والانقياد والاستعباد، فلا فرق بينهم.

وكما أن السابقين كانوا مقرّين بتوحيد الربوبية، ولم ينفعهم ذلك؛ لأنهم مشركون بالعبادة، فلم ينفعهم إقرار بالله، لأنه نافاه فعلهم، كذلك المسلمون وإن كانوا مقرّين بتوحيد الربوبية لم ينفعهم إقرارهم، لأنه نافاه عملهم. فالمشركون لم يتخذوا الأصنام، ولم يعبدوها، ولم يتخذوا المسيح وأُمّه والملائكة شركاء لله، لأنهم أشركوهم في الخلق، بل لأنهم يقربونهم إلى الله زُلْفَى كما قالوه، وأنهم شفعاء عند الله، قال الله تعالى: {قُلْ إِنْتَبِئُونِ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} (١)، فجعل اتّخاذهم الشفعاء شركاً ونزّه نفسه عنه؛ لأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فكيف يشبتون شفعاء لهم لم يأذن الله لهم في شفاعة، ولا هم أهل لها، ولا يغنون عنهم من الله شيئاً؟! من الله شيئاً؟!!

فما يفعله المسلمون هو بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية، وإنما يفعلونه لما

يسمّونه وثناً وصنماً، وفعله القبوريون لما يسمّونه ولياً وقبراً ومشهداً، والأسماء لا تغيّر المعاني، فمن شرب الخمر وسمّاها ماءً ما شرب إلاّ خمرًا، ولعل عقابه أشد، للتدليس والكذب، وقد ثبت في الأحاديث >أنّه يأتي قوم يشربون الخمر يسمّونها بغير اسمها<^(١)، وصدق ﷺ فإنّه أتى طوائف من الفسقة يشربون الخمر ويسمّونها نبيذاً، وأوّل من سمّى ما فيه غضب الله وعصيانه بالأسماء المحبوبة عند السامعين إبليس فقال : { هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ }^(٢) فسمى الشجرة التي نهى آدم عن قربانها شجرة الخلد، جذباً لطبعه إليها، وتدليساً عليه بالاسم الذي اخترعه لها، كما يُسمي إخوانه المقلدون الحشيشة بلقمة الراحة، وكما يُسمي الظلمة ما يقبضونه من أموال عباد الله ظلماً أدباً، فيقولون: أدب القتل، أدب التهمة، أدب المكايل والموازن، أو باسم النفاة والسياسة، وكذلك تسمية القبر مشهداً والرجل ولياً لا يخرجهم عن اسم الصنم والوثن، لمعاملتهم لها معاملة المشركين للأصنام، ويطوفون بهم طواف الحجاج بالبيت، ويستلمونهم استلامهم لأركانهم، ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية كقولهم: على الله وعليك، ويهتفون بأسمائهم عند الشداد.

وكُلّ قوم لهم رجل ينادونه، فأهل العراق والهند عبد القادر الجيلي، وأهل

١- عن النبي ﷺ أنّه قال: >إِنَّ أُنْلِسًا مِنْ أُمَّتِي يَشْرِبُونَ الْخَمْرَ يَسْمُونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا< وهو في:

مسند أحمد ٤: ٢٣٧ و ٥: ٣٤٢، سنن الدارمي ٢: ١١٤، سنن ابن ماجّة ٢: ١١٢٣، سنن أبي داود ٢: ١٨٦، سنن النسائي ٨: ٣١٣، المستدرک ٤: ١٤٧، السنن الكبرى للبيهقي ٨: ٢٩٥، مجمع الزوائد ٥: ٥٧، فتح الباري ٩: ٥٧٣، مسند الطيالسي ٨٠: المصنّف لابن أبي شيبة ٥: ٤٧٢، كتاب الأوائل ٣٤: مسند أبي يعلى ٧: ٣٥٢، صحيح ابن حبان ١٥: ١٦٠، المعجم الكبير ٣: ٢٨٣.

٢- سورة طه: ١٢٠.

التهائم يقولون: يا زيعلي، يا بن العجيل، وأهل مكة والطائف: يا بن العباس، وأهل مصر: يا رفاعي، يا بدوي، والسادة البكرية وأهل الجبال: يا أبا طير، وأهل اليمن: يابن علوان. وفي كل قرية أموات يهتفون بهم وينادونهم ويرجونهم، لجلب الخير ودفع الضرر.

وقد يعتقدون في بعض فسقة الأحياء وينادونه في الشدة والرخاء، وهو عاكف على القبائح، ولا يحضر جمعة ولا جماعة، ولا يعود مريضاً، ولا يشيع جنازة، ولا يكتسب حلالاً، ويضم إلى ذلك دعوى التوكل، وعلم الغيب، ويجلب إبليس إليه جماعة قد عشن في قلوبهم، وباض فيها وفرخ، يصدقون بهتانه، ويعظمون شأنه، ويجعلون هذا نداً لرب العالمين ومثلاً.

فإفراد الله بتوحيد العبادة لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله، والنداء في الشدائد والرخاء، والاستعانة، واللجأ، والنذر، والنحر، وجميع أنواع العبادات من الخضوع والقيام تذلاً، والركوع والسجود والطواف والتجرد عن الثياب والحلق والتقصير، كلها لله، ومن فعل ذلك لمخلوق حيٍّ أو ميت أو جماد أو غيره ملكاً أو نبياً أو ولياً أو شجراً أو قبراً أو جنياً، فهذا شرك في العبادة، وصار من تفعل له هذه الأمور إلهاً لعبديه، وصار بهذه العبادة أو أي نوع منها عابداً لذلك المخلوق، وإن أقر بالله وعبد، فإن إقرار المشركين بالله وتقربهم إليه لم يخرجهم عن الشرك، وعن وجوب سفك دمائهم، وسبي ذرائعهم، ونهب أموالهم.

ومن اعتقد في شيء من ذلك أنه ينفع أو يضر أو يقرب إلى الله أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا، بمجرد التشفع به، والتوسل إليه تعالى إلا

ما ورد في حديث فيه مقال^(١) في حقّ نبينا ﷺ، أو نحو ذلك فقال: أشرك مع الله غيره، واعتقد ما لا يحل اعتقاده، كما اعتقد المشركون في الأوثان، وصار حلال المال والدم، كما حلّت دماء المشركين وأموالهم، قال الله تعالى: <أنا أغنى الشركاء عن الشرك>^(٢)، لا يقبل الله عملاً شورك فيه غيره، ولا يؤمن به من عبد معه غيره، بل سمّى الله الرياء في الطاعات شركاً، مع أنّ فاعلها ما قصد بها إلا الله، وإنّما أراد طلب المنزلة بها في قلوب الناس، فلم تقبل، وسمّاها شركاً، أخرج مسلم من حديث أبي هريرة (رض) عنه ﷺ يقول الله تعالى: <أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً واشرك فيهِ معي غيري تركته

١- حديث الأعمى: هو ما روي عن رسول الله ﷺ: <أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني!

قال: إن شئت دعوت لك، وإن شئت أخرت ذلك، فهو خير!

فقال: ادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، فيصلّي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمن، يا محمد، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضى لي اللهم فشفّعه لي> وهو في: مسند أحمد ٤: ١٣٤ وصححه محققه الشيخ شعيب الأرناؤوط

الترمذي ٥: ٢٢٩، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، المستدرک للحاكم ١: ٣١٣، منتخب مسند بن عبد حميد: ١٤٨، السنن الكبرى للنسائي ٦: ١٦٩، صحيح ابن خزيمة ٢: ٢٢٦، الأربعين البلدانية: ٨٥، الجامع الصغير ١: ٢٢٧، المعجم الكبير ٢: ٨٣١١.

٢- صحيح مسلم ٨: ٢٢٣ كتاب الزهد، سنن ابن ماجه ٢: ١٤٠٥، مسند أبي داود الطيالسي: ٣٣٣، مسند أبي يعلى الموصلي ١١: ٤٣٠، صحيح ابن خزيمة ٢: ٦٨، البغوي: ٤٢، المعجم الأوسط ١: ٤٧، الجامع الصغير ٢: ٢٤٠.

وشركه^(١)، بل سمى الله التسمية بعبد الحارث شركاً بقوله تعالى: {آتَاهُمَا صَالِحًا
لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا }،^(٢) وأخرج الإمام أحمد والترمذي حديث سمرة
عنه رضي الله عنه: كلما حملت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد، فقال:
سمي عبد الحارث فسمته عبد الحارث، فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان
وأمره^(٣).

ثم قال: فهؤلاء القبوريون والمعتقدون في جهال الأحياء وضلالهم
سلكوا مسالك المشركين، حذو القذة بالقذة، فاعتقدوا فيهم ما لا يجوز أن
يعتقد إلا في الله، وجعلوا لهم جزءاً من المال، وقصدوا قبورهم من ديارهم
للزيارة، وطافوا حول قبورهم، وقاموا خاضعين عندها، وهتفوا بهم عند الشدائد
ونحروا تقرباً إليهم^(٤). وهذه هي أنواع العبادات التي عرفناك.
ولا أدري هل فيهم من يسجد لهم؟ لا استبعد أن فيهم من يفعل ذلك، بل
أخبرني من أثق به أنه رأى من يسجد على عتبة باب مشهد الولي الذي يقصده،
تعظيماً له وعبادة^(٥).

وقال: (فإن قلت القبوريون يقولون: نحن لا نشرك بالله تعالى، ولا نجعل له
نداءً، والالتجاء إلى الأولياء ليس شركاً؟

١- تقدم تخريجه في الهامش السابق.

٢- سورة الأعراف: ١٩٠.

٣- مسند أحمد ٥: ١١، سنن الترمذي ٤: ٣٣٢، الأتقان في علوم القرآن ٢: ٥١١، فتح
القدير ٢: ٢٧٦، البداية والنهاية ١: ١٠٨، قصص الأنبياء ١: ٦٣.

٤- تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد: ٤٩ - ٥٠٥، المطبوع ضمن الجامع الفريد.

٥- المصدر السابق: ٥٠٥.

قلت: {يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ} ^(١)، لكن هذا جهل منهم بمعنى الشرك، فإنّ تعظيمهم الأولياء ونحرهم النحائر لهم شرك، وما يفعلونه عين ما فعله المشركون، وصاروا به مشركين.

ولا ينفعهم قولهم: نحن لا نشرك بالله شيئاً؛ لأنّ فعلهم أكذب قولهم ^(٢).

ثمّ قال: (فإن قلت: هم جاهلون أنّهم مشركون بما يفعلونه؟

قلت: قد خرّج الفقهاء في باب الردّة أنّ من تكلم بكلمة الكفر يكفر وإن لم يقصد معناها ^(٣)، وهذا دالٌّ على أنّهم لا يعرفون حقيقة الإسلام ولا ماهية التوحيد، فصاروا حينئذٍ كفّاراً كفراً أصلياً، ومن نادى الله ليلاً ونهاراً وسراً وجهاً وخوفاً وطمعاً ثمّ نادى معه غيره فقد أشرك في العبادة ^(٤)).

ثمّ أورد سؤالاً: (بأنّهم إذا كانوا مشركين وجب جهادهم والسلوك فيهم ما سلكه ﷺ في المشركين؟

وأجاب: بأنّه ذهب إلى هذا طائفة من أهل العلم، وقال: إنّ يجب دعاؤهم إلى التوحيد، ويجب على العلماء بيان أنّ ما يفعلونه شرك وأنّه عين ما كان يفعله المشركون لأصنامهم، فإذا أبانت العلماء ذلك للأئمة والملوك وجب عليهم بعث دعاة إلى إخلاص التوحيد، فمن رجع حقن عليه ماله ودمه وذراحيه، ومن أصرّ فقد أباح الله منه ما أباح لرسوله ﷺ من المشركين ^(٥)).

ثمّ قال: **فإن قلت: لا سواء؛ لأنّ هؤلاء قد قالوا: لا إله إلا الله، وقد قال**

١- سورة آل عمران: ١٦٧.

٢- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد: ٥٠٣، المطبوع ضمن الجامع الفريد.

٣- تقدم تخريج ذلك في الصفحات السابقة.

٤- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد: ٥٠٣، المطبوع ضمن الجامع الفريد.

٥- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد: ٥٠٣ - ٥٠٤، المطبوع ضمن الجامع الفريد.

النبي ﷺ: >أمرت أن أُقاتل النّس حتّى يقولوا لا إله إلّا الله ، فإذا قالوها عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلّا بحقّها>^(١)، وقال لأُسامة: >قتلته بعدما قال: لا إله إلّا الله>^(٢)، وهؤلاء يصلون ويصومون ويزكّون ويحجّون، بخلاف المشركين؟

قلت: قد قال ﷺ: >إلّا بحقّها> وحقّها أفراد الألوهية والعبودية لله، والقبوريون لم يفردوا هذه العبادة، فلم تنفعهم كلمة الشهادة، فإنّها لا تنفع إلّا مع التزام معناها، ولم ينفع اليهود قولها، لإنكارهم بعض الأنبياء، وبنو حنيفة كانوا يشهدون الشهادتين ويصلّون لكنهم قالوا: مسيلمة نبي، فقاتلهم الصحابة وسبّوهم، فكيف بمن يجعل للولي خاصّة الإلهية، ويناديه للمهمات؟! وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حرّق أصحاب عبد الله بن سبأ، وكانوا يشهدون الشهادتين، ولكن غلّوا في علي، واعتقدوا فيه ما يعتقد القبوريون^(٣).

١- مسند أحمد ١: ١١، سنن الترمذي ٤: ١١٧ وقال: >هذا حديث حسن صحيح> سنن النسائي ٦: ٦، المستدرک ٢: ٥٢٢، السنن الكبرى للبيهقي ٦: ٣٣٦، مجمع الزوائد ١: ٢٥، فتح الباري ١: ٩٥، المصنّف للصنعاني ٤: ٤٤، المصنّف لابن أبي شيبة ٦: ٥٧٦، المعجم الأوسط ٣: ٣٠٠، المعجم الكبير ٨: ٣١٨. وغيرها من المصادر.

٢- تقدّم تخريج الحديثين.

٣- أخرجت هذه الروايات في كتب أهل السنة، وسند الحديث ينتهي إلى عكرمة البربري، وعكرمة معروف بالنصب والعداء لأهل البيت ^٨، فعند الرجوع إلى ترجمته في كتب الرجال تجد العبارات التالية في حقّه: ففي تاريخ دمشق ٤١: ١١٨ (كان عكرمة يرى رأي الأباضية)، وفي- تهذيب الكمال للمزي ٢٠: ٢٧٨ (كان يرى رأي الأباضية. فقال: يقال: إنّه كان صفرياً)، ←

وأجمعت الأمة على أنّ من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال: لا إله إلا الله، فكيف بمن يجعل لله نداً!!

وإنكاره ﷺ على أسامة قتله من قال: لا إله إلا الله؛ لأنّ من قالها من الكفار حقن ماله ودمه حتّى يتبيّن منه ما يخالف ما قاله، فإنّ تبين لم تنفعه هذه الكلمة، كما لم تنفع اليهود ولا الخوارج مع عبادتهم التي يحتقر الصحابة عبادتهم إلى جنبها، بل أمر ﷺ بقتلهم، وقال: **كلن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**^(١)، وذلك لما خالفوا بعض الشريعة، وكانوا شرّ القتلَى تحت أديم السماء كما ثبتت به الأحاديث.

فإن قلت: القبوريون ومن يعتقد في فسقة الناس وجهالهم من الأحياء يقولون: نحن لا نعبد هؤلاء ولا نعبد إلا الله وحده ولا نصليّ لهم ولا نصوم ولا نحج؟

قلت: هذا جهل بمعنى العبادة، فإنّها لا تنحصر فيما ذكرت، بل رأسها وأساسها الاعتقاد، وقد حصل في قلوبهم ذلك، بل يسمّونه معتقداً، ويصنعون له

→ وكذلك تجد ذلك في سير أعلام النبلاء للذهبي ٥: ٢١ وميزان الاعتدال ٣: ٩٥ والأعلام للزركلي ٤: ٦٢ وتاريخ الإسلام ٧: ١٨٠، والوافي بالوفيات للصفدي ٢٠: ٤٠، والأباضية والصفيرية فرقة من فرق الخوارج، وهم يكفّرون عليّاً عليه السلام، فلا يمكن الأخذ برواياتهم الطاعنة في عليّ وعترته^٨.

١- مسند أحمد ٣: ٨٦، صحيح البخاري ٤: ١٠٨ كتاب بدء الخلق، صحيح مسلم ٣: ١١٠ باب ذكر الخوارج، سنن النسائي ٥: ٨٨، السنن الكبرى للبيهقي ٧: ١٨، مسند الطيالسي ٢٩٦: المصنّف للصنعاني ١٠: ١٥٧، كتاب السنة: ٤٢٧، مسند أبي يعلى ٢: ٣٩١، صحيح ابن حبان ١: ٢٠٦ وغيرها من المصادر.

ما سمعت ممّا تفرّع عن الاعتقاد من دعائهم وندائهم، والتوسل بهم ، والاستغاثة، والاستعانة، والحلف والنذر وغير ذلك، وقد ذكر العلماء أنّ من تزياً بزّي الكفّار صار كافراً، ومن تكلم بكلمة الكفر صار كافراً، فكيف بمن بلغ هذه الرتبة اعتقاداً وقولاً وفعلًا^(١)؟!

والجواب: إنّ تقسيمه التوحيد إلى توحيد الربوبية وتوحيد العبادة تطويل بدون طائل، فإنّه لا شكّ في وجوب توحيد الباري تعالى في ذاته وصفاته وعبادته، وجميع ما هو من لوازم الربوبية ﷻ، وصفات الكمال، ونفي صفات النقص عنه، ولا يحتاج إلى كلّ هذا التطويل والتكرير الذي اعتادوه، ولا إلى إكثار الشواهد القرآنية عليه، ولا إلى الاستشهاد بإيّاك نعبد وأمثالها، وإنّما الذي ينفع بيان ما هي العبادة التي لا تليق بغير الله، وإذا فعلت لغيره توجب الشرك والكفر، هل هي مطلق التعظيم والخضوع والنداء والدعاء والاستعانة والاستغاثة والتشفع والتوسل والنذر والذبح والنحر وغير ذلك، ليكون ما يفعله المسلمون داخلًا فيها أو عبادة خاصة؟!

وهم لم يأتوا على أنّ ما يفعله المسلمون داخل في ذلك بيّنة ولا برهان، بل البرهان على خلافه قائم، لما بيّناه مراراً عند الكلام على هذه الأمور إجمالاً وتفصيلاً من أنّ مطلقها ليس ممنوعاً، فضلاً عن كونه كفراً وشركاً، وأنّ تعظيم من هو عظيم عند الله، والخضوع له، والاستغاثة والتشفع والتوسل بمن جعله الله مغنياً شافعاً، وجعل له الوسيلة، كلّها عبادة لله، وأنّ النذر والذبح والنحر الذي يفعله المسلمون هو لله تعالى، وعبادة وطاعة له، فجميع هذه الأمور سواء سُمّيت عبادة أو لا، لا تعدّ شركاً ولا كفراً؛ لأنّ الممنوع منه الموجب للشرك هي عبادة خاصة، وهي ما كان عن غير أمر الله، أو عناداً له، أو بقصد

١- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد: ٥٠٥-٥٠٧ المطبوع ضمن الجامع الفريد.

الاستحقاق الذاتي كاستحقاق الله أو نحو ذلك.

مع أنّ قوله: (إنّ جميع الرسل بعثوا لتقرير توحيد الربوبية، والدعاء إلى توحيد العبادة، ولم يبعثوا للدعاء إلى توحيد الربوبية) جهل محض، فإنّ الأمم التي بعثت إليها الرسل منها من كان يعتقد في عيسى الألوهية، ويثبت له جميع صفاتها، كما مرّ في رد كلام ابن عبد الوهاب، فكيف يقول: إنّ جميع من بعثت إليهم الرسل موحدون بتوحيد الربوبية؟!).

ومنه يعلم فساد قوله: (إنّ من اتخذوا المسيح وأمه لم يتخذوهم لأنّهم أشركوهم في الخلق، بل لأنّهم يقربونهم إلى الله زلفى).

ومنها: من كان ينكر الله تعالى، وينكر البعث، وهم الذين قالوا - كما حكى الله تعالى عنهم في كتابه العزيز -: {مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} ^(١) ففي تفسير الطبري: (يقول الله تعالى مخبراً عن هؤلاء المشركين أنّهم قالوا: وما يهلكنا فيفينا إلاّ مرّ الليالي والأيام، وطول العمر، إنكاراً منهم أن يكون لهم ربّ يفيهم ويهلكهم) ^(٢).

وفي مجمع البيان: (أي ما يميتنا إلاّ الأيام والليالي، أي مرور الزمان، وطول العمر، إنكاراً منهم للصانع) ^(٣).

وفي تفسير الرازي: (إنّ الله حكى عنهم شبهتهم في إنكار القيامة وفي إنكار الإله القادر، أما شبهتهم في إنكار الإله الفاعل المختار فقولهم: وما يهلكنا إلاّ الدهر، يعني تولد الأشخاص إنّما كان بسبب حركة الأفلاك الموجبة لامتزاجات الطبائع، وإذا وقعت تلك الامتزاجات على وجه خاص حصلت

١- سورة الجاثية : ٢٤.

٢- جامع البيان ٢٥: ١٩٧.

٣- تفسير مجمع البيان ٩: ١٣١.

الحياة، وإذا وقعت على وجه آخر حصل الموت، فالموجب للحياة والموت تأثير الطبائع وحركة الأفلاك، ولا حاجة في هذا الباب إلى إثبات الفاعل المختار، فهذه الطائفة جمعوا بين إنكار الإله وبين إنكار البعث والقيامة^(١).

وفي تفسير النيشابوري : (إنهم لم يقنعوا بإنكار المعاد حتى ضموا إليه إنكار المبدأ قائلين: وما يهلكنا إلا الدهر)^(٢).

ثم إن قوله تعالى: {اعْبُدُوا اللَّهَ} ^(٣)، {لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ} ^(٤) ليس صريحاً في طلب توحيد العبادة فقط؛ لجواز أن يعبر باللازم عن الملزوم، فيكون قد طلب إفراد الله بالعبادة، وملزومه الذي هو إفراده بالربوبية.

ثم إن تقسيمه العبادة إلى اعتقادية ولفظية وبدنية الذي اختصرناه وقوله: <إن العبادة أقصى غاية الخضوع، وإن مستحقها الله تعالى، لإيلائه أعظم النعم> كما نقله عن الكشف، لا يظهر لذكره في هذا المقام فائدة، بل هو تطويل بلا طائل، كما هي عادتهم في التطويل بتكرير المعنى الواحد وإعادته مراراً كثيرة، كما وقع في كلامه من تكرير القول بأن الأنبياء بعثوا للدعاء إلى توحيد العبادة لا توحيد الربوبية مراراً كثيرة، وقد اختصرناه ووجه كون ذلك تطويلاً بلا طائل أنه لا ينكر أحد أن التحقيق بغاية الخضوع والتذلل هو الله تعالى، ولكن الذي ينفع هو إثبات كل خضوع وتذلل لغير الله هو عبادة له، موجبة للشرك والكفر، وأنى لهم بذلك، بل هو بكلامه هذا ردّ على نفسه، فإنه جعل العبادة

١- تفسير الرازي ٢٧: ٢١٣.

٢- تفسير غرائب القرآن للنيشابوري ٦: ١١٣.

٣- سورة الأعراف: ٥٩ و ٦٥ و ٧٣ و ٨٥ وسورة هود: ٥٠ و ٦١ و ٨٤.

٤- سورة هود: ٢٦، وسورة فصلت: ١٤، وسورة الاحقاف: ٢١.

الخاصّة بالله تعالى هي غاية الخضوع والتذلل، فدلّ على أنّ مطلق الخضوع والتذلل ليس كذلك.

وتقسيم العبادة لا مساس له بما هو بصدده، وكذا قوله: (إنّ رأس العبادة وأساسها التوحيد، وإنّ المراد معنى كلمة الشهادة لا مجرد قولها) تطويل بلا طائل، إذ لا ينكر أحد ذلك.

ومن التطويل بلا طائل قوله: (وقد علم الكفار هذا المعنى) الخ كما لا يخفى.

أمّا رجز التلبية الذي استشهد به فهو عليه لا له، فإنّهم بعدما جعلوا الأصنام شركاء لله يعبدونها بأنواع العبادة التي نهى الله عنها، ولم يقع شيء منها من أحد من المسلمين كما ستعرف لا ينفعهم قول: هو لك تملكه وما ملك.

قوله: (وكانت عبادتهم للأصنام اعتقادهم أنّهم يضرّون وينفعون) الخ تارة جعل عبادة الأصنام هي اعتقاد أنّهم يضرّون وينفعون ويشفعون، المتفرّع عنه النحر لهم، والطواف بهم، والنذر عليهم، والذلّ والخضوع والسجود لهم. وتارة جعل عبادتهم هي الخضوع والتقرب بالنحر والنذر، المتسبب عن اعتقاد الشفاعة.

ولا يخفى تهافت ذلك وتناقضه، سواء كانت عبادة الأصنام هي الاعتقاد المذكور المتفرّع عنه تلك الأفعال، أو تلك الأفعال المتفرعة عن الاعتقاد المذكور، أو هما معاً، فقياس حال المسلمين بهم قياس فاسد وجهل محض، كما علم ممّا مرّ في الرد على ابن عبد الوهاب.

فالمشركون كذبوا الرسول ﷺ، وأنكروا ما جاء به، ومنهم من قال: عيسى هو الله، والمسلمون أقرّوا بالله وبرسوله وبكلّ ما جاء به، فكيف يُقاس أحدهما بالآخر، ويُجعل مساوياً له، هل هذا إلاّ الضلال؟! نعوذ بالله منه.

والمشركون اعتقدوا في أحجار وأشجار وجمادات لا تضر ولا تنفع ولا تعقل ولا تسمع ولا تغيث ولا تشفع، سواء كانت صور صالحين أو غيرهم، فالشافع الصالح لا صورته أنها تضر وتنفع وتغيث أو تشفع، فتشفعوا واستغاثوا بها وعظّموها، ولم يجعل الله لها شيئاً من ذلك، بل نهى عن التشفع والاستغاثة بها وتعظيمها.

والمسلمون اعتقدوا أنّ الأنبياء والصالحين ينفعون بدعائهم وشفاعتهم، أحياء وأمواتاً، كما نصّت عليه أحكام دينهم وأدلته التي ستعرفها، والتي أثبت لهم الشفاعة والدعاء، ويضرون بترك ذلك وبالبعد عن نيل بركتهم، وهو اعتقاد صحيح مطابق لأدلة الدين الإسلامي، فطلبوا منهم ما جعله الله لهم من دعائه والشفاعة لديه.

والمشركون عظّموا ما لا يستحق التعظيم، سواء كان صورة صالح متوهمة أو غيره، فإنّ الصورة لا تستحق تعظيماً، فإنّها إن كانت مجسّمة فعملها حرام وإتلافها واجب، وإن كانت غير مجسّمة فعملها حرام أو مكروه وإتلافها واجب أو مستحب، وطافوا وتبركوا بما لم يجعله الله مباركاً.

والمسلمون عظّموا من أمر الله بتعظيمه، حياً وميتاً، وجعله معظماً من الأنبياء والصالحين وقبورهم وطافوا وتمسحوا وتبركوا بها، لتشرفها بأجسادهم الشريفة، كما تشرف الجلد المعمول للمصحف، فهل يُسوّى بين هؤلاء وهؤلاء إلا جاهل مضل أو معاند؟!

والمشركون عبدوا تلك الأحجار والأشجار بأنواع العبادات التي نهاهم الله تعالى عنها، فسجدوا لها، وذبحوا ونحروا لها، مهلين بأسمائها على ذبائحهم دون اسم الله تعالى، وطلوها بدمائها، وأعرضوا عن عبادة الله بالكليّة وقالوا: لا قدرة لنا على عبادته، فنحن نعبدها لتقربنا إليه، واعتقدوا أنّ لها شرفاً ذاتياً، واستحقاقاً للعبادة بالاستقلال، واختياراً وتدبيراً، وكانوا يقولون: (أعل هبل)،

قاصدين أن تكون كلمة الأصنام ودين الجاهلية هي العليا، وكلمة الله ودين الإسلام هي السفلى، فأجابهم النبي ﷺ بقوله: «الله أعلى وأجل»^(١)، فأعرضوا عن ذكر الله، واكتفوا بذكرها وكذبوا الرسل الذين نهوهم عن عبادتها، ولم يكتفوا بذلك، بل بدلوا دين الله وغيروا أحكامه، ومنهم من عبد الملائكة وسمّاهم بنات الله.

والمسلمون لم يعبدوا نبياً ولا صالحاً ولا قبراً، بل عبدوا الله وحده، فلم يسجدوا لقبر ولا لولي، ولم يذبحوا له، ولم يذكروا اسمه على ذبيحتهم، بل ذبحوا لله وحده، وذكروا اسمه على المذبح، وأهدوا ثواب الصدقة بالذبيحة إليه، فهل يسوّي بين عمل المسلمين هذا وعمل المشركين إلا جاهل أو مكابر؟! وسيأتي لهذا مزيد توضيح في الباب الثالث، ومر في ردّ كلام ابن عبد الوهاب في هذا الباب ما له علاقة بالمقام فراجع.

ومن ذلك يظهر فساد استشهاده بآية: {إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ}، وإنّ المسلمين بتشفعهم وتبركهم وتعظيمهم لمن جعله الله شافعاً مباركاً عظيماً لم يسوّوه بربّ العالمين.

قوله: (ومنهم من كان يعبد الملائكة ويناديهم عند الشدائد)، قد عرفت في ردّ كلام ابن عبد الوهاب أنّ عبادتهم للملائكة لم تكن مجرد التوسل والتشفع الذي يقع مثله من المسلمين فلا نطيل باعاداته.

قوله: (وأن لا يدعوا مع الله أحداً)، ستعرف في فصل الدعاء أنّ المنهي عنه

١- مسند أحمد ١: ٤٦٣ و٤: ٢٩٣، صحيح البخاري ٤: ٢٧، المستدرک للحاكم ٢: ٢٩٧، مجمع الزوائد ٦: ١١٠، مسند أبي داود الطيالسي ٩٩، مسند ابن الجعد ٣٧٥، المصنّف لابن أبي شيبة ٨: ٤٩٢، السنن الكبرى للنسائي ٥: ١٩٠، صحيح ابن حبان ١١: ٤١، المعجم الكبير ١٠: ٣٠٢، تخريج الأحاديث والآثار ١: ٢٢٩.

ليس هو ما يقع من المسلمين من طلب الشفاعة، وأن آية: {لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ} ^(١) لا دلالة فيها على شيء مما يزعمونه.

قوله: (كما عرف من علم البيان أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر). كيف ذكر ما قاله علماء البيان هنا ونسي ما قالوه في باب المجاز العقلي من أن قول: أنبت الربيع البقل إذا صدر من المسلم كان مجازاً عقلياً، من باب الإسناد إلى الزمان، وإذا قاله الدهري كان حقيقة، ولم يعمل به في طلب المسلمين من النبي أو الولي عافية المريض أو قدوم الغائب ونحو ذلك، فيجعله مجازاً عقلياً من باب الإسناد إلى السبب، وقرينته ظهور حال المسلم، كما جعل أهل البيان: أنبت الربيع البقل مجازاً عقلياً، وقرينته صدوره من مسلم، بل كفر به المسلمين، واستحل أموالهم ودماءهم.

قوله: (فاعتقدوا أنهم يضرون وينفعون)، تقدم الكلام على مثله آنفاً فراجع. قوله: (ويقرّبون إلى الله ويشفعون عنده).

نعم يقرّبون إلى الله بدعائهم لنا، ويشفعون لنا عنده، ودعاء المؤمن لأخيه فضلاً عن النبي والشفاعة لا ينكرهما الوهابية كما ستعرف، أما الأحجار والأشجار فليست لها هذه الصفة، فبطل القياس. قوله: (فدعوههم - إلى قوله - وتمسحوا بها).

سيأتي الكلام عليها مفصلاً في الفصول الآتية إن شاء الله تعالى، وباقي كلامه يفهم ردّه مما مر.

قوله: (فجعل اتّخاذهم للشفعاء شركاً).

سيأتي الكلام عليه مفصلاً في فصل الشفاعة، وأن هذه الدعوى محض افتراء على الله تعالى، وأن اتّخاذ الشفعاء الذين جعل الله لهم الشفاعة

كنبيّاً ﷺ هو عين إطاعة الله تعالى، وأنّ جعله شركاً من أعظم الموبقات، وأقبح الافتراءات عليه تعالى، وكذا بقية كلامه الذي من هذا القبيل. قوله: (والأسماء لا تغير المعاني).

نعم، لا تغيرها فتسمية الوهابية الأنبياء والأولياء وقبورهم ومشاهدهم أوثاناً لا تجعلها أوثاناً، وتسميتهم طاعة الله وما أمر به من تعظيم أوليائه والتشفع بهم شركاً لا تجعله شركاً، وتسمية أنفسهم الموحدين لا تجعلهم كذلك بعدما نسبوا إلى الله التجسيم ولوازم الحدوث.

وقياسه تسمية القبر مشهداً، والرجل ولياً بمن يسمي الخمر نبيذاً، والشجرة المنهي عنها شجرة الخلد، والحشيشة لقمة الراحة، والظلم أدباً؛ قياس فاسد، وجهل محض، فالمسلمون سمّوا محلّ القبر مشهداً بكرم صاحبه على الله، ومكانته عنده، وشرفه لديه، بإخلاصه له في العبودية، وتشرفه بجسده تشرف الأديم والورق والمداد بكلام الله تعالى، وسمّوا من أخلص لله في العبودية والطاعة ولياً كما سمّاه الله تعالى بقوله: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا} (١) الآية، {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (٢) وغير ذلك.

نعم، قد يطلق اسم الولي على من لا يستحق ذلك، لكونه معتوهاً أو مشعوذاً، أو مع كونه جاهلاً أو فاسقاً، ولكن هذا لا يوجب أن يكون إطلاقه على أهله خطأ وإثماً.

وكون بعض الناس قد يعتقد في فسقة الأحياء وجهالهم لا يوجب فساد اعتقادهم في شفاعة الأنبياء والأولياء وطلب دعائهم.

١- سورة المائدة : ٥٥ .

٢- سورة يونس : ٦٢ .

أما استدلاله على كون ما يُسمّى مشهداً أو وليّاً هو وثن وصنم بأنهم يعاملونها معاملة المشركين للأصنام، ويطوفون بهم طواف الحجاج بالبيت، ويستلمونهم استلامهم لأركانهم، فيظهر فسادهم مما ستعرف في الفصول الآتية، فإنّ طوافهم بقبورهم واستلامهم لها تبركاً بها، وبمن فيها لمكانتهم عند الله، وشرفهم عنده، بإخلاصهم له في العبودية، وبذلهم أنفسهم في طاعته، هو طاعة لله الذي جعلهم مباركين وميزهم عن عباده كما ميّز البيت وأركانهم، وشرفها بالطواف والاستلام، وهي أحجار وجماد لا تضر ولا تنفع ولا تعقل ولا تسمع.

ومن ذلك تعرف أنّه لم يعامل أحد الأنبياء والأولياء وقبورهم معاملة الأصنام، بل عاملوهم بما أمر الله أن يعاملوهم به، وأنّ هتافهم بهم لطلب الدعاء والشفاعة الذي لا محذور فيه.

أما قولهم: على الله وعليك، فلا يراد به إلا على الله قضاء حاجتي، وعليك الشفاعة عنده، ودعاؤه في قضائها، وهذا مقصد صحيح لا مغمز فيه ولا محذور.

ولا يريدون مساواته بالله تعالى في القدرة والطلب منه، فهو نظير قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ^(١)، فكيف نسب الله الإيتاء إليه وإلى رسوله على السواء في ظاهر اللفظ، وأمر المسلمين أن يقولوا ذلك، ولم يكن ذلك شركاً، وكان قوله: على الله وعليك شركاً وكفراً، وهو مثله ونظيره؟! ولو فرض جهل مقصدهم لوجب الحلم على ما ذكرنا، لوجوب حمل أفعال المسلمين وأقوالهم على الصحيح مهما أمكن كما مر في المقدمات، وكذا هتافهم باسمائهم عند

١- سورة التوبة: ٥٩.

الشدائد لا يراد به إلا ذلك كما تكرر بيانه.

واتّفاق أهل جميع بلاد الإسلام على المناداة بذلك واستمرار سيرتهم عليه أقوى دليل على إجماع المسلمين على ذلك، وأخذ الخلف له عن السلف، وإجماع المسلمين وسيرتهم حجة كما مرّ في المقدمات.

أما قوله: (إنّ أفراد الله بتوحيد العبادة لا يتم) إلخ، فهو على إطلاقه بالنسبة إلى الدعاء والنداء والاستعانة والخضوع والتذلل وأمثال ذلك فاسد، لما عرفت وستعرف من أنّ مطلق هذه الأمور؛ لا يكون عبادة منهيّاً عنها أو موجباً للشرك، وأنّ الممنوع منه ما كان خلافاً على الله ومعاندة لأمره، وتعبداً بما لم يأذن به، وأنّ ما يفعله المسلمون خارج عن ذلك كلّ.

وأما النذر والنحر فيأتي كلّ منهما في فصله.

قوله: (من اعتقد في شيء من ذلك أنّه ينفع أو يضر).

مرّ الكلام في مثله، ويشمل كلامه هذا من سأل رجلاً أن يدعو له، واعتقد أنّه ينفعه بدعائه، ومن اعتقد في شخص أنّه يضرّه بدعائه عليه أو نحو ذلك، ومن اعتقد في شخص حي أنّه ينفعه ببره أو يضرّه بشيء من مضار الدنيا، فيلزم كفر الجميع.

قوله: (أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع) إلخ، سيأتي الكلام عليه في فصل الشفاعة.

أما الحديث الذي قال: إنّ فيه مقالاً فهو حديث سؤال الأعمى الآتي في فصل التوسل، حيث أمره النبي ﷺ أن يتوسل به إلى الله، وستعرف انتفاء كلّ مقال عنه.

وإذا كان التوسل به ﷺ في حياته ومماته شركاً وكفراً كما يقتضيه قوله: حي أو ميت، فيلزم القطع بكذب هذا الحديث لا أن يكون فيه مقال.

أما استشهاده بالحديث القدسي : <أنا أغنى الشركاء> إلخ فغريب؛ لأنه وارد في الرياء كما صرح به بعد ذلك، وأنه تعالى لا يقبل عمل المرائي، وتسمية الرياء شركاً في الأخبار من باب المجاز والمبالغة، كتسمية بعض الذنوب كفراً كما بيناه في الأمر الخامس من المقدمة الثانية، وإلا فلم يقل أحد بأن المرائي صار كافراً مشركاً حلال المال والدم حتى يتوب، ولا نزن أن الوهابيين يلتزمون بذلك وإن كان لا يستبعد شيء من جمودهم وتعسفهم وتعتهم، وقد صرح بعضهم في الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية بأن الرياء لا يخرج عن الملة، وأنه شرك أصغر^(١).

ومن ذلك ظهر أن استشهاده أخيراً بتسمية الرياء شركاً لا محل له.

أما استشهاده بتسمية حواء ولدها بعبد الحارث بأمر من إبليس الذي تسمى بالحارث، وتسمية الله له شركاً، فعجيب فإن إبليس ما أراد بأمرها أن تسميه بعبد الحارث، أي عبد الشيطان إلا أن يكون عبداً له كما هو عبد الله، فإذا أطاعته حواء في ذلك فقد جعلت له شريكاً فيما آتاها، فهل يقاس بذلك المتشفع إلى الله بمن جعل الله له الشفاعة، والمعظم لمن جعله الله عظيماً، والمتبرك بمن جعله مباركاً إلى غير ذلك؟!

قوله: (والمعتقدون في جهال الأحياء وضلالهم).

لا كلام لنا فيمن يعتقد في جهال الأحياء والأموات وضلالهم، فنحن لا نعتقد فيهم، ونخطيء من يعتقد فيهم، وإنما كلامنا في الأنبياء والأولياء والصلحاء.

قوله: (فاعتقدوا فيهم ما لا يجوز أن يعتقد إلا في الله - إلى قول - ونحروا تقرّباً إليهم).

١ - الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية لعبد العزيز بن محمد بن سعود : ٢٨ .

قد عرفت أننا لم نعتقد فيهم إلا ما جعلهم الله له أهلاً، وستعرف أنه لم يجعل أحد لهم جزءاً من المال، وإنما ينذر الصدقة وإهداء الثواب إليهم الذي ثبت جوازه في الشرع، وأنّ زيارة قبور الأنبياء الصلحاء والقصد إليها ممّا يتقرّب به إليه تعالى، وأنّ الطواف حول قبورهم التي بوركت بهم كما بورك جلد الشاة والورق بالمصحف، والخضوع عندها احتراماً لأهلها؛ لا محذور فيه، وهو إطاعة الله تعالى، وأنّ الهتاف بأهلها عند الشدائد لطلب دعائهم وشفاعتهم لا مانع منه، وأنّ النحر هو تقرب إلى الله لا إليهم، وإنما يُهدى ثواب الصدقة بالمنحور لهم، وأنه ليس في شيء من ذلك شائبة العبادة لغيره تعالى.

أما السجود على العتبة الذي حكاه عمّن يثق به، فالذي نظنه أنّ هذا المخبر رأى من يقبل العتبة، فظنّه سجوداً . وتقبيّل العتبة كتقبيل الصريح، تعظيماً له، وتبركاً به، لا مانع منه ولا محذور فيه، وإنّ أباه جمود الوهابية وتعنتهم، وستعرف ذلك في فصل التبرك بقبور الصالحين باللمس والتقبيل وغير ذلك.

وإن صح ما نقل من السجود على عتبة مشهد الولي - ولا نظنه صحيحاً - فيجب حمله على السجود لله تعالى، شكراً له على التوفيق لزيارة النبي أو الولي التي ثبت أنّها طاعة كما ستعرف، إذ لا يظن ولا يحتمل بمسلم السجود لغير الله، وهو يعلم أنّه غير جائز، فما دام له محمل صحيح لا يجوز حمله على الفاسد، ولا يجوز الحكم بكفر فاعله كما مرّ في المقدمات.

نعم، الأرجح تركه لأنّه موهّم للسجود لغير الله.

قوله: (هذا جهل منهم بمعنى الشرك)، قد ظهر بما عرفت وستعرف أنّه أحقّ بنسبة الجهل إليه.

قوله: (فإنّ تعظيمهم الأولياء ونحرهم النحائر لهم شرك)، بل تعظيم من عظم الله من الأنبياء والأولياء والصلحاء من أعظم الطاعات لله تعالى، ونسبة

فاعلها إلى الشرك ، وعدم تعظيمهم ، بل إهانتهم بهدم قبورهم، وجعلها معرضاً لكلّ هوان؛ من أعظم الموبقات التي إن لم تكن كفراً لمخالفتها إجماع المسلمين، بل ضرورة الدين، لا تنقص عن الكفر والشرك.

وقد عرفت ممّا ذكرناه أنّ ما يفعله المسلمون بعيد عمّا فعله المشركون أكثر من بعد السماء عن الأرض، وأنّ أفعالهم تصدّق أقوالهم ولا تكذبها. قوله: (خرّج الفقهاء في باب الردّة أن من تكلم بكلمة الكفر يكفر وإن لم يقصد معناها).

قد مضى في ردّ كلام ابن عبد الوهاب أنّ الذي ذكره الفقهاء في باب الردّة أنّ من تكلم بكلمة الكفر استهزاء أو عناداً أو اعتقاداً كفر لا مطلق من قالها.

قوله: (وهذا دال على أنّهم لا يعرفون حقيقة الإسلام ولا ماهية التوحيد). بل ما عرفت على أنّه ومن تبعه لا يعرفون حقيقة الإسلام ولا الشرك، ويرمون المسلمين بما هم منه براء.

وأفحش من هذا كلّه قوله: (فصاروا حينئذٍ كفّاراً كفراً أصلياً)، افتراء تكاد السماوات يتفطرن منه، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هداً، أن يكون المسلمون المقرّون لرّبهم بالوحدانية، ونيّيه بالرسالة، والمقيمون الصلاة، والمؤتون الزكاة، والقائمون بجميع فروض الإسلام؛ كفّاراً كفراً أصلياً موجباً لحلّ دماءهم وأموالهم وأعراضهم! لماذا لأنّهم يسألون الشفاعة ممّن جعل الله له الشفاعة ، ويستغيثون بمن جعله الله مغيثاً، ليدعو الله لهم في نجاح مطالبهم، وهم لا يعتقدون إلاّ أنّه نبي شرفه الله بالرسالة، ولا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً إلاّ بأمر الله تعالى؟!

قوله: (فمن نادى الله - الى قوله - فإنّ الدعاء من العبادة) الخ.

ستعرف تفصيل الجواب عنه بما لا مزيد عليه في فصل الدعاء والاستغاثة، وأنّ طلب الشفاعة والاستغاثة بمن جعله الله شافعاً ومغيثاً لا يدخل في ذلك. وقد بان من ذلك إنه دام ما بناه على هذا الوهم الفاسد من الأسئلة والأجوبة الفاسدة بقوله: إذا كانوا مشركين وجب جهادهم > إلخ، والسؤال الذي بعده المتضمن لقصة أسامة، وجوابه المتضمن تشبيه المسلمين بطلبهم الشفاعة من النبي ﷺ، واستغاثتهم به، ليدعو الله لهم؛ باليهود المنكرين بعض الأنبياء، المتمسكين بشريعة منسوخة، وببني حنيفة القائلين: إنّ مسيلمة نبي، أو الذين اعتل لقتلهم بمنع الزكاة التي وجوبها من الضروريات، وبأصحاب عبد الله بن سبأ القائلين لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب: أنت الله، وبمنكري البعث، وبالخوارج الذين هم أشبه الناس بالوهابية كما عرفت في المقدمات، والذين أنكروا حب علي بن أبي طالب، وهو من ضروريات الإسلام، واستحلّوا دماء المسلمين وكفروهم، كما أنكر الوهابيون حرمة قبر رسول الله ﷺ، ووجوب تعظيمه، وهي من ضروريات الدين، وجعلوه وثناً وصنماً، واستحلّوا دماء المسلمين وكفروهم.

قوله: (هذا جهل بمعنى العبادة، فإنّها لا تنحصر فيما ذكرت، بل رأسها وأساسها الاعتقاد) إلخ.

كأنّه يريد أنّهم يعتقدون فيهم أنّهم يقدرّون على ما يطلب منهم، فيصنعون ما يتفرع عن الاعتقاد من الدعاء والنداء ... إلخ.

فنقول: هذا جهل منه واضح، فالمتشفعون والمتوسلون من المسلمين بالأنبياء والأولياء والصالحين لا يعتقدون فيهم أنّهم يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعاً ولا ضرراً، وأنّ الأمر كلّهُ لله، وإنّما يعتقدون فيهم ما جعلهم الله له أهلاً من الشفاعة والوسيلة وإجابة الدعاء، وأنّه مميّزهم على غيرهم من الخلق

وقربهم منه، بطاعتهم له، فمعتقد ذلك فيهم مصيب لا مخطيء، فلذلك يدعونهم ليشفعوا لهم عند من جعل لهم الشفاعة، ويتوسلون بهم إلى من جعل لهم الوسيلة، ويستغيثون ويستعينون بهم، ليسألوا الله في قضاء حوائجهم، ويحلفون بهم لأنّ لهم قدراً وشأناً عند الله تعالى بإطاعتهم، وستعرف في فصل الحلف أنّه لا محذور فيه، وينذرون النذور، ويهدون ثوابها إليهم إلى غير ذلك، فهذا الاعتقاد لا مساس له بالعبادة حتّى يجعل أسّها ورأسها والمتفرع عنه لا ضرر فيه ولا محذور.

قوله: (وقد ذكر العلماء أنّ من تزياً يزي الكفّار صار كافراً).

فمع أنّا لم نر ذلك في كلام العلماء، ولو فرض فلا دليل عليه، وإنّما يكون آثماً؛ فيه أنّ قياسه بما يفعله المسلمون قياس فاسد، لما عرفت من أنّ ما يصدر من المسلمين لا محذور فيه.

والعجب من هؤلاء تارة يجعلون ما ينسبونه إلى العلماء حجة، وتارة يكفّرون جميع المسلمين عالمهم وجاهلهم، ولا يعبأون بما استمرت عليه سيرتهم جيلاً بعد جيل.

قوله: (ومن تكلم بكلمة الكفر صار كافراً).

أقول: قد عرفت أنّهم يكفرونه بذلك إذا قالها استهزاء أو عناداً أو اعتقاداً لا مطلقاً كما يقتضيه كلامه.

قوله: (فكيف بمن بلغ هذه الرتبة اعتقاداً وقولاً وفعلاً).

قد عرفت أنّه لم يعتقد إلا ما هو الواقع ولم يقل ولم يفعل إلا ما هو الصواب.

وقال ابن تيمية في رسالة الواسطية في جواب مسألة عن رجلين تناظرا فقال أحدهما: لا بدّ لنا من واسطة بيننا وبين الله، فإنّا لا نقدر أن نصل إليه بغير

ذلك: (إن أراد أنّه لا بدّ من واسطة تبلغنا أمر الله، فهذا حقّ - إلى أن قال - : وإن أراد أنّه لا بدّ من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار، مثل: أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم، يسألونه ذلك، فهذا من أعظم الشرك الذي كفّر الله به المشركين، حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء، يجتلبون بهم المنافع، ويجتنبون المضار - إلى أن قال - : فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، مثل: أن يسألهم غفران الذنب، وهداية القلوب، وتفريج الكرب، وسدّ الفاقات؛ فهو كافر بإجماع المسلمين - إلى أن قال - : ومن أثبت مشائخ العلم والدين وسائط بين الله وخلقه كالحجاب بين الملك ورعيته يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، فالله إنّما يهدي ويرزق بتوسطهم، فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله تأدياً، أو لأنّ سؤالهم أنفع لقربهم؛ فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل)^(١).

والجواب: إنّ ما ذكره من القول بأنّه لا بدّ من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار، أو أنّ المشائخ وسائط كالحجاب بين الملك ورعيته، والله لا يهدي ولا يرزق إلّا بتوسطهم؛ غير موجود لأحدٍ من المسلمين، فسواء كان جعل ابن تيمية له كفراً وشركاً صواباً أو خطأ لا يضرّ أحداً.

وذكره له تطويل بلا طائل فلا نطيل برده، وإن كانت دعواه الإجماع على التكفير بالأوّل غير ثابتة ولا مستند لها، ومن الذي عنون هذه المسألة الفرضية وتكلم على حكمها من المسلمين حتّى يدعى إجماعهم على ذلك؟! على أنّ مجرد سؤال غفران الذنب وتفريج الكرب ونحو ذلك لا يعدّ غلطاً وخطأ فضلاً عن أن يكون شركاً وكفراً؛ لأنّه محمول على الصحة من باب

١- العقيدة الواسطية المطبوعة ضمن مجموعة الفتاوى الكبرى ١: ١٢١-١٢٦.

المجاز في الإسناد بإرادة الإسناد أي السبب، كما فصلناه في المقدمات وفي تضاعيف ما مرّ، كما أنّ حكمه بكفر وشرك من أثبت المشائخ واسطة على النحو المذكور واستحلال دمهم إن لم يتب، لو فرض وجود من يعتقد ذلك لا دليل عليه، وهو تهجم على الدماء وتقول على الله، لأنّ الظاهر أنّ مراده أنّهم وسائط وشفعاء إلى الله في ذلك لا أنّهم يفعلونه من أنفسهم كما صرح به في قوله: «ومن أثبت مشائخ العلم - إلى قوله - : فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله تأدياً».

ودعوى أنّها عبادة الأصنام والاعتقاد فيها يدفعها ما مر ويأتي مفصلاً من أنّ عبادة الأصنام وإشراك عابديها ليس من هذا القبيل. نعم، اعتقاد ذلك غلط وخطأ، أمّا أنّ معتقده كافر مشرك فلم يقدّم عليه دليل إن لم يقدّم على عدمه.

وذكر الجبرتي في حوادث سنة ١٢١٨ هـ إنّ الوهابي أرسل كتاباً إلى شيخ الركب المغربي ومعه أوراق تتضمن دعوته وعقيدته وفيها بعد المقدمة ما نصّه: (إنّ الرسول ﷺ أخبرنا بأنّ أمّته تأخذ مأخذ القرون قبلها، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، وثبت في الصحيحين وغيرهما عنه ﷺ: **كَلْتَبْعَن سَنَنٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذُو الْقَدَةِ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جَحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ**.

قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟

قال: **فَمَنْ** ^(١).

١ - صحيح مسلم ٨: ١٥١ كتاب الاعتصام، ٨: ٥٧ باب اتباع سنن اليهود والنصارى، سنن ابن ماجه: ١٣٢٢، المستدرک للحاکم ١: ٣٧، مجمع الزوائد ٧: ٢٦٠، مسند أبي داود الطيالسي: ٢٨٩، المصنّف للصنعاني ١١: ٣٦٩، المصنّف لابن أبي شيبة ٥: ٥٤٥، بغية الباحث عن زوائد المسند: ٢٣٩، كتاب السنة لابن أبي عاصم: ٣٦، مسند أبي يعلى الموصلي ١١: ١٨٢، صحيح ابن

وأخبر في الحديث الآخر أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً.

قالوا: من هي يا رسول الله؟

قال: **مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**^(١).

إذا عُرِفَ هذا فمعلوم ما قد عَمَّتْ بِهِ الْبَلَوَى مِنْ حَوَادِثِ الْأُمُورِ الَّتِي أَعْظَمَهَا الْإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَالتَّوَجُّهُ إِلَى الْمَوْتَى، وَسُؤَالُهُمُ النَّصْرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَقَضَاءِ الْحَاجَاتِ، وَتَفْرِيجِ الْكُرْبَاتِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا رَبُّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، وَكَذَلِكَ التَّقَرُّبُ إِلَيْهِمْ بِالذُّخْرِ، وَذَبْحِ الْقِرْبَانِ، وَالِاسْتِغَاثَةِ بِهِمْ فِي كَشْفِ الشَّدَائِدِ وَجَلْبِ الْفَوَائِدِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلَّهِ وَصَرَفِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لغير الله كصرف جميعها؛ لَأَنَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَغْنَى الْأَغْنِيَاءَ عَنِ الشَّرْكِ وَلَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصاً كَمَا قَالَ تَعَالَى: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} ^(٢)، فَأَخْبَرَ سَبْحَانَهُ أَنَّهُ لَا يَرْضَى مِنَ الدِّينِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصاً لَوَجْهِهِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ الْمَشْرِكِينَ يَدْعُونَ الْمَلَائِكَةَ وَالْأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ لِيُقَرِّبُوهُمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، وَيَشْفَعُوا لَهُمْ عِنْدَهُ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ، وَقَالَ تَعَالَى: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ

حَبَان: ١٥: ٩٥، المعجم الكبير ٦: ١٨٦، تخريج الأحاديث والآثار ٤: ٢٣٥، حلية الأولياء ٤: ١٧٩، شرح العقيدة الطحاوية ١: ٥٩٤، أسد الغابة ١: ٥٠٠، التبصرة ١: ٣٥٧ وغيرها من المصادر.

١- المستدرك للحاكم ١: ١٢٩، مجمع الزوائد ١: ١٨٩، تحفة الأحوذى ٧: ٣٣٤، المعجم الأوسط ٥: ١٣٧ و ٨: ٢٢، المعجم الصغير ١: ٢٥٦، تخريج الأحاديث والآثار ١: ٤٤٩، فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٢: ٢٧، تفسير ابن كثير ٣: ٤٤٣، الدر المنثور ٢: ٦٢، فتح القدير ١: ٣٧١ وغيرها من المصادر.

٢- سورة الزمر: ٣.

شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ فُلْ أُتْتَبُونَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ^(١)، فأخبر أنه من جعل بينه وبين الله وسائط
 يسألهم الشفاعة فقد عبدتهم وأشرك بهم، وذلك أن الشفاعة كلها لله، كما قال
 تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}^(٢)، وقال تعالى: {فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ
 الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْدِرَتُهُمْ}^(٣)، {يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ
 وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا}^(٤)، وهو سبحانه وتعالى لا يرضى إلا بالتوحيد كما قال
 تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى}^(٥)، فالشفاعة حق، ولا تطلب في دار
 الدنيا إلا من الله كما قال تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا
 }^(٦)، وقال تعالى: {وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ}^(٧)، فإذا
 كان الرسول ﷺ، وهو سيد الشفعاء، وصاحب المقام المحمود، وآدم فمن
 دونه تحت لوائه؛ لا يشفع إلا بإذن الله، ولا يشفع ابتداءً، كبل يأتي فيخر الله
 ساجداً، فيحمده بمحامد يعلمه إياها، ثم يقال: ارفع رأسك، وسل تعط،
 واشفع تشفع، ثم يحد له حداً، فيدخلهم الجنة^(٨)، فكيف بغيره من الأنبياء

١- سورة يونس: ١٨.

٢- سورة البقرة: ٢٥٥.

٣- سورة الروم: ٥٧.

٤- سورة طه: ١٠٩.

٥- سورة الأنبياء: ٢٨.

٦- سورة الجن: ١٨.

٧- سورة يونس: ١٠٦.

٨- راجع الحديث في: مسند أحمد ٣: ٤٤ و ٥: ٣٩٣، صحيح البخاري ٨: ١٨٣ كتاب التوحيد،
 صحيح مسلم ١: ١٢٧ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، سنن الترمذي ٤: ٣٧٠، سنن النسائي ٣: ٤٥،
 المستدرک للحاکم ١: ٥٢٧، کتاب السنة: ٣٨٢، السنن الكبرى للنسائي ١: ٣٨١، مسند أبي يعلى

والأولياء؟!

وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من العلماء المسلمين، بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الأصحاب والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم، ممن سلك سبيلهم ودرج على مناهجهم، وأمّا ما حدث من سؤال الأنبياء والأولياء من الشفاعة بعد موتهم، وتعظيم قبورهم، وبناء القباب عليها، وإسراجها، والصلاة عندها، واتخاذها أعياداً، وجعل السدنة والنذور لها، فكل ذلك من حوادث الأمور التي أخبر بها النبي ﷺ أمته وحذر منها كما في الحديث، عنه ﷺ أنه قال: < لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فنام من أمتي الأوثان > (١).

وهو ﷺ حمى جناب التوحيد أعظم حماية، وسد كل طريق يؤدي إلى الشرك، فنهى أن يجصص القبر، وأن يُبنى عليه كما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر (٢)، وثبت فيه أيضاً أنه بعث علي بن أبي طالب وأمره أن لا يدع

الموصلي ٥: ٢٧٩ و ٧: ٣١٣، صحيح ابن خزيمة ١: ٣٥١، التمهيد ١٩: ٦٦، تخريج الأحاديث والآثار ٢: ١٧١، تفسير العياشي ٢: ٣١١، تفسير نور الثقلين ٣: ٢٠٩، تمهيد الأوائل ٤١٧: ٤، تفسير الثعلبي ٦: ١٢٤، تفسير ابن كثير ٢: ١٢٥، الدر المنثور ٤: ٩٣، وغيرها من المصادر.

١- كتاب التوحيد ١: ٢٥١، فتح المجيد ١: ٢٥٥، تيسير العزيز الحميد ١: ٣٢٢.

٢- عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: < نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه >. صحيح مسلم ٣: ٦٣ باب الصلاة على الجنازة، المصنّف للصنعاني ٣: ٥٠٤، المصنّف لابن أبي شيبة ٣: ٢١٨، منتخب مسند بن عبد الحميد ٣: ٢٥٥ إرواء الغليل ٣: ٢٠٧، سنن الترمذي ١: ١٩٦، سنن أبي داود ٣: ٣٣٢٥، سنن النسائي ١: ٢٨٥، المستدرک للحاكم ١: ٣٧٠، سنن البيهقي ٤: ٤.

قبراً مشرفاً إلا سواه، ولا تمثالاً إلا طمسه^(١)، ولهذا قال غير واحد من العلماء: (يجب هدم القباب المبنية على القبور؛ لأنها أسست على معصية الرسول ﷺ)^(٢).

فهذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس.. وهو الذي ندعو الناس إليه ونقاتلهم عليه، بعدما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإجماع السلف الصالح من الأمة، ممثلين لقوله سبحانه وتعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} (٣).

إلى أن قال: ونعتقد أيضاً أن أمة محمد المتبعين للسنة لا تجتمع على ضلالة، وأنه لا تزال طائفة من أمة على الحق منصوره لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله، وهم على ذلك^(٤).
والجواب عما تضمنه هذا الكتاب مما روي عنه ﷺ من أتباع هذه الأمة

١- ورد عن أبي الهياج الأسدي أنه قال: قال لي علي: أبعدك على ما بعثني عليه رسول الله أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته، أخرجه أحمد في المسند ١: ٩٦، صحيح مسلم ٣: ٦١، باب النهي عن تجصيص القبر، سنن أبي داود ٢: ٨٣، سنن الترمذي ٢: ٢٥٦ ←

→ سنن النسائي ٤: ٨٩، المستدرک للحاكم ١: ٣٦٩، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٣، المصنف للصنعاني ٣: ٥٠٤، مسند أبي يعلى الموصلي ١: ٢٨٩، المعجم الأوسط ٤: ٢٦٩، معرفة السنن والآثار ٣: ١٨٧، نصب الراية ٢: ٣٥٨، إرواء الغليل ٣: ٢٠٩.

٢- إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان ١: ٢١٠، ونقله عنه البهوتي في كشف القناع ٢: ١٦٢، وفتح المجيد ١: ٢٢٧، وتيسير العزيز الحميد ١: ٢٨٩.

٣- سورة الأنفال: ٣٩

٤- عجائب الآثار في التراجم والأخبار المعروف بتاريخ الجبرتي ٢: ٥٨٩.

سنن الأُمم قبلها كاليهود والنصارى: أنّه لا يبعد أن يكون النبي ﷺ أشار به إلى الوهابية، فأولئك اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وقد ورد الحديث أنّهم ما صاموا لهم ولا صلّوا وإنّما أحلّوا لهم حراماً، وحرّموا عليهم حلالاً فاتّبعوهم^(١)، وهؤلاء قلّدوا محمّد بن عبد الوهاب في كلّ ما يقوله، فحرّم عليهم حلالاً كالتشفع والتوسل بذوي المكانة عند الله ونحو ذلك، وحلّل لهم حراماً، وهو سفك دماء المسلمين، واستباحة أموالهم وأعراضهم، فاتبعوه بدون تحقيق ولا تمحيص للأدلة، حتّى كأن كلامه وحي منزل، وهو ممن يجوز عليه الخطأ، وأدلته التي يستدل بها كلّها ضعيفة واهية كما بيّناه في هذا الكتاب، وهم يأخذونها بالقبول ولا يقبلون عليها رداً ولا في مقابلها دليلاً، ولا يحددون عنها قيد أنملة، ولا يزيدون عليها ولا ينقصون منها كلمة واحدة، ويتوارثها آخروهم عن أولهم بلفظ واحد ومعنى واحد، ويُسمّون أنفسهم بالسلفيين، أي أنّهم اتّباع السلف، وإذا أورد لهم شيء من أقوال السلف يخالف معتقدهم لا يتحاشون من نسبة قائله إلى الشرك والكفر ويقولون: مقتدانا الكتاب والسنة، فهم في خطأ على الحاليين، فإنّ أقوال السلف ليست حياً منزلاً ولا أصحابها معصومون من الخطأ حتّى نقلدهم على كلّ حال، وإذا جاز

١- ورد في الحديث عن عدي بن حاتم قال: «أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، ← فقال: يا عدي اطرح عنك هذا الوثن. وسمعته يقرأ في سورة براءة: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ}، قال: أما أنّهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلّوا لهم شيئاً استحلّوه، وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه» سنن الترمذي ٤: ٣٤٢، تخريج الأحاديث والآثار ٢: ٦٦، تفسير الثوري: ١٢٤، تفسير القرآن للصنعاني ٢: ٢٧٢، جامع البيان ١٠: ١٤٨، أحكام القرآن ٣: ١٣٤، فتح القدير للشوكاني ٢: ٣٥٥.

تقليدهم فما بالنّا نقلدهم تارة ونكفّرهم أُخرى؟!

وستعرف في الفصول الآتية مخالفة السلف للوهابيين في الشفاعة والتوسل
وزيارة القبور والبناء عليها وغير ذلك ممّا تجده في تضاعيف هذا الكتاب.
وأما ما تضمّنه الكتاب المذكور من الحديث القائل: إنّ الفرقة الناجية هي
من كان على مثل ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه؛ فهو من البديهيّات
والضروريّات التي لا تحتاج إلى الاستدلال بالأحاديث وإطالة الكلام،
إذ لا شكّ في أنّ متّبع الرسول ﷺ ناج ومخالفه هالك، وإلا لم يكن نبياً، وقد
قال الله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} (١).

وما كان عليه النبي ﷺ هو دين الإسلام، وأصحابه اقتدوا به واتبعوه عليه،
فالميزان في الحقيقة هو ما كان عليه النبي ﷺ فقط؛ لأنّ أتباع أصحاب
النبي ﷺ المتبعين له أتباع له ﷺ، وإن خالفوه لم يجز اتّباعهم.
وأى مسلم يشكّ في وجوب اتّباع النبي ﷺ دون غيره؟! اللهمّ إنّنا لا نتبع
إلا طريقة رسولك وسنته، ونبرأ إليك ممّن خالفها، ولو ظهر لنا أنّ الاستغاثة
والتشفّع والتوسّل بذوي المكانة عندك وتعظيم قبور الأنبياء والصالحين،
تخالف سنة نبيك ﷺ لكنّا أوّل من تبرأ منها، وهذا ليس محلاً للكلام، ولا
محطاً للأنظار، وإنّما محلّ الكلام معرفة ما كان عليه النبي ﷺ واتبعه عليه
أصحابه، فقد وقع الاختلاف الكثير فيه بين المجتهدين وعلماء المسلمين، فما
أثبتته هذا نفاه ذلك، وكلّ يدّعي وصلاً بليلي، وكلّ يقول: إنّ قوله هو ما كان
عليه الرسول ﷺ وأصحابه، ولا يوجد من يقول: إنّني لا اتبع ما كان عليه
الرسول ﷺ وأصحابه، بل الصحابة أنفسهم اختلفوا في مسائل عديدة ليس
هذا محل تفصيلها.

وستعرف أنّ الاستغاثة بذوي المكانة طلباً لدعائهم، والاستشفاع بهم إليه، والبناء على القبور، والصلاة عندها؛ سيرة المسلمين خلفاً عن سلف، وسيرة الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وقد اعترف صاحب الكتاب بحجّة إجماع السلف الصالح، وأنّ الأُمَّة لا تجتمع على ضلالة.

وتقييده الأُمَّة بالمتبعين للسنة لا يظهر له معنى ولا فائدة؛ إذ لا يوجد مسلم تظهر له سنة رسول الله ﷺ ويقول: لا أتبعها، وإنّما أراد بذلك أن يحفظ لنفسه خط الرجعة، فيحصر اتباع السنة بالوهابيين فقط حينما يحتج عليه أحد بإجماع الأُمَّة، وأنّي له ذلك؟! فإن ثبت قول الرسول ﷺ: <لا تجتمع أُمَّتي على ضلالة> (١) كان ذلك دالاً على أنّ ما اتفقوا عليه هو من سنته وعلى طبق شريعته، فهذا القيد الذي قيّد به فضول فاسد. ومرّ في المقدمات أنّ سيرة المسلمين وإجماعهم كاشف عن أنّ ذلك ممّا كان عليه النبي ﷺ. قوله: (وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من العلماء المسلمين،

١- سنن ابن ماجه ٢: ١٣٠٣، سنن أبي داود ٢: ٣٠٢، سنن الترمذي ٣: ٣١٥، المستدرک للحاکم ١: ١١٥، مجمع الزوائد ٥: ٢١٨، المصنّف لابن أبي شيبة ٨: ٦٨٣، منتخب مسند بن عبد حميد: ٣٦٧، كتاب السنة: ٤١.

وقول المصنّف: (إن ثبت) إشارة إلى تضعيف علماء الحديث له، حيث قال الشيخ فؤاد عبد الباقي المعلق على سنن ابن ماجه: (في الزوائد: في إسناده أبو خلف الأعمى، واسمه حازم بن عطا، وهو ضعيف).

وقد جاء الحديث بطرق في كلّها نظر. قاله شيخنا العراقي في تخريج أحاديث البيضاوي. وقال النووي في شرح مسلم ١٣: ٦٧: (وأما حديث: <لا تجتمع أُمَّتي على ضلالة> ضعيف..). وقال العيني في عمدة القاري ١٦: ١٦٤: (وأما حديث: <لا تجتمع أُمَّتي على ضلالة> فضيف).

وضعّفه الشيخ الألباني في تحقيق كتاب السنة لابن أبي عاصم: ٤١.

وأجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة).
 ستعرف في الفصول الآتية عدم صحة هذه الدعوى، وأنّ الذي أجمع عليه
 السلف الصالح وعلماء المسلمين خلاف ما عليه الوهابية.
 أما باقي الكتاب فيفهم رده ممّا مرّ في كلام ابن عبد الوهاب والصنعاني
 فإنّ كلماتهم كلّها تدور على محور واحد.
 وعن تاريخ نجد لمحمود شكري الآلوسي أنّه حكى عن عبد اللطيف
 حفيد ابن عبد الوهاب أنّه قال: (ذكر طرف من معتقد المغالين في القبور
 والصالحين:

ونذكر لك طرفاً من معتقد هؤلاء ، وحقيقة ما هم عليه، ليعلم الواقف عليه
 أي الفريقين أحقّ بالأمن، إن كان الواقف ممّن اختصه الله بالفضل والمنّ،
 وثلاً يلتبس الأمر بتسميتهم لكفرهم ومحالهم تشفعاً وتوسلاً واستظهاراً، مع ما
 في التسمية من الهلاك المتناهي عند من عقل الحقائق.
 من ذلك محبتهم مع الله محبة تآله وخضوع ورجاء، ودعاؤهم مع الله في
 المهمات والملمات والحوادث التي لا يكشفها ولا يجيب الدعاء فيها إلا فاطر
 الأرض والسموات، والعكوف حول أجدانهم وتقيل أعتابهم، والتمسح
 بآثارهم طلباً للغوث، واستجابة الدعوات، وإظهار الفاقة، وإبداء الفقر
 والضراعة، واستئصال الغيوث والأمطار، وطلب السلامة من شدائد البراري
 والبحار.

وسؤالهم تزويج الأرامل والأيامى، واللفظ بالضعفاء واليتامى، والاعتماد
 عليهم في المطالب العالية، وتأهيلهم لمغفرة الذنوب والنجاة من الهاوية،
 وإعطاء تلك المراتب السامية.

وجماهيرهم لمّا ألقت ذلك طباعهم، وفسدت به فطرهم، وعزّ عنه

إمتناعهم؛ لا يكاد يخطر ببال أحدهم ما يخطر ببال آحاد المسلمين؛ من قصد الله تعالى، والإنابة إليه، بل ليس ذلك عندهم إلا الولي الفلاني، ومشهد الشيخ فلان، حتّى جعلوا الذهاب إلى المشاهد عوضاً عن الخروج للاستسقاء والإنابة إلى الله تعالى في كشف الشدائد والبلوى، كلّ هذا رأيناه وسمعناه عنهم، فهل سمعت من جاهلية العرب مثل هذه الغرائب التي ينتهي عندها العجب؟! والكلام مع ذكي القلب، يقظ الذهن، قوي الهمة، العارف بالحقائق، ومن لا ترضى نفسه بحضيض التقليد في أصول الديانات والتوحيد. وأما ميت القلب، بليد الذهن، وضعيف النفس، جامد القريحة، ومن لا تفارق همّته التشبث بأذيال التقليد والتعلق بما يُحكى عن فلان وفلان في معتقد أهل المقابر والتنديد فذلك فاسد الفطرة، معتل المزاج، وخطابه محض عناء ولجاج. ومن وقف على كتب المتصوّفة ومناقب مشائخهم، وقف على ساحل بحر من ضلالهم.

وفي حاشية البيجوري على السنوسية نقلاً عن الدردير عن الشعراني: أن الله وُكِّلَ بقبر كلّ ولي ملكاً يقضي حاجة من سأل ذلك الولي! فقف هنا وانظر إلى ما آل إليه إفكهم، فأين هذا من قوله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} ^(١)، وقوله تعالى: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً} ^(٢)، وقوله: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ* وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ} ^(٣)، وقوله: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ} ^(١)، {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} ^(٢).

١- سورة البقرة: ١٨٦.

٢- سورة الأعراف: ٥٥.

٣- سورة الانشراح: ٧-٨.

وأَيَّ حِجَّةٍ فِي هَذَا الَّذِي قَالَهُ الشَّعْرَانِي لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَلَكِنَّ الْقَوْمَ أَصَابَهُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ، فَنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، كأنَّهم لَا يَعْلَمُونَ. ومن هذا الجنس ما ذكره الشعراني في ترجمة شمس الدين الحنفي أَنَّهُ قَالَ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ: مَنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ فَلْيَأْتِ قَبْرِي وَيَطْلُبْ أَنْ أَقْضِيَهَا لَهُ، فَإِنَّمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ ذِرَاعٌ مِنْ تَرَابٍ، وَكُلُّ رَجُلٍ يَحْجِبُهُ عَنْ أَصْحَابِهِ ذِرَاعٌ مِنْ تَرَابٍ فَلَيْسَ بِرَجُلٍ^(٣).

وبَابُ تَصَرُّفِ الْمَشَائِخِ وَالْأَوْلِيَاءِ قَدْ اتَّسَعَ حَتَّى سَلَكَهُ جَمْهُورٌ مِنْ يَدَّعِيِ الْإِسْلَامِ مِنْ أَهْلِ الْبَسِيطَةِ، وَخَرَقَهُ قَدْ هَلَكَ فِي بَحَارِهِ أَكْثَرُ مِنْ سَكَنِ الْغُبَرَاءِ، وَأُظْلِمَتْهُ الْمَحِيطَةُ حَتَّى نَسِيَ الْقَصْدَ الْأَوَّلَ مِنَ التَّشَفُّعِ وَالْوَسَاطَةِ، فَلَا يَعْرِجُ عَلَيْهِ عِنْدَهُمْ إِلَّا مِنْ نَسِي عَهْدِ الْحَمَى، فَعَادَ الْأَمْرَ إِلَى الشَّرْكِ فِي تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّأْثِيرِ، وَلَمْ يَبْلُغْ شَرَكَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ، بَلْ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُمْ يَعْتَرِفُونَ لَهُ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَيَقْرَءُونَ بِهِ، وَلِذَلِكَ احْتَجَّ عَلَيْهِمْ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ بِمَا أَقْرَأُوا بِهِ مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ وَالتَّدْبِيرِ عَلَى مَا أَنْكَرُوهُ مِنَ الْإِلَهِيَّةِ. وَمِنْ ذَلِكَ - وَهُوَ مِنْ عَجِيبِ أَمْرِهِمْ - مَا ذَكَرَهُ حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النُّعَيْمِيُّ الْيَمَنِيُّ فِي بَعْضِ رِسَالَتِهِ: أَنَّ امْرَأَةً كَفَّ بَصَرَهَا فَنَادَتْ وَلِيِّهَا، أَمَا اللَّهُ فَقَدْ صَنَعَ مَا تَرَى وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا حَبْكُ انْتَهَى.

وَرَوَى أَنَّ بَعْضَ الْمَغَارِبَةِ قَدَمُوا مِصْرَ يَرِيدُونَ الْحَجَّ فَذَهَبُوا إِلَى الضَّرِيحِ الْمُنْسُوبِ إِلَى الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْقَاهِرَةِ، فَاسْتَقْبَلُوا الْقَبْرَ وَأَحْرَمُوا وَوَقَفُوا وَرَكَعُوا وَسَجَدُوا لِصَاحِبِ الْقَبْرِ حَتَّى أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ سِدْنَةُ الْمَشْهَدِ وَبَعْضُ

١- سورة النمل: ٦٢.

٢- سورة غافر: ٦٠.

٣- رد الحموي على الوهاية: ١٤، جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ٢: ١٠٨٢، منهاج التأسيس والتقديس ١: ٤٦.

الحاضرين، فقالوا: هذا محبة لسيدنا الحسين.
وكثير من علماء مصر يقول: لا يدق وتد في القاهرة إلا بإذن السيد أحمد البدوي.

وقد اشتهر ما يقع من السجود على أعتاب المشهد وقصد التبرك مع ما فيه لا يمنع حقيقة العبادة الصورية.

ومن المعروف عنهم شراء الولدان من الولي بشيء معين، يبقى رسماً جارياً، يؤدي كل عام، وإن كانت امرأة فمهرها أو نصف مهرها لأنها مشتراة منه.

ولا يمانع هذا إلا مكابر في الحسيات وإن فقد بعض أنواعه في بعض البلاد فكم له من نظائر، وهذا أشد وأشنع مما ذكر جلّ ذكره عن جاهلية العرب بقوله: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا} (١) الآية.

وكذلك جعل السوائب باسم الولي لا يحمل عليها ولا تذبح، وسوق الهدايا والقرايين إلى مشاهد الأولياء وذبحها، حباً للشيخ وتقرباً إليه.
وهذا وإن ذكر اسم الله عليه فهو أشدّ تحريماً مما ذبح وذكر عليه اسم غير الله، فإنّ الشرك في العبادة أكبر من الشرك بالاستعانة.
ومن ذلك ترك الأشجار والكلاء والعشب إذا كان بقرب المشهد، وجعله من ماله.

ومنها: الحجّ إلى المشاهد في أوقات مخصوصة، مضاهاة لبيت الله، فيطوفون حول الضريح، ويستغيثون ويهدون لصاحب القبر، ويذبحون، وبعض مشائخهم يأمر الزائر بحلق رأسه إذا فرغ من الزيارة، وقد صنّف بعض غلاتهم

كتاباً سمّاه (حجّ المشاهد).

ومنها: التعريف في بعض البلاد عند من يعتقدونه من أهل القبور، فيصلون عشية عرفة عند القبر، خاضعين سائلين، والعراق فيه من ذلك الحظ الأكبر والنصيب الأوفى، بل فيه البحر الذي لا ساحل له، والمهامه^(١) التي لا ينجو سالكها ولا يكاد، ومن نحوه عرف الكفر، وظهر الشرك والفساد كما يعرف ذلك من له إلمام بالتواريخ ومبدأ الحوادث في الدين، ومن شاهد ما يقع منهم عند مشهد علي والحسين وموسى الكاظم ومحمد الجواد رضي الله عنهم عند رافضتهم، والشيخ عبد القادر والحسن البصري والزبير وأمثالهم رضي الله عنهم عند سنتهم، من العبادات، وطلب العطايا والمواهب والتصرفات، وأنواع الموبقات؛ علم أنّهم من أجهل الخلق وأضلهم، وأنهم في غاية من الكفر والشرك ما وصل إليها من قبلهم ممّن ينتسب إلى الإسلام، والله المسؤول أن ينصر دينه ويعلي كلمته بمحو هذه الضلالات حتّى يُعبد وحده، فتسلم الوجوه له، وتعود البيضاء كما كانت ليلها كنهارها^(٢).

ونحن نبين لك بأجلى بيان أنّ ما نسبته إلى المسلمين وإلى زوّار قبور الأئمة والصالحين بعضه زور وبهتان، وبعضه لا يستلزم الشرك ولا العصيان، ليعلم الواقف عليه أي الفريقين أحقّ بالأمن وبتسميته بالمسلم الموحد المطيع لله ورسوله، والمتبع سنّة نبيّه ﷺ، إن كان الواقف ممّن سلم من العصية والعناد

١- المهمة : جمع المهمة: المناذرة البعيدة الأطراف. ويقال: المهمة البلدة المقفرة.

راجع الصحاح للجوهري ٦ : ٢٢٥٠ ولسان العرب ١٣ : ٥٤٢ (مادة مهة).

٢- تاريخ نجد لمحمود شكري الآلوسي : ٧٦ - ٨٠ ، منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس لعبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ١ : ٤٩.

وتقليد الآباء والأجداد، ولئلا يلتبس الأمر بتسميتهم لضلالهم ومحالهم توحيداً، ولتعظيم من أمر الله بتعظيمه شركاً وكفراً، ولمخالفة السنة وإجماع المسلمين وطريقة السلف اتباعاً للسنة وللسلف، مع ما في ذلك من الهلاك المتناهي، واستباحة الدماء والأموال التي حرّمها الله تعالى عند من يعقل الحقائق.

زعم أن المسلمين يحبون مع الله محبة تأله!!

نعم، إنهم يحبون في الله ولله وبأمر الله، وتلك لا تخرج عن محبة الله، أما أنهم يحبون مع الله، فإن أراد المعية في الوجود فلا محذور فيه، وإن أراد المساواة لمحبة الله كما في قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ} (١)، فالمسلمون مبرؤون من ذلك، وأين محبة المشركين للأصنام، وإطاعتهم لهم المخبر عنها في الآية، كما عن قتادة ومجاهد وأكثر المفسرين (٢)، الذين لا يستحقون محبة ولا إطاعة، أو لرؤسائهم الذين كانوا يطيعونهم كما عن السدي (٣)؛ من محبة المسلمين للأنبياء والأولياء والصلحاء التي هي محبة لله تعالى، (الأمر) بها في كتابه العزيز وعلى لسان نبيه الكريم ﷺ بقوله تعالى: {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} (٤)، {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ

١- سورة البقرة: ١٦٥.

٢- جامع البيان ٢: ٩١، تفسير ابن أبي حاتم ١: ٢٧٦، تفسير السمرقندي ١: ١٣٦، تفسير الثعلبي ٢: ٣٥، تفسير السمعاني ١: ١٦٤.

٣- جامع البيان ٢: ٩٢، تفسير ابن أبي حاتم ١: ٢٧٦، الدر المنثور ١: ١٦٦، فتح القدير للشوكاني ١: ١٦٦.

٤- سورة الشورى: ٢٣.

لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا^(١)، {فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ^(٢)، وقرن حبّ رسول الله ﷺ بحبه في قوله: {أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ^(٣)، وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: <لا يؤمن أحدكم حتّى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين>^(٤)، أخرجه البخاري ومسلم، ولابن ماجه في سننه عن العباس بن عبد المطلب قال رسول الله ﷺ: <ما بال أقوام يتحدثون ، فإذا رأوا الرجل من أهل بيتي قطعوا حديثهم، والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتّى يحبهم الله ولقرابتهم مني>^(٥)، وقال رسول الله ﷺ في علي عليه السلام يوم خيبر: <لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله>^(٦) أخرجه الشيخان،

١- سورة مريم: ٩٦.

٢- سورة إبراهيم: ٣٧.

٣- سورة التوبة: ٢٤.

٤- مسند أحمد ٣: ٢٠٧، صحيح مسلم ١: ٤٩، سنن ابن ماجه ١: ٢٦، سنن النسائي ٨٥: ١١٥، ← المستدرك للحاكم ٢: ٤٨٦، مجمع الزوائد ١: ٨٨، مقدّمة فتح الباري : ٤٦٦، المصنّف للصنعاني ١١: ٢٠٠، منتخب مسند بن حميد : ٣٥٥، السنن الكبرى للنسائي ٦: ٥٣٤، مسند أبي يعلى الموصلي ٦: ٢٣، صحيح ابن حبان ١: ٤٠٦، المعجم الأوسط ٨: ٣٥٥، الجامع الصغير ٢: ٧٥٣.

٥- سنن ابن ماجه ١: ٥٠، وقال محققه الشيخ فؤاد عبد الباقي: (في الزوائد : رجال إسناده ثقات)، المستدرك للحاكم ٤: ٧٥، الصواعق المحرقة ٢: ٤٩٦ وقال: (وفي رواية صحيحة) وذكر الحديث ، فضائل الصحابة ٢: ٩٤٠، كنز العمال ١٢: ١٩٣، تاريخ مدينة دمشق ٢٦: ٣٠٢ وغيرها من المصادر.

٦- حديث الراية من الأحاديث المتواترة عند السّنة والشيعة فقد ورد في : مسند أحمد ١: ٩٩ - ١٨٥ - ٣٣١ و٢: ٣٨٤ و٤: ٥٢ و٥: ٣٣٣ - ٣٥٨، صحيح البخاري ٤١: ١٢ باب دعاء النبي ﷺ، و٥: ٧٦، باب غزوة خيبر، صحيح مسلم ٥: ١٩٥. و٧: ١٢٠، باب فضائل علي عليه السلام ، سنن ابن ماجه ١: ٤٥، سنن الترمذي ٣: ١٢٤ وحسنه، و٥: ٣٠٢ وصححه، فضائل الصحابة

وقال له: **يا علي، حبّك إيمان وبغضك نفاق**^(١) إلى غير ذلك.

للنسائي: ١٥، المستدرک للحاکم ٣: ٣٨ و ١٠٩ و ١٣٢ و ٤٣٧ و ٤٩: ٤، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٧٥ و ٩: ١٣١، مجمع الزوائد ٦: ١٥١ بعدة طرق، فتح الباري ٧: ٥٧، مسند أبي داود الطيالسي: ٣٢٠، المصنّف للصنعاني ١١: ٢٢٨، المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٤٩ و ٨: ٥٢٠، مسند ابن راهويه ١: ٢٥٣، مسند سعد بن أبي وقاص: ٥١، كتاب السنة: ٥٩٤، السنن الكبرى للنسائي ٥: ٤٦، خصائص أمير المؤمنين: ٤٩، الذرية الطاهرة النبوية: ١١٤، أمالي المحاملي: ٣٢٤، صحيح ابن حبان ١٥: ٣٧٩، المعجم الأوسط ١: ٢٣٩ و ٦: ٥٩، المعجم الصغير ٢: ١١، المعجم الكبير ٦: ١٢٧، الطبقات الكبرى ٢: ١١٠، التاريخ الكبير ٢: ١١٥، إرشاد الثقات ١: ٥٥، الإيمان لابن منده ١: ٢٦٢، الصواعق المحرقة ٢: ٣٥٤، دلائل النبوة للأصبهاني ١: ١٢٤، مسند البزار ٢: ١٣٥ و ٣: ٢٢ - ٢٨١، ← سنن سعيد بن منصور ٢: ١٧٩، حلية الأولياء ١: ٦٢، تخریج الأحاديث ٣: ٩٢، مشكاة المصابيح ٣: ٣٢٥، سلسلة الأحاديث الصحيحة ٩: ٢٤، ظلال الجنة ٢: ٤٠٩، صحيح الترمذي ٣: ٢١٤، صحيح ابن ماجة ١: ٢٦.

١- بهذا اللفظ ورد في معاني الأخبار: ٢٠٦، كفاية الأثر: ١٣٥، بشارة المصطفى: ١٥٣، كشف الغمة ١: ٩٠، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ١: ٥٩٢، النصائح الكافية لابن عقيل: ٩٣. وبلفظ: «**أنّه لا يحبّك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق**» ورد في: مسند أحمد ١: ٩٥ وقال محقق المسند الأرثووط: (إسناده على شرط الشيخين..).

وأخرجه ابن أبي شيبة ١٢: ٥٦، ومسلم ١: ٦١ (كتاب الإيمان، باب حبّ الأنصار وعلي [عليه السلام] من الإيمان)، وابن ماجة ١: ٤٢ ح ١١٤، وابن أبي عاصم في كتاب السنة: ٥٨٤ ح ١٣٢٥، والنسائي ٨/ ١١٧، وفي خصائص علي (١٠١)، وعبد الله بن أحمد في زياداته على الفضائل (١١٠٧)، وابن منده في الإيمان (٢٦١)، والبغوي (٣٩٠٨) «...»، سنن الترمذي ٥: ٣٠٦، سنن النسائي ٨: ١١٦، مجمع الزوائد ٩: ١٣٣، فتح الباري ١: ٦٠، مسند الحميدي ١: ٣١، كتاب الإيمان: ٨١، السنن الكبرى للنسائي ٥: ١٣٧، مسند أبي يعلى الموصلي ١: ٢٥١، المعجم الأوسط ٢: ٣٣٧، معرفة علوم الحديث: ١٨٠، الفوائد المنتقاة: ٣٨، تذكرة الحفاظ ١: ١٠، سير أعلام النبلاء ١٧: ١٦٩، وعلّق الذهبي على الحديث بقوله: (وهذا أشكل الثلاثة، فقد أحبه قوم لا خلاق لهم، وأبغضه بجهل قوم من النواصب، فالله أعلم).

ثمّ علّق محقّق السير الشيخ الأرثووط في الهامش بقوله: (وجد بهامش الأصل تعليق على استشكال

ولا يتم الحب لله تعالى إلا بحب هؤلاء؛ لأنَّ حبَّهم من حبِّه تعالى، لأنَّه عن أمره، ولأنَّ المؤمن إنَّما يحبُّهم لأنَّهم عباد الله المطيعون لأمره، المتفانون في طاعته، المجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيله، ولأعلاء كلمته وإحياء دينه، فكُلُّما كمل إيمان المؤمن وإسلامه كملت محبَّتُهم في قلبه، وهيهات أن يكمل إسلام المسلم وإيمانه بدون كمال محبَّتِهم، فمن جعل كمال محبَّتِهم من أسباب الشرك، كهذا الرجل وأهل نحلته، فهو بعيد عن الإسلام والإيمان، مستحق لسخط الرحمن بنصِّ قوله ﷺ: < لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده، فحبُّهم مع الله لله، ولقرابتهم من رسول الله ﷺ من متممات الإسلام والإيمان، فأَيُّ الفريقين أحقُّ بالأمن أَمَّن يجعل كمال حبِّهم من أسباب الشرك أم من يعتقده من متممات الإيمان كما جعله الله ورسوله؟! ومنه يعلم أنَّ قوله: (محبَّة تأله) إفك وافتراء، وأنَّ ما يحكى عن كتاب

الذهبي ونصّه: قلت: لا إشكال فالمراد لا يحبُّك الحب الشرعي المعتقد به عند الله تعالى، أما الحب المتضمن لتلك البلايا والمصائب فلا عبرة به، بل هو وبال على صاحبه كما أحبت النصارى المسيح).

إلا أنَّ المسكينين الذهبي والأرثوذكس نسيا والأصح عمداً إلى ذلك، لأنَّهما دمشقيان ومذهب أهل دمشق فيه ميل إلى النصب كما اعترف الذهبي نفسه في ترجمة الجوزجاني. أقول: نسيا التعليق على النصب، وهل معنى ذلك أنَّ مَنْ ينصب العداء لعلِّي نصباً شرعياً هو المنافق وغيره لا؟ أم أنَّ الأرثوذكس التفت إلى عدم صحة الجملة ولم يعلق على الشق الثاني؟! ثمَّ كيف يبرر لمن يبغض عليّاً - وهو منافق بنصِّ حديث النبي ﷺ المتقدم - ولا يبرر لمن يحبُّه؟! ←

→ بل الأجدد به تبرير الحبِّ الموجب لتلك البلايا - حسب زعمه وهو كاذب فيه - والخط من النصب الذي لا كلام في أنَّ معتقده يبغض الدين والنبي | ولولا ذلك لم يبغض عليّاً عليه السلام؛ لأنَّ عليّاً ممسوس في ذات الله ليس فيه شائبة توجب بغضه إلا العداء للدين وأهله.

التوحيد لابن عبد الوهاب من قوله: (إنّ من يحقق محبة مشركي زماننا لآلهتهم التي يسمونها بالأولياء يعلم يقيناً أنّهم يحبونها أكثر من محبتهم لله، ويتصدقون لوجهها ممّا لا يقدرّون أن يتصدقوا بعشرة في وجه الله)^(١) أيضاً كذب وافتراء، فليس أحد من المسلمين الذين سمّاهم مشركين يحبّ أحداً من الناس نبياً أو وليّاً إلا في حبّه تعالى، لكونه محبوباً له، مقرباً عنده بطاعته له تعالى، فحبّه حبّ لله غير خارج عنه، فضلاً عن أن يكون أكثر من حبّه تعالى. ولا يتصدق واحد لوجههم، وإنّما يتصدق عنهم لوجهه تعالى، فيهدي الثواب إليهم.

قوله: (وخضوع ورجاء).

أما الخضوع فحاصل ولا محذور فيه، وأما الرجاء فيرجون منهم الدعاء والشفاعة، ومنه تعالى إجابة دعائهم وقبول شفاعتهم، وهذا لا محذور فيه أيضاً، وهو عين إطاعته تعالى وعبادته كما مر مراراً.

قوله: (ودعائهم مع الله في المهمات والمللمات) الخ .

قد عرفت أنّهم لا يدعونهم لكشف المهمات ودفع المللمات ليكشفوها بأنفسهم ، وإنّما هو طلب الدعاء والشفاعة.

قوله: (والعكوف حول أجداثهم).

سمى زيارة قبورهم وتلاوة القرآن والصلاة والدعاء وطلب الحوائج من الله تعالى عندها، والتبرك بها ونحو ذلك عكوفاً، تشبيهاً بالعكوف على الأصنام، كما سمّاه غيره من أصحاب نحلته على ما مر، وقد عرفت وستعرف أنّ ذلك

١- مؤلفات محمّد بن عبد الوهاب ١: ١٢٥.

كُلُّه مطلوب مرغوب فيه شرعاً، لا مانع منه ولا محذور فيه، سواء سمّاه عكوفاً أو لا، وقد روى البخاري في صحيحه: كلما مات الحسن بن الحسن ضربت امرأته على قبره قبة ولبثت هناك سنة كاملة^(١).

قوله: (وتقيل أعتابهم، والتمسح بآثارهم).

ستعرف في فصل التبرك بالقبور أنّ تقيل الأعتاب والقبور والتمسح بها وبآثار الصالحين تبركاً وتعظيماً جائز وراجح، لا مانع منه ولا محذور فيه، طلباً للغوث بالشفاعة والدعاء، واستجابة الدعاء منه تعالى ببركة المكان والمكين.

قوله: (واظهار الفاقة، وإبداء الفقر والضراعة).

وهذا لا مانع منه، فالثلاثة حاصلة من الله تعالى بلا ريب، وإظهارها عند قبر النبي أو الولي لشرفه، وحاصلة منّا للنبي أو الولي لطلب دعائه وشفاعته. قوله: (واستنزال الغيث والأمطار).

لا مانع من ذلك ببركتهم ودعائهم وشفاعتهم، وهو نظير ما يأتي من أنّ أهل المدينة قحطوا فقالت عائشة: (انظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كوة إلى السماء فمطروا)^(٢).

١- صحيح البخاري ٢: ٩٠ باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، تعليق التعليق لابن حجر ٢: ٤٨٢، المصنّف للصنعاني ٣: ٤١٨، المصنّف لابن أبي شيبه ٣: ٢١٦، كتاب الهواتف لابن أبي الدنيا: ٩٢، الاستيعاب ٣: ٩٣٤، المعارف ١٢٣: ١، تهذيب الكمال ٦: ٥٩٥، تهذيب التهذيب ٢: ٢٣٠.

٢- عن أوس بن عبد الله قال: (قحط أهل المدينة قحطاً شديداً، فشكوا إلى عائشة، فقالت: انظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتّى لا يكون بينه وبين السماء سقف). قال: ففعلوا فمطرونا مطراً حتّى نبت العشب، وسمنت الإبل حتّى تفتق من الشحم فُسّمي عام الفتق وهو في سنن الدارمي ١: ٣٤ وصححه محقق السنن، التوسل ١: ١٢٨، الاغاثة ٢٥: ٢٥، إمتاع الأسماع ١٤: ٦١٥، سبل الهدى والرشاد ١٢: ٣٤٧، غريب الحديث ٣: ٩٤٦، النهاية في غريب

قوله: (وطلب السلامة من شدائد البراري والبحار).

ولا مانع منه بتسببهم بالدعاء والشفاعة، وسيأتي في فصل الدعاء والاستغاثة استغاثة من أضلّ شيئاً أو أراد عوناً في أرضٍ ليس فيها أنيس بقول: يا عباد الله، أعيوني أو أغثوني، ففيه طلب السلامة من شدائد البراري والبحار من غير الله تعالى.

قوله: (وسؤالهم تزويج الأرامل والأيامى - إلى قوله - المطالب العالية).

لا مانع من ذلك بطلب دعائهم وشفاعتهم، ولو كان ظاهر اللفظ إسناد الأفعال إليهم، حملاً لفعل المسلم وقوله على الصحة، من باب المجاز في الإسناد كما مرّ في المقدمات.

قوله: (وتأهيلهم لمغفرة الذنوب) الخ.

هذا كذب وافتراء منه على المسلمين، فكُلّهم يعلم أنّه لا يغفر الذنوب، ولا ينجي من الهاوية، ولا يعطي المراتب السامية في الجنان إلا الله، قد قرأوا ذلك في كتاب ربّهم، وعرفه عامتهم وخاصتهم، وهيئات أن يؤله أحد منهم أحداً من المخلوقين نبياً فمن دونه، لمغفرة الذنوب، وإنّما يرجون بتوسلهم بالأولياء والصالحين، وتشفعهم بهم، وطلب دعائهم واستغفارهم، وزيارة قبورهم، ومحبة الرسول ﷺ وأهل بيته؛ أن يغفر الله لهم، وينجيهم من الهاوية، ويعطيهم المراتب السامية، وقد وعد الله تعالى على لسان نبيّه ﷺ المتمسك بهم النجاة بقوله ﷺ: «مثل أهل بيتي كمثّل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى»^(١)، «مثل أهل بيتي كمثّل باب حطة في بني

الحديث ٣: ٤٠٩، رفع المنارة: ٢٠٣.

١- الصواعق المحرقة ٢: ٤٤٥ وقال: (وجاء من طرق عديدة يقوّي بعضها بعضاً) وذكره، المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٥٠٣، و٢: ٥٤٣، المستدرک للحاكم ٢: ٣٧٣، المعجم الكبير ٣: ٤٥، المعجم

إسرائيل، من دخله كان آمناً^(١)، ولكن يأبى قصد ترويج الباطل لهؤلاء إلا الكذب والافتراء، وقذف المسلمين بما هم منه براء.

قوله: (وجماهيرهم لما الفت ذلك طباعهم، وفسدت به فطرتهم، وعز عنه امتناعهم لا يكاد يخطر ببال أحدهم ما يخطر ببال آحاد المسلمين من قصد الله تعالى، والإنابة إليه، بل ليس ذلك عندهم إلا الولي الفلاني، ومشهد الشيخ فلان، حتى جعلوا الذهاب إلى المشاهد عوضاً عن الخروج للاستسقاء والإنابة إلى الله تعالى في كشف الشدائد والبلوى، كل هذا رأيانه وسمعناه عنهم، فهل سمعت من جاهلية العرب مثل هذه الغرائب التي ينتهي عندها العجب؟! والكلام مع ذكي القلب، ومن لا ترضى نفسه بحضيض التقليد في أصول الديانات والتوحيد، وأما ميت القلب، بليد الذهن، ومن لا تفارق همته التشبث بأذيال التقليد، والتعلق على ما يحكى عن فلان وفلان في معتقد أهل المقابر، فذاك فاسد الفطرة، وخطابه محض عناء).

هذا أيضاً افتراء منه على المسلمين، فكأنهم يعلم أن القادر المختار على كل شيء هو الله تعالى وحده، وأن النبي فمن دونه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرراً إلا بإذن الله، وأنه لا ينفع إلا قصده تعالى، والإنابة إليه، وهذا

الأوسط ٤: ٩ و ٥: ٣٥٤، و ٦: ٨٥ المعجم الصغير ١: ٢٤٠، و ٢: ٨٤ حلية الأولياء ٤: ٣٠٦، فضائل الصحابة ٢: ٧٨٥، مجمع الزوائد ٩: ٢٦٥، الجامع الصغير ١: ٤٧٩، مشكاة المصابيح ٣: ٣٤٨، تاريخ بغداد ١٢: ٩١، تاريخ مدينة دمشق ١٤: ٩، فيض القدير ٢: ٥١٩، المعارف ٥٢: ٥٢، إجابة السائل شرح بغية الآمل ١: ١٩، تفسير الآلوسي ٢٥: ٣٢، الدر المنثور ٤: ٤٣٤
١- المعجم الكبير ٣: ٤٥، المعجم الأوسط ٤: ٩، المعجم الصغير ١: ٢٤٠، مجمع الزوائد ٩: ١٦٨، كنز العمال ١٢: ١٨٥.

راسخ في نفوسهم، خاطر دائماً بالهم، مطابق لأفعالهم وأقوالهم، وليس للولي ولا لمشهد الشيخ في نفوسهم شيء غير ما جعله الله له من البركة والشفاعة واستجابة الدعاء، فيصدون مشهده وينادوه طلباً لذلك الذي لا يخرج عن قصد الله تعالى والإنابة إليه كما لم يخرج سؤال الدعاء من المؤمن عن ذلك.

وأما قوله: (حتّى جعلوا الذهاب إلى المشاهد عوضاً عن الخروج للاستسقاء) فهو كسابقه في أنّه كذب وافتراء، فكّلهم يخرجون إلى الاستسقاء عند احتباس قطر السماء، ويدعون الله مع ذلك في المشاهد المباركة، كما يدعونه في المساجد وفي كلّ مكان هو مظنة إجابة الدعاء، ولم نر ولم نسمع عنهم غير ذلك.

نعم، يوجد في الناس من يدعي الولاية لمن ليس أهلاً لها، ولكن لا يقاس به من أثبت الولاية لأهلها، ودخل البيوت من أبوابها، فيعمم الكلام لجميع المسلمين، ولكن الوهابية لمّا الفت طباعهم شبّهات ابن عبد الوهاب، وفسدت بها فطرهم، وعزّ عنها امتناعهم؛ لا يكاد يخطر ببال أحدهم ما يخطر ببال آحاد المسلمين من إحترام من جعل الله له الحرمة، والتشفع والتوسل والتبرك بمن جعل الله له الشفاعة والوسيلة والبركة، حتّى جعلوا قبور الأنبياء والأولياء أصناماً وأوثاناً، ومن عظّمها وتبرك بها كافراً مشركاً، فهل سمعت من جاهلية العرب أو من أحد من أهل الملل والنحل مثل هذه الغرائب التي ينتهي عندها العجب؟! والكلام مع المسلم الذكي القلب، المتبع طريقة المسلمين، المنصف العارف بمنزلة الأنبياء والأولياء عند الله تعالى ورفيع درجتهم، أما ميت القلب، بليد الذهن، جامد القريحة الذي نبذ ما عليه المسلمون كافة، وخالف إجماعهم وطريقتهم، وجعل منزلة الأنبياء والأولياء، وقصر بهم عن المرتبة التي جعلها الله لهم، وتمحلّ وعاند، ومن لا تفارق همته التشبث بأذيال التقليد لشخص واحد،

يجوز عليه الخطأ، والتعلق على ما يقوله، والاتباع لشبهة سنّها، وضلالة ابتدعها، حتّى كأنّه وحي منزل، فذلك ميت القلب، بليد الذهن، فاسد الفطرة، وخطابة محض عناء.

أمّا المتصوفة فإذا فرض نقلهم بعض المناقب المكذوبة عن مشائخهم فهل يوجب ذلك بطلان مناقب الأنبياء والأولياء على العموم؟! ومع ذلك فالظاهر أنّهم لا يعتقدون في مشائخهم الاستقلال في التصرف، ولا يزيدون عن اعتقاد أنّهم عباد مكرمون، ومع الشك يجب حملهم على ذلك، لوجوب حمل أفعال المسلمين وأقوالهم على الصحة مع الإمكان.

وما نقله عن حاشية البيجوري لا يوجب اعتقاده كفرًا ولا شركًا لأنّه ممكن فيجب قبوله إذا دل عليه النقل، وهب أنّ ناقله كاذب فلا يكون كافرًا بل عاصيًا.

أمّا إمكانه فلتواتر النقل بأنّه تعالى يستعمل الملائكة في نظام عالم التكوين بلا حاجة منه إليهم، فجبرائيل أمينه على وحيه، وإسرافيل نافخ الصور، ورضوان خازن الجنان، ومالك خازن النيران، والكروبيون حملة العرش، وعزرائيل قابض الأرواح، والزبانية موكلون بأهل النار، والحفظة موكلون بأعمال الخلائق، ومنكر ونكير بحساب القبر.

وفي الصحيفة الكاملة لزين العابدين علي بن الحسين عليه السلام في الصلاة على الملائكة قال: «وخزان المطر، وزواجر السحاب، والذي بصوت زجره يسمع زجل الرعود، وإذا سبحت به حفيضة السحاب التمتعت صواعق البروق، ومشيعي الثلج والبرد، والهابطين مع قطر المطر إذا نزل، والقوام على خزائن الرياح، والموكلين بالجبّال فلا تزول، والذين عرفتهم مثاقيل المياه، وكلّ ما تحويه لواجج الأمطار وعوالجها، ورسلك من الملائكة إلى أهل الأرض بمكروه ما ينزل من البلاء ومحبوب الرخاء، والسفرة الكرام البررة، والحفظة الكرام الكاتبين، وملك الموت وأعوانه، ومنكر ونكير،

ورومان فتان القبور، والطائفين بالبيت المعمور، ومالك والخزنة ورضوان، وسدنة الجنان.

إلى أن قال: والزبانية الذين إذا قيل لهم: خذوه فغلوه ثم الجحيم صلّوه ابتدروه سراعاً ولم ينظروه - إلى أن قال - : ومن منهم على الخلق^(١).
فلا مانع من أن يوكل الله تعالى ملكاً لقضاء حوائج الخلق، ولا يكون معتقده كافراً إذا كان مخطئاً فضلاً عن المصيب.

ولا ينافي ذلك الآيات التي ذكرها، فموجب الدعوة، وقاضي الحاجة حقيقة هو الله تعالى، كما أنه تعالى تارة قال: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا} (٢)، {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ} (٣)، وتارة قال: {قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ} (٤)، {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُم الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ} (٥)، {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُم الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ} (٦)، {تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا} (٧)، {إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ} (٨)، {فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ} (٩)، {حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا

١- الصحيفة السجّادية الكاملة: ٣٨، الصلاة على حملة العرش ومصدق الرسل.

٢- سورة الزمر: ٤٢.

٣- سورة النحل: ٧٠.

٤- سورة السجدة: ١١.

٥- سورة النحل: ٢٨.

٦- سورة النحل: ٣٢.

٧- سورة الأنعام: ٦١.

٨- سورة الأنفال: ٥٠.

٩- سورة محمد: ٢٧.

يَتَوَفَّوْنَهُمْ} ^(١)، فكما لا تناقض بين هذه الآيات لا تناقض بين ما ذكره، بعد صحة النقل المذكور.

ومنه يُعلم أنه أولى بنسبة نبذ كتاب الله وراء ظهره إليه، وما ذكره الشعراني في ترجمة الحنفي لا يوجب إسقاط حرمة الأنبياء والأولياء وشفاعتهم واستغفارهم ودعائهم ووسيلتهم رأساً، وإذا تجاوز الشعراني في بعض شطحه لا يتعدى ذلك إلى غيره.

وإذا اعتقد بعض الناس في المشائخ والأولياء الذين بعضهم من الدجالين والمحتالين أو المجانين ما لا ينبغي اعتقاده؛ فليس لنا أن نأخذ بذنبهم غيرهم ممن اعتقد في الأنبياء والأولياء والصلحاء الحقيقيين. أما قوله: (ولم يبلغ شرك الجاهلية إلى هذه الغاية). فقد مرّ نظيره في كلام الصنعاني ومرّ الكلام عليه.

وأما حكاية المرأة التي كفّ بصرها فلا يقاس عليها غيرها، مع أنه يمكن أن يُلتمس لكلامها وجه صحيح - إن صحت الحكاية - وهو أن الله تعالى قد اقتضت مشيئته كفّ بصرها فلم يبق إلا أن تتوسل بهذا الولي وبحبه إلى الله ليردّ عليها بصرها.

أمّا ما حكاه عن بعض المغاربة فغير بعيد أنه من الأكاذيب، نظير ما مرّ حكايته من أن رجلاً صلّى إلى ضريح ابن عباس وترك القبلة عامداً، فإنّا لم نر ولم ينقل لنا وقوع شيء من هذا في شيء من البلدان والأزمان، ولو صح

لم يقس عليه غيره، وهو خاص بفاعله، كقول من قال: لا يدقّ وتد في القاهرة إلا بإذن السيد البدوي، مع أنّ من يقول هذا لا يصلح أن يُسمّى عالماً، فهل إذا غلّطت امرأة كفّ بصرها، أو بعض المغاربة، أو بعض علماء مصر نغلّط كافة الأمة ونكفّروهم؟!

قوله: (وقد اشتهر ما يقع من السجود على أعتاب المشهد).

مرّ الكلام عليه في هذا الباب عند الرد على الصنعاني.

قوله: (لا يمنع حقيقة العبادة الصورية).

المدار على العبادة الحقيقية لا الصورية، والأعمال بالنيات. أما شراء الولد بشيء معين، والمرأة بشيء من مهرها، فلم نسمع بذلك ولم نره، ولو فرض صحته فيختص بفاعله، مع أنّ له وجهاً صحيحاً وهو قصد التصديق عن الولد أو المرأة بمالٍ، وإهداء ثواب الصدقة إلى الولي، فيجب الحمل على الصحة ما أمكن، ولا يوجب ذلك شركاً ولا كفراً، ولا يُقاس بفعل جاهلية العرب الذين جعلوا لشركائهم نصيباً كما حكى الله تعالى عنهم كما مرّ الكلام على نظير ذلك في كلام الصنعاني فراجع.

وأما السوائب فلم نرها ولم نسمع بها في شيء من بلاد الإسلام.

وأما سوق الهدايا والقرايين إلى مشاهد الأولياء وذبحها فستعرف في فصل الذبح أنّه بقصد ذبحها لله وتقرباً إليه لا للشيخ، وإنّما يهدى له ثواب الصدقة بها، فجعله ذلك وإن ذكر اسم الله عليه أشدّ تحريماً ممّا ذكر عليه اسم غير الله جهل محض، وتعليقه بأنّ الشرك في العبادة أكبر من الشرك بالاستعانة لا يكاد يظهر له معنى.

أما ما ادّعاه من ترك الشجر والعشب إذا كان بقرب المشهد فمع صحته لا مانع منه، فترك الشجر لاستغلال الزائرين والمارة، إكراماً لصاحب المشهد، وترك العشب لنزعتهم ورعي دوابهم.

قوله: (ومنها الحجّ إلى المشاهد في أوقات مخصوصة مضاهاة لبيت الله). أخذ هذا الكلام من ابن تيمية الذي قال في كتابه منهاج السنة: (الرافضة يعظمون المشاهد المبنية على القبور، فيعكفون عليها مشابهة للمشرّكين، ويحجّون إليها كما يحجّ الحاج إلى البيت العتيق، ومنهم من يجعل الحجّ إليها أعظم من الحجّ إلى الكعبة، بل يسبّون من لا يستغني بالحجّ إليها عن الحجّ الذي فرضه الله على عباده، وهذا من جنس دين النصارى والمشرّكين الذين يفضلون عبادة الأوثان على عبادة الرحمن).

وقد صنّف شيخهم ابن النعمان المعروف بالمفيد، وهو شيخ الموسوي والطوسي، كتاباً سمّاه مناسك المشاهد، جعل قبور المخلوقين تحجّ كما تحجّ الكعبة والبيت الحرام الذي جعله الله قياماً للناس^(١).

ونقول: قد ثبت بما سنذكره في فصل الزيارة استحباب زيارة قبور الأنبياء والأولياء والصلحاء وشدّ الرحال إليها، رغماً عن تشددات ابن تيمية وأتباعه الوهابية، فسواء سموا زيارتها حجّاً، قصداً للتشيع أو لم يسمّوها، وسواء سمّى ابن تيمية الصلاة لله ودعائه عندها عكوفاً أو لا؛ لا يضرّنا شيئاً.

وكون الزيارة في أوقات مخصوصة لا قبح فيه؛ لأنّ تلك الأوقات ممّا ثبت فضلها وشرفها، والله تعالى قد فاوت بين مخلوقاته في الفضل حتّى الأزمنة،

١- منهاج السنة النبوية ١: ٤٧٤ - ٤٧٦.

كما مر في المقدمات، فيتضاعف أجر الزيارة بفضل الزمان، فقصدتهم إلى التشنيع بذلك بأنّه كالحج الذي هو في أوقات مخصوصة لا شناعة فيه إلا عليهم، كقوله: مضاهاة لبيت الله، وكقول ابن تيمية: إنّهم يحجّون إليها كما يحجّون إلى البيت! فهم يزورونها اقتداءً بنبيهم ﷺ الذي سنّ الزيارة وفعلها، واتبعه المسلمون عليها، وسنّ شدّ الرحال إليها، خلافاً للوهابية كما ستعرف في فصل الزيارة، فهم مقتدون بسنة نبيهم ﷺ التي خالفها هو، وشنّع على من اقتدى بها، فهم لم يبنوا كعبة يضاهون بها بيت الله لم يأذن الله ببنائها ولا بزيارتها، بل ذهبوا لزيارة قبور أنبيائهم وأوليائهم حسبما أمرهم ربهم، فسواء ضاهى ذلك بيت الله أو لم يضاهه لا ضرر فيه.

وهل هذه المشاهد المشرّفة بشرف من فيها ليست بيوت الله؟! كلا، بل هي بيوت الله، والكعبة بيت الله، والمساجد بيوت الله، وكلّما كان عن أمر الله فهو لله، وستعرف في فصل البناء على القبور رجحان بناء المشاهد. والإمامية توجب الحجّ على كلّ من استطاع إليه سبيلاً، ولا تجعل شيئاً مغنياً عنه، لا زيارة مشهد ولا غيرها، وتسبّ من لا يعتقد ذلك، ومن نسب إليها غير ذلك فقد أفك وافتري، وهذه كتبها الفقهية التي تعد بمئات الألوف وطبع منها الملايين شاهدة بذلك، وناصّة عليه، حتّى إنّهم يوجبون القضاء عمّن مات مستطيعاً ولم يحجّ، وحجاجها في كلّ عام من بلاد المشاهد وغيرها تنبو عن الحصر، فإن كان الحج إليها أعظم أو مغنياً عن الحج المفروض، كما افتراه ابن تيمية، فلماذا يتحمّلون كلّ هذه المشاق لأجل الحج؟! قوله: (يطوفون حول الضريح).

نعم، يطوفون تبركاً به، ولا ينكر بركته إلا من أعمى الله بصيرته. قوله: (ويستغيثون).

ستعرف في فصل الاستغاثة أنّه لا محذور في ذلك.

قوله: (ويهدون لصاحب القبر ويذبحون).

كلا بل يذبحون لله، ويتصدقون على الفقراء، ويهدون الثواب لصاحب القبر.

قوله: (وبعض مشائخهم يأمر الزائر بحلق رأسه).

أبى شيطان هؤلاء إلا أن يزين لهم ترويج ضلالتهم ولو بالكذب والافتراء، فبعد أن سمى زياره الأنبياء والأولياء حجاً، وأنها في أوقات مخصوصة كالحج، وأنهم يطوفون ويهدون كالحجاج، أراد أن يتم حجهم بالفرية التي نقلها من أن بعض المشائخ يأمر الزائر بحلق رأسه.

ما رأينا هذا ولا سمعنا به إن هذا إلا اختلاق، وكان ينبغي له أن يتم أحكام الحج من الإحرام ورمي الجمار والسعي وغير ذلك.

أما قوله: (وقد صنف بعض غلاتهم كتاباً سمّاه حج المشاهد) فمأخوذ من كلام ابن تيمية الذي سمعته على عادتهم في تقليد الخلف للسلف في كل ما يقول، وهي فرية كفرية حلق الرأس.

و ابن تيمية كان بالشام والمفيد بالعراق وبينهما نحو من ثلاثمائة سنة، فأين رأى كتابه الموهوم المسمى حج المشاهد؟! وأين رآه حفيد ابن عبد الوهاب المنحاز في بادية نجد؟!

نعم، يوجد بعض الكتب التي فيها آداب الزيارة، وفيها الأدعية التي يدعى بها الله تعالى في المشاهد، أما كتاب حج المشاهد فهو من عنديات ابن تيمية وحفيد ابن عبد الوهاب، والله تعالى يجزي كلاً بعمله.

قوله: (ومنها التعريف في بعض البلاد عند من يعتقدونه من أهل القبور، فيصلون عشية عرفة عند القبر خاضعين سائلين).

أقول: هذا التعريف لم نسمع له بتعريف، وهو ثالث الفريتين، وأن يوم عرفة من الأيام الشريفة كيوم الجمعة وغيره من الأيام، وقد ورد استحباب صومه والإكثار من دعاء الله تعالى فيه، والخضوع وطلب الحاجات منه تعالى في أي موضع كان الإنسان، وإذا كان ذلك في مكان شريف كالمسجد أو المشهد المشرف بمن فيه كان أولى وأفضل، فهذا الذي عابه على المسلمين ونسبهم فيه إلى الشرك والكفر.

قوله: (والعراق فيه من ذلك الحظ الأكبر) الخ.

وهذا أيضاً مبني على أساسهم الفاسد الذي أسسوه من المنع من زيارة قبور الأئمة والأولياء، وتعظيمهم وتعظيم قبورهم، وبناء المشاهد والقباب لهم، وعمل الضرائح، وجعل الخدمة والسدنة، والصلاة عند قبورهم، ودعاء الله تعالى عندها، والتوسّل بأصحابها إليه تعالى في قضاء حوائج الدنيا والآخرة، وما يجري هذا المجرى.

ولما كان تعظيم المسلمين لقبور أئمة أهل البيت في العراق، وهم: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بنجف الكوفة، وولده الحسين السبط الشهيد بكربلا، والإمام موسى الكاظم وحفيده الإمام محمّد الجواد في بغداد، وابنه الإمام علي بن محمّد الهادي، وابنه الإمام الحسن العسكري في سامراء^٨، والمواظبة على زيارتهم، والصلاة ودعاء الله تعالى في مشاهدهم، بالغاً الغاية، لما لهم عند الله تعالى من المكانة، ولما لهم من الفضل العظيم في حماية الدين، ونشر علوم سيّد المرسلين، وكذلك قبر الشيخ عبد القادر الجيلاني،

والإمام أبي حنيفة، ومعروف الكرخي في بغداد، والحسن البصري، والزبير أحد الصحابة العشرة في البصرة، عظم على هذا النجدي ذلك فقال: «إنّ في العراق من ذلك الحظ الأكبر والمهمة التي لا ينجو سالكها ولا يكاد، وأنّي يكون المتمسك بولاية أهل البيت الطاهر، وزائر قبورهم، والمتعبّد ربّه بأنواع العبادة عندها، غير ناج، وهم سفينة النجاة التي من ركبها نجا ومن تخلف عنها هوى، وباب حطة الذي من دخله كان آمناً بنصّ جدهم ﷺ، وتكون النجاة محصورة في أهل نجد، مطلع قرن الشيطان، ومحلّ الزلازل والفتن، والذين جعلوا دأبهم وديدنهم غزو العراق وغيره من بلاد الإسلام، ومن أعماله ذبح المجاورين لقبر ابن بنت رسول الله ﷺ في كربلاء، وهدم ضريحه، وهتك حرمة، وربط الخيل والدواب في صحنه، ودق القهوة وإشعال النار في مشهده وفوق رأسه كما مرّ في تاريخهم^{(١)؟!}

أمّا قوله: (إنّ من نحو العراق عرف الكفر، وظهر الشرك والفساد) فيكذبه أنّ العراق ما زال ولم يزل مهبط الدين، ومنبع الإيمان والإسلام، وحبّ أهل البيت وموالاتهم، ولم يظهر الكفر والفساد إلّا من بلاد نجد، بلاد مسيلمة، وبلاد الوهابية المجسمة والذين ما فتئوا يعيشون في الأرض فساداً، يسفكون

١ - تقدم في صفحات الكتاب الأولية كلام السيّد جواد العاملي حول غزو الوهابية لمدينة كربلاء المقدسة، وكذلك تقدّم عن تاريخ نجد والجبرتي كيف أنّهم دخلوا الصحن الحسيني وارتكبوا المجازر المخزية وأهانوا الحضرة المقدسة.

الدماء، وينهبون الأموال، ويحتقرون المسلمين، ويرمونهم بالكفر والشرك، ويحتقرون الأنبياء والمرسلين وعظماء الدين، يهدمون قبورهم، ويجعلونها معرضاً لدوس الأقدام، وترويث الدواب والكلاب، ووقوع القاذورات، ويهينون من يزورها أو يحترمها أو يتبرك بها أو يصليّ لربّه عندها، فأبي فساد أعظم من هذا؟!

وهم يقولون: إنّ من العراق ظهر الفساد، ومن نجدهم ظهر الصلاح! وقد عرف صحة ما قلناه كلّ من له أدنى إلمام بتاريخ الوهابية وقدوتهم ابن تيمية، ومبدأ حوادثهم في الدين.

أما ما يقع من شيعة أهل البيت الطاهر الذين نبههم بالرافضة عند مشاهد الأئمة الطاهرين بالعراق الذين حُرّم من حلاوة مودتهم ومحبتهم، والفوز بولايتهم، فلا يعدو عبادة لله تعالى وتوحيده والخضوع لعظمته، فالقاصدون لتلك المشاهد الشريفة منهم الزائر لقبورهم، المعدد لمناقبتهم ومآثرهم في خدمة الدين والإسلام، ومنهم المصليّ لربّه، الراكع الساجد الخاشع، ومنهم الداعي لله تعالى، القائم في خدمته، الباكي من خشيته، المتضرع إليه، المتوسل والمتشفع إليه بمن أعطاهم الشفاعة، وجعل لهم الوسيلة ومنهم الخاطب الواعظ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى غير ذلك من أنواع العبادات والطاعات لله تعالى.

ولا يعبدون أحداً منهم بشيء مما حظره الله تعالى، لكن الوهابيين لما اقتضى جمودهم وغبوتهم وعنادهم أنّ تعظيم القبور وأهلها، والصلاة لله ودعائه عندها، والتشفع والتوسل بأهلها، عبادة لغير الله، موجبة للشرك والكفر، عدّوا فعل المسلمين بالعراق عند المشاهد كفرًا وشركًا، وحيث قد بينّا مراراً بما لا مزيد عليه خروج ذلك عن العبادة لغير الله الموجبة للشرك والكفر، بل هو الطاعة لله تعالى، ظهر أنّ عدّ ذلك شركاً من أعظم الموبقات، وأنّ من عدّه

كذلك من أجهل الخلق وأضلّهم بمخالفته لما أجمع عليه المسلمون خلفاً عن سلف، وأنّ مخالف إجماع المسلمين وسيرتهم، ومثبت الوجه واليدين والعينين لله تعالى، والاستواء على العرش الذي هو فوق السماوات على الحقيقة من دون تأويل ؛ أولى بغاية الكفر والشرك التي ما وصل إليها قبله أحد ممّن ينتسب إلى الإسلام.

وأى شرك أو كفر وعبادة لغير الله تعالى تحصل في مشاهد الأئمة بالعراق وأوّل كلام يقال عند فتح أبواب مشاهدهم هو: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله ، جاء بالحق من عنده ، وصدّق المرسلين الخ؟!

ولا تشتمل الزيارات والأدعية التي تقرأ في تلك البقاع الطيبة إلاّ على توحيد الله تعالى وتمجيده، والثناء عليه، وما يشتمل منها على التوسل والتشفع ، وطلب الحوائج والعطايا والمواهب من صاحب القبر لا يخرج عن سؤال الدعاء والشفاعة الذي بيّنا في فصله جوازه ورجحانه.

وإذا فرغ الزائر من الزيارة يصليّ لله تعالى ركعتين مستحبّتين، يهدي ثوابهما للمزور، ويقول بعدهما كما هو مأثور عن أئمة أهل البيت الطاهر: «اللّهم إنّني صليت وركعت وسجدت لك وحدك لا شريك لك؛ لأنّ الصلاة والركوع والسجود لا يكون إلاّ لك، لأنك أنت الله الذي لا إله إلاّ أنت.

اللّهم وهاتان الركعتان هدية منّي إلى سيدي ومولاي (ويُسمى المزور).
اللهم فتقبلهما منّي بأحسن قبولك وأجرني على ذلك بأفضل أمني

ورجائي فيك وفي وليك، يا أرحم الراحمين»^(١).

ورجاؤه فيه تعالى الثواب والمغفرة، وفي وليه الدعاء والشفاعة، والله المسؤول أن ينصر دينه ويعلي كلمته، ويمحو هذه الضلالات التي جاء بها هؤلاء ويرد عاديتهم عن المسلمين، ويردهم إلى سبيل الرشـد ، ويريح المسلمين من تشدداتهم وتعتاتهم حتّى تبقى السهلة السمحاء كما كانت وينزّه الباري تعالى عن نسبة ما لا يليق بجلاله، وتبقى البيضاء كما كانت ليلها كنهارها.

* * *

١- مصباح المتهجد : ٧٢١، الرسائل العشرة لابن فهد الحلّي : ٢٤٩، المزار للمشهدي : ٤٣٢، المزار للشهيد الأول : ١٢٦، بحار الأنوار ٩٨ : ٣٦١.

الباب الثالث: في تفصيل الأمور التي كفر بها الوهابية المسلمين ورد كُلّ واحد منها بخصوصه:

حيث ظهر لك أنّ منشأ شبهة الوهابية في حكمهم بشرك جميع المسلمين وكفرهم واستحلال دمائهم وأموالهم هو زعمهم أنّهم يعبدون القبور، بتعظيمهم لها بالتقبيل والطواف و التمسح، و بناء القباب والإسراج وغير ذلك من أنواع التعظيم ، وأنّهم يعبدون الأموات بدعائهم لهم، وطلبهم منهم قضاء حوائجهم ، وأنّهم يندرون وينحرون لهم، كما كان أهل الجاهلية يفعلون مثل ذلك مع أصنامهم، فكان ذلك عبادة لغير الله وشركاً به، وقد عرفت فساد ذلك بوجه العموم في الباب السابق، فلنتكلم على كُلّ واحدٍ من هذه الأمور التي هي منشأ شبهتهم بخصوصه، مضافاً إلى ما مر في الباب السابق؛ لأنّ أكثرها يختص بما لا يشاركه في غيره، وذلك في ضمن فصول:

الفصل الأوّل: في الشفاعة

إعلم أنّ طلب الشفاعة من الأنبياء والصالحين والملائكة الذين أخبر الله تعالى أنّ لهم الشفاعة مما منعه الوهابيون، وجعلوه كفراً و شركاً، صرّح بذلك ابن عبد الوهاب في كلامه المتقدم في رسالة أربع القواعد التي قال فيها: (إنّ

الخلاص من الشرك يتم بها بقوله: الثانية: إنهم يقولون: ما دعونا الأصنام وتوجهنا إليهم إلا لطلب القرب والشفاعة^(١)، وفي رسالة كشف الشبهات بقوله: (لكنهم يجعلون بعض المخلوقين وسائط بينهم وبين الله عز وجل يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله تعالى، ونريد شفاعتهم عنده)^(٢)، وقوله: (ومنهم من يدعو الملائكة، لأجل صلاحهم، وقربهم من الله عز وجل ليشفعوا لهم، أو يدعو رجلاً صالحاً مثل اللات، أو نبياً مثل عيسى)^(٣)، وقوله: (إن قصدهم الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحلّ دماءهم وأموالهم)^(٤)، وفيما حكاه الآلوسي عنه حيث جعل طلب الشفاعة مثل شرك جاهلية العرب^(٥).

وفي كلامه الأخير في كشف الشبهات الذي علم به الاحتجاج على المسلمين بقوله: (إنّ الذين قاتلهم | مقرّون بما ذكرت لي، ومقرّون أنّ أوثانهم لا تدبر شيئاً، وإنّما أرادوا الجاه والشفاعة، وأنّهم ما أرادوا ممّن قصدوا إلا الشفاعة، وأنّ طلب الشفاعة من الصالحين هو بعينه قول الكفار: { مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا }^(٦)، { وَيَقُولُونَ هُوَ لَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ }^(٧) إلى غير ذلك^(٨).

١- شرح القواعد الأربعة : ٢٠، بشرح صالح الفوزان.

٢- كشف الشبهات : ٤٩ - ٥٠، تحقيق عبد الله القحطاني.

٣- المصدر السابق : ٥١ - ٥٢.

٤- المصدر السابق : ٥٢ - ٥٣.

٥- تاريخ نجد للآلوسي : ٧٨ - ٧٩.

٦- سورة الزمر : ٣.

٧- سورة يونس : ١٨.

٨- كشف الشبهات : ٦٢ - ٦٤، تحقيق عبد الله القحطاني .

والصنعاني في كلامه السابق حيث جعل من جملة عبادة المشركين الأصنام اعتقادهم أنها تشفع عنده ، وجعل من جملة عبادة الأنبياء والصالحين اعتقاد ذلك والتشفع بهم وقوله: فجعل اتخاذهم للشفعاء شركاً، ونزه نفسه عنه، لأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فكيف يشبتون شفعاء لهم لم يأذن الله لهم في شفاعة، ولا هم أهل لها؟!

ومن اعتقد في حي أو ميت أنه يقرب إلى الله أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به، فقد أشرك مع الله غيره، وأعتقد ما لا يحل كما أعتقد المشركون في الأوثان، وصار حلال المال والدم^(١). وجعل من جملة الشرك الاعتقاد في شيء أنه يشفع في حوائج الدنيا بمجرد التشفع.

والوهابيون في كتابهم إلى شيخ الركب المغربي بقولهم : (فأخبر أن من جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة، فقد عبدهم وأشرك بهم - إلى قولهم - : فالشفاعة حق، ولا تطلب في دار الدنيا إلا من الله تعالى)^(٢)، وجعلهم سؤال الأنبياء والأولياء الشفاعة بعد موتهم شركاً وعبادة للأوثان.

وفي الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية: (ونثبت الشفاعة لنبينا محمد | يوم القيامة حسب ما ورد، وكذا نثبتها لسائر الأنبياء والملائكة والأولياء والأطفال حسب ما ورد أيضاً، ونسألها من المالك لها والآذن فيها لمن يشاء من الموحدين الذين هم أسعد الناس بها كما ورد، بأن يقول أحدنا: شفّع نبينا محمّداً | فينا يوم القيامة، أو اللهم شفّع فينا عبادك الصالحين أو ملائكتك أو نحو ذلك مما يطلب من الله لا منهم، فلا يقال : يا رسول الله أو

١- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد : ٥٠١.

٢- عجاب الآثار في التراجم والأخبار المعروف بتاريخ الجبرتي ٥٩٠: ٢.

يا ولي الله أسألك الشفاعة أو غيرها ممّا لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فإذا طلبت ذلك مما ذكر مما في أيام البرزخ كان من أقسام الشرك، إذ لم يرد بذلك نصّ من كتاب أو سنة، ولا أثر من السلف الصالح على ذلك، بل ورد الكتاب والسنة وإجماع السلف أنّ ذلك شرك أكبر قاتل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١).

وفي الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية: (إنّ الشفاعة وإن كانت حقاً في الآخرة، فلها أنواع مذكورة في محلّها، ووجب على كلّ مسلم الإيمان بشفاعته |، بل وغيره من الشفعاء، فهي ثابتة بالوصف لا بالشخص، ما عدا الشفاعة العظمى فإنّها لأهل الموقف عامة وليس منها ما يقصدون، فالوصف من مات لا يشرك بالله شيئاً كما في البخاري من حديث أبي هريرة ع عن النبي | أنّه قال: «لكلّ نبي دعوة مستجابة، وإنّي خبأت دعوتي شفاعة لأُمّتي وهي نائلة منكم إن شاء الله، من مات لا يشرك بالله شيئاً»^(٢).

إلى أن قال: وإذا كانت بالوصف فرجاؤها من الله ودعاؤه أن يشفع فيه نبيّه هو المطلوب.

قال: فالمتعين على كلّ مسلم صرف همّته وعزائم أمره إلى ربّه تبارك

١- الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية لعبد الله بن محمّد بن عبد الوهاب: ٥١ - ٥٢.

٢- مسند أحمد ٢: ٢٧٥، صحيح البخاري ٧: ١٤٥ كتاب الدعوات، صحيح مسلم ١: ١٣١، سنن ابن ماجه ٢: ١٤٤٠، سنن الترمذي ٥: ٢٣٨، سنن الدارمي ٢: ٢٩٥، السنن الكبرى للبيهقي ٨: ١٧، مسند ابن راهويه ١: ٢٣٣، فضائل الأوقات ١: ٣٨٤، إرواء الغليل ١: ٣١٦، التمهيد ١٩: ٦٣، الشرح الكبير لابن قدامه ١: ٣٨٦، المصنّف للصنعاني ١١: ٤١٣، كتاب السنة ٣: ٣٥٧، مسند أبي يعلى الموصلي ٥: ٢٢٩، صحيح ابن حبان ١٤: ٣٧٣، مسند الشهاب ٢: ١٣١، نظم المتناثر من الحديث المتواتر ٢٣٢، تفسير السمعاني ٣: ٢٧٠، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١: ٢٢٤.

وتعالى بالإقبال إليه، والاتكال عليه، والقيام بحق العبودية لله عز وجل، فإذا مات موحداً استشفع الله فيه نبيه بخلاف من أهمل ذلك وتركه، وارتكب ضده من الإقبال إلى غير الله بالتوكل عليه ورجائه فيما لا يمكن وجوده إلا من عند الله، والإلتجاء إلى ذلك الغير مقبلاً على شفاعته، متوكلاً عليها، طالباً لها من النبي | أو غيره.. فإنّ هذا بعينه فعل المشركين واعتقادهم، ولا نشأت فتنة في الوجود إلا بهذا الاعتقاد.

إلى أن قال: ولهذا حسم جلّ وعلا مادة الشفاعة عن كلّ أحد بغير إذن الإله وحده، فلا يشفع أحد عنده إلا بإذنه لا ملك ولا نبي ولا غيرهما.

إلى أن قال: ولهذا قال عزّ من قائل: {قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً} ^(١)، وقال: {وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} ^(٢)، وطلبها من غير الله في هذه الدار زعم بعدم تعلقها بالإذن من الله والرضا عن المشفوع له.

وقال تعالى: {مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ} ^(٣)، وقال: {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ} ^(٤)، و العبرة في القرآن بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ^(٥).

وقال محمّد بن عبد الوهاب أيضاً في رسالة أربع القواعد: (الشفاعة

١- سورة الزمر: ٤٤.

٢- سورة الأنعام: ٩٤.

٣- سورة السجدة: ٤.

٤- سورة الأنعام: ٥١.

٥- الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنينة لعبد العزيز بن محمّد بن سعود: ١٣ - ١٥.

شفاعتان : منفية ومثبتة، فالشفاعة المنفية ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، والدليل قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةً وَالْكَافِرُونَ هُمْ الظَّالِمُونَ } (١).

والشفاعة المثبتة هي التي تطلب من الله، والشافع مكرم بالشفاعة، والمشفوع له من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن كما قال تعالى: { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } (٢)(٣).

وفصل في مقام آخر ما أجمله هنا فقال في رسالة كشف الشبهات عند تعليمه أتباعه الاحتجاج على غيرهم في تنمة كلامه السابق : (فإن قال: - أي بعض المشركين من المسلمين الذين لا يقولون بمقالة الوهابية - أتتكر شفاعته رسول الله | وتبرأ منها؟

فقل : لا أنكرها ولا أتبرأ منها، بل هو الشافع والشفيع ، وأرجو شفاعته ، ولكن الشفاعه كلها لله كما قال تعالى: { قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً } (٤).

ولا يشفع أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه كما قال تعالى: { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى } (٥) وهو لا يرضى إلا التوحيد .

فإذا كانت الشفاعه كلها لله ، ولا تكون إلا بعد إذنه، ولا يشفع النبي |

١- سورة البقرة: ٢٥٤.

٢- سورة البقرة: ٢٥٥.

٣- شرح القواعد الأربع: ٢٢، شرح صالح الفوزان.

٤- سورة الزمر: ٤٤.

٥- سورة الأنبياء: ٢٨.

ولا غيره في أحد حتّى يأذن الله فيه، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد؛ تبين أنّ الشفاعة كلّها لله وأطلبها منه وأقول: اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفّعه في ، وأمثال هذا .

فإنّ قال: النبي | أعطي الشفاعة ، وأنا أطلبه مما أعطاه الله؟
فالجواب : إنّ الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا وقال تعالى: {فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}،^(١) وأيضا فإنّ الشفاعة أعطيها غير النبي | ، فصح أنّ الملائكة والأولياء يشفعون.

فإن قلت : الله أعطاهم الشفاعة وأطلبها منهم؟
فإن قلت هذا رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكرها الله تعالى في كتابه.
وإن قلت : لا بطل قولك: أعطاه الله الشفاعة، وأنا أطلبه مما أعطاه الله^(٢).
وقال ابن تيمية في رسالة زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور في تنمة كلامه المتقدم في الباب الثاني: (وإن قال: أنا أسأله لكونه أقرب إلى الله منّي ليشفع لي في هذه الأمور ، لأنّي أتوسل إلى الله به كما يتوسل إلى السلطان بخواصه وأعوانه.

فهذا من أفعال المشركين والنصارى فإنّهم يزعمون أنّهم يتخذون أحبارهم ورهبانهم شفعاء، يستشفعون بهم في مطالبهم، وكذلك أخبر الله عن المشركين أنّهم قالوا: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}،^(٣) وقال سبحانه وتعالى: {أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا

١- سورة الجن: ١٨.

٢- كشف الشبهات: ٦٧ - ٧١، تحقيق عبد الله القحطاني.

٣- سورة الزمر: ٣.

يَعْلُونَ^(١)، وقال تعالى: {قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً}^(٢)، وقال تعالى: {مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ}^(٣)، وقال تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}^(٤)، فبيّن الفرق بينه وبين خلقه، فإنّ من عادة الناس أن يستشفعوا إلى الكبير من كبرائهم بمن يكرم عليه، فيسأله ذلك الشفيع فيقضي حاجته، إما رغبة وإما رهبة، وإما حياء وإما مودة، وإما غير ذلك، والله سبحانه لا يشفع عنده أحد حتّى يأذن هو للشافع، فلا يفعل إلا ما شاء الله، وشفاعة الشافع من إذنه، فالأمر كلّ له.

إلى أن قال: وقد أمرنا أن نصليّ على النبي | في الدعاء، و جعل ذلك من أسباب إجابة دعائنا^(٥).

ونقول: الشفاعة من الشفيع عبارة عن طلبه من المشفوع إليه أمراً للمشفوع له، فشفاعة النبي | أو غيره عبارة عن دعائه الله تعالى لأجل الغير، وطلبه منه غفران الذنب وقضاء الحوائج، فالشفاعة نوع من الدعاء والرجاء. وحكى النيسابوري في تفسير قوله تعالى: {مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا}^(٦): (عن مقاتل أنّه قال: الشفاعة إلى الله إنّما هي دعوة الله المسلم، لما روي عن النبي |: من دعا لأخيه بظهر الغيب أُستجيب له، وقال له الملك: ولك مثل ذلك، فذلك النصيب

١- سورة الزمر: ٤٣.

٢- سورة الزمر: ٤٨.

٣- سورة السجدة: ٤.

٤- سورة البقرة: ٢٥٥.

٥- زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ١: ١٨ - ٢٠.

٦- سورة النساء: ٨٥.

والدعوة على المسلم بضد ذلك^(١)، وحينئذٍ فطلب الشفاعة من الغير كطلب الدعاء منه، وقد ثبت جواز طلب الدعاء من أي مؤمن كان، واعترف بذلك الوهابية وقدوتهم ابن تيمية في طلبه من الحي، بل هو من ضروريات دين الإسلام.

وحينئذٍ فيجوز طلب الشفاعة إلى الله تعالى من كل مؤمن فضلاً عن الأنبياء والصالحين، وفضلاً عن سيد المرسلين.

ولو قيل: إنَّ الشفيع لا بدَّ أن يكون له قدر وجاه عند المشفوع إليه. فنقول: إنَّ الله تعالى جعل حرمة لكل مؤمن يرجى بها قبول شفاعته واستجابة دعائه، فلم يبق فرق.

على أنه قد ورد ثبوت الشفاعة لآحاد المؤمنين وللملائكة، وأنها ليست من خواص الأنبياء، وثبتت شفاعاة الملائكة بما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ - إِلَى قَوْلِهِ - : وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ.. * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ }^(٢)، قال الرازي في تفسيره: (هذه الآية تدل على حصر الشفاعة من الملائكة للمذنبين، كما وقعت الشفاعة من النبي | وغيره من الأنبياء، وأمره الله تعالى بها فقال: {وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

١- تفسير غرائب القرآن ٢: ٤٥٩.

٢- سورة غافر: ٧- ٩.

وَالْمُؤْمِنَاتِ^(١)، وحكى عن نوح أنه قال: {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ^(٢)}^(٣).

وفيه تصريح بأن الشفاعة لا تزيد عن الدعاء وطلب المغفرة كما قلناه ، بل روي أن الحجر الأسود شافع مشفع ، ففي الجامع الصغير للسيوطي ما نصّه: (الشيرازي في الألقاب ، وأبو نعيم في مسلسلاته وقال: صحيح ثابت عن علي أشهدوا هذا الحجر خيراً، فإنه يوم القيامة شافع مشفع، له لسان وشفتان يشهد لمن استلمه)^(٤).

وزاد العريزي في الشرح فيمن (رواه الرافعي وقال: <أشهدوا> أي اجعلوا الحجر الأسود شهيداً لكم في خير تفعلونه عنده كتقبيل واستلام أو دعاء أو ذكر، فإنه يوم القيامة شافع> أي فيمن أشهده خيراً)^(٥).

١- سورة محمد : ١٩.

٢- سورة نوح: ٢٨.

٣- تفسير الفخر الرازي ٢٧: ٣٣، ولكن الموجود فيه هو: (قالوا: إن هذه الآية تدل على أن ← → الملائكة لما فرغوا من ذكر الله بالثناء والتقديس، واشتغلوا بالاستغفار لغيرهم وهم المؤمنون، وهذا يدل على أنهم مستغنون عن الاستغفار لأنفسهم؛ إذ لو كانوا محتاجين إليه لقدّموا الاستغفار لأنفسهم على الاستغفار لغيرهم، بدليل قوله ﷺ: <ابدأ بنفسك>، وأيضاً...) وذكر باقي الكلام الذي أورده المؤلف.

٤- فيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي ١: ٦٧٣، المعجم الأوسط ٣: ٢٢٠، الجامع الصغير ١: ١٦٣، مجمع الزوائد ٣: ٢٤٢، أخبار مكة للفاكهي ١: ٢٧، جامع الجوامع ١: ٣٨٢٦ وقال: (أخرجه الطبراني في الأوسط (٣ : ٢٢٠ رقم ٢٩٧١) ، وذكر المنذري (٢/ ١٢٥)، والهيتمي ٣: ٢٤٢ : أن رواه ثقات إلا أن الوليد بن عباد مجهول)، جامع الأحاديث ٤ : ٤٥، الدر المنثور ١: ١٣٦.

٥ - السراج المنير على الجامع الصغير ١: ٢٢٥.

فإشهاد الخير يشفع في معنى طلب الشفاعة منه مع أنه جماد لا يعقل ولا ينطق، وقد أمرنا بإشهاد الخير كما أمرنا بتقييله واستلامه، ولم يكن ذلك شركاً وإلا لم يغيره الأمر؛ لأنَّ الحكم لا يغير الموضوع كما مرَّ في المقدمات. فظهر أنَّ الشفاعة والدعاء من واد واحد، وكذا طلبهما من الغير، وليس حتماً على الله قبول الشفاعة ولا إجابة الدعاء، وإنما ذلك من أطفاه ومنه ورأفته بعباده، فجعل لهم وسائل كثيرة إلى نيل رضاه وعفوه وخيره وبره وهذا منها، ولا شفاعة إلاً باذنه ورضاه كما قال تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} (١)، {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى} (٢) وغير ذلك.

وظهر أنَّ طلب الشفاعة من النبي | بل ومن آحاد المؤمنين في دار الدنيا أحياء وأمواتاً، ليشفعوا في الدنيا في أمور الدنيا والآخرة أو يوم القيامة؛ جائز لا محذور فيه، لأنها من قبيل الدعاء، فيرجع طلبها إلى التماسه، وذلك جائز من الأحياء بالاتفاق. أمَّا طلب الدعاء من الأموات فمنعه ابن تيمية والوهابية، والحق جوازه كما يأتي في الفصل الثالث.

والأخبار الواردة في ثبوت الشفاعة للنبي | يوم القيامة، وأنه الشفيع المشفع ولغيره مستفيضة أو متواترة، رواها البخاري ومسلم وغيرهم، مثل: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٣)، «مَنْ سَمِعَ الْأَذَانَ

١- سورة البقرة: ٢٥٥.

٢- سورة الأنبياء: ٨٨.

٣- مسند أحمد ٢: ١٦٣، صحيح مسلم ٢: ٤، سنن أبي داود ١: ١٢٨، سنن الترمذي ٥: ٢٤٧، سنن النسائي ٢: ٢٦، السنن الكبرى للبيهقي ١: ٤١٠، السنن الكبرى للنسائي ١: ٥١٠، صحيح ابن خزيمة ١: ٢١٩، شرح معاني الآثار ١: ١٤٣، صحيح ابن حبان ٤: ٥٨٨، المعجم الأوسط ٩: ١٣٣، الجامع الصغير ١: ١٠٨، كشف الخفاء ١: ٩٠، إرواء الغليل ١: ٢٥٩، تفسير البغوي ٣: ١٣٠، تفسير القرطبي ٦: ١٥٩، فتح القدير للشوكاني ٢: ٣٨، تذكرة الحفاظ ٤: ١٣٠٧، سير أعلام النبلاء ٢٠: ٢١٨.

ودعا بكذا حلت له شفاعتي يوم القيامة»^(١)، «أعطيت خمسا وعدّ منها الشفاعة»^(٢)، «أنا أول شافع وأول مشفع»^(٣)، «أتاني آت من ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة ، فأخترت الشفاعة»^(٤) ، « يدخل

١- مسند أحمد ٣: ٣٥٤، صحيح البخاري ١: ١٥٢ كتاب الأذان، سنن النسائي ٢: ٢٧، السنن الكبرى للبيهقي ١: ٤١٠، السنن الكبرى للنسائي ١: ٥٥١، صحيح ابن خزيمة ١: ٢٢٠، صحيح ابن حبان ٤: ٥٨٦، المعجم الصغير ١: ٢٤٠، كشف الخفاء ١: ٤٠٢، تفسير البغوي ٣: ١٣٠، تفسير القرطبي ١٠: ٣١٠.

٢- مسند أحمد ١: ٣٠١ و ٤: ٤١٦ و ٥: ١٤٨، سنن الدارمي ١: ٢٢٢، صحيح البخاري ١: ٨٦ ← كتاب التيمم، صحيح مسلم ٢: ٦٣، سنن النسائي ١: ٢١٠، السنن الكبرى للبيهقي ١: ٢١٢، مجمع الزوائد ١: ٢٦١، مسند الحميدي ١: ٤٢١، المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٤١٠، صحيح ابن حبان ١٤: ٣٠٨، المعجم الأوسط ٧: ٢٥٧، المعجم الكبير ١١: ٥١، معرفة السنن والآثار ٢: ٢٥٣، الاستذكار ٥: ٥، التمهيد ٥: ٢٢١، تخريج الأحاديث والآثار ١: ٤٥، نصب الراية ٢: ٣٧٩، موارد الضمآن ١: ٢٢٨، تغليق التعليق ٣: ٤٥٣، الجامع الصغير ١: ١٧٧، نظم المتناثر من الحديث المتواتر: ٨٠، إرواء الغليل ١: ٣١٥.

٣- سنن الدارمي ١: ٢٦، سنن ابن ماجه ٢: ١٤٤٠، سنن الترمذي ٥: ٢٤٨، المستدرك للحاكم ٤: ٤٩٨، مجمع الزوائد ٨: ٢٥٤، المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٤٣٠، كتاب الأوائل لابن أبي عاصم: ٥٢، كتاب السنة لابن أبي عاصم: ٣٥٥، المعجم الكبير ٣: ٦٣، كتاب الأوائل للطبراني: ٢٩، معرفة علوم الحديث: ٧٥، الاستذكار ٨: ٦٢٢، تخريج الأحاديث والآثار ٢: ١٧٠، الجامع الصغير ١: ٤١٣، أحكام القرآن ١: ٣٨، جامع البيان ٢٦: ٢٢٤، تفسير الرازي ٦: ٢١١، تفسير ابن كثير ١: ٥٧٣.

٤- مسند أحمد ٤: ٤٠٤ و ٦: ٢٣، سنن ابن ماجه ٢: ١٤٤١، سنن الترمذي ٤: ٤٧، المستدرك ١: ٦٧، مجمع الزوائد ١٠: ٣٦٩ وصححه، مسند أبي داود الطيالسي: ١٣٤، المصنّف للصنعاني ١١: ٤١٣، تأويل مختلف الحديث: ١٦٢، كتاب السنة: ٣٧٦ وصححه الألباني على شرط مسلم، صحيح ابن حبان ١٦: ١٨٦، المعجم الكبير ١٨: ٦٩، المعجم الأوسط ٢: ١٠٥، المعجم الصغير ٢: ٨، الكفاية للخطيب: ٢٢٠، موارد الضمآن ٨: ٢٩٣، الجامع الصغير ١: ١٩، نظم المتناثر من الحديث المتواتر: ٢٣٤، تفسير القرآن للصنعاني ٣: ٢٧٢، التاريخ الكبير ٨: ٤١، الثقات ٦: ١٤٣،

بشفاعتي رجال من أُمَّتِي أَكْثَرُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ»^(١) ، «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : فَرَّغَ الشَّافِعُونَ مِنَ الشَّفَاعَةِ، شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ»^(٢)، «يَجْلِسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ : لَوْ اسْتَشْفَعْنَا فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَعْتَذِرُ بِخَطِيئَتِهِ، ثُمَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَعْتَذِرُ بِثَلَاثِ كَذِبَاتٍ كَذَبَهُنَّ ، ثُمَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَعْتَذِرُ بِقَتْلِ النَّفْسِ، ثُمَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكَ ، فَيَقُولُ اللَّهُ سَبِّحَانَهُ بَعْدَ أَنْ أَسْجَدَ لَهُ: اشْفَعْ تَشْفَعُ»^(٣) الخبر.

أُسْدُ الْغَالِيَةِ ٢: ٣٤٦، سير أعلام النبلاء ٢: ٤٩٠، تاريخ الإسلام ٥: ٥٠٣، السيرة الحلبية ١: ٣٦٩.

١- ورد الحديث بلفظ: **لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ** وهو في: مسند أحمد ٥: ٣٦٦، سنن ابن ماجة ٢: ١٤٤٤، سنن الترمذي ٤: ٤٦، المستدرک للحاكم ١: ٧٠، مسند أبي داود الطيالسي ١٨١: ١٨١، الآحاد والمثاني ٢: ٤٢٩، مسند أبي يعلى الموصلي ١٢: ٢٨٠، صحيح ابن حبان ١٦: ٣٧٦، المعجم الكبير ٢٢: ٧٦، موارد الضمآن ٨: ٣٠١، الجامع → الصغير ٢: ٤٤٨، تفسير القرآن للصنعاني ٣: ٣٩٣، جامع البيان ١٦: ١٦٠، تفسير ابن أبي حاتم ١٠: ٣٤٦٠، تفسير البحر المحيط ٦: ٢٠٤، التاريخ الكبير ٥: ٢٦، الجرح والتعديل ٥: ٢٨، تاريخ بغداد ٥: ٢٢٩، تهذيب الكمال ١٤: ٣٥٩، سير أعلام النبلاء ٤: ٣٢، الإصابة ١: ٣٦٠، تهذيب التهذيب ٥: ١٤٨، تاريخ الإسلام ٣: ٥٥٩.

٢- صحيح مسلم ١: ١١٦، فتح الباري ١١: ٣٩٧، مسند أبي داود الطيالسي ٢٩٠: ٢٩٠، التخويف من النار: ٢٦٠، تخريج الأحاديث ٤: ٢٥٩، مشكاة المصابيح ٣: ٢١٢، صحيح الترغيب والترهيب ٣: ٢٣١، إحياء علوم الدين ٤: ٥٤٦، الفصول في السيرة ١: ٢٨١، الإيمان لابن منده ٢: ٨٠٤، كنز العمال ١٤: ٤٤٢، تفسير البغوي ١: ٤٢٨، تفسير القرطبي ٣: ٢٧٥، تفسير الثعالبي ٢: ٢٣٨، إمتاع الأسماع ١٠: ٢٧٧.

٣- الحديث نقل بتقطيع وهو في: مسند أحمد ١: ٢٨١ و ٢: ٤٠٣ و ٣: ٢٤٤، صحيح البخاري ٤: ١١٢ كتاب بدء الخلق، صحيح مسلم ٧: ٩٨، سنن الترمذي ٤: ٤٤، السنن الكبرى للبيهقي ٧: ٣٦٦، مجمع الزوائد ١٠: ٣٧٢، مسند ابن المبارك ٥: ٥٤، مسند أبي داود الطيالسي ٣٥٤، السنن الكبرى للنسائي ٥: ٩٨، مسند أبي يعلى ٤: ٢١٥، رياض الصالحين ٢: ٧٢٢، كنز العمال ١٤:

ومن أدلة شفاعته لنا بعد موته | حديث: «وفاتي خير لكم ، تعرض عليّ أعمالكم - إلى قوله - : وما رأييت من شرٍّ استغفرت لكم»^(١)، لما عرفت من أنّ الشفاعة لا تزيد عن الدعاء لنا والاستغفار .

وإذا كان | يستغفر لنا بعد موته جاز لنا أن نطلب منه الاستغفار الذي هو الشفاعة بعينها.

وشفاعة النبي | يوم القيامة لا ينكرها الوهابية، فلا حاجة إلى إكثار

٣٩٣.

والحديث لا يمكن قبول متنه لما فيه من الجمل التي لا تصح في الدين الإسلامي الحنيف، وهي تنزيه مقام الأنبياء العظيم عن الكذب والبهتان والمعصية، وهو مما أجمع عليه أئمة أهل البيت [^] وعلماء الشيعة الكرام، وكذلك بعض علماء السنة المنصفين حينما ذكروا بأنّ الأنبياء [^] لا تجوز عليهم المعصية، وما صدر منهم وحكاه القرآن والذي يشعر بظاهره صدور الذنب منهم مفسّر في الروايات بخلاف ذلك، وأنّ الأنبياء [^] لا تصدر منهم المعصية. أضف إلى ذلك فإنّه مضطرب المتن من جهة أخرى حيث إنّ عيسى عليه السلام اعتذر بعدم حضوره ← المشهد، مع أنّ الأنبياء الآخرين لم يعتذروا بذلك مع اشتراكهم جميعاً بعدم حضور واقع الأمة الإسلامية، أمة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يعتذروا بعذر عيسى عليه السلام ، والمعتذر بعدم الحضور هو لا غير. والمصنّف ذكره من باب إلزام الخصم بأنّ الشفاعة واردة في الروايات التي ذكروها وخصوصاً في الكتب المعتبرة عندهم كصحيح مسلم وسنن الترمذي وغيرها.

١- مسند البزار ٥: ٣٠٨، مسند الحارث ٢: ٨٨٤، مجمع الزوائد ٨: ٥٩٤، وقال: (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح)، الجامع الصغير ١: ٥٨٢، فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٣: ٥٣٢ وقال: (وظاهر صنيع المؤلف أنّه لم يره موصولاً، وهو ذلول، فقد رواه البزار من حديث ابن مسعود. قال الهيثمي : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح)، فضل الصلاة على النبي | : ٣٧، الطبقات الكبرى ٢: ١٩٤، كشف الأستار ١: ٣٩٧، البداية والنهاية ٥: ٢٧٥، سيرة ابن كثير ٤: ٥٤٣، كشف الخفاء ومزيل الإلتباس ١: ٣٦٨، سبل الهدى والرشاد ١٢ : ٢٧١، شرح العقيدة الطحاوية للسقاف: ٤٢٦.

الأدلة عليها، وإنما منعوا من جواز طلبها منه | في الدنيا، وإن كانت ثابتة له، وقد أعطاه الله الشفاعة، وهو الشفيح المشفع، وجعلوه شركاً وكفراً.
ومرجع شبهتهم في ذلك على ما يستفاد من مجموع كلماتهم التي سمعتها إلى أن طلب الشفاعة من النبي | عبادة له، وكل عبادة لغير الله شرك .
أما الثاني فلوجوب توحيد الله في العبادة كما يجب توحيد الخالق في الراقية .

وأما الأول فلائ شرك الكفار الذين بعث إليهم رسول الله | كان بطلبهم الشفاعة من الأصنام بدليل قوله تعالى: { وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا }^(١) ، { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا }^(٢) ولأنهم لا ينكرون توحيد الخالق والراقية، لكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله، يقولون : نريد منهم التقرب إلى الله وشفاعتهم عنده .

ولم يفرق النبي | بين من كان يدعو الملائكة ليشفعوا له، أو رجلاً صالحاً كاللوات، أو نبياً كعيسى ، أو يدعو غيرهم ، فقاتل الكل ، فهذا دليل على أن التشفع بالنبي أو صالح شرك كالتشفع بغيره .

ويدل أيضاً على عدم جواز طلب الشفاعة من غير الله قوله تعالى: { لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً }^(٣) ، { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ }^(٤) وإذا كانت

١- سورة الزمر: ٣.

٢- سورة يونس: ١٨.

٣- سورة الزمر: ٤٤.

٤- سورة البقرة: ٢٥٥.

الشفاعة كُلُّها لله لم يجز طلبها من غيره، وقوله تعالى: {فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} ^(١). وطلب الشفاعة من النبي | دعاء له ، فيكون منهياً عنه، مع كون الدعاء عبادة بنص الكتاب والسنة، بل مخها كما يأتي.

وإذا كان طلب الشفاعة دعاء ، والدعاء عبادة، كان شركاً، فالجمع بين ثبوت الشفاعة له | وعدم جواز طلبها منه أن يقول : المستشفع به | : اللهم شفعني فيّ، أو لا تحرمني شفاعته، أو ارزقني شفاعته أو نحو ذلك ، وهذا معنى قولهم: (فالشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا إلا من الله) .

ويفهم ممّا مر عن الرسالة الأولى من الهدية السنية الاحتجاج لذلك بأن طلب الشفاعة من غير الله في الدنيا منافٍ لكونه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه وإلا لمن إرتضى ^(٢).

والجواب عن شبهتهم هذه: إنّها شبهة سخيّة ، فطلب الشفاعة ليس عبادة للمطلوب منه. وشرك أهل الجاهلية الذي أحلّ دماءهم وأموالهم لم يكن سببه اتخاذهم الشفعاء كما زعموا، وليس في الآيتين المستشهد بهما أنّ الموجب لشركهم هو تشفعهم، ولا أنّ عبادتهم لهم هي تشفعهم بهم، بل الآيتان صريحتان في أنّ عبادتهم لهم كانت غير التشفع ، فإنّه جعل في الآية الأولى العبادة علّة التقريب الذي هو الشفاعة، والعلّة غير المعلول ببديهة العقول، وعطف في الآية الثانية قول: {هُؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا} على قوله: {وَيَعْبُدُونَ}، والعطف يقتضي تغاير المعطوف والمعطوف عليه كما قرر في علم العربية ، مع أنّ عبادتهم لهم بغير التشفع من السجود والإهلال بأسمائها وغير ذلك مشاهدة

١- سورة الجن: ١٨.

٢- تقدّم تخريجه.

معلومة كما ذكرناه مراراً، وقد ذكرنا مراراً أن قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ} (١) الآية، {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} (٢) صريح في أن عبادتهم لها كانت مع الإعراض عن الله والمخالفة لأمره، وقوله: {مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ} (٣) إشارة إلى أنهم عبدوا أحجاراً وأشجاراً هي من الجمادات ، وطلبوا منها النصر والشفاعة، ولم يجعل الله لها ذلك، ولو كانت على صور قوم صالحين ، فلا يقاس بها من جعله الله شافعاً وقادراً على الشفاعة ، ولا من تشفع به بمن تشفع بها.

ويجب على قياس قولهم بمنع: يا رسول الله أشفع لي، بل يقول : اللهم شفعه فيّ أو أرزقني شفاعته أن يمنعوا يا فلان أدع لي، بل يقول : اللهم أجب دعاءه فيّ أو أرزقني دعاءه لي ، مع اعترافهم بجوازه . ومنعه يشبه الأكل من القفا ، أي إيصال اللقمة إلى الفم من وراء الرقبة.

أمّا جعل طلب الشفاعة منافياً لكونه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه فستعرف فساده عند رد هذا الكلام.

وقد ظهر من ذلك فساد قول ابن عبد الوهاب: (إنّ طلب الشفاعة من الصالحين هو بيعه قول الكفار: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا}، {هُوَ لَاءِ شُفَعَاؤُنَا} (٤)، لما عرفت من صراحة الآيتين في مغايرة العبادة لطلب الشفاعة . وبطلان ما يفهم من قوله: إنّهم يقولون : (ما دعونا الأصنام وتوجهنا إليهم إلا لطلب القرب والشفاعة)، وقوله: (لكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط

١- سورة العنكبوت : ٤١.

٢- سورة يونس: ١٨ .

٣- سورة يونس: ١٨.

٤- تقدّم تخريجه.

بينهم وبين الله يقولون : نريد منه القرب إلى الله وشفاعتهم عنده) الدال على أنّ سبب الشرك طلب الشفاعة، لما عرفت من صراحة القرآن ودلالة الوجدان على خلافة.

وبطلان قوله: (ومنهم من يدعو الملائكة ليشفعوا له، أو صالحاً كاللات ، أو نبياً كعيسى)، وقوله: (ومنهم من يدعو الصالحين والأولياء) لما عرفت في الباب الثاني من أنّ دعاء الملائكة لم يكن بطلب شفاعتهم ، بل عبادتهم بغير ذلك.

وقول : إنّهم بنات الله ودعاء اللات لم يكن بالتشفع به، لأنّه رجل صالح، بل بعبادة حجر على صورته الموهومة بالسجود وغيره، والتشفع بذلك الحجر الذي لم يجعل الله له شفاعة، ولو كان على صورة صالح مزعومة. ودعاء عيسى عليه السلام لم يكن مجرد التشفع به، بل اعتقاد أنّه هو الله الخالق الرازق بأحد الوجوه التي سبق بيانها.

وأي جهل أعظم من جعل الإشراف بعيسى مجرد التشفع به، وهل يمكن صدوره من عاقل فضلاً عن عالم؟!

وقوله : (إنّ قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء يريدون شفاعتهم هو الذي أحلّ دماءهم وأموالهم)، قد عرفت أنّه كذب وافتراء، وأنّ الذي أحلّ ذلك تكذيبهم للرسول ، وإنكارهم للشرائع، وعبادتهم للأوثان بغير مجرد التشفع، وكذلك جعله طلب الشفاعة مثل شرك جاهلية العرب، وأنّ الذين قاتلهم | إنّما أرادوا الجاه والشفاعة.

ومما يدل على أنّ عبادتهم كانت غير طلب الشفاعة ما حكاه الوهابية أنفسهم في الرسالة الثالثة من الهدية السنية عن الإمام البكري عند قوله تعالى:

{قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} ^(١) من قوله : (فإن قلت: إذا أقرؤا بذلك فكيف عبدوا الأصنام ؟

قلت: كانوا كلهم يعتقدون بعبادتهم الأصنام عبادة الله والتقرب إليه، لكن بطرق مختلفة ، ففرقة قالت: ليس لنا أهلية عبادة الله تعالى بلا واسطة لعظمته، فعبدناها لتقربنا إليه زلفى، وفرقة قالت: الملائكة ذو وجاهة ومنزلة عند الله فاتخذنا أصناماً على هيئتها لتقربنا إلى الله زلفى، وفرقة قالت : جعلنا الأصنام قبلة لنا في العبادة ، كما أنّ الكعبة قبلة في عبادته . وفرقة اعتقدت أنّ لكلّ ملك - كذا - شيطاناً موثقاً بأمر الله ، فمن عبد الصنم حقّ عبادته، قضى الشيطان حوائجه بأمر الله وإلا أصابه الشيطان بنكبة بأمر الله تعالى) ^(٢) انتهى.

والعجب أنّ المستشهد بهذا الكلام من الوهابية قال بعد نقله : (فانظر إلى كلام هؤلاء الأئمة وتصريحهم بأنّ المشركين ما أرادوا ممّن عبدوا إلا التقرب إلى الله ، وطلب شفاعتهم عنده) ^(٣)، ولم يدر أنّ عبادة غير الله لا يحتاج التكفير بها إلى الاستشهاد بكلام أحدٍ، سواء كانت بقصد التقرب إلى الله وطلب شفاعتهم ، أو بدون ذلك ، ولكن الذي ينفع إثبات أنّ طلب الشفاعة عبادة، أو أنّ ما يفعله المسلمون هو عين ما كان يفعله عبدة الأصنام .

والكلام الذي استشهد به صريح بخلافه ، فليس في المسلمين من يعتقد بوحدة ممّا كانت تعتقده تلك الفرق .

١- سورة يونس : ٣١.

٢- الرسالة الثالثة من رسائل الهدية السنية المسماة بالفواكه العذاب في الردّ على من لم يحكم السنة والكتاب : ٧٤ - ٧٥.

٣- المصدر السابق: ٧٥.

هذا في رد زعمهم أن طلب الشفاعة عبادة.

وأما استدلال ابن عبد الوهاب على عدم جواز طلب الشفاعة من غير الله بآية: {لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا} (١) وآية {فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} (٢) فاستدلال فاسد، أما آية {لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا} فليس معناها أن الله وحده هو الذي يشفع وغيره

لا يشفع؛ لأنه تعالى لا يشفع عند أحد، وثبت أن الأنبياء والصالحين والملائكة يشفعون عنده، وليس معناها أنه لا يجوز طلب الشفاعة ممن جعله الله شافعاً، بل معناها - والله العالم - أن الله مالك أمرها، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} (٣)، ولا يشفع إلا لمن ارتضاه الله: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى}، (٤) وصدر الآية هكذا: {أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ} * قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا}، (٥) فهو في مقام الرد على الذين اتخذوا الأصنام والأحجار شفعاء إلى الله تعالى وقالوا: {هُؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ}، مع أنهم لا يملكون شيئاً، فكيف يملكون الشفاعة ولا عقل لهم حتى يشفعوا؟!

وفي الكشف: ({مِنْ دُونِ اللَّهِ}: من دون إذنه، {قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا} أي هو مالِكها، فلا يستطيع أحد شفاعة إلا بشرطين: أن يكون المشفوع له

١- سورة الزمر: ٤٤.

٢- سورة الجن: ١٨.

٣- سورة البقرة: ٢٥٥.

٤- سورة الأنبياء: ٨٨.

٥- سورة الزمر: ٤٣ - ٤٤.

مُرتضى، وأن يكون الشفيع مأذوناً له، وها هنا الشرطان مفقودان جميعاً^(١)، وحكى الطبري عن مجاهد : ({لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً})، أي لا يشفع أحد إلا بإذنه^(٢).

فحمل ابن عبد الوهاب وأتباعه له على أن معناه طلب الشفاعة من الله وحده، وعدم طلبها من المخلوق وإن كان له أن يشفع ، حمل مستهجن مستقبح ، لا يساعد عليه اللفظ ولا فهم أهل العرف ، ولم يذكره أحد من المفسرين ، ولا تقتضيه الحكمة ، ولا يخرج عن التمثل والتحكم والعبث ، فكأن الله تعالى يقول: اطلبوا من الناس كُلَّ ما يقدرُونَ عليه، واطلبوا منهم الدعاء لكم الذي لا يخرج عن الشفاعة بل هي نفسه ، ولكن لا يجوز لكم ومحذور ومحجور عليكم أن تطلبوا من النبي | أن يشفع لكم في الدنيا أو في الآخرة ، ويدعو الله لكم ، وإن كانت له الشفاعة وقد أعطاه الله إيّاها ، وهو الشفيع المشفع ، وإذا طلبتموها منه فقد كفرتم وأشركتم !! فانظر أيّها المنصف هل يحسن أن يصدر ذلك من عاقل؟ وهل يصدر إلا من سفيه جاهل؟! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وأما آية : {فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ} ^(٣) فستعرف في فصل الدعاء أنها أجنبية عن المقام، مع أنه لو صح الاستدلال بها على عدم جواز طلب الشفاعة من العبد لصح الاستدلال بها على عدم جواز طلب الدعاء منه؛ لأنّ كلاهما دعاء

١- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ٣: ٤٠٠، ونحوه في جوامع الجامع ٣: ٢٢١.

٢- جامع البيان ٢٤: ١٤، تفسير الواحدي ٢: ٩٣٥، تفسير السمعاني ٤: ٤٧١، تفسير البغوي ٤: ٨١، زاد المسير ٧: ٢٠، التسهيل لعلوم التنزيل ٣: ١٩٦، الدر المنثور ٥: ٣٢٩، تفسير أبي السعود ٧: ٢٥٧، فتح القدير للشوكاني ٤: ٤٦٧.

٣- سورة الجن: ١٨ .

لغير الله ، يشمل قوله تعالى : {فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} ^(١)، فأني فارق بين قول:
يا فلان إشفع لي ، ويا فلان أدع لي؟!
وطلب الدعاء من الغير لا ينكره الوهابية ولا قدوتهم ابن تيمية إذا كان من
الحي كما ستعرف مع شمول الآية له.
وجاء في أحاديث كثيرة: «صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي» ^(٢) وسيأتي
حديث: «صَلُّوا عَلَيَّ ثُمَّ اسْأَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ ، فَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ
حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ^(٣).
والصلاة منا الدعاء ومنه تعالى الرحمة ورفع الدرجة، فقد طلب منا |

١- سورة الجن : ١٨.

٢- الحديث : >وحيثما كنتم فصلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي> وهو في مسند أحمد ٢: ٣٦٧، سنن
أبي داود ١: ٤٥٣، مجمع الزوائد ١٠: ١٦٢، فتح الباري ٦: ٣٥٢، المصنّف للصنعاني ٣: ٧١،
المصنّف لابن أبي شيبة ٢: ٢٦٨، فضل الصلاة على النبي ﷺ : ٣٩، الذرية الطاهرة النبوية: ١٠٨،
المعجم الأوسط ١: ١١٧، المعجم الكبير ٣: ٨٢، رياض الصالحين : ٥٥٦، الجامع الصغير ١: ٥٨٢،
كشف الخفاء ٢: ٢٥، تفسير ابن كثير ٣: ٥٢٢، معرفة الثقات ١: ٣٠٣، ذيل تاريخ بغداد ١: ١٢٥،
سير

أعلام النبلاء ٤: ٤٨٤، لسان الميزان ٢: ١٠٧، تاريخ الإسلام ٦: ٣٢٩، الشفا بتعريف حقوق
المصطفى ٢: ٧٩.

٣- مسند أحمد ٢: ١٦٨؛ صحيح مسلم ٢: ٤، سنن أبي داود ١: ١٢٨، سنن الترمذي ٥: ٢٤٧ وحسنه،
سنن النسائي ٢: ٢٥، السنن الكبرى للبيهقي ١: ٤١٠، شرح مسلم للنووي ٤: ٨٥، عمدة القارئ
للعيبي ٥: ١٢٢، المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٤٤٢، مسند ابن راهوية ١: ٣١٥، منتخب مسند ابن عبد
حميد: ١٣٩، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث : ٣١٨، فضل الصلاة على
النبي ﷺ : ٤٧، السنن الكبرى للنسائي ١: ٥١٠، صحيح ابن خزيمة ١: ٢١٩، شرح معاني
الآثار: ١٤٣، صحيح ابن حبان ٤: ٥٨٨، المعجم الأوسط ٩: ١٣٣، الجامع الصغير ١: ١٠٨، إرواء
الغليل ١: ٢٥٩.

أن ندعوا له برفع الدرجة وإعطاء الوسيلة ، وهو كطلبنا منه الشفاعة بأن يدعوا الله أن يغفر ذنوبنا ويدخلنا جنته ، فكيف صار طلبه منّا توحيداً ، وطلبنا منه شركاً ، ونحن أحوج إلى شفاعته ودعائه منه إلى دعائنا فأبي فارق بينهما لولا الجمود وقلة الإنصاف؟!

أمّا جعل الصنعاني من جملة عبادة المشركين الأصنام اعتقادهم أنّها تشفع عند الله ، ومن جملة عبادة الأنبياء والصالحين اعتقاد ذلك والتشفع بهم ففاسد ، لأنّ اعتقاد المشركين في الأصنام أنّها تشفع وطلبهم منها الشفاعة خطأ وغلط ، إذ لم يجعل الله لها شفاعاة ، سواء كانت على صورة صالح أو غيره ، فإنّ الشافع هو الصالح لا الحجر الذي على صورته كما عرفت ، بخلاف الاعتقاد بأنّ الأنبياء والصالحين يشفعون ، فإنّه صحيح مطابق للواقع ليس فيه خطأ ولا غلط فضلاً عن كونه عبادة وشركاً ، وكذلك التشفّع بهم .

على أنّ الاعتقاد في حجر أو شجر أنّه يشفع وطلب الشفاعة منه لم يعلم كونه عبادة له ، إنّما هو خطأ وغلط ، والمشركون لم يعلم أنّ هذا سبب في شركهم ؛ لأنّه لم يصدر منهم وحده ، بل صدر معه ما هو كافٍ في الشرك والكفر من إنكار الرسل والشرائع والعبادة للأصنام بغير ما ذكر كما بيّناه غير مرّة .

وتعليل الصنعاني وغيره كون اتّخاذ الشفعاء شركاً بأنّه لا يشفع عنده أحد إلاّ بإذنه فاسد ، فإنّ قوله : { **إِلَّا بِإِذْنِهِ** } مثبت للشفاعة ، فكيف يكون اتّخاذ الشفعاء الذين جعل الله لهم الشفاعة وأذن لهم فيها شركاً؟!

وقوله: (فكيف يثبتون شفعاء لهم لم يأذن الله لهم في شفاعاة ولا هم أهل

لها^(١).

رد عليه: فاتخاذ الشفيع الذي ذمهم الله عليه هو اتخاذ حجر أو شجر أو صورة شفيعاً، مع أن الله لم يجعل لها شفاعاً ولا هي أهل لها، أما الأنبياء الذين أثبت الله لهم الشفاعات التي هي نوع من الدعاء كما عرفت، وجعلهم أهلاً لها كما تواترت به الأخبار، ودل عليه قوله تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} ^(٢)، {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} ^(٣)، {مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ} ^(٤)، {يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا} ^(٥)، {وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} ^(٦)، {لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا} ^(٧) قال البيضاوي: (عهداً من الإيمان والعمل الصالح أو إذناً فيها) ^(٨) انتهى.

{لَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} ^(٩) في تفسير البيضاوي: ({إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ} بالتوحيد، والاستثناء متصل إن أريد بالموصول كلّ ما عبد من دون الله، لاندرج

١- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد: ٥٠٢-٥٠٣ المطبوع ضمن الجامع الفريد.

٢- سورة الأنبياء: ٨٨.

٣- سورة البقرة: ٢٥٥.

٤- سورة يونس: ٣.

٥- سورة طه: ١٠٩.

٦- سورة سبأ: ٢٣.

٧- سورة مريم: ٨٧.

٨- تفسير البيضاوي ٤: ٣٤، والعبارة كالتالي: <إِلَّا مَنْ تَحَلَّى بِمَا يَسْتَعِدُّ بِهِ وَيَسْتَأْهِلُّ أَنْ شَفَعَ لِلْعَصَاةِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ عَلَى مَا وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى، أَوْ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ مِنَ اللَّهِ إِذْنًا فِيهَا>.

٩- سورة الزخرف: ٨٦.

الملائكة والمسيح فيه، ومنفصل إن خص بالأصنام^(١) انتهى.

فهذه الآيات مثبتة للشفاعة جزماً مع إذن الله ورضاه ، ولسنا نطلب منهم أن يشفعوا لنا قهراً وحتماً على الله ، ومثبتة لشفاعة من اتخذ عند الرحمن عهداً ومن شهد بالحق ، فلا ذم على طلب الشفاعة منهم ولا شرك فيه .

وظهر من ذلك بطلان قول الصنعاني : (إن الاعتقاد في حي أو ميت أنه يقرب إلى الله أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع والتوسل إليه تعالى شركاً كالاعتقاد في الأوثان)^(٢) وقوله : (بمجرد التشفع) لا يظهر له معنى ولا للتقييد به فائدة ، فإنه إن أراد منه أنه يشفع بغير إذن الله ، ويجبر الله على قبول شفاعته ، فهذا لا يعتقده مسلم ولا يقول به أحد ، فما فائدة هذا التقييد؟ وكيف رتبوا عليه استحلال دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم ؟

نعم ، لا يبعد أن يكون عبدة الأصنام يعتقدون مثل ذلك في أصنامهم وأوثانهم كما بيناه في غير هذا الموضع .

وإن أراد أنه يشفع بمجرد التشفع ويشفعه الله ، لأن الله أذن له إذناً عاماً في الشفاعة عندما يتشفع به أحد ، ووعدته قبول شفاعته لكل من يشفع به ، فهذا أيضاً لا يعتقده أحد من المسلمين ، وإن كان ممكناً وجائزاً إن دل عليه النقل ، وأنما يقولون : إن الله تعالى جعل النبي | شافعاً ومشفعاً كما دلت عليه

١- تفسير البضاوي ٥: ١٥٥.

٢- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد : ٥٠١ ، المطبوع ضمن الجامع الفريد ، ونص العبارة كالتالي : (قد عرفت من هذا كله أن من اعتقد في شجر أو حجر أو قبر أو ملك أو جني أو حي أو ميت أنه ينفع أو يضر أو أنه يقرب إلى الله ، أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به والتوسل إلى الرب تعالى .. فإنه قد أشرك مع الله غيره ، واعتقد ما لا يحل اعتقاده كما اعتقده المشركون في الأوثان فضلاً عما ينذر).

صاحح أخبارهم ، لكن لا بلا قيد ولا شرط ، فقد يتشفّع به أحد ويشفع له وقد لا يشفع له؛ لأنّه ليس أهلاً للشفاعة ، أو لأنّ الله لم يأذن له أن يشفع فيه، وقد يأذن له في الشفاعة التي هي نوع من الدعاء رجاء أن يشفع فيشفّعه الله، وليس ذلك حتمياً ولا قطعياً ، فجعل ذلك كالاعتقاد في الأوثان التي ثبت بصريح العقل ونصّ الشرع عدم قدرتها على الشفاعة والدعاء، وعدم جواز طلبها منها خطأ واضح ، فما فائدة هذا التقييد ؟ أمثل هذا تستحل دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم {سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ}؟.

ومما ذكرنا يعلم أنّ قولهم في الكتاب الى شيخ الركب المغربي بعد ذكر آية: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} ^(١) الآية : (فأخبر أنّه من جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة فقد عبدهم وأشرك بهم)، ^(٢) تقول على الله وافترأ عليه، فالله تعالى في هذه الآية أثبت لهم شيئين: عبادتهم الأصنام ، وقولهم هؤلاء شفعاؤنا، وأخبر أنّهم أشركوا ولم يخبر أنّ عبادتهم هي طلب الشفاعة، ولا أنّ طلبها هو الشرك ، بل أخبر بأنّ عبادتهم الأصنام غير قولهم ذلك، لاقتضاء العطف المغايرة كما مر، وقد أبطلوا في كتابهم المذكور احتجاجهم بآية: {قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً} ^(٣) بذكرهم معها الآيات الأخر تفسيراً لها وهي: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} ^(٤)، { لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا }، ^(٥) فبيّن أنّ معنى كون الشفاعة كلّها لله أنّها لا

١- سورة يونس: ١٨، وسورة النحل: ٧٣، وسورة الحج: ٧١، وسورة الفرقان: ٥٥.

٢- عجائب الآثار في التراجم والآثار المعروف بتاريخ الجبرتي ٢: ٥٩٠.

٣- سورة الزمر: ٤٤.

٤- سورة البقرة: ٢٥٥.

٥- سورة طه: ١٠٩.

تكون إلا بإذنه ، وليس لأحد أن يشفع قهراً عنه، وبدون رضاه، ويلجئه إلى قبولها حياءً أو خوفاً أو غير ذلك كما يقع بين المخلوقين ، لا أن معناها عدم جواز طلب الشفاعة ممن له الشفاعة.

أما ذكرهم في جملة الآيات المستدل بها على إبطال طلب الشفاعة من غير الله آية: {فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ} ^(١) فغريب، لأن هذه الآية لا ربط لها بطلب الشفاعة، وإنما تدل على عدم قبول عذر أو توبة بعد الموت من الظالمين ، ولكن هؤلاء يظنون أن تكثيرهم لسرد الآيات يدل على أنهم شديداً التمسك بالقرآن.

أما قولهم : « وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد » ^(٢) بعد ذكر آية : { يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا } ^(٣) فنعم هو والله لا يرضى بنسبة الشرك إلى أهل التوحيد لطلبهم الشفاعة ممن جعل الله له الشفاعة،

ولا ينفع الناسبين تسمية أنفسهم بالموحدين .

أما قولهم : (فالشفاعة حق، ولا تطلب في دار الدنيا إلا من الله) ^(٤). فإذا كانت حقاً فما المانع من طلبها؟ أفيجعل الله طلب الحق باطلاً وشركاً! تعالى الله عن ذلك.

فطلب الحق لا يكون إلا حقاً وطلب الباطل لا يكون إلا باطلاً.

١- سورة الروم: ٥٧.

٢- تقدّم تخريجه.

٣- سورة طه: ١٠٩.

٤- تقدم تخريجه.

والتقييد بقولهم: (في دار الدنيا) دالٌّ على جواز طلبها في الآخرة كما يدل عليه حديث: «تشفع الناس بالأنبياء واعتذار كُلِّ منهم ثُمَّ تشفعهم بمحمد |»^(١) الآتي نقله .

وإذا كان طلبها شركاً لم يجز في الدنيا ولا في الآخرة، وهل منع الناس من الشرك في الدنيا وأبيح لهم الشرك في الآخرة؟
قولهم: (فإذا كان الرسول |، وهو سيد الشفعاء، لا يشفع إلا بإذن الله فكيف بغيره)؟!

لا يظهر له معنى ، بل هو تطويل بلا طائل ولا علاقة له بالمقصود، فمن الذي ينكر أن الرسول | لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا إلا بأمر الله ، ولا يشفع إلا بإذن الله فضلاً عن غيره؟! فهذا ليس محل نزاع بيننا وبينهم إنما النزاع في أن طلب الشفاعة من الرسول | الذي جعل الله له الشفاعة من بعد إذنه وتفضله ، وهدايته وتعليمه له كيفية الشفاعة ، وتحديد له حداً، هل يكون طلبنا الشفاعة منه التي جعلها الله له وأذن له فيها شركاً وكفراً ومعصية أو لا؟ فهل إذا انتفت الشفاعة إلا بإذن الله يكون طلبها شركاً وكفراً؟ وما وجه الملازمة؟

ومن الذي يقول: إنه | يشفع قهراً على الله، ولكن كُلَّ ما يذكره سلفهم لا بدّ أن يذكره خلفهم ولو لغير فائدة^(٢)!!

فانظر رعاك الله بعين البصيرة والإنصاف إلى هذه الاستدلالات الواهية التي بها استحلّوا دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم ، هل يسوغ التمسك بها والتهجم على الدماء والأموال والأعراض بمثلها؟!

١- تقدم تخريجه.

٢- تقدم تخريجه.

قولهم: (وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من العلماء المسلمين، وأجمع عليه السلف الصالح من الأصحاب والتابعين والأئمة والأربعة وأتباعهم).

فياليت شعري من هو الذي قال وأفتى من علماء المسلمين بأنّ طلب الشفاعة من رسول الله | كفر وشرك؟ ومتى أجمع على ذلك علماء المسلمين؟ وفي أي عصر من الأعصار وقع ذلك؟ وفي أي كتاب وجدوه منقولاً؟

وهل أحد عنون هذه المسائل قبل الوهابيين وابن تيمية حتّى يدعى فيها الإجماع أو عدم الخلاف؟ ومن هو الذي أفتى بها من الأصحاب أو التابعين؟ ومن الذي أفتى بها من الأئمة والأربعة؟ وأين موضعها من كتب الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة غير الوهابية ليدلونا على مكانها إن كانوا صادقين؟

وكيف خالف أتباع الأئمة الأربعة أئمتهم فيها واتّبعهم الوهابية خاصة؟!

والدّعاوى ما لم تُقيموا عليها بَيِّنَاتٍ أبناؤها أَدْعَاءٌ^(١)

فدعواهم هذه افتراء منهم على علماء المسلمين وعلى الأصحاب والتابعين وعلى الأئمة الأربعة وأتباعهم، بل الإجماع حاصل من الأنبياء والمرسلين ومن الصحابة والتابعين على خلاف ما يقوله الوهابية، فقد تشفّع وتوسل آدم ﷺ برسول الله | قبل خلقه، وتشفّع وتوسل رسول الله | بمن قبله من الأنبياء، وتشفّع الأصحاب بالنبي | وبفتح كوة بين قبره وبين السماء، وتشفّع عمر بالعبّاس كما سيأتي ذلك كلّهُ في الفصل الثالث في التوسل، ويأتي

في هذا الفصل أنّه | أقرّ الأعرابي على قوله : « إِنَّا نَسْتَشْفَعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ »،^(١)
وفي الفصل الثاني: « أَنَّهُمْ طَلَبُوا مِنَ النَّبِيِّ | بَعْدَ مَوْتِهِ أَنْ يَسْتَسْقِيَ لَهُمْ
فَسَقُوا »^(٢).

ومما تقدم تعلم فساد كلام صاحب الرسالة الثانية من الهدية السنية، حيث
أثبت الشفاعة للنبي | يوم القيامة ولسائر الأنبياء والملائكة والأولياء
والأطفال ومنع من طلبها منهم، وقال: إِنِّهَا تُطْلَبُ مِنَ اللَّهِ، فقد بَانَ لَكَ أَنَّهُ لَا مَانِعَ
مِنْ طَلْبِهَا مِنْهُمْ بَعْدَ أَنْ ثَبِتَ لَهُمُ الشَّفَاعَةُ، وَأَنَّ مَنَعَ طَلْبِهَا مِنْهُمْ جَهْلٌ وَغِبَاوَةٌ أَوْ
عِنَادٌ وَمُكَابَرَةٌ .

أمّا تعليقه كون طلب ذلك في البرزخ شركاً بأنّه لم يرد به نص من كتاب
أو سنة أو أثر من السلف الصالح فغريب ؛ لأنّ عدم ورود النص والأثر من
السلف لا يستلزم كونه شركاً بشيء من الوجوه، بل لا يستلزم تحريمه فضلاً
عن كونه شركاً، لما عرفت في المقدمات من أصالة الإباحة فيما لا نص فيه .
قوله: (بل ورد الكتاب والسنة وإجماع السلف أنّه شرك أكبر قاتل عليه
رسول الله |)^(٣)، إفتراء على الكتاب والسنة والسلف ، لما عرفت مفصلاً
من ورودها كلّها بخلاف ما قالوه، وأنّه | لم يقاتل أحداً على الاستشفاع
بمن له الشفاعة.

١- سنن أبي داود ٢: ٤١٨، كتاب السنة لابن أبي عاصم : ٢٥٢، كتاب العرش: ٥٧، المعجم
الكبير ٢: ١٢٩، التمهيد لابن عبد البر ٧: ١٤١، دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه : ٢٢٦، تفسير ابن أبي
حاتم ٨ : ٢٥١٥، روح المعاني ٦: ١٢٦، تهذيب الكمال ٤: ٥٠٥، البداية والنهاية ١: ١١، شرح
العقيدة الطحاوية : ٣١٧، شفاء السقام: ٣٠٦.

٢- تقدم تخريجه .

٣- تقدم تخريجه .

وكذا كلام صاحب الرسالة الأولى منها يظهر فساد مِمَّا مر، فإنه اعترف بأن الشفاعة حق في الآخرة، وأنه يجب على كُلِّ مسلم الإيمان بها وشفاعة سائر الشفعاء، فمَنع طلبها بعد الاعتراف بها تمحل وعناد. وما لفقهِ للمنع من طلبها لا يخرج عن العناد كقوله: (إنَّ لها أنواعاً مذكورة في محلِّها، وأنَّها ثابتة بالوصف وهو: من مات لا يشرك بالله شيئاً لا بالشخص، عدا الشفاعة العظمى فإنَّها لأهل الموقف عامّة)،^(١) وتفريعة على ثبوتها بالوصف لزوم طلبها من الله بأنَّ يشفع فيه نبيّه، فإنَّ ذلك كلّ تمحل في تمحل، فما هي تلك الأنواع التي يدعيها، والحال أنَّ الشفاعة مرجوة لكلِّ مذنّب لم يشرك بالله كما دل عليه حديث أبي هريرة الذي ذكره تصديقاً لقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ} ^(٢)، وقد جاء عنه | : «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»^(٣)!

١- الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنوية لعبد العزيز بن محمّد بن سعود: ١٣، مع تقديم وتأخير وتلخيص للعبارة.

٢- سورة النساء: ٤٨.

٣- مسند أحمد ٣: ٢١٣، سنن أبي داود ٢: ٤٢١، سنن الترمذي ٤: ٤٥ وصححه، المستدرک للحاكم ١: ٦٩، السنن الكبرى للبيهقي ٨: ١٧، مجمع الزوائد ٧: ٥ وقال: (رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير حرب بن سريح، وهو ثقة)، فتح الباري ١١: ٣٧٠، مسند أبي داود الطيالسي: ٢٣٣، تأويل مختلف الحديث: ١٢، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث: ٣٣٨، كتاب السنة: ← ٢٨٤ وصحّحه محقق الكتاب الشيخ الألباني، مسند أبي يعلى الموصلي ٦: ٤٠، صحيح ابن حبان ١٤: ٣٨٦، المعجم الأوسط ٤: ٤٣، المعجم الصغير ١: ١٦٠، المعجم الكبير ١: ٢٥٨، مسند الشهاب ١: ١٦٦، الاستذكار لابن عبد البر ٢: ٥٢١، موارد الضمآن ٨: ٢٩٩، الجامع الصغير ٢: ٧٩، كنز العمال ١٤: ٣٩٨، نظم المتناثر من الحديث المتواتر: ٢٣٤، التاريخ الكبير ٢: ١٢٦، تاريخ بغداد ١: ٤١٣، ميزان الاعتدال ١: ٤٦٩، الكشف الحثيث: ١٣٦، لسان الميزان ١: ٤٤٩.

وثبوتها بالوصف لا بالشخص لا يظهر له معنى محصل ، وكأنه يريد به أن
من ثبت له معلوم بالوصف لا بالشخص وهو زيد أو عمر مثلاً ، لجواز أن
لا يموت على التوحيد ، فكيف يطلب الشفاعة!

ولا يخفى ما في ذلك من التمحل والتعسف، فإذا كانت الشفاعة ثابتة
بصفة عدم الشرك حال الموت فكلّ موحد يرجو ثبوتها، ولا يقتضي كون
طلبها شركاً وكفراً، ولا يلزم على من طلب شيئاً أن يكون عالماً بحصوله
وبتحقيق شروطه، وهل هذا إلا مكابرة وتضييق فيما وسع الله فيه؟!

وقوله: (إنّها ثابتة بالوصف لا بالشخص ما عدا الشفاعة العظمى، فإنّها لأهل
الموقف عامة) أيضاً لا يظهر له معنى محصل، فإن أراد أن هناك شفاعتين؛
عظمى لأهل الموقف عامة، مشركهم وموحدهم وغيرها لخصوص
الموحدين، نافي قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ}،^(١) وقوله:
{لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى}^(٢)، فإذا كان الله لا يغفر للمشرك ولا يرتضيه

فما معنى هذه الشفاعة وما فائدتها؟!

قوله: (وليس منها ما يقصدون)^(٣).

إذا كانت لأهل الموقف عامة فما وجه خروج ما يقصدون عنها؟!

وإذا كانت لمن مات غير مشرك فالمتشفع يرجو أن يكون كذلك.

قوله: (فالمتعين على كلّ مسلم صرف همته إلى ربّه - إلى قوله - طالباً لها

١- سورة النساء : ٤٨.

٢- سورة الأنبياء: ٨٨.

٣- الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنينة لعبد العزيز بن محمّد بن سعود: ١٣.

من النبي أو غيره^(١).

هذا تمويه وتضليل، فالمتشفع بمن جعله الله شافعاً لم يصرف همّته إلا إلى ربّه ، ولم يقبل إلا إليه، ولم يتكل إلا عليه ولم يفعل شيئاً ينافي القيام بحقّ العبودية له، بل ذلك من تمام القيام بحقّها، لأنّه عن أمر الله الذي جعله شافعاً ، فنحن لم نطلب منه إلا ما جعله الله له وما جعله له إلا ليطلب منه، كما كان طلب الدعاء من الغير كذلك، مع عدم الفرق بينهما، فنسبة المسلمين إلى أنّهم بطلبهم الشفاعة من النبي | أهملوا ذلك والتجأوا إلى غير الله، مقبلين على شفاعة، متوكلين عليها، افتراءً عليهم.

وكيف يتصور عاقل أنّ طلب الشفاعة إلى الله في غفران الذنب ونيل الخير منه تعالى ممن جعل الله له الشفاعة هو إعراض عن الله والتجاء إلى غيره، وتوكل على غيره؟!

وكيف لم يكن طلب الدعاء من الغير كذلك؟
وطلب الشفاعة لا يخرج عن طلب الدعاء، والكُلّ من الله وإلى الله وفي الله.

قوله : (فإنّ هذا بعينه فعل المشركين واعتقادهم)^(٢).
قد عرفت بما كررناه مراراً أنّه لا مساس لذلك بفعل المشركين ولا باعتقادهم، فإنّهم كذبوا الرسل، وعبدوا الأصنام ، وعظّموا من لا يستحق التعظيم من تمثال وشجر ونحوه .

قوله : (ولا نشأت فتنة في الوجود إلاّ بهذا الاعتقاد) .
لا يجوز دخول لا النافية على الماضي إلاّ مكررة أو مسبوقة بنفي، واعتقاد

١- الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنّية لعبد العزيز بن محمّد بن سعود: ١٣ - ١٤ .

٢- المصدر السابق : ١٤ .

أَنَّ النبي | شافع مشفع، وصاحب الوسيلة عند الله، وأنه يستغفر للمذنبين من أمته بعد وفاته كما أخبر عن نفسه،^(١) وأنه مجاب الدعوة وأنّ دعاءه لنا أرجى في الإجابة من دعائنا لأنفسنا، هو عين الحق والصواب، فجعله سبباً لكل فتنة نشأت في الوجود ضلال وخذلان نعوذ بالله منه.

نعم، إنّ اعتقاد الوهابيين أنّ ذلك كفر وشرك واستحلالهم به الدماء والأموال كان سبباً لكل فتنة في الوجود، بغزوهم بلاد الإسلام، وإراقتهم الدماء، ونهبهم الأموال، وتفريق كلمة المسلمين، وكسر شوكتهم، وزيادتهم ضعفاً إلى ضعفهم، فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

قوله: (ولهذا حسم جلّ وعلا مادة الشفاعة عن كلّ أحدٍ بغير إذن الإله)^(٢). لا يتوهم عاقل ولا جاهل أنّ الشفاعة تكون بغير إذن الله وقهراً عليه، فالتعبير بقوله: (حسم مادة الشفاعة بغير إذنه) لا مناسبة له ولا محل، فحسم المادة يكون بنفي كلّ شفاعة، والله تعالى بآية: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} ^(٣) قد أثبت الشفاعة بإذنه ونفاها بغير إذنه، فلم يحسم مادتها.

وما وجه الربط بين هذه العلة والمعلول، فإذا كان الله تعالى قد نفى الشفاعة بغير إذنه أو حسم مادتها بغير إذنه كما يقول هذا الوهابي، فهل يلزم أن يكون

١- كما أخبر في حديثه ﷺ: <حياتي خير لكم؛ تحدثون وتحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض عليّ أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت لكم>، وهو في:

مسند

البزار ٥: ٣٠٨، مجمع الزوائد ٨: ٥٩٤ وقال: (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح)، أهوال القبور ١: ١٥٠، البداية والنهاية ٥: ٢٧٥، سيرة ابن كثير ٤: ٥٤٣، تفسير روح المعاني ١٤: ٢١٣.

٢- الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنينة لعبد العزيز بن محمد بن سعود: ١٤.

٣- سورة البقرة: ٢٥٥.

طالب الشفاعة من النبي | الذي جعل الله له الشفاعة، وأذن له فيها كافراً ومشرکاً؟!!

وهل طالب الشفاعة من النبي | يقول له: إشفع لي قهراً على الله رضي أم أبى، أذن أم لم يأذن بالدبوس كدين الوهابية؟! كلا فانظر رعاك الله إلى هذه التعليقات وإلى هذه النتائج والمقدمات التي استحلّوا بها الدماء والأموال وأعجب ثم أعجب!! قوله: (ولهذا قال عزّ من قائل: { قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً } (١)(٢)). قد عرفت أنّ المراد بها أنّه تعالى مالك أمرها فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه فلا تزيد عن الآية الأولى.

أمّا قوله تعالى: { وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ } (٣) إلخ فالمراد بشفعائهم الأصنام والأحجار التي كانوا يزعمون أنّها شركاء فيهم، ولها نوع اختيار معه تعالى وتصرف في الكون، وهي جماد لا الأنبياء والمرسلين الذين لا يعتقد مسلم فيهم شيئاً من ذلك سوى ما جعله الله لهم من الشفاعة عنده، والمنزلة لديه، فإنّهم حاضرون مع أممهم يشفعون لها ولم يتقطع ما بينهم وبينها، ولا ضلت عنهم، لاسيّما نبينا محمّداً | الذي هو وسيلة الخلق يوم القيامة دون الأنبياء.

قوله: (وطلبها من غير الله في هذه الدار زعم بعدم تعليقها بالإذن) (٤) إلخ.

١- سورة الزمر : ٤٤.

٢- الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنّية لعبد العزيز بن محمّد بن سعود: ١٥.

٣- سورة الأنعام : ٩٤ .

٤- الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنّية لعبد العزيز بن محمّد بن سعود : ١٥.

لا ندري ولا المنجم يدري لماذا كان طلبها في هذه الدار زعماً بعدم تعليقها بإذن الله؟! ولماذا كان تعلقها بإذن الله منافياً لطلبها؟ وبأي وجه يدل قولنا: يا رسول الله اشفع لي، على إرادة إشفع لي رغماً عن الله، وقهراً عليه، وبدون إذنه؟!

هل إذا طلبنا منه الشفاعة يمتنع ويستحيل ولا يمكن أن يستأذن ويشفع، فيكون طلب الشفاعة منافياً لتعلقها بالإذن؟!

ونفي الولي والشفيع في الآيتين يراد به النفي المقيد الذي هو من دون الله وفي قبالة وبغير أمره وإذنه لا مطلق الشفيع الثابت بالاستثناء في قوله تعالى: {إِلَّا بِإِذْنِهِ}، وبالضرورة من دين الإسلام، ولا مطلق الولي الثابت بقوله تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا} ^(١) وغير ذلك.

قوله : (والعبرة في القرآن بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) ^(٢).

كلام لا يرتبط بالمقصود ولا يثمر غير التطويل بلا طائل، سمعه ولم يعرف موضعه، فسواء كانت الآيتان واردتين في مورد خاص أو لا، لا تدلان على منع طلب الشفاعة ممن جعل الله له الشفاعة كما عرفت.

أما قول ابن عبد الوهاب : (إنَّ الشفاعة شفاعتان منفية ومثبتة) ^(٣) وجعله المنفية ما تطلب من غير الله، واستشهاده على ذلك بآية : {لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ} ^(٤) والمثبتة ما تطلب من الله؛ فهو تخرّص على الغيب، وتفسير للقرآن بالرأي والهوى وبغير الوجه الذي يجب أن يفسّر به، فإنّ قوله

١- سورة المائدة: ٥٥.

٢- الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنينة لعبد العزيز بن محمّد بن سعود: ١٥.

٣- شرح القواعد الأربع: ٢٢.

٤- سورة البقرة: ٢٥٤.

تعالى: {وَلَا شَفَاعَةَ} عام أو مطلق يجب تخصيصه أو تقييده بالآيات الأخر مثل: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} (١)، {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} (٢) لوجوب حمل العام على الخاص والمطلق على المقيد، كما بيّناه في المقدمات، فيحمل قوله: {وَلَا شَفَاعَةَ} على الشفاعة لغير من يرتضي، كالمنكر له تعالى أو المشرك به، أو من يشفع بغير إذنه أو نحو ذلك.

أما حمل قوله تعالى: {وَلَا شَفَاعَةَ} على نفي الشفاعة المطلوبة من غير الله فلا دليل عليه ولا يساعده العرف، مع أنه تعالى أمر بالانفاق من قبل أن يأتي يوم لا شفاعة فيه، والمراد به يوم القيامة، فهو تعالى نفى الشفاعة في يوم القيامة ولم ينف الشفاعة المطلوبة في الدنيا ، ولا يمكن أن يُراد بهذا اللفظ نفي الشفاعة في الدنيا.

وقد ظهر مما مرّ ويأتي في فصل الدعاء فساد قول ابن عبد الوهاب في تعليمه الاحتجاج: «إِنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ الشَّفَاعَةَ وَنَهَاكَ عَنْ هَذَا، أَيَّ أَنْ تَطْلِبَهَا مِنْهُ، وَقَالَ تَعَالَى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}» (٣) (٤)، لما ستعرف من أن الدعاء المنهي عنه في الآية لا يشمل طلب الشفاعة كما لا يشمل طلب الدعاء التي هي نوع منه، ولا يمكن أن يكون شاملاً لذلك ، إذ يكون محصله أن الله تعالى أباح لك أن تطلب من كلِّ أحدٍ ما أعطاه الله إياه إلا الشفاعة ، فحجر عليك طلبها من النبي | ، وإن أعطيتها تحكماً من غير فارق إلا توهم كون طلبها عبادة، وهو توهم سخيف كما عرفت .

١- سورة الأنبياء: ٨٨ .

٢- سورة البقرة: ٥٥ .

٣- سورة الجن: ١٨ .

٤- كشف الشبهات: ٦٩، تحقيق عبد الله القحطاني .

و هذا لا يليق أن يصدر من سفيه فضلاً عن ربّ العزّة جلّ وعلا.
 وظهر أيضاً أنّ قوله في تعليمه الاحتجاج: (الشفاعة أعطيها غير النبي |،
 فصح أنّ الملائكة يشفعون والأفراط يشفعون والأولياء يشفعون.
 فإن قلت: الله أعطاهم الشفاعة وأطلبها منهم؟!

رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكرها الله تعالى في كتابه^(١)، كلام فارغ
 لا يرجع إلى محصل، بل هو افتراء على الله تعالى وعلى كتابه، فمتى ذكر الله
 تعالى في كتابه أنّ طلب الشفاعة من الصالحين عبادة؟! وفي أيّ سورة أم أيّ
 آية ورد هذا؟! أم أي مفسّر ذكر ذلك؟!

غاية ما عند ابن عبد الوهاب أنّ اللات اسم رجل صالح وأنّ المشركين
 كان لهم صنم على صورته وأنّهم قالوا: ما نعبد الأصنام إلّا ليقربونا إلى الله،
 وأنّ الله قال عنهم: {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ
 هُوَ إِلَهُنَا شَفَعَاؤُنَا} (٢).

وقد إتّضح لك أنّ ذلك أبعد مما يرومه ابن عبد الوهاب من السماء عن
 الأرض، لصراحة الآيات كما مرّ في عبادتهم الأصنام، وأنّها غير طلب الشفاعة،
 وأنّهم طلبوا الشفاعة من الصنم الذي هو حجر لا من الصالح الذي ذلك الحجر
 على صورته.

وكون بعض الأصنام المعبودة كانت على صورة موهومة لرجل صالح
 لا يوجب أن يكون الصادر منهم مجرد التشفع برجل صالح، ولا يرتبط به،
 ولا يستلزمه بشيء من وجوه الاستلزام، فجعله طلب الشفاعة من الصالحين
 رجوعاً إلى عبادتهم التي زعم أنّه تعالى ذكرها في كتابه؛ قريب من الهذيان،

١- كشف الشبهات : ٧٠ تحقيق عبد الله القحطاني.

٢- سورة يونس: ١٨.

فالملائكة والأولياء وإن ثبتت لهم الشفاعة كما سبق إلا أنّ من سألهم الشفاعة والاستغفار له لا يكون عابداً لهم، ولا يزيد على من يسأل أخاه الاستغفار له. والذين أشركوا من العرب بعبادتهم الملائكة لم يشركوا بطلبهم منهم الشفاعة، بل اتخذوهم أرباباً وقالوا: إنهم بنات الله كما مر.

ثمّ إنّ ابن عبد الوهاب صرّح فيما يأتي في فصل الدعاء والاستغاثة بأنّ طلب المقدور من غير الله تعالى ليس شركاً ولا محرماً، وإنّما الموجب للشرك أن يطلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله، وحينئذٍ فمنعه من طلب الشفاعة من النبي | مع اعترافه بأنّ له الشفاعة، وأنّه يقدر عليها، ولو بعد الاستئذان من الله تعالى، وأنّه الشفيع المشفع؛ تناقض ظاهر كما سيأتي بيانه.

وما الذي فرّق بين الشفاعة وغيرها حتّى منع الله تعالى من طلب الشفاعة من غيره، وإن كان قادراً عليها، وجوّز طلب الدعاء من المؤمن الذي هو مثلاً وغير ذلك مما يقدر عليه، هل هو إلا نسبة التحكم إلى الله تعالى والبعث؟! تعالى الله عن ذلك.

أمّا كلام ابن تيمية في رسالة زيارة القبور الذي فتح به هذا الباب للوهابية بقوله: (وإن قال: أنا أسأله لكونه أقرب إلى الله منّي، ليشفع لي، وجعله الشفيع والتوسل إلى الله كما يتوسل إلى السلطان بخواصّه من أفعال الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم شفعاء، والمشركين وعبدة الأصنام الذين قالوا: ما نعبدهم إلاّ ليقربونا، واستشهاده على ذلك بآيات الشفاعة، وزعمه أنّه تعالى بين الفرق بينه وبين خلقه)^(١)؛ ففساده أوضح من أن يبيّن بعدما أثبت الله الشفاعة رافة

١- زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ١: ٢١٨ - ٢٠.

بالمذنبين من عبادة، ليتسببوا إلى نيل رضاه وعفوه، وجعلها لمن يكرم عليه من أنبيائه وأوليائه، كما يستشفع ويتوسل إلى السلطان بخواصه ومن يكرم عليه، لكن السلطان يقضي حاجته رغبة أو رهبة أو حياءً أو غير ذلك، والله تعالى يقضي حاجته كرمًا ورحمة ورأفة.

ولا ينافي ذلك كونه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، وأنّ الأمر كُلُّه له، والذين أخبر الله عنهم أنّهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله لم يكن ذلك لأجل طلبهم منهم الشفاعة، بل إنّهم أحلوا لهم حراماً، وحرّموا عليهم حلالاً فاتبعوهم كما جاء في بعض الأخبار، فهو نظير قوله تعالى: {اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ} ^(١)، والذين عبدوا الأصنام وقالوا: هؤلاء شفعاؤنا، تشفعوا بأحجار لا تعقل ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع، فذمهم الله تعالى بقوله: {أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ} ^(٢)، وبين وجه ذمهم بقوله: {أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ} ^(٣)، فجعل الشفيع بأنبياء الله وأوليائه الذين يعقلون ويملكون أمر الشفاعة، حيث إنّهُ تعالى جعل لهم الشفاعة وملكهم أمرها، وأذن لهم فيها كالشفيع بالأصنام التي لا تعقل ولا تملك شفاعة؛ جهل محض.

وما بيّنه ابن تيمية في تفسير: {لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً} ^(٤)، {مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ} ^(٥)، {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} ^(٦) من الفرق بين

١- سورة الفرقان: ٤٣.

٢- سورة الزمر: ٤٣.

٣- سورة الزمر: ٤٣.

٤- سورة الزمر: ٤٤.

٥- سورة السجدة: ٤.

٦- سورة البقرة: ٢٥٥.

الشفاعة عند الله وعند خلقه، يبطل استدلالهم بآية: {لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا} (١) على عدم جواز طلبها من غير الله؛ لأنَّه ذكر في وجه الفرق: أنَّ عادة الناس أن يستشفعوا إلى الكبير بمن يُكرم عليه فيقضي حاجته، رغبة أو رهبة أو حياء أو مودة أو غير ذلك، والله تعالى لا يشفع عنده أحد حتَّى يأذن هو للشافع، فلا يفعل إلا ما شاء الله، وشفاعة الشافع من إذنه، والأمر كلُّه له، فهذا معنى أنَّ الشفاعة كلُّها لله لا أنَّه لا يجوز طلبها من غيره (٢).

هذا مع دلالة جملة من الأخبار على جواز طلب الشفاعة من النبي | وغيره في دار الدنيا، لأُمور الدنيا والآخرة، فعن صحيح مسلم عن عبد الله بن عباس عن النبي | : «ما من رجلٍ ٍ ٍ مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه»، (٣) وعن صحيح مسلم عن عائشة عن النبي | : «ما من ميت يصلي عليه أمة من الناس يبلغون مائة، كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه» (٤).

١- سورة الزمر: ٤٤.

٢- زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ١: ١٩.

٣- صحيح مسلم ٢: ٦٦٥، سنن أبي داود ٢: ٢٢٠، وصححه الشيخ الألباني، سنن الترمذي ٣: ٣٢٦ وحسنه الشيخ الألباني، مسند أحمد ١: ٢٧٧ وحسنه الشيخ الأرئوط، صحيح ابن ٧: ٥، سنن البيهقي ٢: ١٨٠، تعزية المسلم عن أخيه ١: ٣٩، الفتن ١: ٣٣٥، الجوهر النقي ٣: ١٨٠، تخريج أحاديث الأحياء ١: ١٦٥، الجامع الصغير وزياداته ١: ١٠٦٥ وصححه الشيخ الألباني، مشكاة المصابيح ١: ٣٧٤، صحيح الترغيب والترهيب ٣: ٢٠٥ - ٢٠٩، سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥: ٣٣٩، عمدة القارئ ٨: ١١٦، مغني المحتاج ١: ٣٤٠، سبل السلام ١: ٧١، إغاثة اللهفان ١: ٢٠٢ وغيرها من المصادر.

٤- صحيح مسلم ٣: ٥٣، سنن النسائي ٤: ٧٥ وصححه الشيخ الألباني، سنن النسائي ٤: ٧٦ وصححه الشيخ الألباني، مسند أحمد ٦: ٤٠ وصححه الشيخ الأرئوط، المصنّف لابن أبي شيبة ٦: ٤٠، سنن البيهقي ٤: ٣٠، سنن النسائي ١: ٦٤٤، الجامع الصغير وزياداته ١: ١٠٧٣ وصححه ←

وهذان الخبران يدلان على جواز الشفاعة في الدنيا من آحاد المؤمنين، وأنها لا تختص بالآخرة ولا بالأنبياء، فهل إذا أوصى رجل جماعة من أخوانه أربعين أو مائة أن يقوموا على جنازته، ويشفعوا فيه، أو يصلّوا عليه ويشفعوا فيه يكون مشركاً وآثماً ومخطئاً عند محمد بن عبد الوهاب وأتباعه؛ لأنّه طلب منهم الشفاعة وخالف قوله تعالى: {فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} ^(١)، كما يكون طلبها من النبي | كذلك؟! سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم.

وعن الترمذي عن أنس: «سألت النبي | أن يشفع لي يوم القيامة. فقال: أنا فاعل.

قلت: فأين أطلبك؟

قال: أطلبني أول ما تطلبني على الصراط.

قلت: فإن لم ألقك؟

قال: عند الميزان.

قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟

قال: عند الحوض، فإني لا أخطي هذه الثلاثة مواطن» ^(٢).

→ الشيخ الألباني، صحيح الترغيب والترهيب ٣: ٢٠٥، سنن أبي داود ٢: ٧٣، سنن الترمذي ٢: ٢٧٤، مجمع الزوائد ٥: ٢٩٣، عمدة القارئ ٨: ٢١، مسند أبي داود الطيالسي ٢: ٢١٤، مسند الحميدي ١: ١٠٩، مسند ابن راهويه ٣: ٧٢٣، مسند أبي يعلى الموصلي ٧: ٣٦٤، صحيح ابن حبان ٧: ٣٥١، المعجم الأوسط ٦: ١٤٥، المعجم الكبير ٢٣: ٤٣٧، معرفة السنن والآثار ٣: ١٧٤، الاستذكار ٣: ٢٦.

١- سورة الجن: ١٨.

٢- مسند أحمد ٣: ١٧٨، سنن الترمذي ٤: ٤، مشكاة المصابيح ٣: ٢١٦، صحيح الترغيب والترهيب ٣: ٢٣٥، تهذيب الكمال ٥: ٥٣٧، التاريخ الكبير ٨: ٤٥٣، أعلام الموقعين ٤: ٣٢٢، العاقبة في ذكر الموت ١: ٣٠٨، المدهش ١: ٥٠٠، التذكرة للقرطبي ١: ٣٩٢.

فهذا أنس قد طلب الشفاعة من النبي | في دار الدنيا ولم يطلبها من الله كما يريد ابن عبد الوهاب ، وأقرّه النبي | على ذلك ، أفهل كان أنس بذلك آثماً ومشرکاً والنبي | لم يسمع بقوله تعالى : {لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً} ^(١) ، { لَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً } ^(٢) ولذلك لم ينه أنساً عن طلب الشفاعة منه ، أو سمعه النبي | ولم يفهم معناه وفهمه محمد بن عبد الوهاب وأتباعه ، لأنهم أعلم بكتاب الله تعالى من رسول الله | وأصحابه؟! وقد طلب سواد بن قارب ^(٣) وهو من الصحابة الشفاعة من النبي | بقوله كما سيأتي في الفصل الثالث في التوسل :

فَكُنْ لِي شَفِيعاً يَوْمَ لَا ذُو شَفَاعَةٍ سِوَاكَ بِمَغْنٍ عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ ^(٤)
 ولم ينكر عليه رسول الله | ولم ينهه ولم يقل له : لم طلبت الشفاعة مني ودعوت غير الله فأشركت ، مع أن الشفاعة كلّها لله ، ولا يجوز أن يدعى أحد مع الله ، فادع الله وأطلب الشفاعة منه ، وقل : يا الله ، شفّعه في كما يقوله ابن عبد الوهاب !

١- سورة الزمر: ٤٤.

٢- سورة الجن: ٢٨.

٣- سواد بن قارب الأزدي الدوسي: ترجمه غير واحد قال ابن عبد البر في الاستيعاب ١ : ٢٠٣ ، قال: (أبو حاتم : له صحبة)، وقال في أسد الغاية : (وكان كاهناً في الجاهلية ، له صحبة..)، وقال ابن حجر في الإصابة ٣ : ١٨١ : (قال البخاري وأبو حاتم والدارقطني : له صحبة)، وقال البخاري في التاريخ الكبير ٤ : ٢٠٢ : <سواد بن قارب الأزدي : له صحبة>، وقال الرازي في الجرح والتعديل ٤ : ٣٠٣ : (له صحبة..)، وقال الزركلي في الأعلام ٣ : ١٤٤ : (كاهن شاعر في الجاهلية صحابي في الإسلام، له أخبار، عاش إلى خلافة عمر ومات بالبصرة).

٤- فتح الباري ٧ : ١٣٧ ، عمدة القارئ ١٧ : ٨ ، الإصابة في تمييز الصحابة ٣ : ١٨٢ ، تاريخ الإسلام ١ : ٢٠٦.

وفي السيرة الحلبية عن ابن إسحق في كتاب المبدأ أن تبعاً الحميري آمن بالنبي | قبل مولده ، وكتب كتاباً، فوصل إلى النبي | بعد مبعثه، وفيه: وإن لم أدركك فاشفع لي يوم القيامة ولا تنسني، وأن النبي | قال: «مرحباً بتبع الأخ الصالح ثلاث مرات»^(١)، و لو كان هذا شركاً وكفراً لوجب أن ينكره لا أن يرحب بصاحبه ثلاثاً ويسميه الأخ الصالح، ولو أنكره لنقل عنه.

وقال ابن تيمية في رسالة زيارة القبور ما لفظه : (في السنن أن إعراباً قال للنبي | : جهدت الأنفس ، وجاع العيال ، وهلك المال، فادع الله لنا، فإننا نستشفع بالله عليك وبك على الله، فسبح رسول الله | حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه وقال: ويحك إن الله لا يستشفع به على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك)^(٢).

قال: فأقره على قوله: إنا نستشفع بك على الله وأنكر عليه نستشفع بالله عليك؛ لأن الشافع يسأل المشفوع إليه، والعبد يسأل ربه ويستشفع إليه، والرب

١- السيرة الحلبية ٢: ٢٧٩، عمدة القارئ للعيني ٤: ١٧٦، شرح أبي داود للعيني ٢: ٣٥٢، تفسير روح المعاني ٢٥: ١٢٩، والمصنف قطع العبارة ونقل خلاصة ما يرتبط بالموضع، وأما نص الكتاب فهو كما عن السيرة الحلبية ٢: ٢٧٩ : (أما بعد؛ يا محمد، فإني آمنت بك وبربك ورب كل شيء، وبكل ما جاءك من ربك من شرائع الإسلام والإيمان، وإني قلت ذلك، فإن أدركتك فيها ونعمت، وإن لم أدركك فاشفع لي يوم القيامة ولا تنسني، فإني من أصل الأولين ، وبايعتك قبل مجيئك وقبل أن يرسلك الله، وأنا على ملتك وملة إبراهيم. وختم الكتاب..

وبعد قراءة الكتاب عليه ﷺ قال: «مرحباً بتبع الأخ الصالح ثلاث مرات..».

٢- مسند أحمد ٣: ٢٥٦، صحيح البخاري ٢: ٢٢ أبواب الاستسقاء ، سنن النسائي ٣: ١٦٦، السنن الكبرى للبيهقي ٣: ٢٢١، السنن الكبرى للنسائي ١: ٥٦٤، المنتقى من السنن المسندة : ٧٥، تاريخ بغداد ٤: ٢٦٠، تاريخ الإسلام ١: ٣٦٣، البداية والنهاية ٦: ٩٧، السيرة الحلبية ٣: ٢٧٠.

تعالى لا يسأل العبد ولا يستشفع به^(١) انتهى.

فإقرار النبي | له على قوله: (إنا نستشفع بك على الله) دليل على جواز طلب الشفاعة من النبي | في دار الدنيا ، وأنه ليس فيها شائبة منع .
وإتضح فساد قول الوهابيين : « إنَّ الشفاعة حقٌّ ، ولا تطلب في دار الدنيا إلا من الله »^(٢) فقد أقرَّ النبي | على طلبها منه في دار الدنيا لأُمور الدنيا ولغيرها ، ومع هذا كلَّه يعاند الوهابيون ويصرُّون ويتمحلون ويخالفون صريح السنة ، ليستحلوا دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم ، ويزعمون أنهم بها يتمسكون ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

لا يقال: الذي أنكره الوهابية طلب الشفاعة من النبي | في دار الدنيا بعد موته، وهذه الروايات كُلُّها في طلب الشفاعة من الأحياء، فلا يتم الاستدلال؟

لأننا نقول: الدليل الذي استدلوا به على عدم جواز طلب الشفاعة في دار الدنيا وأنها شرك إن تم لا يفرق بين طلبها من الحي وطلبها من الميت، وهو قوله تعالى: {لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا} ^(٣) {فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} ^(٤) .

مع أنه قد وردت أخبار في طلب الشفاعة منه | بعد موته وهي ما سيأتي من أن ابن حنيف علّم رجلاً أن يقول في دعائه في خلافة عثمان: (يا محمد ، إنني أتوجه بك إلى ربك أن تقضي حاجتي)^(٥) ويذكر حاجته، وأنه

١- زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ١: ١٥ .

٢- مؤلفات ابن عبد الوهاب ١: ١١٣ .

٣- سورة الزمر: ٤٤ .

٤- سورة الجن: ١٨ .

٥- مسند أحمد ٤: ١٣٨ وصححه محقق المسند الشيخ شعيب الأرناؤوط ، المعجم الصغير ١: ١٤٨ -

وقال: الحديث صحيح ، المعجم الكبير ٩: ٣٢ ، المستدرک للحاكم ١: ٥١٩ وصححه ، مجمع ←

فعل ذلك فقضيت حاجته.

وما رواه المفيد في المجالس عن ابن عباس : «إِنَّ أمير المؤمنين عليه السلام لَمَّا فرغ من غسل النبي | كشف الإزار عن وجهه ، ثُمَّ قال : بَأبي أنت وأمي طبت حياً وطبت ميتاً - إلى أن قال - : بَأبي أنت وأمي اذكرنا عند ربك، واجعلنا من همك، ثُمَّ أَكْبَ عليه فقبل وجهه»^(١).

وفي خلاصة الكلام: (صح أنه لما توفي | أقبل أبو بكر (رض) فكشف عن وجهه، ثُمَّ أَكْبَ عليه فقبله وقال: بَأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً اذكرنا يا محمد عند ربك، ولنكن من بالك)^(٢)، وهذا استشفاع به | في دار الدنيا بعد موته .

كلّ هذا والوهابية وأتباعهم يزعمون أنهم سلفيون متمسكون بأقوال السلف وبأقوال الصحابة !!

وفي خلاصة الكلام عن شرح المواهب للزرقاني : (إنّ الداعي إذا قال: **اللهم إني أستشفع إليك بنبيك، يا نبي الرحمة أشفع لي عند ربك** استجيب له)^(٣)، وسيأتي في فصل التوسل من جملة الدعاء الذي ذكره العلماء في باب

→ الزوائد ٢: ٢٧٩، وقال : (قلت: روى الترمذي وابن ماجة طرفاً من آخره خالياً من القصة، وقد قال الطبراني عقبه: والحديث صحيح بعد ذكر طرقة التي روي بها)، تحفة الأحوذى ١٠: ٢٤، السنن الكبرى للنسائي ٦: ١٦٩، الأربعين البلدانية: ٨٦، إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسل بالنبي: ٥ وقال: (رواه الترمذي والنسائي والطبراني والحاكم وأقره الذهبي والبيهقي بالأسانيد الصحيحة)، منتخب مسند عبد بن حميد: ح ٣٧٩، رفع المنارة: ١٥، تاريخ الإسلام ١: ٣٦٤، البداية والنهاية ٦: ١٧٩، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١: ٣٢٢.

١- الأملاني للشيخ المفيد: ١٠٣، التمهيد لابن عبد البر ٢: ١٦٢، أعيان الشيعة ١٠: ٤٣٠.

٢- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: ٤٨٨، الدرر السنية في الرد على الوهابية: ٣٤.

٣- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ١٢: ٢١٩، الدرر السنية في الرد على الوهابية: ٢٥.

آداب الزيارة خطاباً له | : (جئناك لقضاء حقك - إلى قوله - والاستشفاع بك، فليس لنا يا رسول الله شفيع غيرك، فاستغفر لنا و اشفع لنا)^(١) إلخ ويأتي هناك أن كثيراً من علماء المذاهب الأربعة ذكروا في كتب المناسك عند ذكر الزيارة استحباب التشفع به | .

* * *

١- سُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَاد ١٢: ٣٩٠، الدرر السنية في الرد على الوهابية: ٢٢، شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق: ١٦٢، كنز المطالب: ٢١٦، صلح الإخوان: ٥٤.

الفصل الثاني

في دعاء غير الله تعالى والاستغاثة والاستعانة به وطلب الحوائج منه:

وهذا ممّا صرّح الوهابية وقدوتهم ابن تيمية بأنّه موجب للشرك والكفر، ففي الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية: (إنّ قول: أدركني أو أغثني أو اشفني أو انصرني على عدوي ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى إذا طلب في أيّام البرزخ كان من أقسام الشرك)^(١)، وادعى ورود الكتاب والسنة وإجماع السلف أنّ ذلك شرك أكبر قاتل عليه رسول الله |، وصرّح بذلك ابن تيمية في كلامه المتقدّم في الباب الثاني المنقول عن رسالة الواسطية، وصرّح به في رسالة زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور في عدّة مواضع وهي جواب لمن سأله عمّن: (يزور القبور، ويستنجد بالمقبور في مرض به أو بفرسه أو بغيره، يطلب إزالة ذلك ويقول: يا سيّدي، أنا في جيرتك أنا في حسبك، فلان ظلمي، فلان قصد أذيتي، ويقول: إنّ المقبور يكون واسطة بينه وبين الله تعالى وفيمن يستغيث بشيخه يطلب تثبيت قلبه من ذاك الواقع، وفيمن يجيء إلى شيخه، ويستلم القبر، ويمرّغ وجهه عليه، ويمسح القبر بيديه، ويمسح بهما وجهه وأمّثال ذلك، وفيمن يقصده بحاجته ويقول: يا فلان ببركتك، أو يقول: قضيت حاجتي ببركة الله وبركة الشيخ، وفيمن يعمل السماع ويجيء إلى القبر فيكشف ويحط وجهه بين يدي شيخه على الأرض

١- الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية لعبد الله بن محمّد بن عبد الوهاب: ٤٣ - ٤٤، والمصنّف نقل مضمون العبارة.

ساجداً ، وفيمن قال: إِنَّ تُمْ قُطْباً غَوْتاً جَامِعاً فِي الْوُجُودِ^(١)؟
ومِمَّا جَاءَ فِي الْجَوَابِ قَوْلُهُ: (مَنْ يَأْتِي إِلَى قَبْرِ نَبِيٍّ أَوْ صَالِحٍ وَيَسْأَلُهُ
حَاجَتَهُ وَيَسْتَنْجِدُهُ، مِثْلُ: أَنْ يَسْأَلَهُ أَنْ يَزِيلَ مَرَضَهُ أَوْ يَقْضِيَ دِينَهُ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ
مِمَّا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَهَذَا شَرِكٌ صَرِيحٌ يَجِبُ أَنْ يَسْتَتَابَ صَاحِبُهُ،
فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ)^(٢).

تُحْمٌ ذَكَرَ عَنْ وَثِيمَةٍ وَغَيْرِهِ أَنَّ وَدّاً وَسَوَاعاً وَيَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسراً أَسْمَاءَ قَوْمٍ
صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ ،
فَاتَّخَذُوا تَمَاثِيلَهُمْ أَصْنَاماً .

وَكَانَ الْعُكُوفُ عَلَى الْقُبُورِ وَالتَّمَسُّحُ بِهَا وَتَقْبِيلُهَا وَالدُّعَاءُ عِنْدَهَا هُوَ أَصْلُ
الشَّرِكِ وَعِبَادَةُ الْأَوْثَانِ، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ | : «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثْناً
يُعْبَدُ»^(٣)، إِلَى أَنْ قَالَ: (وَهَذَا مَا يَظْهَرُ الْفَرْقَ بَيْنَ سُؤْلِ النَّبِيِّ | وَالرَّجُلِ
الصَّالِحِ فِي حَيَاتِهِ وَسُؤْلِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَفِي مَغْيَبِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ فِي حَيَاتِهِ لَا يَعْبُدُهُ
أَحَدٌ بِحُضُورِهِ).

إِلَى أَنْ قَالَ: (وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ فِي عَصْرِ الصَّحَابَةِ وَلَا التَّابِعِينَ
وَلَا تَابِعِي التَّابِعِينَ يَتَخَيَّرُونَ الصَّلَاةَ وَالدُّعَاءَ عِنْدَ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَيَسْأَلُونَهُمْ،

١- زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ١: ٤.

٢- زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ١: ١٨، مجموعة الفتاوى الكبرى ٢٧: ٧٢.

٣- الحديث بألفاظه المختلفة ورد في : مسند أحمد ٢: ٢٤٦، شرح النووي لصحيح
مسلم ١١: ٩٤، مجمع الزوائد ٢: ٢٨ و ٤: ٢، فتح الباري ٨: ١٠٣، عمدة القارئ للعيني ١٤: ٢٩٩،
تحفة الأحوذى ٢: ٢٢٦، عون المعبود ٨: ١٩٢، المصنّف للصنعاني ١: ٤٠٦، المصنّف لابن أبي
شيبه ٢: ٢٦٩، مسند أبي يعلى الموصلي ١٢: ٣٤، معرفة السنن والآثار ٣: ٢٠٨، الاستذكار لابن
عبد البر ٢: ٣٥٩، التمهيد لابن عبد البر ٥: ٤١، نظم المتناثر من الحديث المتواتر : ١٢١، الطبقات
الكبرى لابن سعد ٢: ٢٤١، التاريخ الكبير ٣: ٧٤.

ولا يستغيثون بهم، لا في مغيبهم ولا عند قبورهم، وكذلك العكوف.
قال: ومن أعظم الشرك أن يستغيث الرجل بميت وغائب كما ذكره
السائل، ويستغيث به عند المصائب يا سيدي فلان، كأنه يطلب منه إزالة ضرره
أو جلب نفعه، وهذا حال النصارى في المسيح وأمه وأحبارهم ورهبانهم،
ومعلوم أن خير الخلق وأكرمهم على الله نبينا محمد |، وأعلم الناس بقدره
وحقه أصحابه، ولم يكونوا يفعلون شيئاً من ذلك لا في مغيبه ولا بعد
مماته^(١).

وقال ابن تيمية أيضاً في رسالة زيارة القبور: «وقول كثير من الضلال: هذا
أقرب إلى الله مني، وأنا بعيد من الله لا يمكنني أن أدعوه إلا بهذه الوسيلة
ونحو ذلك من أقوال المشركين، فإن الله تعالى يقول: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي
فَاتِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} ^(٢).

إلى أن قال: وأمر الله العباد أن يقولوا: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} ^(٣)،
وأخبر عن المشركين أنهم قالوا: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} ^(٤).
ثم يقال لهذا المشرك: أنت إذا دعوت غير الله فإن كنت تظن أنه أعلم
بحالك وأقدر على عطاء سؤالك أو أرحم بك، عدلت عن سؤاله إلى سؤال
غيره.

إلى أن قال: وإن كنت تعلم أنه أقرب إلى الله منك، وأعلى درجة، فإنما

١- زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ١: ٣٢ - ٣٦.

٢- سورة البقرة: ١٨٦.

٣- سورة الفاتحة: ٥.

٤- سورة الزمر: ٣.

معناه أن يشبه الله ويعطيه الله أكثر مما يعطيك، وليس معناه أنك إذا دعوته كان الله يقضي حاجتك أعظم مما يقضيها إذا دعوت أنت الله، فإنك إن كنت مستحقاً للعقاب ورد الدعاء فالنبي والصالح لا يعين على ما يكرهه الله، وإن لم يكن كذلك فالله أولى بالرحمة والقبول.

وإن قلت: هذا إذا دعا الله أجاب دعاءه أعظم مما يجيبه إذا دعوته كما تقول للحي: ادع لي، وكما كان الصحابة يطلبون من النبي | الدعاء، فهذا مشروع في الحي دون الميت^(١) إلى آخر ما يأتي في هذا الفصل.

وقال ابن تيمية أيضاً في رسالة القبور ما حاصله: (مطلوب العبد إن كان مما لا يقدر عليه إلا الله فسأله من المخلوق مشرك، من جنس عباد الملائكة والتمائيل، ومن اتخذ المسيح وأمه الهين، مثل أن يقول لمخلوق حي أو ميت: اغفر ذنبي أو انصرني على عدوي أو اشف مريضاً أو عافني أو عافي أهلي أو دابتي، أو يطلب منه وفاء دينه من غير جهة معينة أو غير ذلك، وإن كان مما يقدر عليه العبد، فيجوز طلبه منه في حال دون حال، فإن مسألة المخلوق قد تكون جائزة وقد تكون منهيّاً عنها، قال الله تعالى: { فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ* وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ }^(٢)، وأوصى النبي | ابن عباس: «إذا سألت فلماً الله، وإذا استعنت فلماً بالله»^(٣)، وأوصى طائفة من أصحابه: «أن لا يسألوا

١- زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ١: ٢١ - ٢٥ مع تقطيع في نقل العبارة وحذف ما هو خارج عن محل البحث.

٢- سورة الشرح: ٧-٨.

٣- مسند أحمد ١: ٣٠٣، سنن الترمذي ٤: ٧٦، فتح الباري ١٠: ٣٤١، منتخب مسند عبد بن حميد: ٢١٤، كتاب السنة: ١٣٨، صحيح ابن حبان ١٥: ١٦٦، المعجم الأوسط ٥: ٣١٦، المعجم الكبير ١٢: ١٨٤، كتاب الدعاء: ٣٣، فؤاد العراقيين: ٢٢، مجمع الزوائد ٧: ١٨٩، الاستذكار لابن عبد البر ٨: ٦١١، التمهيد لابن عبد البر ٤: ١١٠، فيض القدير شرح الجامع الصغير ١: ٥٣٧، ←

النس شيئاً فكان سوط أحدهم يسقط من كفه فلا يقول لأحد ناولني إياه> (١).

وقال: (فهذه المنهي عنها والجائزة طلب دعاء المؤمن لأخيه) (٢) الخ.

وصرح محمد بن عبد الوهاب في كلامه السابق في الباب الثاني بأنّ دعاء غير الله والاستغاثة بغير الله موجب للارتداد عن الدين، والدخول في عداد المشركين وعبد الأصنام، واستحلال المال والدم إلا مع التوبة بقوله: إنّ النبي | قاتل المشركين لتكون جملة أشياء كلّها لله. وعد منها الدعاء والاستغاثة وغير ذلك من كلماته السابقة (٣).

وقال في رسالة كشف الشبهات عند تعليمه الاحتجاج على المسلمين المشركين بزعمه: (فإن قال - أي الخصم من المسلمين الذي هو مشرك بزعمه - : أنا لا أعبد إلا الله وهذا الالتجاء إليهم ودعائهم ليس بعبادة. فقل له: أنت تقرّ أنّ الله فرض عليك إخلاص العبادة.

فقل له: يبيّن لي هذا الذي فرض الله عليك؟

فإنّه لا يعرف العبادة ولا أنواعها، فيبينها له يقول تعالى: {ادْعُوا رَبَّكُمْ

→ كشف الخفاء ٢: ٣١٧، الإغاثة ٣٣، تفسير ابن أبي حاتم ١٠: ٣٢٥١، تفسير السلمي ١: ٤١٣، تفسير الثعلبي ٤: ١٣٩، تفسير السمعاني ٥: ٦٠، تفسير البغوي ٢: ٨٨، تفسير القرطبي ٦: ٣٩٨، أسد الغابة ٣: ١٩٤، تهذيب الكمال ٢٤: ٢١، تاريخ يعقوبي ٢: ٢٦٣، تاريخ جرجان: ٧٨.

١- سنن ابن ماجه ٢: ٩٥٧، سنن أبي داود ١: ٣٧١، مجمع الزوائد ٣: ٩٣، الآحاد والمثاني ٥: ١٦٦، المعجم الكبير ٨: ٢٠٦، التمهيد لابن عبد البر ٤: ١٠٨، كنز العمال ١: ٣٢٩، فيض القدير شرح الجامع الصغير ٦: ٣١٣، الدر المنثور ١: ٣٦٠، تاريخ مدينة دمشق ٣٦: ٦٩، أسد الغابة ١: ٢٧٧، تهذيب الكمال ٣٤: ٢٩٢.

٢- زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ١: ٩-١٢، مجموع الفتاوى الكبرى ٢٧: ٦٧.

٣- كشف الشبهات ٥١-٥٣، تحقيق عبد الله القحطاني.

تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً { (١).

فإذا أعلمته فقل له: هذا هل هو عبادة لله تعالى؟
 فلا بد أن يقول: نعم، والدعاء مخ العبادة.
 فقل له: إذا أقررت أنها عبادة، ودعوت الله ليلاً ونهاراً، خوفاً وطمعاً، ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره هل أشركت في عبادة الله غيره؟!
 فلا بد أن يقول: نعم.
 فقل له: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك وإلا فهم مقرّون أنهم عبيد الله، وتحت قهره، وأن الله هو الذي يدبر الأمر، ولكن دعوهم والتجؤوا إليهم للجاء والشفاعة .
 ثم قال: فإن قال: أنا لا أشرك بالله شيئاً، حاشا وكلا، ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك؟
 إذا كانت تقرّ أن الله حرّم الشرك أعظم من تحريم الزنا وتقرّ أن الله لا يغفره فما هنا الأمر الذي عظمه الله وذكر أنه لا يغفره؟ فإنه لا يدري.
 فقل له: كيف تُبرّي نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟!
 فإن قال: الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبدوها؟
 فقل له: ما معنى عبادة الأصنام؟ أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها، فهذا يكذّبه القرآن يعني قوله تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...} الآية (٢)، أو هو قصد خشبة أو حجر أو بنية أو غيره يدعون ذلك ويدبحون له ويقولون: إنه يقربنا إلى الله زلفى، ويدفع عنا ببركته، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والبنايا التي على القبور وغيرها.

١- سورة الأعراف: ٥٥.

٢- سورة يونس: ٣١.

وأيضاً قولك : الشرك عبادة الأصنام، هل تريد أنّ الشرك مخصوص بهذا وأنّ الاعتماد على الصالحين ودعائهم لا يدخل في هذا، فهذا يردّه ما في القرآن من كفر من تعلق على الملائكة وعيسى والصالحين^(١).

وقال في الرسالة المذكورة أيضاً : (ولهم شبهة أخرى وهي ما ذكر النبي | أنّ الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثمّ بنوح، ثمّ بإبراهيم، ثمّ بموسى، ثمّ بعيسى، فكلّهم يعتذر حتّى ينتهوا إلى رسول الله | فهذا يدل على أنّ الاستغاثة بغير الله ليست شركاً؟

قال: والجواب: أن نقول سبحانه من طبع على قلوب أعدائه، فإنّ الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها كما قال تعالى: {فَاسْتَعَاثُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ} ^(٢)، وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب وغيره في أشياء يقدر عليها المخلوق، ونحن أنكرنا استغاثة العباد التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى.

فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتّى يستريح أهل الجنّة من كرب الموقف، وهذا جائز في الدنيا والآخرة أن تأتي عند رجل صالح تقول له: ادع الله لي، كما كان أصحاب رسول الله | يسألونه في حياته، وأما بعد مماته فحاشا وكلا أنّهم سألوا ذلك، بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره فكيف دعاؤه بنفسه؟!

ثمّ قال : ولهم شبهة أخرى: وهي قصة إبراهيم عليه السلام لما أُلقي في النار اعترض له جبرائيل في الهواء فقال: ألك حاجة؟

فقال إبراهيم عليه السلام أما إليك فلا.

١- كشف الشبهات : ٦٧ - ٧٣ ، تحقيق عبد الله القحطاني .

٢- سورة القصص : ١٥ .

فلو كانت الاستغاثة بجبرائيل شركاً لم يعرضها على إبراهيم؟
وأجاب بأن جبرئيل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه، فإنه كما قال الله تعالى فيه: {شَدِيدُ الْقُوَى} ^(١)، فلو أذن له أن يأخذ نار إبراهيم ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل، ولو أمر الله أن يضع إبراهيم عنهم في مكان بعيد لفعل، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل.

وهذا كرجل يعرض على رجل محتاج أن يقرضه أو يهبه فيأبى ويصبر حتى يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد، فأين هذا من استغاثة العباد والشرك لو كانوا يفقهون ^(٢)؟

وصرح الصنعاني في كلامه السابق في الباب الثاني بأن من فعل ذلك، أي الدعاء والنداء والاستغاثة والالتجاء لمخلوق، فقد أشرك في العبادة، وصار من تفعل له هذه الأمور إلهاً لعبديه، سواء كان ملكاً أو نبياً أو ولياً أو شجراً أو قبراً أو جنياً أو حياً أو ميتاً، وصار بهذه العبادة أو أي نوع منها عبداً لذلك المخلوق وإن أقر بالله وعبدته، ولم يخرج إقراره وعبادته عن الشرك، وعن وجوب سفك دمه، وسبي ذراريه، ونهب أمواله، كما لم يخرج المشركين ^(٣).

وذكر الصنعاني في تطهير الاعتقاد سؤال استغاثة الناس بآدم عليه السلام يوم القيامة بما يقرب مما تقدم عن ابن عبد الوهاب، إلا أنه قال: «فإن قلت: الاستغاثة قد ثبتت في الأحاديث، فإنه قد صح أن العباد يستغيثون بآدم.. الخ. وقال: فهذا يدل على أنها ليست شركاً وليست بمنكر.

١- سورة الحشر: ١٠.

٢- كشف الشبهات: ٩٥ - ٩٨، تحقيق عبد الله القحطاني، والعبارة فيها تقطيع غير محل.

٣- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد للصنعاني: ٥٠١ - ٥٠٤، المطبوع ضمن الجامع الفريد.

وقال: قلت: هذا تلبيس، فإنَّ الاستغاثة بالمخلوقين الأحياء فيما يقدرُونَ عليه لا ينكرها أحد.

إلى أن قال: وإنَّما الكلام في استغاثة القبوريين وغيرهم بأوليائهم وطلبهم منهم أموراً لا يقدر عليها إلا الله تعالى من عافية المريض وغيرها. إلى أن قال: نعم، استغاثة العباد يوم القيامة وطلبهم من الأنبياء إنَّما يدعون الله تعالى أن يفصل بين العباد بالحساب حتَّى يريحهم من هول الموقف، وهذا لا شكَّ في جوازه، أعني طلب الدعاء لله تعالى من بعض عباده لبعض، وأمرنا سبحانه أن ندعو للمؤمنين ونستغفر لهم، يعني قوله تعالى: {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ} (١).

قال: وقد قالت أم سليم (رض): (يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له) (٢). وقد كان الصحابة (رض) يطلبون الدعاء منه | وهو حي، وهذا أمر متفق على جوازه، والكلام في طلب القبوريين من الأموات أو من الأحياء الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً أن يشفوا

١- سورة الحشر: ١٠.

٢- الحديث عن أنس أن النبي ﷺ دخل عليَّ أم سليم: «فأنته بتمر وسمن، قال: أعيذوا سمنكم في سقائه، وتمركم في وعائه فإنِّي صائم، ثُمَّ قام إلى ناحية من البيت فصلَّى غير المكتوبة، فدعا لأم سليم وأهل بيتها.

فقلت أم سليم: يا رسول الله إنَّ لي خويصة.

قال: وما هي؟

قالت: خادمك أنس فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا لي به، اللهم ارزقه مالاً وولداً.. وهو في مسند أحمد ٣: ١٠٨، صحيح البخاري ٢: ٢٤٧، صحيح مسلم ٧: ١٥٩، السنن الكبرى للنسائي ٥: ٧٩، مسند أبي يعلى الموصلي ٦: ٤٧١، صحيح ابن حبان ٣: ٢٧٠، المعجم الكبير ٢٥: ١٢٤، الطبقات الكبرى ٨: ٤٢٩، سير أعلام النبلاء ٢: ٢٠٩.

مرضاهم، ويردوا غائبهم، وينفسوا على حبلهم، ويسقوا زرعهم، ويدروا ضروع مواشيهم، ويحفظوها من العين ونحو ذلك من المطالب التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى، هؤلاء الذين قال الله فيهم: { وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ }^(١)، { إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ }^(٢) (٣).

وصرح بذلك الوهابية في كتابهم إلى شيخ الركب المغربي المتقدم في الباب الثاني .

ثم إنَّ حاصل استدلال الوهابيين على عدم جواز دعاء غير الله تعالى بنحو الاستغاثة والاستعانة وطلب الحوائج على أحد الوجوه المبيَّنة في صدر الجواب، وأنَّه كفر وشرك أكبر كدعاء الأصنام، على ما يفهم من كلماتهم المارَّة ذكرها، وكما في الرسالة الثالثة من رسائل الهدية السنية أنَّه تعالى قال: { وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا }^(٤)، { لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ }^(٥)، { وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ }^(٦)، { إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ

١- سورة الأعراف: ١٩٧.

٢- سورة الأعراف: ١٩٤.

٣- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد : ٥٠٤ - ٥٠٥، المطبوع ضمن الجامع الفريد.

٤- سورة الجن: ١٨.

٥- سورة الرعد: ١٤.

٦- سورة الأعراف: ١٩٧.

اللَّهُ عِبَادَ امْتَالُكُمْ} (١)، {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ}،
{وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ
لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ...} (٢)، {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا
يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا} (٣)، {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ
إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ} (٤)، {وَلَا
تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ} (٥)، {إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا
دُعَاءَكُمْ} (٦)، {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ
الآية (٧).

وقال الصنعاني في تطهير الاعتقاد: (وقد سمي الله الدعاء عبادة بقوله:
{ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي} (٨) (٩)، وفي الهدية
السنية عنه | :«الدعاء مخ العبادة» (١٠)، رواه الترمذي ، وفي رواية : «الدعاء

١- سورة الأعراف: ١٩٤.

٢- سورة فاطر: ١٣.

٣- سورة الأعراف: ١٩٧.

٤- سورة الإسراء: ٥٦.

٥- سورة الإسراء: ٥٧.

٦- سورة فاطر: ١٤.

٧- سورة الأحقاف: ٥.

٨- سورة غافر: ٦٠.

٩- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد: ٥٠٣ المطبوع ضمن الجامع الفريد.

١٠- سنن الترمذي ٥: ١٢٥، فتح الباري ١١: ٧٩، عمدة القاري ٢٢: ٢٧٦، كتاب الدعاء

هو العبادة، ثُمَّ قرأ | : {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي} رواه أحمد وأبو داود الترمذي (١)(٢).

ومن هتف باسم نبي أو صالح عند الشدائد كقول : يا رسول الله، يا بن عباس بدون أن يتبعه بشيء، أو قال: اشفع لي إلى الله في حاجتي، أو استشفع بك إلى الله في حاجتي أو نحو ذلك، أو قال : اقض ديني، أو اشف مريض أو نحو ذلك، فقد دعا ذلك النبي والصالح، والدعاء عبادة، بل مخها كما عرفت، فيكون قد عبد غير الله، وصار مشركاً، إذ لا يتم التوحيد إلا بتوحيده تعالى في الإلهية باعتقاد أن لا خالق ولا رازق غيره، وفي العبادة بعدم عبادة غيره ولو ببعض العبادات وعباد الأصنام إنما أشركوا بعدم توحيد الله في العبادة كما مرّ مفصلاً.

للطبراني : ٢٤، المعجم الأوسط ٣: ٢٩٤، الاستذكار ٣: ٨٤، الجامع الصغير ١: ٦٥٤، كشف الخفاء ١: ٤٠٣، الإغاة ٢: ٢، تفسير السلمي ٢: ٣٥٠، تفسير الثعلبي ٥: ٣٢٣، تفسير البغوي ٣: ٣٩، فتح القدير ١: ٤١١، سير أعلام النبلاء ١٢: ٧٩، تاريخ الإسلام ١٨: ٣٩٨، النهاية في غريب الحديث ٤: ٣٠٥، لسان العرب ٣: ٥٢، فصل الميم، مجمع البحرين ٤: ١٧٨، باب الميم.

١- مسند أحمد ٤: ٢٦٧، سنن أبي داود ١: ٣٣٢، سنن الترمذي ٥: ٥٢، المستدرک للحاكم ١: ٤٩١، فتح الباري ١: ٤٧، عمدة القارئ ٢٢: ٢٧٦، مسند ابن المبارك: ١٣٨، مسند أبي داود الطيالسي : ١٠٨، المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٢٣، الأدب المفرد: ١٥٤، السنن الكبرى للنسائي ٦: ٤٥٠، صحيح ابن حبان ٣: ١٧٢، المعجم الصغير ٢: ٩٧، كتاب الدعاء للطبراني ٢: ٢٣، مسند الشهاب ١: ٥١، التمهيد لابن عبد البر ١٠: ٣٠٠، تخريج الأحاديث والآثار ٢: ٣٢٦، موارد الضمأن ٨: ٣٢، الجامع الصغير ١: ١٥٤، الإغاة : ١١، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ٢: ٥١٢، تفسير القرآن للصنعاني ٣: ١٨٢، جامع البيان ٢: ٢١٨، معرفة الثقات ٢: ٣١٤، تاريخ بغداد ١٢: ٢٧٤، تهذيب التهذيب ١١: ٣٣٣.

٢- الرسالة الثالثة من رسائل الهدية السنية المسمّاة بالفواكه العذاب لأحمد بن ناصر النجدي: ٧.

والجواب: إنّ الدعاء والاستغاثة بغير الله تعالى يكون على وجوه ثلاثة:

الأول: أن يهتف باسمه مجرداً مثل أن يقول: يا محمد، يا علي،

يا عبد القادر، يا أولياء الله، يا أهل البيت ونحو ذلك .

الثاني: أن يقول: يا فلان، كن شفيعي إلى الله في قضاء حاجتي، أو ادع الله

أن يقضيها أو ما شابه ذلك .

الثالث: أن يقول: اقض ديني أو اشف مريضني أو انصرني على عدوي

وغير ذلك .

وليس في شيء من هذه الوجوه الثلاثة مانع ولا محذور فضلاً عما يوجب الإشراف والتكفير؛ لأنّ المقصود منها طلب الشفاعة، وسؤال الدعاء، سواء صرح بذلك كما في الوجه الثاني أو لا كما في الوجهين الباقيين، للعلم بحال المسلم الموحد المعتقد أنّ من عدا الله تعالى لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرراً، فبسبب ذلك نعلم أنّه لم يقصد سوى طلب الشفاعة والدعاء .

ولو فرض أنّنا جهلنا قصده لوجب حمله على ذلك ، سواء صدر من عارف أو عامي؛ لوجوب حمل أفعال المسلمين وأقوالهم على الصحة مهما أمكن ، حتّى يعلم الفساد وعدم جواز تكفير المقرّ بالشهادتين إلا بما يوجب كفره على اليقين، وعدم جواز التهجم على الدماء والأموال والأعراض بغير اليقين كما مر في المقدمات، فيكون ذلك هو المحذوف المطلوب من المدعو في الوجه الأوّل، ويكون إسناد الفعل إلى المدعو مجازاً في الإسناد في الوجه الثالث، من باب الإسناد إلى السبب، لكونه بدعائه وشفاعته سبباً في ذلك كما في بنى الأمير المدينة وشفى الطبيب المريض، فإنّ ذلك صحيح في لغة العرب كثير فيها وفي القرآن الكريم، وهو المسمّى عند علماء البيان بالمجاز العقلي، وهو إسناد الفعل إلى الغير ما هو له من سبب أو غيره، والقرينة عليه هنا ظاهر حال المسلم، فإنّ كون المتكلم به مسلماً يعتقد ويقرّ بأنّ من عدا الله تعالى لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرراً إلا بإقدار الله تعالى؛ يكفي قرينة على ذلك، ولهذا

ذكر علماء البيان أنّ مثل: أنبت الربيع البقل إذا صدر من الدهري كان حقيقة ، وإذا صدر من المسلم كان مجازاً عقلياً كما تقدم تفصيله في المقدمات .
 وأي فارق بين أنبت الربيع البقل وبين ما نحن فيه؟! فليكون هذا الإسناد كإسناد الرزق، ويجري مجراه إلى غير الله تعالى في قوله تعالى: {فَارْزُقُوهُمْ مِنْهَا} ^(١)، {وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ} ^(٢) ، { وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ} ^(٣)، والإغناء لا يقدر عليه إلا الله فكيف نسبه إلى الرسول | ، وجعله شريكاً لله في ذلك؟!

وهل هو إلا كالرزق الذي لا يقدر عليه إلا الله تعالى وهم قد جعلوا قول: ارزقني شركاً وكفراً؟!

وقد نسب الله تعالى إلى عيسى عليه السلام الخلق، وإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى بإذن الله بقوله حكاية عنه: { أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ } ^(٤)، فكيف جاز نسبة ذلك إليه، ولم يكن كفراً ولا شركاً ولم يجز نسبة شفاء المريض، وقضاء الدين والرزق ونحو ذلك إلى النبي أو الولي بإذن الله؟!

فإن كان المانع أنّه لا يقدر عليه إلا الله فالكل كذلك، وإن كان عدم

١- سورة النساء: ٨ .

٢- سورة التوبة: ٥٩ .

٣- سورة التوبة : ٧٤ .

٤- سورة آل عمران: ٤٩ .

القدرة بعد الموت فهي حاصلة بما دلّ على حياة الأنبياء ، بل وغيرهم في عالم البرزخ كما مر في المقدمات!

وإلى ما ذكرنا أشار عالم المدينة السمهودي الشافعي في كتابه وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى بقوله: «وقد يكون التوسل به | بطلب ذلك الأمر منه، بمعنى أنّه | قادر على التسبب فيه بسؤاله وشفاعته إلى ربّه ، فيعود إلى طلب دعائه وإن اختلفت العبارة، ومنه قول القائل له: (أسألك مرافقتك في الجنّة)^(١) الحديث.

ولا يقصد به إلا كونه | سبباً وشافعاً^(٢).

وفي قول القائل: (أسألك مرافقتك في الجنّة) في الحديث المشار إليه رد لما توهموه من كفر من قال: اشف مريضني وانصرني على عدوّي ونحوه، حتّى ادعى ابن تيمية إجماع المسلمين على ذلك كما مر في الباب الثاني. فمرافقته في الجنّة لا يقدر عليها غير الله، نظير غفران الذنب وشفاء المريض، بل لو فرض أنّه ليس ظاهر حال القائل ما ذكرنا وتساوى الاحتمالان أو ضعف الاحتمال الصحيح لم يجز الحكم بالكفر والشرك؛ لوجوب الحمل على الصحة ولو مع الاحتمال الضعيف، وعدم جواز التكفير إلا مع اليقين.

١- مسند أحمد ٤ : ٥٩، صحيح مسلم ٢ : ٥٢، باب أعضاء السجود والنهي عن كشف الشعر، سنن أبي داود ١ : ٢٩٧، سنن النسائي ٢ : ٢٢٧، السنن الكبرى للبيهقي ٢ : ٤٨٦، الآحاد والمثاني ٤ : ٣٥٢، السنن الكبرى للنسائي ١ : ٢٤٢، المعجم الكبير ٥ : ٥٦، فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤ : ٤٤٠، إرواء الغليل ٢ : ٢٠٨، تفسير السمعاني ٢ : ٢٤٥، تفسير ابن كثير ١ : ٥٣٥، تفسير الثعالبي ٥ : ٦١٠، الدر المنثور ٢ : ١٨٢، تهذيب الكمال ٩ : ١٤، تذكرة الحفاظ ١ : ٢٨٥، تاريخ الإسلام ٥ : ١١٤، السيرة النبوية ٤ : ٦٥٩، سبل الهدى والرشاد ٩ : ٢٧٤.

٢- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ٤ : ١٣٧٤ - ١٣٧٥.

نعم، لو قصد في الوجه الأول والثالث أنّ المستغاث به هو الفاعل لذلك اختياراً واستقلالاً بدون واسطته تعالى وإقداره، فالمسلمون منه براء، ولكنه لا يوجد بين المسلمين أحد يقصد ذلك.

نعم، ربما يوجد من لا يخطر بباله شيء تفصيلاً، فيجب حمله أيضاً على الوجه الصحيح من طلب الدعاء والشفاعة دون غيره، لأنّه وإن لم يقصد ذلك ولم يلتفت إليه تفصيلاً إلاّ أنّه مقصود له إجمالاً، ولهذا لو سئل: إنك هل تعتقد أنّه قادر على ذلك بلا واسطته تعالى؟ لقال: كلا، لا أعتقد ذلك وتبرأ ممن يعتقده.

ولو قيل له: هل مرادك طلب الدعاء والشفاعة؟ لقال: نعم. وحيث ظهر أنّ مرجع ذلك إلى طلب الشفاعة وسؤال الدعاء فنقول أمّا الشفاعة فمضى الكلام فيها في الفصل السابق، وأنّها لا تخرج عن سؤال الدعاء. وأمّا سؤال الدعاء فلا مانع منه عقلاً ولا شرعاً من حي ولا ميت أمّا من الحي فاعترف الوهابيون - والمنة لله - بجوازه، ولم يجعلوه شركاً ولا كفراً ولا بدعة، صرح بذلك ابن عبد الوهاب والصنعاني وقبلهما ابن تيمية، قال ابن تيمية في رسالة زيارة القبور: ثبت عنه | : « ما من رجل يدعو له أخوه بظهر الغيب دعوة إلاّ وكل الله بها ملكاً، كلما دعا لأخيه دعوة قال الملك: **ولك مثل ذلك**»^(١)، ومن المشروع في الدعاء دعاء غائب لغائب ولهذا أمر |

١- مسند أحمد ٦: ٤٥٢، صحيح مسلم ٨: ٨٦ باب فضل الدعاء للمسلم، سنن ابن ماجه ٢: ٩٦٧، سنن أبي داود ١: ٣٤٢، سنن الترمذي ٣: ٣٢٧، السنن الكبرى للبيهقي ٣: ٣٠٣، مجمع الزوائد ٢: ١٣٩، فتح الباري ١١: ١١٥، عمدة القارئ ٥: ١٨٠، المصنّف لابن أبي شيبه ٧: ٢٢، مسند ابن راهويه ٥: ١٨٤، منتخب مسند عبد بن حميد: ٩٨، الأدب المفرد: ١٣٧، صحيح ابن حبان ٣: ٢٦٨، المعجم الكبير ٢٤: ٢٥٥، كتاب الدعاء: ٣٩٥، الفائق في غريب الحديث ٢: ١٦٨، تخريج الأحاديث والآثار ١: ٣٣٦، الجامع الصغير ١: ١٤٠.

بالصلاة عليه وطلب الوسيلة له، وأخبر بما لنا في ذلك من الأجر إذا دعونا بذلك، فقال: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول، ثم صلّوا عليّ، فإنّ من صلّى عليّ مرّة صلّى الله عليه عشراً، ثمّ اسألوا الله لي الوسيلة، فإنّها درجة في الجنّة لا ينبغي أن تكون إلّا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون ذلك العبد، فمن سأل الله لي الوسيلة حلّت له شفاعتي يوم القيامة»^(١).

ويشرع للمسلم أن يطلب الدعاء من فوقه وممن هو دونه فإنّ النبي | ودع عمر إلى العمرة وقال: «لا تنسنا من دعائك يا أخي»^(٢)، وثبت في الصحيح أنّه | ذكر أويس القرني وقال لعمر: «إن استطعت أن يستغفر لك فافعل»^(٣) وفي الصحيحين كان بين أبي بكر وعمر (رض) شيء فقال أبو بكر

-
- ١- صحيح مسلم ٢: ٤، سنن أبي داود ١: ١٢٨، سنن النسائي ٢: ٢٥، السنن الكبرى → للبيهقي ١: ٤٠٩، مجمع الزوائد ١: ٣٣٣، مسند ابن راهويه ١: ٣٧٥، منتخب مسند عبد بن حميد: ١٣٩، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث: ٣١٨، فضل الصلاة على النبي ﷺ: ٤٧، صحيح ابن خزيمة ١: ٢١٩، صحيح ابن حبان ٤: ٥٨٨، المعجم الأوسط ٩: ١٣٣، الأذكار النووية: ٣٦، رياض الصالحين: ٤٥٨، الجامع الصغير ١: ١٠٨، العهود المحمّدية: ٤٨، كنز العمال ١: ٤٩٧، كشف الخفاء ومزيل الإلتباس ١: ٩٠، إرواء الغليل ١: ٢٥٩، مشكل الآثار ١: ٩٥، تفسير السمرقندي ٣: ٦٨، تفسير الثعلبي ٤: ٥٩، تفسير البغوي ٣: ١٣٠، تفسير ابن كثير ٢: ٥٥.
- ٢- مسند أحمد ١: ٢٩، مسند أبي داود الطيالسي: ٤، منتخب مسند عبد بن حميد: ٢٤١، أدب الإملاء والاستملاء: ٤٦، العهود المحمّدية: ٣٨٩، كنز العمال ٢: ٦٢٣، السيرة الحلبية ٢: ٢٥.
- ٣- صحيح مسلم ٧: ١٧٩، المستدرک للحاكم ٣: ٤٠٣، رياض الصالحين: ٢٢١، كنز العمال ١٢: ٧٥، الطبقات الكبرى ٦: ١٦٤، أسد الغابة ١: ١٥٢، سير أعلام النبلاء ٤: ٢١، ميزان الاعتدال ١: ٣٨١، الإصابة لابن حجر ١: ٣٦، تاريخ الإسلام ١: ٣٨٦، مطالب السؤل في مناقب آل الرسول: ٤٨٥، كشف الغمّة ٣: ٢٣٧، سبل الهدى والرشاد ١٠: ١٠١، السيرة الحلبية ٢: ٥٢٨.

لعمر: (استغفر لي، لكن في الحديث أنّ أبا بكر ذكر أنّه حنق على عمر)،^(١) وثبت في الصحيحين أنّ الناس لمّا أجذبوا سألوا النبي | أن يستسقي لهم، فدعا الله فسقوا^(٢) انتهى.

ثمّ ذكر حديث الأعرابي الذي قال للنبي | : « ادع لنا »^(٣) ولم ينكر عليه^(٤)، وقد مر في فصل الشفاعة.

وأما طلب الدعاء من الميت فمنعه ابن تيمية وتبعه ابن عبد الوهاب وسائر الوهابية، قال ابن تيمية في رسالة زيارة القبور: (وإن قلت: هذا إذا دعا الله أجاب دعاءه أعظم مما يجيبه إذا دعوته فهذا هو القسم الثاني، وهو أن لا تطلب منه الفعل ولا تدعوه، ولكن تطلب أن يدعو لك كما تقول للحي : ادع لي، وكما كان الصحابة يطلبون من النبي | الدعاء ، فهذا مشروع في الحي ، وأما الميت من الأنبياء والصالحين وغيرهم فلم يشرع لنا أن نقول: ادع لنا، ولا : اسأل لنا ربّك، ولم يفعل هذا أحد من الصحابة والتابعين ، ولا أمر به أحد من الأئمة، ولا ورد فيه حديث، بل الذي ثبت في الصحيح أنّهم لمّا أجذبوا زمن عمر (رض) استسقى بالعبّاس وقال: اللّهم إنّنا كُنّا إذا أجذبنا نتوسل

١- صحيح البخاري ٥: ١٩٧ كتاب تفسير القرآن، أحكام القرآن ٢: ٣٢٧، الدر المنثور ٣: ١٣٥، التعديل والتجريح ٢: ٧٨٠، سير أعلام النبلاء ١٣: ٥٠٣، تاريخ الإسلام ٣: ١١٣، غريب الحديث ٣: ١٠٦٧.

٢- تقدم تخريج الحديث.

٣- مسند أحمد ٣: ١٠٤، سنن النسائي ٣: ١٦٥، المصنّف لابن أبي شيبة ٢: ٣٧٠، منتخب مسند عبد ابن حميد: ٤١٥، الأدب المفرد : ١٣٤ ، السنن الكبرى للنسائي ١: ٥٦٤، مسند أبي يعلى ٦: ٢٢٥، صحيح ابن خزيمة ٣: ١٤٦، شرح معاني الآثار ١: ٣٢٢، صحيح ابن حبان ٧: ١٠٧، الاستذكار ٧: ٣٤، التمهيد ١٧: ١٧٦.

٤- زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ١: ١٢ - ١٥.

إليك بنبيّنا فتسقيننا، وإنّا نتوسل إليك بعمّ نبينا فاسقنا، فيسقون، ولم يجيئوا إلى قبر النبي | قائلين: يا رسول الله ادع الله لنا، ونحن نشتكى إليك ممّا أصابنا ونحو ذلك، لم يفعل ذلك أحد من الصحابة قط، بل هو بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، بل كانوا إذا جاؤوا عند قبر النبي | يسلمون عليه، فإذا أرادوا الدعاء لم يدعوا الله مستقبلي القبر، بل ينحرفون عنه ويدعون الله وحده لا شريك له كما يدعونه في سائر البقاع^(١).

وقال ابن عبد الوهاب في كلامه السابق في هذا الفصل : (إنّ أصحاب رسول الله | كانوا يسألونه الدعاء في حياته، أمّا بعد وفاته فحاشا وكلا أنّهم سألوا ذلك)^(٢).

وقال الصنعاني في كلامه السابق أيضاً: (كان الصحابة يطلبون الدعاء منه | وهو حي، وهذا أمر متفق على جوازه)^(٣).

وفي الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية : (بل يطلب من أحدهم - أي الأولياء - الدعاء في حال حياته، بل ومن كلّ مسلم)^(٤) انتهى.

فابن تيمية جعله بدعة، وابن عبد الوهاب والصنعاني في كلاميهما السابق في صدر الفصل زادا في نعمة الطنبور فجعلاه كفراً وشرّاً.

والحقّ جوازه كما جاز من الحي، لعدم ظهور مانع منه، فإنّ كان منعه لأنّه خطاب للمعدوم ، وهو غير قادر على سماع الكلام، ولا على الدعاء، فيرده ما مر في المقدمات من أنّه | وسائر الأنبياء أحياء بعد الموت، وأنّه يسمع

١- المصدر السابق ١: ٢٤ - ٢٦.

٢- كشف الشبهات : ٩٦، تحقيق عبد الله القحطاني.

٣- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد : ٥٠٤ - ٥٠٥ المطبوع ضمن الجامع الفريد.

٤- الهدية السنية والتحفة النجدية ، الرسالة الثانية لعبد الله بن محمّد بن عبد الوهاب: ٨٠ - ٨١.

الكلام ، ويرد الجواب، ويبلغه صلاة وتسليم من يصلي ويسلم عليه، وأن علمه بعد وفاته كعلمه في حياته، وأن أعمال أُمته تعرض عليه، وأنه يستغفر لهم. وكما يدعو لهم بالمغفرة يدعو لهم بغيرها من خير الدنيا والآخرة، لأنّه | كما وصفه الله تعالى بالمؤمنين رؤوف رحيم^(١)، فأبي مانع أن نطلب منه الاستغفار بعد موته أو غيره من الدعاء بخير الدنيا والآخرة؟! وهل منعه إلا تحكّم ومكابرة وعناد؟! وأنّ الوهابية لا ينكرون حياته | بعد الموت، وحديث رد روح الميت حتّى يرد السلام^(٢)، وما يأتي قريباً من أنّ بعض الصحابة دعاه أن يستسقي لأُمته، فجاء إلى بعضهم في النوم وأخبره أنّهم مسقون فسقوا^(٣). وقد نص القرآن الكريم على أنّ الذين قتلوا في سبيل الله أحياء عند ربهم

١- كما قال تعالى في سورة التوبة: ١٢٨: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ}.

٢- في الحديث المروي عنه عليه السلام إذ قال: كما من أحدٍ يسلم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحي حتّى أرد عليه السلام، وهو في: سنن أبي داود ١: ٤٥٣، سنن الترمذي ٥: ١٣٩، مجمع الزوائد ١٠: ١٦٢، فتح الباري ٦: ٣٥٢، السنن الكبرى للنسائي ٦: ٢١٧، الجامع الصغير ١: ٦٩، كنز العمال ١: ٤٩١، كشف الخفاء ومزيل الإلتباس ٢: ١٩٤، الإغاثة ٩: ٥٤، رفع المنارة: ٥٤، ذكر أخبار إصبهان ٢: ٣٥٣، إمتاع الأسماع ١٠: ٣٠٦، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢: ٧٩، معارج الوصول إلى معرفة آل الرسول: ٧٤.

٣- في الحديث المروي عن أبي صالح السمان عن مالك الدار قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، استسقى لأمتك فإنهم قد هلكوا! فأتى الرجل في المنام فقليل له: انت عمر فاقرئه السلام، وأخبره أنكم مسقون، قال ابن حجر في الفتح ٢: ٤١٢: (بإسناد صحيح)، المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٤٨٢، الاستيعاب لابن عبد البر ٣: ١١٤٩، إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسل بالنبي: ٧، الإغاثة ٢٤: ٢٤، رفع المنارة: ٢١٠.

يرزقون^(١)، ودرجة النبوة أعظم من درجة الشهادة، بل ورد أن مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء، فلا يبعد في حق الأنبياء ما ثبت في حق الشهداء، مع أن الروح باقية غير فانية، ويمكنها السؤال والدعاء، مع أن اعتقاد أن الميت يسمع أو لا ليس من الواجبات، فمن اعتقده، إما مصيب مأجور أو مخطيء معذور، فلا يوجب اعتقاده شركاً ولا إثماً.

ولو فرض عدم سماعه الكلام وعدم قدرته على الدعاء فطلبه منه لا محذور فيه، لأنه ليس مما لا يقدر عليه إلا الله، فيكون كطلب القراءة من الأعمى بظنه بصيراً، والمشي من المقعد بظنه سليماً، أو مناداة ميت وطلب شيء منه بظنه نائماً، وكل ذلك لا يوجب شركاً ولا إثماً.

وإن كان منعه باعتبار أنه بدعة لم يرد به نص ولم يفعله السلف، فيكفي في رفع البدعة عنه ورود النص في الحي بعد دلالة النصوص على حياته | في قبره كما سمعت.

مع أن دعوى عدم فعل السلف له يكذبها ما ذكره السمهودي الشافعي عالم المدينة في كتابه وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى بقوله: (وقد يكون التوسل به | بعد الوفاة بمعنى طلب أن يدعوا كما كان في حياته، وذلك فيما رواه البيهقي من طريق الأعمش عن أبي صالح عن مالك الدار، ورواه ابن أبي شعبة بسند صحيح عن مالك الدار)^(٢).

وفي غير وفاء الوفاء عن مالك الدار خازن عمر قال: «أصاب الناس قحط

١- كما قال تعالى في سورة آل عمران: ١٦٩: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ}.

٢- وفاء الوفاء بأخبار المصطفى ٤ : ١٣٧٤.

في زمان عمر بن خطاب، فجاء رجل إلى قبر النبي | فقال: يا رسول الله ، استسق لأمتك، فإنهم قد هلكوا.

فأتاه رسول الله | في المنام فقال: أئت عمر فاقراه السلام، وأخبره أنهم مسقون>^(١) الحديث.

قال: (وروى سيف في الفتوح أنّ الذي رأى المنام المذكور بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة(رض)، قال: ومحل الاستشهاد طلب الاستسقاء منه | وهو في البرزخ ، ودعاؤه لربّه في هذه الحالة غير ممتنع، وعلمه بسؤال من يسأله قد ورد، فلا مانع من سؤاله الاستسقاء وغيره كما كان في الدنيا)^(٢) انتهى.

وإن كان منعه لتوهم أنّه عبادة للمطلوب منه الدعاء فهو فاسد؛ لأنّ طلب الدعاء ليس عبادة وإلا لكان طلبه من الحي عبادة لعدم تعقل الفرق، مع أنّ طلبه من الحي جائز بالإجماع ، بل بالضرورة، فتشدد ابن تيمية وأتباعه فيه وسرده الدعاوى المنفية بلا دليل على عاداته بقوله: غير مشروع، لم يفعل هذا أحد من الصحابة و التابعين، ولا أمر به أحد من الأئمة، ولا ورد فيه حديث، لم

١- المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٤٨٢، الاستيعاب لابن عبد البر ٣: ١١٤٩، فتح الباري لابن حجر ٢: ٤١٢ وقال: <وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح> دلائل النبوة للبيهقي ٧: ٤٧، أشرف المسالك ١: ٦٩، إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسل بالنبي: ٧، الإغاثة ٢٤: ٢٤، رفع المنارة: ٢١٠، ← صحيح شرح العقيدة الطحاوية: ٧٣٠، تاريخ مدينة دمشق ٥٦: ٥٨٩، دفع الشبهة عن الرسول ﷺ : ١٦٦، الدرر السنية في الردّ على الوهابية : ١٧، فتنة الوهابية : ٩، تاريخ الإسلام ٣: ٢٧٣، شفاء السقام: ٣١٢، كنز العمال ٨: ٤٣١.

٢- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٤: ١٣٧٤.

يفعل ذلك أحد من الصحابة قط، بدعة ما أنزل الله بها من سلطان؛ تشدد بارد فاسد كسائر تشدداته وأتباعه من الوهابيين فيما لا ينبغي التشدد فيه، وتساهلهم فيما يجب التشدد فيه، كتكفير المسلمين، واستحلال دمائهم وأموالهم. ودعواه أنه بدعة ما أنزل الله بها من سلطان من أشنع البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان، مع أن دعوى ابن تيمية وابن عبد الوهاب أنه لم يفعل ذلك أحد من الصحابة شهادة على النفي، هي غير مقبولة كما تقرر في محله. وهل عاشروا جميع الصحابة واطلعوا على جميع أحوالهم حتى عرفوا أنه لم يصدر منهم ذلك؟!

كلا، ومن الذي يدعي الإحاطة بجميع ما صدر من الصحابة والعادة قاضية بأنه لا بد أن تكون خفيت علينا من أحوالهم أمور كثيرة لم تنقل إلينا، لا أقل من الاحتمال.

سلمنا عدم فعل الصحابة له، لكن ليس كل ما لم يفعله الصحابة يكون بدعة، فالبدعة كما مر في المقدمات إدخال ما ليس من الدين في الدين. ومجرد عدم فعل الصحابة له لا يدل على أنه ليس من الدين إذا لم يكن من الواجبات، لجواز أن يترك الصحابة المستحب أو المباح. وهل إذا أردنا أن ننشئ الفاظاً ندعوا الله تعالى بها تكون بدعة، لأن الصحابة لم يدعوا بها، أو إذا أردنا أن ندعوا الله تعالى مستلقين على ظهورنا يكون بدعة؛ لأنه لم يفعله الصحابة إلى غير ذلك مما لا يحصى؟!

سبحانك اللهم ما هذا التضييق على العباد فيما وسع الله عليهم فيه!! بل إذا لم يفعل النبي | شيئاً لا يدل ذلك على تحريمه لجواز تركه المستحب والمباح، فالإسراع إلى قوله بدعة، والمبالغة بأنه ما أنزل الله بها من سلطان؛ تقول على الله تعالى بغير علم.

ولو سلّمنا جدلاً عدم فعل الصحابة لذلك وأنّ ما لم يفعلوه يكون بدعة، فما الذي أوجب أن يكون شركاً وكفراً كما زعمه ابن عبد الوهاب؟! وما الدليل على ذلك أهو قوله؟ حاشا وكلا.

فظهر أنّه لا فرق بين طلب الدعاء منه | في حياته وبعد وفاته، وأنّ التفرقة بينهما محض جمود أو عناد، وأنّ ما هو شرك لا يمكن أن يكون توحيداً وبالعكس.

والجواب عن احتجاجهم على عدم جواز دعاء غير الله والاستعانة والاستغاثة به بآية: {فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} ^(١) وما ذكر معها أنّ الدعاء في اللغة مطلق النداء، قال الله تعالى: {لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا} ^(٢)، ويطلق الدعاء على سؤال الله تعالى، والرغبة إليه، وطلب حوائج الدنيا والآخرة منه، باعتقاد أنّه مالك أمر الدنيا والآخرة.

وبعبارة أخرى باعتقاد ألوهيته واستحقاقه العبادة والتعبد والخضوع له بذلك اطاعة لأمره.

وإطلاق الدعاء على ذلك إمّا لأنّه أحد أفراد المعنى اللغوي، أو لصيرورته حقيقة عرفية في ذلك أو مجازاً مشهوراً، وقد ورد في الشرع الحثّ على دعاء الله تعالى، وطلب حوائج الدنيا والآخرة منه، وسمّي عبادة، قال الله تعالى: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ}

١ سورة الجن: ١٨.

٢ - سورة النور: ٦٣.

دَاخِرِينَ^(١)، وقال زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام في دعائه بعد ذكر الآية: «فسميت دعاءك عبادة، وتركه استكباراً، وتوعدت عليه دخول جهنم داخرين»^(٢)، حتّى ورد: «أنّ الدعاء مخ العبادة»^(٣)، أو «هو العبادة»^(٤) كما

ذكروه في احتجاجهم و بمضمونه عدّة روايات.

وإنّما كان كذلك لما فيه من إظهار نهاية الخضوع والتذلل لله تعالى والافتقار إليه، وأنّ الأمور كلّها بيده، ولهذا أمر بالدعاء وحثّ عليه، مع أنّه أعلم بحوائجنا منّا، وأرأف بنا من كلّ أحدٍ، ولكنه أراد أن يظهر له غاية الخضوع والعبودية، ونزل به حوائجنا جليلها وحقيرها، حتّى ورد أنّه أوحى إلى موسى عليه السلام: «يا موسى أسألني حتّى علف دابتك، وقوت يومك» أو ما هذا

١- سورة غافر: ٦٠.

٢- الصحيفة السجّادية الكاملة: ٢٢٤.

٣- سنن الترمذي ٥: ١٢٥، فتح الباري ١١: ٧٩، عمدة القارئ ٢٢: ٢٧٦، عون المعبود ٤: ٢٤٧، المعجم الأوسط ٣: ٢٩٣، كتاب الدعاء: ٢٤، الاستذكار ٣: ٨٤، شرح نهج البلاغة ١١: ٢٢٨، الجامع الصغير ١: ٦٥٤، كشف الخفاء ومزيل الإلتباس ١: ٤٠٣، الإغاثة ٢: ٢، تفسير الثعلبي ٥: ٣٢٣، تفسير البغوي ٣: ٣٩، فتح القدير للشوكانى ١: ٤١١.

٤- مسند أحمد ٤: ٢٦٧، سنن أبي داود: ٣٣٢، سنن الترمذي ٥: ٥٢، المستدرک للحاكم ١: ٤٩١، ← فتح الباري ١: ٤٧، عمدة القارئ ٢٢: ٢٧٦، مسند ابن المبارك: ١٣٨، مسند أبي داود الطيالسي: ١٠٨، المصنّف لابن أبي شيبه ٧: ٢٣، الأدب المفرد: ١٥٤، السنن الكبرى للنسائي ٦: ٤٥٠، صحيح ابن حبان ٣: ١٧٢، المعجم الصغير ٢: ٩٧، تخريج الأحاديث والآثار ٢: ٣٢٦، موارد الضمّان ٨: ٣٢، الجامع الصغير ١: ٦٥٤، كشف الخفاء ومزيل الإلتباس ١: ٤٠٣.

معناه.

ولا شك أنّ مطلق الدعاء والمناداة وطلب الحاجة من غير الله لا يكون عبادة ولا ممنوعاً منه، فمن دعا رجلاً ليأتي إليه أو ليعينه وينصره أو ليناوله شيئاً أو يقضي له حاجة لم يكن عابداً له ولا آثماً، فقله تعالى: {فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} ^(١) لا يراد به مطلق الدعاء قطعاً، بل دعاءً خاصاً، وهو الدعاء المساوي لدعاء الله تعالى باعتقاد أنّ المدعو قادر مختار مساو لله في ذلك، كما كانت اليهود والنصارى تفعل ذلك في بيعها وكنائسها، أو دعاء من نهى الله عن دعائه من الأصنام والأوثان التي هي أحجار وأشجار لا تعقل ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع ولا تسأل ولا تشفع كما كان يفعل المشركون في الكعبة، أو دعاء الملائكة والجنّ الذين كانوا يعبدونهم ويعتقدون أنّ لهم تأثيراً في الكون مع الله بأنفسهم، أو يشفعون عنده اضطراراً بحيث لا يرد شفاعتهم أو نحو ذلك ممّا لم يجعله الله لهم.

وكذلك قوله | : «الدعاء مخ العبادة» ^(٢) لا يراد به مطلق الدعاء، بل دعاء خاص كما أريد بالآية الكريمة، بل لا يعبد أن يراد بالدعاء فيه خصوص دعاء الله تعالى، أي إنّ دعاء الله تعالى مخ عبادة الله تعالى، وذلك لإشتماله على نهاية الذل والخضوع والعبادة، أقصى نهاية الخضوع والذل؛ لأنّها مأخوذة من قولهم: طريق معبد أي مذل، فتكون الألف واللام فيه نائبة عن الإضافة، فهي عهدية لا جنسية، وآيات: {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَدْرَكُمْ

١- سورة الجن: ١٨.

٢- تقدم تخريجه في المصادر المتقدمة.

وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ} ^(١)، {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ} ^(٢) دالة على أنهم يعتقدون قادرون على نصرهم بأنفسهم لا بدعائهم وشفاعتهم، وإلا لم تكن الآيتان ردّاً عليهم ، ولكان لهم أن يقولوا : إنهم وإن لم يقدرُوا على نصرنا بأنفسهم فهم قادرون عليه بالتسبب بدعاء الله لنا الذي وعد إجابة الدعاء، ونحن لم نطلب منهم غير ذلك، وأنهم وإن كانوا عباداً أمثالنا فهم قادرون على أن يشفعوا لنا عند الله الذي جعل لهم الشفاعة بإذنه فيستأذنونه ويشفعون، هذا إن كانوا من الأنبياء أو الصالحاء.

إذا عرفت ذلك ظهر لك أنّ من دعا نبياً أو ولياً واستغاث به فذلك لا يدخل في الدعاء المنهي عنه في الآية، لأنّ هذا الدعاء والاستغاثة لا يخرج عن طلبه منه أن يدعو الله له أو يشفع له عنده الذي هو في معنى الدعاء، فمن طلب ذلك مع اعتقاد أنّ الأمر فيه لله إن شاء أجاب دعاءه، وقبل شفاعته وإن شاء رد؛ لا يدخل في النهي قطعاً، بعد ما عرفت أنّ المنهي عنه ليس مطلق الدعاء، بل دعاء مخصوص، مع أنّ طلب الدعاء والشفاعة ممّن جعل الله له ذلك لا يخرج عن دعاء الله تعالى وعبادته وتعظيم شأنه والتوسل إليه بأنواع الوسائل، وفي ذلك مبالغة في التضرع إليه والطلب منه الذي علم أنّه يحبه ويرضاه، وأنّه مخ العباد له.

والمعية في الآية ظاهرة في المساواة ، ومن يدعو النبي | ليدعو الله له ويشفع إليه في حاجته لم يدعه مع الله ولم يساوه به ، بل في الحقيقة دعا الله الذي أمر بطلب الدعاء من الغير، وجعل له الشفاعة .

١- سورة الأعراف: ١٥١.

٢- سورة الأعراف: ١٩٤.

وليس المراد بالمعية مجرد المشاركة في الوجود، وإلا لحرم دعاء غير الله في المساجد أو مطلقاً مع الله بأن يقول: يا الله اغفر لي، يا فلان اسقني ماء، وحينئذٍ فقول: يا محمد، ادع لي الله أو اشفع لي عنده الذي هو في معنى ادعه لا يزيد عن قوله: يا فلان اسقني ماءً.

وبعبارة أخرى: معنى مع الله أن يكون دعاؤه في عرض دعاء الله لا في طوله، والأصنام لو فرض أن دعاءها ليس كذلك فالله نهى عن دعائها بكُلِّ حال، لأنها جماد، ولأن دعاءها خلاف على الله وتكذيب للرسول، ودعاء باقي المعبودات كعيسى والملائكة والجن هو مثل دعاء الله قطعاً، فعيسى عليه السلام اتخذ شريكاً في الربوبية، والملائكة والجن اعتقد أن لهم قدرة وتأثيراً مع الله كما مر. أما قوله تعالى: {لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ} ^(١) الآية، فمعناه والله العالم أن المدعو بحق هو الله تعالى، وما يدعون من دونه من حجر أو شجر أو يعتقدون إلهيته كعيسى فيدعونه ليرزقهم ويدخلهم الجنة، ويفعل معهم فعل الرب مع عبده، أو ملك أو جني يعتقدون أن له تأثيراً مع الله أو شفاعاة اضطرارية أو غير مردودة أو نحو ذلك لا يستجيبون لهم.

أما الأحجار والأشجار فلأنها جماد لا تقدر على شيء، سواء كانت على صورة صالح أو لا؛ لأن الدعاء والشفاعة للصالحين لا لصورهم.

وأما من يدعي فيه الإلهية أو التأثير مع الله من ملك أو جني فلائله ليس إلهاً أو تأثير له، ولا يبعد أن يكون المراد الأصنام خاصة، وأن تكون واردة في مشرقي قریش، ولذلك شبه حالهم ببسط كفيه إلى الماء يطلب منه أن يبلغ فاه، والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا يعطشه وحاجته إليه ولا يقدر أن

يجيب دعاءه ويبلغ فاه، وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم، ولا يستطيع إجابتهم، ولا يقدر على نفعهم . وأين ذلك من طلب الدعاء من الصالحين الذي أمر الله بطلب الدعاء منهم، ودلت الآيات والأخبار على حياتهم بعد الموت وقدرتهم على ذلك كما مرّ ويأتي وسؤال الشفاعة منهم التي جعلها الله لهم وأخبر أنّهم قادرون عليها؟! وبذلك ظهر جلياً أنّ قياس دعاء الصالحين على دعاء الأصنام والأوثان وعيسى ومريم وغير ذلك قياس باطل وتوهم فاسد. إذا عرفت هذا فلنعد إلى الجواب عن كلماتهم السابقة كلّ منها على حدته:

أمّا قول ابن تيمية بشرك من يسأل النبي أو الصالح إزالة مرضه أو قضاء دينه أو نحو ذلك ولزوم قتله إن لم يتب، ففاسد لما عرفت من عدم جواز التهجم على تكفير المسلم واستحلال دمه بغير اليقين، ووجوب حمل قوله وفعله على الصحيح مهما أمكن، ولا يقين هنا لوجود المحمل الصحيح وهو إرادة الإسناد إلى السبب بالدعاء والشفاعة، وأنّ مثل ذلك وارد في كلام العرب والقرآن الكريم.

وأما روايته أنّ ودّاً وسواعاً ألخ أسماء قوم صالحين فلمّا ماتوا عكفوا على قبورهم إلى أن اتخذوا تماثيلهم أصناماً فهو حجّة عليه لا له، فإنّ موجب تكفيرهم اتخاذ تماثيلهم أصناماً لا التبرك بقبورهم . قوله : (وكان العكوف على القبور والتمسح بها وتقيلها والدعاء عندها هو أصل الشرك وعبادة الأوثان) .

يأبى الخذلان الذي أصاب ابن تيمية إلا أن يسمّي المداومة على زيارة قبور الأنبياء والصلحاء بالعكوف، تنظيراً له بالعكوف على الأصنام، وستعرف في فصل الزيارة أن استحباب زيارة قبر النبي | وقبور سائر الأنبياء

والصلحاء ودعائه تعالى عندها من ضروريات دين الإسلام.

وإذا ثبت استحباب ذلك ثبت استحباب الإكثار منه، فإنه لا سرف في الخير كما لا خير في السرف، فسواء سمّاه ابن تيمية عكوفاً أو غيره لا يضر إلا نفسه.

أما جعله ذلك أصل الشرك وعبادة الأوثان فإن أراد به أنه سبب تام في ذلك ففساده ظاهر، لما نشاهده من تعظيم المسلمين قبور الأنبياء والصالحين وتبركهم بها أجيالاً عديدة، ومع ذلك لم يتخذوا صورهم وتمثيلهم أصناماً. وإن كان يقول إنّ هذا التعظيم والتبرك عبادة للقبور كما تقول الوهابية، فقد رجع عن قوله: إنه أصل الشرك وعبادة الأوثان وسببه.

وإن أراد أنه قد يؤدي إلى عبادة الأوثان والشرك، كما أدى في قوم نوح الذين اتخذوا صور الصالحين أوثاناً بعد ما عظّموا قبورهم وتبركوا بها، فهذا لا يوجب تحريره، كما أنه إذا أدى ظهور المعجزة أو الكرامة على يد نبي أو صالح إلى اتّخاذها إلهاً لا يكون إظهارهما محرماً بعد وجود الأدلة من العقل والنقل على عدم إلهيته القاطعة للعدر.

وإن أراد بكونه أصل الشرك أنه نفسه شرك وعبادة للأوثان كما تقوله الوهابية، فقد علّم فساده بما أقمناه من البراهين على أنه ليس كذلك، وبوجود الفرق الواضح بينه وبين عبادة الأصنام.

أمّا قوله: «ولهذا قال | : اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد» فتخرص على الغيب، فمن الذي أخبره أنّ علّة قوله | ذلك الخوف من أن يصل تعظيم قبره والتبرك به وتقيله إلى اتّخاذة وثناً يعبد؟! بل هو دعاء بأن يعصم أمته من اتّخاذ قبره وثناً يعبد بما كانت تعبد به الجاهلية أوثانها، لا بمجرد تعظيم المسلمين له وتبركهم به الذي قد بيّنا مراراً أنه ليس عبادة له.

أما تفرقته بين سؤال النبي والصالح في حياته وسؤاله بعد موته أو في معيِّبه بأنه في حياته لا يعبد أحد في حضوره فمما يضحك الشكلى:

أولاً: إنّ السبئية قد عبت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حضوره حتى حرّقهم بالنار، فزاد ذلك اعتقادهم بإلهيته، لما سمعوه منه لا يعذب بالنار إلا رب النار المحمول على الكراهة في غير المقام الذي يناسبه شدة العقاب أو غيره من المحامل^(١).

ثانياً: احتمال أن يترتب على فعل المباح أو الراجح أمر محرم لا يوجب تحريمه وإلاّ لحرم جميع ما في الكون من فعل.

قوله: ولم يكن أحد من سلف الأمة في عصر الصحابة ولا التابعين ولا تابعي التابعين يتخيرون الصلاة والدعاء عند قبور الأنبياء).

ما أهون الدعاوى المنفية، وتتابع أدوات النفي على ابن تيمية إذا حاول ما

١- تقدّم منّا أنّ تحريق أمير المؤمنين عليه السلام لبعض الغلاة غير صحيح؛ لأنّها من رواية عكرمة البربري عن ابن عباس، وعكرمة البربري معروف بالنصب والانحراف عن الأمير عليه السلام، وسنذكر هنا رأي الشيخ المفيد عن هذه الرواية المنسوبة زوراً والمفتراة على الأمير عليه السلام قال في الفصول المختارة: ٢١٤: (وهذا من أطرف شيء سمع وأعجبه، وذلك أنّ ابن عباس أحد تلامذته، والآخرين أخذوا العلم عنه، وهو الذي يقول: كان أمير المؤمنين عليه السلام يجلس بيننا كأحدنا، ويداعبنا ويبسطنا ويقول: والله ما ملأت طرفي قط منه هيبة له عليه السلام، فكيف يجوز من مثل من وصفناه التقدم على أمير المؤمنين عليه السلام في الفتيا، وإظهار الخلاف عليه في الدين، لا سيما في الحال الذي هو مظهر له فيها الاتباع والتعظيم والتبجيل...).

→ أي إنّ الرواية ذكرت أنّ ابن عباس اعترض على الإمام علي عليه السلام تحريق هؤلاء المزعّم حرّقهم، والحال أنّ الذي يعذب بالنار هو الله تعالى، فيجب الشيخ المفيد على ذلك بأنّ هذه الرواية بطلانها يظهر - بغض النظر عن سندها - من أنّ ابن عباس تلميذ علي بن أبي طالب وهو المتعلّم منه فكيف يعترض عليه بحكم يديه لا يغفل عنه ابن عباس فضلاً عن علي عليه السلام؟!

طبع عليه من انتقاص قدر الأنبياء والصلحاء ، كأنما الله تعالى أوجده في جميع العصور وأطلعه على كل كائنات الدهور، وإنا نسأله: هل كان مالك بن أنس إمام دار الهجرة والذي قيل فيه: (لا يفتى ومالك في المدينة)^(١)، وحجة الله على خلقه بشهادة الإمام الشافعي^(٢)، من سلف هذه الأمة ومن التابعين أو تابعي التابعين حين قال لأبي جعفر المنصور وقد سأله قائلاً: (يا أبا عبد الله، استقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله | ؟

فقال: لم تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم ﷺ إلى يوم القيامة ، بل استقبله واستشفع به)^(٣) الحديث.

وهل أنكر أحد ذلك على مالك من علماء المدينة وهي ملأى بالتابعين وتابعي التابعين أو من علماء سائر الأقطار.

وهل تحتاج فضيلة المكان المدفون فيه جسد النبي | وهو سيد الكائنات، وأشرف ولد آدم إلى رواية خاصة ونص مخصوص؟!

وإذا ثبتت فضيلته ثبتت فضيلة الصلاة فيه، أفيلزم مع ذلك أن ينزل ملك على ابن تيمية يخبره بفضيلة الصلاة في المكان الفاضل، ولكن تكفير المسلمين واستحلال أموالهم ودمائهم تكفي فيه الظنون والأوهام وسرد الدعاوى المنفية بلا دليل؟!

١- حواشي الشرواني ٣: ١٨٥، مغني المحتاج ١: ٣٥٨، أحكام القرآن ٢: ٥١٨.

٢- تهذيب الكمال ٢٧: ١٢٠، خلاصة تهذيب تهذيب الكمال ٣٦٦: ٨، تهذيب التهذيب ١٠: ٨.

٣- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٤: ١٣٧٦، الشفا بتعريف حقوق المصطفى | ٢: ٤١، إمتاع الأسماع ١٤: ٦١٧، الدرر السنية في الرد على الوهابية: ١٠، دفع شبه من شبه وتمرد ١: ٧٤، تيسير العزيز الحميد ١: ٣١٢، إقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ١: ٣٩٥، الرد على البكري ١: ٨٥.

وسياتي في فصل التوسل أنّ جميع أصحاب المناسك من علماء الإسلام ذكروا استحباب المجيء إلى قبر رسول الله | والدعاء: «اللهم إنك قلت في كتابك: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ}»^(١) الخ، وتقدم مجيء رجل إلى قبره | و سؤاله أن يستسقي لأئمة فسقوا.

قوله : (ولا يستغيثون بهم لا في مغيبهم ولا عند قبورهم).

هذه الدعوى يكذبها مضافاً إلى ما تسالم عليه المسلمون خلفاً عن سلف من الاستغاثة بالأنبياء والصالحين، وطلب الشفاعة منهم، كما يظهر مما ذكرناه في تضعيف هذا الكتاب، ما ذكره عالم المدينة السمهودي الشافعي في كتابه وفاء الوفاء حيث قال في كلامه الآتي في الفصل الثالث : (إنّ الاستغاثة بالنبي | من فعل الأنبياء والمرسلين وسير السلف الصالحين)^(٢)، وما ذكره في خاتمة الباب الثامن من استغاثة جماعة من السلف به | بعد وفاته حيث قال: «خاتمة: في نبذ مما وقع لمن استغاث بالنبي | أو طلب منه شيئاً عند قبره فأعطي مطلوبه، ونال مرغوبه، مما ذكره الإمام محمّد بن موسى بن النعمان في كتابه (مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام) فمن ذلك ما قال: اتفق لجماعة من علماء سلف هذه الأمة من أئمة المحدثين والصوفية والعلماء بالله المحققين، قال محمّد بن المنكدر: أودع رجل أبي ثمانين ديناراً وخرج للجهاد وقال لأبي: إن احتجت أنفقها إلى أن أعود، وأصاب الناس جهد من الغلاء، فأنفق أبي الدنانير، فقدم الرجل وطلب ماله، فقال له أبي : عد إلي غداً، وبات

١- المغني لابن قدامة ٣: ٥٩٠، كشاف القناع للبهوتي ٢: ٥٩٩، رفع المنارة : ٦٥، الشرح الكبير ٣: ٤٩٥، السيف الصقيل : ١٧٧، شفاء السقام : ١٥٨، تطهير الفؤاد : ٥٥، الفجر الصادق: ٩٤.

٢- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٤: ١٣٧١.

في المسجد يلوذ بقبر النبي | مرة، وبمنبره مرة ، حتّى كاد أن يصبح، يستغيث بقبر النبي | ، فبينما هو كذلك وإذا بشخص في الظلام يقول: دونكها يا أبا محمّد، فمد يده وإذا صرّة فيها ثمانون ديناراً.

وقال الإمام أبو بكر بن المقرئ : كنت أنا والطبراني وأبو الشيخ في حرم رسول الله | ، وكنا على حالة ، وأثر فينا الجوع، فلمّا كان وقت العشاء حضرت قبر النبي | وقلت: يا رسول الله، الجوع.

إلى أن قال : فذكر الباب علوي معه غلامان، مع كلّ واحد زنبيل فيه شيء كثير وقال: أشكوتكم إلى رسول الله | ، فإنّي رأيته في المنام، فأمروني أن أحمل بشيء إليكم).

ثمّ ذكر السمهوي بعد نحو من نصف ورقة: أنّ هذه الواقعة رواها ابن الجوزي في كتابه الوفاء بإسناده إلى أبي بكر المقرئ قال: « وقال ابن الجلال: دخلت المدينة وبي فاقة، فتقدمت إلى القبر، وقلت : ضيفك ، فغفوت فرأيت النبي | فأعطاني رغيفاً، فأكلت نصفه وانتبهت وبيدي النصف الآخر. وقال أبو الخير الأقطع: وذكر نحوه .

وقال أبو عبد الله محمّد بن أبي زرعة الصوفي: سافرت مع أبي ومع أبي عبد الله بن خفيف إلى مكة، فأصابتنا فاقة شديدة، فدخلنا المدينة، فأتي أبي الحظيرة وقال: يا رسول الله ، أنا ضيفك الليلة - إلى أن قال - : فقال : رأيت رسول الله | ، فوضع في يدي دراهم وبارك الله فيها إلى أن رجعنا إلى شيراز ، وكنا ننفق منها .

وقال أحمد بن محمّد الصوفي: تهمت في البداية ثلاثة أشهر، فانسلك جلدي، فدخلت المدينة، وجئت إلى النبي | ، فسلمت ، ثمّ نمت فرأيته | في النوم فقال لي : جئت؟ قلت: نعم، وأنا جائع وأنا في ضيافتك.

قال : افتح كفيك، فملاهما دراهم، فانتبهت وهما مملوءان.
 ثم نقل السهمودي ما يزيد على عشر وقائع من هذا القبيل، ومنها واقعتان نقلهما عن نفسه يطول الكلام بذكرها فيطلبها من أرادها^(١).
 ويستفاد من ذلك أيضاً أنّ الاستغاثة بالنبي | عليها سيرة المسلمين خلفاً عن سلف، بدون تناكر بينهم، فيكشف عن أنّ ذلك مأخوذ من صاحب الشرع كما عرفت في المقدمات .
 مع أنّه لا يحتاج جواز الاستغاثة إلى ورود الدليل، بل المانع عليه إقامة الدليل .

قوله : (ومن أعظم الشرك) الخ، وقد عرفت أنّه لا شرك فيه بوجوب حمله على الوجه الصحيح فضلاً عن كونه من أعظم الشرك.
 قوله: (وهذا حال النصارى في المسيح وأمه وأحبارهم ورهبانهم).
 بل هذا حال الوهابية في أتباعهم رؤسائهم على غير بصيرة ولا هدى، فأشبهوا الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله الذي ورد فيها: «أنّهم ما صاموا لهم ولا صلّوا، وإنّما حرّموا عليهم حلالاً وأحلّوا لهم حراماً فاتبعوهم»^(٢)

ومما مرّ تعلم فساد قوله: (إنّ خير الخلق) إلى قوله: (ولا بعد مماته) .
 قوله: (وقول كثير من الضلال : هذا أقرب إلى الله منّي، وأنا بعيد لا يمكنني أن أدعوه إلاّ بهذه الوسطة من أقوال المشركين) الخ.
 أما قول هذا أقرب إلى الله منّي، فصحيح ليس فيه شيء من الضلال، فإنّ درجات الناس متفاوتة في القرب منه تعالى بالطاعة الذي هو بمعنى القرب

١- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٤: ١٣٧٩ - ١٣٨٥.

٢- تقدم تخريجه.

المعنوي، تشبيهاً بقرب المكان.

وأما قول: (لا يمكنني أن أدعوه إلا بهذه الوسطة) فلا يقوله ولا يعتقده أحد من المسلمين فضلاً عن أن ينسب إلى كثير من الضلال، ولم نسمع إلى الآن من أحدٍ ولا عنه أنه يقول ذلك، بل يدعون الله مرة بلا واسطة ومرة بواسطة.

نعم ، قد يقولون: إنّ هذا أقرب إلى الله منّي ، فدعاؤه أرجى للإجابة من دعائي، وهذا لا بأس به ولا مانع منه، فقد ثبت أنّ دعاء الغير أرجى للإجابة ولو لم يكن أقرب، وروي أنّ الله تعالى أوحى إلى موسى ﷺ: «ادعني على لسان لم تعصني به»^(١)، كما كانت الصلاة على النبي | التي أمرنا الله تعالى بها في الدعاء من أسباب إجابته ، كما صرح به ابن تيمية في كلامه السابق، والله تعالى قادر على إجابة الدعاء بدون الصلاة على النبي | فكيف أمر بها لتكون سبباً في إجابة الدعاء، ولم يكن ذلك منافياً لقربه من الداعي، وكان التشفع إليه بذوي المكانة الذي جعل الله لهم الشفاعة منافياً لذلك؟!

وخلاصة القول: إنّ الله تعالى أمر عباده بدعائه، ووعدهم الإجابة، قصداً لتذللهم وتعبدهم له، من دون حاجة منه إلى دعائهم، مع قدرته على أن يعطيهم بدون دعاء مع رأفته بهم، لكنه أراد أن يتعبدوا له بأنواع التعبد والتذلل، ويتوسلوا إليه وجعل لهم من لطفه بهم ورحمته أسباباً لنيل فضله ونعمه مثل: الصلاة على النبي | في دعائهم، والتشفع إليه بذوي المكانة عنده، ومن ذلك إعطاؤه الشفاعة لذوي الشفاعة مع عدم حاجة منه إلى شيء من ذلك .
ولو فرض أنّ أحداً قال: لا يمكنني أن أدعوه إلا بهذه الوسطة لكان

١- وسائل الشيعة ٧: ١٠٩، عدّة الداعي: ١٣٣، الفتوحات المكية ١: ٥٧٢.

مخطئاً وغالطاً، ولم يكن مشركاً وكافراً كما يزعمه ابن تيمية واتباعه الوهابية.
أما استدلاله بآية: { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي }^(١) الآية على إمكان دعاء الله بلا واسطة فمن فضول الكلام، فإنه لا ينكر أحد إمكان ذلك، وأنه تعالى قريب ممن دعاه، ولكن لا ينافي ذلك كون بعضهم أقرب من بعض، ولا كون دعاء الغير أرجى للإجابة .

وأما استشهاده بآية: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ }^(٢) وآية { مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا }^(٣) فلا محل له، فلا أحد يعبد غير الله ولا يستعين بغيره ، وإنما هو سؤال الدعاء والشفاعة الذي لا يخرج عن عبادته تعالى والاستغاثة به، لأنه عن أمره .
قوله : (إن كنت تظن أنه أعلم بحالك وأقدر على عطاء سؤالك أو أرحم بك فهذا جهل وضلال وكفر)، ليس في المسلمين من يعتقد هذا فذكره فضول وتطويل وبدون طائل .

قوله: (وإن كنت تعلم أن الله أعلم وأقدر وأرحم فلم عدلت عن سؤاله إلى سؤال غيره)؟!

لم يعدل أحد عن سؤاله تعالى إلى سؤال غيره، وإنما هو طلب الدعاء والشفاعة الذي لا يخرج عن سؤاله تعالى؛ لأنه عن أمره كما مر .
ونقول له: النبي | يعلم أن الله تعالى أعلم بحاله، وأقدر على عطاء سؤاله وأرحم به من عمر، فلم عدل عن سؤاله إلى سؤال عمر وقال له حين

١- سورة البقرة: ١٨٦.

٢- سورة الفاتحة: ٥.

٣- سورة الزمر: ٣.

ودَّعه إلى العمرة: ((لا تنسنا من دعائك يا أخي))^(١) حسبما رويت.

وإذا كان | يعلم ذلك فلماذا طلب منا أن نصلي عليه، ونسأل الله تعالى له الوسيلة ؟

ولماذا لم يطلبها هو من الله؟! ولماذا أمر عمر أن يسأل أويساً القرني أن يستغفر له؟ ولماذا قال أبو بكر لعمر: استغفر لي ؟ ولماذا لم يطلب أبو بكر المغفرة منه تعالى بغير واسطة عمر، والله تعالى أعلم بحاله، وأقدر على عطاء سؤاله، وأرحم به من عمر؟

ولماذا سأل الناس النبي | أن يستسقي لهم لماً أجذبوا، ولم يستسقوا بأنفسهم والله تعالى أعلم بحالهم، وأقدر على عطاء سؤالهم، وأرحم بهم من النبي | ، وقد روى ذلك كله ابن تيمية فيما مر قريباً، واعترف به، وهو هنا يقول: فلم عدلت عن سؤاله إلى سؤال غيره؟!

وإن كان يزعم أن المسلمين يسألون غيره تعالى؛ لأنه القادر المختار الفاعل لما يشاء، فهذا افتراء على المسلمين، لما عرفت من أن ذلك لا يخرج عن طلب الدعاء وسؤال الشفاعة.

ويكاد الإنسان يقضي عجباً من تمحلات هؤلاء وتهافت كلامهم!! قوله: (وإن كنت تعلم أنه أقرب إلى الله منك فإنما معناه أنه يشبه أكثر مما يشبهك، لا أنك إذا دعوته يقضي الله حاجتك أعظم مما يقضيها إذا دعوت أنت

١- مسند أحمد ١: ٢٩، مسند أبي داود الطيالسي ٥٤: منتخب مسند عبد بن حميد ٢: ٢٤١، أدب الاستملاء ٦: ٤٦، العهود المحمّدية ٣٨٩، كنز العمال ٢: ٦٢٣، تفسير الرازي ٢٤: ٣٩، تاريخ بغداد ١١: ٣٩٦، السيرة الحلبيّة ٢: ٢٠. والرواية عن عبد الله بن عمر المعروف بالنصب والعداء للنبي ﷺ وأهل بيته، ومن ذلك تعرف مدى صحتها.

الله^(١).

نعم، إنّ دعاء الغير للعبد أرجى في الإجابة من دعائه لنفسه كما مر، فلهذا ينبغي له الجمع بينهما. ومنه يعلم أنّها كلمة حقّ لم يرد بها إلا الحق. قوله: (فإنّك إذا كنت مستحقاً للعقاب ورد الدعاء فالنبي والصالح لا يعين على ما يكرهه الله وإلا فالله أولى بالرحمة والقبول) ممّا يضحك الشكلى، فإنّك قد عرفت أنّ المطلوب من النبي أو الصالح الدعاء والشفاعة التي لا تخرج عن الدعاء، وهو قد سلّم أنّ طلب الدعاء من الغير مشروع، فيقال له: إذا كنت مستحقاً للعقاب ورد الدعاء فالذي تسأله الدعاء لك لا يعين على ما يكرهه الله، وإلا فالله أولى بالقبول والرحمة، فلماذا تسأل الغير أن يدعو لك؟^(٢) أو لم يعلم ابن تيمية أنّ مستحق العقاب قد يرحمه الله تعالى بالدعاء من الغير الذي هو أرجى في الإجابة، ومستحق للعقاب ورد الدعاء قد يجيب الله دعاء غيره فيه.

ويقال له أيضاً: إذا كان العبد مستحقاً للعقاب ورد الدعاء فلماذا أمر الله تعالى بالدعاء على وجه العموم، والله تعالى لا يأمر بما يكرهه ولا يعين عليه؟ ولم لم يرحم بدون دعاء وشفاعة؟ ولم أمر في الدعاء بالصلاة على النبي | وجعلها سبباً لقبوله؟ ولم يجعل الشفاعة وأذن فيها؟ وكون الله أولى بالرحمة والقبول لا ينافي التوسل إليه بدعاء الغير، بل هذا من أتم أسباب رحمته ورأفته.

١- زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ٢٤: ١.

٢- المصدر السابق.

قوله: (وإن قلت : هذا إذا دعا الله أجاب دعاءه أعظم مما يجيبه إذا دعوته)^(١).

قد عرفت أنّ هذا هو الحاصل من المسلمين الذي أمر به الشرع ودل عليه النقل لا غيره.

قوله : (فهذا مشروع في الحي دون الميت)^(٢).

قد مضى الكلام عليه مفصلاً، وأنه لا فرق بين الحي والميت. ومما ذكر تعلم فساد تفصيله في رسالة زيارة القبورين^(٣) طلب ما لا يقدر عليه إلا الله وما يقدر عليه غيره، فإذا كان المطلوب هو الدعاء والشفاعة لم يكن المطلوب غير مقدور، وكلّما طلب فيه المقدور يجب حمله على طلب الدعاء والشفاعة، حملاً لفعل المسلم على الصحة فالتفصيل المذكور ساقط من أصله.

وأما قوله: «إنّ مسألة المخلوق قد تكون جائزة وقد تكون منهيّاً عنها».

أراد بالنهي نهي الكراهة والتنزيه لا نهي المنع والتحریم فله وجه، بمعنى أنّه لا ينبغي مسألة الناس والاستعانة بهم مع إمكان الاستغناء عنهم، وسمع بعض أئمة أهل البيت عليهم السلام من يقول: اللهم لا تحوجني إلى خلقك، فنهاه وقال ما معناه إنّّه لا بدّ من احتياج الخلق بعضهم لبعض، ولكن قل: (اللهم لا تحوجني إلى لئام خلقك)^(٤).

١- زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ١: ٢٤.

٢- المصدر السابق ١: ٢٤ - ٢٥.

٣- اسم الكتاب: (زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور) لابن تيمية الحراني.

٤- وسائل الشيعة ٤: ١١٧، باب أنّه يكره أن يقال: اللهم أغني عن خلقك بل يقال عن لئام خلقك.

وإن أراد غير ذلك فهو مردود عليه، ولكن ذلك كُله خارج عما نحن فيه، فإنّ كلامنا في الاستغاثة بالمخلوق ليكون شافعاً إلى الله، ووسيلة إليه، ولا شكّ أنّ ذلك راجح لا كراهة فيه إذا كان المستغاث أهلاً لذلك، فإنّ ذلك لا يخرج عن عبادة الله ودعائه والاستغاثة به، بل هو المستغاث حقيقة، والله تعالى يحب دعاءه والتوسل إليه بكرام خلقه؛ لأنّ ذلك من أنواع العبادة له، والتذلل له، وإلاّ فالله تعالى قادر على أن يعطينا بدون دعائنا وتوسلنا وتضرعنا ويعفو عنا بغير شفاعة شفيع، فلماذا أمرنا بالدعاء، وقبل شفاعة الشفعاء، وأذن لهم فيها؟

وأما ما ذكره ابن عبد الوهاب في تعليمه الاحتجاج من قوله: (أنت تقرّ أنّ الله فرض عليك إخلاص العبادة - إلى قوله - : فإنّه لا يعرف العبادة ولا أنواعها)،^(١) فجوابه أنّ علماء المسلمين أعرّف برّبهم وعبادته وأنواعها منه، ونسبته لهم إلى الجهل بالعبادة وأنواعها جهل، وسوء أدب، وتخرص على الغيب.

وإذا كان لا يعرف العبادة ولا أنواعها فكيف جزم بأنّه لا بدّ أن يقول : إنّ الدعاء عبادة وأنّه مخ العبادة؟! قوله : (إذا دعوت الله، ودعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره هل أشركت في عبادة الله)؟^(٢) ألخ؟

قد علم بما بيّناه أنّه ليس كلّ دعاء عبادة، وأنّ من يدعو غير الله في حاجة من نبي أو صالح حي أو ميت ليدعو الله له في قضاء حاجته، ويشفع له عنده ليس بعبادة لذلك النبي أو الصالح، وليس مشركاً في عبادة ربّه أحداً،

١- كشف الشبهات : ٦٥، تحقيق عبد الله القحطاني.

٢- كشف الشبهات : ٦٦، تحقيق عبد الله القحطاني.

ولا خارجاً عن دعاء الله وعبادته، فلا نطيل باعاداته .

قوله: (وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء)^(١)؟
قد عرفت أيضاً أنّ عبادتهم لهم كانت بالسجود والذبح والإهلال
بأسمائهم على الذبائح ، والالتجاء إلى الأحجار والأشجار للجاء والشفاعة التي
نهى الله عن الالتجاء إليها على لسان أنبيائه، ولم يجعل فيها صفة تصحح
الالتجاء إليها، ولا جاء لها عنده، سواء قصد طلب شفاعتها أو التجأ إليها لأنّها
فاعلة بنفسها، ولأنّها جمادات لا قدرة لها على شيء أصلاً، ولا تسمع ولا تعقل .
أو بعبادة ملك أو جني واعتقاد أنّ له تأثيراً مع الله وقدرة بنفسه لم يجعلها
الله له .

قوله: (إذا كنت تقرّ أنّ الله حرّم الشرك فما هو فإنّه لا يدري)^(٢) .
قوله: (لا يدري) حكم على غائب وتخرّص على الغيب ، وما الذي أعلمه
أنّه لا يدري؟! وهل الله أشركه في علم الغيب؟
بل الشرك الذي حرّمه الله تعالى معلوم معروف عند جميع المسلمين،
لا يجهله عوامهم فضلاً عن علمائهم، فنسبتهم إلى أنّهم لا يعرفون معنى الشرك
افتراء باطل، وإساءة أدب مع علماء الأمة الذين قال رسول الله | فيهم:
«علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل»^(٣) أو : «أفضل من أنبياء بني إسرائيل»^(١)

١- المصدر السابق: ٦٧.

٢- المصدر السابق: ٧١.

٣- فيض القدير شرح الجامع الصغير ١: ٢١، كشف الخفاء ومزيل الإلتباس ٢: ٦٤، تفسير
الرازي ١٧: ١١٥، تفسير ابن عربي ٢: ٥٥، تفسير الآلوسي ٢٦: ١٢٩، تاريخ ابن خلدون ١: ٣٢٥،
سبل الهدى والرشاد ١٠: ٣٧٧.

ومع الأمة عموماً التي قال الله تعالى عنها أنّها: {خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} (٢)، فجعلهم يجهلون معنى الشرك ويعرفه أعراب نجد فقط!

وقد عرفت أنّ الشرك والكفر يتحقق بأحد الأمور المتقدمة في الأمر الرابع عشر من المقدمة الثانية وما في حكمها، وتحقق الشرك بذلك أوضح من أن يُبين أو يجهله مسلم.

ويمكن أن نقرب هذا الاستدلال على ابن عبد الوهاب وأتباعه فنقول لأحدهم: أنت تقرّ أنّ الله فرض عليك إخلاص العبادة، وحرّم عليك الشرك، فبين لنا هذا الذي فرض عليك، وحرّم عليك؛ فإنّه لا يعرف العبادة ولا أنواعها.

فإن قال: إخلاص العبادة هو أن لا يدعو غير الله، ولا يستغيث إلا بالله، ولا ينحر ولا يذبح إلا لله، والشرك دعاء غير الله والتشفع والاستغاثة به.

فقل له: هل مطلق دعاء غير الله وندائه عبادة؟

فإن قال: نعم.

فقل له: إذن لا يسلم أحد من الشرك.

وإن قال: بل هو دعاء مخصوص.

فقل: بيّنه لي.

فإن قال: هو دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

فقل: فلماذا كفرتم المسلمين في طلب الشفاعة من النبي | ، وهو

قادر عليها، وهو الشفيع المشفع؟ فإنّه لا يهتدي إلى جوابه.

١- أوائل المقالات : ١٧٨.

٢- سورة آل عمران: ١١٠.

وقل له : هل كلّ تعظيم عبادة موجبة للشرك؟

فإن قال: نعم.

فقل: إذن تعظيم الأيوين وتعظيم النبي | في حياته شرك وكفر.

وإن قال: هو تعظيم مخصوص.

فقل له: بينه لي فإنه لا يعرفه .

فقل له: إنه تعظيم غير الله بما نهى عنه الله وكان مساوياً لتعظيم الله، وهذا

لا يفعله مسلم.

وقل له: هل كلّ ذبح ونذر لغير الله ، أو هو ذبح ونذر مخصوص؟

فلا بدّ أن يقول: إنه نذر وذبح مخصوص .

فقل له: فما هو؟

فإن قال: هو نذركم وذبحكم للأولياء.

فقل: إذا نذرنا أن نذبح شاة ونتصدق بها على الفقراء فهل هذا النذر

والذبح لله أو لغير الله؟

فلا بدّ أن يقول: إنه لله .

فقل له: وكذلك النذر والذبح الذي تزعمون أنه للولي هو نذر وذبح لله،

ليتصدق به على الفقراء ويهدي ثوابه للنبي أو الولي.

قوله: (أَتُظَنُّ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ تِلْكَ الْأَشْخَابَ وَالْأَحْجَارَ تَخْلُقُ

وَتَرْزُقُ...؟) ^(١) الخ.

١ - كشف الشبهات : ٧٢، تحقيق عبد الله القحطاني.

فيه أنهم وإن لم يعتقدوا أنها تخلق وترزق إلا أنهم عبدوها وعظموها بما نهاهم الله عنه، واعتقدوا أن لها شرفاً ذاتياً واختياراً وتدبيراً كما أوضحناه مراراً فلا نطيل بإعادته، وليس هذا هو فعل المسلمين عند الأحجار والبنايا التي على القبور وغيرها كما زعم وتوهم على ما سبق مفصلاً، فأين الاستغاثة بذوي المكانة عند الله ودعاؤهم من عبادة الأصنام؟

وأين فعل المسلمين من فعل عباد الأصنام؟

فالمسلمون بتعظيمهم من أمر الله بتعظيمه، وتبركهم بمن أثبت الله له البركة، واستغاثتهم وتشفعهم بمن جعله الله مغنياً وشافعاً، وطلبهم دعاءه، واستغفاره لهم، لم يعبدوا غير الله تعالى، ولم يعظموا غير الله، ولم يستغيثوا إلا بالله، ولم يدعوا غير الله؛ لأن كل ما كان عن أمر الله تعالى فهو إطاعة له، ولو تعلق بالمخلوقين واشتمل على تعظيمهم، كما كان سجود الملائكة لآدم، ويعقوب وزوجته ليوسف، وتعظيم الكعبة والطواف بها، والحجر الأسود وتقيله، واستلام الأركان، وتعظيم حجر إسماعيل، ومقام إبراهيم والصلاة عنده، وتعظيم الحرم والمساجد، وهي جمادات كلها، عبادة لله تعالى وتعظيماً له.

قوله: (هل تريد أن الشرك مخصوصاً بهذا، أي عبادة الأصنام، وأن الاعتماد على الصالحين ودعائهم لا يدخل في هذا؟
فهذا يردّه ما في القرآن من كفر من تعلق على الملائكة وعيسى والصالحين)^(١).

قد عرفت أن كفر من تعلق على الملائكة لم يكن لمجرد التشفع بهم وطلب دعائهم، وأن كفر من تعلق على عيسى لأنه جعله إلهاً مستحقاً لجميع

١ - كشف الشبهات : ٦٧-٧٣، تحقيق عبد الله القحطاني.

صفات الألوهية لا مجرد الاستغاثة به بطلب دعائه وشفاعته فراجع .
فتعبيره بالتعلق المجمل وعدم بيانه المراد منه جهل أو تضليل، فأين هذا
ممن استغاث بنبي أو ولي دل الشرع على أنه حي يسمع الكلام ، فطلب دعاءه
وشفاعته؟!!

وأما من تعلق على الصالحين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر التي ورد
أنها أسماء قوم صالحين فقد أقام لهم تماثيل من أحجار يعبدوها، ويسجد لها
ويذبح الذبائح، ويهل بها لها، ويذكر أسماءها عليها، ويطلبها بدمائها، ويتقرب
بها إلى تلك الأحجار، ويستغيث بها، ويعتقد أن لها تأثيراً وقدرة إلى غير ذلك،
ولم يكن منه مجرد الاستغاثة والتشفع إلى الله بأصحابها الذين هم قوم
صالحون، ولهم مكانة عند الله ، بل تشفع واستغاث بأحجار على صورهم
الموهومة ، لم يجعل الله لها حرمة ولا شفاعه، ولم يقتصر على ذلك، بل زاد
عليه أنواعاً من العبادة كما مرّ مراراً، وأين هذا من الاستغاثة والتوسل بالنبي أو
الولي الذي دلّ الشرع على أنه حي بعد الموت؟!!

قوله في جواب استغاثة الناس بالأنبياء يوم القيامة الدالة على أنها ليست
شركاً: (سبحان من طبع على قلوب أعدائه! فإنّ الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر
عليه لا ننكرها)^(١) الخ.

ونقول: سبحان من طبع على قلبه فجعله لا يلتفت إلى التناقض والتهافت
في كلامه فإنّه كما عرفت في الفصل الثاني يمنع من طلب الشفاعه من
النبي | ويجعله شركاً ويوجب طلبها من الله تعالى بقوله: اللهم شفّعه في،
أو: ارزقني شفاعته مع تسليمه بأنّه | قادر عليها، وأنّ له الشفاعه، وأنّه الشفيع
المشفع، وهنا يقول: لا ننكر الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه! فأى جهل

وتناقض وتهافت أعظم من هذا؟ وهو مع ذلك يقول: «سبحان من طبع على قلوب أعدائه»، مع أنك عرفت مراراً أنّ الاستغاثة بالحاصلة بالمخلوق ليست إلا فيما يقدر عليه وهو الدعاء والشفاعة، وإن عبر بقوله: ارزقني واشف مريضني وغير ذلك كما مر أنفاً!!

لا يقال: إنّما منع من طلب الشفاعة من النبي | تمسكاً بقوله تعالى: {قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً} (١)، {فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً}، (٢) فيكون عدم جواز طلبها منه وإن كان قادراً عليها لنص شرعي تعبدى، وهو الآيتان الشريفتان. لأننا نقول: معنى الآية الأولى كما عرفت في الفصل الأول ليس عدم جواز طلب الشفاعة منه |، بل إنه تعالى مالك أمرها، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، وإلا لمن ارتضى، ولا يلجئه أحد إلى قبول شفاعته كما يقع من المخلوقين المنهي عنه في الآية الثانية دعاء مخصوص لا مطلق الدعاء كما عرفته في هذا الفصل.

وأول كلامه بالنسبة إلى الاستغاثة وغيرها مطلق شامل للمقدور وغيره، مع أنّه في مقام البيان، ولكن لما اعترض عليه بالاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة التي لم يجد لها جواباً قيد حينئذٍ الاستغاثة الممنوعة بغير المقدور، وإلا فما باله لم يقيدها من أول الأمر، ويسلم من الاعتراض مع كونه في مقام البيان؟! ومنه يظهر بطلان جواب الصنعاني السابق الراجع إلى التفصيل بين الاستغاثة بالحي فيما يقدر عليه وغيرها لما عرفت من أنّ الاستغاثة بالحاصلة لا تخرج عن المقدور.

١- سورة الزمر: ٤٤.

٢- سورة الجن: ١٨.

قوله: (وَأَمَّا بَعْدَ مَمَاتِهِ فَحَاشَا وَكَلَّا أَنَّهُمْ سَأَلُوا ذَلِكَ)^(١).

فيه أَنَّهُ يَنَاقِضُ قَوْلَهُ الْأَوَّلَ: (وَنَحْنُ أَنْكَرْنَا اسْتِغَاثَةَ الْعِبَادِ عِنْدَ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ أَوْ فِي غَيْبَتِهِمْ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللَّهُ)^(٢)، فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَوْجِبَ لِلْإِنْكَارِ كَوْنُهَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللَّهُ، وَحِينَئِذٍ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ طَلِبِهَا مِنَ الْحَيِّ أَوْ الْمَيِّتِ، فَلَوْ طَلَبَ مِنَ الْحَيِّ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ لَكَانَ شَرْكَاً عِنْدَهُ، وَقَوْلُهُ: (وَأَمَّا بَعْدَ مَمَاتِهِ فَحَاشَا وَكَلَّا) إِنْخِ يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ جَوَازِ طَلَبِ شَيْءٍ مِنَ الْمَيِّتِ مُطْلَقاً وَلَوْ كَانَ مِمَّا يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَيْرُ اللَّهِ كَالدَّعَاءِ وَالشَّفَاعَةِ، وَهُوَ تَنَاقُضٌ ظَاهِرٌ، فَتَارَةً جَعَلَ الْمَنَاطَ عَدَمَ قُدْرَةِ غَيْرِ اللَّهِ وَتَارَةً الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ وَالْغَيْبَةَ وَالْحُضُورَ!

كَمَا أَنَّ تَقْيِيدَ الصَّنْعَانِي بِالْأَحْيَاءِ مَشْعَرٌ بِعَدَمِ جَوَازِ الْاسْتِغَاثَةِ بِالْأَمْوَاتِ حَتَّى فِي الْمَقْدُورِ.

وَكَيْفَ كَانَ فَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّ التَّفْصِيلَ بَيْنَ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَيْرُ اللَّهِ وَمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ لَا يَرْجِعُ إِلَى مُحْصَلٍ بَعْدَ مَا كَانَ الْمُرَادُ سَوْأَلِ الدَّعَاءِ وَطَلَبِ الشَّفَاعَةِ الْمَقْدُورِينَ، فَكَمَا أَنَّ اسْتِغَاثَةَ النَّاسِ بِالْأَنْبِيَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَرِيدُونَ مِنْهُمْ أَنْ يَدْعُوا اللَّهَ أَنْ يَحَاسِبَ النَّاسَ حَتَّى يَسْتَرِيحَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ كَرْبِ الْمَوْقِفِ، وَاسْتِغَاثَةُ الْمُسْلِمِينَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا يَرِيدُونَ مِنْهُمْ أَنْ يَدْعُوا اللَّهَ وَيَشْفَعُوا عِنْدَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَوَائِجَهُمْ، وَهَذَا أَمْرٌ مَقْدُورٌ لَهُمْ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، لَمَّا عَرَفْتَ فِي الْمَقْدَمَاتِ مِنْ حَيَاةِ النَّبِيِّ | فِي قَبْرِهِ، وَاسْتَغْفَارِهِ لِأُمَّتِهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ يَعْلَمُ فُسَادَ تَفْرِيقِهِ بَيْنَ اسْتِغَاثَةِ صَحِيحَةِ إِبْرَاهِيمَ بِجَبْرِئِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لَوْ فَعَلَهَا وَاسْتَغَاثَتْنَا بِالنَّبِيِّ |، بِأَنَّ الْأَوَّلَى اسْتِغَاثَةٌ فِي أَمْرٍ مَقْدُورٍ

١- كشف الشبهات : ٩٦، تحقيق عبد الله القحطاني.

٢- المصدر السابق.

بخلاف الثانية؛ لأنّ الثانية هي أيضاً في أمر مقدور، وهي طلب الدعاء والشفاعة، وليس فيها عبادة وشرك لو كان يفقه .

كما أنّ التفصيل بين الاستغاثة بالأحياء والاستغاثة بالأموات ولو في المقدور لغير الله تحكم محض لم يأت الصنعاني عليه بدليل، ولم يزد ابن عبد الوهاب في دليله على قوله : (فحاشا وكلا أنّهم سألوا ذلك ، بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره فكيف دعاؤه بنفسه)، وهي دعوى مجردة عن الدليل، لم يأت عليها بشاهد ولا أثر مروي ، بل عرفت أنّها دعوى كاذبة، وأنّ الأمر بالعكس؛ فإنّهم أنكروا على من لم يدع الله عند قبره ولم يستقبله في دعائه ويتوسل به كما وقع لمالك إمام دار الهجرة مع المنصور العبّاسي ، وأنّ سيرة السلف والخلف دعاء الله تعالى عند قبره الشريف والتبرك به، فمن هم السلف الذين يزعم ابن تيمية وابن عبد الوهاب أنّهم أنكروا على من دعا الله تعالى عند قبر النبي | ؟!

وهل مالك إمام المذهب وإمام دار الهجرة الذي قيل فيه: (لا يُفتى ومالك في المدينة)^(١)، والذي قال فيه الإمام الشافعي: (حجّة الله على خلقه)^(٢) لا يعدّ منهم؟!

فظهر بذلك أنّ ما قاله افتراء على السلف، وأنّه لا فرق بين طلب الدعاء منه | في حياته وبعد وفاته، وأنّ التفرقة بينهما محض جمود أو عناد، وأنّ ما هو شرك لا يمكن أن يكون توحيداً وبالعكس .

ومما يدل على جواز الاستغاثة بغير الله من النقل ما في خلاصة الكلام أنّه

١- تقدّم تخريجه سابقاً.

٢- تقدّم تخريجه آنفاً.

روى : (ابن السنّي عن عبد الله بن مسعود (رض) قال : قال رسول الله | : «إذا انفلفت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله، احبسوا، فإنّ لله عبداً يجيبونه»^(١)، وفي حديث آخر رواه الطبراني أنّه | قال : «إذا ضل أحدكم شيئاً أو أراد عوناً وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل: يا عباد الله أعينوني. وفي رواية : اغثوني، فإنّ لله عبداً لا ترونها»^(٢).

وقال : إنّ الفقهاء ذكروا ذلك في آداب السفر»^(٣).

وهو موجود في كتب أصحابنا أيضاً وأورده بعض الوهابية في الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية ببعض التغيير قال: ومما استدل به علينا في جواز دعوة غير الله قوله | وأورد الحديث الأوّل لكنه قال: احبسوها بدل احبسوا.

قال : وفي رواية إذا أعيت فليناد: يا عباد الله أعينوا^(٤).

ثمّ أجاب بأجوبة طويلة جلّها لا يرجع إلى محصل، ولا يليق أن يسطر، ولا يرتبط بالمقصود، فلذلك أعرضنا عن نقله.

١- مسند أبي يعلى الموصلي ٩: ١٧٧، المعجم الكبير للطبراني ١٠: ٢١٧، مجمع الزوائد ١٠: ١٣٢، الجامع الصغير ١: ٧٩، رد اعتبار الجامع الصغير: ١٤، وصحح الحديث، الإغاثة: ٢٢، رفع المنارة: ١٨٢، المصنّف لابن أبي شيبة ٦: ١٠٣، كنز العمال ٦: ١٠٧١، الكلم الطيب ١: ١٤٦، الوابل الصيّب ١: ١٨٥.

٢- المعجم الكبير ١٧: ١١٨، مجمع الزوائد ١٠: ١٣٢، وصححه، فيض القدير في شرح الجامع الصغير ١: ٣٩٥، الإغاثة: ٢٢، رفع المنارة: ١٨٣.

٣- الدرر السنية في الرد على الوهابية لزيني دحلان: ٣٣، شواهد الحقّ في الاستغاثة بسيد الخلق: ١٧٤.

٤- الكامل لابن عدي ٦: ٣٢٥ ت ١٨٤، ميزان الاعتدال ٤: ١٤٣ ت ٨٦٥٤.

ومما ذكره القدح في السند برواية الطبراني له في الكبير بسند منقطع عن عقبة، وأنّ النووي عزاه لابن السني، وفي إسناده معروف بن حسان، قال ابن عدي : (منكر الحديث)^(١)، مع أخذ الفقهاء له بالقبول، وذكرهم مضمونه في آداب السفر، وإيراد أئمة الحديث له في كتبهم كالطبراني والنووي مغن عن تصحيح سنده لو سلم ما قاله.

وكيف خفي على الفقهاء والمحدثين أنّ مضمونه شرك أو حرام وظهر ذلك لأعراب نجد؟!

وأجاب صاحب المنار في الحاشية بأنّ المتبادر أنّ النداء لمن عساه يوجد من الناس في الفلاة ولم يره وهو معتاد. انتهى.

ولمّا كان الحديث المذكور في رسالة الوهابية إشارة إلى ما رواه الطبراني والنووي كما نصّ عليه صاحب الرسالة عند قدحه في السند، كان تأويل صاحب المنار هذا مصادماً لصريح الحديث فإنّ قوله: (فإنّ لله عبداً لا ترونهم)، صريح أو كالصريح في أنّهم ليسوا ممّن يُرى، لدلالة المضارع على الاستمرار، ودلالة التأكيد بأنّ على تحقق وجودهم، وكذا قوله: (فإنّ لله عبداً يجيئونهم) دالّ على أنّ وجودهم وإجابتهم محقق أو غالب لا محتمل احتمالاً بعيداً أو مقطوعاً بعدمه كما هو حال الفلاة والأرض التي ليس فيها أنيس.

ولو أراد ذلك لقال: فليناد لعله يوجد أحد يجيبه أو نحو ذلك. وفي خلاصة الكلام: (صح عن بلال بن الحارث (رض) أنّه ذبح شاة عام

١ - الكامل لابن عدي ٦: ٣٢٥ ت ١٨٤.

القحط المسمّى عام الرمادة ، فوجدها هزيلة فصار يقول: وا محمّده ، وا محمّده) انتهى .

وقال: (إنّه استغاثه به | لا ندبة).

قال : (وصح أيضاً أنّ أصحاب النبي | لمّا قاتلوا مسيلمة الكذاب كان شعارهم : «وا محمّده وا محمّده» انتهى .

وهو أظهر من السابق في الاستغاثه؛ لأنّه وقع في حياته | .

قال: (وفي الشفا للقاضي عياض أنّ عبد الله بن عمر خدرت رجله مرة فقبل له. اذكر أحب الناس إليك .

فقال : وا محمّده، فانطلقت رجله)^(١) انتهى .

وهو من نوع الاستغاثه.

أمّا ما يروى: (من أنّ أبا بكر قال : قوموا نستغيث برسول الله من هذا المنافق، فقال | : إنّه لا يستغاث بي إنّما يستغاث بالله)^(٢)، فهو على تقدير

١- الحديث الأخير في الأدب المفرد : ٢٠٧، الأذكار النووية : ٣٠٥، فيض القدير في شرح الجامع الصغير: ٥١٢، الألباني شذوذ وأخطاؤه : ٣٦، الشفا بتعريف حقوق المصطفى | ٢: ٢٣، سبل الهدى والرشاد ١١: ٤٣١، غريب الحديث ٢: ٦٧٤، النهاية في غريب الحديث ٢: ١٣، تاج العروس ٦: ٣٣٣، وارجع إلى الكلام في الدرر السنية في الرد على الوهابية: ٣٣، شواهد الحقّ في الاستغاثه بسيد الخلق: ١٧٣.

٢- مسند أحمد ٥: ٣١٧، مجمع الزوائد ١٠: ١٥٩، الطبقات الكبرى ١: ٣٨٧، الإغاثة: ٣٠، تفسير الآلوسي ٦: ١٢٩، كتاب التوحيد لابن عبد الوهاب : ٣٤، والمؤلف قال: على تقدير صحته إشارة الى ضعف الحديث حيث ضعفه محقق المسند الشيخ شعيب الأرناؤوط وقال: (إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن لهيعة، ولإبهام الراوي عن عبادة).

→ وقال السيد حسن السقاف في الإغاثة: ٣٠ (وهذا حديث ضعيف ذكره محدث العصر السيّد عبد الله الغماري في الرد المحكم المتين.. مع أنّ الحديث يخالف الأحاديث الصحيحة وخصوصاً

صحة سنده محمول على أنّ المستغاث به الحقيقي هو الله تعالى؛ لأنّه القادر المختار الفاعل لما يشاء، فقال ذلك تواضعاً لله تعالى، فهو نظير: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى}،^(١) وقوله | : «ما أنا حملتهم ولكن الله حملكم»^(٢) فلا يعارض ما دل على جواز الاستغاثة ووقوعها كما مرّ. مع أنّه خارج عن محل النزاع، فإنّ الذي يعارض فيه الوهابيون كما صرحوا به الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، واستغاثتهم برسول الله | من ذلك المناق كانت في أمرٍ مقدور قطعاً، وهو دفع مفسدة نفاقه بضربه أو قتله أو غير ذلك.

حديث الصحيحين الصريح في الاستغاثة...).

١- سورة الأنفال: ١٧.

٢- مسند أحمد ٤: ٤١٨، صحيح البخاري ٤: ٥٥ باب دعاء النبي ﷺ، صحيح مسلم ٥: ٨٣، السنن الكبرى للبيهقي ١٠: ٣١، مسند أبي يعلى الموصلي ١٣: ٢٢٩، البداية والنهاية ٥: ١٠، السيرة النبوية لابن كثير ٤: ١١، سبل الهدى والرشاد ٥: ٤٤٠، النهاية في غريب الحديث ١: ٤٤٢ مادة الحاء مع الميم، شفاء السقام: ٣١٧.

الفصل الثالث

في التوسل إلى الله تعالى بالأنبياء والصلحاء

وهذا يكون على وجوه:

أحدها: أن يقول: أتوسل به إلى الله أو أتوجه به إليه أو أتشفع أو أقدمه بين يديّ حاجتي أو نحو ذلك.

ثانيها: أن يقول: أسألك بفلان أو بحق فلان أو بحقه عليك أو بجاهه عندك أو ببركته أو بحرمة عندك أو نحو ذلك.

ثالثها: أن يقول أقسمت عليك أو أقسم عليك بفلان أو نحو ذلك. وكلّها تؤول إلى شيء واحد وهو جعله وسيلة وواسطة بينك وبين الله تعالى، لما له من المنزلة عنده والكرامة لديه .

والوجهان الأخيران يدخلان في الإقسام على الله بمخلوق الذي يأتي في الفصل الرابع، وذكرناهما هنا لعدم خروجهما عن التوسل وكونهما من أنواعه. والتوسل بأنواعه مما منعه الوهابية وجعلوه شركاً؛ لأنّه نوع من التشفع الممنوع عندهم والموجب للشرك ولجريان أدلتهم فيه.

وقد صرح بذلك محمّد بن عبد الوهاب في المحكي عنه في كتاب التوحيد حيث قال بعد ذكر آية: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ} ^(١): «بيّن فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين، ففيها بيان أنّ هذا الشرك الأكبر» ^(٢) انتهى.

١- سورة الإسراء : ٥٧.

٢- كتاب التوحيد ١: ٩٢.

وصرّح به أيضاً الصنعاني في تطهير الاعتقاد حيث قال في جملة كلامه المتقدم في الباب الثاني: (بأنّ من توسل بمخلوق فقد أشرك مع الله غيره، واعتقد ما لا يحل اعتقاده، كما اعتقد المشركون في الأوثان)^(١)، وعدّ من جملة العبادة الموجبة للشرك والكفر التوسل بالمخلوق.

وقد صرّح ابن تيمية في كلامه المتقدم في الفصل الأوّل في الشفاعة بأنّ من توسل بعظيم عند الله كما يتوسل إلى السلطان بخواصّه وأعوانه فهذا من أفعال الكفار والمشرّكين^(٢).

وقال في مقام آخر من رسالة زيارة القبور: «وأما قول بجاه فلان عندك أو ببركة فلان أو بحرمة فلان عندك أفعل بي كذا فهذا يفعلُه كثير من الناس، لكن لم ينقل عن أحدٍ من الصحابة والتابعين وسلف الأمة أنّهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء، ولم يبلغني عن أحد من العلماء في ذلك ما أحكيه إلا للنبي ﷺ إن صح الحديث في النبي | .

ثمّ قال: قد روى النسائي والترمذي وغيرهما أنّه | علم بعض أصحابه أن يدعو فيقول:

«اللّهم إنّني أسألك وأتوسل إليك بنبيك نبي الرحمة، يا محمّد يا رسول الله إنّني أتوسل بك إلى ربّي في حاجتي ليقضيها لي، اللّهم فشفعه فيّ»^(٣)، فإنّ هذا

١- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد: ٥٠١ المطبوع ضمن الجامع الفريد.

٢- زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ١: ١٨.

٣- سنن الترمذي ٥: ٢٢٩ وقال: «هذا حديث حسن صحيح». منتخب مسند عبد بن حميد: ١٤٨، الأذكار النووية: ١٨٤، الجامع الصغير ١: ٢٢٧، كنز العمال ٢: ١٨١، رفع المنارة: ٤٠، تفسير روح المعاني ٦: ١٢٦، أسد الغابة ٣: ٣٧١، تاريخ الإسلام ١: ٣٦٤، البداية والنهاية ٦: ١٧٩، إمتاع الأسماع ١٠: ٣١٢، سبل الهدى والرشاد ١٠: ٣١١.

الحديث قد استدل به طائفة على جواز التوسل به | في حياته وبعد مماته، قالوا: وليس في التوسل دعاء المخلوقين ولا استغاثة بالمخلوق، وإنما هو دعاء واستغاثة به تعالى، لكن فيه سؤال بجاهه كما في سنن ابن ماجه عن النبي | في دعاء الخارج للصلاة: «اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا»^(١) إلى آخر ما يأتي في الفصل الرابع.

قالوا: فسأله بحق السائلين عليه وبحق ممشاه إلى الصلاة، والله تعالى قد جعل على نفسه حقاً بقوله: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} ^(٢)، {كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْنُوءًا} ^(٣).

قال: وفي الصحيح عن معاذ بن جبل عن النبي | : «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم»^(٤)، وجاء في غير حديث كان حقاً على الله كذا وكذا، كقوله في حديث شارب الخمر فإن عاد في الثالثة أو الرابعة كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال وهي عصارة أهل النار^(٥).

١- مسند أحمد ٣: ٢١، سنن ابن ماجه ١: ٢٥٦، مسند ابن الجعد ٢٩٩، المصنف لابن أبي شيبة ٧: ٢٩، كتاب الدعاء ١٤٩، كنز العمال ٢: ٦٤٤، تمام المنة للألباني ٢٨٩، رفع المنارة: ٤٠، الدر المنثور للسيوطي ٢: ٣٦٦، تفسير الألوسي ٦: ١٢٧، ميزان الاعتدال ٢: ٤٤٧، سبل الهدى والرشاد ٨: ٥٢٨، شرح العقيدة الطحاوية ٣٦٢، الدرر السنية في الرد على الوهابية: ٧، فتنة الوهابية: ٨.

٢- سورة الروم: ٤٧.

٣- سورة الفرقان: ١٦.

٤- صحيح البخاري ٣: ٢١٦ كتاب الجهاد والسير، صحيح مسلم ١: ٤٣، سنن ابن ماجه ٢: ١٤٣٦، المستدرک للحاکم ١: ٥١٧، مجمع الزوائد ١٠: ٩٩، المعجم الكبير ٢٠: ١٢٧، الاتفاق في علوم القرآن ٢: ٤٢١، سير أعلام النبلاء ١: ٤٤٤.

٥- مسند أحمد ٥: ١٧١، صحيح مسلم ٦: ١٠٠، سنن أبي داود ٢: ١٨٤، سنن الترمذي ٤: ٦٧، ←

وقالت طائفة: ليس في هذا جواز التوسل به في مماته وبعد مغيبه، بل في حياته بحضوره كما في صحيح البخاري أن عمر (رض) استسقى بالعبّاس فقال: (اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقين، وإنا نتوسل إليك بعمّ نبينا فاسقنا)^(١) فيسقون، وقد بين عمر أنهم كانوا يتوسلون به في حياته فيسقون، وذلك التوسل به أنهم كانوا يسألونه أن يدعو الله لهم فيدعو لهم، ويدعون معه، فيتوسلون بشفاعته ودعائه.

إلى أن قال: فهذا كان توسلهم به، ولما مات توسلوا بالعبّاس، وما كانوا يستسقون به بعد موته ولا في مغيبه ولا عند قبره ولا قبر غيره.

إلى أن قال: ولم يذكر أحد من العلماء أنه يشرع التوسل والاستسقاء بالنبي والصالح بعد موته ولا في مغيبه، ولا استحجوا ذلك في الاستسقاء والانتصار ولا غير ذلك من الأدعية، والدعاء مخ العبادة، ومبناها على الاتباع لا الابتداع^(٢)، انتهى.

→ سنن النسائي ٨: ٣١٧، المستدرک للحاکم ٤: ١٤٦، السنن الكبرى للبيهقي ١: ٣٨٩، مجمع الزوائد ٣: ٣١٠، مسند أبي داود الطيالسي ٢٥٨، المصنّف للصنعاني ٩: ٢٣٨، مسند الحميدي ٢٧٣، المصنّف لابن أبي شيبة ٦: ٢٤٩، الأدب المفرد ١٢٢، التواضع والخمول ٢٩٦، السنن الكبرى للنسائي ٣: ٢٣٠، صحيح ابن حبان ١٢: ١٨٠، المعجم الأوسط ٦: ٢٦٦، المعجم الكبير ١٧: ٣٦٨، الاستيعاب ١: ١٢٢، موارد الضمّان ٤: ٣٤٩.

١- صحيح البخاري ٢: ١٦ أبواب الاستسقاء، تحفة الأحوذى ١٠: ٢٧، الآحاد والمثاني ١: ٢٧٠، صحيح ابن خزيمة ٢: ٣٣٨، إرواء الغليل ٣: ١٣٩، السنن الكبرى للبيهقي ٣: ٣٥٢، مجمع الزوائد ٢: ٢٧٩، المعجم الصغير ١: ١٨٣، المعجم الكبير ١: ٧٢، كتاب الدعاء ٣٢٠، فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤: ٤٩، الطبقات الكبرى ٤: ٢٩، تهذيب الكمال للمزي ١٤: ٢٢٨، سير أعلام النبلاء ٢: ٩٧، وفيات الأعيان ٥: ١٥٢، البداية والنهاية ٧: ١٥٠.

٢- زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ١: ٣٩ - ٤٤، وقد ذكرنا سابقاً أن عدول عمر بن الخطاب عن التوسل بالنبي | إلى عمّه العبّاس لأنّ طبيعة صلاة الاستسقاء تحتاج إلى إمام حي يقيم الصلاة ويدعو بهم، وليس لعدم صحة التوسل بالنبي | بعد مماته.

ونقول: التوسل ثابت بنص القرآن العظيم قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ} ^(١)، وهي بعمومها شاملة لكلّ توسل إليه تعالى بما يكرم عليه، وقد دلت الأخبار الكثيرة على ثبوت الوسيلة للأنبياء والأوصياء والصالحين، وقد مرّ قول النبي | : « اسألوا الله لي الوسيلة ، فإنها درجة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون ذلك العبد » ^(٢)، ويأتي في فصل الحلف بغير الله قوله | عن الخوارج: « يقتلهم خير الخلق والخليفة » ^(٣) و « أقربهم عند الله وسيلة » ^(٤) ، والمراد بالوسيلة الدرجة والمكانة عنده تعالى، ولذلك يتوسل ويتشفع به إليه.

والتوسل بذوي المكانة عند الله تعالى أحياء وأمواتاً من سنن المرسلين وسيرة الصالحين، بأي وجه كان من الوجوه الثلاثة السابقة ^(٥) ، بل هو ثابت في

١- سورة المائدة : ٣٥.

٢- مسند أحمد بن حنبل ٢: ٢٦٥، صحيح مسلم ٢: ٤، سنن أبي داود ١: ١٢٨، سنن الترمذي ٥: ٢٤٦، سنن النسائي ٢: ٢٥، السنن الكبرى للبيهقي ١: ٤٠٩، مجمع الزوائد ١: ٣٣٣، المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٩٦، مسند ابن راهوية ١: ٣١٥، منتخب مسند عبد بن حميد: ١٣٩، صحيح ابن خزيمة ١: ٢١٩، صحيح ابن حبان ٤: ٥٨٨، المعجم الأوسط ١: ١٩٩، الجامع الصغير ١: ١٠٨، كشف الخفاء ١: ٩٠، إرواء الغليل ١: ٢٥٩ وصححه، تذكرة الحفاظ ٣: ١٠٥١ وغيرها من المصادر .

٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٢: ٢٥٣، شرح نهج البلاغة ٢: ٢٦٧، كشف الغمّة ١: ١٥٨.

٤- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢٦٧، كشف الغمّة للإربلي ١: ١٥٨، شرح إحقاق الحقّ ١٥: ٢٦٦.

٥- ولا يخرج عنها ما ذكره ابن تيمية في كلامه الآنف الذكر من أنّ توسلهم به | في حياته أنّهم يسألونه الدعاء لهم، فيدعو ويدعون معه، فيتوسلون بشفاعته ودعائه، فإنّه إذا جاز التوسل بعمله من الشفاعة والدعاء جاز التوسل به نفسه | وإن كان تفسيره للتوسل بذلك قصداً لتوهين أمره غير صحيح ، بل معناه ما ذكرناه في مآل الوجوه الثلاثة السابقة.

الشرائع السابقة، فعن القسطلاني في شرح صحيح البخاري عن كعب الأحبار: (إن بني إسرائيل كانوا إذا قحطوا استسقوا بأهل بيت نبيهم)^(١) انتهى.

و ليس فيه شائبة شيء من العبادة الموجبة للشرك أو المنهي عنها، فإنّ التوسل لو كان عبادة، وكلّ عبادة لغير الله شرك؛ لأنّ صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها كما هو محور كلام الوهابية؛ لم يتفاوت الحال بين التوسل بالحي كما اعترف به ابن تيمية في كلامه السابق، وصرّحت به الأحاديث السابقة التي أوردتها وفيها أمره بالتوسل به | إلى الله تعالى، وبسؤاله بحق السائلين عليه، وبحقّ ممشي المصلي إلى الصلاة، وصرحت بالحقّ على الله وبالتوسل بالنبي | وبالعبّاس، وجاء ذلك في الأخبار الآتية أيضاً، وفيها قول عمر في العبّاس: (هذا والله الوسيلة إلى الله والمكان منه)^(٢).

وإذا ثبت أنّ التوسل بالحيّ ليس عبادة ولا شركاً فالتوسل بالميت كذلك، لعدم تعقل الفرق، فإنّ جواز التوسل به إلى الله إن كان لمكانته عند الله فهي لم تذهب بالموت، وإن كان التوسل به لأجل أن يدعو الله فهو ممكن في حقّ الميت، ولو فرض عدم إمكانه لم يوجب الشرك، بل يكون مثل طلب المشي من المقعد بزعم أنّه صحيح كما بيّناهما مراراً، فالتفرقة بين التوسل بالأحياء والأموات تحكم محض وجمود بحت.

وقد فهم الصحابة الذين هم أعلم بالسنة من ابن تيمية وأتباعه عدم الفرق كما يأتي في حديث ابن حنيف، وحصلت الإجابة لهم بتوسلهم بالنبي |

١ - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٣: ٢٨، عمدة القاريّ للعيني ٧: ٣٢، الدرر السنية في الرد على الوهابية: ٢٦.

٢ - ذخائر العقبى: ١٩٩، تاريخ مدينة دمشق ٢٦: ٣٦٠، أسد الغابة ٣: ١١١، الوافي بالوفيات ١٦: ٣٦١.

بعد موته بإبصار الأعمى، وصرّحت الأخبار الآتية أيضاً بعدم الفرق بين الحي والميت، بل الموجود والمعدوم كما ستعرف، وأمر مالك إمام المذهب أبا جعفر المنصور أن يتوسل بالنبي | ويستشفع به بعد موته وقال: (هو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم)^(١) كما سيأتي كلّ هذا، والوهابية يراوغون ويتمحلون ويكفرون المسلمين بما لم يجعله الله مكفراً، فإذا قيل لهم: هذا قد ثبت في الشرع؟

قالوا: ثبت في حقّ الأحياء الحاضرين دون الأموات والغائبين، كأنّ الله جوّز عبادة الأحياء الحاضرين والإشراك بهم ولم يمنع إلّا من عبادة الأموات والغائبين!!

ويمنع ابن تيمية من التوسل بالنبي | بعد موته ويعده بدعة ويقول: ثبت في الحياة والحضور دون الغيبة وبعد الموت^(٢).

ونقول لهم: هل زالت حرمة رسول الله | بعد موته، وبطلت مكانته عند الله، ولم يعد مقرباً لديه؟ إذن فلماذا يعلن باسمه في المآذن في اليوم واللييلة خمس مرات، وعلى رؤوس المنابر، وفي الصلوات كلّها مفروضها ومسنونها، مقروناً باسمه تعالى في الكلّ؟!

ولماذا يصلّي عليه كلما ذكر؟ ولماذا ولماذا ...

إذا كان التوسل به بعد موته وفي غيبته أيام حياته شركاً فكيف صار في حياته وحضوره عبادة وتوحيداً؟! فما يكون شركاً لا يكون توحيداً وبالعكس.

١- أحكام الجنائز للألباني: ١٩٨، إمتاع الأسماع ١٤: ٦١٧، الشفا بتعريف حقوق

المصطفى ٢: ٤١، دفع الشبه عن الرسول ﷺ: ١٤٠، سبل الهدى والرشاد ١١: ٤٣٩.

٢- زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ١: ٤٩ - ٤٢.

فإن قلتم: الفارق ورود النصّ بالأمر به في الحياة وعدم وروده في غيره.
قلنا: النصّ لا يوجب التفريق في الشيء الواحد بين فرديه بحسب الزمان،
فيجعل أحدهما شركاً في زمان وتوحيداً في آخر. وإذا كان التوسل شركاً قبل
الأمر لم يجز الأمر به، ولا يمكن أن يغيّره، لأنّ الحكم لا يغيّر الموضوع، وإذا
لم يكن شركاً قبل الأمر فهو كذلك في الحياة والحضور والغيبة وبعد الموت.

وأين قياسكم الذي تتمسكون به في أحكام الدين؟

وكيف ضاق عن هذا الحكم فتورعتم عن الاستدلال به فيه لتستحلّوا دماء
المسلمين وأموالهم وأعراضهم، مع أنّ العلة في التوسل هنا ظاهرة وهي الجاه
والمكانة عند الله، فتعم كلّ ذي جاه ومكانة عنده بإطاعته له تعالى، ويخرج
عن القياس المستنبط العلة ويلحق بمنصوصها، بل العلة في ذلك قطعية، وهي
المكانة الحاصلة بالقرب والطاعة لما هو المعلوم ضرورة ونصّاً من أنّه ليس بين
الله وبين أحد هوادة، وأنّ أكرم العباد عنده أتقاهم، وليس أحد خيراً من أحد
إلاً بالتقوى، فتوقف ابن تيمية في ذلك معتلاً بأنّه لم ينقل توسلهم به بعد موته
ولا في غيبه، وتورعه عنه خوفاً من الابتداع، جمود في غير محلّه.

وكذا ما نقله عن ابن عبد السلام من عدم تجويز ذلك إلا للنبي |،
معلقاً على صحة الخبر فيه.

وينبغي لهؤلاء أن يقتصروا على التوسل به في حياته وحضوره في المدينة
دون مكة، وفي يوم كذا وشهر كذا وسنة كذا وساعة كذا وفصل كذا دون
الباقي، أبمثل هذه الأدلة الواهية الواهنة تستحل دماء المسلمين وأموالهم
وأعراضهم ويحكم بكفرهم وشرّهم وأنّ دارهم دار حرب؟!|

هذا مع أنّ الأخبار صرّحت بعدم الفرق بين الحي والميت، بل الموجود
والمعدوم، بل والعقل وغيره كالأعمال، فصرحت بوقوع التوسل من آدم
بالنبي | قبل وجوده، وبالتوسل بالأعمال، وبالتوسل بالنبي | بالأنبياء قبله،

وهم أموات، وتوسل الصحابة بقبر النبي | بفتح كوة بينه وبين السماء وإليك بيانها.

قال السمهودي الشافعي عالم المدينة في كتابه وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى : (الفصل الثالث: في توسل الزائر وتشفعه به | إلى ربّه تعالى واستقباله | في سلامه وتوسله ودعائه:

إعلم أنّ الاستغاثة والتشفع بالنبي | وبجاهه وبركته إلى ربّه تعالى من فعل الأنبياء والمرسلين وسير السلف الصالحين واقع في كلّ حال قبل خلقه | وبعد خلقه، حياته الدنيوية ومدة البرزخ وعرصات القيامة.

الحال الأوّل: أي قبل خلقه، ورد فيه آثار عن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ولنقتصر على ما رواه جماعة منهم الحاكم وصحح إسناده عن عمر بن الخطاب (رض) قال: قال رسول الله | : «لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ قَالَ:

يا ربّ، أسألك بحقّ محمّد لما غفرت لي.

فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمّداً ولم أخلقه؟

قال : يا ربّ، لأنّك لما خلقتني بيدك، ونفخت فيّ من روحك، رفعتُ رأسي فرأيتُ على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله، فعرفت أنّك لم تضيف إلى اسمك إلاّ أحبّ الخلق إليك. فقال الله تعالى:

ص يا آدم؛ إنّهُ لأحبّ الخلق إليّ، إذ سألتني بحقّه فقد غفرت لك، ولو لا محمّد ما خلقتك»^(١).

١- المستدرک علی الصحیحین ٢: ٦٧٢ وصححه، المعجم الأوسط ٦: ٣١٤، دفع شبه من شبه وتمرد ١: ٧٢، الغنية عن الكلام وأهله ١: ٥٣، كنز العمال ١١: ٦١٦، تاريخ مدينة دمشق ٧: ٤٣٧، رفع

قال: ورواه الطبراني وزاد: (وهو آخر الأنبياء من ذريتك) ^(١) ^(٢) انتهى.
وفي خلاصة الكلام: (ورواه البيهقي بإسناد صحيح في كتابه المسمى
(دلائل النبوة) الذي قال فيه الحافظ الذهبي: (عليك به، فإنه كُله هدى ونور)
عن عمر (رض)) ^(٣).

وفيها أيضاً: (قال في المواهب: ويرحم الله ابن جابر حيث قال:
به قد أجاب الله آدم إذ دعا ونجى في بطن السفينة نوح
وما ضرت النار الخليل لنوره ومن أجله نال الفداء ذبح) ^(٤).
وفيها أيضاً: (قال بعض المفسرين في قوله تعالى: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ
كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ}: ^(٥) إنَّ الكلمات هي توسله بالنبي | ^(٦) انتهى.
وفي مجمع البيان في تفسير الآية بعد نقل جملة من الأقوال ما لفظه:
(وقيل: وهي رواية تختص بأهل البيت ^ أن آدم رأى مكتوباً على العرش
أسماء معظمة مكرمة، فسأل عنها ف قيل له: هذه أجل الخلق عند الله منزلة،
والأسماء: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، فتوسل آدم إلى ربه بهم

المتارة: ١٩٦، البداية والنهاية ١: ٩١، دلائل النبوة ٥: ٤٨٩، سبل الهدى والرشاد ١: ٨٥،
شفاء السقام: ٢٩٥، الدرر السنية: ٩، تطهير الفؤاد: ١٣٤، شواهد الحق في الاستعانة بسيد
الخلق ﷺ: ١٣٧، مغني المحتاج ١: ٥١٢، قصص الأنبياء ١: ٢٥.

١- المعجم الأوسط ٦: ٣١٤، المعجم الصغير ٢: ٨٣.

٢- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٤: ١٣٧١ - ١٣٧٢.

٣- الدرر السنية في الرد على الوهابية: ٩.

٤- الدرر السنية في الرد على الوهابية: ٢٥، شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق: ١٦٤.

٥- سورة البقرة: ٣٧.

٦- التبيان في تفسير القرآن ١: ١٦٩، شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق: ١٥٦.

في قبول توبته ورفع منزلته^(١) انتهى. وفي ذلك يقول الواسطي + .
 قَوْمٌ بِهِمْ غُفِرَتْ خَطِيئَةُ آدَمَ وَهُمْ الْوَسِيلَةُ وَالنُّجُومُ الطُّلُعُ^(٢)
 وإلى هذا التوسل أشار الإمام مالك بقوله للمنصور: (ولم تصرف وجهك
 عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى)^(٣) في الحديث الآتي.
 ثم قال السمهودي: (قال السبكي: وإذا جاز السؤال بالأعمال كما في
 حديث الغار الصحيح،^(٤) وهي مخلوقه، فالسؤال بالنبي | أولى، وفي العادة

١- مجمع البيان ١: ١٧٥، والرواية نقلها المرتضى في رسائله ٣: ١١٦، المحاوي في كتاب الأربعين: ٩٥، تأويل الآيات ١: ٤٦.

٢- أعيان الشيعة ٢: ٤٣٨، الأسرار الفاطمية: ٣١.

٣- إمتاع الأسماع ١٤: ٦١٧، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢: ٤١، دفع الشبه عن الرسول: ١٤٠، سبل الهدى والرشاد ١١: ٤٢٩، شفاء السقام: ١٦٤، الدرر السنية في الرد على الوهابية: ١٠، تطهير الفؤاد: ٥٨، شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ: ١٥٦.

٤- الإشارة بذلك إلى ما رواه البخاري في صحيحه في الجزء الرابع منه في باب إجابة دعاء من برّ والديه من كتاب الأدب عن النبي ﷺ: قال: بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر فمالوا إلى غار في الجبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها صالحة فادعوا الله بها، لعل الله يفرجها.

فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، ولي صبية صغار كنت أرفع عليهم، فإذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالدي اسقيهما قبل ولدي، وأنه نأى به الشجر فما أتيت حتى أمسيت، فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحلاب فقامت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء، ففرج الله لهم فرجة حتى يرون منها السماء.

وقال الثاني: اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء، فطلبت إليها نفسها، فابت حتى آتيتها بمائة دينار، فسعيت حتى جمعت مائة دينار، فلقيتها بها، فلما قعدت بين رجلها

أنَّ من له عند شخص قدر فتوسل به إليه في غيبته فإنَّه يجب إكراماً للمتوسل به، وقد يكون ذكر المحبوب أو المعظم سبباً للإجابة .

ولا فرق في هذا بين التعبير بالتوسل أو الاستغاثة أو الشفع أو التوجه ، ومعناه التوجه به في الحاجة، وقد يتوسل بمن له جاه إلى من هو أعلى منه.

الحال الثاني: التوسل به | بعد خلقه في مدة حياته في الدنيا، منه ما رواه جماعة منهم النسائي والترمذي في الدعوات من جامعه عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي | فقال : «ادع الله لي أن يعافيني . فقال : إن شئت دعوت و إن شئت صبرت فهو خير لك>.

قال : فادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي لتقضي لي ، اللهم شفّعه فيّ» . قال الترمذي: (حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه)، وصححه

قالت: يا عبد الله، اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه، فقامت عنها، اللهم فإن كنت تعلم أنني قد فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منه، ففرج لهم فرجة . وقال الآخر: اللهم إني كنت استأجرت أجيراً بفرق أرز، فلما قضى عمله قال: اعطني حقي، فعرضت عليه حقه فتركه ورغب عنه، فلم أزل أزرقه حتى جمعت منه بقرراً وراعيها، ← فجاءني فقال: اتق الله ولا تظلمني وأعطني حقي . فقلت: إذهب إلى ذلك البقر وراعيها، فقال: اتق الله ولا تهزأ بي .

فقلت: إني لا أهزأ بك فخذ ذلك البقر وراعيها، فأخذه فانطلق، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج ما بقي، ففرج الله عنهم > صحيح البخاري ٣: ٧٠ و ٧٠: ٧٠، صحيح مسلم ٨: ٩٠ باب قصة أصحاب الغار، السنن الكبرى للبيهقي ٦: ١١٧، الديباج على مسلم للسيوطي ٦: ٨٥، الأمالي: ٣٩٦.

البيهقي وزاد : (فقام وقد أبصر وفي رواية ففعل الرجل فبراً)^(١) انتهى .

١- مسند أحمد ٤: ١٣٨ وصححه محقق المسند الشيخ شعيب الأرناؤوط ، سنن الترمذي ٥: ٢٢٩، المستدرک للحاکم ١: ٣١٣ وصححه، السنن الكبرى للنسائي ٦: ١٦٩، صحيح ابن خزيمة ٢: ٢٦، الجامع الصغير ١: ٢٢٧، إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسل بالنبي ﷺ: ٥، الإغاثة: ٢٠، ← رفع المنارة: ١٧، تهذيب الكمال ١٩: ٣٥٩، تاريخ الإسلام ١: ٣٦٥، البداية والنهاية ٦: ١٧٩، سبل الهدى والرشاد ١٠: ٣١١، صحيح شرح العقيدة الطحاوية: ٧٢٨، دلائل النبوة ٦: ١٦٦، وقال: (ورويانه في كتاب الدعوات بإسناد صحيح عن روح بن عباد عن شعبة، ففعل الرجل فبراً)، شفاء السقام: ٣٠٢ وقال: (وقد كفانا الترمذي والبيهقي رحمهما الله بتصحيحها مؤونة النظر في تصحيح هذا الحديث، وناهيك به حجة في المقصود).

وبما أنّ الحديث من الأحاديث الضرورية في الاستدلال على جواز التوسل ننقل ما ذكره الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على مسند أحمد بعد نقله الحديث حيث قال ٢٨: ٤٧٨: (إسناده صحيح، رجاله ثقات، أبو جعفر هو عمير بن يزيد بن عمير الأنصاري الخطمي، وهو عماره بن خزيمة - وهو ابن ثابت - من رجال أصحاب السنن، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين، غير أنّ عثمان بن حنيف - وهو عمّ أبي أمامة بن سهل بن حنيف - إنما أخرج له البخاري في الأدب المفرد، وأصحاب السنن سوى أبي داود).

عثمان بن عمير هو ابن فارس العبدي.

وأخرجه عبد بن حميد في المنتخب: ٣٧٩، والترمذي: ٣٥٧٨، والنسائي في الكبرى: ١٠٤٩٥، وهو في عمل اليوم والليلة: ٦٥٩، وابن ماجه: ١٣٨٥، وابن خزيمة: ١٢١٩، والحاكم ١: ٣٣٣ و٥١٩ من طرق عن عثمان بن عمر بهذا الإسناد.

قال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو الخطمي. وقال الحاكم: إسناده صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي).

قلنا: بل في إسناده من لم يخرج له الشيخان كما سلف.

وأخرجه الحاكم كذلك ١: ١٩ من طريق محمد بن جعفر عن شعبة به وقال: (صحيح على شرط مسلم)، ووافقه الذهبي.

وأخرجه الطبراني في الكبير ٢: ٨٣١١ من طريق إدريس بن جعفر العطار عن عثمان بن عمر عن

وفي خلاصة الكلام: (رواه الترمذي والنسائي والبيهقي والطبراني بإسناد صحيح عن عثمان به حنيف وهو صحابي مشهور)^(١) انتهى.

قال: (وخرج هذا الحديث أيضاً البخاري في تاريخه، وابن ماجه، والحاكم في المستدرک بإسناد صحيح، وذكره الجلال السيوطي في الجامع الكبير والصغير)^(٢) انتهى.

وفي الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنينة أنه رواه الترمذي والحاكم وابن ماجه عن عمران بن حصين^(٣).

ثم أجاب عنه بأجوبة طويلة تشبه كلام المبرسمين، لم نر فائدة في نقلها، وقد فهم الصحابة من هذا الحديث العموم لحالتي الحياة والوفاة كما ستعرف في الحال الثالث، ومرّ في الفصل الأول في الشفاعة حديث الأعرابي الذي قال

شعبة عن أبي جعفر عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن عمّه عثمان بن حنف به. قال الدارقطني: إدریس بن جعفر العطار متروک.

وأخرجه بنحوه النسائي في الكبير: ١٠٤٩٦ وهو في عمل اليوم والليله: ٦٦٠ من طريق هشام الدستوائي.

وأخرجه الطبراني في الكبير ٨٣١١: ١، وفي الصغير: ٥٠٨ مطولاً بذكر قصة، وابن السني في → عمل اليوم والليله: ٦٣٣، والحاكم ١: ٥٢٦ - ٥٢٧ من طريق روح بن القاسم كلاهما عن أبي جعفر الخطمي، عن أبي أمامة سهل بن حنيف، عن عمّه عثمان بن حنيف به.

قال الحاكم: (صحيح على شرط البخاري) ووافقه الذهبي..).

١- الدرر السنينة في الرد على الوهابية: ٨، شواهد الحقّ في الاستغاثة بسيد الخلق: ١٥٤، الفجر الصادق: ٨٧.

٢- الدرر السنينة في الرد على الوهابية: ٨، شواهد الحقّ في الاستغاثة بسيد الخلق ص: ١٥٥.

٣- الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنينة لعبد العزيز بن محمد بن سعود: ٣١.

للنبي | : (فادع الله لنا فإننا نستشفع بك على الله)^(١) فأقره النبي | على ذلك، فهذا هو التوسل بالنبي | الذي يعبر عنه تارة بالتوسل وأخرى بالاستشفاع وغير ذلك .

ومن التوسل به | في حياته ما ورد في قصة سواد بن قارب التي رواها الطبراني في الكبير كما في خلاصة الكلام ورواها غيره أيضاً وفيها أنه أنشد النبي | قصيدته التي يقول فيها:

فأشهد أن الله لا ربَّ غيره وأنت مأمون على كلِّ غائب
وأنت أدنى المرسلين وسيلة إلى الله يا بن الأكرمين الأطائب
فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل وإن كان فيما فيه شيب الذوائب
وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعه بمغنٍ فتيلاً عن سواد بن قارب^(٢)
فلم ينكر عليه رسول الله | قوله: أدنى المرسلين وسيلة ، ولا قوله: وكن لي شفيعاً.

ومن التوسل به | في حياته ما رواه البيهقي كما في خلاصة الكلام عن أنس أن أعرابياً جاء إلى النبي | يستسقي به وأنشد:

أتيناك والعذراء يدمى لبانها وقد شغلت أم الصبي عن الطفل

١- سنن أبي داود ٢: ٤١٨، كتاب السنة ٢: ٢٥٢، كتاب العرش: ٥٧، المعجم الكبير ٢: ١٢٩، التمهيد لابن عبد البر ٧: ١٤١، دفع التشبيه بأكف التنزيه: ٢٦٦، تهذيب الكمال ٤: ٥٠٥، البداية ١: ١١، شرح العقيدة الطحاوية: ٣١٧، شفاء السقام: ٣٠٦.

٢- المعجم الكبير ٧: ٩٤، مجمع الزوائد ٨: ٢٥٠، عمدة القارئ ١٧: ٨، الإستيعاب لابن عبد البر ٢: ٦٧٥، دلائل النبوة للإصبهاني ٤: ١١٩٤، تفسير ابن كثير ٤: ١٨١، ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ٤: ١٣٤، تاريخ الإسلام ١: ٢٠٦، الوافي بالوفيات ١٦: ٢٢، البداية والنهاية ٢: ٤١٠، إمتاع الأسماع ٤: ٥، عيون الأثر ١: ١٠٢، السيرة النبوية ١: ٣٤٦، سبل الهدى والرشاد ٢: ٢٠٩، السيرة الحلبية ١: ٣٢٤.

إلى أن قال:

وليس لنا إلا إليك فرارنا وأين فرار الخلق إلا إلى الرسل^(١).
وهذا صريح في التوسل به | ، ولم ينكره عليه، بل قال أنس لما أنشده
الآيات: (قام يجر رداءه حتى رقى المنبر فخطب و دعا لهم، فلم يزل يدعو
حتى أمطرت السماء وهو على المنبر)^(٢).
وروى البخاري في صحيحه أنه | قال لما أمطرت السماء : (لو كان أبو
طالب حياً لقرت عيناه، من ينشدنا قوله ؟
فقال عليّ : يا رسول الله، كأنك أردت قوله:
وأبيضُ يُستسقى الغمام بوجهه ثمالُ اليتامى عصمةً للأرامل
فتهلل وجه النبي | .^(٣)
واستسقاء الغمام بوجهه هو عين التوسل والتوجه به. وهذا البيت من
قصيدة مدح بها أبو طالب النبي | ، فأمطرت السماء، وذلك قبل البعث،
وهذا أيضاً من أدلة التوسل بالأحياء.

١- عمدة القارئ ٧: ٣١، الأحاديث الطوال : ٧٢، كتاب الدعاء : ٥٩٧، الاستذكار ٢: ٤٣٢،
التمهيد ٢٢: ٦٤، رفع المنارة : ٩٠، الإصابة في تمييز الصحابة ٥: ٥٠٢، عيون الأنباء في
طبقات الأطباء : ٧٠٤، البداية والنهاية ٦: ٩٨، إمتاع الأسماع ٥: ١٢٦، النهاية في غريب
الحديث ٣: ١٣٠.

٢- تقدم تخريجه.

٣- صحيح البخاري ٢: ١٥ أبواب الاستسقاء ، سنن ابن ماجه ١: ٤٠٥، السنن الكبرى
للبيهقي ٣: ٣٥٢، مجمع الزوائد ٨: ٣٧٢، فتح الباري ٢: ٤١١، الأحاديث الطوال : ٧٣، كتاب الدعاء:
٥٩٧، الاستذكار لابن عبد البر ٢: ٤٣٣، أمثال الحديث : ٤٧، تغليق التعليق ٢: ٣٨٩، فيض القدير في
شرح الجامع الصغير ٥: ٨٨، رفع المنارة : ٣١، الطبقات الكبرى ٣: ١٩٨، تاريخ بغداد ١٤: ٣٨٨،
عيون الأنباء في طبقات الأطباء : ٧٠٥، البداية والنهاية ٦: ٩٩.

قال السهمودي : (الحال الثالث: التوسل به | بعد وفاته روى الطبراني في الكبير عن عثمان بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان (رض) في حاجة له، وكان لا يلتفت إليه، ولا ينظر في حاجته ، فلقي ابن حنيف فشكا إليه ذلك، فقال له ابن حنيف: إئت الميضاة فتوضاً ، ثم إئت المسجد فصل ركعتين، ثم قل: «اللهم إني أسألك و أتوجه إليك بنبينا محمد | نبي الرحمة ، يا محمد، إني أتوجه بك إلى ربك أن تقضي حاجتي» ، وتذكر حاجتك ، فانطلق الرجل فصنع ما قال، ثم أتى باب عثمان، فجاءه البواب حتى أخذ بيده، فأدخل على عثمان (رض) ، فأجلسه معه على الطنفسة، فقال : حاجتك، فذكر حاجته وقضاها له، ثم قال له : ما ذكرت حاجتك حتى كانت الساعة. وقال : ما كانت لك من حاجة فاذكرها، ثم خرج الرجل من عنده فلقي ابن حنيف فقال له: جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليّ حتى كلمته في! فقال ابن حنيف: والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله | وأتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره فقال له النبي | : إن شئت دعوت أو تصبر.

فقال: يا رسول الله، إنه ليس لي قائد وقد شقّ عليّ.

فقال له النبي | : إئت الميضاة فتوضاً ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات.

قال ابن حنيف: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل: كأنه لم يكن به ضرر قط>^(١).

١- دلائل النبوة للبيهقي ٦: ١٦٧ - ١٦٨، المعجم الصغير ١: ١٨٣ وصححه، المعجم الكبير ٩: ٣١، كتاب الدعاء : ٣٢٠، تحفة الأحوذ في شرح سنن الترمذي ١٠: ٢٤، مجمع الزوائد ٢: ٢٧٩ وقال: <والحديث صحيح بعد طرقه التي روي بها>، رفع المنارة: ٩٥، إمتاع الأسماع ١١: ٣٢٧، سبل الهدى والرشاد ١٢: ٤٠٧، إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسل بالنبي ﷺ : ١٢، وقال: <صححه الطبراني ،

قال: ورواه البيهقي من طريقين بنحوه.

قال السبكي: والاحتجاج من هذا الأثر بفهم عثمان ومن حضره الذي هم كانوا أعلم بالله ورسوله وبفعلهم^(١) انتهى.

وفيه في مقام آخر ما لفظه: (وفي الكبير والأوسط بسند فيه روح بن صلاح وثقه ابن حبان وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح عن أنس بن مالك قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد دخل عليها رسول الله | فجلس عند رأسها فقال: رحمك الله يا أُمِّي بعد أُمِّي وذكر ثناءه عليها وتكفينها ببرده. قال: ثُمَّ دعا رسول الله | أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود يحفرون، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله | بيده وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله | فاضطجع فيه، ثُمَّ قال: الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأُمِّي فاطمة بنت أسد، ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي^(٢)).

وفي خلاصة الكلام: (رواه الطبراني في الكبير والأوسط وابن حبان والحاكم وصحوه^(٣)) انتهى.

أقول: قوله: «بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي» صريح في جواز التوسل بالأحياء والأموات وعدم اختصاص التوسل بالنبي | كما مر نقله عن ابن

وتعقبه حمدي السلفي بقوله: لا شك في صحة الحديث المرفوع...

والقصة صحيحة جداً، وقد وافق على تصحيحها أيضاً الحافظ المنذري في الترغيب ٢: ٦٠٦ والحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٢: ٢٧٩...، شرح سنن ابن ماجه ١: ٩٩.

١- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ٤: ١٣٧٢ - ١٣٧٣.

٢- المعجم الكبير ٢٤: ٣٥٢، المعجم الأوسط ١: ٦٨، مجمع الزوائد ٩: ٢٥٧ وصححه، كنز العمال ١٢: ١٤٨، رفع المنارة: ١١٥، الدرر السنية في الرد على الوهابية: ٧. وهو في وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٤: ١٣٧٣.

٣- الدرر السنية في الرد على الوهابية: ٧.

عبد السلام.

وَمَنْ التَّوَسَّلَ بِهِ | بعد موته قول صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها
في مرثيتها للنبي | التي رواها أهل السير وعلماء الأثر.
أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ رَجَاؤُنَا وَكَنتَ بِنَا بَرًّا وَلَمْ تَكُ جَافِيًا^(١).
وقولها: (يا رسول الله أنت رجأؤنا) صريح في التوسل والاستغاثة
به |، أي أنت رجأؤنا في الشفاعة إلى الله، وأنت وسيلتنا إليه.
قالت ذلك بمسمع من الصحابة، ولم ينكر عليها أحد، ولا يصح هذا على
رأي الوهابية؛ لأنه دعاء ونداء لغير الله تعالى، واستغاثة وتوسل بالأموات، جهلته
صفية عمّة النبي | وصاحبه وسائر الصحابة الذين سمعوه وعلمته الوهابية!
ومع ذلك يسمّون أنفسهم السلفية ويقولون: إنّ قدوتهم السلف!!
وفي وفاء الوفاء ما لفظه: (وفي الوفاء لابن الجوزي من طريق أبي محمّد
الدارمي بسنده عن أبي الجوزاء قال: قحط أهل المدينة قحطاً شديداً، فشكوا
إلى عائشة (رض) فقالت: فانظروا قبر النبي | فاجعلوا منه كوة إلى السماء
حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، ففعلوا، فمطروا حتى نبت العشب
وسمنت الإبل حتى تفتت من الشحم فُسِمِي عام الفتق^(٢).
قال: قال الزين المراغي: وأعلم أنّ فتح الكوة عند الجذب سنة أهل

١- ذخائر العقبى : ٢٥٢، مجمع الزوائد ٩: ٣٩٠، المعجم الكبير ٢٤: ٣٢٠، الاستيعاب
لابن عبد البر ١: ٤٩، الطبقات الكبرى ٢: ٣٢٥، الإصابة في تمييز الصحابة ٨: ٩، إمتاع
الأسماع ١٤: ٥٩٧، الدر النظيم ١٩٨: ١١، سبل الهدى والرشاد ١١: ٨٦.

٢- سنن الدارمي ١: ٤٤، غريب الحديث للحربي ٣: ٩٤٦، النهاية في غريب الحديث ٣: ٤٠٩،
إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسل بالنبي ﷺ: ٢٣ وصححه، الإغاثة: ٢٥ وصححه، رفع
المنارة: ٢٠٣، إمتاع الاسماع ١٤: ١٦٥، سبل الهدى والرشاد ١٢: ٣٤٧، تطهير الفؤاد: ١٤٣، شواهد
الحق في الاستغاثة بسيد الخلق: ١٦١.

المدينة حتّى الآن ، يفتحون كوة في سفلى قبة الحجره ، أي القبة الزرقاء المقدّسة من جهة القبلة، وإن كان السقف حائلاً بين القبر الشريف وبين السماء.

قلت : وستهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشريف من المقصورة المحيطة بالحجرة والاجتماع هناك^(١).

فهذا توسل به | بعد موته وبقره الشريف بالفعل كما يتوسل به بالقول، وهو مستمر من عصر الصحابة الذين هم أعلم بالله وبرسوله وأحكامه وبحرمته وحرمة قبره من الوهابية ومن وافقهم وتبعهم عليه المسلمون في كلّ عصر كما صرّح به الزين المراغي من غير نكير.

ثمّ قال السمهودي في وفاء الوفاء: (الحال الرابع: التوسل به | في عرصات القيامة فيشفع إلى ربّه تعالى، وذلك مما قام الإجماع عليه، وتواردت به الأخبار، روى الحاكم وصححه عن ابن عباس ؓ قال « أوحى الله إلى عيسى :يا عيسى ، آمن بمحمّد ، وأمر من أدركته من أمتك أن يؤمنوا به، فلولا محمّد ما خلقت آدم، ولولا أنّي خلقت محمّداً ما خلقت الجنّة والنار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب، فكتبت عليه: لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله فسكن)^(٢).

قال السمهودي : (قلت : فكيف لا يستشفع ولا يتوسل بمن له هذا المقام

١- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٤: ١٣٧٤.

٢- المستدرك على الصحيحين ٢: ٢ وصححه، تفسير الثعلبي ٧: ٦١، طبقات المحدثين بإصبهان ٣: ٣٨٧، إمتاع الأسماع ٣: ١٨٧، دفع الشبه عن الرسول ﷺ : ١٣٨، سبل الهدى والرشاد ١: ٧٤، السيرة الحلبية ١: ٣٥٦، ينابيع المودة للحنفي ٢: ٣٣٧، شفاء السقام : ٢٩٦، تطهير الفؤاد: ١٣٥، شواهد الحقّ في الاستغاثة بسيد الخلق : ١٦٥.

والجاء عند مولاه؟! بل يجوز التوسل بسائر الصالحين كما قاله السبكي وإن نقل بعضهم عن ابن عبد السلام ما يقضي أنّ سؤال الله بعظيم من خلقه ينبغي أن يكون مقصوداً على نبينا |^(١) انتهى.

وفي خلاصة الكلام: (أحاديث التوسل به يوم القيامة في الصحيحين وغيرهما فلا حاجة إلى الإطالة بذكرها)^(٢) انتهى.

ومن أخبار التوسل بالملائكة والأنبياء ما في خلاصة الكلام عن الأذكار للنووي: (أنّ النبي | أمر أن يقول العبد بعد ركعتي الفجر ثلاثاً: «اللهم ربّ جبرئيل وميكائيل وإسرافيل ومحمّد | أجزني من النار»، قال في شرح الأذكار: خص هؤلاء بالذكر للتوسل بهم في قبول الدعاء وإلا فهو سبحانه رب جميع المخلوقات، فافهم ذلك أنّه من التوسل المشروع)^(٣) انتهى.

وأما التوسل بغيره | من الأحياء فقد جاء في حديث استسقاء عمر بالعبّاس الذي أشار إليه ابن تيمية في كلامه السابق.

وقال ابن تيمية في مقام آخر من رسالة زيارة القبور ما لفظه: (وفي الصحيحين أنّ عمر بن الخطاب (رض) استسقى بالعبّاس فدعا فقال: اللهم إنا كنّا إذا أجدبنا نتوسل بنبيّنا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعمّ نبينا فاسقنا فسقوا)^(٤).

وقال السمهودي في وفاء الوفاء ما لفظه: (وقد روى ابن النعمان في مصباح الظلام قصة استسقاء عمر بالعبّاس عمّ رسول الله | نحو ما في الصحيح، وأنّ الحافظ أبا القاسم هبة الله بن الحسن رواها من طرق، وفي بعضها عن أنس

١- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٤: ١٣٧٥.

٢- الدرر السنية في الرد على الوهابية: ١٤، فتنة الوهابية: ٨.

٣- الدرر السنية في الرد على الوهابية: ٢٨، شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق: ١٦٧.

٤- زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ١: ١٤.

بن مالك τ قال: كان عمر بن خطاب τ إذا قحط استسقى بالعبّاس بن عبد
المطلب τ ، ويقول: اللهم إنا كنّا إذا قحطنا توسلنا إليك بنبيّنا فتسقيننا، وإنا نتوسل
إليك بعمّ نبيّنا | فاسقنا.
قال: فيسقون .

وفي رواية له عن ابن عبّاس أنّ عمر قال: اللهم إنا نستسقيك بعمّ
نبيّك | ونستشفع إليك بشيبتة ، فسقوا وفي ذلك يقول عبّاس بن عتبة بن
أبي لهب:

بعمّي سقى الله الحجاز وأهلَهُ عَشِيَّةً يَسْتَسْقِي بِشَيْبَتِهِ عَمْرُ
وروي أنّ العبّاس (رض) قال في دعائه: وقد توجه بي القوم إليك،
لمكاني من نبيّك | ^(١) انتهى وفاء الوفاء.
وعن كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الجزري قال:
(استسقى عمر بن الخطاب بالعبّاس (رض) عام الرمادة لما اشتد القحط،
فسقاهم الله تعالى وأخصبت الأرض، فقال عمر: هذا والله الوسيلة إلى الله
والمكان منه.

وقال حسان بن ثابت:

سأل الأنام وقد تتابعَ جَدَبُنَا	فَسَقَى الْغَمَامَ بَغْرَةَ الْعَبَّاسِ
عمّ النبيّ وصنّو والده الذي	ورث النبيّ بذاك دون الناس
أحيى الإله به البلاد فأصبحت	مخضرة الأجانب بعد الياس

ولما سقي الناس طفقوا يتمسحون بالعبّاس ويقولون: هنيئاً لك ساقى
الحرمين ^(٢) انتهى.

١- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٤: ١٣٧٥.

٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة ٣: ١١١، الاستيعاب لابن عبد البر ٢: ٨١٥ ، الوافي

وفي خلاصة الكلام: (واستسقى عمر بالعبّاس لما اشتد القحط عام الرمادة فسقوا، وذلك مذكور في صحيح البخاري من رواية أنس بن مالك وذلك من التوسل، بل في المواهب اللدنية للعلامة القسطلاني أنّ عمر لما استسقى بالعبّاس قال: **يا أيّها الناس، إنّ رسول الله** | كان يرى للعبّاس ما يرى الولد للوالد، فاقصدوا به في عمّه العبّاس، واتخذوه وسيلة إلى الله تعالى»، ففيه التصريح بالتوسل، وبهذا يبطل قول من منع التوسل مطلقاً بالأحياء والأموات، وقول من منع ذلك بغير النبي |^(١) إلى آخر ما قال.

لا يقال: لو كان التوسل بالميت جائزاً لتوسل عمر بالنبي | بعد موته، ولم يتوسل بالعبّاس؛ لأنّ التوسل بالنبي | أقرب إلى الإجابة.

لأننا نقول: لا يلزم على الإنسان دائماً توخي الأقرب إلى الإجابة في التوسل والدعاء، كما لا يلزم توخي الأفضل في العبادة، بل له أن يختار ما شاء، ويدل على ذلك ما ذكره ابن تيمية كما مر من أنّ النبي | طلب الدعاء من عمر، فلم لم يطلبه من أبي بكر الذي هو أفضل من عمر؟، وأنّه | أمر عمر أن يطلب الاستغفار لنفسه من أويس فلم يأمره أن يطلبه من أبي بكر الذي هو أفضل من أويس، بل من النبي | الذي هو أفضل الكل؟ وأنّ أبا بكر قال لعمر: استغفر لي، فلم لم يطلب ذلك من النبي | الذي أفضل من عمر؟!

على أنّ قول عمر: **إنّا نتوسل إليك بعمّ نبينا** لا يخرج عن التوسل بالنبي |، أي نتوسل إليك بمن له عندك حرمة لكونه عمّ نبينا المقرب عندك، كما تقول لغيرك: **أتوسل إليك بقراة الملك أو بمرضعة ابنك أو بصهر**

بالوفيات ١٦: ٣٦١.

١- الدرر السنية في الرد على الوهابية : ١٠، شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ : ١٥٧.

أخيك أو نحو ذلك، ولذلك لم يقل: نتوسل إليك بالعبّاس، وهذا كما في قوله تعالى: {وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ} ^(١)، ولم يقل على الوالد، قصداً لبيان العلة في ثبوت ذلك عليه وهي أنّ الولد له والله العالم، ويرشد إلى ذلك قول العبّاس على بعض طرق هذا الحديث المتقدمة: (وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيك) ^(٢).

وفي خلاصة الكلام: (وإنما خص عمر العبّاس من بين سائر الصحابة، لإظهار شرف أهل بيت الرسول | ، وليبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل، فإنّ عليّاً (رض) كان موجوداً، وهو أفضل من العبّاس) ^(٣) انتهى.

لا يقال: ظاهر قوله: (كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا) أنّ هذه كانت عادتهم، وقوله: (إنا نتوسل إليك بعمّ بنينا)، أي حيث لا يمكن التوسل الآن بنبينا لموته، فإنّا نتوسل إليك بعمّه، فهذا يدل على عدم جواز التوسل بالميت. لأننا نقول: ظهور قوله: (وإنّا نتوسل) الخ في أنّه حيث لا يمكننا التوسل بنبينا لموته ممنوع، وأي قرينة دلت على هذه المحذوفات لاسيما بعد ملاحظة ما دلّ على جواز التوسل بالميت بالأعمال ممّا مر؟! وما يكذب ما زعمه ابن تيمية من أنّه لم يذكر أحد من العلماء أنّه يشرع

١- سورة البقرة: ٢٣٣.

٢- سبل السلام للصنعاني ٢: ٨١، نيل الأوطار للشوكاني ٤: ٣٢، عمدة القاريء للعيني ٧: ٣٢، تاريخ مدينة دمشق ٢٦: ٣٥٨، شفاء السقام ٣٠٩، تطهير الفؤاد: ١٤٣، معارج القبول ٢: ٥٢٢، إحياء علوم الدين ١: ٣٠٨.

٣- الدرر السنية في الرد الوهابية: ١٢، شواهد الحق في الاستعانة بسيد الخلق ﷺ: ١٥٨.

التوسل بالنبي والصالح بعد موته ولا استحجوا ذلك ما نقل عن أئمة المذاهب الأربعة وعلمائها من التوسل به | في مماته ورجحان ذلك واستحبابه، قال السمهودي في وفاء الوفاء وغيره في غيره: « قال عياض في الشفا بسند جيد عن ابن حميد أحد الرواة عن مالك فيما يظهر قال: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك: يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قوماً فقال: { لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ } (١) الآية، ومدح قوماً فقال: { إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ } (٢) الآية، وذم قوماً فقال: { إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ } (٣) الآية، وأن حرمة ميتاً كحرمة حياً، فاستكان لها أبو جعفر فقال: يا أبا عبد الله، استقبل القبلة وادعو أم استقبل رسول الله | ؟

فقال: لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به، فيشفعك الله تعالى، قال الله تعالى: { وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ } (٤) (٥) الآية انتهى.

وفي خلاصة الكلام: (ذكره - أي الحديث - القاضي عياض في الشفا وساقه بإسناد صحيح، وذكره الإمام السبكي في زيارة خير الأنام، والسيد السمهودي في خلاصة الوفاء، والعلامة القسطلاني في المواهب اللدنية،

١- سورة الحجرات: ٢.

٢- سورة الحجرات: ٣.

٣- سورة الحجرات: ٤.

٤- سورة النساء: ٦٣.

٥- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٤: ١٣٧٦، الشفا بتعريف حقوق المطبوعين ٢: ٤١، دفع الشبه عن الرسول صلى الله عليه وسلم: ١٤٠، سبل الهدى والرشاد ١٢: ٢٩٥، شفاء السقام: ١٦٣.

والعلامة ابن حجر في تحفة الزوار والجواهر المنظم ، وذكر كثير من أرباب المناسك في آداب زيارة النبي | ، قال العلامة ابن حجر في الجواهر المنظم: رواية ذلك عن الإمام مالك جاءت بالسند الصحيح الذي لا مطعن فيه. وقال العلامة الزرقاني في شرح المواهب: ورواها ابن فهد بإسناد جيد، ورواها القاضي عياض في الشفا بإسناد صحيح رجاله ثقات ليس في إسنادها وضاع ولا كذاب.

قال : ومراده بذلك الرد على من نسب إلى مالك كراهية استقبال القبر^(١) انتهى.

قال السمهودي: (فانظر هذا الكلام من مالك وما اشتمل عليه من أمر الزيارة والتوسل بالنبي | ، واستقباله عند الدعاء، وحسن الأدب التام معه)^(٢) انتهى.

فهذا قول مالك إمام المذاهب مخاطباً به المنصور الخليفة العباسي حتى استكان لكلامه ، مع أنه خليفة الوقت وسلطان ، مبيّناً به أن حرمة رسول الله | ميتاً كحرمة حياً ، مخاطباً له بخطاب التوبيخ بقوله: (لم تصرف وجهك عنه) ناصراً على حسن التوسل به ورجحانه ، وأنه الوسيلة للخلق ووسيلة أبيهم آدم ، آمراً له باستقبال قبره والتشفع به ، ضامناً له عليه الشفاعة ، ناصراً على أن آية: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا} ^(٣) الآية عامة للحياة والممات ، كل هذا وابن

١- الدرر السنية في الرد على الوهابية: ١٠، شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق: ١٥٦.

٢- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ٤: ١٣٧٦.

٣- سورة النساء: ٦٤.

تيمية يقول: إنه لم يشرع التوسل بالنبي والصالح بعد موته، ولا استحَبوا ذلك!! ويتورع ويخاف من الابتداع بزعمه ويقول: (الدعاء مخ العبادة ومبناها على الاتِّباع لا الابتداع)^(١)، ولا يتورع عن نسبة لوازم التجسيم إليه تعالى، وعن تكفير المسلمين ونسبتهم إلى الشرك.

ثمَّ حكى السمهودي عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسين السامري الحنبلي في المستوعب في آداب زيارة النبي | : أنه يجعل القبر تلقاء وجهه، والقبلة خلف ظهره، والمنبر عن يساره، ويقول في دعائه: (اللهم إنَّك قلت في كتابك لنبيِّك ﷺ: { وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ }^(٢) الآية، وأنِّي قد أتيت نبيِّك مستغفراً، فاسألك أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حياته، اللهم إنِّي أتوجه إليك بنبيِّك | «^(٣) . وذكر دعاءً طويلاً.

ثمَّ قال: (وقال أبو منصور الكرمانى من الحنفية: إن كان أحد أوصاك بتبليغ التسليم تقول: السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان، يستشفع بك إلى ربِّك بالرحمة والمغفرة فاشفع)^(٤). وقال السمهودي في وفاء الوفاء ما لفظه: (وفي كلام أصحابنا - يعني

١- زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ١: ٤٣ - ٤٤.

٢- سورة النساء: ٦٤.

٣ - المغني لابن قدامة ٣: ٥٩، والشرح الكبير ٣: ٤٩٥، كشف القناع للبهوتي ٢: ٥٩٩، السيف الصقيل: ١٧٧، رفع المنارة: ٦٥، شفاء السقام: ١٥٨.

٤- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٤: ١٣٧٦.

الشافعية - أنّ الزائر يستقبل الوجه الشريف في السلام والدعاء والتوسل^(١) انتهى محل الحاجة.

وفي خلاصة الكلام والدرر السنية كلاهما لأحمد بن زيني دحلان: (قال العلامة ابن حجر في كتابه الخيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان في الفصل الخامس والعشرين: إنّ الإمام الشافعي أيام هو ببغداد كان يتوسل بالإمام أبي حنيفة (رض)، يجيء إلى ضريحه يزور فيسلم عليه ثمّ يتوسل إلى الله تعالى به في قضاء حاجاته.

قال: وقد ثبت أنّ الإمام أحمد توسل بالإمام الشافعي (رض) حتّى تعجب ابنه عبد الله ابن الإمام أحمد فقال له أبوه: إنّ الشافعي كالشمس للناس، وكالعافية للبدن. ولمّا بلغ الإمام الشافعي أنّ أهل المغرب يتوسلون إلى الله بالإمام مالك لم ينكر عليهم^(٢) انتهى.

وفي الصواعق المحرقة لابن حجر أنّ الامام الشافعي (رض) توسل بأهل البيت النبوي حيث قال :

(آل النبي ذريعتي وهم إليه وسيلتي
أرجو بهم أعطى غداً بيدي اليمين صحتي)^(٣) انتهى.

فهذا الإمام مالك إمام المالكية، والسامري الحنبلي، والكرماني الحنفي،

١- المصدر السابق ٤: ١٣٧٨.

٢- الدرر السنية في الرد على الوهابية: ٢٨، شواهد الحقّ في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ: ١٦٦، خلاصة الكلام في أمراء الحرام: ٢٥٢، والمقولة المنقولة عن الشافعي موجودة في: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٤: ١٦٤، كتاب الأمّ ١: ١٣.

٣- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ٢: ٥٢٤ - ٥٢٥.

وعلماء الشافعية قائلون بحسن التوسل والتشفع به | بعد موته، والإمام الشافعي توسل بأهل البيت بعد موتهم، وتوسل بالإمام أبي حنيفة بعد موته، وأقر أهل المغرب على توسلهم بالإمام مالك بعد موته، وأحمد توسل بالشافعي بعد موته فضلاً عن النبي | ، وكل هؤلاء من أئمة المذاهب الأربعة وعلمائها ، وابن تيمية يقول: إنه لم يذكر أحد من العلماء أنه يشرع التوسل بالنبي والصالح بعد موته!

وفي خلاصة الكلام: (المرجح عند الحنابلة جواز التوسل بالنبي | بعد موته، لصحة الأحاديث الدالة على ذلك، فيكون المرجح عندهم موافقاً لما عليه أهل المذاهب الثلاثة).

قال : (وأما ما ذكره الآلوسي في تفسيره من أن بعضهم نقل عن الإمام أبي حنيفة (رض) أنه منع التوسل فهو غير الصحيح، إذ لم ينقله عنه أحد من أهل مذهبه، بل كتبهم طافحة باستحباب التوسل، ونقل المخالف غير معتبر).

قال: (وقد بسط الإمام السبكي نصوص المذاهب الأربعة في استحباب التوسل في كتابه شفاء السقام في زيارة خير الأنام فراجعه).

قال: (وفي المواهب اللدنية للإمام القسطلاني: وقف إعرابي على قبره الشريف | وقال: اللهم إنك أمرت بعق العبيد، وهذا حبيبك، وأنا عبدك فاعتقني من النار على قبر حبيبك. فهتف به هاتف: يا هذا، تسأل العتق لك وحدك، هلا سألت العتق لجميع الخلق، يعني من المؤمنين، إذ ذهب فقد اعتقتك^(١)).

١- شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ١٢: ١٩٩.

قال: (ثمَّ قال في المواهب : عن الحسن البصري وقف حاتم الأصم على قبره | فقال: يا رب، إنا زرنا قبر نبيك | فلا تردنا خائبين، فنودي : يا هذا، ما أذنا لك في زيارة قبر حبيبنا إلا وقد قبلناك ، فارجع أنت ومن معك من الزوار مغفوراً لكم).

وقال ابن أبي فديك وهو من أتباع التابعين، ومن الأئمة الثقات المشهورين، ومن المرويين عنهم في الصحيحين وغيرهما: سمعت بعض من أدركت من العلماء والصلحاء يقول: بلغنا أنَّ من وقف عند قبر النبي | فقال هذه الآية : {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ} (١) وقال : صَلَّى الله عليك يا محمد حتَّى يقولها سبعين مرّة ناداه ملك: صَلَّى الله عليك يا فلان، ولم تسقط له حاجة (٢).

قال : وهذا الذي نقله في المواهب عن أبي فديك رواه عنه البيهقي . قال : ومما ذكره العلماء في آداب الزيارة أنّه يستحب أن يجدد الزائر التوبة في ذلك الموقف الشريف، يستشفع به | إلى ربّه عزّ وجلّ في قبولها، ويكثر الاستغفار والتضرع بعد التلاوة: { وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ } (٣) الآية ويقولون: نحن وفدك يا رسول الله وزوارك، جئناك لقضاء حقك، والتبرك بزيارتك، والاستشفاع بك مما أثقل ظهورنا، فليس لنا يا رسول الله شفيع غيرك نؤمله، ولا رجاء غير بابك نصله، فاستغفر لنا، واشفع لنا عند ربك وأسأله أن يمنّ علينا بسائر طلباتنا.

١- سورة الأحزاب: ٥٦.

٢- شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ١٢: ١٩٩ - ٢٠٠.

٣- سورة النساء : ٦٤.

قال : وفي الجوهر المنظم أيضاً أنّ أعرابياً وقف على القبر الشريف وقال:
اللهم إنّ هذا حبيبك ، وأنا عبدك، والشيطان عدوك، فإن غفرت لي سر حبيبك
وفاز عبدك، وغضب عدوك، وإن لم تغفر لي غضب حبيبك، ورضي عدوك،
وهلك عبدك، وأنت يا ربّ أكرم من أن تغضب حبيبك، وترضي عدوك،
وتهلك عبدك.

اللهم إنّ العرب إذا مات فيهم سيد اعتقوا على قبره، وإنّ هذا سيد العالمين
فاعتقني على قبره يا أرحم الراحمين.

فقال له بعض الحاضرين : يا أخا العرب، إنّ الله قد غفر لك بحسن هذا
السؤال.

قال: وذكر كثير من علماء المذاهب الأربعة في كتب المناسك عند
ذكرهم زيارة النبي | : أنّه يسنّ للزائر أن يستقبل القبر الشريف ويتوسل
إلى الله تعالى في غفران ذنوبه ، وقضاء حاجاته، ويستشفع به | .

قالوا : ومن أحسن ما يقول ما جاء عن العتبي، وهو مروي أيضاً عن سفيان
ابن عيينة وكلّ منهما من مشايخ الشافعي (رض)، قال العتبي: كنت جالساً عند
قبر رسول الله | فجاء إعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله
يقول - وفي رواية - يا خير الرسل، إنّ الله أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه :
{وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ
لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً} ^(١)، وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى
ربّي. وفي رواية: وإني جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربّي. وفي
رواية: وإني جئتك مستغفراً ربك عز وجلّ من ذنوبي، ثمّ بكى وأنشأ يقول:

يا خَيْرَ من دُفِنَتْ بالقاعِ أعظمه فَطابَ من طَيِّبَهِنَّ القاعُ والأَكْمُ
نَفْسِي الفداء لِقَبْرِ أَنْتِ ساكِنه فِيهِ العَفافُ وفيهِ الجُودُ والكَرْمُ
ثُمَّ استغفر وانصرف، فغلبتني عينايا، فرأيت النبي | في المنام فقال: يا
عتبي، الحق الأعرابي فبشره أَنَّ الله غفر له، فخرجت خلفه، فلم أجده^(١) انتهى.

وذكر حكاية الأعرابي هذه السمهودي في وفاء الوفاء^(٢)، وسيأتي نقلها في
فصل الزيارة.

وحكى السمهودي عن السبكي: (أَنَّ الآية دالة على الحثِّ بالمجيء
إليه |، والاستغفار عنده، واستغفاره لهم، وهذه رتبة لا تنقطع بموته، وقد
حصل استغفاره لجميع المؤمنين لقوله تعالى: {وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ} ^(٣)، فإذا وجد مجيئهم واستغفارهم تكملت الأمور الثلاثة الموجبة
لتوبة الله ولرحمته. وقوله: {وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ} ^(٤) معطوف على جاؤوك فلا يقتضي
كون استغفاره بعد استغفارهم.

مع أنا لا نسلّم أَنَّهُ لا يستغفر بعد الموت، لما سبق من حياته ومن استغفاره

١- الدرر السنية في الرد على الوهابية: ٢١ - ٢٤، شواهد الحق في الاستغاثة بسيد
الخلق ﷺ: ١٦٣.

وقصة الأعرابي تجدها في: المجموع للنووي ٨: ٢٧٤، المغني لابن قدامة ٣: ٥٨٩، كشف القناع
للبهوتي ٢: ٦٠، رفع المنارة: ٥٥، تفسير ابن كثير ١: ٥٣٢، تفسير الثعالبي ٢: ٢٥٧، سبل الهدى
والرشاد ١٢: ٣٨١، المبدع ٣: ٢٥٩، الذخيرة ٣: ٣٧٦.

٢- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٤: ١٣٦٠ - ١٣٦١.

٣- سورة محمد: ١٩.

٤- سورة آل عمران: ١٥٩.

لأُمتِه بعد الموت عند عرض أعمالهم عليه، ويعلم من كمال رحمته أنه لا يترك ذلك لمن جاءه مستغفراً ربّه^(١) انتهى.

ثمّ قال في خلاصة الكلام: (قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم: روى بعض الحفاظ عن أبي سعيد السمعاني أنه روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنهم بعد دفنه | بثلاثة أيام جاءهم أعرابي، فرمى بنفسه على القبر الشريف على ساكنه أفضل الصلاة والسلام، وحثا من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله، قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله ما وعينا عنك، وكان فيما أنزله عليك: { وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ }^(٢) الآية، وقد ظلمت نفسي، وجئتك تستغفر لي إلى ربّي، فنودي من القبر الشريف: أنّه قد غفر لك^(٣)).

قال: وجاء ذلك عن علي أيضاً من طريق أخرى^(٤) انتهى.

وفي وفاء الوفاء: (قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان في مصباح الظلام: إنّ الحافظ أبا سعيد السمعاني ذكر فيها رويانا عن علي بن أبي طالب قال: قدم علينا أعرابي .. وذكر مثله، ثمّ قال في خلاصة الكلام: (ويؤيد ذلك ما صح عنه | : حياتي خير لكم تحدثون وأحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم، ما رأيت من خير حمدت الله، وما رأيت من شرّ

١- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٤ : ١٣٦٠.

٢- سورة النساء: ٦٤.

٣- كنز العمال ٢ : ٣٨٦، الروض الفائق ٢ : ١٣٧، صلح الإخوان : ٥٤٠، مشارق الأنوار : ٥٧، تفسير الثعلبي ٣ : ٣٣٩، تفسير القرطبي ٥ : ٢٦٦، تفسير البحر المحيط ٣ : ٢٩٦، دفع الشبه عن الرسول ﷺ : ١٤٢، سبل الهدى والرشاد ١٢ : ٣٨١، تنوير الحوالك للسيوطي : ١٣.

٤- الدرر السنية في الرد على الوهابية: ٢٢، شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ : ١٦١.

استغفرت لكم^(١) انتهى.

فهذه أقوال علماء المذاهب الأربعة وسيرة المسلمين خلفاً عن سلف، متّفقة على التبرك بقبر النبي | ، والتوسل والاستشفاع به | ، سيّما عند قبره، ودعاء الله عنده ، وأخبارهم ورواياتهم طافحة بذلك، وابن تيمية يقول: لم يذكر أحد من العلماء أنّه يشرع التوسل به بعد موته ولا استحباب ذلك!

أمّا أئمة أهل البيت الطاهر النبوي فأدعيتهم المأثورة عنهم التي تبلغ حد التواتر طافحة بالتوسل بجدهم | وبحقّه وحقّهم الإقسام عليه تعالى بهم، وهم أعرف بسنة جدهم وبأحكام ربّهم من ابن تيمية وابن عبد الوهاب وأتباعهم من أعراب نجد، فهم باب مدينة علم المصطفى، وورثة علمه، والذين أمرنا بأن نتعلم منهم ولا نعلمهم، لأنّهم أعلم منّا، فمنه قول أمير المؤمنين علي عليه السلام في الصحيفة العلوية التي جمعها الشيخ عبد الله السماهيجي من أدعيته عليه السلام في الدعاء الذي علمه أويّساً: «وبحقّ السائلين لك، والراغبين إليك، المتعوذين بك، والمتضرعين إليك ، وبحقّ كلّ عبد متعبّد لك في برّ أو بحر أو سهل أو جبل»^(٢).

وفي دعائه عليه السلام عند لقاء العدو: «وبمحمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله أتوجه»^(٣)، وبعد الثامنة من صلاة الليل: «اللّهم إني أسألك بحرمة من عاذ بك منك، ولجأ إلى عزّك، واستظلّ بفيئك، واعتصم بحبك، ولم يثق إلا بك»^(٤). وبعد الزوال: «واتقرب إليك بمحمّد عبدك ورسولك، وأتقرب إليك

١- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٤: ١٣٦١.

٢- المصباح للكفعمي : ٢٨٤، العدد القوية : ١٦٤.

٣- مصباح المتهجد للشيخ الطوسي : ٣٠، المصباح للكفعمي : ١٤.

٤- مصباح المتهجد : ١٥٠، مفتاح الفلاح : ٢٤٧، إقبال الأعمال لابن طاووس : ١، ٢٥٣، المصباح للكفعمي : ٥٧٤.

بملائكتك المقرَّبين وأنبيائك المرسلين»^(١).

وفي اليوم السادس عشر: «أتوجه إليك، اللهم لا إله إلا أنت بنبيك محمد نبي الرحمة»^(٢).

وفي اليوم الرابع والعشرين: «أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة صلى الله عليه وآله الطيبين الأخيار، يا محمد إني أتوجه بك إلى الله ربك وربى في قضاء حاجتي»^(٣).

وفي دعاء الحسين بن علي ^٨ يوم عرفة المستفيض نقله عنه: «اللهم إنا نتوجه إليك في هذه العشية التي شرفتها وعظمتها بمحمد نبيك ورسولك وخيرتك من خلقك»^(٤).

وقول علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في الصحيفة الكاملة التي كفى دليلاً على صحة نسبتها بلاغة ألفاظها، فضلاً عن صحة أسانيدها وعظيم شهرتها في دعائه عليه السلام إذا دخل شهر رمضان: «اللهم إني أسألك بحق هذا الشهر، وبحق من تعبد لك فيه، من ابتدائه إلى وقت فئانه من ملك قريبته أو نبي أرسلته أو عبد صالح اختصصته»^(٥).

وفي يوم عرفة: «بحق من انتجبت من خلقك، وبمن اصطفيته لنفسك، بحق من اخترت من بريتك ومن أجتبيت لشأذك، بحق من وصلت طاعته

١- مصباح المتعبد : ٤٣، ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة ٣: ٤٥٦، الكافي ٢: ٥٤٥.

٢- بحار الأنوار ٩٤: ٢٠٦.

٣- المصدر السابق ٩٤: ٢١٥.

٤- إقبال الأعمال ٢: ٨٥، بحار الأنوار ٩٥: ٢٢٣.

٥- الصحيفة السجادية الكاملة: ٢١٦، مصباح المتعبد : ٦٠٩، إقبال الأعمال ١: ١١٣، المزار للشهيد الأوّل : ٢٥٩، المصباح للكفعمي : ٦١١.

بطاعتك، ومن جعلت معصيته كمعصيتك، بحق من قرنت موالاته بموالاتك،
ومن نطت معاداته بمعاداتك»^(١).

وفي دعائه عند زيارة جدّه أمير المؤمنين عليه السلام: «اللهم فاستجب دعائي وأقبل
ثنائي، وأجمع بيني وبين أوليائي بحقّ محمّد وعلي وفاطمة والحسن
والحسين والأئمة المعصومين من ذرية الحسين»^(٢).

وفي الدعاء الثلاثين من أدعية الصحيفة الخامسة له عليه السلام: «اللهم فإني
وسيلتي إليك محمّد وآله وبعدهم التوحيد»^(٣).

وفي الدعاء الأربعين: «وأتوجه إليك وأتوسل إليك واستشفع إليك بنبيّك
نبي الرحمة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلم تسليماً، وأمير المؤمنين علي بن
أبي طالب، وفاطمة الزهراء والحسن والحسين عبدك وأمينيك»^(٤) إلخ.

إلى غير ذلك مما يطول الكلام باستقصائه إذ قلّمّا يوجد دعاء من الأدعية
المأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام على كثرتها لا يوجد فيه شيء من
هذا القبيل، وكفى به حجة دامغة لمن أنكر ذلك.

ومن أنواع التوسل به | في حياته وبعد موته تقديم الصلاة عليه قبل
الدعاء الذي ورد أنّه من أسباب إجابة الدعاء، كما اعترف به ابن تيمية فيما
نقلناه عنه في فصل الاستغاثة، وجرت عليه سيرة المسلمين، وأصبح من

١- إقبال الأعمال ٢: ٩٥، الصحيفة السجادية: ٣٢٦.

٢- الصحيفة السجادية: ٥٩١، كامل الزيارات لابن قولويه: ٩٤، وسائل الشيعة ١٠: ٣٠٧، المزار
للمشهدى: ٢٨٤، إقبال الأعمال ٢: ٢٧٤.

٣- هامش الصحيفة السجادية للأبطحي: ٣٥٧.

٤- الصحيفة السجادية: ٨٩، بحار الأنوار ٩٢: ٢٣١.

ضروريات الدين، فإنَّه لا معنى له إلا التوسل به | وبالصلاة عليه إلى الله في إجابة الدعاء.

ومن أنواع التوسل به | استقبال قبره الشريف وقت الدعاء، فإنَّه في الحقيقة توسل به | وبقبره الشريف، وقد جرت عليه سنة المسلمين خلفاً عن سلف، وقرناً بعد قرن، وجيلاً بعد جيل، وأفتى باستحبابه الإمام مالك إمام دار الهجرة في قوله للمنصور: (لَمْ تَصْرَفْ وَجْهَكَ عَنْهُ، وَهُوَ وَسِيلَتُكَ وَوَسِيلَةُ أَبِيكَ آدَمَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، بَلْ اسْتَقْبَلْهُ وَاسْتَشْفَعْ بِهِ كَمَا مَرَّ)^(١).

و في خلاصة الكلام : (ذكر علماء المناسك أن استقبال قبره الشريف | وقت الزيارة والدعاء أفضل من استقبال القبلة ، قال العلامة المحقق الكمال بن الهمام: إنّ استقبال القبر الشريف أفضل من استقبال القبلة، وأما ما نقل عن الإمام أبي حنيفة (رض) أن استقبال القبلة أفضل فمردود بما رواه الإمام نفسه في مسنده عن ابن عمر (رض) أنه قال: من السنة استقبال القبر المكرم ، وجعل الظهر للقبلة . وسبقه إلى ذلك ابن جماعة، فنقل إستحباب استقبال القبر الشريف عن الإمام أبي حنيفة أيضاً ، ورد قول الكرمانى أنه يستقبل القبلة وقال : ليس بشيء .

قال في الجوهر المنظم : ويستدل لاستقبال القبر أيضاً بأننا متفقون على أنه | حيّ في قبره ، يعلم زائره، وهو | لو كان حيّاً لم يسمع الزائر إلاّ استقباله واستدبار القبلة ، فكذا يكون الأمر حين زيارته في قبره الشريف ^(٢).

١- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢: ٤١، إمتاع الأسماع ١٤: ٦١٧، دفع الشبه عن الرسول ﷺ: ١٤٠، سبل الهدى والرشاد ١١: ٤٣٩، شفاء السقام: ١٦٤.
٢- الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوي المكرم: ٨٨.

ثُمَّ نَقَلَ قَوْلَ مَالِكٍ لِلْمَنْصُورِ الْمَشَارِ إِلَى آتِفًا.
ثُمَّ قَالَ: قَالَ الْعَلَامَةُ الزَّرْقَانِيُّ فِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ: إِنَّ كِتَابَ الْمَالِكِيَّةِ طَافِحَةٌ
بِاسْتِحْبَابِ الدُّعَاءِ عِنْدَ الْقَبْرِ مُسْتَقْبَلًا لَهُ مُسْتَدْبِرًا لِلْقَبْلَةِ (١).
ثُمَّ نَقَلَ عَنْ مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيِّ وَ الْجُمْهُورِ مِثْلَ ذَلِكَ.
قَالَ: أَمَّا مَذْهَبُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فَفِيهِ اخْتِلَافٌ بَيْنَ عُلَمَاءِ مَذْهَبِهِ، وَالرَّاجِحُ
عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ مِنْهُمْ أَنَّهُ يَسْتَقْبِلُ الْقَبْرَ الشَّرِيفَ كَبَقِيَّةِ الْمَذَاهِبِ (٢) أَنْتَهَى مُحَلُّ
الْحَاجَةِ مِنْ خِلَاصَةِ الْكَلَامِ.

وَمَرَّ مَا نَقَلَهُ السَّمْعُودِيُّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ السَّامِرِيِّ الْحَنْبَلِيِّ وَعَنْ كَثِيرٍ مِنْ
عُلَمَاءِ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ فِي كِتَابِ الْمَنَاسِكِ أَنَّ الزَّائِرَ يَسْتَقْبِلُ الْقَبْرَ وَيَسْتَدْبِرُ
الْقَبْلَةَ (٣).

وَقَالَ السَّمْعُودِيُّ أَيْضًا فِي وِفَاءِ الْوَفَاءِ: (قَالَ عِيَاضُ: قَالَ مَالِكٌ فِي رِوَايَةِ ابْنِ
وَهْبٍ: إِذَا سَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ | وَدَعَا يَقِفُ وَوَجْهَهُ إِلَى الْقَبْرِ لَا إِلَى الْقَبْلَةِ .
قَالَ: وَفِي رِوَايَةٍ نَقَلَهَا عِيَاضُ عَنِ الْمَبْسُوطِ أَنَّهُ قَالَ: لَا أَرَى أَنْ يَقِفَ عِنْدَ
الْقَبْرِ يَدْعُو، لَكِنْ يَسَلِّمُ وَيَمْضِي (٤).

قَالَ السَّمْعُودِيُّ: قُلْتُ وَهِيَ مُخَالَفَةٌ أَيْضًا لِمَا تَقَدَّمَ فِي مَنَازِلَةِ الْمَنْصُورِ
لِمَالِكٍ، وَكَذَا لِمَا نَقَلَهُ ابْنُ الْمَوَازِ أَنَّهُ قِيلَ لِمَالِكٍ: فَالَّذِي يَلْتَزِمُ أَنْ يَتَعَلَّقَ

١ - شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية ١٢: ٢١٢-٢١٣.

٢ - الدرر السنية في الرد على الوهابية: ٢٣، شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ: ١٦٢.

٣ - إمتاع الأسماع ١٤: ٦١٨، تطهير الفؤاد: ١٢٨، دفع الشبه عن الرسول ﷺ: ٢٠١، التوسل
بالنبي ﷺ وجهلة الوهابية: ١٥٣.

٤ - إمتاع الأسماع ١٤: ١٦٨، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢: ٨٥، شفاء السقام: ٢٨٣، تطهير
الفؤاد: ١٢٨.

بأستار الكعبة عند الوداع؟

قال: لا، ولكن يقف ويدعو.

قيل له: وكذلك عند قبر النبي | ؟

قال: نعم^(١).

ثمَّ قال: نقل ابن يونس المالكي عن ابن حبيب أنَّه قال: ثمَّ اقصد القبر من
وجه القبلة فأذن منه وسلِّم على رسول الله | واثن عليه، وعليك السكينة
والوقار، فإنَّه | يسمع ويعلم وقوفك بين يديه.. إلخ.

قال: وقال النووي في رؤوس المسائل عن الحافظ أبي موسى الإصبهاني:
أنَّه روى عن مالك أنَّه قال: إذا أراد الرجل أن يأتي قبر النبي | فيستدبر
القبلة ويستقبل النبي | ويصلِّي عليه ويدعو^(٢).

قال: وقال إبراهيم الحربي في مناسكه: تولى ظهرك القبلة وتستقبل وسطه،
يعني القبر^(٣).

قال: وروى أبو القاسم طلحة بن محمَّد في مسند أبي حنيفة بسنده عن أبي
حنيفة قال: جاء أيوب السخيتاني فدنا من قبر النبي |، فاستدبر القبلة وأقبل
بوجهه إلى القبر، وبكى بكاءً غير متباكٍ^(٤).

قال: وقال المجد اللغوي: رُوي عن الإمام الجليل أبي عبد الرحمن عبد الله

١- شفاء السقام: ١٧٣ وقال: (انتهى ما أردت نقله من الموازية، وهي من أجل كتب المالكية القديمة المعتمد عليها).

٢- شفاء السقام: ٢٨٩، تطهير الفؤاد: ١٣٢.

٣- المغني لابن قدامة ٣: ٥٩٠، رفع المنارة: ٦٥، شفاء السقام: ١٦٩، تطهير الفؤاد: ٦٢.

٤- شفاء السقام: ١٦٩، تطهير الفؤاد: ٦٢.

بن المبارك قال: سمعت أبا حنيفة يقول: قدم أيوب السخيتاني وأنا بالمدينة، فقلت: لأنظرنَّ ما يصنع، فجعل ظهره مما يلي القبلة ووجهه ممَّا يلي وجه رسول الله | وبكى غير متباكٍ، فقام مقام رجل فقيهٍ.

ثمَّ قال: قلت: فهذا يخالف ما ذكره أبو الليث السمرقندي في الفتاوى عطفاً على حكاية حكاها الحسن بن زياد عن أبي حنيفة من أنَّ المسلم عليه | يستقبل القبلة. وقال السروجي الحنفي: يقف عندنا مستقبل القبلة. قال الكرمانى الحنفي: يقف عند رأسه بين المنبر والقبر مستقبل القبلة.

قال: وعن أصحاب الشافعي وغيره يقف وظهره إلى القبلة ووجهه إلى الحظيرة، وهو قول ابن حنبل^(١).

قال: وقال محقق الحنفية الكمال ابن الهمام ما نقل عن أبي حنيفة يستقبل القبلة مردود بما روى أبو حنيفة في مسنده عن ابن عمر قال: من السنة أن تأتي قبر رسول الله | من قبل القبلة، وتجعل ظهرك إلى القبلة، وتستقبل القبر وتسلم^(٢).

وقال ابن جماعة في منسكه الكبير: ومذهب الحنفية - إلى أن قال - ثمَّ يدور إلى أن يقف قبالة الوجه المقدس، مستدبر القبلة فيسلم، وشذ الكرمانى فقال: يقف للسلام مستدبر القبر مستقبل القبلة، وتبعه بعضهم، وليس بشيء. ثمَّ حكى السهودي عن السبكي أنَّه قال: وقول أكثر العلماء هو الأحسن، فإنَّ الميت يعامل معاملة الحي، والحي يسلم عليه مستقبلاً، فكذلك الميت

١- شفاء السقام: ٢٨٠، تطهير الفؤاد: ١٢٦.

٢- شرح مسند أبي حنيفة: ٢٠١، فتح القدير ٦: ٢٤٨ سيوف الله الأجلَّة وعذاب الله المجدي: ١٥٦.

وهذا لا ينبغي أن يتردد فيه^(١).

ثمَّ حكى عن المطري أنه لما أدخل بيت رسول الله | وحجرات أزواجه في المسجد وقف الناس مما يلي وجه النبي | ، واستدبروا القبلة للسلام عليه.

قال السمهودي : وذلك لتعذر استقبال الوجه الشريف قبل إدخال البيت في المسجد .

ثمَّ قال : فاستدبار القبلة في هذه الحالة مستحب كما في خطبة الجمعة والعديد من سائر الخطب المشروعة كما قال ابن عساكر في التحفة - إلى أن قال - : وفي كلام أصحابنا - يعني الشافعية - : إنَّ الزائر يستقبل الوجه الشريف في السلام والدعاء والتوسل ، ثمَّ يقف مستقبل القبلة والقبر عن يساره والمنبر عن يمينه فيدعو أيضاً^(٢) انتهى وفاء الوفاء .

وفي الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية : (اختلفوا في التوسل إليه تعالى بشيء من مخلوقاته هل هو مكروه أو حرام؟ والأشهر الحرمة)^(٣) انتهى . وفي الرسالة الثانية منها : (وأما التوسل وهو أن يقول القائل : اللهم إني أتوسل إليك بجاه نبيِّك محمد | أو بحق نبيِّك أو بجاه عبادك الصالحين أو بحق عبدك فلان، فهذا من أقسام البدعه المذمومة، ولم يرد بذلك نص، كرفع الصوت بالصلاة على النبي | عند الأذان)^(٤) انتهى .

١ - شفاء السقام : ٢٨٠ ، تطهير الفؤاد : ١٢٧ .

٢ - وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى : ٤ : ١٣٧٧ - ١٣٧٩ .

٣ - الهدية السنية والتحفة النجدية ، الرسالة الأولى لعبد العزيز بن محمد بن مسعود : ٣٦ .

٤ - الهدية السنية والتحفة النجدية ، الرسالة الثانية : ٥٢ - ٥٣ .

فذاك حكى تحريمه، وهذا جعله بدعة ولم يجعله شركاً - والحمد لله -
كما مر عن الصنعاني!!

وقد عرفت مما تقدم ورود النصوص الصريحة بذلك ، واتفاق المسلمين عليه فتوى وعملاً حتى بلغ إلى حد الضرورة ، فجعله من البدعة جمود بارد، وتشدد في غير محله، كرفع الصوت بالصلاة على النبي | ، إذا كانت سنة لم يكن رفع الصوت بها بدعة، وكان فاعلها مخيراً بين رفع الصوت وخفضه والإخفات بها، لإطلاق الدليل. ويلزم على قياس قوله أن نبحت عن مقدار الصوت بها الذي كان في عصر السلف فلا تزيد عليه ولا تنقص ، لئلا نقع في البدعة، ومع الجهل نتركها بالكلية، لعدم العلم بما ليس بدعة!!

* * *

الفصل الرابع

في الإقسام على الله بمخلوق أو بحقّ مخلوق ونحوه:

مثل أقسمت عليك أو أقسم عليك بفلان أو بحقّ فلان أو سألتك أو أسألك بفلان، وهذا داخل في التوسل المذكور في الفصل السابق، وإنّما أعدنا ذكره في فصل خاص لكونه نوعاً مخصوصاً من التوسل، وللوهابية كلام فيه بعنوانه الخاص، وأدلة خاصّة به، وهو مما منعه الوهابية وحرّموه على عاداتهم في التشدد والتضييق على عباد الله فيما وسع الله فيه عليهم، وعدم رضاهم بتعظيم من عظمه الله ما وجدوا لذلك حيلة، ولا ندري هل يجعلونه كفراً وشركاً؟! لا يستبعد منهم ذلك بعد أن جعلوا سؤال الشفاعة من النبي | شركاً، مع تسليمهم بأنّ الله أعطاه الشفاعة، وأنّه الشفيّع المشفّع كما مر بيانه في محله. وقد جعل الصنعاني التوسل كفراً وشركاً كما مر وهذا منه. ومر في أواخر الفصل السابق أنّ بعض الوهابية جعل التوسل بدعة، وبعضهم قال: إنّ الأشهر تحريمه، وفي الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية المنسوبة لعبد العزيز بن محمّد بن سعود: (إنّ الإقسام على الله بمخلوق منهي عنه باتّفاق العلماء.^(١))

١- يا عجبا لهؤلاء تارة يستدلون باتفاق العلماء وإجماعهم وتارة بقول الصنعاني أحد مؤسسي مذهبهم أنّ وقوعه محال كما مر في المقدمات . (المؤلف).

قال: وهل هو نهى تنزيه أو تحريم؟

قولان أصحهما أنه كراهة تحريم، واختاره العز بن عبد السلام في فتاواه، ثم نقل عن أبي حنيفة أنه قال: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن تقول: بمعاقب العز من عرشك أو بحق خلقك. وعن أبي يوسف: بمعاقب العز من عرشك هو الله فلا أكره هذا، وأكره بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك. ثم حكى عن القدوري أن المسألة بحق المخلوق لا تجوز لأنه لا حق للمخلوق على الخالق.

قال صاحب الرسالة: وأما قوله: وبحق السائلين عليك ففيه عطية العوفي وفيه ضعف، ومع صحته فمعناه بأعمالهم؛ لأن حقّه تعالى عليهم طاعته وحقّهم عليه الثواب والإجابة^(١) انتهى.

وقال صاحب المنار في الحاشية: المتبادر من معنى هذه الجملة أنها سؤال لله تعالى بوعده للسائلين أن يستجيب دعاءهم بمثل قوله: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}^(٢).

ونقول: الإقسام على الله تعالى بكريم عليه من نبي أو ولي أو عبد صالح أو عمل صالح أو غير ذلك، نوع من التوسل الذي تقدم الكلام فيه في الفصل الثالث، وبيننا جوازه ورجحانه، وأنه ليس ببدعة، وأنه محبوب لله تعالى، وأنه تعالى يحب أن يتوسل إليه عبده بأنواع الوسائل، وكلّها لا تخرج عن دعائه وعبادته، ومن أجل ذلك جعل الله الشفاعة التي لا ينكرها الوهابية وقبلها وأذن فيها، وإلا فأى حاجة له إلى الشفيع وهو أعلم بحال عبده، وأرأف به، وأحنى عليه من كل أحد، فجعل الشفاعة كرامة للشفيع ورحمته بالمشفوع به، ولأنه

١- الهدية السنية والتحفة النجدية، الرسالة الأولى لعبد العزيز بن محمد بن مسعود: ٣٠ - ٣١.

٢- سورة غافر: ٦٠.

نوع من عبادته ودعائه والتضرع إليه، فهو يحب ذلك كله، سواء كان من العبد نفسه أو على لسان غيره، ولذلك قبل الدعاء بلسان الغير، بل جعله أرجى للإجابة.

وقول صاحب الرسالة : (إنَّ الإقسام على الله بمخلوق منهى عنه باتفاق العلماء ، جزاف من القول، ولم يأت بما يثبت سوى ما نقله عن أبي حنيفة وأبي يوسف وابن عبد السلام والقُدوري، كأنَّ علماء الإسلام في جميع الأعصار والأمصار انحصرت في هؤلاء الأربعة، وأين فتوى الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل لَمْ يَنْقُلْهَا إِنْ كَانُوا مُوَافِقِينَ؟!

وأين فتوى باقي العلماء الذين لا يحصي عددهم إلا الله، هل اطلع على فتاواهم فوجدهم موافقين أو لا فكيف تجرأ على دعوى اتفاقهم؟! وكيف يدّعي الاتفاق بفتوى أربعة أحدهم القُدوري وابن عبد السلام وسلفه محمد بن إسماعيل الصنعاني ينكر تحقق الإجماع بعد عصر الصحابة كما مر في المقدمات؟!

وإذا كنت تريد أن تعرف مبلغ هؤلاء من العلم والتثبت والتورع في النقل وغيره فخذ لك نموذجاً من هذا!

وإذ عرفت أنَّ الإقسام على الله بمخلوق لا يخرج عن التوسل به إلى الله تعالى، فكان يلزم على الوهابية أن يجعلوه شركاً كما جعلوا التوسل ، لكنهم يلقون الفتاوى جزافاً، ويفرقون بين المتفقات ويوافقون بين المتفرقات .
والحقَّ أنَّه لا كراهية ولا تحريم في ذلك، بل هو راجح مستحب؛ لأنَّه نوع من دعاء الله تعالى وعبادته الثابت رجحانه بعموم أدلة الدعاء ، ولم يثبت شيء

يخرجه عن العموم، بل وردت النصوص فيه بالخصوص مثل ما مر في الفصل الثالث مما رواه الحاكم وصحح إسناده، والطبراني من قول آدم عليه السلام: «يا رب، أسألك بحق محمد لما غفرت لي»^(١)، وما رواه في الكبير والأوسط من قول رسول الله | : «اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي»^(٢)، وما سيأتي قريباً من قوله: «أسألك بحق

١- المستدرک للحاکم ٢: ٦١٥ وصححه، المعجم الأوسط ٦: ٣١٣، مجمع الزوائد ٨: ٢٥٣، كنز العمال ١١: ٤٥٥، رفع المنارة: ١٩٥، الدر المنثور ١: ٥٨، تاريخ مدينة دمشق ٧: ٤٣٧، البداية والنهاية ١: ٩١، السيرة النبوية ١: ٣٢٠، سبل الهدى والرشاد ١: ٨٥، السيرة الحلبية ١: ٣٥٤، ينابيع المودة ٢: ٣٣٦، شفاء السقام: ٢٩٥، تطهير الفؤاد: ١٣٤.

٢- المعجم الكبير ٢٤: ٣٥٢، المعجم الأوسط ١: ٦٧، مجمع الزوائد ٩: ٢٥٧ وقال: (رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه روح بن صلاح وثقه ابن حبان والحاكم وفيه ضعف، وبقيّة رجاله رجال الصحيح)، حلية الأولياء ٣: ١٢١، كشف الغمّة ١: ٦٥، سبل الهدى والرشاد ١١: ٢٨٧، رفع المنارة: ١١٥ وقال: (وهو حديث حسن. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ٢٥٧: رواه الطبراني... قلت: شيخ الطبراني أحمد بن حماد بن رغبة ثقة من شيوخ النسائي، ولم يخرج له في الصحيح. أما روح بن صلاح فقد اختلف فيه، فوثقه قوم وضعفه آخرون، فمثله يحتاج لأعمال النظر لبيان حاله.

فقال عنه الحاكم في سؤالات السجزي: ثقة مأمون.

وذكره ابن حبان في الثقات ٤: ٢٤٤.

وروى عنه يعقوب بن سفيان الفسوي في المعرفة والتاريخ ٣: ٤٠٦، فهو ثقة عنده، قال الفسوي في التهذيب ١١: ٣٧٨: كتب عن ألف شيخ وكسر كلّهم ثقات.

أما من جرحه فلم يذكر سبب جرحه ولم يفسره، ففي المؤتلف والمختلف للدارقطني ٣: ١٧٣٣ قال: روح بن صلاح بن سيابة يروي عن أبي لهيعة وعن الثوري وغيرهما، كان ضعيفاً في الحديث، سكن مصر. ومثله لابن ماكولا في الإكمال ٥: ١٥. وابن عدي في الكامل ٣: ١٠٠٥، وهذا جرح مبهم غير مفسر، فيرد في مقابل التعديل المذكور قبله كما هو مقرر).

السائلين عليك وبحقّ ممشاي هذا»^(١)، وقد ورد في أدعية أئمة أهل البيت ^ع: «أسألك بمعاهد العزّ من عرشك»^(٢) بكثرة، وهو ينفي احتمال الكراهية كما أنّه ورد في أدعيتهم ^ع الإقسام على الله بالمخلوق، وقد مر في الفصل الثالث.

وهم أحقّ بالاتباع وأعلم بسنة جدّهم | من ابن عبد الوهاب وأمثاله.
أمّا استدلال القدوري على تحريمه بأنّه لا حقّ للمخلوق على الخالق فباطل:

أولاً: لأنّ الإقسام على الله بالمخلوق لا يلزم أن يقال فيه: أسألك بحقّ فلان

١- إعانة الطالبين ٢: ٣٥٥، حاشية رد المختار ٦: ٧١٦، الشرح الكبير لابن قدامة ١: ٥٠١، كشف القناع للبهوتي ١: ٣٨٨، مسند أحمد ٣: ٢١، سنن ابن ماجه ١: ٢٥٦، مسند ابن الجعد ٢٩٩، المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٢٩، كتاب الدعاء للطبراني ١٤٩، كنز العمال ٢: ٦٤٤، تمام المنّة للألباني ٢٨٩، رفع المنارة ٤٠: ٤٧، قال في رفع المنارة: (وإسناد هذا الحديث من شرط الحسن، وقد حسّنه جمع من الحفاظ منهم الحافظ في المتجر الرابع، في ثواب العمل الصالح: ٤٧١ - ٤٧٢، والحافظ أبو الحسن المقدسي شيخ الحافظ المنذري كما في الترغيب والترهيب ٣: ٢٧٣، والحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ١: ٢٩١، والحافظ ابن حجر العسقلاني في أمالي الأذكار ١: ٢٧٢، وقال الحافظ البوصيري في مصباح الزجاجة ١: ٩٩: لكن رواه ابن خزيمة في صحيحه من طريق فضيل بن مرزوق، فهو صحيح عنده.

فهؤلاء خمسة من الحفاظ رحمهم الله تعالى صحّحوا أو حسّنوا الحديث، وقولهم حقيق بالقبول والوقوف عنده والإذعان إليه، وسنن للقارئ صواب مسلك الحفاظ المذكورين).

٢- المقنعة ١١٦، مصباح المتعبد ٣٠٦، الصحيفة السجادية ٢٠٧، الكافي للشيخ الكليني ٣: ٤٦٧، مجمع الزوائد ١٠: ١٢٥، المعجم الكبير ٢٥: ١٢، كتاب الدعاء ٩٦، نصب الراية ٦: ١٧٨، الدراية في تخريج أحاديث الهداية ٢: ٢٣٩، رفع المنارة ٣٧، النهاية في غريب الحديث ٣: ٢٧، مجمع البحرين للطبري ٣: ٢٢٠، شرح العقيدة الطحاوية: ٢٦٢.

عليك، بل يكفي بحقّ فلان أو بفلان، فإنّ الحقّ في اللغة الأمر الثابت الواجب، من حقّ يحقّ حقّاً إذا ثبت^(١)، فتارة يكون ثابتاً للإنسان في نفسه من فضل وعلم وشرف وعبادة وزهادة وغير ذلك، وتارة يثبت له على غيره.

ثانياً: دعواه أنّه لا حقّ للمخلوق على الخالق إن أريد أنّ له عليه حقّاً حتماً إلزامياً شاء أو أبى، وتسليطاً كحق الدائن على المديون، فمسلم ولكن هذا لا يقول به أحد.

وإن أريد أنّ له عليه حقّاً جعله الله على نفسه وأكرم به عبده فأبيّ مانع منه، وأي دليل يقتضي نفيه، بل الدليل على ثبوته موجود، قال الله تعالى: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} (٢)، {كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا} (٣) أفترك قول الله تعالى في كتابه ونتبع قول القدوري والطناجري؟!

وفي الجامع الصغير للسيوطي من رواية الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان عن معاذ: «حقّ على الله عون من نكح التملس العفاف عمّا حرم الله» (٤).

وفي النهاية الأثرية: «الحقّ ضد الباطل، ومنه الحديث: «أتدري ما حقّ العباد على الله»، أي ثوابهم الذي وعدهم به، فهو واجب الانجاز ثابت بوعد

١ - راجع: لسان العرب ١٠: ٥٠ فصل الحاء مع القاف، النهاية في غريب الحديث ١: ٤١٣ باب الحاء مع القاف.

٢ - سورة الروم: ٤٧.

٣ - سورة الفرقان: ١٦.

٤ - الجامع الصغير ١: ٥٧٩ ح ٣٧٥٠، كنز العمال ١٦: ٢٧٦، الكامل في الضعفاء ٧: ٢٦٥، فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٣: ٥٢٤، كشف الخفاء ومزيل الإلتباس ١: ١٧٨، الجامع الصغير وزياداته للألباني ١: ٥٤٧ وقال: (حسن). والحديث عن أبي هريرة وليس عن معاذ.

الحق»^(١) انتهى.

ومر في الفصل الثالث ما ذكره ابن تيمية من حديث: («كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال»^(٢)، وقوله: (جاء في غير حديث كان حقاً على الله كذا وكذا)، وما نقله في الصحيح: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم»^(٣)، وما حكاه من رواية ابن ماجة في دعاء الخارج للصلاة: «اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشي هذا»^(٤)، إلخ.^(٥)

- ١- النهاية في غريب الحديث ١: ٤١٣، باب الحاء مع القاف، لسان العرب ١٠: ٥٠ فصل الحاء.
- ٢- الحديث هو: «وإن على الله عز وجل عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال» وهو في مسند أحمد ٣: ٣٦١، صحيح مسلم ٦: ١٠٠، سنن أبي داود ٢: ١٨٤، سنن الترمذي ٤: ٦٧، سنن النسائي ٨: ٣١٧، المستدرک للحاكم ٤: ١٤٦، السنن الكبرى للبيهقي ١: ٣٨٩، صحيح ابن حبان ١٢: ١٨٣، شعب الإيمان ٥: ٧، مشكاة المصابيح ٢: ٣٢٩، صحيح الترغيب والترهيب ٢: ٣٠١، الجامع الصغير وزياداته ١: ٨٦٨.
- ٣- صحيح البخاري ٣: ٢١٦ كتاب الجهاد والسير، صحيح مسلم ١: ٤٣، سنن ابن ماجة ٢: ١٤٣٦، المستدرک للحاكم ١: ٥١٧، مجمع الزوائد ١٠: ٩٩، المعجم الكبير ٢٠: ١٢٧، سبل الهدى والرشاد ٩: ٢٢٥.
- ٤- مسند أحمد ٣: ٢١، سنن ابن ماجة ١: ٢٥٦، مسند ابن الجعد ٢٩٩، المصنّف لابن أبي شيبه ٧: ٢٩، كتاب الدعاء للطبراني ١٤٩، تمام المنة ٢٨٩، رفع المنارة: ٤٠، ميزان الاعتدال ٢: ٤٤٧، قطف الثمر ١: ١٠٢ وقال: (وهو حديث حسن)، مجلس في رؤية الله ١: ٣٢٥، الغنية عن الكلام وأهله ١: ٥٨، تخريج أحاديث الإحياء ١: ٢٨٢ وقال المخرج: (إسناده حسن)، والشرح الكبير ١: ٥٣٥، العدة شرح العمدة ١: ٦٩، الإقناع ١: ١١٠، الترغيب والترهيب ١: ١٣٥.
- ٥- زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ١: ٢١-٢٦.

وفي خلاصة الكلام : (أنه رواه ابن ماجة بإسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري (رض) قال: قال رسول الله | : «من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق مشاي هذا إليك، فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ؛ أقبل الله عليه بوجهه، واستغفر له سبعون ألف ملك»^(١).

قال : وذكره الجلال السيوطي في الجامع الكبير وكثير من الأئمة في كتبهم، بل قال بعضهم : ما من أحد من السلف إلا وكان يدعو به .
قال : ورواه ابن السني بإسناد صحيح عن بلال مؤذن رسول الله | وفيه : «اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق مخرجي..»^(٢) مع بعض التفاوت .

١- مسند أحمد ٣: ٢١، سن ابن ماجة ١: ٢٥٦، التوحيد لابن خزيمة : ١٧- ١٨، كتاب الدعاء للطبراني ٢: ٩٩٠، الدعوات الكبير للبيهقي : ٤٧، مجمع الزوائد ٢: ٨٠، مسند ابن الجعد : ٢٩٩، المصنف لابن أبي شيبه ٧: ٢٩، رفع المنارة : ١٣٣، (وهذا الحديث حسن، ذكر تحسينه جمع من العلماء منهم الحافظ الدمياطي في المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح: ٤٧١، والحافظ أبو الحسن المقدسي شيخ الحافظ المنذري في التريغ والترهيب ٣: ٢٧٣، والحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ١: ٢٩١، والحافظ ابن حجر العسقلاني في أمالي الأذكار ١: ٢٧٢. قال الحافظ البوصيري في مصباح الزجاجة ١: ٩٩ « رواه ابن خزيمة في صحيحة من طريق فضيل ابن مرزوق فهو صحيح عنده).

٢ - الأذكار النووية: ٣٠، رفع المنارة : ١٨٠، سيرة النبي المختار ١: ٤٤٤، عمل اليوم والليلة ١: ٧٦ التوسل.

وقال: ورواه الحافظ أبو نعيم في عمل اليوم والليلة من حديث أبي سعيد بلفظ رواية ابن السني^(١) انتهى.

فإذا كان الله تعالى ورسوله قد صرحا بالحقّ على الله تعالى فهل نتركه ونتبع قول القدوري والمغربي أيّها الوهابيون؟!

ومع كلّ هذا التصريح من الله تعالى ورسوله فهم يتمحلون في رد الأحاديث بالقدح في إسنادها أو مفادها؛ لأنّه يعظم عليهم أن يعظموا أحداً ممن عظم الله ، فيردون ما دلّ على ذلك بكلّ وسيلة ترويحاً لشبهتهم ، وتمسكاً بها .

أمّا قدح صاحب الرسالة في حديث بحقّ السائلين عليك بأنّ فيه عطية العوفي وفيه ضعف، فمردود حكى الحافظ ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب عن ابن سعد أنّه قال: (وكان ثقة إن شاء الله ، وله أحاديث صالحة وحكى فيه عن الدوري عن ابن معين أنّه صالح)^(٢) انتهى .

وفي خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ أحمد بن عبد الله الأنصاري: (عطية بن سعد بن جنادة العوفي أبو الحسن الكوفي عن أبي هريرة وأبي سعيد وابن عباس ، وعنه ابنه عمر والحسن وإسماعيل بن أبي خالد ومسعر وخلق، ضعّفه الثوري وهشيم وابن عدي ، وحسن له الترمذي

١- الدرر السنية في الرد على الوهابية: ٦، شواهد الحقّ في الاستغاثة بسيد الخلق: ١٥٣ .

٢- تهذيب التهذيب ٧: ٢٠٢، الطبقات الكبرى ٦: ٣٠٥، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال: ٢٦٧ وقال: (وحسن له الترمذي أحاديث)، تقريب التهذيب ١: ٦٧٨ وقال: (صدوق يخطئ كثيراً وكان شيعياً)، وقال الزركلي في الأعلام ٤: ٢٣٧: (كان يعد من شيعة أهل الكوفة . خرج مع الأشعث بن قيس فكتب الحجاج إلى القاسم الثقفي: ادع عطية فإن سبّ علي بن أبي طالب وإلّا فاضربه ٤٠٠ سوط وأحلق رأسه ولحيته، فدعاه وأقرأه كتاب الحجاج ، فأبى أن يفعل فضربه ابن القاسم الأسواط وحلق رأسه ولحيته).

أحاديث^(١) انتهى.

وحكى في الحاشية عن تهذيب التهذيب : (قال أبو حاتم وابن سعد: ومع ضعفه يكتب حديثه^(٢)) انتهى.

وفي تهذيب التهذيب : (عن ابن عدي وأبي حاتم: أنه مع ضعفه يكتب حديثه^(٣)) انتهى.

فدل ذلك على أن أحاديثه مقبولة ليس فيها مناكير، والذين ضعفوه لم يضعفوه إلا لكونه من شيعة علي^{عليه السلام}، فرموه بما رموه به، ففي تهذيب التهذيب (عن ابن عدي: أنه كان يعد مع شيعة أهل الكوفة^(٤)) وفيه أيضاً : (قال أبو بكر البزار: كان يعده في التشيع، روى عنه جلة الناس . وقال الساجي: ليس بحجة ، وكان يقدم علياً على الكل^(٥)) انتهى.

فدل على أن سبب القدح تقديمه علياً على الكل، وكفى به قدحاً عندهم!! وفيه : (عن ابن سعد بسنده عن عطية قال: لما ولدت أتي بي أبي علياً، ففرض لي في مائة. وقال ابن سعد: خرج عطية مع ابن الأشعث ، فكتب الحجاج إلى محمد بن القاسم أن يعرضه على سب علي، فإن لم يفعل فاضربه

١- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال : ٢٦٨، ونقله عنه في تحفة الأحوذى في شرح سنن الترمذي ٤: ٤٦٦.

٢ - تهذيب التهذيب ٧: ٢٠١.

٣- المصدر السابق ٧: ٢٠٢.

٤- المصدر السابق ٧: ٢٠١.

٥- تهذيب التهذيب ٧: ٢٠١، تهذيب الكمال ٢٠: ١٤٨، قال في رفع المنارة : ١٥٣: (والساجي رحمه الله تعالى كان شديداً متصبلاً، فبجرحه للكوفيين ينبغي التدقيق فيه، فإنه قد يجرح الرجل بسبب مذهبه كما حدث لعطية العوفي هنا، فإنه قال عنه : ليس بحجة. ثم أبان عن سبب قوله فقال: وكان يقدم علياً على الكل. والجرح بالتشيع وغيره مردود لا يلتفت إليه، فالعبرة بصدق الراوي لا بمذهبه).

أربعمئة سوط وأحلق لحيته ، فاستدعاه فأبى أن يسبّ فأَمْضَى حكم الحجاج فيه^(١) انتهى .

أف هذا الذي هذه حاله وصفته في التصلب في الدين، وصبره على البلاء، خوفاً من الله تعالى يصدق في حقّه قول ابن حبان كما حكاه عنه في تهذيب التهذيب: (أنه سمع من أبي سعيد أحاديث، فلما مات جعل يجالس الكلبي، فإذا حدث الكلبي عن رسول الله | يحفظه وكناه أبا سعيد، ويروي عنه، فإذا قيل له: من حدثك بهذا؟ يقول: حدثني أبو سعيد، فيتوهمون أنه الخدري وإنما أراد الكلبي)^(٢) انتهى .

١- تهذيب التهذيب ٧: ٢٠١، الطبقات الكبرى ٦: ٣٠٤، الأعلام للزركلي ٤: ٢٣٧، تاريخ الإسلام للذهبي ٧: ٤٢٤ .

٢- تهذيب التهذيب ٧: ٢٠١، المجروحين لابن حبان ٢: ١٧٦، الجرح والتعديل للرازي ٦: ٣٨٣، العلل ومعرفة الرجال ١: ١٢٢، ضعفاء العقيلي ٣: ٣٥٩، الكامل لابن عدي ٥: ٢٠٧٧، تاج العروس للزبيدي ١٢: ٤٠٣ مادة (عوف)، رفع المنارة: ١٤٧ وقال: (وهذا الذي اعتمدوا عليه فيه نظر ولا يصح سنده، لأن مداره على محمد بن سائب الكلبي، وحاله معروف فهو تالف متهم بالكذب، فالسند الذي يكون فيه ذلك الرجل لا ينظر إليه ولا يعتمد عليه في شيء، ومع ذلك فقد سارت الركبان بمقولته التالفة، وتوارد البعض على حكايتها).

وإن تعجبت من اعتماد على هذه الرواية الساقطة في رمي عطية العوفي بتدليس الشيوخ فأعجب أكثر لتوارد الكثير على هذا الجرح المردود ، فصار هؤلاء خلف المعتمدين على هذه الرواية الساقطة تقليداً لا غير.. ولم أجد من تنبّه لهذا الخطأ من أهل الحديث إلا إثنان: أولهما: الحافظ البارع أبو عبد الرحمن بن رجب الحنبلي قال في شرح علل الترمذي: ٤٧١ بعد نقله أصل الحكاية: ولكن الكلبي لا يعتمد على ما يرويه.

وثانيهما: الحافظ السيد أحمد بن الصديق الغماري ، فقال في الهداية في تخريج أحاديث البداية ٦: ١٧٢ في أثناء كلام له عن عطية العوفي : (وإنما نقلوا عنه التدليس في حكاية ما أراها تصح مع الكلبي...).

ولعلّ الكلبي كان يكنى بأبي سعيد أو هو كناه به كما يدل عليه ما في تهذيب التهذيب عن الكلبي أنّه قال: (قال لي عطية: كنيته بأبي سعيد، فأنا أقول حدثنا أبو سعيد)^(١).

وما عليه إذا كنى الكلبي بأبي سعيد وأخبره بذلك، فإذا توهموا أنّه الخدري فما ذنبه .

ولو كان مراده التدليس لم يخبر الكلبي بذلك .

هذا إن صح النقل، لكن الغالب على الظن أنّه افتراء ، فمن يحتمل ضرب أربعمئة سوط، وحلق لحيته ولا يسبّ علياً هل يعتمد إبدال الكلبي بأبي سعيد ليتوهموا أنّه الخدري؟! إنّ هذا ما لا يكون.

وما الذي يدعوه إلى ذلك^{(٢)؟}!!

وابن حبان هذا هو الذي قال في حقّ الامام علي بن موسى الرضا، إمام أهل البيت في عصره الذي حين روى لعلماء نيسابور حديث سلسلة الذهب المشهور، كتب عنه ذلك الحديث من أهل المحابر والدوي ما ينوف عن عشرين ألفاً، وكان المستملي أبا زرعة ومحمّد بن أسلم الطوسي والناس ما بين صارخ وباك وتمرغ في التراب ومقبل لحافر بغلته^(٣)، فقال ابن حبان في حقّه كما في كتاب الأنساب للسمعاني المطبوع ببلاد المانيا: (يروي عن أبيه العجائب، كان يهيم ويخطيء)^(٤) انتهى.

١ - كتاب المجروحين ١: ٨١، تهذيب التهذيب ٧: ٢٠١.

٢ - تهذيب التهذيب ٧: ٢٠١، المجروحين لابن حبان ١: ٨٢ و ٢: ١٧٧.

٣ - فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤: ٦٤١، حلية الأولياء ٣: ١٩٢، الفصول المهمة في معرفة الأئمة ٢: ١٠٠٢، ينابيع المودة ٣: ١٢٢.

٤ - كتاب المجروحين لابن حبان ٢: ١٠٦، وعنه ذيل تاريخ بغداد ٤: ١٣٩، سير أعلام النبلاء ٩:

وتعقبه بعض العلماء في الحاشية بقوله: (انظر إلى هذه الجرأة العظيمة من هذا المغرور كيف يوهم ويخطيء ابن رسول الله، ووراث علمه، وأحد علماء العترة النبوية، وإمامهم المجمع على غزارة علمه وشرفه؟! وليت شعري كيف ظهر لهذا الناصبي الذي أفنى عمره في علم الرسوم لأجل الدنيا حتى نال بها قضاء بلخ وغيرها وهم علي بن موسى الرضا وخطاؤه، وبينهما نحو مائة وخمسين عاماً، لولا بغض القريبى النبوية التي أمر الله بحبها ومودتها، وأمر رسوله عليه السلام بالتمسك بها؟! قاتلهم الله أنى يؤفكون^(١)) انتهى.

ومما يدل على وثاقة عطية رواية جلة الناس عنه كما اعترف به البزار، وكثرة من روى عنهم ورووا عنه من الصحابة وغيرهم، ففي تهذيب التهذيب: (روى عن أبي سعيد وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر وزيد بن أرقم وعكرمة وعدي بن ثابت وعبد الرحمن بن جندب وقيل ابن جناب).

٣٨٩، وسكت عن كلام ابن حبان هذا، تهذيب التهذيب ٧: ٣٣٩، الأنساب للسمعاني ٣: ٧٤.
١- قال في أعيان الشيعة ٢: ١٤: (وكتب بعض من كانت عنده نسخة الأنساب على هامشها كما في النسخة المطبوعة بالتصوير الشمسي ما صورته) ونقل العبارة الآتية. فهي عبارة من معلق والمؤلف حصل على النسخة الخطية.

لكن ابن حبان في كتابه الثقات مدح الإمام الرضا عليه السلام مدحاً جليلاً وأطراه كما يستحق قال في الثقات ٨: ٤٥٦: (وقبره بسناباذ خارج النوقان، مشهور يزار بجنب قبر الرشيد، قد زرت مراراً كثيرة، وما حلت بي شدة في وقت مقامي بطوس فزرت قبر علي بن موسى الرضا صلوات الله على جدّه وعليه ودعوت الله إزالتها إلا استجيب لي وزالت عني تلك الشدة. وهذا شيء جربته مراراً فوجدته كذلك. أمانتنا الله على محبة المصطفى وأهل بيته صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين).

روى عنه ابنه الحسن وعمر والأعمش والحجاج بن أرطاة وعمرو بن قيس الملائي ومحمد بن جحادة ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ومطرف بن طريف وإسماعيل بن أبي خالد وسالم بن أبي حفصة وفراس بن يحيى وأبو الجحاف وذكر بن أبي زائدة وإدريس الأودي وعمران البارقى وزيايد بن خيثمة الجعفي وآخرون^(١) انتهى.

وقد أورد حديثه أئمة الحديث في صحاحهم كالبخاري في الأدب المفرد وأبو داود والترمذي وابن ماجة القزويني كما يدل عليه وضع صاحب مختصر تذهيب الكمال على اسمه رمز (بخ د ت ق) الذي هو رمز إلى هؤلاء^(٢). أما قول صاحب الرسالة: (ومع صحته فمعناه بأعمالهم) إلخ فلا يظهر له معنى محصل، ومع ذلك ففيه اعتراف بثبوت الحقّ لهم على الله، بمعنى الثواب والإجابة وجواز القسم به.

وقول صاحب المنار في الحاشية: (إنّ المتبادر من هذه الجملة أنّها سؤال لله تعالى بوعده للسائلين أن يستجيب دعاءهم) إلخ لا ينفي الحقّ على الله تعالى، بل يؤيده وهو ما جعله على نفسه بوعده الصادق من إجابة دعاء من دعاه.

* * *

١- تذهيب التهذيب ١: ٢٠١.

٢- خلاصة تذهيب التهذيب الكمال: ٢٦٧، تقريب التهذيب ١: ٦٧٨، تهذيب التهذيب ٧: ٢٠٠، تهذيب الكمال للمزي ٢٠: ١٤٥.

الفصل الخامس في الحلف بغير الله تعالى

وهذا منعه الوهاية وبعضهم جعله شركاً على الإطلاق وبعضهم شركاً أصغر، فممن صرح به بأنه شرك على الإطلاق الصنعاني في تطهير الاعتقاد، فإنه بعدما ذكر أن القبوريين سلكوا مسالك المشركين حذو القذة بالقذة وعد أعمالهم الموجبة لذلك قال: (ويقسمون بأسمائهم، بل إذا حلف من عليه حقّ باسم الله تعالى لم يقبل منه، فإذا حلف باسم ولي من أوليائهم قبلوه وصدقوه، وهكذا كانت عبادة الأصنام: {وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} (١)، وفي الحديث الصحيح: «من حلف فليحلف بالله أو ليصمت» (٢)، وسمع رسول الله | رجلاً يحلف باللات فأمره أن يقول: لا إله إلا الله (٣). وهذا يدل على أنه ارتد بالحلف بالصنم فأمره أن يجدد إسلامه فإنه قد كفر بذلك (٤) انتهى.

١- سورة الزمر: ٤٥.

٢- الموطأ ٢: ٤٨٠، المغني لابن قدامة ١١: ١٦٢، مسند أحمد ٢: ٧، سنن الدرامي ٢: ١٨٥، صحيح البخاري ٣: ١٦٢، حديث الإفك، صحيح مسلم ٥: ٨١، باب من حلف باللات والعزى، المعجم الكبير ١٢: ٢٣٣، السنن الكبرى للبيهقي ١٠: ٢٨، مسند أبي داود الطيالسي ٥: ٥، مسند الحميدي ٢: ٣٠٢، مسند أبي يعلى الموصلي ١٠: ٢٠١، صحيح ابن حبان ١٠: ٢٠١، إرواء الغليل ٨: ١٨٥.

٣- صحيح البخاري ٧: ٩٧، كتاب الأدب، صحيح مسلم ٥: ٨١، باب من حلف باللات والعزى، السنن الكبرى ١: ١٤٩، تحفة الأحوذى ٥: ١١٤، الأدب المفرد ٢٧: ٢٧، السنن الكبرى للنسائي ٦: ٢٤٦، إرواء الغليل ٨: ١٩٢.

٤- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد: ٥٠٥ المطبوع ضمن الجامع الفريد.

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ مَا ذَكَرَ أَنَّ رَأْسَ الْعِبَادَةِ وَأَسَاسَهَا الْإِعْتِقَادُ، وَقَدْ حَصَرَ فِي قُلُوبِهِمْ ذَلِكَ، بَلْ يَسْمُونَهُ مَعْتَقِدًا وَيَصْنَعُونَ لَهُ مَا سَمِعْتَهُ مِمَّا تَفَرَّعَ عَنِ الْإِعْتِقَادِ، وَعَدَ مِنْ جَمَلَتِهِ الْحَلْفُ^(١).

وَفِي الرِّسَالَةِ الْأُولَى مِنْ رِسَائِلِ الْهَدِيَةِ السَّنِيَّةِ: (الشُّرْكُ شُرْكَانُ: أَكْبَرُ وَلَهُ أَنْوَاعٌ، وَمِنْهُ الَّذِي تَقْدُمُ، يَعْنِي طَلِبَ الشَّفَاعَةِ مِنَ الْمَخْلُوقِ وَالتَّوَسُّلِ وَغَيْرِهِ، وَأَصْغَرُ كَالرِّيَاءِ وَالسَّمْعَةِ، وَمِنْهُ الْحَلْفُ بِغَيْرِ اللَّهِ، لَمَّا رَوَى ابْنُ عَمْرٍو (رَضَ) عَنِ رَسُولِ اللَّهِ | : «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»^(٢)) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَابْنُ حِبَانَ، وَقَالَ | : «إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمِتْ»^(٣)) أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانُ . قَالَ :وَالشُّرْكُ الْأَصْغَرُ لَا يَخْرُجُ عَنِ الْمَلَةِ وَتَجِبُ التَّوْبَةُ مِنْهُ^(٤) انْتَهَى . وَنَقُولُ : قَدْ وَقَعَ الْقَسَمُ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَمِنْ النَّبِيِّ | وَمِنْ

١- المصدر السابق : ٥٠٧ المطبوع ضمن الجامع الفريد.

٢- مسند أحمد ٢: ٦٩، سنن أبي داود ٢: ٩١، سنن الترمذي ٣: ٤٦، المستدرک للحاکم ١: ١٨، السنن الكبرى للبيهقي ١٠: ٢٩، فتح الباري ١٠: ٤٢٩، مسند أبي داود الطيالسي : ٢٥٧، مسند ابن الجعد : ١٤١، صحيح ابن حبان ١٠: ٢٠، التمهيد ١٤: ٣٦٦، موارد الضمآن ٤: ٧٣، الجامع الصغير ٢: ٥٩٦، إرواء الغلیل ٨: ١٨٩ .

٣- كتاب الموطأ ٢: ٤٨، مسند أحمد ٢: ١١، سنن الدارمي ٢: ١٨٥، صحيح البخاري ٧: ٩٨ كتاب الأدب ، صحيح مسلم ٥: ٨١، سنن أبي داود ٢: ٩١، السنن الكبرى للبيهقي ١٠: ٢٨، مسند ابن المبارك : ٧٨، مسند أبي داود الطيالسي : ٥، مسند الحميدي ٢: ٣٠١، السنن الكبرى للنسائي ٤: ٣٩٤، مسند أبي يعلى الموصلي ١٠: ٢٠١، صحيح ابن حبان ١٠: ٢٠١، المعجم الأوسط ١: ١٢١، نصب الراية للزيلعي ٤: ٥٤، إرواء الغلیل ٨: ١٨٧.

٤- الهدية السنية والتحفة النجدية، الرسالة الأولى لعبد العزيز بن محمد بن سعود: ٢٨.

الصحابه والتابعين وجميع المسلمين خلفاً عن سلف، أمّا من الله تعالى فإنّه قد أقسم في كتابه العزيز بكثير من مخلوقاته كما أقسم بذاته وبعزه وجلاله مثل قوله تعالى: { وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ }^(١)، { وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا }^(٢)، { وَالنَّازِعَاتِ غُرْقًا * وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا * وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا * فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا * فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا }^(٣)، { وَالْمُرْسَلَاتِ غُرَفًا * فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا * وَالنَّشِرَاتِ نَشْرًا * فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا * فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا }^(٤)، { وَالذَّارِيَاتِ ذُرْوًا * فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا * فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا * فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا }^(٥)، { وَالصَّافَّاتِ صَفًّا * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا }^(٦)، { وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ }^(٧)، { وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى }^(٨)، { وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى }^(٩)، { وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاها * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا

١- سورة العصر: ١ - ٢.

٢- سورة العاديات ١ - ٣.

٣- سورة النازعات: ١ - ٥.

٤- سورة المرسلات: ١ - ٥.

٥- سورة الذاريات: ١ - ٥.

٦- سورة الصافات: ١ - ٣.

٧- سورة التين: ١ - ٣.

٨- سورة الضحى: ١ - ٢.

٩- سورة الليل: ١ - ٢.

يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا { (١)،
 { وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ { (٢)، { وَالسَّمَاءِ ذَاتِ
 الْحُبُكِ { (٣)، { وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودِ { (٤)،
 { وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ { (٥)، { وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى { (٦)، { وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ *
 وَالشَّفَعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَلِكَ هَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ { (٧)، { ن
 وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ { (٨)، { وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ *
 وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ * وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ * وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ { (٩)، { لَا أَهْسِمُ بِيَوْمِ
 الْقِيَامَةِ * وَلَا أَهْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ { (١٠)، { لَا أَهْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ
 بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٌ وَمَا وَلَدَ { (١١)، { فَلَا أَهْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَفَسَمٌ لَوْ
 تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ { (١٢)، { فَلَا أَهْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ

١- سورة الشمس : ١ - ٧.

٢- سورة الطارق : ١١ - ١٢.

٣- سورة الذاريات : ٧.

٤- سورة البروج : ١ - ٣.

٥- سورة الطارق : ١.

٦- سورة النجم : ١.

٧- سورة الفجر : ١ - ٥.

٨- سورة القلم : ١.

٩- سورة الطور : ١ - ٦.

١٠- سورة القيامة : ١ - ٢.

١١- سورة البلد : ١ - ٣.

١٢- سورة الواقعة : ٧٥ - ٧٦.

* وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ { (١)، { فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ } { (٢)، { فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ * وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ } { (٣)، { لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ } { (٤).

لا يقال : صدوره من الله تعالى لا يستلزم جواز صدوره منا، فهو لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون؟

لأننا نقول : إنا نريد أن صدوره منه تعالى يدل على أنه لا قبح فيه، لأنه تعالى منزّه عن فعل القبيح، فلا يكون صدوره منا قبيحاً، ونعم القدوة الله تعالى. وإذا كان الله تعالى قد جعل لنفسه شريكاً وأشرك بالشرك الأصغر تعالى عن ذلك فما على من اقتدى به في ذلك بأس، وقول القسطلاني في إرشاد الساري : (لله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه ليعجب به المخلوقين ويعرفهم قدرته، لعظيم شأنها عندهم، ولدلاتها على خالقها، وأما المخلوق فلا يقسم إلا بالخالق قال:

ويَقْبَحُ مِنْ سِوَاكَ الشَّيْءُ عِنْدِي وَتَفَعَّلَهُ فَيُحَسِّنُ مِنْكَ ذَاكَ) انتهى (٥). كلام قشري لما عرفت من أن ما يقبح من العبد لكونه شركاً أصغر وتشبيهاً للخلق في العظمة به تعالى لا يمكن أن يحسن منه تعالى، إذ صدوره منه تعالى لا يخرج عن تلك الصفة إن كانت، والشعر الذي أورده لا يرتبط بما نحن

١- سورة التكويد : ١٥ - ١٨.

٢- سورة الحاقة : ٣٨ - ٣٩.

٣- سورة الإنشقاق : ١٦ - ١٨.

٤- سورة الحجر : ٧٢.

٥- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٩ : ٣٧٦، باب (لا تحلفوا بآبائكم)، فتح الباري لابن حجر ١١ : ٤٦٦.

فيه كما لا يخفى .

وأما من النبي | فعلاً وتقريراً فما رواه مسلم في صحيحه أنه جاء رجلٌ إلى النبي | فقال: « يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً؟ » فقال: أما وأبيك لتنبأته أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء»^(١) الحديث، وروى مسلم أيضاً في كتاب الإيمان أنه جاء رجل إلى رسول الله | من أهل نجد يسأل عن الإسلام فقال رسول الله | : «خمس صلوات في اليوم والليلة ، وصيام شهر رمضان، والزكاة، ومع كل واحدة يقول: هل غيرها؟ وهو | يقول: لا إلا أن تطوع، فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه، فقال رسول الله | : أفلح وأبيه إن صدق، أو دخل الجنة وأبيه إن صدق»^(٢).

وحكى القسطلاني في إرشاد الساري عن ابن عبد البر: (أن هذه اللفظة منكرة غير محفوظة تردّها الآثار الصحاح)^(٣) انتهى.

١- مسند أحمد ٢: ٢٣١، صحيح البخاري ٢: ١١٥ باب وجوب الزكاة، صحيح مسلم ٣: ٩٣، سنن ابن ماجه ٢: ٩٠٣، سنن النسائي ٥: ٦٩، المستدرک للحاکم ٢: ٢٧٢، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ١٩، المصنّف للصنعاني ٩: ٥٤، الأدب المفرد: ١٦٩، مسند أبي يعلى الموصلي ١٠: ٤٦٥، صحيح ابن خزيمة ٤: ١٠٣، صحيح ابن حبان ٨: ١٠٦، المعجم الكبير ٩: ٩٢، التمهيد لابن عبد البر ٨: ٣٨٥، تخريج الأحاديث والآثار ١: ١٠١.

٢- سنن الدارمي ١: ٣٧١، صحيح مسلم ١: ٣٢، باب بيان الإيمان الذي يدخل الجنة، سنن أبي داود ١: ٩٧، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٢٠١، كتاب الأربعين: ٤٧، صحيح ابن خزيمة ١: ١٥٨، التمهيد لابن عبد البر ١٤: ٣١٧، تخريج الأحاديث والآثار ٢: ٢٣٢، النهاية في غريب الحديث ١٩: ١.

٣- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٩: ٣٧٤، فتح الباري ١١: ٤٦٤، التمهيد لابن عبد البر ١٤: ٣٦٧.

أقول : بل يعضدها حديث « **أما وأبيك لتنبأته** »^(١) قال : (وقيل : إنها مصحفة من قول : (والله) ، قال القسطلاني : وهو محتمل ، ولكن مثل هذا لا يثبت بالاحتمال ، لا سيما وقد ثبت من لفظ أبي بكر الصديق في قصة السارق الذي سرق حلي ابنته فقال : وأبيك ما لي لك بليل سارق أخرجه في الموطأ وغيره)^(٢) انتهى .

قال القسطلاني : (وأحسن الأجوبة ما قاله البيهقي وارتضاه النووي وغيره أن هذا اللفظ كان يجري على ألسنتهم من غير أن يقصدوا به القسم ، أو أن التقدير : أفلح ورب أبيه)^(٣) انتهى .

وفيه أن العرب تقصد به القسم وإلا كان إتيانه عبثاً وهذراً ، والحذف لا دليل عليه . قال أبو طالب عم النبي | :
كَذِبْتُمْ وَبَيَّتَ اللَّهُ نَبِيَّ مُحَمَّدًا وَلَمَّا نَطَاعِنَ دُونَهُ وَنُنَاضِلُ^(٤) .

١- مسند أحمد ٢: ٢٣١، صحيح مسلم ٣: ٩٤ باب النهي عن المسألة ، الأدب المفرد : ١٦٩، تخريج الأحاديث والآثار ١: ١٠١.

٢- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٩: ٣٧٥، فتح الباري لابن حجر ١١: ٤٦٤، والحديث في الموطأ ٢: ٨٣٥، السنن الكبرى للبيهقي ٨: ٤٩، المصنّف للصنعاني ١٠: ١٨٩، معرفة السنن والآثار ٦: ٤١١، الدراية في تخريج أحاديث الهداية ٢: ١١٢.

٣- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٩: ٣٧٥، فتح الباري لابن حجر ١١: ٤٦٤، المجموع للنووي ١٨: ١٩، نيل الأوطار للشوكاني ٩: ١٢٤ .

٤- السيرة النبوية ١: ١٧٧، النهاية في غريب الحديث ١: ١٢٥، الأحاديث الطوال : ٧٣، كتاب الدعاء : ٥٩٧، الاستذكار لابن عبد البر ٢: ٤٦، التمهيد لابن عبد البر ٩: ٢٨٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ٢٥٨، كنز العمال ١٠: ٤١٥، رفع المنارة: ٩٠، عيون الأنباء في طبقات الأطباء : ٧٠٥، تاريخ الطبري ٣: ٢٨٨، تاريخ الإسلام ١: ١٦٢، البداية والنهاية ٣: ٧١، الملل والنحل ٢: ٢٤٠، تطهير الفؤاد : ١٤٢، خزانة الأدب ٢: ٥٧ .

سمع ذلك رسول الله | ولم ينكره.

وأما الحلف بغير الله من الصحابة والتابعين وجميع المسلمين فقد سمعت قول أبي بكر: (وأبيك)، ووقع الحلف من الكلّ بلفظ: لعمرى أو لعمر أبيك^(١)، ونحو ذلك في الشعر والنثر بكثرة لا يمكن معها ضبطه، وهو قسم باتفاق أهل اللغة، وحلف بالعمر بفتح العين وهو الحياة أو الدين كما فسرهُ أهل اللغة، بل جعله النحويون نصّاً في القسم، قال ابن مالك في ألفيته:

وَبَعْدَ لَوْلَا غَالِبًا حَذَفُ الْخَبَرِ حَتَّمُ وَفِي نَصِّ يَمِينٍ ذَا اسْتَقَرَّ^(٢)

وقال ابنه في الشرح الثاني: (خبر المبتدأ الصريح في القسم نحو: لعمرى لأفعلن)^(٣) انتهى.

وكذا ذكر ابن هشام في كتبه وغيرهم من النحويين، ففي كتاب علي إلى معاوية: «لعمرى لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ الناس من دم عثمان»^(٤)، وفي كتاب آخر له إليه: «فلعمرى لو كنت الباغي عليك لكان لك أن تحذرنى»^(٥)، وفي كتاب معاوية إليه: «فإن كنت أبا حسن إنما تحارب عن الإمارة والخلافة، فلعمرى لو صحت لكنت قريباً من أن تعذر في حرب

١- المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٦٠٣، الاستيعاب ١: ٤١٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٣٢٢، درر السمط في خبر السبط: ٩٨، جامع البيان ٥: ٣٣٢، تفسير الثعلبي ٢: ١٦، تفسير البغوي ١: ١٢٨، زاد المسير ٢: ١٧١، فتح القدير ٣: ٤٠٢.

٢- شرح ابن عقيل ١: ٢٤٦.

٣- المصدر السابق ١: ٢٥٢.

٤- نهج البلاغة ٣: ٧ من كتاب له إلى معاوية، مناقب آل أبي طاب ٢: ٣٥٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ٣٥، الإمامة والسياسة ١: ٨٥، كتاب الفتوح ٢: ٥٠٦، جواهر المطالب ٢: ١٧١.

٥- بحار الأنوار ٣٣: ٨١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ٤٣.

المسلمين»^(١). وللحسين بن علي عليه السلام:

لَعَمْرُكَ إِنِّي لِأَحَبُّ دَارًا تَحُلُّ بِهَا سَكِينَةُ وَالرَّبَابِ^(٢)

وقال ولده علي بن الحسين عليه السلام من كلام يخاطب به أهل الكوفة :
«ولعمري ما هي منكم بنكر»^(٣).

و قال أخوه علي بن الحسين الأكبر يوم كربلاء:

أنا عَلِي بن الحُسَيْن بن عَلِي نَحْنُ وَبَيْتُ اللَّهِ أَوْلَى بالنبي^(٤)

ولمّا سمع عبد الله بن عمر العنسي، وكان من عبّاد أهل زمانه رواية عمرو
ابن العاص عن النبي | : «أَنْ عَمَارًا نَقَتْلَهُ الْفَنَةُ الْبَاغِيَّة»^(٥) خرج ليلاً،
فأصبح في عسكر علي، وحدث الناس بقول عمرو، وقال من جملة أبيات:

١- نهج السعادة ٤: ٢٦١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ٤٢.

٢- مقاتل الطالبين : ٥٩، شرح الأخبار ٣: ١٧٧، لوايع الأشجان : ٢٢٢، روح المعاني
للأكوسي ١٩: ١٤٩، تاريخ مدينة دمشق ٦٩: ١٢٠، الإصابة لابن حجر: ٣٥٥، المعارف لابن
قتيبة: ٢١٣، أنساب الأشراف : ١٩٦، كتاب المحبر: ٣٩٧، المنتخب من ذيل المذيل : ٢٥، الوافي
بالوفيات ١٤: ٥٣، البداية والنهاية ٨: ٢٢٨، تاج العروس ٢: ١٠.

٣- بحار الأنوار ٤٤: ٣٨٢، شرح إحقاق الحق ١١: ٦٠٣.

٤- مقاتل الطالبين: ٧٦، الإرشاد ٢: ١٠٦، سير أعلام النبلاء ٣: ٣٠٢، المجدي في أنساب
الطالبين: ٩١، تاريخ الطبري ٤: ٣٤، الكامل في التاريخ ٤: ٧٤، البداية والنهاية ٨: ٢٠١، كتاب
الفتوح ٥: ١١٤.

٥- هذا الحديث متواتر وروي بأسانيد كثيرة ومصادر مختلفة فمنها: مسند أحمد ٢: ٢٠٦، صحيح
البخاري ٣: ٢٠٧، المستدرک على الصحيحين ٢: ١٤٩ وصححه، السنن الكبرى ٨: ١٨٩، مجمع
الزوائد ٧: ٢٤١، فتح الباري ١: ٤٥١، المصنّف للصنعاني ١١: ٢٤٠، مسند ابن الجعد : ٢٤٦،
المصنّف لابن أبي شيبة ٨: ٧٢٣، مسند ابن راهويه ٤: ١١١، السنن الكبرى للنسائي ٥: ١٥٥،
مسند أبي يعلى ١١: ٤٠٣، صحيح ابن حبان ١٥: ٥٥٤، المعجم الأوسط ٦: ٢٤٩، المعجم
الكبير ٢٣: ٣٦٣، الاستيعاب ٢: ٥٣٣، الجامع الصغير ٢: ١٧٨.

والرأقصات بركب عامدين له^١ إن الذي جاء من عمرو لمأثور

ما في مقال رسول الله في رجل^٢ شك ولا في مقال الرسل تحيير^(١)

رواه نصر بن مزاحم في كتاب صفين مسنداً عن رجاله .

ومما يدل على جواز الحلف بغير الله من العظماء ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده عن عائشة قال لها مسروق : (سألتك بصاحب هذا القبر ما الذي سمعت من رسول الله | ، يعني في حق الخوارج .

قالت: سمعته يقول: <إنهم شر الخلق والخلقة، يقتلهم خير الخلق والخلقة، وأقربهم عند الله وسيلة>^(٢) ، فإن قوله: سألتك بصاحب هذا القبر، بمنزلة قوله: أقسمت عليك به، ولا فرق بين أن يقول القائل: أقسم بفلان، وأقسم عليك بفلان.

وقوله : (أقربهم عند الله وسيلة) من أدلة جواز التوسل كما مر.

أمّا حديث: «من حلف بغير الله فقد أشرك» فهو في مسند أحمد عن ابن عمر: «كان يحلف وأبي فنهاه النبي | ، قال: من حلف بشيء دون الله فقد أشرك، وقال الآخر وهو شرك»^(٣).

أمّا المنقول عن الترمذي وصححه الحاكم فهو أنّ ابن عمر سمع رجلاً يقول: « لا والكعبة، فقال : لا تحلف بغير الله فإنني سمعت رسول الله |

١- وقعة صفين: ٣٤٤، كتاب الفتوح لابن أعمش ٣: ٨٠ .

٢- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢٦٧، تاريخ مدينة دمشق ٥٧: ٤٠٧، سير أعلام النبلاء للذهبي ٤: ٦٦، تاريخ الإسلام ٥: ٢٣٧. ولا وجود للحديث في مسند أحمد الموجود الآن، مع أنّ ابن أبي الحديد نقله عنه، ولعل الأيدي الأمانة رفعت من كتاب المسند.

٣- مسند أحمد ٢: ٣٤، المستدرک للحاكم ١: ٥٢ وصححه.

يقول: **من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**^(١)، وهو محمول إما على الكراهة الشديدة وإطلاق الشرك عليه من باب المبالغة، بياناً لشدة الكراهة، فقد ورد اللعن على فعل المكروه كلعن المحلل والمحلل له كما بيّناه في مقام آخر. ويؤيده قوله في الرواية: (كان يحلف وأبي) الدال على أنّ ذلك كان عادة له مستمرة، فهو شبه الإعراض عن الله تعالى.

ويؤيده ما في الروايات الأخر كما يأتي: «كانت قريش تحلف بآبائها»^(٢)، وقول: (عمر وأبي وأبي)^(٣)، قال القسطلاني في إرشاد الساري شرح صحيح البخاري بعد نقل رواية الترمذي: (والتعبير بذلك يعني الكفر والشرك، للمبالغة في الزجر والتغليظ، وهل النهي للتحريم أو للتنزيه؟

المشهور عند المالكية الكراهة، وعند الحنابلة التحريم، وجمهور الشافعية أنّه للتنزيه، وقال إمام الحرمين: المذهب القطع بالكراهة، وقال غيره بالتفصيل، فإن اعتقد فيه من التعظيم ما يعتقد في الله حرم وكفر بذلك الاعتقاد، وإن حلف لاعتقاد تعظيم المحلوف به على ما يليق به من التعظيم فلا يكفر^(٤).

١- مسند أحمد ٢: ١٢٥، فتح الباري ١١: ٤٦١، سنن أبي داود ٢: ٩١، سنن الترمذي ٣: ٤٥ وحسنه، المستدرک للحاكم ٤: ٢٩٧ وصححه، السنن الكبرى للبيهقي ١٠: ٢٩، مسند أبي داود الطيالسي: ٢٥٧، مسند ابن الجعد: ١٤١، صحيح ابن حبان ١٠: ٢٠٠.

٢- مسند أحمد ٢: ٢٠، صحيح البخاري ٤: ٢٣٥ باب أيام الجاهلية، صحيح مسلم ٥: ٨١، سنن النسائي ٧: ٤، السنن الكبرى للبيهقي ١٠: ٣٠، صحيح ابن حبان ١٠: ٢٠٦، تخريج الأحاديث والآثار ٢: ٤٧٤، نصب الراية ٤: ٥٤، إرواء الغليل ٨: ١٨٨.

٣- مسند أحمد ٢: ٨، سنن الترمذي ٣: ٤٥، سنن النسائي ٧: ٤، السنن الكبرى للبيهقي ١٠: ٢٨، فتح الباري ١١: ٤٦١، مسند الحميدي ٢: ٣٠١، المصنّف لابن أبي شيبه ٣: ٤٨٠، مسند أبي يعلى الموصلي ٩: ٤٠، تغليق التعليق ٥: ١٩٦.

٤- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٩: ٣٧٥، المجموع للنووي ٨: ١٨، نيل الأوطار ٩: ١٢٤، فتح الباري ١١: ٤٦٢، عون المعبود ٩: ٥٥.

انتهى.

وأما على الحلف بالأصنام كما يشير إليه الحديث الآنف الذكر في كلام الصنعاني فيمن حلف باللات ، مما يدل أن ذلك كان يقع منهم بعد إسلامهم ، لقرب عهدهم بالشرك ، لكن ذلك لا يتأتى على رواية أحمد لأن فيها: (أنه كان يحلف وأبي) أو على الحلف بغير الله ، باعتقاد مساواته لله تعالى ، أو على الحلف بالبراءة ونحوها ، كأن يقول : إن فعل كذا فهو يهودي أو بريء من الإسلام أو من الله أو من رسوله ؛ فإنه إما محرّم فقط أو موجب للكفر إن قصد الرضا بذلك إذا فعله ، ولكنه لا يتأتى على رواية أحمد كما عرفت ، أو على الحلف في مقام القضاء والمرافعة ، لإثبات حق أو نفيه الذي لا يجوز بغير الله تعالى ، وجعله شركاً لتأكيد التحريم أو غير ذلك من المحامل ، فإن جواز الحلف بغير الله تعالى في غير ذلك قطعي ، بل من ضروريات الإسلام ، يعرف جوازه الخواص والعوام والنساء والصبيان ، ولو كان حراماً لاشتهر اشتهاه الشمس في رائعة النهار ؛ لكثرة الإبتلاء به ، ولم يخف على الناس كلّها ويظهر للوهابية وحدهم؟!

وستعرف اتفاق الأئمة الأربعة على الجواز.

أمّا حديث النهي عن الحلف بالآباء فرواه أحمد في مسنده أيضاً كما رواه الشيخان وصدره : «أن النبي | سمع عمر وهو يقول: وأبي، وفي رواية : وأبي وأبي مكرراً، فقال : إن الله ينهاكم»^(١) إلخ، وفي رواية لمسلم الاقتصار

١- مسند أحمد ٢: ٢٠، صحيح البخاري ٤: ٢٣٥، سنن النسائي ٧: ٤، السنن الكبرى للبيهقي ١٠: ٣٠، صحيح ابن حبان ١٠: ٢٠٦، تخريج الأحاديث والآثار ٢: ٤٧٤، نصب الراية ٤: ٥٤، إرواء الغليل للألباني ٨: ١٨٨ وغيرها من المصادر الغفيرة.

على: «من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله». قال: وكانت قريش تحلف بآبائها، فقال: لا تحلفوا بآبائكم»^(١) وهو كالذي سبق محمول إمّا على الكراهة أو على عدم الانعقاد، فيكون إرشادياً، كما في النهي عن بيع الغرر، أي بيع المجهول، أي إنه لا يترتب عليه آثار اليمين من وجوب الوفاء ولزوم الكفارة بمخالفته وغير ذلك، أو على الحلف في مقام المرافعة أو غير ذلك.

قال النووي في شرح صحيح مسلم في شرح: «(إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم)»: «فيه النهي عن الحلف بغير أسمائه تعالى وصفاته، وهو عند أصحابنا يعني الشافعية مكروه ليس بحرام»^(٢) انتهى.

وصرح الخطيب الشربيني الشافعي في الإقناع بأنّ اليمين بالمخلوق مكروه^(٣)، ومثله عن شرح المنهاج، وأفتى أحمد بن حنبل الذي ينسب الوهابية أنفسهم إليه ويقولون إنهم على مذهبه بجواز الحلف بالنبي | وأنه يعتقد؛ لأنه أحد ركني الشهادة^(٤)

فهذا إمامهم ومقلدوهم وأحد أئمة مذاهب الإسلام الأربعة يفتي بجواز الحلف بالمخلوق وانعقاده، وهم يجعلونه شركاً أو شركاً أصغراً!! قال الشعراني في ميزانه: (ومن ذلك قول أحمد أنه لو حلف بالنبي | انعقد يمينه، فإن حلف لزمته الكفارة)^(٥) انتهى، بل الأئمة الأربعة قائلون بجواز

١- مسند أحمد ٢: ٩٨، صحيح البخاري ٤: ٢٣٥، صحيح مسلم ٥: ٨١، سنن النسائي ٧: ٤، السنن الكبرى ١٠: ٣٠، صحيح ابن حبان ١٠: ٢٠٥، تخريج الأحاديث والآثار ٢: ٤٧٤، نصب الراية ٤: ٥٤.

٢- شرح مسلم للنووي ١١: ١٠٦.

٣- الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ٢: ٢٥٢.

٤- جواهر العقود ٢: ٢٥٩، المغني لابن قدامة ١١: ٢٠٩، الشرح الكبير ١١: ١٧٨.

٥- المجموع للنووي ١٨: ١٨، أحكام القرآن ٢: ١٥، تفسير البحر المحيط ٤: ١٢.

الحلف بالنبي | ، بل وغيره من المخلوقات لكنه مكروه إنما الخلاف في انعقاد الحلف بالنبي | و لزوم الكفارة بالحنث.

والحاصل : إنَّ الحلف بالله تعالى له أحكام خاصة لا تترتب على غيره كفصل الخصومات به وترتب الإثم والكفارة على مخالفته ، ومذهب أئمة أهل البيت ^٨ جواز الحلف بغير الله تعالى عدا البراءة ، فيحرم الحلف بها، ولكنه لا ينعقد بغير الله تعالى ولا تسقط به الدعوى.

أمّا قول الصنعاني : (إنَّه إذا حلف من عليه حقّ باسم الله لم يقبل منه، وإذا حلف باسم ولي قبلوه وصدقوه) فجوابه أنَّه إنّما يصدر ذلك من عوام الناس وجهالهم، وأهل المعرفة براء منه، فهل تستحل دماء المسلمين وأموالهم لأمرٍ يصدر من بعض جهالهم، مع كونه أيضاً لا يوجب شركاً ولا كفراً وإن كان خطأ؟!

وأمّا استشهاده بحديث : «من حلف باللات فأمره | أن يقول : لا إله إلا الله» فعجيب! فإنَّه ما حلف باللات إلا على عادته التي كانت له قبل الإسلام من جعلها آلهة، وعبادتها من دون الله، وهي حجر لا تضر ولا تنفع ، وليس لها شرف يصحح الحلف بها، فأمره بقول: لا إله إلا الله ردعاً له عن ذلك الحلف، فقياسه الحلف بعظيم عند الله على ذلك بمكان من الغرابة، سواء كان ذلك موجباً للكفر أو لا.

أمّا قوله: (رأس العبادة وأساسها الاعتقاد) الخ، فقد مر الكلام عليه في الباب الثاني.

الفصل السادس

في التعبير عن غيره تعالى بالسيّد والمولى ونحو ذلك بصيغة الخطاب وغيره:

وهذا أيضاً مما جعله الوهابية موجِباً للشرك ففي الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية بعد ما ذكر تحريم عمارة القبور قال: (ويضاف إلى عمارتها دعاء أصحابها - إلى أن قال - وخطابهم يا سيدي يا مولاي أفعل كذا وكذا، وبهذا عبدت اللات والعزى)^(١) إلى آخر ما قال.

وتقدم في الباب الثاني قول محمّد بن عبد الوهاب: (وإنّما يعنون - أي المشركون - بالآله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيّد)^(٢). وفي خلاصة الكلام: (إنّ محمّد بن عبد الوهاب يزعم أنّ من قال لأحد: مولانا أو سيدنا فهو كافر)^(٣).

ونقول: إطلاق لفظ السيّد على غير الله تعالى وندأؤه به صحيح لا محذور فيه، فإنّه لا يراد به الملكية الحقيقية المساوية لملكيته تعالى ، ولا يقصد أحد من المسلمين ذلك ، ولو فرض أنا جهلنا قصدهم لوجب حمل كلامهم على

١- الهدية السنية والتحفة النجدية، الرسالة الأولى: ٣١ - ٣٢.

٢- كشف الشبهات: ٥٣ تحقيق عبد الله القحطاني.

٣- الدرر السنية في الرد على الوهابية: ٥٣، الفجر الصادق: ٢٢.

الصحيح، وقد ورد إطلاق السيد على غيره تعالى في القرآن الكريم بقوله تعالى في يحيى بن زكريا: {وَسَيِّدًا وَحَصُورًا} ^(١)، {وَأَلْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ} ^(٢)، وفي كلام النبي | بما يبلغ حد التواتر، روى البخاري في الأدب المفرد من حديث جابر عنه | : «من سيدكم يا بني سلمة؟ قالوا: الجد بن قيس» ^(٣)، وعن أبي هريرة عنه | : «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة» ^(٤) وفي رواية: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» ^(٥)، وعن عائشة عنه | : «أنا سيد ولد آدم، وعلي سيد العرب» ^(٦)، وعن أبي سعيد الخدري عنه | :

١- سورة آل عمران: ٣٩.

٢- سورة يوسف: ٢٥.

٣- المستدرک للحاکم ٣: ٢١٩، فتح الباری ٥: ١٢٨، عمدة القاری ١٣: ١١١، الأدب المفرد: ٧١، المعجم الصغير ١: ١١٥، المعجم الكبير ٢: ٣٥، الاستيعاب لابن عبد البر ٣: ١١٧٠، الفائق في غريب الحديث ١: ٣٨٥.

٤- مسند أحمد ٥: ٣٨٨، صحيح مسلم ٧: ٥٩، المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٤١٧، مسند ابن راهويه ١: ٢٢٧، تركة النبي ﷺ: ٤٩، كتاب الأوائل: ٣٨، المعجم الكبير ١٠: ١٤٣، الجامع الصغير ١: ٤١٣.

٥- مسند أحمد ١: ٢٨١، سنن الترمذي ٤: ٣٧٠، مجمع الزوائد ٨: ٢٥٤، مسند أبي داود الطيالسي: ٣٥٣، مسند أبي يعلى الموصلي ١٣: ٤٨١، صحيح ابن حبان ١٤: ٣٩٨، تخريج الأحاديث والآثار ٢: ١٦٩، موارد الضمآن ٧: ٣٠، الجامع الصغير ١: ٤١٣، العهود المحمّدية: ٤٣٩.

٦- المستدرک للحاکم ٣: ١٢٤ وصححه، مجمع الزوائد ٩: ١١٦، المعجم الأوسط ٢: ١٢٧، المعجم الكبير ٣: ٨٨، كنز العمال ١١: ٦١٨، فيض القدير شرح الجامع الصغير ٣: ٦٠، كشف الخفاء ١: ٤٦٢، القول المقنع في الرد على الألباني المبتدع: ٥، ذيل تاريخ بغداد ٥: ٦٠، ذكر أخبار إصبهان ١: ٢٠٨.

« الحسن والحسين سيد شباب أهل الجنة »^(١)، وعن الترمذي عن فاطمة : « أخبرني النبي | أني سيدة نساء العالمين »^(٢)، وعن أبي نعيم الحافظ في حلية الأولياء عنه | : « ادعوا لي سيّد العرب عليّاً »^(٣)، وعن الحلية أيضاً أنّه | قال لعلي: «مرحباً بـسيد المؤمنين»^(٤)، وعن عائشة أنّه | سارّ الزهراء فقال لها: «أمّا ترضين أن تكوني سيّدة نساء العالمين»^(٥) وعنه | : « سادات النساء أربعة : خديجة وفاطمة ومريم وآسية »^(٦)، وفي الفائق

١- مسند أحمد ٣: ٣، سنن ابن ماجه ١: ٤٤، سنن الترمذي ٥: ٣٢١، فضائل الصحابة : ٦٠، المستدرک للحاکم ٣: ١٦٧، مجمع الزوائد ٩: ١٨٢، المصنّف لابن أبي شيبه ٧: ٥١٢، نظم المتناثر من الحديث المتواتر : ١٩٦.

٢- سنن الترمذي ٥: ٣٦٩، الآحاد والمثاني ٥: ٣٦٥، السنن الكبرى للنسائي ٥: ١٤٥، خصائص أمير المؤمنين : ١١٧، الذرية الطاهرة النبوية : ١٤٥، المعجم الكبير ٢٢: ٤٢٢.

٣- حلية الأولياء ١: ٦٣، المعجم الأوسط ٢: ١٢٧، المعجم الكبير ٣: ٨٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩: ١٦٩، ينابيع المودة للقندوزي ٢: ٤٨٨، شرح إحقاق الحقّ ٢٠: ٤٠٣، مطالب السؤل لابن طلحة الشافعي ١: ٦٠، كفاية الطالب: ٢١٢، كنز العمال ١١: ٦١٨، فيض القدير شرح الجامع الصغير ٣: ٦٠، كشف الخفاء ١: ٤٦٢، إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسل بالنبي : ٥٨، القول المقنع : ٥.

٤- حلية الأولياء ١: ٦٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩: ١٧٠، ينابيع المودة ٢: ٤٨٩، شرح إحقاق الحق.

٥- مسند أحمد ٦: ٢٨٢، صحيح البخاري ٤: ١٨٣، باب علامات النبوة، صحيح مسلم ٧: ١٤٣، باب فضائل فاطمة، سنن ابن ماجه ١: ٥١٨، المستدرک للحاکم ٣: ١٥٦، وصححه، مجمع الزوائد ٩: ٢٠١، مسند أبي داود الطيالسي : ١٩٧، مسند ابن راهويه ٥: ٧، مسند أبي يعلى الموصلي ١٢: ١١١، المعجم الكبير ٢٢: ٤١٩، الاستيعاب ٤: ١٨٩٤.

٦- ورد بلفظ: <أفضل نساء أهل الجنة> في مسند أحمد ١: ٢٩٣، فضائل الصحابة: ٧٤، ←

للمخشي قال | لأصحابه : «أرايتم لو أنّ رجلاً وجد مع امرأته رجلاً
كيف يصنع به ؟

فقال سعد بن عباد : والله لأضربنه بالسيف ولا انتظر أن آتي بأربعة شهداء .
فقال رسول الله | : انظروا إلى سيدنا هذا ما يقول ، وروي إلى
سيدكم^(١) ، وفي النهاية في الحديث : « قالوا : يا رسول الله ، من السيد؟
فقال : يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام
قالوا : فما في أمّتك من سيّد؟
قال : بلى من آتاه الله مالاً ، ورزق سماعة ، فأدى شكره وقلت شكايته
في النّس»^(٢) .

قال : وفيه أنّه | قال للحسن بن علي : «إنّ ابني هذا سيّد»^(٣) ، وفيه أنّه
قال للأنصار : «قوموا إلى سيّدكم - يعني سعد - »^(٤) انتهى .

→ المستدرک للحاکم ٢ : ٤٩٧ وصححه ، مجمع الزوائد ٩ : ٢٠١ ، فتح الباري ٦ : ٣٢١ ، منتخب
مسند عبد بن حميد : ٢٠٥ ، الآحاد والمثاني ٥ : ٣٦٤ ، السنن الكبرى للنسائي ٥ : ٩٣ ، مسند أبي
يعلى ٥ : ١١٠ .

١- الفائق في غريب الحديث ٢ : ١٦٧ ، النهاية في غريب الحديث ٢ : ٤١٧ ، لسان العرب ٣ : ٢٢٩ .
٢- النهاية في غريب الحديث ٢ : ٤١٧ ، لسان العرب ٣ : ٢٢٩ ، تاج العروس ٥ : ٣٢ .
٣- مسند أحمد ٥ : ٣٨ ، صحيح البخاري ٣ : ١٧ كتاب الصلح ، سنن أبي داود ٢ : ٣١١ ، سنن
الترمذي ٥ : ٣٢٣٣ ، سنن النسائي ٣ : ١٠٧ ، المستدرک للحاکم ٣ : ١٧٥ ، مجمع الزوائد ٩ : ١٧٨ ،
مسند أبي داود الطيالسي : ١١٨ ، المصنّف لابن أبي شيبة ٧ : ٥١٢ ، مسند ابن راهويه ٤ : ١٣١ ، الذرية
الطاهرة النبوية : ١٤ .

٤- النهاية في غريب الحديث ٢ : ٤١٧ ، لسان العرب ٣ : ٢٢٩ ، تاج العروس ٥ : ٣٢ مع تقديم
وتأخير .

وأشار بحديث معاذ إلى ما رواه أحمد بن حنبل بسنده عن أبي سعيد الخدري: «نزل أهل قريضة على حكم سعد بن معاذ، فأرسل إليه رسول الله |، فأتاه على حمار، فلمّا دنا قريباً من المسجد قال | : قوموا إلى سيدكم أو خيركم»،^(١) الحديث، وروى البخاري نحوه.

وكذلك في كلام الصحابة فعن البخاري عن جابر أنّ عمر كان يقول: (إنّ أبا بكر سيّدنا، وأعتق سيّدنا - يعني بلالاً -)^(٢)، وعن أبي بكر أنّه قال: (أتقولون هذا لشيخ قريش وسيّدهم)^(٣)، وعن علي: «أنا ابن سيد البطحاء»^(٤)، وفي الفائق للزمخشري: (قالت أم الدرداء: حدثني سيدي أبو الدرداء)^(٥)،

١- مسند أحمد ٣: ٢٢، صحيح البخاري ٤: ٢٨، صحيح مسلم ٥: ١٦٠، سنن أبي داود ٢: ٥٢٢، السنن الكبرى للبيهقي ٦: ٥٨، مجمع الزوائد ٦: ١٣٨، مسند أبي داود الطيالسي ٢٩٦: المصنّف لابن أبي شيبة ٨: ٤٩٦، مسند ابن راهويه ٥٤٧.

٢- صحيح البخاري ٤: ٢١٧ باب مناقب المهاجرين، سنن الترمذي ٥: ٢٦٨، المستدرک للحاكم ٣: ٢٨٤، عون المعبود ١٣، ١١١، المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٤٧٧، الآحاد والمثاني ١: ٢٠٢، المعجم الكبير ١: ٣٣٨ وغيرها من المصادر.

٣- مسند أحمد ٥: ٦٤، فضائل الصحابة: ٥١، السنن الكبرى للنسائي ٥: ٧٥، المعجم الكبير ١٨: ١٨، الاستيعاب ٢: ٧٣٣، تاريخ خليفة بن الخياط: ١٦٢، الثقات ١: ١٦٤، سير أعلام النبلاء ١: ٥٤٠، فتوح البلدان ١: ٤٢.

٤- عمدة الطالب: ٢٤، تاريخ يعقوبي ١: ٢٤٥، تاريخ الطبري ٢: ٨، سبل الهدى والرشاد ١: ٢٦٢، السيرة الحلبية ١: ١٠.

٥- سنن أبي داود ١: ٣٤٣، الفائق في غريب الحديث ٢: ١٦٨، تخريج الأحاديث والآثار ١: ٣٣٦، النهاية في غريب الحديث ٢: ٤١٨، لسان العرب ٣: ٢٣٠.

وفي النهاية في حديث عائشة : (كان سيدي رسول الله |^(١)) إلخ.
 هذا وفي بعض الأخبار ما يوهم عدم جواز إطلاق السيد على غير الله ،
 أورد السيوطي في الجامع الصغير عن الديلمي في مسند الفردوس عن علي :
 «السيد الله»^(٢) وأورد العزيزي في شرح الجامع الصغير عن مسند أبي داود أنه
 جاء وفد بني عامر إلى النبي | : « فقالوا : أنت سيدنا ، فقالوا السيد الله »^(٣)
 الحديث.

والجمع بينه وبين ما مر باختلاف القصد في معنى السيد، أو بأنه قال ذلك
 تواضعاً، أي السيد الحقيقي هو الله .
 وفي النهاية : (أي هو الذي تحقق له السيادة، كأنه كره أن يحمد في وجهه
 وأحبّ التواضع)^(٤) انتهى.

وكذا ما ورد من النهي عن قول: السيد عبدي وأمتي، روى البخاري في
 حديث : «ولا يقل أحدكم عبدي وأمتي»^(٥) وفي رواية لمسلم : « لا يقولن

١- النهاية في غريب الحديث ٢: ٤١٨، لسان العرب ٣: ٢٣٠.

٢- مسند أحمد ٤: ٢٤، سنن أبي داود ٢: ٤٣٨، فتح الباري ٥: ١٣٠، المصنّف للصنعاني ١: ٢٧٢،
 مسند أبي الجعد ٣٧٣، الأدب المفرد ٥٤، السنن الكبرى ٦: ٧٠، الجامع الصغير ٢: ٧٣، كشف
 الخفاء ١: ٤٦٢.

٣- سنن أبي داود ٢: ٤٣٨، الأدب المفرد ٥٤، الدرر لابن عبد البر ٢: ٢٥٣، أدب الإماء
 والاستملاء ١١٥، الطبقات الكبرى ٧: ٣٤، أسد الغاب ٥: ٢٥٩، الإصابة لابن حجر ٦: ٤٣٩، تاريخ
 الإسلام ٢: ٦٧٨.

٤- النهاية في غريب الحديث ٢: ٤١٧، عمدة القارئ للعيني ١٧: ١٩١، لسان العرب ٣: ٢٢٩.

٥- صحيح البخاري ٣: ١٢٤ باب في العتق وفضله، مسند أحمد ٢: ٣١٦، السنن الكبرى

أحدكم عبدي، فَإِنَّ كُلَّكُمْ عِبِيدُ اللَّهِ»^(١) وفي رواية لأبي داود والنسائي: «فإنكم المملوكون والربّ الله»،^(٢) مع قوله تعالى: {وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ}^(٣)، {عَبْدًا مَمْلُوكًا}^(٤)، {أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ}^(٥)، فهذه المناهي للتنزيه قصداً للتواضع.

وحاشا لله أن يقصد المسلمون من إطلاق لفظ السيد على غير الله تعالى معنىً ينافي إخلاص العباد، كيف وهم يعلمون أنّ ما عداه لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعاً ولا ضرراً إلاّ بأمره تعالى وإرادته وأقداره، فقول ابن عبد الوهاب: (وإنما يعنون بلفظ الإله ما يعني المشركون بلفظ السيّد) افتراءً على المسلمين، فلا يريد المسلمون الذين سمّاهم المشركون بلفظ السيّد غير ما أريد في الاستعمالات الواردة في كلامه تعالى وفي كلام النبي |
والصحابة التي مرّ نقلها من الرئيس والأفضل ونحو ذلك، أما ما يريده المشركون من لفظ الإله فقد عرفت بما بيّناه مراراً أنّه يخالف ذلك فراجع.

لبيهقي ٨: ١٣، السنن الكبرى للنسائي ٦: ٦٩، مسند أبي يعلى الموصلي ١١: ٣٩١، مسند الشاميين ٤: ٤٢، تخريج الأحاديث والآثار ٢: ٣٠٤، فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٢: ١٢٥، تهذيب التهذيب ٢: ٢٢٥.

١- صحيح مسلم ٧: ٤٦، مسند أحمد ٢: ٤٦٣، فتح الباري ٥: ١٣١، الأدب المفرد: ٥٤، كتاب الصمت وأدب اللسان: ١٩٤، السنن الكبرى للنسائي ٦: ٦٩، مسند أبي يعلى الموصلي ١١: ٣٩١.
٢- المحلّي لابن حزم ٩: ٢٤٩، مسند أحمد ٢: ٤٢٣، سنن أبي داود ٢: ٤٧٢، فتح الباري ٥: ١٣٠، عون المعبود ١٣: ٢٢، السنن الكبرى للنسائي ٦: ٦٩.

٣- سورة التوبة: ٣٣.

٤- سورة النحل: ٧٥.

٥- سورة يوسف: ٤٢.

* * *

الفصل السابع في النحر والذبح

وهذا ممّا كَفَّرَ به الوهابية المسلمين ونسبوههم إلى الشرك ، فزعموا أنّهم يذبحون وينحرون للأموات والقبور ويقربون لها القرابين ، وأنّ ذلك كالذبح والنحر للأصنام الذي كانت تفعله أهل الجاهلية الموجب للشرك، صرّح بذلك ابن عبد الوهاب في كلامه المتقدّم في الباب الثاني المنقول عن رسالته كشف الشبهات حيث قال : (إنّ النبي | قاتل المشركين لتكون جملة أشياء لله تعالى)،^(١) وعد منها الذبح.

وقال في الرسالة المذكورة في أثناء كلام له علم به أصحابه كيف يحتجون على غيرهم : (فقل هل الصلاة والنحر لله عبادة إذ يقول { فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ }^(٢)، فلا بد أن يقول : نعم.

فقل : إذا نحرت لمخلوق نبي أو جني أو غيرهما هل أشركت في هذه العبادة غير الله؟

فلا بد أن يقول : نعم.

فقل : المشركون هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغيرها؟

فلا بد أن يقول : نعم.

١- كشف الشبهات : ٥٢ تحقيق عبد الله القحطاني .

٢- سورة الكوثر: ٢.

فقل: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء، وإلا فهم مقرون أنهم عبيد الله تحت قهره^(١).

وصرح بذلك الصنعاني في عدة مواضع من كلامه المتقدم في الباب الثاني كقوله: (إن أفراد الله بتوحيد العبادة لا يتم إلا أن تكون أشياء لله)^(٢)، وعد منها النحر، وقوله: (إن تعظيمهم الأولياء ونحرهم لهم النحائر شرك والله تعالى يقول: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ}^(٣)، أي لا لغيره كما يفيد تقديم الظرف)، وقوله: «إن النحر على القبر بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية لما يسمونه وثناً وصنماً، وفعله القبوريون لما يسمونه ولياً وقبراً ومشهداً) إلخ، وقوله: (ونحرهم النحائر لهم شرك)^(٤).

وقال الصنعاني في رسالة تطهير الاعتقاد أيضاً: (فإن قال: إنما نحرت لله وذكر اسم الله عليه؟

فقل: إن كان النحر لله فلا شيء قربت ما تنحره من باب مشهد من تفضله وتعتقد فيه هل أردت بذلك تعظيمه؟
إن قال: نعم.

فقل له: هذا النحر لغير الله، بل أشركت مع الله تعالى غيره، وإن لم ترد تعظيمه فهل أردت توسيح باب المشهد وتنجيس الداخلين إليه، أنت تعلم يقيناً أنك ما أردت ذلك أصلاً ولا أردت إلا الأول، ولا خرجت من بيتك إلا قصده

١- كشف الشبهات: ٦٦ - ٦٧ تحقيق عبد الله القحطاني.

٢- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد: ٤٩٩ المطبوع ضمن الجامع الفريد.

٣- سورة الكوثر: ٢.

٤- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد: ٤٩٩ - ٥٠٢ المطبوع ضمن الجامع الفريد.

- إلى أن قال - : فهذا الذي عليه هؤلاء شرك بلا ريب^(١) انتهى .

وصرح بذلك الوهابيون في كتابهم إلى شيخ الركب المغربي المتقدم في الباب الثاني حيث عدّوا من جملة أسباب الشرك التقرب إلى الموتى بذبح القربان .

ونقول: النحر والذبح قد يضاف لله تعالى فيقال: ذبح لله، ونحر لله ، ومعناه أنه نحر لوجهه تعالى، امتثالاً لأمره وتقرباً إليه كما في الأضحية بمنى وغيرها، والفداء في الإحرام والعقيقة وغير ذلك، وهذا يدخل في عبادته تعالى، أو نحر باسمه تعالى، فذكر اسمه على المنحور، وهذا لا ربط له بالعبادة، إنما هو شرط في حلّية الذبيحة مع التفطن لقوله تعالى : {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} (٢) .

وقد يضاف إلى المخلوق فيقال: (ذبحت الدجاجة للمريض، ونحرت البعير أو ذبحت الشاة للأضياف أو ذبحت كذا لفلان ، تريد الذي أمرت بالذبح، وهذا لا محذور فيه .

وقد يضاف إلى المخلوق بقصد التقرب إليه كما يتقرب إلى الله طلباً للخير منه، مع كونه حجراً وجماداً لا يضر ولا ينفع ولا يعقل ولا يسمع، سواء كان تمثالاً لنبي أو صالح أو غير ذلك، ومع نهى الله تعالى عن ذلك، ويذكر اسمه على المنحور والمذبوح ويعرض عن اسم الله تعالى، فيجعل نظيراً لله تعالى ونداً له، ويطلق بدم المنحور أو المذبوح ، قصد التقرب إليه مع كون ذلك عبثاً ولغواً، نهى عنه الله تعالى، كما كان يفعل المشركون مع أصنامهم، وهذا قبيح منكراً، بل شرك وكفر، سواء سُمّي عبادة أو لا .

١- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد : ٥٠١ - ٥٠٢ المطبوع ضمن الجامع الفريد .

٢- سورة الأنعام : ١٢١ .

وهذا ما توهم الوهاية أنّ المسلمين يفعلون مثله للأنبياء والأوصياء والصلحاء، فينحرون ويذبحون لهم عند مشاهدتهم أو غيرها، ويقربون لهم القرابين كما كان عبدة الأصنام والأوثان يفعلون ذلك بأصنامهم وأوثانهم، وهو توهم فاسد، فإنّ ما يفعله المسلمون لا يخرج عن الذبح والنحر لله تعالى، لأنّه يقصد أنّي أذبح هذا في سبيل الله، لأتصدق بلحمه وجلده على الفقراء أو مطلق عباد الله، وأهدي ثواب ذلك لربّ المشهد.

والذبح الذي يقصد به هذا يكون راجحاً، وطاعة لله تعالى وعبادة له، سواء أهدى ثواب ذلك لنبي أو ولي أو أب أو أم أو أي شخص من سائر الناس، ونظيره من يقصد أنّي أطحن هذه الحنطة لأعجنها وأخبزها وأتصدق بخبزها على الفقراء وأهدي ثواب ذلك لأبوي، فأفعاله هذه كلّها طاعة وعبادة لله تعالى لا لأبويه.

ولا يقصد أحد من المسلمين بالذبح لنبي أو غيره ما كانت تفعله من ذكر اسمها على الذبيحة، والإهلال بها لغير الله، وطيها بدمها، مع نهى الله تعالى لهم عن ذلك، ولو ذكر أحد من المسلمين اسم نبي أو غيره على الذبيحة لكان ذلك عندهم منكراً، وحرمت الذبيحة، فليس الذبح لهم، بل عنهم، بمعنى أنّه عمل يهدي ثوابه إليهم كسائر أعمال الخير، أو لهم باعتبار ثوابه، ولذلك لا ينافيه قولهم: ذبحت لفلان أو أريد أن أذبح لفلان، أو عندي ذبيحة لفلان، لو فرض وقوعه، فالمقصود في الكلّ كونها باعتبار الثواب.

وهذا كما يقال: ذبحت للضيف أو للمريض أو لفلان الأمر بالذبح أو نحو ذلك، بل لو قصد بالذبح امتثال أمر الأمر به من المخلوقين، وطلب رضاه، وأتى به على وجهه من شرائط الذبح الشرعية؛ لم يكن بذلك آثماً ولا عابداً للآمر

ولا مشركاً، مع أنه لو وقع مثل ذلك امتثالاً لأمره تعالى كما في الأضحية ونحوها لكان عبادة له تعالى كما مر، وكُلٌّ من يأمرهم السلطان ابن سعود بالذبح أو النحر من خدمه وعبيده وأتباعه حالهم كذلك، مع أنهم هم الموحدون الوحيدون.

والحاصل: إن المسلمين لا يقصدون من الذبح للنبي أو الولي غير إهداء الثواب، أما العارفون منهم فحالهم واضح في أنهم لا يقصدون غير ذلك، وأما الجاهل فإنما يقصدون ما يقصد عرفاؤهم ولو إجمالاً، حتى لو فرض وقوع إضافة الذبح إلى النبي أو الولي كما مر، فليس المقصود إلا كون ثوابها له، لا يشك في ذلك إلا معاند.

ولو سألنا عارفاً أو عامياً أيّاً كان هل مرادك الذبح لصاحب المشهد، تقرباً إليه، كما كان المشركون يذبحون لأصنامهم أو مرادك إهداء الثواب له؟
لقال: معاذ الله أن أقصد غير إهداء الثواب، ولو فرضنا أننا شككنا في قصده أو خفي علينا وجه فعله لما جاز لنا أن نحمله إلا على الوجه الصحيح، لوجوب حمل أفعال المسلمين وأقوالهم على الصحة حتى يعلم الفساد، ولم يجز لنا أن ننسبه إلى الشرك، ونستريح دمه وماله وعرضه بمجرد ظننا أن قصده الذبح لها كالذبح للأصنام، لما عرفت في المقدمات من وجوب الحمل على الصحة مهما أمكن^(١).

١- قال الشيخ محمد عبده الشهير في كتابه الإسلام والنصرانية: ٥٥ : (إن من أصول الأحكام في الدين الإسلامي البعد عن التكفير، وإن مما اشتهر بين المسلمين وعرف من قواعد أحكام دينهم أنه إن صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه ويحتمل الإيمان من وجه واحد حمل على الإيمان ولا يجوز حمله على الكفر) انتهى.

فما رأي الأستاذ صاحب المنار في الجمع بين هذا الكلام الصادر ممن يسميه الأستاذ ←

أمّا إهداء ثواب الخيرات والعبادات إلى الأموات فأمر راجح مشروع لم يمنع منه كتاب ولا سنة، بل وردت به السنة في صحاح الأخبار، وقامت عليه سيرة المسلمين وعملهم في كلّ عصر وزمان، من عهد النبي | والصحابة إلى اليوم، وهذا منه، ولا أظن الوهابية يخالفون فيه.

ومن أولى بالهدايا من أنبياء الله وأوليائه؟! روى مسلم في صحيحة في باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه بعدة أسانيد عن عائشة: «أن رجلاً أتى النبي | فقال: يا رسول الله، إن أمي افتلّت نفسها ولم توص، وأظنها لو تكلمت تصدقت، أفلها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: نعم»^(١).

قال النووي في الشرح: (نفسها نائب فاعل أو مفعول به أي ماتت فجأة). ثمّ قال: (وفي هذا الحديث أنّ الصدقة عن الميت تنفع الميت، ويصله ثوابها وهو كذلك بإجماع العلماء)^(٢) انتهى.

وروى أحمد بن حنبل في مسنده عن عائشة أنّ رجلاً قال للنبي | : (إنّ أمي افتلّت نفسها، وأظنها لو تكلمت لتصدقت، فهل لها أجر إن أتصدق عنها؟

→ الإمام حكيم الإسلام، وبين أقوال أسياذه الوهابية الذين ينشر لهم كتب دعوتهم التي يكفرون بها المسلمين، ويستحلون دماءهم وأموالهم بقولهم: يا رسول الله اشفع لي، أقض حاجتي، مع أنّه لو احتمل الكفر من وجه واحد فهو يحتمل الإيمان من مائة وجه كما تعلمه من تضاعيف هذا الكتاب! (المؤلف).

١- صحيح مسلم ٣: ٨١ باب وصول ثواب الصدقة، سنن ابن ماجه ٢: ٩٠٦، الثقات لابن حبان ١: ٢٦١، شرح العقيدة الطحاوية: ٥١٣.

٢- شرح مسلم للنووي ٧: ٨٩ - ٩٠.

قال: **نعم**^(١).

وروى أحمد بن حنبل أيضاً عن ابن عباس أن بكراً أخا بني ساعدة توفيت أمه وهو غائب عنها فقال: «يا رسول الله، إنَّ أُمِّي توفيت وأنا غائب عنها فهل ينفعها إن تصدقت بشيء عنها^(٢)؟

قال: **نعم**.

فقال: أشهدك أنَّ حائط المخرف صدقة عليها^(٣).

وعن أحمد وأبي داود والترمذي أنَّ النبي | ذبح بيده: وقال: «اللَّهُمَّ هَذَا عَنِّي وَعَنْ مَنْ لَمْ يَضَحْ مِنْ أُمَّتِي»^(٤)، وعن سيف وأبي داود أنَّ علياً كان يضحي عن النبي | بكبش وكان يقول: «أوصاني أن أضحي عنه فأنا أضحي عنه أبداً»^(٥)، وعن عليٍّ أنَّ النبي | : «أوصاني أن أضحي

١- مسند أحمد ٦: ٥١، صحيح البخاري ٢: ١٠٦، صحيح مسلم ٣: ٨١ باب ثواب وصول الصدقة عن الميت، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٦٢، مسند الحميدي ١١٩، المعجم الأوسط ١: ٢١٧.

٢- مسند أحمد ١: ٣٣٣، المصنّف للصنعاني ٩: ٥٩، صحيح البخاري ٥: ٢٩٧، سنن أبي داود ٢: ١٥، سنن النسائي ٢: ١٣٠، سنن الترمذي ٢: ٢٥، سنن البيهقي ٦: ٢٧٨. والمخرف: أي المكان المثمر، سُمِّيَ بذلك لما يخرف منه، أي يجني من الثمرة. راجع: فتح الباري ٥: ٢٨٩.

٣- مسند أحمد ٣: ٣٥٦، سنن أبي داود ١: ٦٤٢، سنن الترمذي ٣: ٣١، المستدرك للحاكم ٤: ٢٢٨، السنن الكبرى للبيهقي ٩: ٢٦٤، سنن الدارقطني ٤: ١٨٩، معرفة السنن والآثار ٧: ٢٠٦، إرواء الغليل ٤: ٣٤٩.

٤- مسند أحمد ٣: ٨ - ٣٥٦ - ٣٦٧، سنن أبي داود ١: ٦٤٢، سنن الترمذي ٣: ٣١، المستدرك للحاكم ٤: ٢٢٨ وصححه، السنن الكبرى للبيهقي ٩: ٢٦٤، مجمع الزوائد ٤: ٢٢، فتح الباري ٩: ٥١٤، عمدة القارئ ١٣: ٦٦، شرح معاني الآثار ١٧٨، المعجم الأوسط ٦: ٣٠٠، سنن الدارقطني ٤: ١٨٦، معرفة السنن والآثار للبيهقي ٧: ٢٠٦، إرواء الغليل ٤: ٣٤٩.

٥- مسند أحمد ١: ١٠٧، المستدرك للحاكم ٤: ٢٣٠ وصححه، السنن الكبرى للبيهقي ٩: ٢٨٨، تحفة الأحوذى ٥: ٦٤، عون المعبود ٧: ٣٤٤، معرفة علوم الحديث: ٩٧٧، كنز العمال ٥: ٢٢٠، ←

أضحى عنه^(١)، وعن بريدة أنّ امرأة سألت النبي | هل تصوم عن أمها بعد موتها وهل تحجّ عنها؟
قال: نعم^(٢).

وعن ابن عباس أنّه قال: (تقضى البنت نذر أمها)،^(٣) وروي: (أنّ العاص ابن وائل أوصى بالعتق فسأل ابنه النبي | عن العتق له فأمر به)^(٤)، وعن عائشة أنّ النبي | قال عند الذبح: «اللّهم تقبّل من محمّد وآل محمّد وأُمته»^(٥).

→ وقد علّق محقق المسند الشيخ شعيب الأرناؤوط ٢: ٢٠٦ بقوله: (ثمّ هذا الحديث إن صح يلزم أن يصح كونه وصياً ولو في الجملة، والله تعالى أعلم) والحديث صحيح صححه جمع غفير من العلماء، وعلي وصي شاء أم أبي هذا الشيخ، لكن كلمة كهذه تصدر من سلفي متعنت لا بدّ أن تكتب وتعلّق ليعرف السلفي مدى صحة مذهبه المنكر للوصية.

١- مسند أحمد ١: ١٥، سنن أبي داود ١: ٦٣٧، عون المعبود ٧: ٣٤٤، أمالي المحاملي: ١٥٣.
٢- مسند أحمد ١: ٢٧٩، فتح الباري لابن حجر ٤: ٥٥، كنز العمال ٥: ٢٧٢، إرواء الغليل وقال: (أخرجه أحمد بسند صحيح).
٣- صحيح البخاري ٣: ٣٤ كتاب الصوم، صحيح مسلم ٣: ١٥٦ باب قضاء الصوم عن الميت، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٢٥٦، تحفة الأحوذى ٣: ٢٧٦، عون المعبود ٧: ٢٨، مسند ابن راهويه ٢: ٣٦١، السنن الكبرى للنسائي ٢: ١٧٤، نصب الراية ٣: ٣١، تغليق التعليق ٣: ١٩١، تمام المنة: ٢٤٨.

٤- سنن أبي داود ١: ٦٦، السنن الكبرى للبيهقي ٦: ٢٧٩، كنز العمال ٦: ٦٠٤، أحكام الجنائز: ١٧٤ وصحح الحديث.

٥- مسند أحمد ٦: ٧٨، صحيح مسلم ٦: ٧٨، سنن أبي داود ١: ٦٣٨، السنن الكبرى للبيهقي ٩: ٣٦٧، مجمع الزوائد ٤: ٢٣، فتح الباري ١٠: ٩، تحفة الأحوذى ٥: ٧٧، شرح معاني الآثار ٤: ١٧٧، المعجم الكبير ١١: ١٣٤، نصب الراية ٦: ٤٠، الدراية في تخريج أحاديث الهداية ٢: ٢٠٦، إرواء الغليل ٤: ٣٥٣.

وهذا أمر لا يشكُّ أحد من المسلمين في جوازه ، وعليه جرت سيرتهم خلفاً عن سلف، وقد سمعت دعوى النووي إجماع العلماء عليه، فهذا حال الذبح والنحر عن الأنبياء والأولياء الذي أعظم الوهابية أمره، واستحلوا لأجله الدماء والأموال والأعراض لا يخرج عن مندوبات الشرع ومستحباته.

ومن ذلك يظهر فساد قول الصنعاني : (إن كان النحر لله فلا شيء قربت ما تنحره من باب المشهد) الخ فإنَّ اختيار الذبح في جوار المشهد:

أولاً: لطلب زيادة الثواب، لتشرف البقعة بمن فيها إن كان نبياً أو ولياً، فيزداد ثواب العمل بذلك لما ورد من أنَّ الأعمال يتضاعف أجرها لشرف الزمان والمكان ، وإنكار شرف المكان بشرف المكين إنكار للضروري.

ثانياً: لما كان المراد إهداء الثواب إليه ناسب كون هذا العمل الذي هو عبادة وصدقة لله في المكان الذي فيه قبره؛ لأنَّ الهدية يؤتى بها عادة للمُهدى إليه، نظير قراءة القرآن عند قبره، وإهداء ثواب القراءة إليه، وليس في ذلك منافاة للدين ولا محذور، لأنَّ ذلك إن لم يكن راجحاً فلا أقل من كونه مباحاً.

ثالثاً: إنَّ مريد الذبح يأتي غالباً للزيارة التي هي راجحة ومشروعة ، سواء بعدت المسافة أو قربت كما ستعرف في فصل الزيارة، فيحضر ما يريد ذبحه وإهداء ثوابه إلى المزور معه، وليس في واحدٍ من هذه الوجوه الثلاثة محذور ولا مانع ولا منافاة للحنيفية السهلة السمحاء التي تشدد فيها الوهابيون تشدد الخوارج.

وظهر أيضاً فساد قوله : (إن أردت بذلك تعظيمه فهذا النحر لغير الله، بل أشركت مع الله تعالى غيره، وإن لم ترد فهل أردت توسيخ باب المشهد) الخ. فإنَّ مراده لا يخرج عن الوجوه الثلاثة المذكورة، مع أنَّه لو أراد بذلك إظهار تعظيمه بإهداء الثواب إليه وأَنَّهُ أهل لذلك الذي لا يظهر إلا بالذبح عند

مشهده، لم يكن فيه محذور ولا منه مانع، أليس هو أهلاً للتعظيم ومحلاً لإهداء الثواب؟! إلا أن يكون كل تعظيم لمخلوق شركاً وكفراً - كما تقتضيه حجج الوهابية - فيعمهم الشرك.

أترى لو أن السلطان ابن سعود أو أحد عظماء أعراب نجد زاره أمير من الأمراء، فأتى بالابل والغنم، ونحر وذبح لضيافة زائره وإكرامه، وإظهار تعظيمه وذكر اسم الله على الذبيحة يكون كافراً ومشركاً؛ لأنه ذبح لغير الله، وقصد بالذبح تعظيم المذبح له؟ كلا، حتى لو كان هذا الأمير الزائر ظالماً لم يكن في الذبح له قصداً لتعظيمه كفر ولا شرك، مع أنه ليس أهلاً للتعظيم فكيف بمن هو أهل لكل تعظيم حياً وميتاً، كالأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين فقلوه: (هذا شرك بلا ريب) إفك وافتراء بلا ريب.

و ظهر أيضاً فساد ما موه به ابن عبد الوهاب من قوله: (هل الصلاة والنحر لله عبادة، إذ يقول: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحِرْ})، ألخ، الذي حاصله أن النحر لله عبادة لله، فالنحر للمخلوق عبادة للمخلوق، فإذا نحرت لمخلوق فقد أشركت في هذه العبادة غير الله كما أشرك الذين كانوا يذبحون للأوثان، فإن النحر والذبح الذي يفعله المسلمون نحر وذبح لله بالوجه الذي بيناه.

وتوهم أنه مثل نحر عبدة الأصنام فاسد كما عرفته بما لا مزيد عليه، والنحر لله معناه كونه لوجه الله وامتنالاً لأمره فيما يكون مأموراً به وباسمه في مطلق النحر).

قال في الكشف: (وانحر لوجهه وباسمه إذا نحرت مخالفاً لهم في النحر

للأوثان^(١) انتهى.

وما يفعله المسلمون جامع للأمرين فيذكر عليه اسم الله وينحر للصدقة وإهداء الثواب، بخلاف ما ينحر للأوثان الذي يذكر اسمها عليه، ويقصد به التقرب إليها لا إلى الله.

مع أنَّ النحر في الآية ليس متعيناً لإرادة نحر الأنعام ففي الكشف: (أنَّ نحر البدن، وقيل: هي صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى. وقيل: صلاة العيد والتضحية. وقيل: جنسي الصلاة. والنحر وضع اليمين على الشمال)^(٢) انتهى.

وفي مجمع البيان بعد ما ذكر أنَّها صلاة العيد ونحر الهدي والأضحية عن عطاء وعكرمة وقتادة أو صلاة الفجر بجمع ونحر البدن بمنى عن سعيد بن جبير ومجاهد نقل عن الفراء أنَّ معناه: (صل لربك الصلاة المكتوبة، واستقبل القبلة بنحرك، تقول العرب: منازلنا تتناحر، أي هذا ينحر هذا، أي يستقبله، وأنشد:

أَبَا حَكَمٍ هَلْ أَنْتَ عَمَّ مُجَالِدٍ وَسَيِّدُ أَهْلِ الْأَبْطَحِ الْمُتَنَاحِرِ
أَي يَنْحَرُ بَعْضُهُ بَعْضاً .

قال: وأما ما رَوَّاه عن علي عليه السلام أنَّ معناه: ضع يدك اليمنى على اليسرى حذاء النحر في الصلاة فمما لا يصح عنه؛ لأنَّ جميع عترته الطاهرة قد رَوَّاه عنه أنَّ معناه أرفع يديك إلى النحر في الصلاة أي حال التكبير). ثُمَّ أورد الروايات

١- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ٤: ٢٩١، تفسير النسفي ٤: ٣٦٠.

٢- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ٤: ٢٩١ تفسير أبي السعود ٩: ٢٠٥.

الفصل الثامن في النذر لغير الله

وهذا ممّا صرح ابن تيمية قدوة الوهابية بعدم جوازه فإنّه سئل في ضمن السؤال المتقدم في الفصل الثاني عمّن ينذر للمساجد والزوايا والمشايخ، حيّهم وميّتهم، بالدراهم والإبل والغنم والشمع والزيت وغير ذلك، يقول: إن سلم ولدي فللشيخ علي كذا وكذا وأمثال ذلك.

فأجاب بأنّه قال علماؤنا: (لا يجوز أن ينذر لقبر ولا للمجاورين عند القبر شيئاً من الأشياء، لا من درهم، ولا من زيت، ولا من شمع، ولا من حيوان، ولا غير ذلك، كلّ نذر معصية، وقد ثبت في الصحيح عنه | من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه، واختلف العلماء هل على الناذر كفارة يمين على قولين)^(١) انتهى.

وصرح الوهابية بأنّه موجب للشرك، صرحوا به في كتابهم إلى شيخ ركب الحاج المغربي المتقدم في الباب الثاني، حيث جعلوا من جملة أسباب الشرك التقرب إلى الموتى بالندور، باعتبار أنّه نوع من العبادة وصرف شيء من العبادة لغير الله كصرف جميعها^(٢).

وصرح به الصنعاني في تطهير الاعتقاد في كلامه المتقدم في الباب الثاني

١ - زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ١: ٢٧ - ٢٨.

٢ - عجائب الآثار في التراجم والأخبار المعروف بتاريخ الجبرتي ٢: ٥٨٨ - ٥٩١.

بقوله - بعد ما عد أشياء منها النذر - : (ومن فعل ذلك لمخلوق فهذا شرك في العبادة وصار من تفعل له إلهاً)^(١) الخ، وقوله بعد ما ذكر أنّ اعتقاد النفع والضرر في المخلوق أو الشفاعة شرك فضلاً عمّن ينذر بماله وولده لميت أو حي إلى قوله: (فهذا هو الشرك بعينه الذي كان عليه عبّاد الأصنام والنذور بالمال على الميت هو بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية)^(٢).

وقال في الرسالة المذكورة: (قلت: هذه النذور والنحائر ما حكمها؟ وأجاب بأنّ بالأموال عزيزة على أهلها، والناذر ما أخرج من ماله إلاّ معتقداً لجلب نفع أكثر منه أو دفع ضرر، ولو عرف بطلان ما أراد ما أخرج درهماً، فالواجب تعريفه بأنّه إضاعة لماله، ولا ينفعه ما يخرج منه ولا يدفع عنه ضرراً، وقد قال: «إِنَّ النَّذْرَ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ»^(٣)، يجب رده إليه، ويحرم قبضه، ولأنّ تغيير للناذر على شركه)^(٤) إلى آخر ما ذكره من هذا القبيل.

وقال في موضع آخر من تلك الرسالة: (إنّ يجب على العلماء بيان أنّ ذلك الاعتقاد الذي تفرعت عنه النذور والنحائر والطواف بالقبور شرك محرم، وإنّ عين ما كان يفعله المشركون لأصنامهم)^(٥).

١- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد: ٥٠١ المطبوع ضمن الجامع الفريد.

٢- المصدر السابق.

٣- سنن ابن ماجه ١: ٦٨٦، عمدة القارئ للعيني ٢٣: ٢٠٧، مسند الحميدي ٢: ٤٧٣، معرفة السنن والآثار ٧: ٣٤١، الإنصاف للمروزي ١١: ١١٧، فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤: ٦٣٢.

٤- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد: ٥٠٧ المطبوع ضمن الجامع الفريد.

٥- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد: ٥٠٩ - ٥١١ المطبوع ضمن الجامع الفريد.

والجواب عن هذا كالجواب عن سابقه من النحر والذبح بأن من ينذر لنبي أو ولي أو رجل صالح دراهم أو خلافها لا يقصد إلا نذر الصدقة، وإهداء ثوابها إلى النبي أو الولي أو الصالح، ولا يقصد التقرب إليه بالنذر، بل التقرب إلى الله تعالى، وكيف يقصد التقرب إليه وهو يعلم أنه ميت لا يمكنه الانتفاع بالمنذور لا بأكله إن كان طعاماً، ولا بصرفه إن كان نقوداً، ولا بلبسه إن كان ثياباً، ولا بشيء من الانتفاع مهما كان المنذور، مع وجوب حمل أفعال المسلمين وأقوالهم على الصحة مهما أمكن، وعدم جواز التهجم على الدماء والأموال والأعراض بمجرد الظنون والأوهام كما مر في المقدمات، فلا يزيد هذا النذر على من نذر لأبيه وأمه أو حلف أو عاهد أن يتصدق عنهما، كما روي عنه | أنه قال للبت التي نذرت لأبيها عملاً: « **فِ بِنْذَرِكْ** »، فإن كان النذر للآباء والأمهات كفراً كان هذا كفراً، وإلا فلا اختيار بعض الأمكنة للنذر طلباً لشرف المكان حتى يتضاعف ثواب العبادة كما يختار بعض الأزمنة لبعض العبادات لا بأس به، بل لا بأس بتخصيص بعض الأمكنة كما يستفاد مما روي عن ثابت بن الضحاك عن النبي | أن رجلاً سأله: « **إِنَّهُ نَذَرُ أَنْ يَذْبَحَ بَبَوَانَةَ** ».

فقال: هل كان فيها وثن يُعبد؟ قال: لا.

قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ فقال: لا.

فقال: **فِ بِنْذَرِكْ**،^(١) وفي القاموس: (بوانة: كشمامة هضبة وراء ينبع)^(٢)، وفي النهاية الأثرية: (في حديث النذر أن رجلاً نذر أن ينحر إبلاً ببوانة هي

١- مسند أحمد ٦: ٣٦٦، سنن ابن ماجه ١: ٦٨٨، سنن أبي داود ٢: ١٠٤، السنن الكبرى للبيهقي ١٠: ٨٣، المصنّف لابن أبي شيبة ٣: ٤٩٥، المعجم الكبير ٢: ٧٦، معرفة السنن والآثار ٧: ٣٤٩، الطبقات الكبرى ٨: ٣٠٤، الإصابة لابن حجر ٨: ٣٢٨، فتح الباري ١١: ٥٠٨.
٢- معجم البلدان ١: ٥٠٥، القاموس المحيط ٤: ٢٠٣، تاج العروس ١٨: ٧٣.

بضم الباء، وقيل : بفتحها : هضبة من وراء ينبع^(١) انتهى .

وكان سؤاله | عن أنه هل كان فيها وثن يعبد أو عيد من أعياد الجاهلية، خشية أن يكون النذر جارياً على عادة أهل الجاهلية، لقرب العهد بهم، وإن كان السائل مسلماً، فقد قالوا له | : (اجعل لنا ذات أنواط)^(٢) وهم مسلمون، وقال أصحاب موسى له حين مروا على قوم يعكفون على الأصنام : <اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ>^(٣) (٤).

أو أنه إذا كان فيه وثن يعبد أو عيد من أعيادهم يكون النذر مرجوحاً، فلا ينعقد، لأن شرطه الرجحان أو تساوي الطرفين ، والله أعلم .
وقد ظهر بذلك بطلان ما قاله ابن تيمية ناقلاً له عن علمائهم من عدم جواز النذر للقبر ولا للمجاورين ، وعده نذر معصية حتى فرط بعضهم فيما نقله عنه، فأوجب على الناذر كفارة يمين، أما النذر للقبر فلا يفعله أحد، بل ولا لصاحب القبر، وإنما النذر لله والصدقة به عن صاحب القبر، بمعنى إهداء ثوابه إليه .

١- النهاية في غريب الحديث ١: ١٦٤.

٢- مسند أحمد ٥: ٢١٨، سنن الترمذي ٣: ٣٢٢، مجمع الزوائد ٧: ٢٤، مسند أبي داود الطيالسي : ١٩١، مسند الحميدي : ٣٧٥، المصنف لابن أبي شيبة ٨: ٦٣٤، مسند أبي يعلى الموصلي ٣: ٣٠، صحيح ابن حبان ١٥: ٩٤، المعجم الكبير ٣: ٢٤٤، موارد الضمآن ٦: ٧٨، إفتراق الأمة: ٦٥.

٣- الأعراف: ١٣٨.

٤- مسند أحمد ٥: ٢١٨، سنن الترمذي ٣: ٣٢٢، مجمع الزوائد ٧: ٢٤، عمدة القارئ ٣: ٢٢٣، تحفة الأحوذى ٦: ٣٣٩، مسند أبي داود الطيالسي : ١٩١، المصنف للصنعاني ١١: ٣٦٩، مسند الحميدي : ٣٧٥، المصنف لابن أبي شيبة ٨: ٦٣٤، كتاب السنة : ٣٧، السنن الكبرى للنسائي ٦: ٣٤٦، مسند أبي يعلى الموصلي ٣: ٣٠، صحيح ابن حبان ١٥: ٩٤، المعجم الكبير ٣: ٢٤٣.

ولو فرض صدور ما يوهم خلاف ذلك فهو محمول عليه حملاً لفعل المسلم على الصحة كما مر.

وأما النذر للمجاورين فإن المجاورة عند القبر لا مانع منها شرعاً لو لم تكن راجحة، طلباً لشرف البقعة التي تشرفت بصاحب القبر، وإنكار شرف القبر مصادمة للضرورة، ويكفي في رده دفن الصحابين عند النبي | حتى عد ذلك منقبة عظيمة لهما، ومنع بني أمية وبعض أمهات المؤمنين من دفن الحسن عند جده قائلين: (أيدفن عثمان في أقصى البقيع ويدفن الحسن عند جدّه)^(١)، وإصرار بني هاشم على ذلك حتى كاد يؤدي إلى إراقة الدماء كما سنبينه في غير هذا الموضع.

والمجاورون عند القبر عباد الله يجوز التصديق عليهم كالتصدق على غيرهم إن لم يكن أولى، ولم يخرجوا بمجاورتهم عن استحقاق الصدقة. وليست المجاورة عند القبر عبادة له حتى تكون محرمة، لما بيناه مراراً من أنه ليس كل تعظيم واحترام عبادة.

وقياس ابن تيمية ذلك فيما مر من كلامه في الفصل الثاني على ما ذكره من أن وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً أسماء قوم صالحين من قوم نوح فلمّا ماتوا عكفوا على قبورهم، ثمّ طال عليهم الأمد، فاتخذوا تماثيلهم أصناماً^(٢)؛ قياس فاسد، فإنّ أولئك صوّروا صورهم في المساجد وكانوا يصلّون إليها ثمّ اتخذوها أوثاناً وعبدوها، فسبب عبادتهم لها تصويرهم تلك الصور وصلاتهم

١- مقاتل الطالبين : ٤٩ ، الخرائج والجرائح ١ : ٢٤٢ ، تاريخ مدينة دمشق ١٣ : ٢٩١ ، البداية والنهاية ٨ : ٤٨ .

٢- زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ١ : ٣٠ .

إليها لا احترام قبورهم، وليس في المسلمين من يفعل مثل فعلهم . ومجرد احتمال أن يؤدي الشيء إلى محرم لا يوجب تحريمه وإلا لم يبقَ في الدنيا حلال.

كما ظهر بذلك بطلان ما هوّل به اليماني في أمر النذر فجعل أخذه حراماً وتقريراً للمشرك على شركه، وقد عرفت بما ذكرنا صحة النذر، وأنه لا يزيد عن نذر الصدقة عن الميت الثابت جوازه ورجحانه ، وأنه لا يحرم أخذه، وأنه ليس فيه شيء من الشرك حتّى يكون أخذه تقريراً للشرك وأنّ النفع حاصل به، وهو الثواب منه تعالى، والضرر يندفع به كما يندفع بالصدقة إذ هو لا يخرج عنها.

أما الحديث الذي استشهد به فمع فرض سلامة سنده - وإن قال صاحب المنار في الحاشية أنّه متفق عليه من حديث ابن عمر - يجب طرحه ، لمخالفته العقل والنقل، فمن نذر أن يتصدق بمالٍ أو ينفقه في سبيل الله أو نحو ذلك فقد أتى له نذره بخير الدنيا والآخرة، ودفع عنه الله به ضرر الدنيا والآخرة ، فلا يمكن أن يحكم | بأنّه لا يأتي بخير.

* * *

الفصل التاسع

في بناء القبور والبناء عليها وتجسيصها وعقد القباب فوقها وعمل الصندوق والخلعة لها

وهذا ممّا حرّمه الوهابية وأوجبوا هدم القبور والقباب التي عليها والبناء الذي حولها ، بل جعلوا ذلك شركاً وكفراً ، وصرح الصنعاني في تطهير الاعتقاد بأنّ المشهد بمنزلة الوثن والصنم في كلامه المتقدم في الباب الثاني بقوله : (إنّ ما كانت تفعله الجاهلية لما يسمّونه وثناً وصنماً ، هو الذي يفعله القبوريون لما يسمّونه ولياً وقبراً ومشهداً ، ذلك لا يخرجهم عن اسم الوثن والصنم)^(١) الخ ، وصرّح بذلك الوهابيون في كتابهم إلى شيخ الركب المغربي المتقدم هناك بقولهم : (إنّ ما حدث من تعظيم قبور الأنبياء وغيرهم ببناء القباب عليها وغير ذلك من حوادث الأمور التي أخبر عنها النبي ﷺ بقوله : « لا تقوم الساعة حتّى يلحق حي من أمتي بالمشرّكين وحتّى يعبد فئام من أمتي الأوّثان »)^(٢) .

وزعم الوهابيون أنّ البناء على القبور بدعة حدثت بعد عصر التابعين ، وقال قاضي قضاتهم عبد الله بن سليمان بن بليهد في مقالته التي نشرتها جريدة أم القرى في عدد جمادى الثانية سنة ١٣٤٥ : (لم نسمع في خير القرون أنّ هذه

١- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد : ٥٠١ - ٥٠٢ المطبوع ضمن الجامع الفريد .

٢- عجائب الآثار المعروف بتاريخ الجبرتي ٢ : ٥٩٠ .

البدعة حدث فيها ، بل بعد القرون الخمسة^(١) انتهى .

واتّبع الوهابية في ذلك قدوتهم وبأذر بذور مذهبهم أحمد بن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية الذي عنه أخذ وبه اقتدى ، قال ابن القيم على ما حُكي عنه في كتابه زاد المعاد في هدي خير العباد ما حاصله : (إنّه يجب هدم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثاناً وطواغيت تعبد من دون الله ، ولا يجوز إبقاؤها بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً ، فإنّها بمنزلة اللات والعزى أو أعظم شركاً عندها وبها ، ويجب على الإمام صرف الأموال التي تصير إلى هذه المشاهد والطواغيت في الجهاد ومصالح المسلمين ، كما أخذ النبي ﷺ أموال اللات ، وكذا يجب عليه هدم هذه المشاهد ، وله أن يقطعها للمقاتلة أو يبيعها ويستعين بأثمانها على مصالح المسلمين ، وكذا حكم أوقافها ، فإنّ الوقف عليها باطل ، وهو مال ضائع ، فيصرف في مصالح المسلمين)^(٢) انتهى .

ولذلك هدم الوهابيون ما استطاعوا هدمه من مشهد الحسين عليه السلام وقبره الشريف أيام استيلائهم على كربلا ، وهدموا قبة أئمة البقيع من أهل البيت الطاهر عند استيلائهم على المدينة المنورة في المرة الأولى ، وفي هذه المرة ، وهدموا قبورهم الشريفة وسووها بالأرض ، وشوهوا محاسنها ، وتركوها معرضاً لوطء الأقدام ، ودوس الكلاب والدواب ، وكذلك قبر سيّد الشهداء حمزة بأحد وقبته ، والمسجد الذي عنده ، وقبور سائر الصحابة والتابعين

١- خطاب الشيخ ابن بليهد : ١٩ ، دعاوى المناوئين : ٣٢٦ .

٢- زاد المعاد في هدي خير العباد ٣ : ٤٣٣ - ٤٤٤ .

وغيرهم في مكة المكرمة والمدينة المنورة وجميع الحجاز كما فصلناه في المقدمة الأولى في تاريخ الوهابية ، لكنهم في المرة الثانية لمّا عزموا على هدمها أوردوا أن يظهرُوا مبرراً وعذراً لعملهم في هدم قباب أئمة المسلمين وقبورهم ، وإنكار فضلها وفضل أهلها ، وإهانة من أوجب الله تعظيمه واحترامه ، حياً وميتاً ، بإهانة قبره من نبي أو ولي أو صديق أو شهيد ، عملاً بشبهتهم الوهابية من أنّ تعظيمها عبادة ، وأنها صارت كالأصنام تعبد من دون الله تعالى ، وأنه تعالى نهى عن البناء على القبور ، فأرسلوا قاضي قضاتهم المسمى الشيخ عبد الله بن بليهد إلى المدينة المنورة في شهر رمضان سنة ١٣٤٤ هـ ، وبعد دخوله المدينة وجه إلى علمائها هذا السؤال :

(السؤال الموجّه إلى علماء المدينة في هدم القبور :

ما قول علماء المدينة زادهم الله فهماً وعلماً في البناء على القبور واتخاذها مساجد هل هو جائز أم لا ؟

وإذا كان غير جائز ، بل ممنوع منهي عنه نهياً شديداً فهل يجب هدمها ومنع الصلاة عندها أم لا ؟

وإذا كان البناء في مسلة كالبقيع ، وهو مانع من الانتفاع بالمقدار المبني عليها ، فهل هو غصب يجب رفعه ، لما فيه من ظلم المستحقين ومنعهم استحقاقهم أم لا ؟

وما يفعله الجهال عند هذه الضرائح من التمسح بها ودعائها مع الله والتقرب بالذبح والنذر لها وإيقاد السرج عليها هل هو جائز أم لا ؟

وما يفعل عند حجرة النبي ﷺ من التوجه إليها عند الدعاء وغيره ، والطواف بها ، وتقبيلها والتمسح بها ، وكذلك ما يفعل في المسجد من الترحيم

والتذكير بين الأذان والإقامة ، وقبل الفجر ويوم الجمعة ، هل هو مشروع أم لا؟

أفتونا مأجورين وبَيِّنوا لنا الأدلة المستند إليها لا زلتم ملجأً للمستفيدين .
وهذا نص الجواب المنسوب لعلماء المدينة:

أما البناء على القبور فهو ممنوع إجماعاً ، لصحة الأحاديث الواردة في منعه ، ولهذا أفتى كثير من العلماء بوجوب هدمه ، مستندين على ذلك بحديث علي أنه قال لأبي الهياج : «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»^(١) رواه مسلم .

وأما اتخاذ القبور مساجد ، والصلاة فيها ، وإيقاد السرج عليها ، فممنوع لحديث ابن عباس : «لعن الله زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج»^(٢) رواه أهل السنن .

وأما ما يفعله الجَّهال عند الضرائح من التمسح بها والتقرب إليها بالذبائح

١- صحيح مسلم ٣: ٦١ باب النهي عن تجصيص القبور، مسند أحمد ١: ٩٦، سنن أبي داود ٢: ٨٣، سنن الترمذي ٢: ٢٥٦، سنن النسائي ٤: ٨٩، المستدرک للحاکم ١: ٣٦٩ وصححه، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٣، المصنّف للصنعاني ٣: ٥٠٤، مسند أبي يعلى الموصلي ١: ٢٨٩، المعجم الأوسط ٤: ٢٦٨، معرفة السنن والآثار ٣: ١٨٧، نصب الراية ٢: ٣٥٨، الدراية في تخريج أحاديث الهداية ١: ٢٤٢.

٢- مسند أحمد ١: ٣٢٩، سنن أبي داود ٢: ٨٧، سنن الترمذي ١: ٢٠١، سنن النسائي ٤: ٩٥، المستدرک للحاکم ١: ٣٧٤ وصححه، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٧٨، عمدة القارئ للعيني ٨: ٦٩، مسند ابن الجعد ٢: ٢٢٤، المصنّف لابن أبي شيبه ٢: ٢٦٩، صحيح ابن حبان ٧: ٤٥٢، المعجم الكبير ١٢: ١١٥، موارد الضمآن ٣: ٦٥، الجامع الصغير ٢: ٤٠٨، إرواء الغلیل ٣: ٢١١، تمام المنة ٢٩٧.

والنذور ، ودعاء أهلها مع الله ، فهو حرام ممنوع شرعاً ، لا يجوز فعله أصلاً .
وأما التوجه إلى حجرة النبي صلى الله عليه وسلم عند الدعاء فالأولى منعه
كما هو معروف من معتبرات كتب المذهب ، ولأنَّ أفضل الجهات جهة القبلة .
وأما الطواف والتمسح بها وتقبيلها فهو ممنوع مطلقاً .
وأما ما يفعل من التذكير والترحيم والتسليم في الأوقات المذكورة فهو
مُحدث .

هذا ما وصل إليه علمنا^(١) انتهى .

ولسنا نعتقد ولا نظن أنَّ جميع علماء المدينة المنورة موافقون على هذا
الجواب وما فيه من الحجج الواهية كما ستعرف ، وإنما هو من الوهابية
وإليهم ، وألفاظه ألفاظهم ، متوافقة مع عبارات رسائلهم التي نقلنا جملة منها ،
وجلَّ علماء المدينة ساكتون خائفون من نسبة الإشراك إليهم الذي به تستحل
دمائهم وأموالهم وأعراضهم ، فإن وافق موافق منهم فخوفاً من السوط
والبندق .

ونحن نتكلّم على بطلان هذه الفتوى ودليلها فنقول : يرجع استدلالهم على
ذلك إلى الأمور :

الأول : الإجماع المشار إليه بقولهم : (البناء على القبور ممنوع إجماعاً) .

والجواب : بطلان دعوى الإجماع ، بل هو جائز إجماعاً ، لاستمرار عمل
المسلمين عليه من جميع المذاهب في كلّ عصر وزمان ، عالمهم وجاهلهم

١- دعاوى المناوئين : ٣٠٧ نقلاً عن جريدة أم القرى ، عدد ٦٩ ، الصادرة في ١٧ شوال ١٣٤٤ هـ

مفضولهم وفاضلهم ، أميرهم ومأمورهم ، رجالهم ونساءهم ، وسنيهم وشيعيهم ، قبل ظهور الوهابية ، توافقوا عليه في جميع الأجيال والأعصار والأمصار والنواحي والأقطار ، بدون منع ولا إنكار . والسيرة إجماع عملي يشملها ما دل على حجية الإجماع ، لكشفها كشفاً قطعياً لا يعتريه شكّ عن أنّ ذلك مأخوذ من صاحب الشرع ومتبوع المسلمين كما مر في المقدمات ، فلا يتطرق إليها بعض الشبهات الموردة على الإجماع .

وليس في الإسلام أمر حصلت فيه السيرة حصولها في هذا الأمر ، واتفق عليه جميع المسلمين من كلّ فرقة ، ولا يضر بهذه السيرة ما قد يوجد في بعض الكتب مما ينقله الوهابيون من القول بالمنع استناداً إلى بعض الروايات الشاذة التي لا عامل بها أو لا دلالة فيها أو لم تثبت صحتها ، غفلة منهم عن هذه السيرة المستمرة التي سبقتهم ولحققتهم ، فأقوالهم مردودة بها كما يرد القول المسبوق بالإجماع والملحوق به ولعلنا نشير إليها فيما سيأتي إن شاء الله تعالى . وقد اعترف بهذه السيرة الصنعاني في رسالته تطهير الاعتقاد حيث أورد على نفسه سؤالاً: (بأنّ هذا أمر عمّ البلاد، وطبق الأرض شرقاً وغرباً بحيث لا بلدة من بلاد الإسلام إلّا وفيها قبور ومشاهد ، بل مساجد المسلمين غالبها لا تخلو عن قبر أو مشهد ، ولا يسع عقل عاقل أنّ هذا منكر يبلغ إلى ما ذكرت من الشناعة ويسكت عليه علماء الإسلام الذين تثبت لهم الوطأة في جميع جهات الدنيا .

وأجاب: بأنك إن أردت الإنصاف ، وتركت متابعة الأسلاف ، وعرفت أنّ الحقّ ما قام عليه الدليل لا ما اتفقت عليه العوالم جيلاً بعد جيل ، فاعلم أنّ هذه الأمور صادرة عن العامة الذين إسلامهم تقليد الآباء بلا دليل ، ولا يسمعون من أحد عليهم من نكير ، بل ترى من يتّسم بالعلم ، ويدّعي الفضل ، وينتصب

للقضاء والفتيا والتدريس أو الولاية أو المعرفة أو الإمارة والحكومة، معظماً لما يعظمونه، مكرماً ما يكرمونه ، ولا يخفى أن سكوت العالم أو العالم على وقوع منكر ليس دليلاً على جوازه .

قال: ولنضرب لك مثلاً: المكوس المعلوم من ضرورة الدين تحريمها قد ملأت الأرض حتى في أشرف البقاع أم القرى، تقبض المكوس من القاصدين لأداء فريضة الإسلام ، وسكانها من العلماء والحكام ساكتون !!

قال : وهذا حرم الله أفضل بقاع الدنيا بالاتفاق وإجماع العلماء أحدث فيه بعض ملوك الشراكسة هذه المقامات الأربعة التي فرقت عبادات المسلمين، وصيرتهم كالملل المختلفة ، بدعة قرت بها عين إبليس ، وصيرت المسلمين ضحكة للشياطين ، وقد سكت الناس عليها ، ووفد علماء الآفاق والأبدال والأقطاب إليها ، أفهذا السكوت دليل على جوازها؟!

هذا لا يقوله من له إمام بشيء من المعارف .

كذلك سكوتهم على هذه الأشياء الصادرة من القبوريين - إلى أن قال - ما حاصله : لو فرض أنهم علموا بالمنكر وسكتوا لما دل سكوتهم على جوازه ، لأن مراتب الإنكار ثلاث، إذا تعذرت واحدة وجبت الأخرى: الإنكار باليد، ثم باللسان ، ثم بالقلب ، فإذا مر عالم بمن يأخذ المكوس لم يستطع الإنكار باليد ولا باللسان فيجب على من رآه ساكتاً أن يعتقد أنه أنكر بقلبه ، فإن حسن الظن بالمسلمين أهل الدين والتأويل لهم ما أمكن واجب ، فالداخلون إلى الحرم الشريف ، والمشاهدون لمقامات المذاهب الأربعة معذرون عن الإنكار إلا بالقلب ، كالمارين على المكاسين والقبوريين ، فهذه الأمور أسسها من بيده

السيف ودماء العباد وأموالهم وأعراضهم تحت لسانه وقلمه، فكيف يقوى أحد على دفعه^(١) انتهى .

وفيه اعتراف بوقوع السيرة على أكمل وجوها واثمها بحيث لم يقع في الإسلام سيرة مثلها بما اختصرناه من عبارته، فضلاً عما أطال به من باقي عباراته المسجعة كعادته وعادة أصحابه الوهابية، وقد اعترف في جوابه بوقوع ذلك من جميع طبقات الناس من العوام والعلماء والفضلاء والقضاة والمفتين والمدرسين والأولياء والعارفين والأمراء والحكام، بدون نكير، ولم يخرج عنه باعترافه طبقة من الطبقات، فأبي سيرة أقوى من هذه وأشمل؟!

أمّا جوابه بأنّ الحقّ ما قام عليه الدليل لا ما اتفقت عليه الأجيال، ففيه أنّ اتفاق الأمة جيلاً بعد جيل دليل قطعي لا دليل أقوى منه حتّى يعارضه .

وقوله : (إنّ سكوت العالم أو العالم على منكر ليس دليلاً على جوازه). فيه: إنّ ذلك إذا علم أنّه منكر ، والبناء على القبور محلّ النزاع ، فأنتم تدعون منكرًا ، ونحن نقول : إنّ معروف، ونستدل بسيرة المسلمين الكاشفة بوجه القطع عن أخذه من صاحب الشرع ، فإذا سكت العلماء والعالم عن أمر مع قدرتهم على الإنكار علمنا أنّه ليس منكرًا .

أمّا المثل الذي ضربه من أخذ المكوس حتّى في مكة المكرمة وسكوت العلماء ، ففيه أنّه قياس مع الفارق:

أوّلاً : إنّ الآخذين للمكوس هم الحكام وذوو الشوكة وحدهم ، والبانون للقبور وللقباب عليها والمعظمون لها المتبركون بها هم جميع طبقات الناس

١- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد: ٥٠٩ - ٥١١ المطبوع ضمن الجامع الفريد.

فبطل القياس .

ثانياً: إنّ المكوس أمور دولية تعارض فيها الأحكام الذين تخاف سطوتهم ، لمنافاة تركها لمصلحتهم وإخلاله بأمور دولتهم ، بخلاف بناء القبور وتعظيمها فإنّها أمور دينية صرفة، مرجعها العلماء وأهل الدين، فسكوت العلماء عن الأول لا يدل على الرضا بخلاف الثاني .

ثالثاً: إنّ العلماء وجميع المتدينين غير ساكتين عن الإجهار بتحريم المكوس ، وذب قابضها وتفسيقه والتجنب عنها وعدّها من السحت، يجيئون بذلك كلّ من يسألهم ويشتونه في كتبهم، ويتحدثون به في مجتمعاتهم ، وها هو يصرّح بتحريمه في رسالته هذه ، ويندد بفاعليه، ويذمهم أشدّ الذم مع وجوده في زمانه ، وعدم قدرته على منعه ، وها هي رسالته تطبع وتشر في الآفاق ، ولا يخاف طابعها وناشرها من الأحكام الآخذين المكوس ، أفيقال بعد هذا أنّهم ساكتون؟!!!

نعم، هم ممسكون عن المنع لعدم قدرتهم، كما أمسك الإخوان الوهابيون المجددون ما انمحي من آثار الإسلام، والرافعون البدع والمحرمات بالسيف والسنان عن منع حكومتهم من أخذ المكوس المحرمة عندهم في جده وغيرها حتّى عن التتن والتنباك المحرّم تدخينه عندهم ، والمعاقب مدخنه ، وأخذت في العام الماضي من كلّ قاصد لحج بيت الله الحرام ليرة عثمانية ذهباً ، وفي هذا العام أزيد من ذلك ، عدا عمّا شاركت به أصحاب الجمال والسيارات والبيوت والباعة وغير ذلك ، والإخوان ساكتون ، لعدم قدرتهم على المنع ، لكنهم يصرّحون بالتحريم وإن كانوا قادرين ، فقد تركوا أعظم واجب في الدين .

أمّا تمثيله بالمقامات الأربعة ففساده أظهر من مسألة المكوس، فإنّ

المكوس مما قام على تحريمها إجماع المسلمين ، بل ضرورة الدين ، وأنكرها جميع العلماء وأهل الدين، إن لم يكن باليد فباللسان، مع أنّها أمور دولية يخاف منكرها كما عرفت ، وليس كذلك المقامات الأربعة فلم يسمع عن أحدٍ إنكارها قبل الوهابية مع كونها دينية صرفة، ولم يقم دليل على كونها بدعة محرّمة كما قام على تحريم المكوس ، فإنّ جعل مقامات أربعة لأئمة أربعة يقلدهم أربعة أخماس المسلمين ، ويرون أقوالهم وفتاواهم حجّة ، وجلّهم إلّا من شذ يمتنع الاجتهاد بعدهم، ليس فيه شيء من البدعة، فهو كاصطلاح أهل بلد على أن يصلي بهم أربعة أشخاص أحدهم يوم كذا أو في مكان كذا ، أو صلاة كذا ، والآخر في خلاف ذلك ، مع كون الكلّ صالحين للإمامة ، وجعلهم لكلّ واحدٍ محراباً أو مسجداً فإنّه ليس منكراً ولا بدعة ولا إدخالاً في الدين ما ليس منه ، لدخوله في عموم جواز الصلاة في أي مسجد كان ، وأي محلّ كان ، و عموم جواز الصلاة خلف أي إمام كان ، بعد اعتقادهم وتصريحهم بأنّ ذلك ليس بأمرٍ واجب ، وأنّ لكلّ ذي مذهب أن يصليّ خلف من شاء منهم، وكلّ ما دخل في عموم أو إطلاق خرج عن البدعة ، وليس كلّ ما لم يكن في زمن النبي ﷺ | من الهيئات وبعض الكيفيات ، ولا كلّ ما لم يرد به بخصوصه نص بدعة ، بعد دخوله في عمومات أدلة الشرع وإطلاقها كما مر في المقدمات .

وجعل المحاريب للأئمة الأربعة لا يزيد على جعل المذاهب أربعة، وكتب المذاهب أربعة ، والمنتمين إليها أربعة ، والمفتين من أهل المذاهب أربعة ، فإن كان ذلك بدعة فليكن هذا بدعة ؛ لأنّ كلاً من ذلك لم يكن على عهد رسول الله ﷺ ، وإن كان جعل أربعة مقامات لأهل المذاهب كلّ إمام منهم يصليّ في واحد منها بدعة فما رسمه الوهابية بعد استيلائهم على الحجاز

في المرّة الأولى ، وهذه المرة، بأن يصلي الصبح الشافعي ، والظهر المالكي،
والعصر الحنبلي ، والمغرب الحنفي ، والعشاء من شاء بدعة ؛ لأنّ ذلك لم يكن
على عهد رسول الله | .

وإن كان المانع منه تكرار صلاة الجماعة في المسجد فأبي مانع من
تكرارها ولم ترد فيه آية ولا رواية، مع أن تكرار الخير خير؟!
وإن كانت حجّتهم في منع التكرار أنّه لم يكن على عهد النبي |
والخلفاء فمع وجوده | من الذي يأتّم بغيره ومع وجود خليفة المسلمين
لا ينبغي الإلتزام بغيره ، فلا يقاس بذلك هذا الزمان .

فظهر بطلان قوله: (إنّ الداخلين إلى الحرم كالمارين على المكاسين
والقبوريين)، لوضوح الفرق بين المكس وغيره كما ذكرنا.
مع أنّ قياسه البناء على القبور بالمقامات الأربعة أيضاً باطل؛ لأنّ البناء
على القبور اتفق على فعله قبل الوهابية جميع طوائف المسلمين بدون استثناء ،
وأما المقامات الأربعة فاختص بفعلها جلّ طوائف المسلمين لا كلّها .
قوله: (فإنّ حسن الظنّ بالمسلمين أهل الدين والتأويل لهم ما أمكن
واجب).

إذا كان يعترف بوجوب حسن الظن بالمسلمين والتأويل لهم مهما أمكن ،
فما باله يسيء الظن بهم في استشفاعهم أو استغاثتهم بالأنبياء والصالحين
وغيرها ، ويكفرهم ويشركهم بذلك ، ويجعل شركهم شركاً أصلياً ، ويستحل
بذلك دمائهم وأموالهم وأعراضهم ، مع أنّ التأويل لهم ممكن هين واضح
حتّى في مثل: ارزقني ، وعاف مريض ، بإرادة طلب الشفاعة وسؤال الدعاء
كما فصلناه فيما مضى: {كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} (١)!

ثُمَّ إِنَّهُمْ فِي هَذِهِ الْفَتَوَى الْمُنْسُوبَةِ لِعُلَمَاءِ الْمَدِينَةِ عُلِّلُوا الْإِجْمَاعَ بِصَحَّةِ الْأَحَادِيثِ ، وَهُوَ تَعْلِيلٌ عَلِيلٌ ، لِأَنَّ صَحَّةَ الْحَدِيثِ فِي نَظَرِهِمْ وَدَلَالَتُهُ عِنْدَهُمْ ، وَخُلُوهُ مِنَ الْمَعَارِضِ لَا تَوْجِبُ ذَلِكَ فِي نَظَرِ غَيْرِهِمْ ، فَكَيْفَ يَدْعَى الْإِجْمَاعَ لِدَعْوَى صَحَّةِ الْحَدِيثِ ؟!

مَعَ أَنَّكَ سَتَعْرِفُ عَدَمَ صَحَّتِهِ وَعَدَمَ دَلَالَتِهِ ، فَإِنْ أَرَادُوا أَنَّ الْإِجْمَاعَ وَاقِعٌ ، وَعِلَّةُ وَقُوعِهِ صَحَّةُ الْأَحَادِيثِ ، فَالْعُلَمَاءُ أَجْمَعُوا لَمَّا رَأَوْا صَحَّةَ الْأَحَادِيثِ ، فَهُوَ تَخَرُّصٌ وَتَهْجُمٌ عَلَى الْغَيْبِ بِغَيْرِ دَلِيلٍ .

وَكَيْفَ يَدَّعِي إِجْمَاعُ الْعُلَمَاءِ وَقَدْ تَوَالَتْ الْأَحْقَابُ وَالْأَجْيَالُ عَلَى بِنَاءِ الْقُبُورِ مِنْ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، عَلَى تَفَاوُتِ طَبَقَاتِهِمْ وَنَحْلِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ بِدُونِ مَنكَرٍ وَمَعَارِضٍ إِلَّا مَنْ شَذَّ مِمَّنْ سَبَقَتْهُ السَّيْرَةُ وَلَحِقَتْهُ كَمَا عَرَفْتَ أَنْفَاءً ، فَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مُجْمَعاً عَلَيْهِ لَمَا وَقَعَتِ السَّيْرَةُ الَّتِي هِيَ أَقْوَى مِنَ الْإِجْمَاعِ عَلَى خِلَافِهِ! قَوْلُهُمْ: (وَلِهَذَا أَفْتَى كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِوُجُوبِ هَدْمِهِ).

وَلَمْ لَمْ يَفْتَوْا كُلَّهُمْ بِوُجُوبِ هَدْمِهِ ؟! مَا هَذَا التَّنَاقُضُ وَالتَّهَاتُفُ فِي هَذِهِ الْفَتَوَى الْوَاهِيَةِ .

الثاني: مَنْ أَدْلَتَهُمْ حَدِيثُ أَبِي الْهِيَاجِ الْمُتَكَرِّرُ ذَكَرَهُ فِي كَلِمَاتِ الْوَاهِيَةِ ، وَالْمُتَقَدِّمُ ذَكَرَهُ فِي الْفَتَوَى الْمُنْسُوبَةِ لِعُلَمَاءِ الْمَدِينَةِ .
والجواب عنه: الْقَدَحُ فِيهِ سِنْدًا وَمُتَنًا .

أَمَّا سِنْدُهُ فَفِيهِ: (وَكَيْعٌ) ، وَهُوَ مَعَ كَثْرَةِ مَا مَدَحُوهُ بِهِ قَالَ فِي حَقِّهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: (إِنَّهُ أَخْطَأَ فِي خَمْسَمَائِهِ حَدِيثٍ)^(١) ، حَكَاهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ

١- العُلَلُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ١: ٣٩٤ ، تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٣٠: ٤٧١ ، تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ ١١: ١١٠ ، سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٩: ١٥٤ .

في تهذيب التهذيب عن عبد الله بن أحمد عن أبيه^(١).
وقال في آخر ترجمته: (قال محمد بن نصر المروزي: كان يحدث بآخره
من حفظه فيغير الفاظ الحديث، كأنه كان يحدث بالمعنى، ولم يكن من أهل
اللسان)^(٢) انتهى.

وفي سنده سفيان الثوري وهو مع كثرة ما مدحوه به أيضاً نقل في حقه ابن
حجر في تهذيب التهذيب عن ابن المبارك قال: (حدث سفيان بحديث فجئته
وهو يدلسه، فلما رأيته استحيى وقال: نرويه عنك)^٣، وذكر في ترجمة يحيى
القطان: (قال أبو بكر: سمعت يحيى يقول: جهد الثوري أن يدلّس عليّ رجلاً
ضعيفاً، فما أمكنه، قال مرة: حدثنا أبو سهل عن الشعبي، فقلت له: أبو سهل
محمد بن سالم، فقال: يا يحيى، ما رأيت مثلك لا يذهب عليك شيء)^(٤).

وفي سنده حبيب بن أبي ثابت، وهو مع توثيقهم له قال ابن حجر في
تهذيب التهذيب: (قال ابن حبان: كان مدلساً. وقال العقيلي: غمزه ابن عون.
وقال القطان: له غير حديث عن عطاء لا يتابع عليه وليست بمحفوظة - إلى أن
قال - : وقال ابن خزيمة في صحيحه: كان مدلساً. وقال ابن جعفر النحاس: كان
يقول: إذا حدثني رجل عنك بحديث ثم حدثت به عنك كنت صادقاً.

١- تهذيب التهذيب ١١: ١١٤.

٢- المصدر السابق ١١: ١١٥.

٣ - تهذيب التهذيب ٤: ١٠٢، وقال سبط ابن العجمي في التبيين لأسماء المدلسين: كالثوري مشهور به >.

٤- تهذيب التهذيب ١١: ١٩٢، تهذيب الكمال ٣١: ٣٣٩.

قال: ونقل العقيلي عن القطان قال: حديثه عن عطاء ليس بمحفوظ. قال العقيلي: وله عن عطاء أحاديث لا يتابع عليها^(١) ^(٢).

وفي سنده أبو وائل وهو الأسدي شقيق بن سلمة الكوفي، بدليل رواية حبيب بن أبي ثابت عنه، فقد ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب أنه ممن يروي عنه، وليس هو القاص عبد الله بن بحير.

وكان أبو وائل هذا منحرفاً عن علي عليه السلام مبغضاً له، وقد قال رسول الله | عليه السلام: « لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق »^(٣).

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة : (ومنهم -أي المنحرفين عن علي عليه السلام - أبو وائل شقيق بن سلمة، كان عثمانياً يقع في علي عليه السلام، ويقال : إنه كان يرى رأي الخوارج، ولم يختلف في أنه خرج معهم، وأنه عاد إلى علي عليه السلام منياً مقلعاً، روى خلف بن خليفة قال أبو وائل : خرجنا أربعة آلاف، فخرج إلينا علي، فما زال يكلمنا حتى رجع منا الفان.

١- تهذيب التهذيب ٢: ١٥٦.

٢- هذا هو التدليس وهو أن يروي عن رجل لم يلقيه وبينه وبينه واسطة فلا يذكر الوسطة (المؤلف).

٣- مسند أحمد ١: ٨٤، صحيح مسلم ١: ٦١، سنن ابن ماجه ١: ٤٢ باب فضل علي بن أبي طالب، سنن الترمذي ٥: ٣٠٦، سنن النسائي ٨: ١١٦، فضل الصحابة ١٧، مجمع الزوائد ٩: ١٣٣، مسند أبي داود الطيالسي ٩٩، مسند الحميدي ١: ٣١، مسند ابن الجعد ٨٥، المصنف لابن أبي شيبة ٧: ٤٩٤، كتاب الإيمان ٨١، كتاب السنة: ٥٨٤، السنن الكبرى للنسائي ٥: ٤٧، خصائص أمير المؤمنين ١٠٤، مسند أبي يعلى الموصلي ١: ٢٥١، صحيح ابن حبان ١٥: ٤٦٧، المعجم الأوسط ٢: ٣٣٧، المعجم الكبير ٦: ١٢٣، معرفة علوم الحديث ١٨٠، الفوائد المنتقاة ٣٨، الاستيعاب لابن عبد البر ٣: ١١٠٠.

وروى صاحب كتاب الغارات عن عثمان بن أبي شيبة ، عن الفضل بن دكين، عن سفيان الثوري قال : سمعت أبا وائل يقول: شهدت صفين وبئس الصفوف كانت.

قال : وقد روى أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود قال : كان أبو وائل عثمانياً^(١) انتهى.

ويؤيد انحرافه عن علي عليه السلام ما حكاه ابن حجر في تهذيب التهذيب أنه: قال: (عاصم بن بهدلة: قيل لأبي وائل: أيهما أحب إليك علي أو عثمان؟ قال: كان علي أحب إليّ، ثم صار عثمان)^(٢) انتهى.

هذا شأن سند الحديث.

وأما متنه ففيه:

أولاً: إنه شاذ انفرد به أبو الهياج، بل قال السيوطي في شرح سنن النسائي: (إنه ليس لأبي الهياج في الكتب إلا هذا الحديث الواحد)^(٣) انتهى.

ثانياً : إنه لا دلالة فيه على شيء مما زعموه من عدم جواز البناء على القبور، بل هو وارد في الأمر بالتسطيح والنهي عن التسنيم، فإنّ المشرف وإن كان معناه العالي إلا أنّ التسنيم نوع من العلو أو معنى من معانيه، ففي القاموس:

١- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٩٩، وممن صرح بكونه عثمانياً: المزي في تهذيب الكمال ٩: ٣٣٧، سير أعلام النبلاء ٤: ١٦٨، الإصابة في تمييز الصحابة ٢: ٥٢٣، تهذيب التهذيب ٣: ٢٧٧، تاريخ الإسلام ٦: ٦٨.

٢- تهذيب التهذيب ٤: ٣١٧، معرفة الثقات للعجلي ١: ١٠٨، تاريخ مدينة دمشق ٢٣: ١٧٥، تهذيب الكمال ١٢: ٥٥٣، سير أعلام النبلاء ٤: ١٦٤، تاريخ الإسلام ٦: ٨٦.

٣- شرح سنن النسائي للسيوطي ٤: ٨٧، حاشية السندي على النسائي ٤: ٨٨.

(الشرف محرّكة العلو ومن البعير سنامه)^(١) الخ، فالمشرف يشتمل بإطلاقه أو بوضعه العالي بالتسليم وبغيره، إلّا أنّ قوله: «إلّا سويته» قرينة على إرادة التسليم من الأشراف؛ لأنّ التسوية التعديل، ففي المصباح المنير (استوى المكان اعتدل، وسويته: عدلته)^(٢)، وفي القاموس: (سواه جعله سويًا)^(٣). فقوله: «إلّا سويته» يعني أنّ المراد من الأشراف ما يقابل التسوية، وليس هو إلا التسليم، فإنّ مطلق العلو لا يقابل التسوية لجواز أن يكون عاليًا مستويًا، فلا يناسب مقابلة العالي بالمستوي، بل اللازم أن يقوله: إلّا جعلته لا طئًا أو نحو ذلك).

وإرادة الهدم من التسوية غير صحيحه ولا يساعد عليها عرف ولا لغة؛ لأنّ التسوية ليس معناها الهدم ولا تستعمل فيه إلّا بأن يقال: سويته بالأرض أو نحو ذلك، مع أنّ التسوية بالأرض ليست من السنة بالاتفاق، للاتفاق على استحباب رفع القبر عن الأرض في الجملة.

وعلى كلّ حال فلا دلالة فيه على عدم جواز البناء على القبور، ولا ربط له بذلك، فيجعل علو القبر نحو شبر ويجعل عليه حجرة أو قبة. والحاصل: أنّه سواء جعلنا معنى قوله: «ولا قبراً عاليًا إلّا سويته» ولا قبراً

١- القاموس المحيط ٣: ١٥٧، مادة (شرف)، لسان العرب ٩: ١٧٠ مادة (شرف)، مختار الصحاح: ١٧٨، مادة (شرف)، مجمع البحرين ٢: ٥٠٠ مادة (شرف)، تاج العروس ١٢: ٢٩٦ مادة (شرف).

٢- المصباح المنير: ٢٩٨، راجع لسان العرب ١٤: ٤١٠ مادة (سوى)، القاموس المحيط ٤: ٣٤٥ مادة (سوى)، تاج العروس ١٩: ٥٤٨ مادة (سوى).

٣- القاموس المحيط ٤: ٣٤٥، تاج العروس ١٩: ٥٥١ مادة (سوى)، لسان العرب ١٤: ٤١٥ مادة (سوى).

مسنماً إلا سطحته وأزلت سنامه كما هو الظاهر، أو ولا قبراً عالياً إلا وطيته، لا ربط لذلك بالبناء على القبور.

وما ذكرناه في معنى الحديث هو الذي فهمه منه العلماء وأئمة الحديث، روى مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز بسنده عن ثمامة قال: (كُنَّا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس، فتوفى صاحب لنا، فأمر فضالة بقبره فسوي، ثُمَّ قال: سمعت رسول الله | يأمر بتسويتها^(١)، ثُمَّ روى حديث أبي الهياج.

ومن الواضح أن قوله: (فأمر فضالة بقبره فسوي) أي سطح ولم يجعله مسنماً، وكذا قوله: (سمعت رسول الله | يأمر بتسويتها)، أي تسطيحها، وليس المراد أنه أمر به فهدم؛ لأنه لم يكن مبنياً، ولا المراد أنه أمر به فسوي مع الأرض؛ لأن ذلك خلاف السنة، للاتفاق على إستحباب تعليتها عن الأرض في الجملة كما عرفت، فتعين أن يراد به التسطيح، فكذا خبر أبي الهياج الذي عقبه به مسلم وساقه مع هذا الحديث في مساق واحد، وذلك دليل على أنه حمل قوله: «ولا قبراً مشرفاً إلا سويته» على معنى: ولا قبراً مسنماً إلا سطحته.

وقال النووي في الشرح: (قوله: يأمر بتسويتها، وفي الرواية الأخرى: «ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»، فيه أن السنة أن القبر لا يرفع عن الأرض رفعاً كثيراً ولا يسنم، بل يرفع نحو شبر ويسطح، وهذا مذهب الشافعي ومن وافقه^(٢)) انتهى.

١- صحيح مسلم ٣: ٦١، سنن أبي داود ٢: ٨٣، سنن النسائي ٤: ٨٨، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٢، المعجم الكبير ١٨: ٣١٤، الاستيعاب لابن عبد البر ٣: ٢٦٣، تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق ١: ٣١٨، نصب الراية ٢: ٢٥٨، إرواء الغليل ٣: ٢١٠.

٢- شرح مسلم للنووي ٧: ٣٦ باب اللحد ونصب اللبن على القبر، وعنه في تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي ٤: ١٣٠، وعون المعبود شرح سنن أبي داود ٩: ٢٦.

فحمل التسوية على التسطیح وعدم رفع القبر كثيراً كما ترى .
ومن العجیب أنَّ بعض الوهابیین في رسالته المسمّاه بالفواكه العذاب
إحدى رسائل الهدية السنیه الحاویة لمناظرة مؤلفها النجدي مع علماء الحرم
الشریف بزعمه في عهد الشریف غالب سنة ١٢١١ استدل على عدم جواز البناء
على القبور بحديثي فضالة وأبي الهياج المذكورين^(١)، مع أنَّهما كما عرفت
واردان في التسطیح ولا مساس لهما بعدم جواز البناء حتّى لو سلمنا أنَّ حديث
أبي الهياج يدل على عدم الرفع كثيراً كما فهمه النووي في كلامه السابق،
فلا دلالة له على عدم جواز البناء على القبور، فلو جعل علو القبر نحو شبر
وبنى عليه حجرة لم يكن ذلك منافياً للحديث المذكور كما عرفت، ولكن
هؤلاء يسردون الأحاديث ويجعلونها دالة على مرادهم بالسيف ومن أبى كفر
وأشرك (معزاً ولو طارت) .

وقال القسطلاني في إرشاد الساري شرح صحيح البخاري : (روى أبو داود
بإسناد صحيح أنَّ القاسم بن محمّد بن أبي بكر قال: دخلت على عائشة فقلت
لها: إكشفي لي عن قبر النبي | وصاحبيه، فكشفت عن ثلاثة قبور لا
مشرفة ولا لاطئه، مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء، أي لا مرتفعة ولا لاصقة
بالأرض كما بيّنه في آخر الحديث)^(٢) انتهى .

١- الهدية السنیه والتحفة النجديّة، الرسالة الثالثة لأحمد ناصر المعمرى : ١١٢ .

٢- سنن أبي داود ٢: ٨٤، المستدرک للحاکم ١: ٣٦٩ وصححه، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٣،
فتح الباري ٣: ٢٠٤، عمدة القارئ للعيني ٨: ٢٢٤، مسند أبي يعلى الموصلي ٨: ٥٣، نصب
الراية ٢: ٣٥٨، الدراية في تخريج أحاديث الهداية ١: ٢٤٢، فيض القدير في شرح الجامع
الصغير ٤: ١٥٣، الطبقات الكبرى ٣: ٢١، تهذيب الكمال ٢٢: ١٥٩ .

ثمَّ قال القسطلاني: (ولا يؤثر في أفضلية التسطيح كونه صار شعار الروافض؛ لأنَّ السنة لا تترك بموافقة أهل البدع فيها. ولا يخالف ذلك قول علي رضي الله عنه: أمرني رسول الله | أن لا أدع قبراً مشرفاً إلاَّ سويته؛ لأنَّه لم يرد تسويته بالأرض، وإنَّما أراد تسطيحه، جمعاً بين الأخبار، نقله في المجموع عن الأصحاب)^(١) انتهى.

وقال الترمذي: (باب ما جاء في تسوية القبور)^(٢) ولم يقل في هدم القبور، ثمَّ أورد حديث أبي الهياج، وظاهره أنَّه لم يحمل التسوية فيه إلاَّ على التسطيح؛ لأنَّ ذلك هو معناها لغة وعرفاً، ولا ربط له بعدم جواز البناء عليها، مع أنَّ الوهابيين في الرسالة الآنفه الذكر أوردوا هذا الذي ذكره الترمذي دليلاً على عدم جواز البناء^(٣).

الثالث: من أدلتهم ما أشار إليه ابن بليهد في سؤاله الموجه لعلماء المدينة من قوله: «وإذا كان البناء في مسبلة كالبقيع) إلخ.

وفيه: إنَّ تسهيلها أي وقفها في سبيل الله مقبرة للمسلمين دعوى بلا دليل، إذ لم ينقل ناقل أنَّ أحداً وقفها لذلك، فهي باقية على الإباحة الأصلية، ولو فرض وقفها مقبرة فليس على وجه التقييد بعدم جواز الانتفاع بها إلاَّ بقدر الدفن، وعدم جواز البناء زيادة على ذلك حتَّى على قبر عظيم عند الله، يصون البناء قبره عمّا لا يليق ويتنفع به الزائرون لقبره، ويتظلمون به من الحر والقر عند

١- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٢: ٤٧٧.

٢- سنن الترمذي ٢: ٢٥٦، وكذلك في السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٣ تحت عنوان (باب ما جاء في تسوية القبور).

٣- الرسالة الثالثة من رسائل الهدية السنية المسمّاة بالفواكه العذاب: ١١٢.

زيارته، وقراءة القرآن والصلاة والدعاء لله تعالى عند قبره، الثابت رجحانه كما ستعرف ذلك كلاً في محله.

ولا أقل من الشك في كيفية الوقف لو فرض محالاً حصوله، فيحمل بناء المسلمين فيه على الصحيح، لوجوب حمل أفعالهم وأقوالهم على الصحة مهما أمكن، وكذا لو فرض محالاً أننا علمنا أنها كانت مملوكة، فلا مناص لنا عن حمل البناء فيها على الوجه الصحيح الذي هو ممكن لا يعارضه شيء، وحينئذٍ فيكون هدمها ظلماً محرماً وتصرفاً في مال الغير بغير رضاه، وقد وقفها البانون وجعلوها مسبلة، لانتفاع المسلمين الزائرين واستغلالهم بها، وعمل البر فيها من الدعاء والصلاة وغيرها، فهدمها ظلم للبانين والمسلمين، ومنع لهم عن حقهم، فما أورده دليل لهم هو دليل عليهم.

على أنّ كتب التواريخ والآثار دالة على أنّ أرض البقيع كانت مباحة أو مملوكة لا مسبلة، ففي وفاء الوفاء للسهمودي: (روى ابن زبالة عن قدامة بن موسى أنّ أول من دفن رسول الله | بالبقيع عثمان بن مظعون)^(١).

قال: وروى أبو غسان، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبيه: لما توفي إبراهيم بن رسول الله | أمر أن يدفن عند عثمان بن مظعون، فرغب الناس في البقيع، وقطعوا الشجر، فاختارت كلّ قبيلة ناحية، فمن هنالك عرفت كلّ قبيلة مقابرها^(٢).

١- هذا الحديث ورد في المصنّف لابن أبي شيبة ٨: ٣٥٧، الاستيعاب لابن عبد البر ١: ٨١ و٣: ١٠٥٥ و٤: ١٦٠٠، كنز العمال ١٤: ١٤٠، الطبقات الكبرى ١: ١٤١ و٣: ٦١٢، التاريخ الكبير ١: ١٧٧، قال صاحب كتاب (عثمان بن مظعون) ص ٤٩: (واتفق أصحاب السير والتاريخ أنّ أول من دفن بالبقيع عثمان بن مظعون).

٢- تاريخ المدينة لابن شبة ١: ١٢١.

قال: (وروى ابن أبي شبة عن قدامة بن موسى: كان البقيع غرقداً^(١)، فلما هلك عثمان بن مظعون دفن بالبقيع، وقطع الغرقد عنه^(٢))^(٣) انتهى.

فهذا نصّ على أنّ البقيع كان مواتاً مملوءاً بشجر الغرقد، فاتخذته المسلمون مدافن لموتاهم، ورغبوا فيه حين دفن النبي | ولده إبراهيم فيه، فأما أن تكون كلّ قبيلة ملكت قسماً منه بالحيابة أو بقي على أصل الإباحة، فأين التسبيل والوقف؟!

وفيه أيضاً: (قال ابن شبة فيما نقله عن أبي غسان: قال عبد العزيز: دفن العباس بن عبد المطلب عند قبر فاطمة بنت أسد بن هاشم في أوّل مقابر بني هاشم التي في دار عقيل)^(٤) انتهى، فدل على أنّ قبر العباس وقبور أئمة أهل البيت كانت في دار عقيل، فأين التسبيل والوقف؟! وأي شيء سوّغ التخريب والهدم؟ وما قيمة هذه الفتوى المزيفة المبنية على هذا السؤال؟!

وفيه أيضاً: (روى ابن زبالة عن سعيد بن محمد بن جبير أنّه رأى قبر إبراهيم عند الزوراء، قال عبد العزيز بن محمد: وهي الدار التي صارت لمحمد ابن زيد بن علي)^(٥) انتهى.

وذلك يدلّ أنّ هذه الدار كانت مملوكة .

وفيه أيضاً عن ابن شبة: (عن عبد العزيز أنّ سعد بن معاذ دفنه رسول

١- الغرقد: نوع من الشجر المخصوص، ولأجله سُمّي بقيع الغرقد. راجع: كتاب العين ٤: ٤٥٧،

لسان العرب ١٠: ٢٨٦، تاج العروس ١٣: ٣٧٥.

٢- تاريخ المدينة لابن شبة النميري ١: ١٠٠.

٣- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٣: ٨٩١-٨٩٢.

٤- تاريخ المدينة لابن شبة النميري ١: ١٢٧.

٥- المصدر السابق ١: ٩٩.

الله | في طرف الزقاق الذي بلزق دار المقداد بن الأسود، وهو المقداد بن عمرو، وإنما تبناه الأسود بن عبد يغوث الزهري، وهي الدار التي يقال لها دار ابن أفلح في أقصى البقيع عليها جنبذة^(١) انتهى.

وفي القاموس: (الجنبذة: وقد تفتح الباء أو هو لحن كالقبة)^(٢) انتهى.

وهذا صريح في أنها كانت داراً مملوكة، وكان عليها قبة، وسيأتي في فصل الكتابة على القبور أن عقيلاً لما حفر في داره بئراً وجد حجراً مكتوباً فيه: « هذا قبر أم حبيبة بنت صخر بن حرب »^(٣) ، وفي رواية أخرى أنه وجدته في دار علي بن أبي طالب، فدلّ على أن محل قبرها كان مملوكاً.

وكلّ هذه الأخبار مع دلالتها على الملك تدل على جواز البناء حول القبور والدفن في محلّ البناء ، وأنّ سيرة المسلمين على ذلك.

الرابع: من أدلتهم الأحاديث الناهية عن البناء على القبور، روى مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن حفص بن غياث، عن ابن جريح، عن أبي الزبير، عن جابر: « نهى رسول الله | أن يجصص القبر، وأن يبنى عليه »^(٤)،

١- تاريخ المدينة لابن شبة النميري ١: ١٢٥، والجنبذة كما في لسان العرب ٣: ٤٨٢: « كما ارتفع من الشيء واستدار كالقبة.. والجنبذة: القبة »، وارجع إلى الصحاح للجوهري ٢: ٥٦١، مجمع البحرين ١: ٣٣٧، تاج العروس ٥: ٣٥٣.

٢- القاموس المحيط ١: ٣٥١.

٣- تاريخ المدينة لابن شبة النميري ١: ١٢٠.

٤- المصنّف لابن أبي شيبة ٣: ٢١٨، مسند أحمد ٣: ٢٩٥، صحيح مسلم ٣: ٦٢، منتخب مسند عبد بن حميد: ٣٢٥، المصنّف للصنعاني ٣: ٥٠٤، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٤، الجامع الصغير ٢: ٦٨٧، سنن أبي داود ٢: ٨٥، سنن النسائي ٤: ٨٦، تحفة الأحوذى ٤: ١٣٤، عمدة القارئ ٤: ١٩٤، رياض الصالحين: ٦٨٠.

وروى الترمذي عن عبد الرحمن بن الأسود، عن محمد به ربيعة، عن ابن جريح، عن أبي الزبير، عن جابر: «نهى رسول الله | أن تجصص القبور، وأن يكتب عليها، وأن يبنى عليها، وأن توطأ»،^(١) وروى أبو داود من حديث جابر: «أن رسول الله | نهى أن يجصص القبر، أو يكتب عليه، أو يزداد عليه»^(٢)، وروى أيضاً عن أحمد بن حنبل، عن عبد الرزاق، عن ابن جريح، عن أبي الزبير، عن جابر عن النبي | : «نهى أن يقعد على القبر، وأن يجصص، وأن يبنى عليها»^(٣)، وروى ابن ماجه عن زهير بن مروان، عن عبد الرزاق، عن أيوب، عن أبي الزبير، عن جابر: «نهى رسول الله | عن تجصيص القبور»^(٤)، وروى أيضاً عن محمد ابن يحيى، عن محمد بن عبد الله الرقاشي، عن وهب، عن عبد الرحمن بن زيد، عن القاسم بن مخيمرة، عن أبي سعيد: «أن النبي | نهى أن يبنى على القبور»^(٥)، وروى النسائي عن هارون

-
- ١- سنن الترمذي ٢: ٢٥٨، مسند أحمد ٣: ٣٩٩، كنز العمال ١٥: ٧٣٤، فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٦: ٤٠٢، ذيل تاريخ بغداد ٣: ١٧٤.
 - ٢- سنن أبي داود ٢: ٨٥، سنن النسائي ٤: ٨٦، السنن الكبرى للبيهقي ٣: ٤١٠، السنن الكبرى للنسائي ١: ٦٥٢، الكفاية في علم الرواية للبغدادى: ٩٠.
 - ٣- مسند أحمد ٣: ٢٩٥، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٤، عمدة القارئ ٤: ١٩٤، الكفاية في علم الرواية: ٩٠، تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق ١: ٣١٨، الجامع الصغير ٢: ٦٨٧، كنز العمال ١٥: ٦٥٠، النهاية في غريب الحديث ٤: ٨٦.
 - ٤- سنن ابن ماجه ١: ٤٩٨، مسند أحمد ٣: ٣٣٢، سنن النسائي ٤: ٨٨، المستدرک للحاكم ١: ٣٧٠، وصححه، عمدة القارئ ٨: ١٨٤، شرح معاني الآثار ١: ٥١٦، الاستذكار ١: ٣٢٥، التاريخ الكبير ٨: ١٠٦، سير أعلام النبلاء ٥: ٣٨٥.
 - ٥- سنن ابن ماجه ١: ٤٩٨، السنن الكبرى للبيهقي ٣: ٤١٠.

بن إسحاق، عن حفص، عن ابن جريح، عن سليمان بن موسى وأبي الزبير، عن جابر : «نهى رسول الله | أن يبنى على القبر أو يزداد عليه أو يجصص، زاد سليمان بن موسى : أو يكتب عليه»^(١)، وروى أيضاً عن يوسف بن سعيد، عن حجاج، عن ابن جريح، عن أبي الزبير، عن جابر : «نهى رسول الله | عن تقصيص القبور، أو يبنى عليها، أو يجلس عليها أحد»^(٢)، ويحكى عن عمر أنه رأى قبة على قبر ميت، فقال: (نحوها عنه وخلوا بينه وبين عمله يظله، أو دعوه يظله عمله)^(٣).

والجواب:

أولاً : إنها ضعيفة السند، فحفص بن غياث وإن وثقوه لكنهم قدحوا في حفظه وقالوا: إنه مدلس، ففي تهذيب التهذيب لابن حجر قال : (يعقوب ثقة ثبت إذا حدث من كتابه، ويتقى بعض حفظه.. وقال أبو زرعة : ساء حفظه بعد ما استقصي. وقال داود بن رشيد: حفص كثير الغلط. وقال ابن عمار: كان لا يحفظ حسناً. وذكر الأثرم عن أحمد بن حنبل : إن حفصاً كان يدلس. وقال ابن سعد : كان ثقة مأموناً كثير الحديث يدلس. وقال أبو عبيد الآجري عن أبي داود: كان حفص بآخره دخله نسيان)^(٤) انتهى. وكيف يكون ثقة مأموناً من يدلس!

١- سنن النسائي ٤: ٨٦، السنن الكبرى للنسائي ١: ٦٥٢.

٢- سنن النسائي ٤: ٨٧، السنن الكبرى للنسائي ١: ٦٥٣.

٣- صحيح البخاري ٢: ٩٨ باب في الجنائز، تعليق التعليق ٣: ٤٩١.

٤- تهذيب التهذيب ٣: ٣٥٨ - ٣٥٩، سير أعلام النبلاء ٩: ٢٤، تاريخ بغداد ٨: ١٩٤، تهذيب الكمال ٧: ٦٠.

وابن جريح وإن مدحوه فقد قدحوا في روايته وحفظه ، وقالوا : إنّه مدلس، قال ابن حجر في تهذيب التهذيب في حقّه : (قال أبو بكر بن خلدان عن يحيى بن سعيد: كنا نسَمِّي كتب ابن جريح كتب الأمانة، وإن لم يحدثك بها ابن جريح من كتابه لم ينتفع به. وقال الأثرم عن أحمد: إذا قال ابن جريح : قال فلان، وقال فلان وأخبرت جاء بمناكير، وإذا قال: أخبرني وسمعت فحسبك به .. وقال المخراقي عن مالك : كان ابن جريح حاطب ليل. وقال عثمان الدارمي عن إسماعيل بن داود عن ابن معين: ليس بشيء في الزهري. وقال جعفر بن عبد الواحد عن يحيى بن سعيد: كان ابن جريح صدوقاً، فإذا قال: حدثني فهو سماع، وإذا قال: أخبرني فهو قراءة ، وإذا قال: قال فهو شبه الريح. وقال الدارقطني : تجنب تدليس ابن جريح فإنّه قبيح التدليس، لا يدلّس إلا فيما سمعه من مجروح مثل: إبراهيم بن يحيى، وموسى بن عبيدة وغيرهما. وقال ابن حبان: كان يدلس^(١) انتهى.

وأبو الزبير قال ابن حجر في تهذيب التهذيب : (قال عبد الله بن أحمد : قال أبي: كان أيوب يقول: حدثنا أبو الزبير، وأبو الزبير أبو الزبير، قلت لأبي : يضعفه؟

قال: نعم.

وقال نعيم بن حماد سمعت ابن عينة يقول: حدثنا أبو الزبير، وهو أبو الزبير، أي كأنه يضعفه. وقال هشام بن عمار عن سويد بن عبد العزيز : قال لي

١- تهذيب التهذيب ٦: ٣٥٨ - ٣٥٩، سير أعلام النبلاء ٦: ٣٢٨، تاريخ بغداد ١٠: ٤٠٤، تهذيب الكمال ٨: ٣٤٨.

شعبة: تأخذ عن أبي الزبير، وهو لا يحسن أن يصلي.
 وقال نعيم بن حماد: سمعت هشيمًا يقول: سمعت من أبي الزبير، فأخذ
 شعبة كتابي فمزقه.

وقال محمود بن غيلان عن أبي داود: قال شعبة: ما كان أحد أحب إلي أن
 القاه بمكة من أبي الزبير حتى لقيته، ثم سكت. وروى أحمد بن سعيد الرباطي
 عن أبي داود الطيالسي قال: قال شعبة: لم يكن في الدنيا أحب إلي من رجل
 يقدم فأسأله عن أبي الزبير، فقدمت مكة فسمعت منه، فبينما أنا جالس عنده إذ
 جاءه رجل فسأله عن مسألة، فرد عليه، فافتري عليه، فقلت له: يا أبا الزبير،
 تفتري على رجل مسلم؟
 قال: إنه أغضبني.

قلت: ومن يغضبك تفتري عليه! لا رويت عنك شيئاً.
 وقال محمد بن جعفر المدائني عن ورقاء قلت لشعبة: مالك تركت
 حديث أبي الزبير؟
 قال: رأيت يزن ويسترجح في الميزان.
 وقال يوسف بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي يقول: أبو الزبير يحتاج إلى
 دعامة.

وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن أبي الزبير؟
 فقال: يكتب حديثه ولا يحتج به.
 قال: وسألت أبا زرعة عن أبي الزبير؟
 فقال: روى عنه الناس.

قلت: يحتج بحديثه؟

قال: إنما يحتج بحديث الثقات.

وقال ابن عيينة: كان أبو الزبير عندنا بمنزلة خبز الشعير إذا لم نجد عمرو ابن دينار ذهبنا إليه^(١).

وعبد الرحمن بن الأسود ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ولم يوثقه^(٢).

ومحمد بن ربيعة قال ابن حجر في تهذيب التهذيب: (قال الساجي: فيه لين وتبعه الأزدي، نقل عن عثمان بن أبي شيبة قال: جاءنا محمد بن ربيعة فطلب إلينا أن نكتب عنه، فقلنا نحن لا ندخل في حديثنا الكذابين)^(٣) انتهى.

وعبد الرزاق في حديث أبي داود المراد به الصنعاني، بقرينة روايته عن ابن جريح، وهو مع مبالغتهم في مدحه وتوثيقه رموه بالتشيع والكذب حكاه في تهذيب التهذيب^(٤).

وحديث ابن ماجة الأول رواه قبل أبي الزبير مجاهيل، وأبو الزبير قد علمت حاله.

١- تهذيب التهذيب ٩: ٣٩١ - ٣٩٢، تهذيب الكمال ٢٦: ٤٠٧، سير أعلام النبلاء ٥: ٣٨١، تاريخ الإسلام ٨: ٢٥٠.

٢- تهذيب التهذيب ٦: ١٢٧.

٣- تهذيب التهذيب ٩: ١٤٣، ميزان الاعتدال ٣: ٥٤٥.

٤- تهذيب التهذيب ٦: ٢٧٨، ضعفاء العقيلي ٣: ١٠٧، الكامل في الضعفاء لابن عدي ٥: ٣١١، التعديل والتجريح ٣: ١٠٤١، تقريب التهذيب ١: ٥٩٩.

والثاني في سنده وهب، وهو مجهول ، وعبد الرحمن بن زيد قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب : (قال أبو طالب عن أحمد: ضعيف، وقال أبو حاتم عن أحمد أنه ضجع^(١) في عبد الرحمن. وقال الميموني عن أحمد: أنه ضَعَفَ أمر عبد الرحمن قليلاً، وقال روى حديثاً منكراً، وقال الدوري عن ابن معين: ليس حديثه بشيء. وقال البخاري وأبو حاتم ضَعَفَهُ علي ابن المديني جداً. وقال أبو داود: أولاد زيد بن أسلم كلهم ضعيف. وقال أيضاً: أنا لا أحدث عن عبد الرحمن، وقال النسائي: ضعيف، وقال ابن عبد الحكيم: سمعت الشافعي يقول: ذكر رجل لمالك حديثاً منقطعاً، فقال : أذهب إلى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن أبيه عن نوح، وقال خالد بن خدّاش: قال لي الدواردي ومعن وعامة أهل المدينة: لا ترد عبد الرحمن إنّه كان لا يدري ما يقول. وقال أبو زرعة: ضعيف. وقال أبو حاتم: ليس بقوي في الحديث. وقال ابن حبان: كان يقلب الأخبار فاستحق الترك ، وقال ابن سعد : كان ضعيفاً جداً، وقال ابن خزيمة : ليس هو ممن يحتج أهل العلم بحديثه، لسوء حفظه، وقال الساجي عن الربيع عن الشافعي : قيل لعبد الرحمن بن زيد: حدثك أبوك عن جدك أنّ رسول الله | قال: إنّ سفينة نوح طافت بالبيت، وصلت خلف المقام ركعتين؟

١- الضجيع بمعنى التقصير في الأمر راجع : كتاب العين ١: ٢١٢ مادة (ضجع)، الصحاح ٣: ١٢٤٨ مادة (ضجع) ، معجم مقاييس اللغة ٣: ٣٩٠ مادة (ضجع)، لسان العرب ٨: ٢١٨، مادة (ضجع)، القاموس المحيط ٣: ٥٥ مادة (ضجع) ، تاج العروس ١٠: ١٥٤ مادة (ضجع).

قال: نعم.

قال الساجي: وهو منكر الحديث، وقال الصحاوي: حديثه عند أهل العلم بالحديث في النهاية من الضعف، وقال الجوزجاني: أولاد زيد ضعفاء، وقال الحاكم وأبو نعيم: روى عن أبيه أحاديث موضوعه، وقال ابن الجوزي: أجمعوا على ضعفه^(١) انتهى.

وحديثا النسائي مع مشاركتهما في ضعف السند الذي فصلناه لباقي الأحاديث المشتركة معهما في رجال السند، في سند الثاني منهما (حجاج)، وهو (حجاج بن محمد الأعور)، بقرينة روايته عن ابن جريح، ففي تهذيب التهذيب: (أنه يروي عنه)، وهو وإن وثقه بعضهم لكن ذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب أنه خلط في آخر عمره، وذكر ما يدل على أنه حدث في حال اختلاطه، قال: (وذكره أبو العرب القيرواني في الضعفاء بسبب الاختلاط)^(٢).

ثانياً: إنها مضطربة المتن مع اشتراك روايات مسلم والنسائي والترمذي في ابن جريح عن أبي الزبير عن جابر، ورواية أبي داود معها في جابر القاضي بأنها رواية واحدة، ووجه الاضطراب أن في بعضها الاقتصار على التخصيص، وفي بعضها زيادة البناء عليه، وفي آخر التخصيص والكتابة والوطء، وفي ثالث التخصيص والكتابة والزيادة عليه، وفي آخر البناء عليه بدل الكتابة، وفي بعضها الاقتصار على الكتابة كما يأتي في الفصل العاشر، وفي بعضها التخصيص والبناء والجلوس.

ثم إنه تارة عبر بالجلوس عليها وتارة بالقعود، وتارة بأن توطأ. والقعود

١- تهذيب التهذيب ٦: ١٦٢ - ١٦٣، تهذيب الكمال ١٧: ١١٧.

٢- تهذيب التهذيب ٢: ١٨١.

عليها لا يخلو من إجمال ، قال السندي في حاشية سنن النسائي: (قيل: أراد القعود لقضاء الحاجة أو للاحداد والحزن بأن يلازمه ولا يرجع عنه، أو أراد احترام الميت، وتهويل الأمر في القعود عليه تهاوناً بالميت والموت أقوال، وروي أنه رأى رجلاً متكئاً على قبر فقال: (لا تؤذ صاحب القبر)، قال الطيبي: هو نهى عن الجلوس عليه لما فيه من الاستخفاف بحق أخيه، وحمله مالك على الحدث لما روي أن علياً كان يقعد عليه)^(١) انتهى.

كذلك الزيادة عليها لا تخلو من إجمال، لعدم ظهور المراد بالزيادة . قال السندي في حاشية سنن النسائي: (أو يزداد عليه) بأن يزداد على التراب الذي خرج منه، أو بأن يزداد طولاً وعرضاً عن قدر جسد الميت)^(٢) انتهى. والعجب أن صاحب رسالة الفواكه العذاب قال: (ونهى | أن يزداد عليها غير ترابها، وأنتم تزيدون التابوت والجوخ ومن فوق ذلك القبة العظيمة المبنية بالأحجار والجص)^(٣) انتهى. ولم يعلم أن النهي عن زيادة التراب لا يدل على النهي عن وضع التابوت والجوخ وعمل القبة عند من يفهم معاني الألفاظ، سيما عند من يبالغ في الاختصار على مدلول الألفاظ كالوهابية في بعض حالاتهم.

مع أن النهي عن زيادة التراب هو للكراهة كما ستعرف، ولا يعلم سره ولا حكمته، ولا يشمل ذلك وضع التابوت والجوخ وبناء القبة، لا لغة ولا عرفاً، فإن الزيادة على الشيء تكون من جنسه وسنخه، فلو قال المولى لعبده: لا تزد

١- حاشية السندي على النسائي ٤: ٨٧، لسان العرب ٣: ٣٥٧.

٢- حاشية السندي على النسائي ٤: ٨٦.

٣- الهدية السنية والتحفة النجدية، الرسالة الثالثة المسماة بالفواكه العذاب: ١١٤.

على هذا السمن أو الزيت أو اللبن، فلا يفهم منه أنك لا تضع فوقه صندوقاً أو ماعوناً أو ثوباً، أو لا تبين فوقه بيتاً، أو لا تنصب خيمة؛ لأنّ ذلك لا يعد زيادة عليه لغة ولا عرفاً، فعمل الصندوق ووضع الجوخ وعقد القبة كلّها من احترام القبر الذي ثبت أنّ له حرمة وشرفاً بمن حلّ فيه، فهو راجح لا محذور فيه.

ثالثاً: إنّ النهي أعم من الكراهة والتحريم، وهب أنّه ظاهر في التحريم، لكن كثرة استعماله في الكراهة كثرة مفرطة، مضافاً إلى فهم العلماء منه الكراهة هنا يضعف هذا الظهور، قال النووي في شرح صحيح مسلم: (في هذا الحديث كراهة تجسيص القبر والبناء عليه وتحريم القعود، هذا مذهب الشافعي وجمهور العلماء -إلى أن قال- : قال أصحابنا تجسيص القبر مكروه، والقعود عليه حرام، وكذا الاستناد إليه والاتكاء عليه.

وأما البناء فإنّ كان في ملك الباني فمكروه، وإن كان في مقبرة مسبلة فحرام، نصّ عليه الشافعي والأصحاب، قال الشافعي في الأم: رأيت الأئمة بمكة يأمرّون بهدم ما بني. ويؤيد الهدم قوله: **ولا قبراً مشرفاً إلاّ سويته**)^(١) انتهى.

والحقّ الكراهة في الكلّ كما هو مذهب أئمة أهل البيت ^٨ وفقهائهم، لعدم ظهور النهي في مثل هذه المقامات في التحريم، مع كثرة استعماله في الكراهة كثرة مفرطة.

هذا إذا لم يترتب على بناء القبر منفعة، ولم يكن تعظيمه من تعظيم شعائر الدين، لكونه قبر نبي أو ولي أو نحو ذلك، لما ستعرف من توافق المسلمين من عهد الصحابة إلى اليوم على تعمير قبور الأنبياء والأولياء، ومنها قبر النبي |

١- شرح مسلم للنووي ٧: ٢٧.

وحجرتة التي دفن فيها، وكراهة البناء والتجصيص مذهب الشافعي كما عرفت إلا أن يكون البناء في مقبرة مسبلة، مع أن بعضهم قال: (إن الحكمة في النهي عن التجصيص كون الجص أحرق بالنار، وحينئذ فلا بأس بالتطين كما نص عليه الشافعي)^(١) انتهى. نقله السندي في حاشية سنن النسائي. وذلك يناسب الكراهة، لكن الشافعي حرم القعود مع أنه مسوق مع البناء والتجصيص في هذه الأخبار بسياق واحد، فالأولى فيه الكراهة، ويدل عليها ما مر من الرواية عن علي أنه كان يقعد على القبر، وكذلك حمل الشافعي عدم زيادة التراب وعدم رفع القبر كثيراً على الاستحباب، قال السيوطي في شرح سنن النسائي: (قال الشافعي والأصحاب: يستحب أن لا يزداد القبر على التراب الذي أخرج منه لهذا الحديث - يعني حديث أو يزداد عليه - لئلا يرتفع القبر ارتفاعاً كثيراً)^(٢) انتهى.

أما ما حكاه عن الأئمة أنه رأهم بمكة يأمرؤن بهدم ما يُبنى، فلعله لزعمهم أنها مسبلة، وقد عرفت في جواب الدليل الثالث أنه لا دليل على الوقف والتسبيل، وأنه يجب حمل البانين على الصحة حتى يعلم الفساد، ولم يعلم، وحينئذ فيكون الهدم محرماً، لأنه تصرف في مال الغير بغير إذنه. أما ما أيد به النووي من قوله: «ولا قبراً مشرفاً إلا سويته» فلا تأييد فيه، لما عرفت من أن المراد به النهي عن التسليم وعدم جواز إرادة الهدم من التسوية.

ومن ذلك يظهر أن استشهاد بعض الوهابيين في رسالة الفواكه العذاب

١- حاشية السندي على النسائي ٤: ٨٦، فقه السنة للسيد سابق ١: ٥٥٤، شرح سنن النسائي للسيوطي ٤: ٨٧.

٢- شرح سنن النسائي للسيوطي ٤: ٨٧.

بقول النووي : (قال الشافعي في الأم) إلخ شاهد عليه لا له، فإنّ الشافعي يقول بکراهة البناء إذا كان في ملكه، والوهابيون يحرمونه مطلقاً.

وقد استشهد صاحب الرسالة أيضاً بكلام الأذرعي وابن كج الذي لا يرجع إلى دليل غير مجرد التهويل بقوله: (إنّه مضاهاة للجبابة والكفار)^(١)، وأي فائدة في قال فلان وقال فلان؟!!

ومما مر ويأتي يظهر الجواب عن المحكي عن عمر من أمره بتنحية القبة - أي الخيمة - عن القبر وقوله: (دعوه يظله عمله)، فإنّه بعد تسليم ثبوته وحجيته محمول على الكراهة أو صورة عدم النفع، فيكون تضييعاً للمال كما يرشد إليه قوله: دعوه يظله عمله، أي لا نفع له في ذلك، وإنّما ينفعه عمله.

ويعارضه ما مر في الباب الثاني ويأتي في فصل اتخاذ المساجد من رواية البخاري أنّه: «لَمَّا مات الحسن بن الحسن ضربت امرأته القبة على قبره سنة»^(٢).

رابعاً: إنّ هذه الأحاديث مع الغض عن ضعف أسانيدّها ودلالاتها واضطراب متنها منصرفة إلى غير ما يكون تعميره وتشيدّه والبناء فوقه، من تعظيم شعائر الله وحرماته، لكون صاحبه نبياً أو ولياً أو صالحاً، ولكونها بنيت لمصالح في الدين مهمّة منها: أن تكون علامة ومناراً للقبر الذي ندب الشرع إلى زيارته كما يأتي في فصل الزيارة، وحفظاً له عن الإندراس، وقد علّم رسول الله | قبر عثمان بن مظعون بصخرة وضعها عليه، روى ابن ماجه

١- الهدية السنية والتحفة النجدية، الرسالة الثالثة المسمّاة بالفواكه العذاب : ١١٣.

٢- صحيح البخاري ٢: ٩٠ باب الجنائز، كتاب الهواتف : ٩٢ باب هواتف الجن، تغليق التعليق ٣: ٤٨٢، تهذيب الكمال ٦: ٩٥.

بسند ، عن أنس بن مالك: «أنّ رسول الله | أعلم قبر عثمان بن مظعون بصخرة»^(١) ، قال السندي في الحاشية : (أي وضع عليه الصخرة ليتبين بها. وفي الزوائد: هذا إسناد حسن، وله شاهد من حديث المطلب بن أبي وداعة، رواه أبو داود)^(٢) انتهى.

وفي وفاء الوفاء : (روى أبو داود بإسناد حسن، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، عن بعض الصحابة : لما مات عثمان بن مظعون ودفن أمر النبي | رجلاً أن يأتي بحجر، فلم يستطع حمله، فقام إليه رسول الله | وحسر عن ذراعيه. قال الراوي: كأنني انظر إلى بياض ذراعي رسول الله | حين حسر عنهما، ثمّ حمله فوضعه عند رأسه، وقال: أتعلم به قبر أخي وأدفن إليه من مات من أهلي)^(٣) .

قال: ورواه ابن شبة وابن ماجه وابن عدي عن أنس، والحاكم عن أبي رافع، وروى قبل ذلك عن محمد بن قدامة، عن أبيه ، عن جده، لما دفن النبي | عثمان أمر بحجر فوضع عند رأسه الحديث. ثمّ حكى عن عبد العزيز بن عمران أنّه قال: سمعت بعض الناس يقول :

١- سنن ابن ماجه ١: ٥٥٠، المعجم الأوسط ٤: ١٦٩، تهذيب الكمال ٣٥: ١٨٩، سبل الهدى والرشاد ٨: ٣٨١، مجمع الزوائد ٣: ٤٥ وحسن الحديث.

٢- فقه السنة للسيد سابق ١: ٥٥٠ والعبارة غير موجودة في حاشية السندي.

٣- السنن الكبرى ٣: ٤١٢، سنن أبي داود ٢: ٨١، معرفة السنن والآثار ٣: ١٨٨، السيرة الحلبية ٢: ٢٩٠، فتح العزيز ٥: ٢٢٨، فتح الوهاب ١: ١٧٦، مواهب الجليل ٣: ٦٠، حاشية رد المختار ٢: ٢٥٨، المغني لابن قدامة ٢: ٣٨٥، الشرح الكبير ٢: ٣٨٥، تلخيص الحبير ٥: ٢٢٨، سير أعلام النبلاء ١: ١٥٤.

كان عند رأس عثمان بن مظعون ورجليه حجران^(١)، وهو يرشد إلى جواز فعل كل ما يكون علامة ومناراً للقبر.

قال: (وعن شيخ من بني مخزوم يدعى عمر قال: كان عثمان بن مظعون أوّل من مات من المهاجرين ، فلحد له رسول الله | ، وفضل حجر من حجارة لحدّه، فحمّله رسول الله | فوضعه عند رجله، فلمّا ولي مروان بن الحكم المدينة مر على ذلك الحجر، فأمر به فرمي به، وقال : والله لا يكون على قبر عثمان بن مظعون حجر يعرف به، فأتته بنو أمية فقالوا: بئسما صنعت عمدت إلى حجر وضعه النبي | فرميت به بئسما ما عملت ! فأمر به فليرد، فقال : أما والله إذ رميت به فلا يرد)^(٢).

ثمّ قال: (وروى ابن زبالة عن ابن شهاب وغيره أنّ رسول الله | جعل أسفل مهراس^(٣) علامة على قبر عثمان بن مظعون ليدفن الناس حوله - إلى أن قال - : فلمّا استعمل معاوية مروان بن الحكم على المدينة حمل المهراس فجعله على قبر عثمان)^(٤) انتهى.

وكفى بهذا الفعل دليلاً على ما كان عليه مروان من الاستهانة بالدين، وكأن الوهابية في هدمهم قبور الأئمة والصحابة والصالحين أرادوا الاقتداء به ويأتي في فصل الزيارة رواية أنّ فاطمة بنت رسول الله | كانت تزور

١- تاريخ المدينة لابن شبة النميري ١: ١٠١.

٢- تاريخ المدينة لابن شبة النميري ١: ١٠٢.

٣- حجر منقور مستطيل عظيم كالحوض يتوضأ منه. غريب الحديث ٤: ١٨٥، الصحاح ٣: ٩٩٠، لسان العرب ٦: ٢٤٨.

٤- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٣: ٨٩٣ - ٨٩٤.

قبر حمزة ترمه وتصلحه، وقد تعلّمته بحجر^(١)، وذلك يدل على استحباب مرمة القبر وحفظه من الإندراس، وعمل ما يكون علامة ودليلاً عليه، فإذا ثبت استحباب ذلك فكلّما كان أبلغ في حفظه وعدم إندراسه كبناء القبة عليه كان أولى بالاستحباب، فإنّ هذا بمنزلة العلة المنصوصة.

ومنه يُعلم أنّ القبور يمتاز بعضها عن بعض بامتياز أصحابها في الدين. وعدم بناء القباب ونحوها في ذلك العصر للعسر الحاصل للمسلمين واحتياجهم إلى صرف الأموال إن وجدت فيها هو أهم من الجهاد وإعاشة المسلمين، فلا يقاس به العصر المتأخر عن ذلك الذي اتسعت فيه أحوال المسلمين، كما كان النبي | وأصحابه يقنعون من العيش بالبلغة، وبيوتهم لاطئة مبنية باللبن وسعف النخل، ومسجده المعظم عريش كعريش موسى، وخطبته في الجمعة والعيد أولاً إلى جذع، ثمّ عمل له منبر، ولم يكن المنبر يمتاز كثيراً عن الجذع بغير الهيئة، فلمّا قويت شوكة الإسلام، واتسعت حال المسلمين، واستولوا على كنوز كسرى وقيصر، تغيرت حالهم في اللباس والمأكل والمشرب والمسكن، ووسعوا المسجدين النبوي والمكي، وأجادوا بناءهما وبناء الحجرة الشريفة وسائر المساجد، ولم يكونوا بشيء من ذلك عاصين ولا مبدعين، كذلك بنوا على قبور عظماء الدين، تعظيماً لشأنهم كما فهموه من أحكام دينهم تصريحاً وتلويحاً.

ولو سلمت الكراهة في سائر القبور لا تسلم في قبور الأنبياء وعظماء

١- المصنّف للصنعاني ٣: ٥٧٢ - ٥٧٤، الاستذكار لابن عبد البر ٥: ٢٣٥، التمهيد لابن عبد البر ٣: ٢٣٤، تفسير القرطبي ١٠: ٣٨١، الطبقات الكبرى ٣: ١٩، تاريخ المدينة لابن شبة ١: ١٣٢، عمدة القارئ ٨: ٧٠، حاشية الطحاوي على المراغي ٢: ٦١٩.

الشهداء كحمزة سيد الشهداء .

ومنها: أن تكون حفظاً للقبر الذي ثبتت حرمة في الشرع عن دخول الدواب والكلاب ووقوع القاذورات عليه والقبور الشريفة اليوم في البقيع وغيره بعدما ارتكبه الوهابيون من الأعمال الوحشية في حقها معرض لذلك كُله.

ومنها: استغلال الزائرين بها من الحر والقر عند إرادة الزيارة والصلاة بجانبها التي ثبت رجحانها بشرف المكان والدعاء عندها، وقراءة القرآن الذي ثبت أنه أرجى للإجابة، وأوفر في الثواب ببركتها وبركة من حل فيها، والتدريس فيها، والقاء المواعظ وغير ذلك من الفوائد، فهي بهذا الاعتبار داخله في المواضع المعدة للطاعات كالمساجد والمدارس والرباطات.

ومنها: إن في بنائها وتشيدها تعظيماً لشعائر الإسلام وإرغاماً لمنكره.

خامساً: إنها مع الغض عما ذكر مهجورة متروكة لم يعمل بها أحد من المسلمين قبل الوهابية ومن ضارهم ، من عهد الصحابة إلى يومنا هذا، وما هذا حاله من الأحاديث لا يعمل به ولا يعول عليه، ولو فرض صحة سنده باعتراف الوهابية فضلاً عن غيرهم، ففي الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية المنسوبة لعبد العزيز بن محمد بن سعود: (إن الحديث إذا شذَّ عن قواعد الشرع لا يعمل به، فإنهم قالوا: إن الحديث الصحيح الذي يعمل به إذا رواه العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة)^(١) انتهى.

وأي شذوذ عن قواعد الشرع أعظم من مخالفة عمل المسلمين من الصدر الأول إلى اليوم من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وسائر المسلمين؟!

١ - الهدية السنية والتحفة النجدية، الرسالة الأولى: ٣٦.

وأي علة أكبر من ذلك؟!

ومن عمل بها أو ببعضها لم يحملها إلا على الكراهة أو خصها بما لا يكون تعميره من إقامة شعائر الدين كقبور الأنبياء والأولياء والصالحين. أما عدم العمل بها فمن وجوه: أحدها: إن الكتابة المشتمل عليها بعضها لم يعمل بها أحد كما ستعرف في فصلها.

ثانيها: إن قبور الأنبياء التي حول بيت المقدس كقبر داود عليه السلام في القدس، وقبور إبراهيم وبنيه إسحق ويعقوب ويوسف الذي نقله موسى من مصر إلى بيت المقدس عليهم السلام في بلد الخليل كلها مبنية مشيدة، قد بني عليها بالحجارة العادية العظيمة من قبل الإسلام، وبقي ذلك بعد الفتح الإسلامي إلى اليوم، فعن ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم: (أن البناء الذي على قبر إبراهيم الخليل عليه السلام كان موجوداً في زمن الفتوح وزمن الصحابة، إلا أنه قال: كان باب ذلك البناء مسدوداً إلى سنة الأربعمئة)^(١) انتهى. ولا شك أن عمر لما فتح بيت المقدس رأى ذلك البناء ومع ذلك لم يهدمه.

وسواء صح قول ابن تيمية أنه كان مسدوداً إلى الأربعمئة أو لم يصح لا يضرنا؛ لأنه يدل على عدم حرمة البناء على القبور، وقد مضت على هذا البناء الأعصار والدهور، وتوالت عليه القرون ودول الإسلام، ولم يسمع عن أحد من العلماء والصلحاء وأهل الدين وغيرهم قبل الوهابية أنه أنكر ذلك أو أمر بهدمه أو حرمة أو فاه في ذلك ببنت شفة، على كثرة ما يرد من الزوار والمترددین من

١ - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ١: ٣٣١.

جميع أقطار المعمورة.

وبذلك يظهر بطلان زعم الوهابية أنّ البناء على القبور حدث بعد التابعين، وقول ابن بليهد: (أنّه حدث بعد القرون الخمسة).

ويكذّبه أيضاً مضافاً إلى ما يأتي في بناء الحجرة الشريفة النبوية ما سيأتي في فصل اتخاذ المساجد على القبور من وجود المسجد على قبر حمزة في المائة الثانية، وما مر في هذا الفصل عند رد دليلهم الثالث من أنّ قبر العباس وأئمة أهل البيت كانت في دار عقيل، مع عدم الفرق بين البناء الحادث والمستمر، وأن قبر إبراهيم بن رسول الله | كان في دار محمد بن زيد بن علي، وأنّ قبر سعد بن معاذ في دار ابن أفلح، وأنّ عليه جنبذة، أي قبة في زمن عبد العزيز بن محمد الذي هو من أهل المائة الثانية بتصريح السمهودي، كما يأتي في فصل اتخاذ المساجد على القبور.

ثالثها: إنّها قد بنيت الأبنية على القبور في عهد الصحابة ومن بعدهم قبل المائة الخامسة وأولها قبر النبي | ، فإنّه قد دفن في حجرة مبنية، ودفن فيها أصحابه .

ويظهر من السيرة النبوية لأحمد بن زيني دحلان أنّ ذلك كان بشبه وصية منه | حيث قال: (واختلفوا في موضع دفنه | ، فقال أبو بكر (رض): سمعت رسول الله | يقول: «ما مات نبي قط إلا يدفن حيث تقبض روحه، فقال علي: وأنا أيضاً سمعته»^(١)، رواه الترمذي وابن ماجه . وفي رواية الموطأ :

١- مسند ابن راهويه ٣: ٧٣٩، الطبقات الكبرى ٢: ٢٩٣، إمتاع الأسماع ٢: ١٣٥، سنن الترمذي ٢: ٢٤٢ بلفظ: «ما قبض الله نبياً إلّا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه، فدفنوه في موضع فراشه» سنن ابن ماجه ١: ٤٩٨.

«ما دفن نبي قط إلا في مكانه الذي توفي فيه»^(١) انتهى.

ولو كان البناء على القبور محرماً وواجب الهدم لهدمها الصحابة قبل دفنه | فيها أو دفنوه | في مكان لا بناء فيه، إذ لا يتصور فرق بين البناء السابق واللاحق، ولم يقل أحد بالفرق.

ولو كانت بمنزلة الأصنام كما يزعم الوهابيون لم يكن فرق بين البناء السابق واللاحق، مع أنهم قد بنوها لاحقاً، بنى عليها عمر بن خطاب حائطاً، وهو أول من بناها، وبنت عائشة حائطاً بينها وبين القبور^(٢)، وكانت تسكنها وتصلي فيها قبل الحائط وبعده، وبذلك يبطل قولهم بعدم جواز الصلاة عند القبور، وبناها عبد الله بن الزبير^(٣)، ثم سقط حائطها فبناه عمر بن عبد العزيز، ثم لما وسع المسجد في خلافة الوليد بنى على البيت حظاراً^(٤)، وفي رواية أنه هدم البيت الأول ثم بناه وبني حظاراً محيطاً به، وتولى ذلك عمر بن عبد العزيز وأزر الحجرة بالرخام^(٥)، ثم أعيد تأزيرها في زمن المتوكل الخليفة العباسي، ثم جدد في زمن المقتفي، ثم عمل في زمنه للحجرة مشبك من خشب الصندل والأبنوس على رأس جدار عمر بن عبد العزيز^(٦)، ثم لما سقط

١- كتاب الموطأ ١: ٢٣١، الاستذكار ٣: ٥٣، التمهيد ٢٤: ٣٩٤، الطبقات الكبرى ٢: ٢٩٣.

٢- الطبقات الكبرى ٣: ٣٤٦، تاريخ المدينة لابن شبة النميري ٣: ٩٤٥.

٣- الطبقات الكبرى ٢: ٢٩٤، عمدة القارئ ٨: ٢٢٧، كنز العمال ٧: ١٨٦، سبل الهدى والرشاد ٣: ٣٤٩.

٤- صحيح البخاري ٢: ١٠٧ باب ما جاء في عذاب القبر، البداية والنهاية ٥: ٢٩٣، إمتاع الأسماع ١٤: ٦٠٤، السيرة النبوية ٤: ٥٤٢.

٥- فتح الباري ٣: ٢٠٤، عمدة القارئ ٨: ٢٢٧.

٦- عمدة القارئ ٨: ٢٢٧.

حائط الحجرة في دولة المستضيء أعيد بناؤه ، ثمّ لمّا احترق الحرم الشريف سنة ٦٥٤ هـ شرعوا في تجديد الحجرة الشريفة في دولة المستعصم آخر ملوك بني العبّاس ، وأكمل تعميرها من آلات وصلت من مصر في عهد الملك المنصور أيبك الصالحي، وأخشاب من صاحب اليمن الملك المظفر، ثمّ أكمل تعميرها في أيام الملك المنصور قلاوون الصالحي صاحب مصر، فعملت أوّل قبة على الحجرة الشريفة، وهي القبة الزرقاء ، بناها أحمد بن عبد القوي ناظر قوص سنة ٦٧٨ هـ ، ثمّ جددت في أيام الملك الناصر حسن بن محمّد بن قلاوون، ثمّ في أيام الملك الأشرف سنة ٧٦٥ هـ ، ثمّ جددت في دولة الظاهر جمقمق سنة ٨٣٥ هـ ، ثمّ جدد بناء الحجرة الشريفة سنة ٨٨١ هـ في دولة الملك الأشرف قاتباي صاحب مصر، وعمل عليها قبة سفلية تحت القبة الزرقاء، ثمّ لمّا احترق الحرم الشريف ثانياً سنة ٨٨٦ هـ أعيد بناء الحجرة الشريفة وعمل عليها قبة عظيمة بدل القبة الزرقاء والتي تحتها، وذلك في دولة الملك الأشرف قاتباي، ثمّ جدد بناؤها سنة ٨٩١ هـ في دولة الملك الأشرف، ولم يزل ملوك بني العبّاس يجددون ما انهدم منها وكذلك ملوك بني عثمان، وقد جددت في عهد السلطان عبد المجيد منهم كما سيأتي تفصيل ذلك كلّهُ^(١).

وممّا بني في عهد الصحابة وبعده قبل الخامسة ما ذكره السهودي في وفاء الوفاء كما سيأتي في فصل الكتابة على القبور: أنّ عقيلاً لمّا حفر بئراً في داره وجد حجراً مكتوباً عليه: هذا قبر أم حبيبة فدفن البئر وبنى عليه بيتاً، وأنّ ابن السائب قال : دخلت البيت فرأيت القبر.

وبنى الرشيد قبة على قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام كما عن عمدة الطالب وغيره، وكان الرشيد في المائة الثانية، ثم تتابع البانون في بنائها إلى اليوم، وفيها يقول الحسين بن الحجاج الشاعر الفكاهي المشهور المتوفي سنة ٣٩١ في مطلع قصيدة:

يا صاحب القبة البيضاء على النجف من زار قبرك واستشفى لديك شفي^(١)
وعن الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: (إن الكاظم عليه السلام دفن في مقابر الشونيزية خارج القبة وقبره هناك مشهور يزار، وعليه مشهد عظيم فيه القناديل وأنواع الآلات والفرش ما لا يحد)^(٢) انتهى.

فيدل على وجود قبة عند الكاظم عليه السلام وهو سنة ١٨٣، وعلى وجود مشهد في عصر الخطيب المولود سنة ٣٩٢، ولا بد أن يكون حدوثه قبل عصره. وذكر المؤرخون وعلماء الأثر وجل من كتب في التراجم أن الأئمة زين العابدين والباقر والصادق عليهم السلام دفنوا في قبة الحسن عليه السلام والعباس رضوان الله عليه بالبقيع، وكانت وفاة زين العابدين عليه السلام سنة ٩٥ هـ، ووفاة الباقر عليه السلام في أوائل المائة الثانية في العشر الثاني منها، ووفاة الصادق عليه السلام سنة ١٤٨ هـ^(٣)، كما ذكروا بناء القباب والمشاهد على جملة من القبور قبل المائة الخامسة مثل: إن الإمام علي بن موسى الرضا دفن في القبة التي دفن فيها هارون الرشيد

١- الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢٦: ٩٣، الكنى والألقاب ١: ٢٥٦.

٢- تاريخ بغداد ١٣: ٣٣.

٣- الصواعق المحرقة: ٢٠١، ينابيع المودة ٣: ١١١، شرح إحقاق الحق ٢٨: ٢١٠، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٣: ٢٦٩ و ٤: ١٧٤.

بطوس في دار حميد بن قحطبة الطائي^(١)، ويظهر أنّ الذي بنى تلك القبة على الرشيد هو ولده المأمون، وكان كما عن السيوطي: (أماراً بالعدل فقيه النفس يعد من كبار العلماء)^(٢) انتهى، وكان عصره حافلاً بالعلماء وأئمة الدين منهم: الإمام علي ابن موسى الرضا إمام أهل البيت، ووارث علوم جده وآبائه الذي كان يصدر المأمون عن رأيه، وعمل له الرسالة الذهبية، ومسائله له مشهورة في مشكلات علوم الدين، ولما رآه يتوضأ والغلام يصب على يديه الماء قال له: «يا أمير المؤمنين، لا تشرك بعبادة ربك أحداً، فصرف الغلام»^(٣)، فلو كان البناء على القبور محرماً لنهاه عن بناء القبة على قبر الرشيد، مع أنّه لم ينهه، بل أوصى أن يدفن في تلك القبة.

ومنهم الإمامان الشافعي وأحمد من أئمة المذاهب الأربعة، وسفيان بن عيينة وغيرهم، ولم ينقل أنّ أحداً أنكر عليه، مع أنّهم أنكروا عليه القول بخلق القرآن، وصبروا على الحبس والضرب، ولم يوافقوه عليه.

ومثل: أنّ نهشل بن حميد الطوسي بنى قبة على قبر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي الشاعر المشهور المتوفى ٢٣٠ هـ بالموصل^(٤)، وأنها بنيت قبة على قبر بوران بنت الحسن بن سهل المتوفاة سنة ٢٧١ هـ،^(٥) وأنّ معز الدولة البويهى المتوفى سنة ٣٩٣ هـ دفن أولاً في داره، ثمّ نقل إلى مشهد بني له في

١- عيون أخبار الرضا ٢: ٢٨، بشارة المصطفى: ٣٣٦، كشف الغمّة ٣: ٨٩.

٢- تاريخ الخلفاء: ٣٠٧ وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٠: ٢٧٩، وتاريخ الإسلام ١٥: ٢٣٢، وفوات الوفيات ١: ٥٨٥، الوافي بالوفيات ١٧: ٣٥١.

٣- روضة الواعظين: ٢٣٢، وسائل الشيعة ١: ٤٧٨.

٤- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٢: ١٧، الوافي بالوفيات ١١: ٢٢٩، الكنى والألقاب ١: ٣٠.

٥- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ١: ٢٩٠، الوافي بالوفيات ١٠: ٢٠١.

مقابر قریش^(١) إلى غير ذلك مما يقف عليه المتتبع ويطول الكلام باستقصائه .
وكلّ ذلك يكذب ما زعمه الوهابية من أنّ البناء على القبور حدث بعد
المائة الخامسة، ويبين أنّهم يرسلون الكلام على عواهنه ، ويكيلون الدعاوى
جزافاً، ويدل على مبلغهم من العلم وجهلهم بالتاريخ.

وعن تاريخ الخلفاء للسيوطي: (أنّ المتوكل في ٢٣٦ هـ أمر بهدم قبر
الحسين، وهدم ما حوله من الدور، وأن يعمل مزارع، ومنع الناس من زيارته،
وخرب وبقي صحراء.

وكان المتوكل معروفاً بالنصب، فتألم المسلمون من ذلك، وكتب أهل
بغداد شتمه على الحيطان والمساجد، وهجاه الشعراء ، فمما قيل في ذلك :

تالله إن كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوماً
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمرى قبره مهْدُوماً
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتبعوه رميمًا^(٢)

وعن المسعودي: (أنّ المتوكل أمر في سنة ٢٣٦ المعروف بالديزج بالمسير
إلى قبر الحسين بن علي وهدمه وإزالة أثره ، وأن يعاقب من وجد به، فبذل
الرغائب لمن يقدم على ذلك، فكلّ خشي عقوبة الله فأحجم، فتناول الديزج
مسحاة وهدم أعالي قبر الحسين، فحينئذ أقدم الفعلة على العمل ولم يزل الأمر

١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ١: ١٧٦، الكنى والألقاب ٢: ٤٧١.

٢- تاريخ الخلفاء : ٣٤٧، تاريخ الطبري ٧: ٣٦٥، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٧: ٥٥، الوافي
بالوفيات ١١: ١٠٢، فوات الوفيات ١: ٢٩٠، البداية والنهاية ١٠: ٣٤٧، مآثر الأناقة ١: ٢٢٨، وفيات
الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٣: ٣٦٥، تاريخ الإسلام ١٧: ١٩، الكنى والألقاب ١: ٣٢٥.

على ذلك حتى استخلف المنتصر^(١) انتهى.

وهذا صريح في أنّ قبر الحسين عليه السلام كان مبنياً بناءً عالياً مشيداً لقوله: (فهدم أعالي القبر)، وأنّ هدم قبور عظماء الدين كان معلوماً عند المسلمين قبحه، ومغروساً ذلك في نفوسهم، فلذلك لم يقدم الناس على هدم قبر الحسين عليه السلام مع بذل الرغائب، ولذلك قبح جميع المسلمين فعل المتوكل، وكتبوا هجاءه على الحيطان، وعد فعله هذا من قبائح الشيعة، وذمه بذلك كلّ من كتب في التاريخ، فالوهابية اقتدوا في أعمالهم بالمتوكل المعروف بالنصب الذي ساء جميع المسلمين بعمله هذا، كما ساؤوا هم جميع المسلمين بعملهم، ثمّ أخذه الله تعالى أخذ عزيز مقتدر، فسلط عليه الأتراك فقتلوه برأي ولده المنتصر شرّ قتله^(٢).

ومن ذلك كلّ يعلم أنّ البناء على القبور لاحقاً وسابقاً غير محرم، وإنّ راجح إذا كان على قبر نبي أو ولي أو عالم أو عابد أو غيرهم، ممن يكون تعظيمه من تعظيم شعائر الله تعالى.

وهذا الوجه مما يهدم كلّ أساس بنى عليه الوهابية شبهاتهم، ولا يرتاب فيه إلّا مكابر معاند، فإنّك إذا أحطت علماً بما سردناه عليك من تاريخ بناء الحجرة الشريفة النبوية من مبدأ أمرها إلى يومنا هذا، وما بنى على قبور

١- مروج الذهب ٢: ٤٠١، الأمالي للشيخ الطوسي: ٣٢٦.

٢- وإذا رجعت إلى ترجمة المتوكل لدى الحنابلة تجدهم يطرونه بأوصاف جليلة ويسمونه محي السنة، والمقصود بها سنة الإرهاب والقتل والهدم والتخريب وقتل المسلمين ومنها تتبع رفات الأموات.

الصحابة والأئمة والأولياء والصلحاء والشعراء والأمراء وبعض النساء وغيرهم؛ علمت أنّ المسلمين عموماً من الصدر الأوّل إلى اليوم من جميع النحل والمذاهب الإسلامية متفقون على جواز البناء على القبور وعقد القباب عليها، عدا الوهابية فإنّهم مخالفون لما عليه الأمة الإسلامية جمعاء، ولمذهب السلف الذين يتغنون دائماً بأنّهم متبعون له، حيث علمت أنّ الصحابة جميعاً ومنهم الخلفاء الأربعة اتفقوا على دفنه | في بيته وحجرته التي كان يسكنها مع زوجته عائشة، وهي مبنية مسقفة، ولو كان البناء على القبور غير جائز لما خفي على الصحابة عموماً، ولو حرم ابتداءً لحرم استدامة، ثمّ دفن أبو بكر وعمر مع النبي | في تلك الحجرة، وعد ذلك أعظم منقبة لهما، ثمّ بنت عائشة حائطاً في تلك الحجرة بينها وبين القبر الشريف، وقد رويتم أنّه | قال: «خذوا ثلثي دينكم عن عائشة»^(١)، ثمّ جدد بناء الحجرة الشريفة عمر بن الخطاب وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز صالح بني أمية وعادلهم وزاهدهم ومعيد رونق الخلافة بعد ما صارت ملكاً عضوضاً، ورافع السبّ عن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، وراود فدك إلى أولاد فاطمة تورعاً، ثمّ تتابع ملوك الإسلام وأمراؤهم في بناء الحجرة الشريفة والقبة المنيفة، جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن، وعصراً بعد عصر، وخلفاً عن سلف، متقرّين بذلك إلى الله، راجين ثوابه، مفتخرين به أمام رعاياهم، وكان في أعصارهم وفي المدينة المنورة من العلماء والصلحاء وأهل الفضل والدين ما لا يحصى عددهم، ولم

١- المبسوط للسرخسي ٤: ٢١٣، تفسير الرازي ٣٢ : ٣٢، تفسير الآلوسي ٣: ١٥٥، أصول السرخسي ١ : ٣٥٤.

يسمع من أحد أنه لا مهم على هذا الفعل أو خطأهم فيه أو منعهم منه من العلماء الذين كانت لهم الكلمة النافذة عند الملوك والأمراء، وليس ترك ذلك شيئاً مخلاً بسلطنتهم وسياستهم للملك حتى يخافهم العلماء فيه، بل هو أمر ديني محض لا يخالفهم فيه ملك ولا أمير، ولا يخرج قصد الملوك والأمراء في ذلك عن أحد أمرين؛ طلب الثواب منه تعالى، والفخر عند الناس، وكل ذلك لا يتم لهم مع نهى العلماء عنه وتحريمه، فإذا لم يكن هذا الأمر الذي اتفق عليه الصحابة من صدر الإسلام والتابعون وتابعو التابعين وعلماء المسلمين وعامتهم وملوكهم وصعاليكهم خلفاً عن سلف، وجيلاً بعد جيل، قطعياً ولا إجماعاً، ففي أي حكم في الشريعة يمكن دعوى القطع والإجماع؟!

وإذا لم يكن السلف قدوة في مثل هذا ففي أي شيء يقتدى بهم ويقول المرء عن نفسه أنه سلفي على عادة الوهابيين؟!

رابعها : إن حرمة قبور الأنبياء والصلحاء بل كل مسلم وفضلها وشرفها وبركتها ملحق بالضروريات عند الصحابة والتابعين وتابعيهم وجميع المسلمين، لا يرتاب في ذلك أحد كما سيأتي في الفصل الثالث عشر، وإذا كان لها حرمة ومنزلة وشرف وبركة عند الله تعالى وجب أو رجع فعل كل ما يوجب احترامها وتعظيمها من زيارتها والبناء عليها وحفظها عن دوس الأقدام وروث الدواب والكلاب وغير ذلك؛ لأن ذلك من تعظيم شعائر الله وحرماته، وحرم كل ما يوجب إهانتها واحتقارها وامتهانها من هدمها وهدم حجرها وقبابها، وجعلها معرضاً لو طيء الأقدام وروث الدواب والكلاب، ووقوع القاذورات، فإن ذلك كله لا شك أنه إهانة لها ولأهلها، فإذا ثبت ذلك وجب طرح كل حديث ناه عن البناء على القبور أو أمر بهدمها لو فرض وجوده، أو تخصيصه بغير قبور الأنبياء والأولياء والعلماء والصلحاء؛ لأن ذلك إهانة لهم، وقد دل

العقل والنقل على حرمة إهانتهم، ووجوب تعظيمهم، أحياءً وأمواتاً.
لا يقال : إنَّما يكون تعظيم تلك القبور راجح لو لم يكن كفراً وشركاً
بكونه عبادة لها كعبادة الأصنام.

لأننا نقول: بعد ما ثبت أنَّ لها شرفاً وحرمة عند الله تعالى بما بيَّناه لا يكون
تعظيمها عبادة لها ولا كفراً ولا شركاً، بل تعظيمها تعظيم الله تعالى وعبادة له
كتعظيم الكعبة والحرم والحجر الأسود والمساجد والمقام، وكلِّ شيء أمر الله
بتعظيمه من المخلوقات.

وقياس ذلك بعبادة الأصنام التي لم يجعل الله لها حرمة بوجه من الوجوه
قياس فاسد كما أوضحناه مراراً.

لا يقال: إنَّما يكون بناؤها والبناء عليها تعظيماً لها لو لم يرد النهي
الموجب، لكونه محرماً، ولا تعظيم بمحرم، وإنَّما يكون هدمها وهدم ما بني
عليها إهانة لو لم يرد الأمر به الموجب لكونه طاعة، وهو عين الاحترام لها
ولأصحابها، بتنفيذ ما أمر الله به فيها.

لأننا نقول: كون بنائها والبناء عليها في نفسه احتراماً لها ولأصحابها، وهدمها
وهدم ما بني عليها في نفسه إهانة لها ولأصحابها عرفاً، مع قطع النظر عن ورود
النهي والأمر؛ مما لا يشك فيه أحد، وبعدهما ثبت بالدليل القطعي السابق وجوب
احترامها وحرمة إهانتها لا يمكن أن يكون النهي عن البناء والأمر بالهدم شاملاً
لها، بل هو إما مطروح أو خاص بغيرها أو مصروحاً إليه ؛ لأنَّ الظن لا يعارض
اليقين.

خامسها : إنّ وجوب مودة أهل البيت عليهم السلام واحترامها وحرمة إهانتهم أحياءً وأمواتاً مما نطق بها الكتاب العزيز في قوله تعالى: {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} ^(١)، وفُسِّرَت الآية مع ظهورها في نفسها السنة النبوية بأنّ المراد بالقربى هم أهل البيت الطاهر النبوي، مما لا يسع المقام ذكره، فلا ينافي ذلك تمحلات ابن تيمية وتأويلاته على عادته في الاجتهاد في محو كلّ فضيلة ومنقبة لأهل البيت الطاهر، إما بإنكار الحديث ولو استفاض واشتهر أو تواتر أو بتأويله أو بدفعه بالاستبعادات ^(٢)، ونطقت بها

١- سورة الشورى : ٢٣.

٢- كما دفع حديث: «إِنَّ قَتْلَ عَلِيٍّ لِعَمْرٍو بِنِ عِبْدٍ وَدِ يَوْمِ الْخَنْدَقِ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ الثَّقَلَيْنِ» تارة بتضعيف سنده وأنه موضوع، وتارة بأنه كيف يكون قتل كافر أفضل من عبادة الثقلين ومنهم الأنبياء، وأخرى بأنّ عمرو بن عبد ود لم يعرف له ذكر إلا في هذه الغزوة.

←

→ وردّه صاحب السيرة الحلبية بأنّ قتله كان فيه نصرة الدين وخذلان الكافرين، وبأنّ عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتّى أثبتته الجراحة، فلم يشهد أحداً، فلمّا كان يوم الخندق خرج معلماً جعل له علامة يعرف بها ليرى مكانه. السيرة الحلبية ٢: ٦٤٣ انتهى.

وأي عمل من الأعمال يعادل ضربته لعمرو بن عبد ود يوم الخندق حين عبر الخندق معلماً يطلب البراز، فجبن عنه الناس كلّهم إلا علي؟

وأي خذلان كان يقع على الإسلام لو لم يقتل علي عمراً، فتلك الضربة أعزت الإسلام وقويت شوكته، واشتد ساعده، وابن تيمية يوهن أمرها ويصغره: {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} سورة الحج: ٤٦، {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرُ نُورِهِ}

سورة

الصف: ٨ (المؤلف).

مضافاً إلى أنّ عمرو بن عبد ود مشهور يُعدّ من فرسان العرب، ففي السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٧٤٠ (قال ابن إسحاق: وقال مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح: عمرو

السنة الطاهرة كما في حديث الثقلين وغيره، مما ليس هذا محل ذكره، ومن مودتهم واحترامهم احترام قبورهم وحفظها بالبناء عليها من أن تداس بالأقدام أو تكون معرضاً لدخول الدواب والكلاب إليها وتوسيخها وتنجيسها، ووقوع القاذورات عليها، وعدم إهانتهم بهدم قبورهم وقبابهم المشيدة، فإن هدم قبر النبي أو الولي يعد في العرف إهانة له، وأي إهانة!! واحترام المؤمن فضلاً عن النبي واجب حياً وميتاً، ومن احترامه ميتاً النهي عن الجلوس على قبره والاتكاء عليه والاستناد إليه ووطئه بالأقدام كما مرّ في هذا الفصل.

وفي وفاء الوفاء: (روى ابن زبالة ويحيى من طريقه عن غير واحد منهم عبد العزيز بن أبي حازم ونوفل بن عمارة قالوا: كانت عائشة تسمع صوت الوتد والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بالمسجد، فترسل إليهم: لا تؤذوا رسول الله | قالوا: وما عمل علي مصراعي داره إلا بالمناصع^(١) توقياً لذلك).

ابن ود ويذكر قتل علي بن أبي طالب إياه :

عمرو بن ود كان أول فارس جزع المذاد وكان فارس يليل

إلى أن يقول:

فاذهب علي فما ظفرت بمثله فخراً ولا لاقيت مثل المعضل).

وقال ابن حبان في الثقات ١ : ٢٦٨: (وكان عمرو بن ود فارس قریش). وفي شرح الأخبار ١: ٢٩٣: (وكان أشد من فيهم وأنجدهم، يعرف له ذلك جميعهم).

وغير ذلك من الكلمات الغفيرة الواردة في حقّه وشجاعته التي جبن عن مواجهتها غير علي بن أبي طالب عليه السلام، ولأجل ذلك أصبحت تعدل عبادة الثقلين؛ لأنه لولا علي لانهزم المسلمون وقتل النبي الأكرم | وانتهت الرسالة من حينها.

إلا أنّ التعصب الأعمى يعمي ويصم عن سماع الحق وقوله.

١- في القاموس ٣: ٨٩ (مادة نصع)، النصع، مثلثة: جلد أبيض، أو ثوب. إنتهى، وليس فيه ما يناسب المقام غير هذا (المؤلف).

وقال قبل ذلك: إنّ عمر قال: إنّ مسجدنا هذا لا ترفع فيه الأصوات. وقال أبو بكر: لا ينبغي رفع الصوت على نبيٍّ حياً ولا ميتاً^(١) انتهى.

ولا يخفى تبدل العناوين بحسب الزمان والمكان والأشخاص فتبدل لذلك الأحكام، فالأخبار المتوهم دلالتها على خلاف ذلك مهجورة متروكة عند جميع المسلمين أو مصروفة إلى غير قبورهم الشريفة وقبابهم المنفية، والأسئلة التي أوردناها على الوجه الرابع يمكن أن تورّد هنا والجواب الجواب.

بناء الحجرة الشريفة والقبة المنيفة النبوية من ابتداء أمرها إلى اليوم

أما ما وعدنا به من شرح وتفصيل بناء الحجرة الشريفة والقبة المنيفة النبوية من ابتداء أمرها إلى يومنا هذا فنقول:

كانت الحجرة الشريفة التي دفن فيها رسول الله | هي البيت الذي كانت تسكنه عائشة أم المؤمنين قال السمهودي في وفاء الوفاء: (كان من لبن وجريد النخل، ثمّ حكى عن عمران بن أبي أنس أن بيوت النبي | كانت أربعة بلبن لها حجر من جريد.

قال: وبيت عائشة أحد الأربعة، ثمّ حكى عن رواية ابن سعد أنّه لم يكن عليه حائط زمن النبي |، وأنّ أوّل من بنى عليه جداراً عمر بن الخطاب .

قال: وليحمل على أنّ حجرة الجريد التي كانت مضافة له أبدلها عمر بجدرٍ جمعاً بين الروايات^(٢) انتهى.

١- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٢: ٥٥٩ وخبر عمر موجود في: المصنّف لابن أبي شيبه ٢: ٣٠٩، وحديث أبي بكر موجود في: بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث: ٢٨٨.

٢- الطبقات الكبرى ٣: ٣٦٤، تاريخ المدينة لابن شبة ٣: ٩٤٥.

وبقيت عائشة ساكنة في ذلك البيت بعد دفن النبي | ودفن أبي بكر وعمر، فلمّا دفن عمر بنت بينها وبين القبور جداراً، فكان عمر أول من بنى جدار الحجرة الشريفة وثنته عائشة، قال السمهودي في وفاء الوفاء: (روى ابن زباله عن عائشة (رض) أنّها قالت : ما زلت أضع خماري، وأتفضل في ثيابي حتّى دفن عمر، فلم أزل متحفظة في ثيابي حتّى بنيت بيني وبين القبور جداراً^(١)).

قال: وعن المطلب كانوا يأخذون من تراب القبر، فأمرت عائشة بجدار فضرب عليهم، وكانت في الجدار كوة، فكانوا يأخذون منها، فأمرت بالكوة فسدت^(٢).

قال : وقال ابن سعد في طبقاته بسنده عن مالك بن أنس: قسم بيت عائشة باثنين، قسم كان فيه القبر، وقسم تكون فيه عائشة ، وبينهما حائط، فكانت عائشة ربما دخلت حيث القبر فضلاً، فلمّا دفن عمر لم تدخله إلا وهي جامعة عليها ثيابها^(٣).

ثمّ قال : قال عبيد الله بن أبي يزيد: كان جداره قصيراً بناه عبد الله بن الزبير^(٤) انتهى^(٥).

فهؤلاء هم السلف الذين يزعم الوهابية أنّهم قدوتهم ويسمّون أنفسهم

١ - الطبقات الكبرى ٣: ٣٦٤، تاريخ المدينة لابن شبة ٣: ٩٤٥.

٢ - أضواء البيان ٨: ٣٥٢، سبل الهدى والرشاد ١٢: ٣٤٥.

٣ - الطبقات الكبرى ٢: ٢٩٤، عمدة القارئ ٨: ٢٢٧، كنز العمال ٧: ١٨٦.

٤ - وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٢: ٥٤٣ - ٥٤٤.

٥ - الطبقات الكبرى ٢: ٢٩٤، عمدة القارئ ٨: ٢٢٧، تحفة الأحوذى ٥: ٢٨٦، سبل الهدى والرشاد ٣: ٣٤٩.

السلفية، وهؤلاء أصحاب رسول الله | الذي يزعم الوهابية أنهم على طريقتهم عملاً بقوله | : «إِنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا هَالِكَةٌ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا هُوَ عَلَيْهِ وَأَصْحَابُهُ»،^(١) ثُمَّ قَالَ السَّمُودِي: (قَالَ الْأَقْشَهْرِيُّ قَالَ: أَبُو زَيْدِ بْنِ شَبَّةٍ: قَالَ أَبُو غَسَّانَ بْنُ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ، وَكَانَ عَالِمًا بِأَخْبَارِ الْمَدِينَةِ وَمِنْ بَيْتِ كِتَابَةِ وَعِلْمٍ: لَمْ يَزَلْ بَيْتَ النَّبِيِّ | الَّذِي دُفِنَ فِيهِ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ظَاهِرًا حَتَّى بَنَى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَيْهِ الْحِظَارَ الْمَزُورَ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ حِينَ بَنَى الْمَسْجِدَ فِي خِلَافَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَإِنَّمَا جَعَلَهُ مَزُورًا كَرَاهَةً أَنْ يَشْبَهَ تَرْبِيعُهُ تَرْبِيعَ الْكَعْبَةِ وَأَنْ يَتَّخِذَ قَبْلَةً فَيَصَلِّيَ إِلَيْهِ)^(٢).

أقول: وذلك أنه جعل الحِظَارَ بهيئة التربيعة، ولمَّا انتهت إلى الزاويتين اللتين من جهة الشمال أخذ منهما خطين مائلين حَتَّى التَقِيَا فِي جِهَةِ الشَّمَالِ، وَحَدَّثَ مِنْهُمَا زَاوِيَةً خَامِسَةً، وَذَكَرَ هَذَا الْحِظَارَ النَّوَوِيُّ فِي مَا سَيَأْتِي عَنْهُ فِي الْفَصْلِ الْحَادِي عَشَرَ.

ثُمَّ حَكَى السَّمُودِيُّ: (عَنْ رَوَايَةِ ابْنِ سَعْدٍ أَنَّهُ انْهَدَمَ الْجِدَارُ الَّذِي عَلَى قَبْرِ النَّبِيِّ | فِي زَمَانِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَأَمَرَ بِعِمَارَتِهِ. وَعَنْ رَوَايَةِ ابْنِ زُبَالَةَ: أَنَّهُ جَافَ بَيْتَ النَّبِيِّ | مِنْ شَرْقِيهِ، فَأَمَرَ عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ابْنَ وَرْدٍ أَنْ يَكْشِفَ عَنِ الْأَسَاسِ، فَظَهَرَ قَدَمَانِ، فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ لَا

١- سنن الترمذي ٤: ١٣٥ وصححه، مجمع الزوائد ١: ١٥٦، عمدة القارئ للعيني ١٨: ١٣٩، تحفة الأحوذى ٧: ٣٣٤، عون المعبود ١٢: ٢٤٠، المعجم الكبير ٨: ١٥٣، كتاب الغربة ٣١: ٣١، تخريج الأحاديث والآثار ١: ٤٤٨، الجامع الصغير ٢: ٤٤٥، الفتح السماوي ٢: ٦٢٢، كشف الخفاء ١: ١٥٠، نظم المتناثر من الحديث المتواتر ٦: ٤٦، سبل الهدى والرشاد ١٠: ١٥٩، شرح العقيدة الصحاوية ٢٨٩.

٢- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ٢: ٥٤٥ - ٥٤٧.

يروعنك فتانك قدما جدك عمر بن الخطاب، ضاق البيت عنه، فحفر له في الأساس.

وفي رواية البخاري من حديث هشام بن عروة أنّ القائل لهم ذلك هو عروة^(١).

قال السمهودي: وروي عن المطلب أنّه لما سقط الجدار من شق موضع الجنائز أمر عمر يعني ابن عبد العزيز بقباطي فخيّطت، ثمّ ستر بها، وأمر أبا حفصة وناساً معه فبنوا الجدار. وفي رواية أنّ عمر بن عبد العزيز دعا وردان البناء، فبناه بعدما ستر بالقباطي ومزاحم مولى عمر يناوله.

قال: ويستفاد من ذلك أنّ السبب في هذا البناء سقوط الجدار، ولعله بسبب المطر كما يشيد إليه بعض الروايات.

ويدل بعض الروايات التي نقلها أنّ سبب البناء أنّ الناس كانوا يصلون إلى القبر، فأمر به عمر بن عبد العزيز فهدم الحائط ورفع حتّى لا يصل عليه أحد، وبعضها أنّ الوليد بن عبد الملك لما اشترى حجر أزواج النبي | كتب إلى عمر بن عبد العزيز أنّ اهدمها ووسع بها المسجد فهدمها، فلمّا أن بنى البيت على القبر وهدم البيت الأوّل ظهرت القبور الثلاثة^(٢).

أقول: والظاهر أنّ عمر بن عبد العزيز لما انهدم حائط الحجرة الشريفة بناه، ثمّ لما وسع المسجد أزال بناء الحجرة كلّها وبناها جديداً وجعل لها حظّاراً، قال السمهودي: (وهذا البناء لم يبلغ به عمر بن عبد العزيز سقف المسجد

١ - صحيح البخاري ٣ : ١٠٧ باب ما جاء في عذاب القبر، الطبقات الكبرى ٣ : ٣٦٨ ذكر استخلاف عمر، إمتاع الأسماع ١٤ : ٦٠٤.

٢ - وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٢ : ٥٤٦ - ٥٤٧.

اتَّفَاقاً، بل فوقه شباك من خشب متصل بسقف المسجد.

قال : وروى ابن زبالة عن محمد بن هلال وعن غير واحد من أهل العلم أنَّ بيت رسول الله | الذي فيه قبره، وهو بيت عائشة الذي كانت تسكنه، وأنه مربع مبني بحجارة سود وقصة، أي جص، وبابه مسدود بحجارة سود وقصة، ثم بنى عمر بن عبد العزيز على ذلك البيت هذا البناء الظاهر^(١).

وقال السهودي: (إنَّه لم ير للبيت عند إنكشافه في العمارة التي أدركها باباً ولا موضع باب، ورآه مربعاً مبنياً بالأحجار السود المنحوتة)^(٢).

وحكى السهودي عن بعض العلماء في سبب ستر القبور ما وقع من وصية الحسن عليه السلام أن تحمل جنازته ويحضر بها قبر النبي | ، فظن طائفة أنَّ الحسين عليه السلام يريد دفنه في الحجرة، فمنعوه وقتلوه، فلما كان عبد الملك أو غيره سدوا وسترُوا^(٣).

ثم قال: (وفيما قدمناه إشعار بأنَّ موضع القبور كان مسقفاً تحت سقف المسجد كما يأتي التصريح به، ولهذا لما انكشف سقف المسجد رأوا ما بين الحظائر الظاهر والحجرة ولم يروا جوف الحجرة. ثمَّ استدل له بحديث جعل الكوة من قبر النبي | إلى السماء حتَّى لا يكون بينهما سقف وقد تقدم. إلى أن قال : ثمَّ اطلعنا في العمارة التي أدركناها على وجود سقف جعل بعد الحريق وعلى آثار السقف الذي كان قبله)^(٤).

١- المصدر السابق ٢: ٥٤٨.

٢- المصدر السابق ٢: ٥٤٩.

٣- المصدر السابق ٢: ٥٤٨.

٤- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٢: ٥٤٩ - ٥٥٠.

ثمَّ حكى عمارة أبي البخري والي المدينة لهارون الرشيد التي كشف فيها سقف المسجد مما يلي الحجرة الشريفة فوق القبر في جمادى الأولى سنة ١٩٣ هـ، فوجد فيه سبعين خشبة مكسورة، فأدخل مكانها خشباً صحاحاً^(١) إلخ.

فهذه أيضاً تصلح أن تعد من جملة عمارة الحجرة باعتبار أنها أرفعها. ثمَّ حكى عن ابن النجار أنه قال: (إنَّ المتوكل في خلافته أمر إسحاق بن سلمة وكان على عمارة الحرمين من قبله أن يؤزر الحجرة بالرخام ففعل، وكانت خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ هـ وتوفي سنة ٢٤٧ هـ)^(٢).

وقال السمعاني: (إن تآزير الحجرة بالرخام له ذكر في كلام يحيى بن عباد، وذكر الخبر عن حجر كان في بيت فاطمة كان رسول الله | يصلّي إليه إذا دخل على فاطمة، وكانت فاطمة عليها السلام تصلّي إليه، وولدت الحسين عليهما السلام عليه، وسيأتي في الفصل الرابع عشر. قال راوي الحديث: ولم يزل ذلك الحجر نراه حتى عمر الصانع المسجد ففقدناه عندما أزر القبر بالرخام، وكان الحجر لاصقاً بجدار القبر قريباً من المربعة)^(٣).

قال السمعاني: (قال بعض رواة كتاب يحيى: الصانع هذا هو إسحاق بن سلمة كان المتوكل وجه به على عمارة المدينة ومكة)^(٤) انتهى.

وحكى السمعاني عن ابن النجار أنه في خلافة المقتفي سنة ٥٤٨ جدد ذلك جمال الدين وزير بني زنكي وجعل الرخام حول الحجرة الشريفة قامة

١- المصدر السابق ٢: ٥٦١ - ٥٦٢.

٢- المصدر السابق ٢: ٥٧٢ - ٥٧٣.

٣- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٢: ٥٧٢ - ٥٧٣.

٤- المصدر السابق ٢: ٥٧٣.

وبسطه^(١).

وحكى في موضع آخر عن ابن النجار : (أنّ جمال الدين الأصفهاني الوزير المذكور عمل للحجرة الشريفة مشبكاً من خشب الصندل والأبنوس ، وأداره حولها مما يلي السقف ، أي على رأس الجدار الذي بناه عمر بن عبد العزيز، فإنّه لم يبلغ السقف كما مر)^(٢) انتهى.

وحكى أيضاً عن ابن النجار أنّه في كتابه الدرّة الثمينة: (في سنة ٥٤٨ سمعوا صوت هدة في الحجرة، فأخبروا أمير المدينة القاسم بن مهني الحسيني، فقال : ينزل من يرى هذه الهدّة، فاختاروا عمر النسائي شيخ شيوخ الصوفية بالموصل، فوجد ردماً إما من السقف أو من الحيّطان فأزاله)^(٣).

قال : (وقال : إنّ من سنة ٥٥٤ إلى زمانه لم يقع دخول إلى الحجرة، وقد توفي سنة ٦٤٣ هـ)^(٤).

ولكن حكى السهمودي: (عن الأقشهري بسنده عن الرّحال أحمد بن عاث أنّهم منذ قريب أربعين سنة سمعوا بالمدينة هدة في الحجرة الشريفة، فكتب في ذلك إلى الخليفة، فاستشار الفقهاء، فأفتوا أن يدخلها رجل فاضل من القومة على المسجد، فاختاروا بدر الضعيف، وهو شيخ فاضل من بني العبّاس، يصوم النهار ويقوم الليل، فدلي فوجد الحائط الغربي قد سقط، وهو حائط دون حائط الظاهر، فصنع له لبن من تراب المسجد فبناه، وكانت رحلته سنة ٦١٣ هـ.

١- المصدر السابق.

٢- المصدر السابق ٢ : ٥٧٤ - ٥٧٥.

٣- المصدر السابق ٢ : ٥٧٠.

٤- المصدر السابق ٢ : ٥٧١.

وقد قال: قريباً من أربعين سنة، فيكون ذلك في حدود سنة ٥٧٠ هـ ويكون في دولة المستضيئ^(١).

ثم احترق الحرم الشريف النبوي على ما ذكره السمهودي نقلاً عن المؤرخين (ليلة الجمعة أول شهر رمضان سنة ٦٥٤ هـ بسبب أن أحد الفراشين دخل إلى حاصل المسجد ومعه نار، فعلمت في بعض الآلات، وأعجزه طفيها، واحترق الحاصل والفراش والمسجد كله، ولم يسلم سوى القبة التي أحدثها الناصر لدين الله سنة ٥٧٦ لحفظ ذخائر الحرم، لكونها بوسط صحن المسجد، وبقيت سواي المسجد قائمة كأنها جذوع النخل إذا هبت الرياح تتمايل، وذاب الرصاص من بعض الأساطين، فسقطت ووقع السقف الذي كان على أعلى الحجرة على سقف بيت النبي | فوقها جميعاً في الحجرة الشريفة، وكتبوا بذلك للخليفة المستعصم بالله أبي أحمد عبد الله بن المستنصر بالله في شهر رمضان، فوصلت الآلات والصناع مع ركب العراق في الموسم، وابتدئ بالعمارة أول سنة ٦٥٥، وأرادوا إزالة ما وقع من السقوف على الحجرة الشريفة، فلم يجسروا، واتفق رأي أمير المدينة منيف بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا الحسيني وأكابر أهل الحرم أن يطالع الخليفة المستعصم بذلك، فكتبوا إليه فلم يأت الجواب للاشتغال بفتنة التتر، فتركوا الردم بحاله وأعادوا سقفاً محكماً فوقه على الحجرة الشريفة من الواح ثخينة جداً من الساج الهندي وسمروا بعضها إلى بعض على قوائم من خشب، وجعلوه أربع قطع كل قطعة كالباب العظيم، وجعلوا عند ملتقى كل قطعتين مقصات من جديد وكتبوا بعضها إلى بعض تكليفاً محكماً، وجعلوا تحته ثلاث جزم من الساج الهندي تحمله، ولم يجعلوا في تلك الألواح دهوناً ولا نقوشاً ولا كتابة، غير أن النجار كتب اسمه

١- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٢: ٥٦٩ - ٥٧٠.

على طرف السقف نقراً، وكذلك سقف المسجد المحاذي للحجرة الشريفة مما يلي هذا السقف جميعه من الساج النقي، ليس عليه دهان ولا نقوش، فسقفوا في سنة ٦٥٥ هـ الحجرة الشريفة وبعض المساجد، ثم دخلت سنة ٦٥٦ هـ فكان في المحرم منها استيلاء التتار على بغداد وقتل الخليفة، فوصلت الآلات من مصر، والمتولي عليها يؤمئذ الملك المنصور نور الدين علي بن الملك المعز عز الدين إيبك الصالحي، ووصلت آلات وأخشاب من صاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن منصور بن عمر بن علي ابن رسول، فعملوا إلى باب السلام، ثم عزل صاحب مصر آخر سنة ٦٥٧، وتولى مكانه مملوك أبيه الملك المظفر، وقتل بعد نحو أحد عشر شهراً، ولم تتم عمارة المسجد، وتولى مكانه مملوك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي البندقداري فكمل في أيامه سقف المسجد^(١).

وقال السهمودي : (إنَّ السلطان المذكور لما حج سنة ٦٦٧ أراد أن يجعل على الحجرة الشريفة مقصورة ، فعملها وأرسلها سنة ٦٦٨، وعمل لها أبواباً، وكانت نحو القامتين، فزاد عليها الملك العادل زين الدين كتبغا في سنة ٦٩٤ شباكاً دائراً عليها حتى وصلها بسقف المسجد، وقد صارت هذه المقصورة تعرف بالحجرة الشريفة وأبوابها وقناديلها بأبواب الحجرة وقناديلها)^(٢).

ثم عملت القبة الزرقاء وهي أول قبة عملت على الحجرة الشريفة قال السهمودي في وفاء الوفاء: (لم يكن قبل حريق المسجد الأول وما بعده على الحجرة الشريفة قبة ، بل كان حول ما يوازي الحجرة النبوية في سطح المسجد حظير مقدار نصف قامة، مبنياً بالآجر، تمييزاً للحجرة الشريفة عن بقية سطح

١- وفاء وفاء بأخبار دار المصطفى | ٢: ٥٩٨-٦٠٨، الفصل السادس والعشرون.

٢- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٢: ٦٠٥-٦٠٨ و ٦١٢.

المسجد، واستمر ذلك إلى سنة ٦٧٨ هـ في أيام الملك المنصور قلاوون الصالح، فعملت (القبة الزرقاء) ، وهي مربعة من أسفلها، مثمثة من أعلاها، بأخشاب أُقيمت على رؤوس السواري، وسمر عليها الواح من خشب، ومن فوقها الواح الرصاص، وفيها طاقة يرى المبصر منها سقف المسجد الأسفل، وحولها على سقف المسجد ألواح رصاص، ويحيط بها وبالقبة درابزين خشب مكان الحظير الآجر.

قال: ورأيت في الطالع السعيد الجامع أسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد في ترجمة الكمال أحمد بن البرهان عبد القوي الربعي ناظر قوص أنه بنى على الضريح النبوي هذه القبة المذكورة.

قال: وقصد خيراً وتحصيل ثواب^(١) انتهى.

أقول: ولم ينقل عن أحد من أهل العلم والدين الذين كانوا في زمانه أنهم أنكروا ذلك، لكون البناء على القبور وعقد القباب عليها شركاً أو محرماً، وكانت البلاد الإسلامية سيّما الحرمين الشريفين غاصة بالعلماء.

أمّا ما حكاه السمهودي في وفاء الوفاء من قول بعضهم: (أنّه أساء الأدب بعلو النجارين، ودق الخشب)^(٢)، فخارج عن المقام إن لم يكن مؤيداً لما نقوله من وجوب إحترام قبر النبي |، ومخالفاً لما تقوله الوهابية أو هو لازم قولهم من سقوط حرمة قبره |. مع أنّ هذا القول جمود وغباوة من قائله؛ لأنّ علو النجارين ودق الخشب ليس فيه قلة إحترام للمرقد الشريف، لأنّه مقدمة وواسطة لإعلاء شأنه ورفع مناره، فهو عين الإعظام والاحترام، مع أنّ الضرورات تبيح المحذورات، فما هو إلّا كصعود أمير المؤمنين علي عليه السلام

١- المصدر السابق ٢: ٦٠٨ - ٦٠٩، الفصل السابع والعشرون.

٢- المصدر السابق ٢: ٦٠٩.

على منكب النبي | يوم فتح مكة لإلقاء الأصنام عن ظهر الكعبة^(١). ولو كان ذلك منافياً للأدب لما أوصى صاحبان أن يدفنا بجانب النبي |، ولما نفذ الصحابة هذه الوصية مع استلزامها الضرب بالمساحي والمعاول والدق العنيف بجانب القبر الشريف، مع أن أم المؤمنين كانت تسمع صوت الوتد والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بالمسجد، فترسل إليهم: لا تؤذوا رسول الله | كما مر في هذا الفصل، وسيأتي عن كتاب تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة أن باني هذه القبة قلاوون الصالح، ولعل الاشتباه حصل من بنائها في أيامه .

قال السمهودي: (وقد جددت في أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، فاختلفت الألواح الرصاص عن وضعها، فخشوا من كثرة الأمطار، فجددت وأحكمت في أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد سنة ٧٦٥ هـ)^(٢).

وقال بعد ذلك: (أنه حصل خلل في سقف الروضة الشريفة وسقف المسجد في دولة الظاهر جقمق، فجدد ذلك في سنة ٨٣٥ هـ وما قبلها على يد الأمير برد بك الناصر المعمار وغيره.

١- مسند أحمد ١: ٨٤ ورواته ثقات، المصنف لابن أبي شيبه ٨: ٥٣٤، المستدرک للحاكم ٢: ٣٦٧ و ٣: ٥ وصح سندهما، مسند أبي يعلى الموصلي ١: ٢٥١، السنن الكبرى للنسائي ٥: ١٤٢، خصائص أمير المؤمنين: ١١٣، تخريج الأحاديث والآثار ٢: ٢٨٨، مجمع الزوائد ٦: ٢٣ وصرح بوثاقة رجال السند، كشف الغمة ١: ٥٧٩، السيرة الحلبية ٣: ٢٩، صفوة الصفوة ١: ١١٩، كنز العمال ١٣: ١٧٢ وقال: (ش، ع، حم وابن جرير، ك وصححه، خط)، نظم درر السمطين: ١٢٥، تاريخ بغداد ١٣: ٣٠٤، عمدة القارئ ١٦: ٢١٥، الدرر: ٢٢١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١: ٢١٧.

٢- وفاء وفاء بأخبار دار المصطفى | ٢: ٦٠٩ - ٦١٠.

قال: وظهر في بعض أخشابها خلل سنة ٨٨١ هـ فعضدها متولي العمارة الشمسي بن الزمن بأخشاب سمرة معها، وقلع ما حولها من ألواح الرصاص التي على أعلى السطح بينها وبين الدرابزين المتقدم ذكره، فوجدوا الأخشاب تحتها قد تآكلت، فأصلحوها وأعادوا الألواح وأضافوا إليها كثيراً من الرصاص، وجددوا الدرابزين، وكانت مياه الأمطار تتسرب من بين تلك الألواح وتصل إلى سقف الحجرة الشريفة، وأثرت في الشباك الذي بأعلى حائز عمر بن عبد العزيز، فتآكل بعضه، فأصلحه وفي الستارة التي على سقف الحجرة الشريفة فتآكل بعضها^(١).

وذكر السمهودي أيضاً في وفاء الوفاء ما يستفاد منه : (إنه لما ورد شاهين الجمالي المدينة المنورة منصرفه من جدة أروه الحائز الخمس على الحجرة الشريفة ، لانشقاق فيه قديم، فتقرر أنه ليس بضروري؛ لأنه شق قديم في طول الحائط لا في عرضه، مملوء بالجص، والحائط ليس عليه سقف ، ثم في سنة ٨٨١ وردت المراسيم من الملك الأشرف قاتباي صاحب مصر بتفويض أمر العمارة للجناب الشمسي بن الزمن.

إلى أن قال : ثم كان ما تقدم من نقض الرخام المؤزر به جدار الحجرة الظاهر وتجديده ، فظهر الشق المتقدم ذكره، وهو انشقاق قديم ، سد الأقدمون خلله بكسر الآجر، وأفرغوا فيه الجص، وبيضوه بالقصة، فانشق البياض من رأس وزرة الرخام إلى رأس الجدار، فقشروا البياض وأخرجوا ما في خلله من الجص والآجر، فظهر بناء الحجرة المربع الذي هو جوف البناء الخمس المذكور، وظهر شق في جدار الحجرة الداخل تدخل اليد فيه ، فعقدوا لذلك مجلساً حضره العلماء والقضاة والمشائخ والخدام وشيوخهم، وقر رأيهم على

١- المصدر السابق ٢: ٦١٠.

الهدم والبناء ، فشرعوا في الهدم والتنظيف ، وظهر من وصف البناء الداخل ما قدمناه من كونه مربعاً بأحجار منحوتة، ولا باب فيه ولا موضع باب، وتبين ما في الجدار الداخل من الانشقاق في موضعين، فعزم متولي العمارة على هدم جدار الحجرة الداخل من جهة الشام بأجمعه، فبدأ برفع السقف الذي وجد على الحجرة نفسها، ثمَّ عزموا على عقد قبة سفلية (أي تحت القبة الزرقاء المتقدم ذكرها) على جدار الحجرة الداخل رعاية للإتقان والإحكام ، فشرعوا في هدم الجدار الشامي والشرقي من البناء الداخل، فوجدوا في بعض الجدر لبناً غير مشوي طول اللبنة أرجح من ذراع، وعرضها نصف ذراع، وسمكها ربع ذراع، وطول بعضه وعرضه وسمكه واحد، وهو نصف ذراع.

قال: وظهر لي أنَّ السلف لما بنوا الحجرة الشريفة بالأحجار لقصد الإحكام والبقاء، وكان ما عدا الأساس منها مبنياً باللبن في عهده | ، وضعوا في البناء بعض اللبن بين الأحجار للبركة.

والعجب أنَّ الشق لم يظهر إلا في الجهة الخالية من اللبن، والذي يظهر أنَّ تلك الجهة سقطت وأعيدت، لاختلاف البنائين، حتَّى أنَّ الجدار الشرقي لم يكن مبنياً بالحجارة الموجهة إلا من داخله دون خارجه ، وكتبوا محضراً وأرسلوه إلى ملك مصر بصورة الحال، ثمَّ هدموا من الجدار القبلي مما يلي المشرق جانباً نحو أربعة أذرع حتَّى بلغوا به أرض الحجرة، وهدموا من الجدار الغربي مما يلي الشام نحو خمسة أذرع حتَّى بلغوا به الأرض، وذلك ليتأتى لهم إحكام القبة التي عزموا عليها، ولم يبق من أركان الحجرة الشريفة سوى مجمع جداري القبلة والمغرب، ثمَّ هدموا من علو ما بقي من الجدارين المذكورين نحو خمسة أذرع، فلم يبق من بناء الحجرة إلا ما فضل منهما، وراموا تربيع القبة، فعقدوا قبوا على نحو ثلث الحجرة من جهة الشرق؛ لأنَّها من تلك الجهة أطول، وعقدوا القبة على ما بقي من الحجرة بالأحجار المنحوتة من الحجر الأسود، وكملوها بالأبيض، وارتفاعها من داخل أرض الحجرة الشريفة إلى

أعلاها المغروز فيه هلالها إثنا عشر ذراعاً بذراع العمل، وارتفاع حائطها عن طرف القبو الذي بني عليه الحائط ذراعان إلا ثلث بذراع العمل، وبيضوا تلك القبة وجميع جدرانها من خارجها بالجص، ونصبوا بأعلاها هلالاً من نحاس، وهو قريب من سقف المسجد الأول، فإنّ هذه القبة تحته، فصار على القبر الشريف قبتان، هذه القبة والقبة الزرقاء التي فوقها، وكان شروعاتهم في هدم الحجرة الشريفة في الحادي عشر أو الرابع عشر من شهر شعبان سنة ٨٨١ هـ، وشروعاتهم في إعادة بناء الحجرة في السابع عشر منه من السنة المذكورة، وفراغهم من بناء الحجرة والقبة سابع شوال من تلك السنة، ثمّ احترق ذلك كلّ في حريق المسجد الثاني^(١) انتهى ما يستفاد من كلام السمهودي.

الحريق الثاني في المسجد النبوي الشريف وعمل القبة البيضاء

قال السمهودي ما حاصله: (إنّه في الثلث الأخير من سنة ٨٨٦ هـ ليلة الثالث عشر من شهر رمضان احترق مسجد النبي | في المدينة المنورة، وسبب ذلك أنّ رئيس المؤذنين شمس الدين محمد بن الخطيب قام يهلهل حينئذٍ بالمنارة الشرقية اليمانية المعروفة بالرئيسية، وصعد المؤذنون بقية المنائر، وقد تراكم الغيم، فحصل رعد قاصف أيقظ النائمين، وسقطت صاعقة أصاب بعضها هلال المنارة المذكورة، فأودت بحياة الرئيس ومات لحينه صعقاً، وسقطت في المسجد ولها لهيب كالنار، فأصابت سقف المسجد الأعلى بين المنارة الرئيسية وقبة الحجرة النبوية، فثقت به ثقلاً كالترس، وعلقت النار فيه وفي السقف الأسفل، ونودي بالحريق في المسجد، فاجتمع أمير المدينة الشريف

١- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٢: ٦١٧ - ٦٣٢ بتلخيص من المؤلف.

زين الدين فيصل الجمازي وأهلها، وصعد أهل النجدة بالمياه لإطفائها، فعجزوا عن ذلك، فحاولوا قطعها بهدم بعض ما أمامها، فسبقتهم، ومات بسبب ذلك بضعة عشر نفساً.

واحترقت المنارة الرئيسية، واحترقت ثياب الرئيس بعد موته، وصار المسجد كالتنور، واستولى الحريق على جميع سقفه وحواصله وما فيه من خزائن الكتب إلا اليسير الذي أمكنهم إخراجه، ولما اشتعلت النار في السقف المحاذي للحجرة الشريفة ذاب الرصاص من القبة التي بسقف المسجد الأعلى، واحترقت أخشابها وما يحاذيها من السقف الأسفل والشباك الدائر على حائز عمر بن عبد العزيز، وسقط ما سقط من ذلك على القبة السفلى، فلما أصبحوا بدأوا بإطفاء ما سقط على القبة المذكورة، فسلمت، وسقط من المسجد مائة وبضع وعشرون إسطواناً، وما بقي أثرت فيه النار، وسلمت الأساطين اللاصقة بجدار الحجرة، واحترقت المقصورة التي كانت حول الحجرة الشريفة والمنبر وغير ذلك، وكتبوا إلى سلطان مصر الملك الأشرف قاتباي بذلك، ونظفوا ما حول الحجرة الشريفة، وأداروا عليها جداراً من الآجر في موضع المقصورة المحترقة، وجعلوا فيها شبايك وطاقات وأبوابها.

ولما وصل الرسول إلى مصر، وعلم سلطانها بذلك، عظم عليه، وأمر بتنظيف المسجد، واهتم في أمر العمارة، وأمر بإبطال عمائره المكية، بتوجه القيم عليها الأمير سنقر الجمالي صحبة الحاج الأول بما يزيد عن مائة صانع مع كثير من الدواب والجمال، وصحبته وصحبة أخيه الشجاعى شاهين والأمير قاسم الفقيه شيخ الحرم الشريف عشرون ألف دينار، وشرع السلطان في تجهيز الآلات والمؤن حتى كثرت في الطور وينبع والمدينة الشريفة، وجهز شمس الدين بن الزمن متولي العمارة الأولى في ربيع الأول سنة ٨٨٧، ومعه أكثر من

مائي جمل، ومائة دابة ، وأزيد من ثلثمائة صانع، وشرعوا في الهدم والتعمير، فعمروا المسجد، وجعلوا على ما يحاذي الحجرة الشريفة وما حوله قبة عظيمة على دعائم بأرض المسجد وعقود من الآجر وهي (القبة البيضاء) بدلاً عن القبة الزرقاء التي كانت قبل الحريق.

والظاهر أنهم بنوها من الحجر أو الآجر لا من الخشب.

وكانت تلك على رؤوس السواري، وجعلوا تلك الدعائم في موازاة الأساطين التي كان بينها درابزين المقصورة، وأحدثوا اسطواناً في جانب مثلث الحجرة من بناء عمر بن عبد العزيز، ليشتد به العقد الذي عليه القبة في تلك الناحية، وزادوا دعامتين وعقدّاً إلى جانب الاسطوانتين اللتين في جهة الوجه الشريف، خشية من سقوط القبة، وأبدلوا بعض الأساطين بدعائم، وأضافوا إلى بعضها اسطوانة أخرى، وعقدوا العقود المتصلة بهذه القبة من المشرق والشام، وجعلوها قبواً بدل السقف، وأعادوا ترخيم الحجرة الشريفة وما حولها، وأزالوا البناء الذي عمله أهل المدينة في موضع المقصورة المستديرة بالحجرة الشريفة، وأبدلوا ما يلي القبة من ذلك بشبائيك من النحاس وبأعلاها شبكة من شريط النحاس كهيئة الزرد ، وجعلوا لبقيتها مما يلي الشام مشبكاً مشاجراً من الحديد، وفاصلاً عن يمين مثلث الحجرة ويساره، فيه بابان، وكمل تعمير المسجد في أواخر شهر رمضان عام ٨٨٨ هـ.

ثمّ إنّ القبة تشققت من أعاليها فرممت، ثمّ تشققت ولم يقد فيها الترميم، فأرسل الملك الأشرف الشجاعى شاهين الجمالي لما اشتمل عليه من الفضل والنبل وإصابة الرأي، وفوض إليه النظر في أمرها، فورد المدينة الشريفة في موسم عام ٨٩١ هـ ، فاقتضى الحال هدم أعالي القبة، فاتخذوا في الطاقات المحيطة بجوانبها سقفاً يمنع من سقوط ما يهدم منها إلى أرض الحجرة الشريفة، ثمّ شرع في هدمها وإعادةها بحيث لم يرفع كسوة الحجرة الشريفة،

فجاءت القبة حسنة مع الاتقان حتّى إنّه استصحب الجبس من مصر واستعمله في البناء، وكملت في عام ٨٩٢ هـ.

ثمّ حكى عن ابن النجار أنّه قال: ولم يزل الخلفاء من بني العبّاس ينفذون الأمراء على المدينة الشريفة ويمدونهم بالأموال، لتجديد ما ينهدم من المسجد النبوي، ولا شكّ أنّ الحجرة الشريفة وقبتها من جملة ذلك، فلم يزل ذلك متصلاً إلى أيام الناصر لدين الله، أي الخليفة في زمنه، فإنّه ينفذ في كلّ سنة من الذهب العين الأمامي ألف دينار لعمارة المسجد، وينفذ من الصناعات عدة، لكون مادتهم مما يأخذونه من الديوان ببغداد من غير هذه الألف، وينفذ من الحديد والرصاص والآلات شيئاً كثيراً.

قال: ولمّا انتقل أمر المدينة الشريفة إلى ملوك مصر لم يزل ملوكها يهتمون بعمارة هذا المسجد الشريف^(١) انتهى ما اقتطفناه من كلام السهمودي في وفاء الوفاء الذي كان عمل القبة البيضاء بدل الزرقاء في عصره.

ولم يزل ملوك بني عثمان الذين كانت إليهم الخلافة الإسلامية يبعثون بالأموال الكثيرة لعمارة قبر النبي | وحجرته وقبته ومسجده، وقد جدد عمارة المسجد والقبة الشريفة النبويّة بالبناء المحكم الموجود اليوم منهم السلطان عبد المجيد، وابتدأ بذلك سنة ١٢٧٠ هـ، واستمر في تعميره نحو أربع سنين، والبناء الذي كان قبله تعمير السلطان قاتباي سلطان مصر، وأمر ببناء قبة أئمة البقيع بعين البناء الذي تبنى به قبة جدّهم |، فعارض في ذلك أهل المدينة ومنعوا من بناء قبة أئمة البقيع وتغييرها، واعتلوا بأنّ حولها قبور آبائهم وأجدادهم، ويصيبها ضرر بواسطة الهدم والتعمير، كما أنّه لمّا عمل في زماننا

١- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٢: ٦٣٣ - ٦٤٧، الفصل التاسع والعشرون. باختصار من المؤلف.

شباك لضريحهم الشريف بإصفهان من الفولاذ الدقيق الصنعة وبأعاليه الأسماء الحسنى بالخط الجميل المذهب، واستأذنت الدولة الإيرانية من الدولة العثمانية في وضعه على ضريحهم المقدس، فأذنت لها، ولمّا جاء به السيّد علي القطب & إلى جدّه عارض أهل المدينة في وضعه على الضرائح المقدّسة، فبقي في جدة ثلاثة أعوام حتّى بذل الإيرانيون مبلغاً من المال لأهل المدينة، فرضوا بنقله ووضعه، ولمّا حمل إلى المدينة المنورة أرادوا إزالة الصندوق الخشب الموضوع على القبور الشريفة ووضعه مكانه، فمنع أهل المدينة من ذلك، بحجّة أنّ صندوق الخشب وقف لا يجوز تغييره، فاضطروا إلى وضعه خارج الصندوق، فنقصت الواحة الفولاذية بسبب ذلك، فاضطروا إلى إكماله بقطعة من الخشب بعد دهنها بما يقرب من لونه، والكتابة عليها، وقد رأيت القطعة الخشبية ظاهرة فيه مقصرة عنه في الرونق عند تشرفي بزيارة المدينة المنورة بعد الحج عام ١٣٢١ هـ، وبعد ذلك عند تشرفي بزيارتها من دمشق عام ١٣٣٠ هـ، وبقي هذا الشباك حتّى أزاله الوهابية عام ١٣٤٣ هـ حين استيلائهم على المدينة المنورة وهدمهم لقبة أئمة البقيع وقبورهم المقدّسة وتشويههم لمحاسن تلك البقعة الشريفة في التاريخ المتقدم.

وبما بيّناه وأوضحناه من أنّ بناء الحجرة الشريفة كان قبل موت النبي |، وفهم مما رووه عنه إيصاؤه بدفنه فيها، وتتابع الصحابة والتابعون وتابعوهم والمسلمون إلى يومنا هذا في بنائها وبناء القباب عليها؛ ظهر لك بطلان ما ذكره محمّد بن إسماعيل اليماني في رسالته تطهير الاعتقاد بقوله: (فإن قلت: هذا قبر رسول الله | قد عمرت عليه قبة عظيمة أنفقت فيها الأموال؟

قلت: هذا جهل عظيم بحقيقة الحال، فإنّ هذه القبة ليس بناؤها منه | ولا من أصحابه ولا من تابعيهم وتبع التابعين، ولا من علماء أئمة وأئمة ملته، بل هذه القبة من أبنية بعض ملوك مصر المتأخرين، وهو قلاوون الصالحي

المعروف بالملك المنصور في سنة ٦٧٨، ذكره في تحقيق النصره بتلخيص معالم دار الهجرة، فهذه أمور دولية لا دليلية يتبع فيها الآخر الأول^(١) انتهى. وذلك أنّ هذه القبة وإن بناها قلاوون الصالحي إلاّ أنّه تبع في بنائه أصحاب النبي | الذين دفنوه في حجرة مبنية، ثمّ بنتها عائشة وعمر وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز، وتتابع المسلمون في بنائها وفيهم التابعون وتابعو التابعين وعلماء الأئمة وأئمة الملة، وكانوا يستشيرون العلماء والأئمة في ذلك، بل تكتب إليهم العلماء وتطلب منهم ذلك كما عرفت في تضعيف ما ذكرناه من تاريخ بناء الحجرة من مبدئه إلى منتهاه. وبذلك تعلم أنّها أمور دليلية لا دولية كما زعم.

فتحصل من مجموع ما ذكرناه أنّ تعظيم قبر النبي | وقبور سائر الأنبياء ببناء القباب عليها، وعمل الشباك والكسوة وغير ذلك مما يأتي؛ راجح شرعاً لا مانع منه، ولا يعد عبادة لها كما توهمه الوهابية؛ لأنّها مما أمر الله بتعظيمه، فتعظيمها عبادة لله وطاعة له كما بيّناه في فصل مطلق تعظيم القبور. أمّا باقي ما اشتملت عليه الفتوى من اتّخاذ القبور مساجد وإسراجها والتمسح والطواف بها وتقيلها فسيأتي الكلام عليها في الفصول الخاصة بها. وأمّا الذبح والنذر ودعاء أهلها فقد مرّ الكلام عليها، كلّ في فصله الخاص به.

وأمّا التوجه إلى حجرة النبي | عند الدعاء فمرّ الكلام عليه في آخر فصل التوسل.

وأمّا التذكير والترحيم في الأوقات المذكورة فمرّ الكلام عليه في الباب

١- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد: ٥١٢ المطبوع ضمن الجامع الفريد.

* * *

الفصل العاشر في الكتابة على القبور

وهذا مما منعه الوهابية، محتجين بما رواه ابن ماجة عن عبد الله بن سعيد، عن حفص بن غياث، عن ابن جريح، عن سليمان بن موسى، عن جابر: «نهى رسول الله | أن يكتب على القبور شيء»،^(١) وبما مر في الفصل التاسع من رواية الترمذي: «نهى رسول الله | أن تجصص القبور، وأن يكتب عليها»^(٢)، ورواية أبي داود أنه | : «نهى أن يجصص القبر، أو يكتب عليه»^(٣)، ورواية النسائي: «نهى رسول الله | أن يبنى على القبر - إلى قوله - أو يكتب عليه»^(٤).

والجواب: أولاً : بضعف السند، فحديث ابن ماجة في سنده حفص بن غياث، وابن جريح، وقد علمت حالهما في الفصل التاسع.

-
- ١- سنن ابن ماجة ١: ٤٩٨، شرح سنن النسائي للسيوطي ٤: ٨٧، عون المعبود في شرح سنن أبي داود ٩: ٣٣، المعجم الأوسط ٧: ٣٥١، الجامع الصغير ٢: ٦٨٧، كنز العمال ١٥: ٦٥٠.
 - ٢- سنن الترمذي ٢: ٢٥٨ وصححه، عمدة القارئ للعيني ٤: ١٩٤، عون المعبود ٩: ٣٣، فيض القدير شرح الجامع الصغير ٦: ٤٠٢، إرواء الغليل ٣: ٢٠٧، ميزان الاعتدال ٤: ٣٦٨.
 - ٣- سنن أبي داود ٢: ٨٥، سنن النسائي ٤: ٨٦، المستدرک للحاكم ١: ٣٧٠ وصححه، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٤، تحفة الأحوذى ٧: ٤١٦، منتخب مسند عبد بن حميد: ٣٢٥، السنن الكبرى للنسائي ١: ٦٥٢، معرفة السنن والآثار ٣: ١٩١.
 - ٤- سنن النسائي ٤: ٨٦، تحفة الأحوذى في شرح سنن الترمذي ٤: ١٣٣، السنن الكبرى للنسائي ١: ٦٥٢.

وفيه سليمان بن موسى عن جابر، وهو مرسل، قال ابن حجر في تهذيب التهذيب: (أرسل سليمان بن موسى عن جابر. وقال ابن معين: سليمان بن موسى عن جابر مرسل. وقال أبو حاتم: في حديثه بعض الاضطراب. وقال البخاري: عنده مناكير. وقال النسائي: ليس بالقوي في الحديث، وقال: في حديثه شيء) (١) انتهى.

وباقى الأحاديث قد عرفت حالها في الفصل التاسع، والحاكم وإن صحح بعضها كما ستعرف، فالجرح مقدّم على التعديل. فهذا حال الأحاديث التي يعتمد عليها الوهابية في مخالفة سيرة المسلمين وتضليلهم!!

ثانياً: إنها محمولة على الكراهة في صورة لا يكون للكتابة فائدة، أما مع الفائدة ليعرف فيتعاهد بالزيارة والاستغفار وإهداء ثواب القراءة وغير ذلك فلا، وقرينه الكراهة جمعها مع غيرها مما ثبتت كراهته كما مر في الفصل التاسع. ويمكن حمل الكتابة على كتابة الآيات القرآنية وأسماء الله تعالى، خوفاً عليها من الإهانة.

ثالثاً: إنه لم يعمل بها أحد من المسلمين وعملهم مخالفاً لها، وما هذا حاله من الأخبار لا حجة فيه باعتراف الوهابية، لاشتراطهم في حجّة الخبر عدم الشذوذ والعلة كما مر في الفصل التاسع، وكفى بما ذكر شذوذاً وعلة، قال محمد بن عبد الهادي المعروف بالسندي في حاشية سنن النسائي عند قوله: (أو يكتب عليه): قال الحاكم بعد تخريج هذا الحديث في المستدرک: الإسناد صحيح، وليس العمل عليه، فإن أئمة المسلمين من الشرق والغرب يكتبون على قبورهم، وهو شيء أخذ الخلف عن السلف.

١- تهذيب التهذيب ٤: ١٩٨، وضعفه كذلك الذهبي في الكاشف ١: ٤٦٤ ت ٢١٣٣، وعدّه ابن حجر في طبقات المدلسين: ٦٣ منهم.

وتعقبه الذهبي في مختصره بأنه محدث ولم يبلغهم النهي^(١) انتهى.
وهذا الاعتذار الذي ذكره الذهبي ليس بصحيح، إذ من أين لنا العلم بأنه
لم يكن في الزمن الأول، مع أنه يكفي اتفاقهم عليه في عصر من الأعصار؛ لأنه
يصير بذلك إجماعاً، فكيف باتفاقهم أعصاراً وقروناً متعددة؟!
وقوله: (لم يبلغهم النهي) مقطوع بفساده، فهذا النهي كان معلوماً عند
العلماء، ولولا هم لم يصل إلينا.

ويدل على استمرار السيرة على الكتابة على القبور من عهد بعيد ما في
وفاء الوفاء (عن المسعودي في مروج الذهب: أن أبا عبد الله جعفر بن محمد
بن علي بن الحسين توفي سنة ثمان وأربعين ومائة ودفن بالقيع مع أبيه وجده،
قال: وعلى قبورهم في هذا الموضع من القيع رخامة مكتوب عليها: (بسم الله
الرحمن الرحيم، الحمد لله مبيد الأمم ومحبي الرمم، هذا قبر فاطمة بنت رسول
الله | سيدة نساء العالمين، وقبر الحسن بن علي، وعلي بن الحسين بن علي،
وقبر محمد بن علي، وجعفر بن محمد^(٢)) انتهى.

وذكر ما يقتضي أنه حين ذكر هذا كان في سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة.
وفيه: (عن ابن شبة، عن زيد بن السائب، عن جده قال: لما حفر عقيل بن
أبي طالب في داره بئراً وقع على حجر منقوش مكتوب فيه: هذا قبر أم حبيبة
بنت صخر بن حرب، فدفن عقيل البئر وبني عليه بيتاً.

١- حاشية السندي على النسائي ٤: ٨٧، شرح سنن النسائي للسيوطي ٤: ٨٧، تحفة
الأحوذى ٤: ١٣٣.

٢- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٣: ٩٠٥، قبر بعض أبناء الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام،
مروج الذهب ٣: ٢٨٥.

قال ابن السائب: فدخلت ذلك البيت فرأيت فيه ذلك القبر^(١).

ثمَّ قال السمهودي: (روى ابن شبة عن محمد بن يحيى قال: سمعت من يذكر أنَّ قبر أم سلمة (رض) بالبقيع حيث دفن محمد بن زيد بن علي، وأنَّه كان حفر فوجد على ثمانية أذرع حجراً مكسوراً مكتوباً في بعضه: أم سلمة زوج النبي |، فبذلك عرف أنَّه قبرها، وأمر محمد بن زيد بن علي أهله أن يدفنوه في ذلك القبر بعينه)^(٢).

قال: (وروى ابن زبالة، عن إبراهيم بن علي بن حسن الرافعي قال: حفر لسالم البانكي مولى محمد بن علي، فأخرجوا حجراً طويلاً، فإذا فيه مكتوب: هذا قبر أم سلمة زوج النبي |، فأهيل عليه التراب، وحفر لسالم في موضع آخر.

قال: وعن حسن بن علي بن عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي أنَّه هدم منزله في دار علي بن أبي طالب، قال: فأخرجنا حجراً مكتوباً فيه، هذا قبر رملة بنت صخر، فسألنا عنه فائداً مولى عبادل، فقال: هذا قبر أم حبيبة بنت أبي سفيان.

قال: ويخالفه ما تقدم من أنَّ قبرها في دار عقيل، ولعله تصحف بعلي)^(٣) انتهى.

ويتضح من ذلك جلياً أنَّ الكتابة على القبور سيرة المسلمين من عهد الصحابة وما بعدهم، فعقيل من الصحابة، وقد وجد الحجر المكتوب على قبر أم حبيبة، ومحمد بن زيد وجده على قبر أم سلمة.

١- تاريخ المدينة لابن شبة ١: ١٢٠.

٢- المصدر السابق.

٣- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٣: ٩١٢، قبور أمهات المؤمنين.

الفصل الحادي عشر

في اتخاذ المساجد على القبور واتخاذها مساجد

إعلم أنه ورد في بعض الأخبار ما يفيد النهي عن ذلك، روى النسائي : «أخبرنا قتيبة، حدثنا عبد الوارث بن سعيد، عن محمد بن جحادة، عن أبي صالح، عن ابن عباس: لعن الله زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج»^(١) وروى ابن ماجه : « حدثنا أزهر بن مروان، ثنا عبد الوارث، ثنا محمد بن جحادة، عن أبي صالح، عن ابن عباس: لعن رسول الله | زوارات القبور»^(٢) ، ورواه ابن ماجه بأسانيد عن سفيان بن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن عبد الرحمن بن بهمان، عن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، عن أبيه مثله^(٣).

حدثنا محمد بن خلف العسقلاني أبو نصر، ثنا محمد بن طالب، ثنا أبو عوانة، عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة مثله^(٤).

١- مسند أحمد ١: ٣٢٩، سنن أبي داود ٢: ٨٧، سنن الترمذي ١: ٢٠١، سنن النسائي ٤: ٩٥، المستدرک للحاکم ١: ٣٧٤، السنن الکبری للیهقي ٤: ٧٨، مسند ابن الجعد ٢٢٤: ٢٢٤، المصنّف لابن أبي شیبة ٣: ٢٢٥، صحیح ابن حبان ٧: ٤٥٢، المعجم الکبیر ١٢: ١١٥، موارد الضمّان ٣: ٦٥، الجامع الصغیر ٢: ٤٠٨، إرواء الغلیل ٣: ٢١١، تمام المنة ٢٩٧.

٢- سنن ابن ماجه ١: ٥٠٢، فتح الباری ٣: ١١٨، المصنّف للصنعاني ٣: ٥٦٩، الآحاد والمثاني ٤: ١٠١، المعجم الکبیر ٤: ٤٢، ناسخ الحديث ومنسوخه ٣٧١، الاستذکار لابن عبد البر ١: ١٨٤.

٣- سنن ابن ماجه ١: ٥٠٢.

٤- مسند أحمد ٢: ٣٥٦، سنن ابن ماجه ١: ٥٠٢، سنن الترمذي ٢: ٢٥٩، مسند أبي داود الطيالسي ٣١١، مسند أبي يعلى الموصلي ١٠: ٣١٤.

ورواه أبو داود بلفظ: «زوارات القبور»^(١) على ما نقله ابن تيمية في رسالة زيارة القبور، وكذا ابن ماجه كما سمعت.

وفي صحيح البخاري باب (ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور): «لَمَّا مات الحسن بن الحسن بن علي ضربت امرأته القبة على قبره سنة، ثُمَّ رفعت»^(٢)، ثُمَّ ذكر حديث عائشة عن النبي | : «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مسجداً».

قالت: ولولا ذلك لأبرزوا قبره، غير أنني أخشى أن يتخذ مسجداً»^(٣)، ورواه مسلم إلا أنه قال: «مساجد فلولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً»^(٤)، ورواه مسلم والنسائي أيضاً إلى قوله: «قالت»، وفي بعضها يحذر مثل ذلك.

وفي رواية لمسلم: «قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(٥) وفي رواية له: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم

١- سنن أبي داود ٨٧: ٢ لكن بلفظ جزائرات القبور، المصنّف لابن أبي شيبة ٣: ٢٢٦، زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ١: ٢٧. ولا يؤخذ بكلام ابن تيمية، لأنه كثيراً ما ينقل عن حفظه كما ذكروا في ترجمته فلعله اشتبه في النقل.

٢- صحيح البخاري ٢: ٩٠ باب في الجنائز، كتاب الهوائف لابن أبي الدنيا: ٩٢، تعليق التعليق ٢: ٤٨٢.

٣- صحيح البخاري ٢: ٩٠.

٤- صحيح مسلم ٢: ٦٧ باب النهي عن بناء المساجد على القبور، المصنّف لابن أبي شيبة ٢: ٢٦٩، مسند ابن راهوية ٢: ٢٦٣، مسند أحمد ٦: ٢٥٥، سنن النسائي ٥: ٩٥.

٥- صحيح مسلم ٢: ٦٧ باب النهي عن بناء المساجد على القبور، سنن أبي داود ٢: ٨٥، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٨٠، مجمع الزوائد ٢: ٢٧، المصنّف للصنعاني ١: ٤٠٦، مسند ابن راهوية ٣: ٧٣٨، منتخب مسند عبد بن حميد: ١٠٩.

مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك»^(١)، وروى النسائي بسندٍ فيه قتاده، عن سعيد بن المسيب^(٢) : « لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(٣)، وبسنده : « لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(٤)، وروى البخاري أنّ أم سلمة وأم حبيبة ذكرتا كنيسة رأتها بالحبشة اسمها مارية، فذكرتا من حسنهما وتساویر فيها، فقال رسول الله | : « أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح

بنوا على قبره مسجداً، ثمّ صوروا فيه تلك الصورة، أولئك شر الخلق عند الله»^(٥)، وروى مسلم والنسائي نحوه وقالوا : « فيها تصاویر» وقالوا : « عند الله

١- صحيح مسلم ٢: ٦٨، المصنّف لابن أبي شيبة ٢: ٢٦٩، صحيح ابن حبان ١٤: ٣٣٤، المعجم الكبير ٢: ١٦٨، نظم المتنائر من الحديث المتواتر : ١٢١، إرواء الغلیل ١: ٣١٨.

٢- قتادة روى بالقدر، وبأنه حاطب ليل يأخذ عن كلّ أحد، وبأنه حدث عن ثلاثين رجلاً لم يسمع منهم إلى غير ذلك مما حكاه ابن حجر في تهذيب التهذيب، ثمّ قال: (قال إسماعيل القاضي في أحكام القرآن: سمعت عليّ بن المديني يضعف أحاديث قتادة عن سعيد بن المسيب تضعيفاً شديداً. وقال : أحسب أن أكثر ما بين قتادة وسعيد فيها رجال) انتهى. ولعلنا لو بحثنا عن باقي أسانيد هذه الأخبار نجد فيها أمثال هذا كثير، لكن لم يتسع لنا الوقت للبحث عن جميعها (المؤلف). راجع : تهذيب التهذيب ٨: ٣١٩

٣- مسند أحمد ٦: ١٤٦، وصححه محقق المسند الشيخ شعيب الأرناؤوط، سنن النسائي ٤: ٩٥، السنن الكبرى للنسائي ١: ٦٥٨، صحيح ابن حبان ٦: ٩٦، المعجم الأوسط ٧: ٣٦٢.

٤- مسند أحمد ٢: ٣٦٦، صحيح البخاري ١: ١١٠ باب فضل استقبال القبلة، مجمع الزوائد ٢: ٢٨، مسند أبي داود الطيالسي: ٨٨، السنن الكبرى للنسائي ١: ٦٥٨، المعجم الكبير ١: ١٦٤، التمهيد ٩: ٤٢.

٥- مسند أحمد ٦: ٥١، صحيح البخاري ١: ١١٠، صحيح مسلم ٢: ٦٦، سنن النسائي ٢: ٤٢، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٨٠، المصنّف لابن أبي شيبة ٢: ٢٩٦، مسند ابن راهوية ٢: ٢٦٤، مسند

يوم القيامة»^(١)، وعن الموطأ وغيره عنه | : «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(٢).

وأول من فتح باب اتخاذ القبور مساجد للوهابية هو ابن تيمية ككثير من معتقداتهم، فإنه بعدما أورد في رسالته زيارة القبور روايات الموطأ ومسلم وأبي داود وغيرها مما مر قال : (ولهذا قال علماؤنا : لا يجوز بناء المسجد على القبور).

ثم قال : (إن الآيات والأخبار الواردة في المساجد لم يرد مثلها في المشاهد، بل ورد النهي عن اتخاذ القبور مساجد، ولعن من يفعل ذلك)^(٣) انتهى .

ويأتي تمامه في الفصل الثالث عشر.

ولا يخفى أن تشدد ابن تيمية في أمر المشاهد إنما هو حنق منه على الشيعة الذي لا يألو جهداً في التعصب عليهم بالباطل، فإن الرجل لا يقف به تعصبه عند حد، وقد بلغ به حنقه على أتباع أئمة أهل البيت الطاهر أن أنكر جملة من

أبي يعلى ٨: ٩٢، صحيح ابن خزيمة ٢: ٧، صحيح ابن حبان ٧: ٤٥٤، نظم المتناثر من الحديث المتواتر: ١٢٢.

١- صحيح مسلم ٢: ٦٦ باب النهي عن بناء المساجد على القبور، سنن النسائي ٢: ٤٢، السنن الكبرى للنسائي ١: ٢٦٠، مسند أبي يعلى الموصلي ٨: ٩٢، نظم المتناثر من الحديث المتواتر: ١٢٢.

٢- كتاب الموطأ ١: ١٧٢، الاستذكار ٢: ٣٥٩، التمهيد ٥: ٤١، نظم المتناثر من الحديث المتواتر: ١٢١، الطبقات الكبرى ٢: ٢٤١، إمتاع الأسماع ١٤: ٦١٨.

٣- زيارة القبور والاستنجاد بالمقبر ١: ٢٦ - ٢٧.

مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وفضائله المتواترة حتّى فضل ضربته يوم الخندق، كما فصلّناه في فصل البناء على القبور، وجاء في كتابه الذي سمّاه (منهاج السنة) بالغرائب، ومما جاء فيه بشأن المشاهد قوله: (الرافضة بدلوا دين الله، فعمروا المشاهد، وعطلوا المساجد، مضاهاة للمشركين، ومخالفة للمؤمنين)^(١)، ومر له كلام آخر بشأن المشاهد في أواخر الباب الثاني.

والله تعالى وعباده يعلمون أنّه غير صادق في ذلك، فالشيعة وحدها لم تعمر المشاهد، بل شاركتها في ذلك جميع المسلمين حتّى الناصبة أمثال ابن تيمية، وذلك معلوم مشاهد لا يشكّ فيه أحد، والشيعة لم تعطل المساجد، هذه بلادهم ومدنهم وقراهم مساجدها معمورة، تقام فيها الصلوات والجماعات في جميع أقطار المعمورة.

ثمّ إنّّه يظهر من مجموع كلماته هذه أنّه يحمل جعل القبور مساجد على ما يعم الصلاة عندها وفي مشاهدتها، وبناء مسجدٍ عليها، ويحمل على الأخير النهي عن اتخاذ المساجد عليها كما يظهر من قوله: (قال علماؤنا) إلخ.

وتبعه على ذلك تلميذه ابن القيم الجوزية فإنّه قال في كتابه زاد المعاد على ما حكى عنه ما ملخصه: (إنّ النبي | حرق مسجد الضرار وأمر بهدمه، فكذلك مشاهد الشرك أحقّ بذلك وأوجب، والوقف لا يصح على غير بر ولا قرية، فيهدم المسجد إذا بني على قبر كما ينبش الميت إذا دفن في المسجد، فلا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر، بل أيّهما طرأ على الآخر منع منه،

١- منهاج السنة النبويّة ١: ٤٧٨.

وكان الحكم للسابق^(١) انتهى.

واعتماداً على هذه الأحاديث هدم الوهابية المسجد الذي عند قبر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب عم النبي | بأحد، بعدما هدموا القبة التي على القبر، وأزالوا تلك الآثار الجليلة، ومحووا ذلك المسجد العظيم الواسع، فلا يرى الزائر لقبر حمزة اليوم إلا أثر قبر على تل من التراب، لا اعتقادهم أن ذلك محرم، بل شرك وكفر، واستندوا في فتواهم المنسوبة إلى علماء المدينة بعدم جواز اتخاذ القبور مساجد والصلاة فيها المتقدمة في الفصل التاسع إلى الحديث الأول من هذه الأحاديث كما عرفت، ولم يبينوا ما هو مرادهم من اتخاذها مساجد، ولعل مرادهم ما يظهر من ابن تيمية كما تقدم، فإنه قدوتهم، وأول باذر لبذور مذهبهم^(٢).

والجواب عن الحديث المذكور الذي استندوا في فتواهم إليه ومنه يعلم الجواب عن الباقي :

أولاً : بعدم صحة السند على رواية النسائي، فعبد الوارث وإن وثقوه، لكن رموه بأنه كان يرى القدر أي الاعتزال ويظهره، وأنه ذم لبدعته، وأنه لولا الرأي لم يكن به بأس، وأن الحسن بن الربيع قال : (كنا نأتي عبد الوارث بن سعيد، فإذا حضرت الصلاة تركناه وخرجنا، وإن أبا علي الموصلي قال : قلما جلسنا إلى حماد بن زيد إلا نهانا عن عبد الوارث)^(٣)، نقل ذلك كله ابن حجر في تهذيب التهذيب.

١- زاد المعاد في هدي خير العباد ٣: ٥٠٠.

٢- راجع في هدمهم للقباب عند دخول مكة المكرمة والمدينة تاريخ الجبرتي المسمى بعجائب الآثار ٣: ٩١ و ١١٧ و ١٨٩.

٣- تهذيب التهذيب ٦: ٣٩٢، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ١: ٦٧٣.

وأبو صالح مردد بين ميزان البصري وبين باذام مولى أم هاني بنت أبي طالب، والثاني مقدوح فيه، ففي تهذيب التهذيب في ترجمة ميزان البصري: (أبي صالح روى الترمذي في كتاب الجنائز من طريق عبد الوارث بن سعيد، عن محمد بن جحاده، عن أبي صالح، عن ابن عباس وذكر الحديث. ثم قال: فجزم ابن حبان أن اسم أبي صالح هذا ميزان، ولم يذكر المزي ميزان هذا؛ لأنه مبني على أن أبا صالح المذكور في الحديث هو مولى أم هاني كما صرح بذلك في الأطراف، ويؤيده أن علي بن مسلم الطوسي روى هذا الحديث عن شعيب عن محمد بن جحاده، سمعت أبا صالح مولى أم هاني، فذكر هذا الحديث.

وجزم بكونه مولى أم هاني الحاكم وعبد الحق في الأحكام وابن القطان وابن عساكر والمنذري وابن دحية وغيرهم^(١) انتهى. وقال في ترجمة باذام أبي صالح مولى أم هاني: (قال أحمد: كان ابن مهدي ترك حديث أبي صالح، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال ابن عدي: لم أعلم أحداً من المتقدمين رضيهم، وقال ابن المديني، عن القطان، عن الثوري قال الكلبي: قال لي أبو صالح: كلما حدثتك كذب، وقال العقيلي: إن المغيرة يعجب ممن يروي عنه، وقال عبد الحق في الأحكام: إن أبا صالح ضعيف جداً، وقال الجوزقاني: إنه متروك، ونقل ابن الجوزي عن الأزدي أنه قال: كذاب، وقال الجوزجاني: كان يقال له ذو رأي غير محمود، وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقوي عندهم، وقال ابن حبان: يحدث عن ابن عباس ولم يسمع منه^(٢) انتهى.

١- تهذيب التهذيب ١٠: ٣٤٤.

٢- المصدر السابق ١: ٣٦٥، تهذيب الكمال ٤: ٧.

ولا يفيد مع هذا قول ابن حجر في تهذيب التهذيب: (وثقه العجلي وحده)^(١)؛ لأنَّ الجرح مقدم على التعديل.

هذا على رواية النسائي، وأمّا على رواية ابن ماجة الثانية فعبد الله بن عثمان وإن وثقه بعضهم: (قال النسائي مرة: ليس بالقوي، وقال ابن حبان: كان يخطيء، وعن ابن معين: أحاديثه ليست بالقوية، وعن علي بن المديني: منكر الحديث)^(٢)، ذكر ذلك كلّ ابن حجر في تهذيب التهذيب.

وابن بهمان وإن ذكره ابن حبان في الثقات إلا أنّ ابن المديني قال: (لا نعرفه) كذا في تهذيب التهذيب^(٣).

وأمّا على رواية ابن ماجة الثالثة، ففي ميزان الاعتدال للذهبي: (محمّد بن طالب عن أبي عوانة الوضاح، لا يعرف، روى عنه محمّد بن خلف العسقلاني فقط)^(٤) انتهى.

فهذه حال الروايات التي يستند إليها الوهابية في فتاواهم، ويكفرون بها المسلمين، ويستحلّون دماءهم وأموالهم وأعراضهم، ويدعون أنّهم هم الموحدون وغيرهم المشركون، فتأملوا ذلك أيّها المنصفون!!
ثانياً: باضطراب المتن مع وحدة السند في الكلّ الدال على أنّه رواية واحدة، فهو على رواية النسائي (زائرات القبور) بصيغة اسم فاعل، (والمتخذين

١- تهذيب التهذيب ١: ٣٦٥.

٢- تهذيب التهذيب ٥: ٢٧٦، ميزان الاعتدال ٢: ٤٥٩، الكامل في الضعفاء ٤: ١٦١.

٣- ميزان الاعتدال ٢: ٥٥١، تهذيب التهذيب ٦: ١٣٥، تاريخ الإسلام ٧: ١٤٥.

٤- ميزان الاعتدال ٣: ٥٨٦، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٣٤٢: ٣٤٢، تقريب التهذيب ٢: ٨٩، ت هذيب التهذيب ٩: ٢٠٨.

عليها المساجد والسرج)، وعلى رواية ابن ماجة زوارات القبور بصيغة المبالغة، وبدون الزيادة، وأي اضطراب في المتن أعظم من ذلك؟!

ثالثاً : بعدم الدلالة على ما توهموه من عدم جواز الصلاة عند القبور وفي مشاهدتها وبناء مسجد عليها، إذ الظاهر أنه إشارة إلى ما في رواية كنيسة الحبشة من قوله: «إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ، ثمّ صوروا فيه تلك الصورة ، أولئك شرّ الخلق عند الله»^(١)، فاللام في قوله: «والمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ» للعهد ، ولمّا كان سبب الذم في رواية كنيسة الحبشة هو اتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد بتلك الحالة، وهي تصويرهم الصورة وعبادتها والصلاة والسجود إليها أو إليها وإلى القبر كما يصلّي إلى الوثن ويسجد له على ما هو الظاهر من تلك الرواية؛ كان سببه في روايته والمتخذين عليها المساجد هو هذا.

وكما تكون رواية كنيسة الحبشة مفسّرة للروايات التي أطلق فيها لعن اليهود وغيرهم على اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد تكون مفسّره لهذه الرواية ، إذ الروايات يفسّر بعضها بعضاً.

ويرشد إلى ذلك قوله في رواية مسلم المتقدمة: «إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ»^(٢) الخ، فعقب النهي عن اتخاذها مساجد لما حكاها عمّن كان قبلهم، فدلّ بأجلى

١- تقدّم قريباً تخريج الحديث.

٢- صحيح مسلم ٦٨: ٢، تحفة الأحوذى ٢٢٨: ٢، المصنّف لابن أبي شيبة ٢٦٩: ٢، نظم المتناثر من الحديث المتواتر: ٢١، إرواء الغليل ٣١٨: ١، البداية والنهاية ٣٠١: ٦.

دلالة على أنَّ المنهي عنه من اتخاذها مساجد هو ما كان من هذا السنخ. ويرشد إليه أيضاً ما في رواية الموطأ من تعقيبه ذم من اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد لقوله: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يَعْبد»^(١) الدال على أنَّ المراد من اتخاذها مساجد الصلاة إليها والسجود لها، كما يصلّي إلى الأوثان ويسجد لها، ويدل عليه قوله في رواية البخاري ومسلم: «ولولا ذلك لأبرزوا قبره، غير أنَّي أخشى أو غير أنَّه خشي أن يتخذ مسجداً»، لظهوره في أنَّ معنى اتخاذ مسجداً السجود إليه، لا اتخاذ المسجد حوله.

وبذلك يظهر عدم صحة الاستدلال على ما زعموه برواية كنيسة الحبشة ولا بالروايات الأخرى، إذ الظاهر أنَّ المراد في الجميع واحد وهو النهي عمّا كان يفعله السابقون من الصلاة إلى قبر الأنبياء والصلحاء، وصورها الموضوع في قبلة المصلي والسجود لها، كما يصلّي إلى الوثن ويسجد له، وهذا لا يفعله أحد من المسلمين ولا يجيزه.

أمّا الصلاة لله تعالى عند قبر أو في مشهد، طلباً لزيادة الثواب، بشرف المكان الذي ثبت شرفه؛ فلا مانع منه، ولو لم يكن راجحاً لم يكن محرماً، ولا تتناوله هذه الأخبار، ولا تدل عليه كما تتناول مجرد وجود القبر في قبلة المصلي من دونه قصد الصلاة إليه أو الصلاة فوق القبر.

١- كتاب الموطأ ١: ١٧٢، سبل السلام ٢: ١١١، شرح مسلم للنووي ١١: ٩٤، تحفة → الأحوذى ٢: ٢٢٦، عون المعبود ٨: ١٩٢، المصنّف للصنعاني ١: ٤٠٦، مسند الحميدي ٢: ٤٤٥، المصنّف لابن أبي شيبة ٢: ٢٦٩، مسند أبي يعلى الموصلي ١٢: ٣٤، معرفة السنن والآثار ٣: ٢٠٨، الاستذكار لابن عبد البر ٢: ٣٥٩، نظم المتناثر من الحديث المتواتر: ١٢١، الطبقات الكبرى ٢: ٢٤١، التاريخ الكبير ٣: ٤٧.

نعم، هو مكروه كما يشير إليه عنوان البخاري المتقدم، واستشهاده بضرب القبة على قبر الحسن، ويمكن حمل جعل المساجد على القبور على السجود عليها، فإنه مكروه كما عرفت وكما يفهم من عنوان البخاري السابق.

ولا ينافيه اللعن فإنه لتشديد الكراهة، إذ هو لغة الطرد، وفاعل المكروه مطرود عن الثواب الحاصل له بتركه، إمتثالاً لأمره تعالى، وقد ورد لعن المسافر وحده، والآكل طعامه وحده، والنائم في البيت وحده، وورد لعن الله المحلل والمحلل له، وتسمية المحلل بالتيس المستعار رواه ابن ماجه بأسانيده عن ابن عباس وعلي وعقبة بن عامر عنه^(١)، قال السندي في حاشية سنن النسائي: (المحلل من تزوج مطلقة الغير ثلاثاً لتحل له، والمحلل له هو المطلق، والجمهور على أن النكاح بنية التحليل باطل؛ لأن اللعن يقتضي النهي، والحرمة في باب النكاح تقتضي عدم الصحة.

وأجاب من يقول بصحته: أن اللعن قد يكون لخسة الفعل، فلعل اللعن ها هنا لأنه هتك مروءه، وقلة حمية، وخسة نفس، أما بالنسبة إلى المحلل له فظاهر، وأما المحلل فإنه كالتيس يعير نفسه بالوطيء، لغرض الغير، وتسميته محلاً يؤيد القول بالصحة^(٢) انتهى.

١- سنن ابن ماجه ١: ٦٢٣، المستدرك للحاكم ٢: ١٩٩ وصححه، السنن الكبرى للبيهقي ٧: ٢٠٨، عمدة القارئ ٢٠: ٢٣٦، تحفة الأحوذى ٤: ٢٢١، المعجم الكبير ١٧: ٢٩٩، سنن الدارقطني ٣: ١٧٦، معرفة السنن والآثار للبيهقي ٥: ٣٤٦، التمهيد ١٣: ٢٣٤، نصب الراية ٣: ٤٨٧، الدراية في تخريج أحاديث الهداية ٢: ٧٣، فيض القدير شرح الجامع الصغير ٥: ٣٤٦.

٢- حاشية السندي على النسائي لابن عبد الهادي ٦: ١٥٠، تحفة الأحوذى في شرح سنن الترمذي ٤: ٢٢١.

ونسبته إلى الجمهور أنّ النكاح بنية التحليل يقتضي عدم الصحة منظور فيه، قال الخطيب الشربيني في الإقناع على مذهب الشافعي: (لو نكح بشرط أنّه إذا وطئ طلقها أو فلا نكاح بينهما وشرط ذلك في صلب العقد لم يصح النكاح -إلى أن قال- : ولو تواطأ العاقدان على ذلك قبل العقد ثمّ عقدا بذلك القصد بلا شرط كره)، وفي الحاشية قوله: (لم يصح النكاح، وعليه حمل حديث لعن الله المحلل والمحلل له، وهذا عندنا أي الشافعية ، وأما عند المالكية فعلى ظاهره، فلا يصح التحليل مطلقاً بهذا الشرط، سواء وقع في صلب العقد أو قبله)^(١) انتهى.

وأنت ترى أنّ ذلك كلّه مع التصريح بالاشتراط لا مجرد النية كما فهم من كلام السندي، مع أنّه ليست كذلك كما مر في المقدمات ، قال القسطلاني في إرشاد الساري شرح صحيح البخاري: (إنّما صور أوئلهم الصور ليتأنسوا بها ويتذكروا أفعالهم الصالحة ، فيجتهدون كاجتهادهم، ويعبدون الله عند قبورهم، ثمّ خلفهم قوم جهلوا مرادهم، ووسوس لهم الشيطان أنّ أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها ، فحذر النبي | عن مثل ذلك. إلى أن قال: وهو - أي قوله بنوا على قبره مسجداً - مؤول على مذمة من اتخذ القبر مسجداً، ومقتضاه التحريم، ولاسيّما وقد ثبت اللعن عليه، لكن صرح الشافعي وأصحابه بالكراهة.

وقال البندينجي: المراد أن يسوى القبر مسجداً فيصلي فيه. وقال : إنّ يكره

١- الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ٢: ١١٢.

أن يُبنى عنده مسجد فيصل في فيه إلى القبر.
وأما المقبرة الدائرة إذا بني فيها مسجد ليصلي فيه فلم أر فيه بأساً؛ لأنّ
المقابر وقف وكذا المسجد، فمعناهما واحد.
قال البيضاوي: لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً
لشأنهم، ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها، واتخذوها أوثاناً، منع
المسلمين من مثل ذلك، فأما من اتخذ مسجداً في جوار صالح، وقصد التبرك
بالقرب منه لا للتعظيم ولا للتوجه إليه فلا يدخل في الوعيد المذكور^(١) انتهى.
وقال السندي في حاشيه سنن النسائي: (اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، أي
قبلة للصلاة يصلون إليها، أو بنوا مساجد عليها يصلون فيها.
ولعل وجه الكراهة أنه قد يفضي إلى عبادة نفس القبر، سيما في الأنبياء
والأخبار)^(٢).

وقال في موضع آخر: (مراده بذلك أن يحذر أُمته أن يصنعوا بقبره ما صنع
اليهود والنصارى بقبور أنبيائهم من اتخاذهم تلك القبور مساجد، إما بالسجود
إليها، تعظيماً لها، أو يجعلها قبلة يتوجهون في الصلاة إليها.
قيل: ومجرد اتخاذ مسجد في جوار صالح غير ممنوع)^(٣) انتهى.
وقال النووي في شرح صحيح مسلم: (قال العلماء: إنّما نهى النبي |
عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً خوفاً من المبالغة في تعظيمه، والافتتان به،
فربما أدى ذلك إلى الكفر، كما جرى لكثير من الأمم الخالية، ولما احتاجت

١- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٢: ٩٩، فتح الباري ١: ٤٣٨، عمدة القارئ ٤: ١٧٤.

٢- حاشية السندي على النسائي ٤: ٩٦، عون المعبود في شرح سنن أبي داود ٩: ٣٤.

٣- حاشية السندي على النسائي ٢: ٤١، تحفة الأحوذ في شرح سنن الترمذي ٢: ٢٢٦.

الصحابية رضوان الله عليهم أجمعين والتابعون إلى زيادة في مسجد رسول الله | حين كثر المسلمون، وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه ومنها حجرة عائشة (رض)، مدفن رسول الله | وصاحبيه؛ بنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله، لئلا يظهر في المسجد فيصلّي إليه العوام ويؤدي إلى المحذور، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا، حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر، ولهذا قال في الحديث: ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً^(١) انتهى.

أقول: وكلّ هذه الكلمات متوافقة على أنّ المحرّم من اتخاذ القبور مساجد هو السجود إليها تعظيماً أو جعلها قبلة أو نحو ذلك، كما يدل عليه قول عائشة: «فلولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً»، والمراد بابرز قبره هدم الحجرة الشريفة التي عليه وجعله بارزاً ظاهراً يراه الناس، وأنّ الصلاة إلى القبر لا بهذا القصد مكروهة، وأنّ اتخاذ مسجد بجوار صالح لا محذور فيه، وأنّ أخبار كنيسة الحبشة ظاهرة في ذمهم على تصوير الصور وعبادتها كما هو المألوف عند النصارى.

وقول النووي: (إنهم لما احتاجوا إلى زيادة في المسجد بنوا على القبر حيطاناً مرتفعة) إلخ، الظاهر أنّه إشارة إلى الحظار الذي بناه عمر بن عبد العزيز على الحجرة الشريفة، وجعله مزوراً من جهة الشمال بالصفة التي ذكرها النووي؛ لأنّ حيطان الحجرة كانت محيطة بالقبر الشريف من أوّل الأمر كما مر في الفصل التاسع، فقلوه: (ثم بنوا جدارين) أي بعد الفراغ من عمل الحظار المربع.

١- نيل الأوطار ٣: ١٤٠، شرح مسلم للنووي ٥: ١٤.

وممّا يدل على أنّ النهي في هذه الأخبار مراد به الكراهة ذكر زائرات القبور أو زوارات القبور، وتخصيص اللعن بهم دون الزائرين المحمول على الكراهة كما ستعرف تفصيل الكلام فيه في فصل الزيارة، وهذا دليل آخر على جواز اللعن من الشارع على فعل المكروه.

فتحصل من ذلك أنّ هذه الأخبار بعد تسليم صحة أسانيدها لا ربط لها بما يحاوله الوهابية من عدم جواز البناء حول قبور الأنبياء وعقد القباب فوقها، ووجوب هدمها :

أولاً : لأنه ليس أحد من المسلمين يجعل ذلك مسجداً.

ثانياً : لو فرض فلا دلالة لتلك الأخبار على عدم جوازه كما عرفت، بل ولا كراهته، إذ المسجد يكون خارجاً عن محلّ القبر، ومحلّ القبر لا يصلّي عليه ولا يجعل مسجداً، وجعل المسجد بجوار قبر نبي أو صالح لا مانع منه كما عرفت من تصريح علماء المسلمين بذلك، والممنوع منه الصلاة إليه، تعظيماً له أو السجود له، ولا يفعل ذلك أحد من المسلمين إنّما يسجدون لله تعالى ويصلون إلى القبلة.

ومما يدل بأقوى دلالة لا يمكن لأحد دفعها على أنّ اتخاذ مسجد حول القبر جائز ومستحب ما فعله المسلمون وتتابعوا عليه في سائر الأعصار من توسيع مسجد النبي | حتى صار قبره الشريف وحجرته المنيفة في وسط المسجد، بعدما كانت بجانبه الشرقي، فأصبح المسجد محيطاً بها، وذلك في خلافة الوليد بن عبد الملك، وبقي كذلك إلى اليوم، بمرأى من علماء الأمة وصلحائها في كلّ عصر، وكان المتولي لتوسيعه عمر بن عبد العزيز صالح بني

أمية وفاضلهم وعادلهم الذي قال في حقّه ابن سعد صاحب الطبقات: (كان ثقة مأموناً، له فقه وعلم وورع، وروى حديثاً كثيراً، وكان إمام عدل)^(١)، حكاه بن حجر في تهذيب التهذيب، وقال في تهذيب التهذيب: (قال ميمون بن مهران: ما كانت العلماء عند عمر إلا تلامذة).

وقال نوح بن قيس: سمعت أيوب يقول: لا نعلم أحداً ممن أدركنا كان آخذاً عن النبي | منه. وقال أنس: ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله | من هذا الفتى.

إلى غير ذلك من المدح العظيم الذي مدحه به حتّى أنّه قال: قال ضمرة، عن السري بن يحيى، عن رباح بن عبيدة: خرج عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة وشيخ يتوكأ على يده، فسألته عنه.
فقال: رأيته؟

قلت: نعم

قال ما أحسبك إلا رجلاً صالحاً، ذلك أخي الخضر أتاني فأعلمني أنّي سألي أمر هذه الأمة، وإنّي ساعدك فيها)^(٢) انتهى.

ولم يسمع أنّ أحداً من العلماء والفقهاء نهاه عن ذلك، ولا أفتى بتحريمه، ولا جعله شركاً وكفراً، لا في عصره ولا بعد عصره إلى اليوم قبل الوهابية، وبذلك يعلم كذب قول ابن القيم السابق: (أنّه لا يجتمع في دين الإسلام مسجد

١- تهذيب التهذيب ٥: ١١٥، تاريخ مدينة دمشق ٤٥: ١٣٩، تهذيب الكمال ٢١: ٤٣٦، سير أعلام النبلاء ٥: ١١٥، إسعاف المبطأ برجال الموطأ: ٨١.

٢- تهذيب التهذيب ٧: ٤١٩، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال: ٢٨٥.

وقبر) إلخ، فإنّ فيه رداً على أجلاء الصحابة الذين هم أعلم بسنة رسول الله | منه ومن قدوته والذين يتغنى دائماً هو وقدوته وأتباعهما بأنهم أتباعهم في دعواهم أنّهم سلفيون، والذين يعتقد أنّهم كالنجوم بأيّهم اقتدى اهتدى في جعلهم قبره | في وسط المسجد بعد توسيعه ، وعلى جميع المسلمين إلى اليوم الذين رضوا بذلك وأقروه، فيلزم تخطئة الأمة جمعاء من عصر الصحابة إلى اليوم وتصويب الوهابية وحدهم.

وما بال الوهابية لم يهدموا المسجد الذي حول قبر النبي | ، ويجعلوا قبره الشريف خارجاً عن المسجد، وأقرّوا هذا المحرم المؤدي إلى الشرك والكفر، وقد صار الحجاز بأيديهم، ولهم فيه الحول والطول، واكتفوا بإقامة بعض جنودهم حول الضريح المقدّس ، بأيديهم عصي الخيزران، يمنعون الناس من الدنو إلى القبر الشريف ولمسه وتقيله ومن لم يمتنع قرعوه بالخيزران ، وربما قرعوا بالخيزران على القبر الشريف، إعلاماً للزائر الغير الملتفت أن لا يدنو من القبر كما حدّثنا بذلك جملة من الزوار، ولا يمكنون أحداً من الدنو إلاّ ببذل بعض القطع الفضية، فيشيرون إليه من طرف خفي إذا لم يرههم أحد!

فإن كان المانع لهم خوف هياج الرأي العام الإسلامي فقد هاج عليهم بهدمهم لمشاهد أئمة المسلمين ولم يبالوا!

ولا بد أنّهم يوماً ما فاعلو ذلك إذا بقي الحجاز بأيديهم.
وممّا يدل على جواز بناء المساجد عند قبور الصالحين أو على قبورهم

تبركاً بهم قوله تعالى: {قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا} ^(١)، في الكشف: ({قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ} من المسلمين وملكهم، وكانوا أولى بهم، وبالبناء عليهم، (لنتخذن) على باب الكهف (مسجداً)، يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم) ^(٢) انتهى، ونحوه عن تفسير الجلالين، وعن البغوي في معالم التنزيل: (قال المسلمون: نبني عليهم مسجداً يصلي فيه الناس لأنهم على ديننا) ^(٣) انتهى.

وعن ابن عباس: (قال المسلمون: نبني عليهم مسجداً يصلي فيه الناس لأنهم على ديننا) ^(٤) انتهى.

وعن النيشابوري في غرائب القرآن: ({الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ} وملكهم المسلم، لأنهم بنوا عليهم مسجداً يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم، وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم، حفظاً لرتبتهم) ^(٥) انتهى. وفي مجمع البيان: ({الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ} يعني الملك المؤمن وأصحابه. وقيل: أولياء أصحاب الكهف من المؤمنين. وقيل: رؤساء البلد الذين استولوا على أمرهم عن الجبائي {لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا} متعبداً وموضعاً للعبادة والسجود، يتعبد الناس فيه ببركاتهم. ودل ذلك على أن الغلبة كانت للمؤمنين) ^(٦) انتهى. فقد حكى الله تعالى مقالة المسلمين من غير رد عليهم ولا إنكار، بل لعله

١- سورة الكهف: ٢١.

٢- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ٢: ٤٧٧، تفسير النسفي ٣: ٨، تفسير البغوي ٣: ١٥٦.

٣- معالم التنزيل للبغوي ٣: ١٥٦.

٤- تفسير الثعلبي ٦: ١٦٢، تفسير البغوي ٣: ١٥٦، زاد المسير ٥: ٨٦.

٥- غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٤: ١١، تفسير النسفي ٣: ٨.

٦- تفسير مجمع البيان ٦: ٣٢٨.

ذكرها في معرض المدح، فيكون ذلك تقريراً لها، وإنما حكى الله تعالى قصص الماضين، لتعتبر بها هذه الأمة، وتقتدي بالحسن منه، وتتجنب القبيح. ومن الغرائب ما يحكى عن شارح كتاب التوحيد لابن عبد الوهاب أنه قال بعد ذكر الآية : (هذا دليل على أن الذين غلبوا هم الكفار، إذ لو كانوا مؤمنين ما أرادوا أن يتخذوا على قبور الصالحين مسجداً؛ لأن النبي | لعن فاعل ذلك)^(١) انتهى.

فكأن معتقدات الوهابية عن هذا الرجل وحي منزل، فلذلك تكون ناسخة للقرآن الكريم، ويجب حمله عليها، ولا يجوز تطبيقها عليه، وهل يلتفت إلى هذا الاحتمال السخيف بعد إطباق المفسرين على خلافه، ومنهم ابن عباس ترجمان القرآن، وإمام المفسرين، ومخالفته لظاهر الآية وسياقها كما يفهم مما مر؟!

مع أن ظاهر قوله تعالى: {إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمُ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا} ^(٢) أن الجميع كانوا متفقين على البناء الذي يحرمه الوهابية، وإنما كان التنازع في كيفيته، فالوهابيون بمنعهم البناء على القبور قد خالفوا المسلمين والكافرين، وقد نجى الله ذلك الملك المسلم ورعيته المسلمين في حياتهم، فلم يكن في زمانهم وهابية، وإلا لكفروهم بعد إسلامهم، وشركوهم بعد توحيدهم، لبنائهم مسجداً على أهل الكهف، وتبركهم بهم، لكنهم لم يسلموا من الوهابيين بعد موتهم، وبعد أن مضى على موتهم ألوف مؤلفة من السنين، فكفروهم بعدما

١- مغني المريد الجامع لشروح كتاب التوحيد ٥: ١٧٣٥، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ٤: ٤٦٨.

٢- سورة الكهف: ٢١.

صاروا تراباً في قبورهم!!

ومما يدل على جواز بناء المساجد على القبور ما في وفاء الوفاء للسمهودي : (عن ابن شبة عن عبد العزيز بن عمران بسنده إلى محمد بن علي بن أبي طالب في حديث ذكر فيه وفاة فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب - إلى أن قال - : فلما توفيت خرج رسول الله | فأمر بقبرها فحفر في موضع المسجد الذي يقال له اليوم قبر فاطمة)^(١) الحديث.

قال السمهودي : (وقوله (في موضع المسجد) إلخ يقتضي أنه كان على قبرها مسجد يعرف به في ذلك الزمان)^(٢) انتهى.

وقوله : (في موضع المسجد) إلخ الظاهر أنه من كلام ابن الحنفية المتوفى سنة ٨١، فيكون المسجد قبل ذلك.

وفي وفاء الوفاء : (قال عبد العزيز: الغالب عندنا أن مصعب بن عمير وعبد الله بن جحش دفنا تحت المسجد الذي بني على قبر حمزة)^(٣) انتهى.

وقال قبل ذلك : (سيأتي عن عبد العزيز بن عمران أنه كان على قبر حمزة قديماً مسجد، وذلك في المائة الثانية)^(٤) انتهى.

* * *

١- تاريخ المدينة لابن شبة النميري ١: ١٢٣.

٢- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٣: ٨٩٧.

٣- تاريخ المدينة لابن شبة النميري ١: ١٢٦، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٣: ٩٢٢.

٤- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٣: ٩٣٦.

الفصل الثاني عشر في الإسراج على القبور

وهذا مما منعه الوهابية، محتجين بالحديث المتقدم في الفصل السابق :
«لعن الله زوارات القبور أو زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد
والسرج»،^(١) واستناداً إلى هذه الرواية منع الوهابيون إضاءة قبر النبي |
هذه السنة،
أعني سنة ١٣٤٦ بعدما كانوا يضيئون في العام الماضي على ما أخبرنا به
الحجاج.

والجواب عن هذا الحديث بضعف السند كما بيّناه في الفصل السابق، ومع
تسليم السند فهو محمول على صورة عدم المنفعة، لانصرافه إلى ذلك، فيكون
تضييعاً للمال، أو على غير قبور الأنبياء والأولياء الذين دلّ الشرع على رجحان
تعظيمهم، أحياء وأمواتاً، أما إسراجها لقراءة القرآن والأدعية والصلاة وانتفاع
الزائرين والباثتين فيهما فليس مكروهاً ولا محرماً، للنفع الظاهر في ذلك،
فيكون من التعاون على البر والتقوى المأمور به في الكتاب المجيد، ويكون

١- مسند أحمد ١: ٢٢٩، سنن أبي داود ٢: ٨٧، سنن الترمذي ١: ٢٠١، سنن النسائي ٤: ٩٥،
المستدرک للحاکم ١: ٣٧٤ ولم يصححه، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٨٧، مسند ابن الجعد ٣٢٤،
المصنّف لابن أبي شيبة ٢: ٢٦٩، صحيح ابن حبان ٧: ٤٥٢، المعجم الكبير ١٢: ١١٥، موارد
الضمآن ٣: ٦٥، الجامع الصغير ٢: ٤٠٨، إرواء الغليل ٣: ٢١١، تمام المنة ٢٩٧، ضعيف سنن
الترمذي ٣٥.

نظير ما حكى عن الترمذي أنه روى عن ابن عباس : « أن النبي | دخل قبراً ليلاً، فأسرج له سراج»^(١)، قال العزيزي في شرح الجامع الصغير في شرح قوله (والسراج): (محل ذلك حيث لا ينتفع بها الأحياء - إلى أن قال - : فإن كان هناك من ينتفع به صح ذلك)^(٢) انتهى ، وقال السندي في حاشية سنن النسائي: (والنهي عنه لأنه تضييع مال بلا نفع)^(٣) انتهى، فدلّ على أنه لا نهى حيث يكون هناك نفع.

وقال الشيخ الحفني في حاشية الجامع الصغير : (يحرم إسراج القنديل على قبر الولي ونحوه حيث لم يكن، ثم من ينتفع به لما فيه من إضاعة المال لا لغرض شرعي)^(٤) انتهى.

* * *

١- سنن الترمذي ٢: ٢٦٠، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٥٥، عمدة القارئ للعيني ٨: ٢٦، عون المعبود ٨: ٣٠٩، المعجم الكبير ١١: ١١٤، نصب الراية ٢: ٣٥٢، الدراية في تخريج أحاديث الهداية ١: ٢٤٠، ميزان الاعتدال ٤: ١٩١، سبل الهدى والرشاد ٨: ٣٨٠، سبل السلام ٢: ١١٧، نيل الأوطار ٤: ١٣٧، فقه السنة ١: ٥٣٩.

٢- السراج المنير على الجامع الصغير ٣: ١٩٨.

٣- حاشية السندي على النسائي ٤: ٩٥، تحفة الأحوذى في شرح سنن الترمذي ٢: ٢٢٦.

٤- حاشية الجامع الصغير للحفني ١٥٩ - ١٦٠.

الفصل الثالث عشر

في الدعاء والصلاة عند القبر الشريف وغيره والتوجه إليه عند الدعاء

وهذا أيضاً مما منعه الوهابية وجعلوه شركاً وكفراً، وقال قدوتهم ابن تيمية في رسالة زيارة القبور: (إنّ الصحابة كانوا إذا جاؤوا عند قبر النبي | يسلمون عليه، فإذا أرادوا الدعاء لم يدعوا الله مستقبلي القبر الشريف، بل ينحرفون ويستقبلون القبلة ويدعون الله وحده كما في سائر البقاع أي لا يتوسلون بالنبي |).

إلى أن قال : ولهذا لم يذكر أحد من أئمة السلف أنّ الصلاة عند القبور وفي مشاهدتها مستحبة، ولا أنّ الصلاة والدعاء هناك أفضل منهما في غيرها، بل اتفقوا كلّهم على أنّ الصلاة في المساجد والبيوت أفضل منها عند قبور الأنبياء والصالحين، سميت مشاهد أو لم تسم.

ثمّ ذكر بعض الآيات والأخبار الواردة في المساجد كقوله تعالى : { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ }^(١)، وقوله | : «من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة»^(٢). وقال إنّّه لم يرد مثلها في المشاهد) انتهى.

١- سورة التوبة: ١٨.

٢- سنن الدارمي ١: ٣٢٣، سنن الترمذي ١: ٢٠٠، السنن الكبرى للبيهقي ٢: ٤٣٧، مجمع الزوائد ٢: ٧، عمدة القارئ ٤: ٢١٢، المصنّف للصنعاني ٣: ٧٥، المصنّف لابن أبي شيبة ١: ٣٤٥، منتخب مسند عبد بن حميد : ٤٣، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث : ٥٢، مسند أبي يعلى ←

ونقول : يدل على جواز الصلاة والدعاء عند قبر النبي | وقبور سائر الأنبياء والصالحين عموم وإطلاق ما دلّ على جواز الصلاة والدعاء ومطلق العبادة في كل مكان ثبت شرفه في الشرع، ولا شك في تشرف المكان بالمكين الموجب لتشرف قبر رسول الله | بحلول جسده الشريف فيه، ويدل عليه عمل المسلمين خلفاً عن سلف، ويدل على رجحان الدعاء عند قبر النبي | قوله تعالى: { وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ }^(١) الآية، الشامل لحالتي الحياة الموت، وأث حرمة | ميتاً كحرمة حياً، كما قاله مالك للمنصور على ما مر في التوسل، وذكر جميع علماء المسلمين من أهل المذاهب له في كتب المناسك، وذكرهم الدعاء المشتمل على الاستشهاد بالآية المذكورة كما مر، ولنعم ما قال شمس الدين الجزري في الحصن الحصين على ما حكى عنه: (إن لم يجب الدعاء عند النبي | ففي أي موضع يستجاب)^(٢)؟! انتهى.

وسياتي في فصل زيارة القبور أن فاطمة عليها السلام: «كانت تزور قبر عمّها حمزة في كل جمعة، فتصلي وتبكي عنده»^(٣)، وفي رواية: «أنها كانت تزور قبور

→ الموصلي ٤: ٤١١، صحيح ابن خزيمة ٢: ٢٦٩، صحيح ابن حبان ٤: ٤٨٨، المعجم الأوسط ٢: ٣٥٥، المعجم الصغير ١: ٣٠، المعجم الكبير ٣: ١٩، الجامع الصغير ٢: ٥٨٦، نظم المتناثر من الحديث المتواتر: ١٨.

١- سورة النساء: ٦٤.

٢- الحصن الحصين: ٢٣ نقلاً عن الأصول الأربعة في ترديد الوهابية لحكيم معراج الدين: ٣٤.

٣- المستدرك للحاكم ١: ٣٧٧ ووثق رواته وقال: (هذا الحديث رواه عن آخرهم ثقات، وقد استقصيت في الحث على زيارة القبور، تحرياً للمشاركة في الترغيب ولتعلم الشحيح بذنبه أنها سنة مسنونة، وصلى الله على محمد وآله أجمعين)، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٧٨، عمدة القارئ ٨: ٧٠، المصنّف للصنعاني ٣: ٥٧٢، الاستذكار ٥: ٢٣٥، تاريخ المدينة لابن شبة ١: ١٣٢.

الشهداء بأحد بين اليومين والثلاثة، فتصلي هناك وتدعو وتبكي»^(١) وابن تيمية يقول: لم يذكر أحد من أئمة السلف أنّ الصلاة عند القبور وفي مشاهدتها مستحبة؟!

وأما استقباله | عند الدعاء فلا مانع منه، لقوله تعالى: {فَأَيْنَ مَا تُلُؤُوا فُتَّمْ وَجْهُ اللَّهِ} ^(٢)، بل هو راجح بقصد التبرك بمواجهته، المرجو معها استجابة الدعاء، وبقصد التوسل والتشفع به، الثابت رجحانه كما بيّناه في تضاعيف ما مر، بل يدل قول الإمام مالك للمنصور المتقدم في فصل التوسل على أنّ استقباله | أفضل من استقبال القبلة أو مساوٍ له.

ولا ينافي ذلك ما دلّ على أنّ أفضل الجهات جهة القبلة؛ لأنّ العام يخص، والمطلق يقيد، وفي قول المنصور لمالك: (أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله |) «؟ دلالة واضحة على أنّ الدعاء عند القبر الشريف كان مشهوراً معروفاً لا يشكّ أحد في رجحانه، وإنّما الذي توقف فيه المنصور أنّ استقبال القبلة حال الدعاء أفضل أم استقبال القبر؟

أمّا قول ابن تيمية: (لم يقل أحد من أئمة المسلمين أنّ الصلاة والدعاء عند القبور وفي مشاهدتها أفضل منها في غيرها) فيكذبه خبر مالك إمام دار الهجرة مع المنصور المشار إليه.

وأما كون الصلاة والدعاء عند القبور وفي مشاهدتها أفضل منهما في غيرهما، فيكفي فيه ما دلّ على شرف تلك البقاع بشرف من دفن فيها الذي صار ملحقاً بالضروريات في شرع الإسلام، كما شرف جلد الشاة بكونه جلدًا

١- شرح إحقاق الحق ١٠: ٤٣٨.

٢- سورة البقرة: ١١٥.

للمصحف.

وما الذي يمنع من الصلاة لله عندها والأرض كلها لله تعالى؟! وقد قال النبي | : «**جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً**»^(١)، والصلاة جائزة في كل بقاع الأرض ، سيما الشريفة منها، بعد أن تكون لله تعالى، والممنوع منه الصلاة إلى القبر، تعظيماً له أو السجود له كما مر في فصل اتخاذ المساجد على القبور، أما الصلاة بقربه تبركاً بالمكان المدفون فيه فلا مانع منها، لثبوت شرف المكان بالمكين ضرورة كما تكرر ذكره، والعبادة لله لا للقبر، كما أن الصلاة لله في المسجد طلباً لشرف المكان مستحبة، وليست عبادة للمسجد، فالمسلمون يصلّون عند قبور شرفت بمن دفن فيها، لتناهلهم بركة أصحابها الذين جعلهم الله مباركين، كما يصلّون عند المقام الذي هو حجر شرف بملامسة رجل إبراهيم الخليل عليه السلام لقوله تعالى : { **وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى** }^(٢) الذي يفهم منه أن سبب اتخاذ المصلّى عنده تبركه بقيامه عليه، ويدعون الله عندها، لشرفها أيضاً بمن دفن فيها، فيكون دعاؤهم عندها أرجى للإجابة، كالدعاء في المسجد أو الكعبة أو أحد الأمكنة أو الأزمنة التي شرفها الله، ولكن ابن تيمية تعود سرد الدعاوى المنفية بلا دليل، بل مصادمة للضرورة، وتتابع أدوات النفي لترويج مدعياته، كما أن دعواه اتفاق أئمة السلف كلّهم على أن الصلاة في

١- الأماشي للشيخ الطوسي : ٢٨٥، الخصال: ٢٠١، مسند أحمد : ١ : ٣٠١، سنن الدارمي : ٢ : ٢٢٤، صحيح البخاري : ١ : ٦٨ كتاب التيمم، سنن ابن ماجه : ١ : ١٨٨، سنن الترمذي : ١ : ١٩٩، سنن النسائي : ١ : ٢١٠، المستدرک للحاکم : ٢ : ٤٢٤، مجمع الزوائد : ١ : ٧٢، مسند أبي داود الطيالسي : ٦٤، المصنّف للصنعاني : ١ : ٣٢، مسند الحميدي : ٢ : ٤٢١.

٢- سورة البقرة: ١٢٥.

البيوت أفضل منها عند قبور الأنبياء والصالحين، دعوى مجردة عن الدليل، فمن هو الذي صرّح بذلك من أئمة السلف فضلاً عن كلّهم؟ فليأتنا بواحد منهم إن كان من الصادقين!

وعن الخصائص الكبرى للسيوطي في قصة المعراج عن النبي | قال: «فركبت ومعي جبرئيل فسرت، فقال: انزل فصل، ففعلت، فقال: أتدري أين صليت؟ صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى.

ثمّ قال: انزل فصل، ففعلت، فقال: أتدري أين صليت؟ صليت ببیت لحم حيث ولد عيسى»^(١) انتهى.

ومنه يفهم أنّ محل ولادة عيسى ينبغي الصلاة فيه، كطية وطور سيناء، لفضله وبركته بولادة عيسى فيه أفلا يكون المكان الذي بورك بوجود جسد النبي | فيه مباركاً مستحقاً لاستحباب الصلاة وعبادة الله تعالى فيه؟! ولا يكون مكان ولادة النبي | مستحقاً لأن يتبرك به، بل مستحقاً للهدم والمحو كما فعلته الوهابية به؟!

وقال ابن القيم تلميذ ابن تيمية في كتابه زاد المعاد على ما حكى عنه: (إنّ عاقبة صبر هاجر وابنها على البعد والوحدة والغربة والتسليم إلى ذبح الولد آلت إلى ما آلت إليه من جعل آثارهما ومواطىء أقدامهما مناسك لعبادة المؤمنين، ومتعبدات لهم إلى يوم القيامة)^(٢) انتهى.

١- سنن النسائي ١: ٢٢٢، فتح الباري ٧: ١٥٣، مسند الشاميين ١: ١٩٤، تفسير الثعلبي ٦: ٥٨، تفسير ابن كثير ٧: ٧، الدر المنثور ٤: ١٣٧، إمتاع الأسماع ٨: ٢٨٦، دلائل النبوة للإصبهاني ٤: ١٢٧، كنز العمال ١٢: ٤١٣، تاريخ الإسلام ١: ٢٤٢، السيرة الحلبية ٢: ١٠٤.

٢- زاد المعاد في هدي خير العباد ١: ٧٠.

فإذا كانت آثار إسماعيل وهاجر، لأجل ما مسهما من الأذى، مستحقة لجعلها مناسك ومتعبدات، فآثار أفضل المرسلين الذي قال: «ما أؤذي نبي قط كما أؤذيت»^(١) لا تستحق أن يعبد الله فيها، وتكون عبادة الله عندها والتبرك بها شركاً وكفراً؟!!

وقد كانت عائشة ساكنة في الحجرة التي دفن النبي | ، وبقيت ساكنة فيها بعد دفنه ودفن صاحبيه، وكانت تصلي فيها، وذلك يبطل قول الوهابية بعدم جواز الصلاة عند القبور كما مر في فصل البناء على القبور.

* * *

١- بحار الأنوار ٣٩: ٥٦، تفسير الرازي ٤: ١٧٥، تفسير ابن عربي ١: ١٥١، تفسير البحر المحيط ٧: ٢٤٢، تفسير الآلوسي ٨: ٢٣، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٥: ١٨٦، تاريخ الإسلام ٤١: ٣٣٣، الوافي بالوفيات ١٥: ٢٨٥، كشف الغمة ٣: ٣٤٦ والحديث ورد بلفظ: «ما أؤذي نبي مثل ما أؤذيت».

الفصل الرابع عشر

في تعظيم القبور وأصحابها والتبرك بها

بما لم ينص الشرع على تحريمه

من لمس وتقيل لها ولأعتاب مشاهدتها وتمسح بها وطواف حولها ونحو ذلك.

وهذا مما منعه الوهابية، وكفروا به المسلمين، وأشركوهم، وسمّوهم القبوريين، وعبّاد القبور ونحو ذلك، صرّح به الصنعاني في كلامه السابق في الباب الأوّل حيث عد الطواف بالقبور والتبرك والتمسح بها من موجبات الشرك، وأنّه كفعل أهل الجاهلية للأصنام والأوثان^(١)، والوهابيون في كتابهم إلى شيخ الركب المغربي المتقدم هناك، حيث جعلوا تعظيم قبور الأنبياء والأولياء ببناء القباب والإسراج والصلاة عندها وغير ذلك من الشرك وعبادة الأوثان^(٢)، وصرّح بذلك أيضاً غير من ذكر.

ونقول تعظيم قبور الأنبياء والصلحاء، بل وسائر المؤمنين وأصحابها أحياءً وأمواتاً بما لم ينصّ الشرع على تحريمه^(٣)؛ راجح عقلاً وشرعاً، لا مانع منه ولا محذور فيه، لأنّه من تعظيم شعائر الدين: {وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ

١- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد : ٥٠٥، المطبوع ضمن الجامع الفريد.

٢- عجائب الآثار في التراجم والأخبار المعروف بتاريخ الجبرتي ٢: ٥٩٠-٥٩١.

٣- مثل السجود لها والصلاة إليها كما يصلّي إلى الوثن، (المؤلف).

تَقْوَى الْقُلُوبِ {^(١)، ولم يدل دليل على تحريمه، فيبقى داخلاً في العموم مع حكم العقل بحسن تعظيم كل قريب إلى الله، حياً وميتاً، ولا يعد ذلك عبادة لها كما توهمه الوهابية؛ لأنه ليس كل تعظيم أو خضوع أو تذلل بقيام أو غيره يكون عبادة، ويوجب شركاً وكفراً أو يكون محرماً، فقد عرفت في المقدمات أن العبادة المنهي عنها لغير الله والتي توجب الشرك والكفر ليست العبادة اللغوية قطعاً التي تشمل مطلق التعظيم والخضوع، وإن تعظيم القبور ومن فيها والقيام والخضوع عندها لا يدخل في ذلك، بل تعظيمها عبادة وطاعة لله تعالى؛ لأن تعظيم من عظمه الله طاعة لله وعبادة وتعظيم له وخضوع له كما مر في المقدمات، وليس عبادة للمعظم موجبة للشرك والكفر.

أما أن الأنبياء والصلحاء ممن يستحق التعظيم عنده تعالى، وأن لهم حرمة وشأنًا وشرفاً وفضلاً وبركة، أحياء وأمواتاً، فلائهم أنبياء الله ورسله الذين اختارهم واجتباهم برسالته، وميزهم على جميع خلقه، وجعلهم أمناء شرعه ودينه، والصالحون هم أحياء الله، المطيعون لأمره ونهيه، فحرمتهم أحياء وأمواتاً لا يشك فيها مسلم، وهو عند المسلمين ملحق بالضروريات، فالنبي والصالح لا تسقط حرمة بموته، وقد قال الإمام مالك للمنصور كما مر في فصل التوسل إن حرمة النبي | ميتاً كحرمة حياً^(٢)، واعترف الوهابية في الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية بأن رتبة النبي أعلى مراتب المخلوقين،

١- سورة الحج : ٣٢.

٢- راجع القصة في الصفحات المتقدمة وكذلك في كتاب الغدير ٥ : ١٣٥، إمتاع الأسماع ١٤ : ٦١٧، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢ : ٤١، دفع الشبه عن الرسول ﷺ : ١٤٠، سبل الهدى والرشاد ١١ : ٤٣٩، شفاء السقام : ١٦٣، الدرر السنية : ٩، تطهير الفؤاد : ٥٨، شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ : ١٥٦، سيف الجبار : ٧.

وأنه حي في قبره حياة برزخية، وأن من أنفق نفيس أوقاته بالصلاة عليه فقد فاز بسعادة الدارين^(١)، وإن كان المنقول عنهم كما مر أنهم يقولون النبي | طارش، وعصا أحدنا أنفع له منه إلا أن ضرورة دين الإسلام تقضي بخلاف هذا، وأن المكان يتشرف بالمكين، وينال به الفضل والبركة، وإذا ثبتت حرمة الأنبياء والصالحين أحياء وأمواتاً فبدفنههم في مكان يكتسب ذلك المكان شرفاً وفضلاً وبركة، ويستحق التعظيم كما يستحق جلد الشاة التعظيم بجعله جلدًا للمصحف، وينال البركة، والفضل بمجاورة المصحف، فيجب تعظيمه وتحريم إهانته وتنجيسه، وكما أن من احترام المصحف احترام جلده، فمن احترام الأنبياء والصلحاء احترام قبورهم المتشرفة بأجسادهم الشريفة، فتعظيم هذه القبور واحترامها هو بأمر الله الذي جعلها محترمة معظمة؛ لأنها قبور أنبيائه ورسله الذين أمر باحترامهم وتعظيمهم، فيكون عبادة الله تعالى؛ لأن كل ما كان عن أمر الله فهو طاعة وعبادة لله، وذلك كتعظيم الأخ في الله واحترامه، والأبوين وخفض جناح الذل لهما، والمسجد والكعبة والحرم والمقام والحجر - بكسر الحاء - والحجر الأسود وغيرها.

والحجر هو منزل إسماعيل وأمه عليها السلام ومدفنهما، فإن إبراهيم عليه السلام لما ذهب بهاجر وإسماعيل إلى مكة عمد بها إلى موضع الحجر وأمرها أن تتخذ فيه عريشاً، فلما ماتت دفنها إسماعيل في الحجر، فلما مات إسماعيل وعمره مائة وثلاثون عاماً دفن مع أمه في الحجر، ذكر ذلك قطب الدين الحنفي في تاريخ مكة نقلاً عن الأزرقى^(٢).

١- الهدية السنية والتحفة النجدية، الرسالة الثانية لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: ٥١.

٢- تاريخ مكة : ٢٢ - ٢٧، السيرة الحلبية ١ : ٢٥٠، البحر الرائق ٢ : ٥٧٤، عمدة القارئ ١٥ : ٢٥٨، الدر المنثور ١ : ١٢٦، الطبقات الكبرى ١ : ٥٢، تاريخ مدينة دمشق ٧٠ : ١٤٦، المعارف لابن ←

وقد أوجب الله احترام النبي | غاية الاحترام فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ...} (١)، ولو كان احترام قبور الأنبياء والصلحاء عبادة لها وشركاً لكان تعظيم الكعبة والطواف بها والحجر الأسود وتقيله والحجر والمقام والمساجد والمشاعر، والأبوين وإطاعتهما، وخفض جناح الذل لهما، وغض الأصوات عند رسول الله | ، وخفضه جناحه لمن اتبعه من المؤمنين، وسجود الملائكة لآدم، وسجود أخوة يوسف وأبويه له، وتعظيم الجنود لأمرائهم، والصحابة للنبي | وللخلفاء، والأنبياء لآبائهم وأمهاتهم، وقيامهم وخضوعهم لهم، والوهابية للسلطان ابن سعود، وغير ذلك؛ كـلّ عبادة لغير الله وشركاً، ولم يسلم من الشرك نبي فمّن دونه.

لا يقال: التعظيم الذي نصّ الشرع عليه وأمر به لا كلام لنا فيه إنّما الكلام فيما لم ينصّ عليه الشرع.

لأننا نقول: إذا فرض أنّ كلّ تعظيم عبادة، وكلّ عبادة لغير الله شرك، يكون الله تعالى قد أمر بالشرك ورضيه وأحبه، وذلك باطل، لقبح الشرك عقلاً ونقلاً: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ} (٢)، ولا يمكن أن يرخّص الله تعالى في الشرك.

→ قتيبة: ٣٤، تاريخ الطبري ١: ٢٢١، الكامل في التاريخ ١: ١٢٥، تاريخ الإسلام ١: ٢٠، البداية والنهاية ١: ٢٢٢، تاريخ ابن خلدون ٢ ق ١: ٣٧، السيرة النبوية لابن هشام ١: ٣، قصص الأنبياء ١: ٢٩٦، سبل الهدى والرشاد ١: ١٥٩، معجم البلدان ٢: ٢٢١.

١- سورة الحجرات: ٢.

٢- سورة النساء: ٤٨.

وورود الأمر به لا يرفع الشريعة؛ لأنّ ما هو شرك قبل الأمر لا يصير توحيداً بالأمر به، إذ الحكم لا يغير الموضوع كما مر في المقدمات. مع أنّه كما يقال بورود الشرع بتعظيم هذه المذكورات يقال بوروده بتعظيم قبور الأنبياء والصالحين، لما عرفت من أنّ فضلها وبركتها الموجب لتعظيمها ثابت بضرورة الشرع.

وكيف أمر الله بتعظيم المقام وما هو إلاّ صخرة تشرفت بقيام إبراهيم عليه السلام عليها حين بناء البيت، وبأثر قدمه، ولم تكن وثناً معبوداً، ولا معظمها كافراً ولا مشركاً، وكان معظم قبر إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، وقبر محمّد | سيد ولد آدم اللذين حويا جسديهما الشريفين كافراً ومشركاً؟! سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم.

وتوهم ورود النهي عن تعظيم القبور بينا فساد في محاله .
ويكفي في حرمة القبور وشرفها وفضلها وبركتها إيحاء صاحبيه أن يدفنا مع النبي | ، وقد عد دفنهما معه أعظم منقبة لهما، ولو كانت القبور ليس لها حرمة وشرف، ولا ترجى بركتها وبركة جوارها، فما الموجب لذلك؟! ولما أراد بنو هاشم تجديد العهد بالحسن بن علي عليه السلام بجده | ، وظن بنو أمية وأعوانهم أنّه يريدون دفنه عند جده لبسوا السلاح ومنعوههم أشدّ المنع قائلين: أيدفن عثمان في أقصى البقيع ويدفن الحسن عند جده ^(١)؟! وإذا لم يكن للقبر حرمة ولا شرف ولا بركة ترجى، فلماذا يأتي بنو هاشم

١- الاستيعاب لابن عبد البر ١: ٣٩٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٥٠، تاريخ مدينة دمشق ١٣: ٢٨٨، سير أعلام النبلاء ٣: ٢٧٩، تاريخ الإسلام ٤: ٢٢٩، البداية والنهاية ١١: ٢٧٤، ذخائر العقبى ١٤٢: ١، السيرة الحلبية ٣: ٤٩٤، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٢: ٦٧.

بجنازة الحسن ليجددوا به عهداً بجده | بوصية منه؟! وهل هذا إلا عين
التوسل والتبرك بالنبي | وبقبره بعد الموت الذي أنكره الوهابية وجعلوه
شركاً؟!!

وهل أشرك الحسن عليه السلام وبنو هاشم بفعلهم هذا وجهلوا معنى التوحيد
الذي عرفه أعراب نجد؟!!

وإذا لم يكن للقبور شرف وحرمة، فلماذا يتأسف بنو أمية لدفن عثمان في
أقصى البقيع ويمنعون من دفن الحسن عند جده؟!!

كل ذلك دال على شرف البقعة وفضلها عند عموم المسلمين بشرف من
فيها، وأنّ الدفن فيها طلباً لشرفها وبركتها أمر راجح مطلوب محبوب، تراق
دونه الدماء، وتزهق النفوس، وحينئذٍ فقياسهم تعظيم قبور الأنبياء والصالحين
بتعظيم الأصنام والأوثان التي لم يجعل الله لها حرمة، ونهى عن تعظيمها، سواء
كانت صور قوم الصالحين أو غيرها؛ قياس فاسد، وجهل فاضح .

وقال صاحب المنار في مجموعة مقالاته (الوهابيون والحجاز) ما معناه:
(إنّ تعظيم القبور تعظيماً دينياً من أعمال الشرك!! ثمّ قال : حدثني الشريف
محمد شرف عدنان باشا حفيد الشريف عبد المطلب الذي كان أعقل رجل
في شرفاء مكة أنّه رأى رجلاً في مسجد ابن عباس بالطائف يصلي مستقبل
القبر مستدبر القبلة، فظنه أعمى، وجاء ليحوّله إلى القبلة، فرآه بصيراً وأبى أن
يتحول، فأمر بإخراجه.

إلى أن قال ما حاصله: إنّ تعظيم القبور تعظيماً دينياً كان سبباً لمنكرات
كثيرة، وإنّ استحلال المجمع عليه والمعلوم من الدين بالضرورة كفر وخروج

من الملة^(١) انتهى.

وقد عرفت بما بيناه وأوضحناه أنّ تعظيم قبور الأنبياء والصالحين تعظيماً دينياً من الأمور المندوب إليها في الشرع، كتعظيم نفس الأنبياء والصالحين، وأنّ حرمتهم أمواتاً كحرمتهم أحياءً، وأنه كتعظيم جلد الشاة المعمول جلدًا للمصحف، لا يشكّ في ذلك إلا جاهل أو معاند.

وما حكاه عن هذا الشريف لم نسمع بمثله في شيء من بلاد الإسلام لا من الخواص ولا من أجهل العوام، ولا نظنه إلا فرية، وأن فرض صدقه لا يوجب أن يكون كلّ تعظيم شركاً وكفراً، فهل إذا عظمت السبائية علياً عليه السلام وأوصلته إلى درجة الألوهية يكون كلّ تعظيم له شركاً؟! ويدخل في حكمه على استحلال المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة أنّه كفر وخروج من الملة تعظيم قبر النبي | والتبرك به، فإنّ المسلمين قد أجمعوا على ذلك في جميع الأعصار والأمصار قولاً وعملاً حتّى وصل إلى حد الضرورة، ولم يخالف فيه غير الطائفة الوهابية!

وأما التبرك بقبر النبي | وغيره بلمس وتقبيل وتمسح به وطواف حوله ونحو ذلك فالحقّ جوازه ورجحانه، لما ستعرف من الأدلة الكثيرة الدالة عليه. أمّا علماء أهل السنة فاختلفوا في جوازه واستحبابه وكراهته، ولكن من كرهه إنّما كرهه بزعم منافاته للأدب كما ستعرف، قال السمهودي في وفاء الوفاء: (قال النووي: لا يجوز أن يطاف بقبره |، ويكره الصاق البطن والظهر بجدار القبر، قاله أبو عبيد الله، قاله الحلبي وغيره.

١- مجموع مقالات الوهابيون والحجاز: ١٠٢.

قال: ويكره مسحه باليد وتقبيله، بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضره في حياته. هذا هو الصواب الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته ؛ لأنّ البركة إنّما هي فيما وافق الشرع^(١) وأقوال العلماء وفي الإحياء مس المشاهد وتقبيلها عادة النصارى واليهود.

وقال الزعفراني : وضع اليد على القبر ومسه وتقبيله من البدع التي تنكر شرعاً، وروي أنّ أنس بن مالك رأى رجلاً وضع يده على قبر النبي | فنهاه وقال: ما كنا نعرف هذا على عهد رسول الله | . وقد أنكره مالك والشافعي وأحمد أشد الإنكار، وقال بعض العلماء: إن قصد بوضع اليد مصافحة الميت يرجى أن لا يكون به حرج، ومتابعة الجمهور أحقّ.

وفي تحفة ابن عساكر: ليس من السنة أن يمس جدار القبر المقدّس، ولا أن يقبله، ولا يطوف كما يفعل الجهال، بل يكره ذلك ولا يجوز، والوقوف من بعد أقرب إلى الاحترام ، ثمّ روى من طريق أبي نعيم بسنده أنّ ابن عمر كان يكره أن يكثر مس قبر النبي |^(٢).

قال البرهان بن فرحون بعد ذكره: وهذا تقييد لما تقدم، وهو عن ابن عمر في القبر نفسه، فالجدر الظاهرة أخف إذا لم يكثر منه.

وعن تأليف ابن تيمية : قيل لأحمد بن حنبل إنهم يلصقون بطونهم بجدار القبر، وأهل العلم من أهل المدينة لا يمسونه ويقومون ناحية ويسلمون؟ فقال : نعم، هكذا كان ابن عمر يفعل^(٣).

١- إلى هنا عبارة النووي في المجموع ٨: ٢٧٥.

٢- الحديث في جزء ابن عاصم: ١٠٦، تذكرة الحفاظ ١: ١٦١، سير أعلام النبلاء ١٢: ٣٧٨.

٣- إقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ١: ٣٦٧، الصارم المنكي: ١٤٥.

وقال أبو بكر الأثرم: قلت لأحمد بن حنبل: قبر النبي | يلمس
ويتمسح به؟

قال: لا أعرف هذا.

قلت: فالمنبر؟

قال: أما المنبر فنعم، قد جاء فيه شيء يروونه عن ابن أبي فديك، عن ابن
أبي ذئب، عن ابن عمر أنه مسح المنبر، ويروونه عن سعيد بن المسيب في
الرمانة أي رمانة المنبر قبل احتراقه، ويروى عن يحيى بن سعيد شيخ مالك أنه
حيث أراد الخروج إلى العراق جاء إلى المنبر فمسحه ودعا فرأيته استحسنت
ذلك.

قال السروجي الحنفي: لا يلمس بطنه بالجدار ولا يمسه بيده.

وعن كتاب أحمد بن سعيد الهندي: فيمن وقف بالقبر لا يلمس به
ولا يمسه ولا يقف عنده طويلاً.

وقال ابن قدامة من الحنابلة: لا يستحب التمسح بحائط قبر النبي |
ولا يقبله^(١).

وحكى العز بن جماعة عن كتاب العلل والسؤالات لعبد الله بن أحمد بن
حنبل: سألت أبي الرجل يمس منبر رسول الله | ، ويتبرك بمسه ويقبله
ويفعل بالقبر مثل ذلك، رجاء ثواب الله تعالى؟
قال: لا بأس^(٢).

قال العز بن جماعة: هذا يبطل ما نقل عن النووي من الإجماع.

وقال السبكي في الرد على ابن تيمية: إن عدم التمسح بالقبر ليس مما قام

١- المغني لابن قدامة ٣: ٥٩١، الشرح الكبير ٣: ٤٩٦.

٢- العلل ٢: ٤٩٣.

الإجماع عليه، فقد روى أبو الحسين يحيى بن الحسين بن جعفر في أخبار المدينة، عن عمر بن خالد، عن أبي نباته، عن كثير بن زيد، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب: أقبل مروان بن الحكم فإذا رجل ملتزم القبر، فأخذ مروان برقبته ثم قال: هل تدري ما تصنع؟

فقال: نعم إني لم آت الحجر، ولم آت اللبن، إنما جئت رسول الله |، سمعت رسول الله | يقول: «لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن أبكوا عليه إذا وليه غير أهله».

قال المطلب: وذلك الرجل أبو أيوب الأنصاري^(١)(٢).

وقال السمهودي في مقام آخر: (رواه أحمد بسند حسن عن عبد الملك بن عمرو، عن كثير بن زيد، عن داود بن أبي صالح وذكر مثله إلا أنه لم يذكر و(اللبن).

قال: ورواه الطبراني في الكبير والأوسط وتقدم في المبحث الثاني تمرغ بلال وجهه على القبر لما جاء لزيارته | .

قال: وفي تحفة ابن عساكر من طريق طاهر بن يحيى الحسيني، عن أبيه، عن جدّه، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي قال: لما رمس رسول الله | جاءت فاطمة، فوقفت على قبره، وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعتها على عينها وبكت، وأنشأت تقول:

١- هذه الحادثة في مسند أحمد ٥: ٤٢٢، المستدرك للحاكم ٤: ٥١٥، وصحح إسناده، المعجم الكبير ٤: ١٥٨، المعجم الأوسط ١: ٩٤، مجمع الزوائد ٥: ٣٤٥ وقال: >وفيه كثير بن زيد وثقه أحمد وغيره>، فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٦: ٥٠٣، رفع المنارة: ١٩٠، سبل الهدى والرشاد ١٢: ٣٩٨.

٢- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى | ٤: ١٣٥٩ وما بعدها.

مَاذَا عَلَى مَنْ شَمَّ تُرْبَةَ أَحْمَدٍ أَنْ لَا يَشَمَّ مَدَى الزَّمَانِ غَوَالِيَا
صُبَّتَ عَلَيَّ مَصَائِبُ لَوْ أَنَّهَا صُبَّتَ عَلَى الْأَيَّامِ عُذَنَ لَيَالِيَا^(١)

قال: وذكر الخطيب ابن حملة: أنَّ ابن عمر كان يضع يده اليمنى على القبر الشريف، وأنَّ بلالاً وضع خده عليه^(٢) - إلى أن قال - : ولا شك أنَّ الاستغراق في المحبة يحمل على الإذن في ذلك، والمقصود من ذلك كُله الاحترام والتعظيم، والناس تختلف مراتبهم في ذلك، كما كانت تختلف في حياته، فأناس حين يرونه لا يملكون أنفسهم ، بل يبادرون إليه، وأناس فيهم أناة، والكل محل خير.

وقال الحافظ ابن حجر: استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الحجر الأسود جواز تقبيل كل من يستحق التعظيم من آدمي وغيره - إلى أن قال - : ونقل عن أبي الصيف اليماني أحد علماء مكة من الشافعية جواز تقبيل المصحف وأجزاء الحديث وقبور الصالحين^(٣)، ونقل الطيب الناشري عن المحب الطبري أنه يجوز تقبيل القبر ومسه.

قال: وعليه عمل العلماء الصالحين وأنشد:

أمرُ على الديارِ ديارٍ لَيْلَى أَقْبَلُ ذَا الْجِدَارِ وَذَا الْجِدَارِ

١- الشرح الكبير ٢: ٤٣٠، روضة الواعظين : ٧٥، مناقب آل أبي طالب ١: ٢٠٨، نظم درر السمطين: ١٨١، تفسير الآلوسي ١٩: ١٤٩، الوافي بالوفيات ١: ٢٥٣، عيون الأثر لابن سيد الناس ٢: ٤٣٤، الفصول المهمة ١: ٦٧٢.

٢- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢: ٥٧، سبل الهدى والرشاد ١١: ٤٥١، إمتاع الأسماع للمقريزي ١٤: ٦١٨.

٣- فتح الباري ٣: ٣٨٠، نيل الأوطار ٥: ١١٥.

وَمَا حُبِّ الدِّيَارِ شَغَفَنَ قَلْبِي وَلَكِنْ حُبٌّ مِّنْ سَكَنِ الدِّيَارِ
وعن أبي خيثمة، عن مصعب بن عبد الله، عن إسماعيل بن يعقوب التيمي:
كان ابن المنكدر يصيبه الصمات، فكان يقوم كما هو يضع خده على قبر
النبي |، فعوتب في ذلك، فقال: إنه يصيبني خطرة، فإذا وجدت ذلك
استشفيت بقبر النبي |.

وكان يأتي موضعاً من المسجد في الصحن فيتمرغ فيه ويضطجع، ف قيل له
في ذلك فقال: إني رأيت النبي | في هذا الموضع. أراه قال: في النوم^(١)
انتهى ما أردنا نقله من وفاء الوفاء.

وبذلك ظهر أنَّ جملة ممن كره الصاق البطن والظهر والمسح باليد أو
إكثاره والتقبيل وإطالة الوقوف إنما قال به لمنافاته الأدب والاحترام بزعمه،
كما يدل عليه قول الحلبي: (بل الأدب أن يبعد منه) إلخ، وقول ابن عساكر:
(والوقوف من بعد أقرب إلى الإحترام).

وما حكى عن ابن عمر من كراهته إكثار المس لا أصل المس، فكأنه رأى
أنَّ في إكثار المس سوء أدب، وكذا إطالة الوقوف التي في كتاب الهندي
لا لكونه عبادة، وكيف يتوهم فيما جعل منافياً للاحترام أنَّه عبادة؟!

وبعضهم كرهه لزعم أنَّه بدعة كما في كلام الزعفراني، ويدل عليه قول
مالك: (ما كنا نعرف هذا على عهد رسول الله |)، وقول ابن عساكر: (ليس
من السنة)، وقول أحمد: (هكذا كان ابن عمر يفعل)، وقول الغزالي: (إنَّه عادة
النصارى واليهود)، وغير ذلك من كلماتهم، وكذلك منع الطواف به لزعم أنَّه

١- وفاء الوفا بأخبار دار | المصطفى ٤: ١٤٠٢-١٤٠٦.

بدعة أو لشبهه بالطواف بالكعبة المشرفة.

وكيف كان فليس في شيء من ذلك، إذ لا يقصد به سوى التبرك، وهو جائز وراجح، إذ لا يشكّ مسلم بأنّ القبر الذي حوى جسد النبي | مبارك، قد نالته بركة جسده الشريف، سيّما إذا قلنا بحياته البرزخية في قبره التي لا تنكرها الوهابية كما مر في المقدمات .

وإذا كان لذلك فلا مانع من التبرك بقبره الشريف بجميع أنواع التبرك من تقبيل ولمس وإصاق بدن وطواف حوله وغير ذلك، قال قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن السبكي في محكي كتابه شفاء السقام في زيارة خير الأنام الذي يرد به على ابن تيمية: (نحن نقطع ببطلان كلامه - أي ابن تيمية - وأنّ المعلوم من الدين وسيرة السلف الصالحين التبرك ببعض الموتى من الصالحين، فكيف بالأنبياء والمرسلين؟!

ومن ادعى أنّ قبور الأنبياء وغيرهم من أموات المسلمين سواء، فقد أتى أمراً عظيماً نقطع ببطلانه وخطئه فيه، وفيه حط لدرجة النبي | إلى درجة من سواه من المؤمنين، وذلك كفر متيقن، فإنّ من حط رتبة النبي | عمّا يجب له فقد كفر.

فإن قال: إنّ هذا ليس بحط ولكنه منع من التعظيم فوق ما يجب عليه.

قلت : هذا جهل وسوء أدب ونحن نقطع بأنّ النبي | يستحق من التعظيم أكثر من هذا المقدار في حياته وبعد موته، ولا يرتاب في ذلك من في قلبه شيء من الإيمان^(١) انتهى.

وتوهم أنّ ذلك أو بعضه بدعة توهم فاسد، لما عرفت في المقدمات من أنّه يكفي في كون الشيء سنة دخوله في عمومات أدلة الشرع وفحاويها،

١ - شفاء السقام: ٢٥٠، تطهير الفؤاد: ١٠٨.

ولا يلزم النص عليه بخصوصه، وقد فهم ضرورة من الشرع أنّ في القبر الذي ضم جسد سيد ولد آدم وأشرف المخلوقات بركة، وأنّ له فضلاً، وذلك كافٍ في جواز التبرك به جميع أنواع التبرك التي يرجى بها نيل بركته.

وما مرّ عن أحمد من أنّه كان ينكره أشدّ الإنكار معارض بما مرّ من حكاية ولده عنه الترخيص فيه، وقوله: (هكذا كان ابن عمر يفعل) لا يدل على ترجيحه لفعله، ولا يبعد أن يكون ترك ابن عمر له لظنه أنّ غيره أقرب إلى الأدب، مع أنّه معارض بما مرّ من أنّه كان يضع يده على القبر، وأنّه كره إكثار المس لا أصله، وكرهته الإكثار لظن منافاته الأدب، ومعارض بما مرّ من التزام أبي أيوب الأنصاري للقبر ورده على مروان ذلك الرد، ومن تمرغ بلال وجهه ووضع خده عليه، ووضع الزهراء ترابه على عينها، واستشفاء ابن المنكدر به بوضع خده عليه، وبالموضع الذي رآه فيه في النوم، بتمرغه واضطجاعه فيه، والاستشفاء أعظم من التبرك، ولذلك أجاز أبو الصيف أحد علماء مكة، والمحب الطبري، وقال: إنّ عليه عمل العلماء كما مرّ، مع أنّ ابن عمر وسعيد ابن المسيب ويحيى بن سعيد شيخ مالك تبركوا بمسح المنبر، كما مرّ الذي نال البركة بجلوس رسول الله | عليه برهة من الزمان، فكيف بقبره الذي بورك بوجود جسده الشريف على مرّ الدهور والأعوام؟!

ولذلك استنبط بعض العلماء من تقبيل الحجر الأسود جواز تقبيل كلّ من يستحق التعظيم من آدمي وغيره، وقد قال عمر: (إنّي لأقبلك وإنّي أعلم أنّك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنّي رأيت رسول الله | يقبلك ما قبلتك)^(١) رواه ابن ماجه، ولذلك جوز أحد علماء مكة تقبيل المصحف وأجزاء الحديث

١- مسند أحمد ٢٦: ١، صحيح مسلم ٤: ٦٦، سنن ابن ماجه ٢: ٩٨١، السنن الكبرى للبيهقي ٥: ٧٤، مسند أبي داود الطيالسي ٨: ٨، المصنّف للصنعاني ٥: ٧٢، مسند أبي يعلى الموصلي ١: ١٦٩، سير أعلام النبلاء ١٨: ٤١٢، البداية والنهاية ٥: ١٧٢، السيرة النبوية ٤: ٣٠٤.

كما مرّ، وتقبيل المصحف عليه عمل المسلمين كلّهم جيلاً بعد جيل، وروي أنّ النبي | طاف راكباً وكان يستلم الركن بمحجنه ويقبل المحجن^(١)، رواه مسلم وابن ماجة. وإذا جاز تقبيل المحجن لملامسة الركن أفلا يجوز تقبيل قبر حل فيه رسول الله |؟!

لا يقال: إنّما يجوز تقبيل المحجن اقتداءً بفعل رسول الله |، ولو رأيناه يقبل القبر ما توقفنا في جوازه، والعبادة مبناه على الاتباع؟

لأننا نقول: استفدنا من تقبيله المحجن الذي تبرك بملامسة الركن جواز تقبيل كلّ مستحقٍ للتعظيم، على نحو ما استفاد ذلك بعض العلماء من تقبيل الحجر الأسود كما مر، وحكى القسطلاني في إرشاد الساري عن أصحاب المذاهب استلامه باليد وتقبيلها والإشارة إليه باليدين وتقبيلهما.

ولو كان تقبيل قبر النبي | عبادة له أو للقبر لكان تقبيل يده أو بدنه الشريف في حياته وبعد موته عبادة له، لعدم تصور الفرق، مع أنّه قد روى أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن ابن عمر أنّه قبل يد النبي |^(٢)، وقد

١- صحيح مسلم ٤: ٦٨، سنن ابن ماجة ٢: ٩٨٣، سنن أبي داود ١: ٤٠٢، السنن الكبرى للبيهقي ٥: ١٠٠، مجمع الزوائد ٣: ٢٤٣، المصنّف للصنعاني ٥: ٤١، السنن الكبرى للنسائي ٢: ٤٠١، المنتقى من السنن المسندة: ١٢١، صحيح ابن خزيمة ٤: ٢٤٠، أمالي المحاملي: ٣١٧، صحيح ابن حبان ٩: ١٣٧، المعجم الكبير ١٠: ٣٢٦، المعجم الأوسط ٣: ١٠١، معرفة السنن والآثار ٤: ٨٦، نصب الراية ٣: ١١٥، موارد الضمآن ٥: ٣٤٥.

والمحجن: عصة معقفة الرأس كالصولجان. راجع لسان العرب ١٣: ١٠٨، النهاية في غريب الحديث ١: ٣٤٧.

٢ مسند أحمد ٢: ٢٢ الرخصة في تقبيل اليد: ٥٩، سنن ابن ماجة ٢: ١٢٢١، المصنّف لابن أبي شيبه ٦: ١٩٨، تخريج الأحاديث والآثار ٢: ١٧.

قَبْلَ سَوَادِ بْنِ غَزِيَّةَ بَطْنِ رَسُولِ اللَّهِ | فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، نَقَلَهُ فِي السَّيْرَةِ الْحَلَبِيَّةِ^(١)، وَأَقْرَهُ | عَلَى ذَلِكَ، وَقَبْلَ كَشْحِهِ سَوَادُ بْنُ عَمْرٍو وَلَمْ يَنْهَهُ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ كَمَا فِي السَّيْرَةِ الْحَلَبِيَّةِ^(٢)، وَفِيهَا أَيْضاً عَنِ الْخَصَائِصِ الصَّغْرَى: (وَمِنْ خَصَائِصِهِ | أَنَّهُ مَا التَّصَقَّ بِبَدَنِهِ مُسْلِمٌ وَتَمَسَّهُ النَّارُ)^(٣).

أَقُولُ: وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا بَبْرَكَةِ بَدَنِهِ الشَّرِيفِ، فَمَنْ التَّصَقَّ بِقَبْرِهِ الَّذِي بَوْرِكَ بِالتَّصَاقِهِ بِبَدَنِهِ الشَّرِيفِ يَرْجَى لَهُ ذَلِكَ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَاجَةَ فِي سَنَنِهِ: (أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَبْلَ النَّبِيِّ | وَهُوَ مَيِّتٌ)^(٤)، وَعَنْ كَفَايَةِ الشَّعْبِيِّ وَفَتَاوَى الْغُرَائِبِ وَمَطَالِبِ الْمُؤْمِنِينَ وَخَزَانَةِ الرِّوَايَةِ مَا هَذَا لَفْظُهُ: (لَا بِأَسْ بِتَقْبِيلِ قَبْرِ الْوَالِدَيْنِ؛ لِأَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ | فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي حَلَفْتُ أَنْ أَقْبِلَ عَتَبَةَ بَابِ الْجَنَّةِ، وَجِبْهَةَ حُورِ الْعَيْنِ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَقْبِلَ رَجُلًا

١- أَسَدُ الْغَابَةِ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ ٢: ٣٧٥، شَرْحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ لِابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ١٤: ١١٩، إِمْتَاعُ الْأَسْمَاعِ ١: ٩٩، السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِابْنِ هِشَامٍ ٢: ٤٥٧، عَيُونُ الْأَثَرِ ١: ٣٣٦، السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِابْنِ كَثِيرٍ ٢: ٤١٠، السَّيْرَةُ الْحَلَبِيَّةُ ٢: ٤٠٢.

٢- سَنَنُ أَبِي دَاوُدَ ٢: ٥٢٣، السَّنَنُ الْكُبْرَى لِلْبَيْهَقِيِّ ٧: ١٠٢، نَصَبُ الرَّايَةِ ٦: ١٥٧، الْمُسْتَدْرَكُ لِلْحَاكِمِ ٣: ٢٨٨ وَصَحْحُهُ، الْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ ١: ٢٠٦، الدَّرَايَةُ فِي تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ الْهَدَايَةِ ٢: ٢٣٢، تَذَكُّرَةُ الْمَوْضُوعَاتِ: ١٨٦، وَقَالَ: (قَالَ الذَّهَبِيُّ: إِسْنَادُهُ قَوِيٌّ)، كَشْفُ الْخَفَاءِ ٢: ٤١، سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ١: ٣٤٢ وَصَحْحُهُ مُحَقَّقُ السَّيْرِ الشَّيْخُ شُعَيْبُ الْأَرْنَؤُوطُ، السَّيْرَةُ الْحَلَبِيَّةُ ٢: ٤٠٣.

٣- السَّيْرَةُ الْحَلَبِيَّةُ ٢: ٤٠٣ وَقَالَ: (وَلَا تَأْكُلِ النَّارُ شَيْئًا مِنْ جَسَدِهِ وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ).

٤- مُسْنَدُ أَحْمَدَ ١: ٢٢٩، صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ ٥: ١٤٣ بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ، سَنَنُ ابْنِ مَاجَةَ ١: ٤٦٨، سَنَنُ التِّرْمِذِيِّ ٢: ٢٢٩، سَنَنُ النَّسَائِيِّ ٤: ١، الْمُسْتَدْرَكُ لِلْحَاكِمِ ١: ٣٦١، الْمَصْنَفُ لِابْنِ أَبِي شَيْبَةَ ٣: ٢٥٩، الشَّمَائِلُ الْمُحَمَّدِيَّةُ ٢: ٢٠٢، السَّنَنُ الْكُبْرَى لِلنَّسَائِيِّ ١: ٦٠٥، كِتَابُ الْوَفَاةِ: ٦١، مُسْنَدُ أَبِي يَعْلَى الْمُوَصِّلِيِّ ١: ٣٥، صَحِيحُ ابْنِ حِبَانَ ٧: ٢٩٩.

الأم وجبهة الأب.

قال : يا رسول الله، إن لم يكن أبوي حيّين؟

قال : قبّل قبرهما.

قال: فإن لم أعرف قبرهما؟

قال: **خَطَّ خَطَّيْنِ إِنْوَ أَحَدُهُمَا قَبْرُ الْأُمِّ وَالْآخَرُ قَبْرُ الْأَبِ، فَقَبَّلَهُمَا فَلَا تَحْذَرُ**

فِي يَمِينِكَ (١).

ومرّ في فصل الدعاء والاستغاثة تمسح الناس بالعبّاس لما استسقى به عمر فسقوا، وعن القاضي عياض في شرح الشفا أنّه: (رؤي ابن عمر واضعاً يده على مقعد النبي | من المنبر ثمّ وضعها على جبهته) (٢)، فيجوز التبرك بمقعد النبي | من المنبر ولا يجوز التبرك بقبره الذي ضمّ جسده الشريف؟! أما قول الغزالي: (إنّ مس المشاهد وتقبيلها عادة النصارى واليهود) (٣) فيرده ما سمعت من أنّه عادة المسلمين أيضاً أكابرهم وأصاغرهم، وكونه عادة النصارى واليهود لا يصير دليلاً على منعه بعد أن ثبت من الشرع جوازه كما عرفت.

أما توهم أنّ اللمس أو كثرته وإصاق البطن والظهر وإطالة الوقوف منافية للآداب فتوهم فاسد، لأنّ فعل ذلك بقصد التبرك من تمام الأدب والاحترام، وكذا إكثاره وإطالة الوقوف طلباً لزيادة البركة والثواب ليس فيه شيء من

١- مطالب المؤمنين : ٢١٤.

٢- المغني لابن قدامة ٣: ٥٩١، الشرح الكبير ٣: ٤٩٦، كشف القناع ٢: ٦٠٠، كنز العمال ٥: ٦٣٣، الطبقات الكبرى ١: ٢٥٤، التاريخ الكبير ١: ٩٦، الثقات لابن حبان ٤: ٩، الأنساب للسمعاني ٤: ٤٢٦، إمتاع الأسماع ١٤: ٦١٨، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢: ٥٧.

٣- نقله عنه السمهودي في وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى المتقدم ٤: ١٤٠٢، سبل الهدى والرشاد ١٢: ٣٩٨.

منافيات الآداب.

أما الطواف بالقبر فإنّ أريد به أنّه مأمور به بخصوصه، وأنّه عبادة خاصّة كالطواف بالكعبة، فهو تشريع محرم، لكن هذا لا يقصده أحد، وإنّما يقصد الطائف حصول البركة، بل المبالغة في حصولها حتّى لا يبقى جانب من القبر إلا وتناله بركته، شبيهاً بالطواف بالكعبة لا يوجب حرمة، فإنّما الأعمال بالنيات، ولكلّ امرئ ما نوى، وليس كلّ شبيه بالعبادة يكون ممنوعاً و إلاّ لحرم تقبيل الآدمي رحمة، وتقبيل الميت، لمشابهته تقبيل الحجر الأسود، ولا يقول به أحد.

وفي تاريخ مكة المكرمة المسمّى بالإعلام بأعلام بيت الله الحرام لقطب الدين الحنفي عن قصص الأنبياء: (إنّ إبراهيم عليه السلام لما جاء لزيارة ولده إسماعيل بمكة جاءته زوجة إسماعيل بحجر، وهو حجر المقام الذي بنى عليه الكعبة، فجلس عليه، فغاصت رجلاه في الحجر، فغسلت شقيه الأيمن والأيسر، وأفاضت الماء على رأسه وبدنه وانصرف، فلما جاء إسماعيل وجد رائحة أبيه، فسأل زوجته، فأخبرته وقالت: هذا موضع قدميه، فقبل موضع قدم أبيه من الحجر وحفظه يتبرك به إلى أن بنى عليه فيما بعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام الكعبة) (١) انتهى.

فهل كفر أيّها الوهابيون إسماعيل بتقبيله موضع قدم أبيه وتبركه بحجر وقف عليه أبوه؟!

وهل هذا الحجر بوقوف إبراهيم عليه السلام عليه صار أشرف من بقعة ضمت جسد سيّد الأنبياء محمّد | التي جعلتم تقبيلها والتبرك بها شركاً وكفراً؟!

١- الإعلام بأعلام بيت الله الحرام : ٢٤، تاريخ الطبري ١: ١٨٢، جامع البيان ١٣: ٣٠٣، تفسير الثعلبي ١: ٢٧١، تفسير البغوي ١: ١١٣، قصص الأنبياء : ١٣٩.

والعجب أن الوهابيين منعوا الناس من التبرك بالبناء الذي على مقام إبراهيم عليه السلام ومن لمسه وتقبيله !!

وأخبرنا في هذه السنة أن بعض الحجاج لمس القفل الذي على باب المقام، فضربوه ضرباً مبرحاً أدى به إلى قذف الدم والخطر على الحياة، فالمقام الذي بلغ من فضله عند الله تعالى ببركة وقوف خليفه إبراهيم عليه أن أمر بأن يتخذ مصلي بقوله: {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} ^(١) لا يستحق أن يتبرك بما جاوره عند الوهابيين؟! لقد ردوا بفعلهم هذا على الله وحادوه وعملوا بضد ما أمر به.

وروى السمهودي في وفاء الوفاء: (عن يحيى بن عباد أنه روى أن بيت فاطمة الزهراء لما أخرجوا منه فاطمة بنت حسين، وزوجها حسن بن حسن، وهدموا البيت، بعث حسن ابنه جعفر، وكان أسن ولده وقال: انظر الحجر الذي من صفته كذا وكذا هل يدخلونه في بنيانهم؟ فرصدهم حتى رفعوا الأساس وأخرجوا الحجر، فأخبر أباه، فخر ساجداً وقال: ذلك حجر كان رسول الله | يصلّي إليه إذا دخل إلى فاطمة أو كانت فاطمة تصلّي إليه، الشك من يحيى .

وقال علي بن موسى الرضا: ولدت فاطمة عليها السلام الحسن والحسين عليهما السلام على ذلك الحجر.

قال يحيى: ورأيت الحسين بن عبد الله بن عبد الله بن الحسين ولم أر فينا رجلاً أفضل منه ، إذا اشتكى شيئاً من جسده كشف الحصى عن الحجر فيتمسح به ^(٢) الحديث، ومر تمامه في الفصل التاسع في تفصيل بناء

١- سورة البقرة: ١٢٥.

٢- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٢: ٥٧٢ - ٥٧٣.

الحجرة الشريفة.

فإذا كانت هذه حرمة حجر نال البركة بولادة الزهراء ولديها الحسين عليه وبصلاتها أو صلاة أبيها | إليه، وهذه حال خيار السلف الذي يدعي الوهابية الإقتداء بهم بالنسبة إليه، وهم في قرنه أو القريب منه الذي روي أنه خير القرون^(١)، فكيف بتربة ضمت جسد أبيها وجسدها الشريفين، ألا يحقّ التبرك والتمسح والاستشفاء بها وطلب الحوائج من الله عندها أيّها الإخوان؟! وكان الصحابة يتبركون بالماء الذي يغسل رسول الله | به يديه، وببصاقه، وما يسقط من شعره، ولم ينههم عن ذلك، ولم يعده عبادة ولا شركاً، ولا يزيد عن ذلك التبرك بقبره الشريف، ففي السيرة الحلبية: (أنّ عروة بن مسعود الثقفي قام من عند رسول الله | عام الحديبية، وقد رأى ما يصنع به أصحابه؛ لا يتوضأ أو يغسل يديه إلّا ابتدروا وضوءه، وكادوا يقتتلون عليه، ولا يبصق بصاقاً إلّا ابتدروه، يدلك به من وقع في يده وجهه وجلده، ولا يسقط من شعره شيء إلّا أخذوه)^(٢) الحديث ، وروى البخاري في باب

١- في الحديث المتواتر عنه ﷺ: <خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتي بعد ذلك قوم تسبق شهادتهم إيمانهم>. وهو في: مسند أحمد ١: ٣٧٨، صحيح البخاري ٣: ١٥١ كتاب الشهادات، صحيح مسلم ٧: ١٨٥ باب فضل الصحابة ، سنن الترمذي ٣: ٣٣٩، المستدرک للحاكم ٣: ١٩١ وصححه، السنن الكبرى للبيهقي ١٠: ١٢٢، المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٥٤٨، منتخب مسند عبد بن حميد ١٤٩: ١٤٩، كتاب السنة ٦١٣: ٦١٣، نظم المتناثر من الحديث المتواتر: ١٩٩ وغيرها من المصادر. والخيرية في هذه القرون واضحة لوجود أئمة أهل البيت ^٨ في هذه الفترة الزمنية، وهم المنتجبون المصطفون من قبل الله تعالى.

٢- السيرة الحلبية ٢: ٦٩٩، مسند أحمد ٤: ٣٢٤، شرح مسلم للنووي ١٣: ٢٢٤، تحفة الأحوذ في شرح سنن الترمذي ٥: ٤٧٤، عون المعبود في شرح سنن أبي داود ١٠: ١٨٣، نيل الأوطار ١: ٦٩، تفسير ابن كثير ٤: ٢١٠، البداية والنهاية ٤: ١٩١، السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٧٧٩.

صفة النبي | بسنده عن أبي جحيفة : «خرج رسول الله | بالهجرة إلى البطحاء فتوضأ، ثم صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين^(١) - إلى أن قال - : وقام الناس، فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم، فأخذت بيده، فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب رائحة من المسك»^(٢)، وروى في أواخر هذا الباب بسنده عنه - إلى أن قال - : « فأخرج بلال فضل وضوء رسول الله | ، فوقع عليه الناس يأخذون منه»^(٣) ، وروى في باب استعمال فضل وضوء الناس بسنده عن أبي جحيفة : «خرج علينا رسول الله | بالهجرة ، فأتي بوضوء فتوضأ ، فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه فيتمسحون به»^(٤)، ورواه في الصلاة نحوه وقال : « فجعل الناس يتمسحون بوضوئه»^(٥) قال القسطلاني : (واستنبط منه التبرك بما يلامس أجساد الصالحين)^(٦)، وروى مسلم في الصلاة بسنده عن أبي جحيفة : «أتيت النبي | بمكة وهو بالأبطح، فخرج بلال بوضوئه، فمن نائل وناضح»^(٧)

١- فيه دلالة على أن قصر الصلاة في السفر لا يختص بحال السير، لأن القسطلاني في الشرح قال : (إن ذلك كان بمكة)، وفي رواية مسلم ٥٦: ٢: «ثم لم يزل يصلي ركعتين حتى رجع إلى المدينة» وفي سنن النسائي ٣: ١٣١: «أقام خمس عشر يوماً يصلي ركعتين ركعتين» (المؤلف).
٢- صحيح البخاري ٤: ١٦٥ باب صفة النبي ﷺ، مسند أحمد ٤: ١٦١، المعجم الكبير ٢٢: ١١٥.

٣- صحيح البخاري ٤: ١٦٧ باب صفة النبي ﷺ، سنن النسائي ١: ٨٧، المعجم الكبير ٢٢: ١٢١.
٤- صحيح البخاري ١: ٥٥ كتاب الوضوء، صحيح مسلم ٢: ٥٧، عون المعبود ١: ٩٣، سنن ابن الجعد ٤٠: ٤٠، سبل الهدى والرشاد ١٠: ٣٧.
٥- صحيح البخاري ١: ١٢٧ أبواب ستر المصلي، السنن الكبرى للبيهقي ١: ٢٣٥، أسد الغابة ٣: ٣٢٠.

٦- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ١: ٤٨٢ - ٤٨٣، باب استعمال فضل وضوء الناس.
٧- صحيح مسلم ٢: ٥٦ باب سترة المصلي، السنن الكبرى للبيهقي ١: ٣٩٥، مسند أبي يعلى ←

الحديث، قال النووي : (معناه فمنهم من ينال منه شيئاً، ومنهم من ينضح عليه غيره شيئاً مما ناله ويرش عليه بللاً مما حصل له)،^(١) ويسنده عنه في حديث قال: «ورأيت بلالاً أخرج وضوءاً، فرأيت الناس يتدرون ذلك الوضوء، فمن أصاب منه شيئاً تمسح به، ومن لم يصب منه أخذ من بلل يد صاحبه»^(٢)، وفي رواية لمسلم: «فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه»^(٣)، قال النووي : (ففيه التبرك بآثار الصالحين واستعمال فضل طهورهم وطعامهم وشرابهم ولباسهم)^(٤) انتهى.

وإذا جاز التبرك والتمسح بيد النبي | وببصاقه وشعره وبالماء الذي لامس جسده، ولم يكن ذلك شركاً ولا عبادة له، جاز التبرك بالقبر الذي حوى جميع جسده الشريف على سبيل الدوام، أم تقولون أيها الإخوان إن الصحابة أشركوا بفعلهم هذا وأقرهم النبي | على شركهم؟! ومما يدل على جواز التبرك بقبر النبي | والتمسح به ما ذكره السهودي في وفاء الوفاء نقلاً عن ابن شبة، عن عبد العزيز بن عمران في حديث : (أنه لما توفيت فاطمة بنت أسد نزل النبي | فاضطجع في اللحد وقرأ فيه القرآن، ثم نزع قميصه فأمر أن تكفن فيه وقال: ما أعفي أحد من

→ الموصلي ٢: ١٨٨، صحيح ابن حبان ٦: ١٤٤، المعجم الكبير ٢٢: ١٠٢، النهاية في غريب الحديث ٥: ٧٠.

١- شرح مسلم للنووي ٤: ٢١٨، الديباج على مسلم للسيوطي ٢: ١٨٧.

٢- صحيح مسلم ٢: ٥٦ باب سترة المصلي، مسند أحمد ٤: ٣٠٨، صحيح البخاري ٧: ٥٠ كتاب اللباس، المعجم الكبير ٢٢: ١٢٠.

٣- صحيح مسلم ٢: ٥٧ باب سترة المصلي، مسند أحمد ٤: ٣٠٧، عمدة القارئ للعيني ٣: ٧٤، عون المعبود ١: ٩٣، مسند ابن الجعد ٤٠، مسند أبي يعلى الموصلي ٢: ١٩١.

٤- شرح مسلم للنووي ٤: ٢١٩.

ضغطة القبر إلاً فاطمة بنت أسد.

قيل : يا رسول الله | ، ولا القاسم؟

قال: ولا إبراهيم، وكان إبراهيم أصغرهما^(١).

قال : وروى ابن شبة عن جابر بن عبد الله: أنه لما أخبر | بوفاتها نزع قميصه فقال: إذا غسلتموها فثشعروها إياه تحت أكفاتها، وأنه تمعك في اللحد، فقيل: يا رسول الله، رأيناك صنعت شيئين ما رأيناك صنعت مثلهما؛ نزعك قميصك، وتمعك في اللحد؟

قال: أما قميصي فأريد أن لا تمسها النار أبداً إن شاء الله تعالى، وأما تمعكي في اللحد، فأردت أن يوسع الله عليها في قبرها^(٢).

قال : وروى ابن عبد البر، عن ابن عباس : أنها لما ماتت ألبسها رسول الله | قميصه واضطجع معها في قبرها، فقالوا : ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه؟

فقال: إنه لم يكن بعد أبي طالب أبر لي منها ، إنما البستها قميصي لتكسى من حلل الجنة ، واضطجعت معها ليهون عليها^(٣) انتهى.

فهذا صريح في حصول البركة لقبرها رضوان الله عليها باضطجاعه | وتمعكه فيه، بحيث صار ذلك موجبا لرفع ضغطة القبر عنها التي لم يسلم منها ولد رسول الله | الرضيع، وفي حصول البركة بالقميص بمماسه جسد

١- الإصابة لابن حجر ٥: ٣٩٠، تاريخ المدينة لابن شبة ١: ١٢٤، سبل الهدى والرشاد ١١: ١٩، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٣: ٨٩٧-٨٩٨.

٢- تاريخ المدينة لابن شبة ١: ١٢٤، وعنه وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٣: ٨٩٨.

٣- الاستيعاب لابن عبد البر ٤: ١٨٩١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٤، أسد الغابة ٥: ٥١٧، سير أعلام النبلاء ٢: ١١٨، المعجم الأوسط ٧: ٨٧، مجمع الزوائد ٩: ٢٥٧، إمتاع الأسماع ٦: ٢٧٦، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٣: ٨٩٧-٨٩٨.

رسول الله | بحيث تفيد مماسسته لبدنها نجاتها من النار، واللبس من حلل الجنة؛ فكيف ينكر بعد هذا أن لمس قبره الذي تبرك وتشرف بملامسة جسده المبارك الشريف ومجاورته موجب للبركة، ونيل خير الدنيا والآخرة، ويجعل كفرًا وشركًا، لولا الخذلان والحرمان؟!

وفي وفاء الوفاء: (عن عبد الواحد بن محمد، عن عبد الرحمن بن عوف أنه أوصى أن يدفن عند عثمان بن مظعون فدفن هناك)^(١)، وفيه أنه روى ابن سعد في طبقاته: (عن أبي عبيدة بن عبد الله أن ابن مسعود قال: ادفنوني عند قبر عثمان بن مظعون)^(٢) انتهى.

وذلك قصداً إلى التبرك بجواره، ولأن النبي أمر بدفن ابنه إبراهيم عنده كما في وفاء الوفاء^(٣).

وذكر السمهودي في وفاء الوفاء فصلاً في الاستشفاء بتراب المدينة وبتمرها كرواية: «غبار المدينة شفاء من الجذام»^(٤)، وقوله | : «والذي نفسي بيده إن في غبارها شفاء من كل داء»، وفي رواية: «ومن الجذام والبرص»^(٥) وفي رواية: «عجوة المدينة شفاء من السقم، وغبارها شفاء من الجذام»^(٦) وفي رواية: «والذي نفسي بيده إن تربتها لمؤمنة، وإنها شفاء

١- تاريخ المدينة لابن شبة ١: ١١٥، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٣: ٨٩٩.

٢- الطبقات الكبرى لابن سعد ٣: ١٥٩، وعنه وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٣: ٩٩٠.

٣- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٣: ٨٩٢.

٤- الجامع الصغير ٢: ١٩٧ ح ٥٧٥٣، كنز العمال ١٢: ٢٣٦، كشف الخفاء ومزيل الإلتباس ٢: ٧٨.

٥- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ١: ٦٧.

٦- فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٤: ٥٢٦، كشف الخفاء ومزيل الإلتباس ٢: ٧٨، السيرة

من الجذام»^(١) وفي رواية «غبار المدينة يطفئ الجذام»^(٢) إلى غير ذلك مثل ما رواه في الاستشفاء من الحمى بتراب صعب وهو وادي بطحان .
 وحديث : «من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها حين يصبح لم يضره شيء حتى يمسي»^(٣) رواه مسلم ، وحديث : « من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر»^(٤) ، روي في الصحيحين ورواه أحمد برجال الصحيح بلفظ : « من أكل سبع تمرات عجوة مما بين لابتي المدينة على الريق لم يضره يومه ذلك شيء حتى يمسي . قال الرواي : وأظنه قال: وإن أكلها حين يمسي لم يضره شيء حتى يصبح»^(٥)، وفي رواية : « من تصبح بسبع تمرات من العجوة

لا أعلمه إلا قال : من العالية لم يضره يؤمنذ سم ولا سحر» ، وحديث : «إن في عجوة العالية شفاء أو أنها ترياق أول البكرة»^(٦) رواه مسلم إلى غير ذلك

الحلية ٢: ٢٨٧.

١- فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٤: ٥٢٦.

٢- الجامع الصغير ٢: ١٩٧، كنز العمال ١٢: ٢٣٦، كشف الخفاء ومزيل الإلتباس ٢: ٧٨، السيرة الحلية ٢: ٢٨٥.

٣- صحيح مسلم ٦: ١٢٣ باب فضل تمر المدينة ، السنن الكبرى للبيهقي ٩: ٣٤٥، فتح الباري ١٠: ٢٠٣، مسند سعد بن أبي وقاص : ٨١، إمتاع الأسماع ٧: ٣٩٦.

٤- صحيح البخاري ٦: ٢١٢ كتاب الأطعمة، صحيح مسلم ٦: ١٢٣ باب فضل تمر المدينة، سنن أبي داود ٢: ٢٢٣، مسند الحميدي ١: ٣٨، المصنّف لابن أبي شيبة ٥: ٤٢٩، مسند أبي يعلى الموصلي ٢: ٧٣، أمالي المحاملي : ٦٨، الجامع الصغير ٢: ٥٩٠، أسد الغابة ٢: ٨٢.

٥- مسند أحمد ١: ١٦٨، مجمع الزوائد ٥: ٤١ وقال: (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح) .

٦- مسند أحمد ٦: ١٥٢، صحيح مسلم ٦: ١٢٤ باب فضل المائة ، مجمع الزوائد ٥: ٤١، عمدة

مما أورده السمهودي^(١).

ويقال: إنّ العجوة مما غرسه النبي | بيده بالمدينة، حكى ذلك مما أورده السمهودي عن ابن الأثير والبخاري، قال: (فلعلّ الأوداء التي كاتب سلمان الفارسي أهلها عليها وغرسها | بيده الشريفة بالفقير أو غيره من العالية كانت عجوة، والعجوة توجد الفقير إلى يومنا هذا)^(٢) انتهى.

ومعلوم أنّ تراب المدينة المنورة وعجوتها إنّما نالا البركة بوجود النبي | في المدينة حياً وميتاً، وبغرسه نخل العجوة، أفلا يكون قبره الشريف أولى بالبركة، ويكون من يتبرك ويستشفى به كافراً مشركاً كعبدة الأصنام؟!

قال السمهودي في وفاء الوفاء: (انعقد الإجماع على تفضيل ما ضم الأعضاء الشريفة حتّى على الكعبة، وأجمعوا على تفضيل مكة والمدينة على سائر البلاد، واختلفوا أيّهما أفضل؛ فذهب عمر بن الخطاب وابنه عبد الله ومالك بن أنس وأكثر المدنيين إلى تفضيل المدينة، وأحسن بعضهم فقال: الخلاف في غير الكعبة، فهي أفضل من المدينة ما عدا ما ضمّ الأعضاء الشريفة إجماعاً).

قال: وحكاية الإجماع على تفضيل ما ضمّ الأعضاء الشريفة نقله القاضي

القارئ ٢١: ٧١، المصنّف لابن أبي شيبة ٥: ٤٢٩، مسند ابن راهويه ٢: ٥٣٥، السنن الكبرى للنسائي ٤: ١٦٥ .

١- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ١: ٦٧ - ٧٠، الفصل السادس: <في الاستسقاء بترابها وبثمرها وما جاء فيه> .

٢- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ١: ٧١، النهاية في غريب الحديث ٣: ١٨٨، مجمع البحرين ٣: ٢١٩ .

عياض، والقاضي أبو الوليد الباجي قبله، كما قال الخطيب بن جملة ونقله أبو اليمن بن عساكر وغيرهم، مع التصريح بالتفضيل على الكعبة، ونقل التاج الفاكهي نفي الخلاف عن ذلك^(١) انتهى.

وهل نالت المدينة المنورة هذا الفضل العظيم حتى صارت أفضل من مكة أو ما عدا الكعبة إلا بوجود النبي | فيها حياً وميتاً؟ وإذا كان محل القبر الشريف صار يفضل على الكعبة المعظمة، ويدعى على ذلك الإجماع، أفلا يستحق أن يعظم ويتبرك به، ويكون تعظيمه والتبرك به شركاً وكفراً كعبادة الأصنام؟!

وعقد السمهودي عدّه فصول أورد فيها ما روي في الحثّ على حفظ أهلها وإكرامهم، وأنهم جيرانه |، والتحريض على الموت بها، والدعاء بذلك، وعلى المجاورة بها، والدعاء لها ولأهلها، وعصمتها من الدجال والطاعون، والأحاديث الواردة في تحريمها وغير ذلك^(٢).

وغير خفي أنّها حازت كلّ هذه الفضائل بتشرفها بهجرته | إليها وسكنائه بها حياً وميتاً، وإلا كانت كسائر البلاد، فإذا كانت إنّما حازت هذا الشرف به | وقبره الشريف أفلا يسوغ أن يتبرك بقبر من هذه بركته، وهذه

١- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ١: ٢٤، الباب الثاني، الفصل الأوّل (في تفضيلها على غيرها من البلاد).

٢- راجع: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ١: ٣٩، الفصل الثاني: (في الحثّ على الإقامة بها، والصبر على لأوائها وشدّته، وكونها تنفي الخبث والذنوب، ووعيد من أراد أهلها بسوء أو أحدث بها حدثاً، أو آوى محدثاً) و١: ٤٧ الفصل الثالث: (في الحثّ على حفظ أهلها وإكرامهم والتحريض على الموت بها واتخاذ الأصل)، والفصل الرابع والخامس تجد ما ذكره المؤلف هناك.

حرمة عند الله تعالى، ويكون التبرك به شركاً وكفراً؟!!

وعن الصديق حسن الحنبلي عن الإمام مالك أنه مع ضعفه وكبر سنه لم يركب قط في أرض المدينة، وكان يقول: (لا أركب في مدينة فيها جثة رسول الله | مدفونه)^(١) انتهى.

ومع كل هذا يجعل الوهابيون التبرك بقبر رسول الله | شركاً وكفراً!! ومن ذلك يظهر أن قول بعض الوهابيين في الرسالة الثالثة من رسائل الهدية السنية خطاباً لأهل مكة: (من جمع بين سنة رسول الله | في القبور وما أمر به ونهى عنه وما كان عليه أصحابه، وبين ما أنتم عليه اليوم من فعلكم مع قبر أبي طالب والمحجوب وغيرهما، وجد أحدهما مضاداً للآخر مناقضاً له)^(٢) إلى آخر ما قال، أحق بأن يقلب عليه فيقال: من جمع بين منعكم من تعظيم قبر النبي | والتبرك والتمسح به، وبين ما قدمناه مما أثر عن النبي | وأصحابه، وجد أحدهما مضاداً للآخر مناقضاً له.

وأما استشهاد الوهابيين بخبر يغوث ويعوق ونسر التي هي أسماء قوم صالحين فلا شاهد فيه؛ لأنّ الذم ليس على التبرك بهؤلاء الصالحين وبقبورهم، بل على عبادة صورهم، فقد ذكر المفسرون أنّ الآباء تبركت بهم، والأبناء عبدت صورهم، فالذم للأبناء على العبادة، لا للآباء على التبرك.

* * *

١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٤: ١٣٦.

٢- الهدية السنية والتحفة النجدية، الرسالة الثالثة المسماة بالفواكه العذاب: ١١٤.

الفصل الخامس عشر

في اتخاذ الخدمة والسدنة لقبور الأنبياء والأولياء والصلحاء واتخاذها أعياداً

وهذا ممّا منعه الوهابية وصرّحوا في كتابهم لشيخ الركب المغربي المتقدم في الباب الثاني بأنّ اتخاذها أعياداً وجعل السدنة لها شرك وكفر، وعبادة للقبور، لزعمهم أنّ كلّ تعظيم لها فهو عبادة، وأنّها صارت بذلك أصناماً وأوثاناً، وأنّ جعل الخدمة والسدنة لها كما كان يجعل المشركون السدنة لأوثانهم!

وهذا جعل منهم، لما بيّناه مراراً في الفصول السابقة وفي تضاعيف كلماتنا من أنّ تعظيم من يستحقّ التعظيم، واحترام من هو أهل للاحترام، ليس عبادة له، ما لم يعظم بشيء من خواصّ الربوبية، كالسجود ونحوه، وأنّ تعظيم المشركين لأصنامهم بجعل السدنة لها وغيره تعظيم لغير من عظمه الله، ولمن نهى الله عن تعظيمه، ولم يجعل له حرمة، لكونه حجراً أو شجراً ونحو ذلك، سواء كان على صورة نبي أو صالح أو لا، أما قبور الأنبياء والصلحاء فقد شرفها الله، وأوجب تعظيمها بتضمنها لجسد وليه ونبيّه، فمن عظمها فقد عظم الله تعالى، وأطاع أمره، ومن تعظيمها جعل السدنة والخدمة لها، ليحفظوها من وقوع القاذورات والأوساخ عليها، ويعينوا زوارها على حوائجهم، ويسرجوا حولها، ويفرشوا لمن أراد عبادة الله عندها بصلاة أو قراءة قرآن أو دعاء أو ذكر أو غير ذلك مما أمر الله به وشرّعه في كلّ زمان ومكان، سيّما الأمكنة الشريفة، كمشاهد الأنبياء والصلحاء.

وأما اتخاذها أعياداً فقال ابن تيمية في رسالة زيارة القبور: (وفي السنن عنه | أنه قال: < لا تتخذوا قبوري عيداً وصلّوا علي حيث ما كنتم، فإنّ صلاتكم تبلغني >)^(١).

أقول: وأورد هذا الحديث السهمودي في وفاء الوفاء هكذا: « لا تتخذوا قبوري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً » الحديث، وفي رواية له بدل « وصلّوا علي » إلخ: « فإنّ تسليمكم يبلغني أينما كنتم »، وفي رواية: « لا تتخذوا بيّتي عيداً، ولا بيوتكم مقابر، ثمّ قال: ما أنتم ومن بالأندلس إلّا سوء ».

ومع تسليم سند هذا الحديث نقوله: « لا تتخذوا قبوري عيداً » لا يخلو من إجمال.

قال السهمودي: (قال الحافظ المنذري: يحتمل أن يكون المراد به الحثّ على كثرة زيارة قبره | وأن لا يهمل حتّى يكون كالعيد الذي لا يأتي في العام إلّا مرّتين).

قال: ويؤيده قوله: « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً » أي لا تتركوا الصلاة فيها حتّى تجعلوها كالقبور التي لا يصلى فيها.

قال السبكي: ويحتمل لا تتخذوا له وقتاً مخصوصاً، ويحتمل لا تتخذوه كالعيد في الزينة والاجتماع وغير ذلك، بل لا يؤتى إلّا للزيارة والسلام والدعاء^(٢) انتهى.

وروى السهمودي في وفاء الوفاء: (أن رجلاً كان يأتي كلّ غداة فيزور قبر النبي | ويصلّي عليه ويصنع من ذلك ما انتهره عليه علي بن الحسين بن علي عليه السلام، فقال: ما يحملك على هذا؟

١- زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ١: ٢٦.

٢- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٤: ١٣٦٦ - ١٣٦٩

قال: أحبّ التسليم على النبي | .

فقال: أخبرني أبي عن جدي أنّ رسول الله | قال: «لا تجعلوا قبوري

عيداً» الحديث.

قال: فهذا يبين أنّ ذلك الرجل زاد في الحد، فيكون علي بن الحسين موافقاً لمالك في كراهة الإكثار من الوقوف بالقبر، وليس إنكاراً لأصل الزيارة، أو أنّه أراد تعليمه أنّ السلام يبلغه مع الغيبة لما رآه يتكلف الإكثار من الحضور^(١) انتهى.

وأما جعل التذكار لمواليد الأنبياء والأولياء الذي يسمّيه الوهابية بالأعياد والمواسم بإظهار الفرح والزينة في مثل يوم ولادتهم التي كان نعمة من الله على خلقه، وقراءة حديث ولادتهم كما يتعارف قراءة حديث مولد النبي |، وطلب المنزلة والرفعة من الله لهم، وتكرار الصلوات والتسليم على الأنبياء، والترحم على الصالحاء؛ فليس فيه مانع عقلي ولا شرعي إذا لم يشتمل على محرم خارجي كغناء أو فساد أو استعمال آلات اللهو أو غير ذلك، كما يفعل جميع العقلاء وأهل الملل في مثل أيّام ولادة عظمائهم وأنبيائهم، وتبوء ملوكهم عروش الملك، وكلّ ذلك نوع من التعظيم الذي إن كان صاحبه أهلاً للتعظيم كان طاعة وعبادة لله تعالى، وليس كلّ تعظيم عبادة للمعظم كما بيّناه مراراً، فقياس ذلك بفعل المشركين مع أصنامهم قياس فاسد.

* * *

الفصل السادس عشر

في تزيين المشاهد بالذهب والفضة والمعلقات والحلي والكسوة ونحو ذلك

وهذا أيضاً مما منعه الوهابية، ولذلك نهبوا جميع ذخائر الحجرة الشريفة النبوية وجواهرها عند استيلائهم على المدينة المنورة سنة ١٢٢١ كما مر في الفصل الثاني في المقدمة الأولى، ونقلنا هناك عن تاريخ الجبرتي بيان أنواع الجواهر التي نهبوا من الحجرة الشريفة وقدرها.

وقد صوب الجبرتي في تاريخه نهبهم لها وقال : (إنما وضعها ضعفاء العقول من الأغنياء والملوك الأعاجم وغيرهم، - ثم بين - أنها لا ينبغي أن تكون للنبي | لزهده في الدنيا، وأنه بعث ليكون نبياً لا ملكاً، وذكر أحاديث واردة في عرض الدنيا عليه وإبائه | وفي زهده، وأنها إن كانت صدقة فهي محرمة عليه وعلى آله، وأنها لا نفع فيها مع بقائها على حالها، فالأرجح صرفها على المحاويع إلى غير ذلك من التلفيقات)^(١).

ومثله ما يحكى من احتجاج الوهابية على منعها بأنها لغو وعبث وأنها مما لا ينتفع به الميت، واحتجوا في الرسالة الثالثة من رسائل الهدية السنية على عدم جواز كسوة القبور بأن رسول الله | نهى أن يزداد عليها غير ترابها، وأنتم تزيدون التابوت ولباس الجوخ^(٢). إلخ.

١- تاريخ الجبرتي المسمى بعجائب الآثار في التراجم والأخبار ٣: ٢٤٨ .

٢- الهدية السنية والتحفة النجدية، الرسالة الثالثة المسمّاة بالفواكه العذاب : ١١٤ .

وفحاوي كلامهم دالة على أنّ ذلك كفر وشرك؛ لأنّهم يجعلونه مثل ما كان يعمل مع الأصنام.

والجواب: إنّ فعل ذلك نوع من تعظيم هذه القبور الشريفة واحترامها التي ثبت رجحان تعظيمها واحترامها من تضاعيف ما تقدم ثبوتاً لا شكّ فيه، وتوهم الوهابية أنّ ذلك شرك وعبادة توهم فاسد، لما بيّناه مراراً وتكراراً من أنّه ليس كلّ احترام وتعظيم عبادة.

ودعوى أنّ ذلك لم يكن في عهد الصحابة والتابعين مدفوع بأنّه ليس كلّ ما لم يكن في عهدهم يكون محرماً، لأصالة الإباحة في كلّ ما لم ينص الشرع على تحريمه كما قرر في الأصول، ولا يخفى أنّ الأزمان مختلفة والعادات فيها متفاوتة، ففي مبدأ الإسلام كانت أحوال المسلمين ضيقة، فكانت الحال تقضي استعمال الملابس الخشنة، والمآكل الجشبة، وعدم رفع البناء وإتقانه وتزيينه، وبناء المساجد باللبن والجذوع وسعف النخل، كما بنى النبي | مسجده الشريف بالمدينة، ولمّا انتشر الإسلام، واتسعت أمور الناس، واستعمل الأكثر من الخلفاء أطيب المأكول وأحسن الملبوس، وأتقن الناس بناء الدور وزينوها؛ كان من الراجح المستحسن إتقان بناء المساجد كما فعله المسلمون واستمروا عليه إلى اليوم، ومنها المسجد الشريف النبوي، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى، فإنّ في ذلك إعلاء لشأن الإسلام، وتعظيماً لشعائر الدين، ورفعاً لمقام بيوت الله تعالى عن أن تكون دون بيوت خلقه، وليس لأحد أن يقول بناء مسجده | على الحالة التي هو عليها اليوم محرم، لأنّه لم يكن في زمانه | للوجه الذي قدمناه، كذلك حجرتة الشريفة كانت أولاً باللبن والجذوع وجريد النخل، ثمّ بنيت بالحجارة والقصة، ثمّ صار بناؤها يحسن ويزين بحسب اختلاف الأزمان والأحوال، لأنّه صار تحسينها وتزيينها نوعاً من احترامها وتعظيمها، ولم يكن الزمان الأوّل مقتضياً لذلك، لما كانت عليه

أحوال الناس .

ودعوى أن ذلك إسراف بلا فائدة لا للميت ولا لغيره، يدفعه أن الإسراف ما لا يترتب عليه منفعة، والمنفعة هنا حاصلة وهي احترام الميت وتعظيمه، وإعزاز الإسلام وتعظيم شعائره، وكبت معانديه، وغير ذلك من الفوائد العظيمة التي لا يعادلها شيء، ويرخص في جنبها كل غالٍ.

وتصويب الجبرتي نههم لها جهل محض، فإن هذه الذخائر موقوفة لتوضع بالحجرة الشريفة، وتكون زينة لها، وليست ملكاً له عليه السلام، ولا صدقة، وزهد النبي | في الدنيا لا ربط له بالمقام.

فإن قال قائل: إن وقفها على الحجرة النبوية غير جائز.

قلنا: بل هو جائز، لجريان سيرة المسلمين، بل جميع أهل الأديان على ذلك، ولأن في وقفها تعظيماً لشعائر الدين، فلا يكون سفهاً، بل هو أمر راجح مطلوب شرعاً له فائدة عظيمة.

مع أنه ثبت ذلك في حق الكعبة المعظمة قبل الإسلام واستمر ذلك بعد الإسلام إلى اليوم، فليثبت مثله في حق الحجرة النبوية ومشاهد الأنبياء والأئمة؛ فإن العلة في الجميع واحدة، والجهة واحدة من دعوى الإسراف واللغو وعدم الفائدة، فعن المسعودي في مروج الذهب: (كانت الفرس تهدي إلى الكعبة أموالاً وجواهر في الزمان الأول، وكان ابن ساسان بن بابك أهدى غزاليين من ذهب و جواهر وسيوفاً وذهباً كثيراً إلى الكعبة)^(١).

وفي مقدمة ابن خلدون: (قد كانت الأمم منذ عهد الجاهلية تعظم البيت، والملوك تبعث إليه بالأموال والذخائر، كسرى وغيره، وقصة الأسياف وغزالي

١- مروج الذهب ١: ٢٤٢، تاريخ ابن خلدون ٢ ق ١: ٣٣٨.

الذهب الذي وجدهما عبد المطلب حين احتفر زمزم معروفة، وقد وجد رسول الله | حين افتتح مكة في الجب الذي كان فيها سبعين ألف أوقية من الذهب، مما كان الملوك يهدون للبيت فيها ألف ألف دينار مكررة مرتين بمائتي قنطار وزناً.

وقال له عليّ بن أبي طالب: يا رسول الله ، لو استغنت بهذا المال على حربك، فلم يفعل، ثم ذكر لأبي بكر فلم يحركه، هكذا قال الأزرقى. وفي البخاري بسنده إلى أبي وائل قال : جلست إلى شيبة بن عثمان وقال : جلس إلى عمر بن الخطاب فقال: هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمتها بين المسلمين.

قلت : ما أنت بفاعل.

قال : ولم ؟

قلت : فلم يفعله صاحبك.

فقال: هما اللذان يقتدى بهما. وخرجه أبو داود وابن ماجه ^(١).

وأقام ذلك المال إلى أن كانت فتنة الأفطس، وهو الحسن بن الحسين بن علي بن زين العابدين حين غلب على مكة سنة ١٩٩، فأخذ ما في خزائن الكعبة، وبطلت الذخيرة من الكعبة من يومئذ ^(٢) انتهى.

وقال القسطلاني في إرشاد الساري: (حكى الفاكهي أنه | وجد فيها يوم الفتح ستين أوقية) ^(٣) انتهى.

١ - مسند أحمد ٣: ٤١٠ ، صحيح البخاري ٨: ١٣٩ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، سنن أبي

داود ١: ٤٥١ باب في تحرير المدينة، المعجم الكبير ٧: ٣٠٠، تاريخ مدينة دمشق ٢٣: ٢٦.

٢- تاريخ ابن خلدون ١: ٣٥٣.

٣- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٤: ١٢٩، باب كسوة الكعبة، فتح الباري ٤: ٣٦٤.

وفي وفاء الوفاء: (تكلم السبكي في حكم قناديل الكعبة وحليتها والقناديل التي حول الحجرة الشريفة، وألف في ذلك كتاباً، فأورد حديث البخاري وغيره في كنز الكعبة وما تضمنه من إقرار النبي | به بمحلها، ثم أبي بكر بعده، ورجوع عمر لذلك لما ذكره به شعبة، وقال: هما المرآن يقتدى بهما.

قال: فهذا الحديث عمدة في مال الكعبة، وهو ما يهدى إليها أو ينذر لها وما يوجد فيها من الأموال.

قال ابن بطال: إنما ترك لأنه يجري مجرى الأوقاف، وفي ذلك تعظيم للإسلام وترهيب للعدو.

وقال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن يكون النبي | إنما تركه رعاية لقلوب قريش، كما ترك بناء الكعبة على قواعد إبراهيم، ويؤيده ما رواه مسلم عن عائشة: لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لأنفقت كنز الكعبة في سبيل الله، ولجعلت بابها بالأرض^(١) انتهى وفاء الوفاء^(٢).

وعلى كل حال يثبت المطلوب من جواز الإبقاء إن لم يكن واجباً. وإذا كان النبي | تركه رعاية لقلوب قريش أفلا يلزم الوهابية أن يتركوا ذخائر الحجرة النبوية، ومشاهد أئمة المسلمين وذخائرها، رعاية لقلوب ثلاثمائة وستين مليون مسلم إن كانوا ممن يقتدي به | كما يزعمون؟! وفي وفاء الوفاء: (حيث تركه النبي | لهذه العلة، ثم تركه أبو بكر، ثم عمر بعد الهم به ورجوعه عن ذلك، ثم من بعده، فهو إجماع على تركه،

١ - صحيح مسلم ٩٨: ٤ باب نقض الكعبة وبنائها، سنن الترمذي ٢: ١٨١، السنن الكبرى للبيهقي ٨٩: ٥، فتح الباري ٣: ٣٦٤، المصنّف للصنعاني ٥: ١٢٨، شرح معاني الآثار ٢: ١٨٤، معرفة السنن والآثار للبيهقي ٤: ٧٣، تاريخ الإسلام ٥: ٣٩، مغني اللبيب ١: ٢٧٣.

٢ - وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٢: ٥٩٢.

فلا نتعرض له، لما يترتب عليه من الشناعة^(١) انتهى.

وقال قطب الدين الحنفي في تاريخ مكة المكرمة : (قال الشريف التقي الفاسي في شفاء الغرام: يقال إنّ كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي أول من علق في الكعبة السيوف المحلاة بالذهب والفضة ذخيرة للكعبة.

ثمّ نقل الأزرقى في أشياء أهديت للكعبة منها أنّ عمر بن الخطاب لما فتح مدائن كسرى كان مما بعث إليه هلالان^(٢)، فبعث بهما فعلقهما في الكعبة، وبعث السفاح بالصفحة الخضراء فعلقت في الكعبة، والمأمون بالياقوتة التي تعلق في كلّ موسم بسلسلة من الذهب، فعلقت في وجه الكعبة، وبعث المتوكل بشمسيه من ذهب مكحلة بالدر الفاخر والياقوت الرفيع والزبرجد تعلق بسلسلة من الذهب في وجه البيت في كلّ موسم، وأهدى المعتصم قفلاً لباب الكعبة فيه ألف مثقال ذهباً في سنة ٢١٩ هـ.

إلى أن قال : وذكر الفاكهي أنّ مما أهدى إلى الكعبة طوقاً من ذهب مكللاً بالزمرّد والياقوت مع ياقوتة كبيرة خضراء أرسله ملك الهند لما أسلم سنة ٢٥٩، فعرض أمره على المعتمد، فأمر بتعليقها في البيت الشريف فعلقت. قال التقي الفاسي: ومما علق بعد الأزرقى قصبة من فضة فيها كتاب بيعة جعفر بن أمير المؤمنين المعتمد على الله، وبيعة أبي أحمد الموفق بالله ابن أخي المعتمد، وقدم بها الفضل بن العباس في موسم سنة ٢٦١ هـ، وكان وزن الفضة ٣٦٠ درهماً، وعليها ثلاثة أزرار بثلاث سلاسل من فضة، فعلقت مع تعاليق الكعبة.

١- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٢: ٥٩١.

٢ - كنز العمال ٥: ٧٠٤ عن الأزرقى.

إلى أن قال : ثُمَّ لَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنُ بِمَكَّةَ أَخَذَتْ تِلْكَ التَّعَالِيقُ مِنَ الْكَعْبَةِ وَصَرَفَتْ فِي ذَلِكَ. قَالَ: وَكَانَتْ الْمُلُوكُ تَرْسُلُ بِقَنَادِيلِ الذَّهَبِ وَتَعْلُقُ فِي الْكَعْبَةِ، وَقَدْ وَصَلَ سَنَةُ ٩٨٤ هـ مِنَ السُّلْطَانِ مُرَادِ بْنِ سَلِيمِ الْعُثْمَانِي ثَلَاثَةَ قَنَادِيلِ ذَهَبٍ مَرَصُوعَةٍ بِالْجَوَاهِرِ لِيَعْلُقَ إِثْنَانِ مِنْهَا فِي سَقْفِ الْكَعْبَةِ الْمَعْظُمَةِ، وَالثَّالِثُ فِي الْحَجَرَةِ الشَّرِيفَةِ، تَجَاهَ الْوَجْهِ الشَّرِيفِ، فَعَلَقْتُ^(١) أَنْتَهَى.

وَأَمَّا كِسْوَةُ الْكَعْبَةِ الْمَعْظُمَةِ فِي تَارِيخِ مَكَّةَ لِقُطْبِ الدِّينِ الْحَنْفِيِّ : (ذَكَرَ الْأَزْرَقِيُّ وَابْنُ جَرِيحٍ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ كَسَى الْكَعْبَةَ تَبَعَ الْحَمِيرِيُّ مِنْ مُلُوكِ الْيَمَنِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَعْظِيمًا لَهَا، وَاسْمُهُ أَسْعَدُ، رَأَى فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ يَكْسُوهَا فَكَسَاهَا الْأَنْطَاعُ، ثُمَّ رَأَى أَنَّهُ يَكْسُوهَا، فَكَسَاهَا مِنْ حَبْرِ الْيَمَنِ، وَجَعَلَ لَهَا بَابًا يَغْلُقُ)^(٢) أَنْتَهَى.

وَفِي إِرْشَادِ السَّارِيِّ: (قِيلَ: أَوَّلَ مَنْ كَسَاهَا تَبَعَ الْحَمِيرِيُّ الْخَصْفَ وَالْمَعَاظِرَ وَالْمَلَاءَ وَالْوَصَائِلَ. وَذَكَرَ ابْنُ قَتِيْبَةَ أَنَّهُ كَانَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِتِسْعِمِائَةِ سَنَةٍ. وَفِي تَارِيخِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ: أَوَّلَ مَنْ كَسَاهَا عَدْنَانُ بْنُ دَاوُدَ، وَزَعَمَ الزُّبَيْرُ: أَنَّ أَوَّلَ مَنْ كَسَاهَا الدِّيْبَاجُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَعِنْدَ إِسْحَاقَ عَنْ لَيْثِ بْنِ سَلِيمٍ: كَانَتْ كِسْوَةُ الْكَعْبَةِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ | الْأَنْطَاعُ وَالْمَسُوحُ، وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ أَنَّهُ كَسَى الْبَيْتَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْأَنْطَاعُ، ثُمَّ كَسَاهُ النَّبِيُّ ﷺ | الثِّيَابَ الْيَمَانِيَّةَ، ثُمَّ كَسَاهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ الْقُبَابِي، ثُمَّ كَسَاهُ الْحُجَّاجُ الدِّيْبَاجُ. وَرَوَى أَبُو عُرُوبَةَ فِي الْأَوَائِلِ لَهُ عَنْ الْحَسَنِ: أَوَّلَ مَنْ أَلْبَسَ الْكَعْبَةَ الْقُبَابِي

١- تاريخ مكة المكرمة ١: ٢٦٢.

٢- تاريخ مكة المكرمة ١: ٢٦٥، وراجع في ذلك: فتح الباري ٣: ٣٦٦، المصنّف للصنعاني ٥: ١٥٣، الاستذكار ٤: ٢٤٩، الدر المنثور ٦: ٣١، تفسير الآلوسي ٢٥: ١٢٨، البداية والنهاية ٢: ٢٠٤، السيرة النبوية لابن كثير ١: ٢٣.

النبي |، وذكر الأزرقى فيمن كساها أبا بكر، وكساها معاوية الديباج والقباطي والحبرات، فكانت تكسى الديباج يوم عاشوراء والقباطي في آخر رمضان، وكساها يزيد بن معاوية الديباج الخسرواني، والمأمون الديباج الأحمر يوم التروية، والقباطي أول رجب، والديباج الأبيض في سبع وعشرين من رمضان، وهكذا كانت ذلك إلى اليوم، ولم تزل الملوك تتداول كسوتها إلى أن وقف عليها الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون سنة نيف وخمسين وسبعمائة قرية تسمى بيسوس، وأول من كساها من ملوك الترك الظاهر بيبرس صاحب مصر^(١) انتهى.

وفي تاريخ مكة لقطب الدين الحنفي : (عن الأزرقى بسنده عن ابن مليكة قال: كان يهدى للكعبة هدايا شتى ، فإذا بلي منها شيء جعل فوقه ثوب آخر، ولا ينزع مما عليها شيء، وكانت قريش في الجاهلية ترافد في كسوة البيت، فيضربون على القبائل بقدر احتمالهم من عهد قصي بن كلاب حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم، وكان مثيراً يتجر في المال، فقال لقريش : أنا أكسو الكعبة وحدي سنة وجميع قريش سنة ، وكان يفعل ذلك إلى أن مات، فسمته قريش العدل؛ لأنه عدل قريشاً وحده في كسوة البيت، وقيل لبنه: بنو العدل^(٢)).

وقال أيضاً : أخبرني محمد بن يحيى عن الواقدي ، عن إسماعيل بن

١- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٤: ١٢٨، باب كسوة الكعبة ، عمدة القارئ ٩: ٣٣٤-٣٣٥.

٢- السيرة الحلبية ١: ٢٨٠.

إبراهيم بن أبي حبيشة، عن أبيه قال : كسى النبي | البيت الثياب اليمانية، ثمّ كساه عمر وعثمان القباطي، وكان يكسى كلّ سنة كسوتين أوّلاً الديباج يوم التروية، والثانية القباطي يوم السابع والعشرين من شهر رمضان، فلمّا كانت خلافة المأمون أمر أن تكسى ثلاث مرات الديباج الأحمر يوم التروية، والقباطي أوّل رجب، والديباج الأبيض في عيد الفطر، واستمر الحال على هذا كلّ دولة بني العبّاس، ثمّ صارت كسوة الكعبة تأتي تارة من سلاطين مصر، وتارة من سلاطين اليمن إلى أن اشترى الملك الصالح ابن الملك الناصر قلاوون قريتين بمصر ووقفهما على كسوة الكعبة، وهما بيسوس وسنديس ، واستمرت سلاطين مصر ترسل كسوة الكعبة في كلّ عام، وعند تجدد كلّ سلطان يرسل مع الكسوة السوداء كسوة حمراء لداخل البيت، وكسوة خضراء للحجرة الشريفة النبويّة، مكتوب على الكلّ كلمة الشهادتين، فلمّا فتح السلطان سليم مصر والشام جهزت كسوة المدينة على العادة، وأمر باستمرار كسوة الكعبة على المعتاد، ثمّ خربت القريتان الموقوفتان على كسوة الكعبة ولم يف ريعهما بها، فأمر أن تكمل من الخزائن السلطانية، ثمّ أضاف إلى القريتين قرى أخرى ووقفها^(١) انتهى.

وأما كسوة الحجرة الشريفة النبويّة ففي وفاء الوفاء للسهمودي بعدما ذكر تأزيها بالرخام، وعمل الشباك المتخذ من خشب الصندل بأعلى جدارها، حكى ابن النجار أنّه قال: (ولم تزل على ذلك حتّى عمل لها الحسين بن أبي الهيجاء صهر الصالح وزير الملوك المصريين ستارة من الديبقي الأبيض،

وعليها الطروز والجامعات المرقومة بالإبريسم الأصفر والأحمر ونيطها، وأدار عليها زناراً من الحرير الأحمر مكتوباً عليه سورة يس، وغرم عليها مبلغاً عظيماً، فمنعه أمير المدينة قاسم بن مهنى من تعليقها حتى يستأذن المستضيئ العباسي، فلما جاء الإذن علقها نحو العامين، ثم جاءت من الخليفة ستارة من الإبريسم البنفسجي عليها الطرز والجامات البيض المرقومة، وعلى دوران جاماتها أسماء الخلفاء الأربعة، وعلى طرازها اسم المستضيئ، فبعثت الأولى إلى مشهد علي ووضعت هذه مكانها، ثم أرسل الإمام الناصر ستارة من الإبريسم الأسود وطرزها وجاماتها من الإبريسم الأبيض، فعلقت فوقها، وبعد أن حجت أم الخليفة أرسلت ستارة من الإبريسم الأسود على شكل الأولى، فعلقت فوقها، فصارت ثلاثاً) انتهى ما حكاه عن ابن النجار.

قال: وهو يقتضي أنّ ابن أبي الهيجاء أول من كسى الحجرة .
وفي كلام رزين أنّه لما حجّ الرشيد ومعه الخيزران أمرت بتخليق مسجد النبي | وتخليق القبر، وكسته الزنانير وشبائك الحرير^(١).
وأما قناديل الذهب والفضة وغيرها التي تعلق حول الحجرة الشريفة ففي وفاء الوفاء: (إنّه لم ير في كلام أحد ابتداء حدوث ذلك.
قال: إلا أنّ ابن النجار قال: وفي سقف المسجد الذي بين القبلة والحجرة على رأس الزوار إذا وقفوا معلق نيف وأربعون قنديلاً كباراً وصغاراً، من الفضة المنقوشة والسادجة، وإثنان بلور، وواحد ذهب، وفيها قمر من فضة مغموس في الذهب، وهذه تنفذ من الملوك وأرباب الحشمة والأموال.
قال السمهودي: واستمر عمل الملوك وأرباب الحشمة إلى زماننا هذا على الإهداء إلى الحجرة الشريفة قناديل الذهب والفضة.

١- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٢: ٥٨١- ٥٨٢ .

ثُمَّ ذكر السمهودي حال ما يهدى من القناديل وعدده وما جرى له مفصلاً مما يطول بذكره الكلام، وإنَّ بعضُ أمراء المدينة لما أراد أخذ شيء منه أقام الناس عليه النكير.

وقال أيضاً: (وأما حكم هذه المعاليق ونحوها من تحلية الصندوق والقائم الذي بأعلاه، فحكم معاليق الكعبة الشريفة وتحليتها، ثُمَّ نقل عن السبكي أنَّه قال: وأما الحجرة الشريفة فتعليق القناديل فيها أمر معتاد من زمان، ولا شكَّ أنَّها أولى بذلك من غيرها، وكم من عالم وصالح قد أتى للزيارة ولم يحصل من أحد إنكار لذلك، فهذا وحده كافٍ في جواز ذلك، واستقراء الأدلة فلم يوجد فيها ما يدل على المنع، ولم نر أحداً قال بالمنع، فما وقف من ذلك إكراماً لذلك المكان صح وقفه، وإن اقتصر على إهدائه صح أيضاً، كالمهدى للكعبة وكذا المنذور له)^(١) انتهى.

* * *

الفصل السابع عشر

في زيارة القبور

وقد منع ابن تيمية من زيارة النبي | وحرمها مطلقاً مع شد الرحال وبدونه، فضلاً عن زيارة غيره، حكى ذلك عنه القسطلاني في إرشاد الساري، وابن حجر الهيتمي في الجوهر المنظم، وقال : (بل زعم حرمة السفر لها إجماعاً، وأنه لا تقصر فيه الصلاة)،^(١) وسيأتي نقل كلامها، وبعض الوهابيين حرم شد الرحال إليها، وحينئذ فيقع الكلام فيها في مبحثين: أصل مشروعيتها، وشد الرحال إليها.

المبحث الأول: في أصل مشروعية زيارة القبور وفيه مقامان:

المقام الأول في زيارة قبر النبي | :

وتدل على مشروعيتها أدلة الشرع الأربعة :

الأول: الكتاب العزيز وهو قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً} ^(٢)، فإن الزيارة هي الحضور الذي هو عبارة عن المجيء إليه |، سواء كان

١- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٣: ٢٧١، الجوهر المنظم في زيارة القبر النبوي المكرم: ٢٢.

٢- سورة النساء : ٦٤.

لطلب الاستغفار أو بدونه، والتسليم لا يدخل في معناها، وإذا ثبت رجحان ذلك في حال حياته ثبت بعد مماته، لما دلّ على حياته البرزخية، وسماعه تسليم من يسلم عليه، وعرض الأعمال عليه كما مر في المقدمات، قال السبكي فيما حكاه عنه السمهودي في وفاء الوفاء: (والعلماء فهموا من الآية العموم لحالتي الموت والحياة، واستحبوا لمن أتى القبر أن يتلوها).

قال: وحكاية الأعرابي في ذلك نقلها جماعة من الأئمة عن العتبي اسمه محمد بن عبيد الله بن عمرو، أدرك ابن عينة وروى عنه، وهي مشهورة حكاها المصنفون في المناسك من جميع المذاهب واستحسنوها، ورأوها من أدب الزائر، وذكرها ابن عساكر في تاريخه، وابن الجوزي في مثير الغرام الساكن وغيرهما بأسانيدهم إلى محمد بن حرب الهلالي، قال: دخلت المدينة فأتيت قبر النبي | فزرتة وجلست بحذائه، فجاء أعرابي فزاره، ثم قال: يا خير الرسل، إن الله أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ} الآية إلى آخر ما في فصل التوسل^(١)، ثم ذكر السمهودي هذه القصة بطريقين آخرين عن علي عليه السلام لا نطيل بذكرهما فليطلبهما من أرادهما.

الثاني: السنة : والأحاديث الواردة في ذلك كثيرة نقلها السمهودي في وفاء الوفاء ونقلها غيره، ونحن نقلها منه، وربما نترك بعض أسانيدها ، وقد تكلم هو على أسانيدها بما فيه كفاية.

١ - الدارقطني في السنن وغيرها والبيهقي وغيرهما بالأسانيد من طريق موسى بن هلال العبدى، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع ، عن ابن عمر قال

١ - وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٤ : ١٣٦٠ - ١٣٦٢.

رسول الله | : «من زار قبري وجبت له شفاعتي»^(١).

٢ - البزار من طريق عبد الله بن إبراهيم الغفاري، عن عبد الرحمن بن زيد ،
عن أبيه، عن ابن عمر، عن النبي | : «من زار قبري حُدَّتْ له شفاعتي»^(٢).

٣ - الطبراني في الكبير والأوسط والدارقطني في أماليه وأبو بكر بن
المقري في معجمه من رواية مسلمة بن سالم الجهني، عن عبيد الله بن عمر،
عن نافع ، عن سالم، عن ابن عمر قال رسول الله | : «من جاءني زائراً لا
تحمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً علي أن أكون له شافعاً يوم القيامة»^(٣).

١- سنن الدارقطني ٢: ٢٤٤، مجمع الزوائد ٤: ٢، تحفة الأحوزي ١٠: ٢٤٣، الجامع الصغير ٢: ٦٠٥، كنز العمال ١٥: ٦٥١، كشف الخفاء ٢: ٢٥٠، إرواء الغليل ٤: ٣٣٦، ميزان الاعتدال ٤: ٢٢٦، تاريخ الإسلام ١٤: ٤٠٨، إمتاع الأسماع ١٤: ٦١٤، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢: ٨٣، سبل الهدى والرشاد ١٢: ٣٧٦، شفاء السقام: ٥٦، الدرر السنية : ٤، تطهير الفؤاد: ٦، رفع المنارة: ٢٢٩ وقال: >وقد صححه عبد الحق الأشبيلي، وصححه أو حسَّنه السبكي في شفاء السقام، والسيوطي في مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا، وآخرون ممَّن تأخروا عنه>، ثمَّ أخذ بالرد على من حاول تضعيف الحديث.

٢- مجمع الزوائد ٤: ٢، سنن الدارقطني ٢: ٢٤٤، الجامع الصغير ٢: ٦٠٥، كنز العمال ١٥: ٦٥١، فيض القدير شرح الجامع الصغير ٦: ١٨٠ وقال: (وقال السبكي: بل حسن أو صحيح. وقال الذهبي: طريقه كُلُّهَا لَيِّنَةٌ لَكِن يَتَقَوَّى بِبَعْضِهَا بَعْضٌ. وقال ابن حجر: حديث غريب خرج ابن خزيمة في صحيحه)، كشف الخفاء ٢: ٢٥٠، إرواء الغليل ٤: ٣٣٦، الدر المنثور ١: ٢٣٧، ميزان الاعتدال ٤: ٢٢٦، تاريخ الإسلام ١٤: ٤٠٨، إمتاع الأسماع ١٤: ٦١٤، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢: ٨٣، دفع الشبه عن الرسول ﷺ: ١٩٠، سبل الهدى والرشاد ١٢: ٣٧٦، شفاء السقام: ٥٦، رفع المنارة : ٢٨٥ وقال: >أخرجه البزار في مسنده كشف الأستار ٢: ٥٧>.

٣- المعجم الكبير ١٢: ٢٢٥، مجمع الزوائد ٤: ٣، كنز العمال ١٢: ٢٥٦، الدر المنثور ١: ٢٣٧، تلخيص الحبير ٧: ٤١٧، ميزان الاعتدال ٤: ١٠٤، ذكر أخبار إصبهان ٢: ٢١٩، إمتاع الأسماع

قال : والذي في معجم ابن المقري: «من جاءني زائراً كان له حقاً على الله عز وجل^(١) أن أكون له شفيعاً يوم القيامة»^(٢).

قال : وأورد الحافظ ابن السكن هذا الحديث في باب ثواب من زار قبر النبي | من كتابه السنن الصحاح المأثورة، ومقتضى ما شرطه في خطبته أن يكون هذا الحديث مما أجمع على صحته^(٣) انتهى.

وهو بإطلاقه شامل للزيارة في الحياة وبعد الموت.

٤ - الدارقطني والطبراني في الكبير والأوسط وغيرهما من طريق حفص بن داود القاري، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عمر قال رسول الله ﷺ: «من حجّ فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي»^(٤).

قال: ورواه ابن الجوزي في مثير الغرام الساكن بسنده وزاد: «وصحبي»^(٥)، ورواه ابن عدي في كامله بسنده بهذه الزيادة^(١)، ورواه أبو يعلى

١٤: ٦١٤، سبل الهدى والرشاد ١٢: ٣٧٩، شفاء السقام ٨٥: رفع المنارة: ٢٤٥ وصحح الحديث.

١- فيه ثبوت الحق للعبد على الله عز وجل الذي أنكره الوهابية كما مر في الفصل الرابع، وفاتنا ذكره هناك (المؤلف).

٢- شفاء السقام: ٨٧، الدرر السنية: ٤، تطهير الفؤاد: ١٦.

٣- شفاء السقام: ٨٧، الدرر السنية: ٤، تطهير الفؤاد: ١٧.

٤- سنن الدارقطني ٢: ٢٤٤، المعجم الكبير ١٢: ٣١٠، المعجم الأوسط ٣: ٣٥١، السنن الكبرى للبيهقي ٥: ٢٤٦، مجمع الزوائد ٤: ٣، الجامع الصغير: ٥٩٤، أخبار مكة ١: ٤٣٧، الترغيب والترهيب للإصبهاني ١: ٤٤٧، المطالب العالية لابن حجر ١: ٣٧٢، رفع المنارة: ٢٧٨، ميزان الاعتدال ١: ٥٥٩، إمتاع الأسماع ١٤: ٦١٣، كنز العمال ٥: ١٣٥، الدر المنثور ١: ٢٣٧، شفاء السقام: ٩٠، الدرر السنية: ٤، تطهير الفؤاد: ١٨، شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق: ١٧٦، الكامل ٢: ٣٨٢، فضائل المدينة: ٣٩.

٥- شفاء السقام: ٩٣، تطهير الفؤاد: ١٩.

بسندّه بدون الزيادة.

وفي بعض الروايات: «**من حجّ فزارني في حياتي**»^(٢)، ورواه الطبراني في الكبير والأوسط من طريق عائشة بنت يونس امرأة الليث، عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عمر قال رسول الله | : «**من زار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي**»^(٣).

أقول: ورواه بلفظه الأوّل السيوطي في الجامع الصغير، عن أحمد في مسنده، وأبي داود، والترمذي، والنسائي عن الحارث.

٥ - ابن عدي في الكامل من طريق محمّد بن محمّد بن النعمان، عن جدّه، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر، قال رسول الله | : «**من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني**»^(٤) قال السبكي: (وذكر ابن الجوزي له في الموضوعات سرف منه)^(٥).

٦ - الدارقطني في السنن من طريق موسى بن هارون، عن محمّد بن الحسن

١ - الكامل في الضعفاء ٢: ٣٨٢.

٢ - شفاء السقام : ٩١، الدرر السنية : ٤، تطهير الفؤاد : ١٨.

٣ - المعجم الكبير ١٢: ٣١٠، المعجم الأوسط ١: ٩٤ و ٣: ٣٥١، فضائل المدينة : ٣٩، الكامل لابن عدي ٢: ٣٨٢، سبل الهدى والرشاد ١٢: ٣٧٦.

٤ - الكامل ٧: ١٤، كنز العمال ٥: ١٣٥، تذكرة الموضوعات : ٧٥، كشف الخفاء ٢: ٥١، إرواء الغليل ٤: ٣٣٣، تاريخ جرجان : ٢٢٠، سبل الهدى والرشاد ١٢: ٣٧٦، شفاء السقام: ١٠١، رفع المنارة: ٢٨٣ وقال: (أخرجه ابن عدي في الكامل ٧: ٢٤٨، وابن حبان في المجروحين ٣: ٧٣، والدارقطني في غرائب مالك، والسهمي في تاريخ جرجان: ٢١٧)، الدر المنثور ١: ٢٣٧، كتاب المجروحين ٣: ٧٣)، ميزان الاعتدال ٤: ٢٦٥، الكشف الحثيث : ٢٦٧، لسان الميزان ٦: ١٦٧.

٥ - شفاء السقام : ٩٩.

الجيلي، عن عبد الرحمن بن المبارك، عن عون بن موسى، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر قال رسول الله | : «من زارني إلى المدينة كنت له شهيداً وشفيعاً»^(١).

٧ - أبو داود الطيالسي، عن سوار بن ميمون أبي الجراح العبدي، عن رجل من آل عمر، عن عمر سمعت رسول الله | يقول: «من زار قبري أو قال : من زارني كنت له شفيعاً أو شهيداً»^(٢) الحديث.

٨ - أبو جعفر العقيلي من رواية سوار بن ميمون، عن رجل من آل الخطاب، عن النبي | : «من زارني متعمداً كان في جوارى يوم القيامة»^(٣) الحديث.

٩ - الدارقطني وغيره من طريق هارون بن قرعة، عن رجل من آل حاطب، عن حاطب قال رسول الله | : «من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي»^(٤) الحديث.

-
- ١ - الجامع الصغير ٢: ٦٠٥، كنز العمال ١٥: ٦٥٢، كشف الخفاء ٢: ٢٥١، الدر المنثور ١: ٢٣٧، ميزان الاعتدال ١: ٥٣ وقال: (أخرجه الترمذي من حديث أيوب، وصححه دون لفظ زارني)، تاريخ جرجان ٤٣٤، شفاء السقام ١١٠ نقلاً عن الدارقطني.
 - ٢ - مسند أبي داود الطيالسي: ١٣، السنن الكبرى للبيهقي ٥: ٢٤٥، تخريج الأحاديث والآثار ١: ١٩٩، كنز العمال ٥: ١٣٥، كشف الخفاء ٢: ٢٥١، رفع المنارة ٢٧٦، تاريخ الإسلام ١١: ٢١٣، سبل الهدى والرشاد ١٢: ٣٧٦.
 - ٣ - كنز العمال ٥: ١٣٦، إرواء الغليل ٤: ٣٣٤، رفع المنارة ٢٧٧، الدر المنثور ١: ٢٣٧، ضعفاء العقيلي ٤: ٣٦٢، ميزان الاعتدال ٤: ٢٨٥، شفاء السقام ١٠٤.
 - ٤ - سنن الدارقطني ٢: ٢٤٤، تخريج الأحاديث والآثار ١: ١٩٩، كنز العمال ٥: ١٣٥، كشف الخفاء ٢: ٢٥١، إرواء الغليل ٤: ٣٣٥، رفع المنارة ٢٧٢، الدر المنثور ١: ٣٢٧، ميزان

١٠ - أبو الفتح الأزدي من طريق عمار بن محمد، عن خاله سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال رسول الله | : «من حج حجة الإسلام، وزار قبري، وغزا غزوة، وصلى في بيت المقدس، لم يسأله الله عز وجل فيما افترض عليه»^(١).

١١ - أبو الفتوح بسنده من طريق خالد بن يزيد، عن عبد الله بن عمر العمري، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال رسول الله | : «من زارني بعد موتي فكأنما زارني وأنا حي، ومن زارني كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة»^(٢).

١٢ - ابن أبي الدنيا من طريق إسماعيل بن أبي فديك، عن سليمان بن يزيد الكعبي، عن أنس بن مالك أن رسول الله | قال: «من زارني بالمدينة كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة»، وفي رواية: «كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة»، ورواه البيهقي بهذا الطريق ولفظه: «من زارني محتسباً إلى المدينة كان في جوارى يوم القيامة»^{(٣)(٤)}.

-
- الاعتدال ٤: ٢٨٥، تاريخ الإسلام ١١: ٢١٣، إمتاع الأسماع ١٤: ٦١٧، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢: ٨٤، سبل الهدى والرشاد ١٢: ٣٧٥، شفاء السقام: ١٠٦.
- ١ - نيل الأوطار ٥: ١٧٩، تذكرة الموضوعات: ٧٣، رفع المنارة: ٢٨١، لسان الميزان ٢: ٤، دفع الشبه عن الرسول ﷺ: ١٩٣، شفاء السقام: ١٠٧.
- ٢ - شفاء السقام: ١١٠، تطهير القواد: ٣٠، رفع المنارة: ٢٨٦، سبل الهدى والرشاد ١٢: ٣٧٧.
- ٣ - تلخيص الحبير ٧: ٤١٨.
- ٤ - تخريج الأحاديث والآثار ١: ١٩٨، كنز العمال ١٢: ٢٧٢، الفتح السماوي ١: ٣٨٠، كشف الخفاء: ٢٨٠، الدر المنثور ٢: ٥٥، شفاء السقام: ١١٠، تطهير القواد: ٣٠.

١٣ - ابن النجّار في أخبار المدينة بسنده عن أنس قال رسول الله | : «من زارني ميتاً فكأنما زارني حياً، ومن زار قبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة، وما من أحدٍ من أمتي له سعة، ثم لم يزرنني فليس له عذر»^(١).

١٤ - أبو جعفر العقيلي بسنده عن ابن عباس قال رسول الله | : «من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي، ومن زارني حتى ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيداً أو قال شفيعاً»^(٢).

١٥ - بعض الحفاظ في زمن ابن منده بسنده عن ابن عباس قال رسول الله | : «من حج إلى مكة ثم قصدني في مسجدي كتبت له حجتان مبرورتان»^(٣)، قال: والحديث في مسند الفردوس^(٤).

١٦ - يحيى بن الحسن بن جعفر الحسيني في أخبار المدينة بسنده عن علي عليه السلام قال رسول الله | : «من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي، ومن لم يزرنني فقد جفائي». وروى ابن عساكر بسنده ، عن علي: «من زار قبر رسول الله | كان في جوار رسول الله |»^(٥).

١ - شفاء السقام: ١١٢، رفع المنارة: ٢٨٦، تطهير الفؤاد: ٣٢ .

٢ - إرواء الغليل ٤: ٣٣٥، رفع المنارة: ٢٦٤، ضعفاء العقيلي ٣: ٤٥٧، سبل الهدى والرشاد ١٢:

٣٧٦، شفاء السقام: ١١٢، تطهير الفؤاد: ٣٢.

٣ - نيل الأوطار ٥: ١٨٠، كنز العمال ٥: ١٣٥.

٤ - دفع الشبه عن الرسول ﷺ: ١٧١.

٥ - شفاء السقام: ١١٥.

١٧ - يحيى أيضاً بسنده ، عن رجل ، عن بكر بن عبد الله ، عن النبي | :
«من أتى المدينة زائراً لي وجبت له شفاعتي يوم القيامة»^(١) الحديث.

انتهت الأحاديث التي أوردها السمهودي ، وهي مع كثرتها يعضد بعضها بعضاً، وتعضدها الأحاديث الآتية في تضاعيف ما يأتي، مع أنه لا حاجة لنا إلى الاستدلال بها للسيرة القطعية وعمل المسلمين البالغ حد الضرورة.

وفي الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية : (إنّ الأحاديث التي رواها الدارقطني في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام كلّها مكذوبة موضوعة باتفاق غالب أهل المعرفة منهم: ابن الصلاح وابن الجوزي وابن عبد البر وأبو القاسم السهيلي وشيخه ابن العربي المالكي والشيخ تقي الدين وغيرهم، ولم يجعلها في درجة الضعيف إلا القليل، وكذلك تفرد بها الدارقطني عن بقية أهل السنن والأئمة كلّهم يروون بخلافه، وأجل حديث روي في هذا الباب حديث أبي بكر البزار ومحمد بن عساكر، حكاه أهل المعرفة بمصطلح الحديث كالقشيري والشيخ تقي الدين وغيرهما)^(٢).

أقول: دعوى إنّ هذه الأحاديث على كثرتها كلّها مكذوبة دعوى كاذبة لا يعضدها دليل، وابن الجوزي وإنّ أورد بعضها في الموضوعات، فقد أورد البعض الآخر في كتابه مثير الغرام الساكن، واعتمد عليه كما مر في الحديث الرابع، مع أنّ الحديث الخامس الذي جعله موضوعاً تعقبه الإمام السبكي فيه

١ - شفاء السقام: ١١٥، رفع المنارة: ٢٧٠، تطهير الفؤاد: ٣٤.

ويمكن الرجوع في الأحاديث المتقدمة إلى وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٤: ١٣٣٦ - ١٣٤٨، الفصل الأوّل : (في الأحاديث الواردة في الزيارة نصّاً).

٢ - الهدية والسنية والتحفية النجدية، الرسالة الأولى لعبد العزيز بن محمد بن سعود: ١٩ - ٢٠.

وقال: (إنّ ذكره له في الموضوعات سرف منه)^(١) كما مر.

كما تعقبه غيره في جملة من الأحاديث التي عدها في الموضوعات وباقي من نقل عنهم، لعلمهم كابن الجوزي إن صحّ نقله، وأما قدوته الشيخ تقي الدين ابن تيمية فحاله معلوم في التعصب لآرائه وأهوائه ومصادمته الضرورة في نصرها، وتكذيب الأحاديث المشهورة التي يعصدها العقل والنقل، تبعاً لشهوة نفسه، وأوضح برهان على ذلك تكذيبه حديث ضربة على يوم الخندق بالاستبعادات والدعاوى الباطلة، حتّى تعقبه في ذلك صاحب السيرة الحلبيّة كما فصلناه في بعض حواشي فصل البناء على القبور، مع أنّه لم يعلم دعواه الوضع في جميعها.

قوله: (ولم يجعلها في درجة الضعيف إلا القليل).

يكذّبه ما عرفت في الحديث الثالث أنّه أورده الحافظ ابن السكن في كتابه السنن الصحاح المأثورة الذي ذكر في خطبته أنّه لا يذكر فيه إلا ما أجمع على صحته.

قوله: (تفرد بها الدارقطني عن بقية أهل السنن).

يكذّبه أنّه روى جملة منها غير الدارقطني من أهل السنن وغيرهم كالبيهقي والبخاري وأبو بكر بن المقرئ والحافظ ابن السكن وابن عدي وأبو يعلى والإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن الجوزي والعقيلي والأزدي وأبو الفتوح وابن أبي الدنيا وابن النجار ويحيى بن الحسن كما عرفت، وابن عساكر باعتراف الوهاية.

وإذا كان تفرد الراوي بالرواية يوجب طرحها فما بال الوهابية لم يطرحوا حديث أبي الهياج، وقد تفرد به راوية على ما عرفته في فصل البناء على القبور، ولكن الحديث المؤدي إلى استحلال دماء المسلمين وأموالهم لا يطرح ولو تفرد به راوية، أمّا الأحاديث الكثيرة الدالة على تعظيم النبي | واستحباب زيارته الثابتة بالعقل والنقل وإجماع المسلمين البالغ حد الضرورة فتستحق الطرح، بدعوى تفرد الدارقطني بها، ويلتمس لها الوجوه والتأويلات لطرحها عند الوهابية؛ لأنهم يعظم عليهم تعظيم من عظمه الله، ومخالفة قول قدوتهم ابن تيمية وابن عبد الوهاب.

قوله : (والأئمة كلهم يروون بخلافه).

هذه دعوى كاذبة كالأولى، فمن هم الأئمة الذين رووا أنّ زيارة النبي | لا تستحب أو لا يستحب شدّ الرحال إليها غير ما توهمه الوهابية من أحاديث شدّ الرحال التي ستعرف في هذا الفصل سخافة توهمهم فيها؟! وقد عرفت أنّ الأئمة رووا هذه الأحاديث كما رواها الدارقطني ولم يرووا بخلافه، وفيهم أجلاء أئمة الحديث كابن حنبل وأبي داود والترمذي والنسائي والطبراني والبيهقي وغيرهم، وقد رويت في ذلك أحاديث كثيرة تكاد تبلغ حد التواتر عن أئمة أهل البيت الطاهر، رواها عنهم أصحابهم وثقاتهم بالأسانيد المتصلة الصحيحة موجودة في مظانها.

تدلّ عليه أيضاً الأحاديث الدالة على أنّ النبي | يرد سلام من يسلم عليه التي اعترف بها الوهابية وقدوتهم ابن تيمية، ومر طرف منها في المقدمات في حياة النبي | بعد موته، قال السبكي فيما حكاه عنه السمهودي في وفاء الوفاء بعد ذكر ما يدل على أنّه | يسمع من يسلم عليه عند قبره ويرد عليه،

عالمًا بحضوره عند قبره: (وكفى بهذا فضلاً حقيقاً بأن ينفق فيه ملك الدنيا حتى يتوصل إليه من أقطار الأرض)^(١) انتهى. ومنه يعلم صحة الاستدلال به على شد الرحال.

الثالث: الإجماع من المسلمين خلفاً عن سلف من عهد النبي |
والصحابة إلى يومنا هذا عدا الوهابية، قولاً وعملاً، بل إن استحباب زيارة قبور الأنبياء والصالحين بل وسائر المؤمنين ومشروعيتها ملحق بالضروريات عند المسلمين فضلاً عن الإجماع، وسيرتهم مستمرة عليها من عهد النبي |
والصحابة والتابعين وتابعيهم وجميع المسلمين في كل عصر، وفي كل صقع، عالمهم وجاهلهم، صغيرهم وكبيرهم، ذكرهم وأنثاهم، وانكار ذلك مصادمة للبديهة وانكار للضروري، قال السمهودي في وفاء الوفاء نقلاً عن السبكي: (قال عياض: زيارة قبره | سنة بين المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغوب فيها)^(٢) انتهى.

قال السبكي: (وأجمع العلماء على استحباب زيارة القبور للرجال كما حكاها النووي، بل قال بعض الظاهرية بوجوبها)^(٣).
واختلفوا في النساء، وامتناز القبر الشريف بالأدلة الخاصة به، ولهذا أقول: إنه لا فرق بين الرجال والنساء.

وقال الجمال الريمي: يستثنى - أي من محل الخلاف - قبر النبي |

١ - شفاء السقام: ١٣٤، وفاء الوفاء بأخبار دار المطبفي | ٤: ١٣٥١.

٢ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢: ٨٣، وعنه في رفع المنارة: ٥٤، إمتاع الأسماع ١٤: ٦١٧، سبل الهدى والرشاد ١٢: ٣٧٥، شفاء السقام: ١٥٥، تطهير الفؤاد: ٥٣.

٣ - شرح مسلم للنووي ٧: ٤١، باب (ما يقال عند دخول القبور والدعاء..).

وصاحبيه، فإن زيارتهم مستحبة للنساء بلا نزاع كما اقتضاه قولهم في الحج: يستحب لمن حج أن يزور قبر النبي |، وقد ذكر ذلك بعض المتأخرين، وهو الدمنهوري الكبير، وأضاف إليه قبور الأنبياء والصالحين والشهداء^(١) انتهى.

وفي وفاء الوفاء: (كيف يتخيل في أحد من السلف المنع من زيارة المصطفى |، وهم مجمعون على زيارة سائر الموتى فضلاً عن زيارته |)^(٢) انتهى.

وصنف قاضي القضاة الشيخ تقي الدين أبو الحسن السبكي الذي تشهد مؤلفاته لغزارة علمه في القرن الثامن كتاباً في فضل الزيارة وشد الرحال إليها رداً على ابن تيمية سمّاه (شفاء السقام في زيارة خير الأنام)، ونقل عنه السمهودي في وفاء الوفاء شيئاً كثيراً، ونقل عنه غيره، ونقلها عنه بواسطة السمهودي وغيره، ومما قاله السبكي في مقدمته على ما حكى عنه: (إن من أعظم القرب إلى رب العالمين زيارة سيد المرسلين والسفر إليها من أقطار الأرضين كما هو معروف بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها على مر السنين، وأن مما ألقى الشيطان في هذا الزمان على لسان بعض المخدولين التشكيك في ذلك، وهيئات أن يدخل ذلك في قلوب الموحدين، وإنما هي نزغة من مخدول لا يرجع وبالحال إلا عليه، ولا يترتب عليها إلا ما القى بيده إليه، شريعة الله محكمة ظاهرة، وشبه الباطل على شفا جرف هائرة)^(٣) انتهى.

ومر في الباب الأول ما يدل على أن مراده ابن تيمية .

١ - وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٤: ١٣٦٢.

٢ - المصدر السابق ٤: ١٣٦٨.

٣ - هذه العبارة غير موجودة في شفاء السقام للسبكي.

وعن منتهى المقال في شرح حديث: «لا تشد الرحال» للمفتي صدر الدين أنه قال فيه: (قال الشيخ الإمام الحبر الهمام سند المحدثين الشيخ محمد البرلسي في كتابه اتحاف أهل العرفان برؤية الأنبياء والملائكة والجان: وقد تجاسر ابن تيمية الحنبلي عامله الله بعدله، وادعى أن السفر لزيارة قبر النبي | حرام، وأن الصلاة لا تقصر فيه، لعصيان المسافر به! وأطال في ذلك بما تمججه الأسماع وتنفر عنه الطباع، وقد عاد شؤم كلامه عليه.

إلى أن قال: وخالف الأئمة المجتهدين في مسائل كثيرة، واستدرك على الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيفة حقيرة، فسقط من أعين علماء الأمة، وصار مثله بين العوام فضلاً عن الأئمة، وتعقب العلماء كلماته الفاسده، وزيفوا حججه الداحضة الكاسدة، وأظهروا عوار سقطاته، وبَيَّنوا قبائح أوهامه وغلطاته) انتهى.

ومرّ بعض كلامه في حقّه في الباب الأوّل.

وعن شهاب الدين أحمد الخفاجي المصري في نسيم الرياض شرح شفا القاضي عياض أنه قال بعد ذكر حديث: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»: (أعلم أن هذا الحديث هو الذي دعا ابن تيمية ومن تبعه كابن القيم إلى مقالته الشنيعة التي كفروه بها، وصنّف فيها السبكي مصنفاً مستقلاً، وهي منعه زيارة قبر النبي | وشد الرحال إليه، وهو كما قيل: لمهبط الوحي حقاً تُرحل النُجبُ وعِنْدَ ذَاكَ المُرْجَى يُنْتَهَى الطَّلَبُ فتوهم أنه حمى جانب التوحيد بخرافات لا ينبغي ذكرها، فإنها لا تصدر عن عاقل فضلاً عن فاضل^(١)) انتهى.

١- نسيم الرياض في شرح الشفا: ٣: ٥١٤، شواهد الحق في الاستغاث بسيد الخلق: ١٨٥.

وعن الملا علي القاري في المجلد الثاني من شرح الشفا أنه قال: (قد فرط ابن تيمية من الحنابلة حيث حرّم السفر لزيارة النبي | كما أفرط غيره حيث قال: كون الزيارة قرينة معلوم من الدين بالضرورة، وجاحده محكوم عليه بالكفر، ولعل الثاني أقرب إلى الصواب؛ لأنّ تحريم ما أجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفراً؛ لأنّه فوق تحريم المباح المتفق عليه في هذا الباب)^(١) انتهى.

وقال أحمد بن حجر الهيتمي المكي الشافعي صاحب الصواعق في كتابه الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم على ما حكى عنه، وقد ذكره صاحب كشف الظنون قال فيه بعدما استدل على مشروعية زيارة قبر النبي | بعدة أدلة منها الإجماع ما لفظه: (فإن قلت: كيف تحكي الإجماع على مشروعية الزيارة والسفر إليها وطلبها وابن تيمية من متأخري الحنابلة منكر لمشروعية ذلك كلّ كما رآه السبكي في خطه، وقد أطال ابن تيمية في الاستدلال لذلك بما تمجّه الأسماع وتنفر عنه الطباع، بل زعم حرمة السفر لها إجماعاً، وأنّه لا تقصر فيه الصلاة، وأنّ جميع الأحاديث الواردة فيها موضوعة، وتبعه بعض من تأخر عنه من أهل مذهبه؟

قلت: من هو ابن تيمية حتّى ينظر إليه أو يعول في شيء من أمور الدين عليه؟

وهل هو إلّا كما قال جماعة من الأئمة الذين تعقبوا كلماته الفاسدة

١- شرح الشفا بهامش نسيم الرياض ٣: ٥١٤، رفع المنارة: ٥٣، شواهد الحقّ في الاستغاثة بسيد الخلق: ١٨٥، السيف الصقيل: ١٧٧ .

وحججه الكاسدة حتّى أظهروا عوار سقطاته وقبائح أوهامه وغلطاته كالعز بن جماعة: عبد أظله الله تعالى وأغواه، وألبسه رداء الخزي وأرداه وبوأه من قوة الإفتراء والكذب ما أعقبه الهوان، وأوجب له الحرمان. ولقد تصدى شيخ الإسلام وعالم الأنام المجمع على جلالته واجتهاده وصلاحه وإمامته التقي السبكي قدس الله روحه ونور ضريحه للرد عليه في تصنيف مستقل، أفاد فيه وأجاد وأصاب، وأوضح بباهر حججه طريق الصواب.

ثمّ قال: هذا وما وقع من ابن تيمية مما ذكر وإن كان عثرة لا تقال أبداً، ومصيبة يستمر شؤمها سرمداً ليس بعجيب، فإنّه سولت له نفسه وهواه وشيطانه أنّه ضرب مع المجتهدين بسهم صائب، وما دري المحروم أنّه أتى بأقبح المعائب، إذ خالف إجماعهم في مسائل كثيرة، وتدارك على أئمتهم سيّما الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيفة شهيرة حتّى تجاوز إلى الجناب الأقدس المنزّه سبحانه عن كلّ نقص، والمستحق لكلّ كمال أنفس، فنسب إليه الكبائر والعظائم، وخرق سياج عظمته بما أظهره للعامة على المنابر من دعوى الجهة والتجسيم، وتضليل من لم يعتقد ذلك من المتقدمين والمتأخرين، حتّى قام عليه علماء عصره والزموا السلطان بقتله أو حبسه وقهره، فحبسه إلى أن مات وخمدت تلك البدع، وزالت تلك الضلالات، ثمّ انتصر له أتباع لم يرفع الله لهم رأساً، ولم يظهر لهم جاهاً ولا بأساً، بل ضربت عليهم الذلة والمسكنة، وباءوا بغضب من الله، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون^(١) انتهى.

أمّا المنقول من فعل الصحابة فسيأتي في المبحث الثاني أنّ عمر لمّا قدم

١- الجوهر المنظم في زيار القبر الشريف النبوي المكرم : ٢٩-٣١، دراسات في منهاج السنة: ٥٧٢ .

المدينة من فتوح الشام كان أوّل ما بدأ بالمسجد، وسلّم على رسول الله | (١).

وفي وفاء الوفاء للسمهودي : (روى عبد الرزاق بإسناد صحيح أنّ ابن عمر كان إذا قدم من سفر أتى قبر النبي | فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه (٢). قال: وفي الموطأ من رواية يحيى بن يحيى أنّ ابن عمر كان يقف على قبر النبي | فيصلّي (فيسلم ظ) على النبي | وعلى أبي بكر وعمر (٣).

وعن ابن عون سأل رجل نافعاً: هل كان ابن عمر يسلم على القبر؟ قال: نعم، لقد رأيته مائة مرة أو أكثر من مائة كان يأتي القبر فيقوم عنده فيقول: السلام على النبي، السلام على أبي بكر، السلام على أبي (٤). وفي مسند أبي حنيفة عن ابن عمر: من السنّة أن تأتي قبر النبي | في قبل القبلة، وتجعل ظهرك إلى القبلة، وتستقبل القبر بوجهك، ثمّ تقول: السلام عليك أيّها النبي ورحمة الله وبركاته (٥). أخرجه الحافظ طلحة بن محمد في مسنده، عن صالح بن أحمد، عن عثمان بن سعيد، عن أبي عبد الرحمن المقرئ، عن أبي حنيفة، عن نافع عن ابن عمر (٦) انتهى.

أما المنقول من فعل سائر المسلمين، ففي وفاء الوفاء: (ذكر المؤرخون

١- شفاء السقام : ١٤٤، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٤: ١٣٥٧.

٢- المصنّف للصنعاني ٣: ٥٧٦، وسنده صحيح .

٣- كتاب الموطأ ١: ١٦٦، السنن الكبرى للبيهقي ٥: ٢٤٥، الاستذكار ٢: ٣٢٣ .

٤- إمتاع الأسماع ١٤: ٦١٨، أحكام الجنائز : ٢٢٤، الشفا بتعريف حقوق المصطفى | ٢: ٨٦.

٥- شرح مسند أبي حنيفة : ٢٠١.

٦- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ٤: ١٣٥٨.

والمحدثون منهم ابن عبد البر والبلاذري وابن عبد ربه أنّ زياد بن أبيه أراد الحج، فأتاه أبو بكرة أخوه، وهو لا يكلمه، فأخذ ابنه فأجلسه في حجره ليخاطبه ويسمع زياداً فقال: إنّ أباك فعل وفعل، وإنّه يريد الحجّ وأمّ حبيبة زوج النبي | هناك، فإن أذنت له فأعظم بها مصيبة وخيانة لرسول الله | وإن حجبتّه فأعظم بها حجّة عليه.

فقال زياد: ما تدع النصيحة لأخيك، وترك الحج فيما قاله البلاذري. وقيل: حج ولم يزر من أجل قول أبي بكرة، وقيل: أراد الدخول عليها فذكر قول أبي بكرة فانصرف: وقيل: إنّها حجبتّه^(١). قال السبكي: والقصة على كلّ تقدير تشهد، لأنّ زيارة الحاج كانت معهودة من ذلك الوقت وإلاّ فكان يمكنه الحجّ من غير طريق المدينة، بل هي أقرب إليه؛ لأنّه كان بالعراق، ولكن كان إتيان المدينة عندهم أمراً لا يترك^(٢) انتهى.

لا يقال: نحن نسلم بأن إتيان المدينة أمر راجح مستحب، ولكن بقصد الصلاة في المسجد والزيارة تبع والذي نمنعه أتيانها بقصد الزيارة. لأننا نقول: المعروف بين المسلمين من عهد الصحابة إلى اليوم إتيان المدينة بقصد الزيارة هذا الذي جرت عليه سيرتهم وعملهم، لا يخطر ببالهم غيره، ولا يدور في خلدتهم سواه.

١ - الاستيعاب لابن عبد البر ٢: ٥٢٦، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٦: ٣٥٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ١٨٩.

٢ - وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ٤: ١٣٥٩، شفاء السقام: ١٤٥.

وأما قصد المسجد وكون الزيارة تبعاً فشيء لم يكن يعرفه أحد قبل الوهابية .

ولو كان لحرمة قصد الزيارة بالسفر أصل في الشرع لشاعت وذاعت وعرفها جميع المسلمين، وكانت وصلت إلى حد الضرورة ؛ لاحتياج الجميع إلى معرفتها، ولكانت قامت بها الخطباء والوعاظ، وبينتها العلماء، وحذروا الناس منها، لئلا يقصدوا بسفرهم الزيارة، فيقعوا في الحرام الموجب للعقاب من حيث قصدوا الثواب، ولكان بينها أصحاب كتب المناسك الذين لم يهملوا شيئاً يتعلق بالحج والزيارة من المستحبات فضلاً عن هذا الأمر المهم الموقع في الحرام.

أمّا المنقول عن أئمة المذاهب الأربعة ففي وفاء الوفاء : (بعدما ذكر اختلاف السلف في أنّ الأفضل البدأة بالمدينة أو بمكة، حكى عن الإمام أبي حنيفة أنّ الأحسن البدأة بمكة، وإنّ بدأ بالمدينة جاز، فيأتي قريباً من قبر رسول الله | فيقوم بين القبر والقبلة)^(١) انتهى.

وأما ما يحكى عن مالك أنّه كره أن يقال : (زرنا قبر النبي |)^(٢) فهو على فرض صحته محمول على كراهة التلفظ بهذا اللفظ، لبعض الوجوه التي ذكروها مما لا نطيل بنقله، لا لكراهة أصل الزيارة. مع أنّ العلماء ناقشوه في كراهة هذا اللفظ كالسبكي وابن رشد على ما في وفاء الوفاء.

١- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٤: ١٣٦٠ .

٢- فيض القدير شرح الجامع الصغير ٦: ١٨١، إمتاع الأسماع ١٤: ٦١٧ .

وذكر السمهودي في وفاء الوفا أقوال الشافعية في استحباب زيارة النبي | ثم قال: (والحنفية قالوا: إنّ زيارة قبر النبي | من أفضل المندوبات والمستحبات، بل تقرب من درجة الواجبات. قال: وكذلك نص عليه المالكية والحنابلة، وأوضح السبكي نقولهم في كتابه في الزيارة)^(١) انتهى.

الرابع: دليل العقل فإنّه يحكم بحسن تعظيم من عظمه الله تعالى، والزيارة نوع من التعظيم، وفي تعظيمه | بالزيارة وغيرها تعظيم لشعائر الإسلام وإرغام لمنكره، وقد ثبت رجحان زيارته | في حياته والوصول إلى خدمته، فكذلك بعد مماته خصوصاً بعد الالتفات إلى ما ورد من حياته البرزخية، وقد مضى في فصل التوسل قول مالك إمام دار الهجرة للمنصور: «إنّ حرمة النبي | ميتاً كحرمة حياً»، وليس في العقل شيء يمنع من الزيارة أو يوجب قبحها، بل فيه ما يحسنها من تعظيم من عظمه الله واحترام من هدى الناس إلى سبيل الرشاد، وكان سبب سعادتهم في الدارين.

المقام الثاني: في زيارة سائر القبور:

قد ثبت أنّ النبي | كان يزور أهل البقيع وشهداء أحد، وروى ابن ماجه بسنده عنه | : «زوروا القبور، فإنّها تذكركم الآخرة»^(٢)، وبسنده عن

١- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٤: ١٣٦٦ .

٢- سنن ابن ماجه ١: ٥٠٠، سنن الترمذي ٤: ٩، المستدرک ١: ٣٧٥ و صححه، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٧٦، شرح مسلم للنووي ٧: ٤٥، المصنّف لابن أبي شيبة ٣: ٢٢٣، مسند أبي يعلى ١: ٢٤٠، صحيح ابن حبان ٧: ٤٤٠، الجامع الصغير ٢: ٣١، مجمع الزوائد ٣: ٥٨، الأنصاف

عائشة: «أنه | رخص في زيارة القبور»^(١)، وفي حاشية السندي عن الزوائد أن رجال إسناده ثقات . وبسنده عنه | : «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فاتّها تزهد في الدنيا، وتذكر الآخرة»^(٢)، ورواه مسلم إلى قوله: «فزوروها»^(٣)، وروى النسائي : «ونهيتم عن زيارة القبور، فمن أراد أن يزور فليزر»^(٤) وزار النبي | قبر أمه وهي مشركة بزعم الخصم^(٥).

روى مسلم في صحيحه وابن ماجة والنسائي بأسانيدهم عن أبي هريرة: «زار النبي | قبر أمه، فبكى من حوله ، فقال: استأذنت ربي في أن استغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فاتّها تذكركم الموت»^(٦) قال النووي في شرح صحيح مسلم : « هو حديث صحيح

للمروزي ٢: ٥٦٢، كنز العمال ١٥: ٦٤٦، كشف الخفاء ومزيل الإلتباس ١: ٤٤١، البداية والنهاية ١: ١٤٣.

١- سنن ابن ماجة: ١: ٥٠٠، عمدة القارئ ٨: ٦٩، مسند أبي داود الطيالسي: ١٠٩، مسند ابن راهوية ٣: ٦٥٥، إرواء الغليل ٣: ٣٣٤ وقال: (قال البوصيري في الزوائد ٩٨: ١: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات).

٢- سنن ابن ماجة ١: ٥٠١، المصنّف للصنعاني ٣: ٥٧٣، صحيح ابن حبان ٣: ٣٦١، عمدة القارئ ٨: ٦٩، مجمع الزوائد ٣: ٥٨، فتح الباري ٣: ١١٨، مسند ابن الجعد: ٢٩٣، المصنّف لابن أبي شيبه ١: ٢٤٥، مسند أبي يعلى الموصلي ١: ٢٤٠، المعجم الأوسط ٤: ٦٩، المعجم الكبير ٢: ١٩، مسند الشاميين ٣: ٣٤٧، سنن الدارقطني ٤: ١٧٣، ناسخ الحديث ومنسوخه: ٣٧٤.

٣- صحيح مسلم ٣: ٦٥ باب استئذان النبي ﷺ ربه في زيارة القبور.

٤- سنن النسائي ٤: ٨٩، مجمع الزوائد ٣: ٥٨، المعجم الكبير ٥: ٨٢، إرواء الغليل ٣: ٢٢٦.

٥- مسند أحمد ٥: ٣٥٦، صحيح مسلم ٣: ٦٥، سنن ابن ماجة ١: ٥٠١، سنن أبي داود ٢: ٨٧، سنن الترمذي ٢: ٢٥٩، سنن النسائي ٤: ٩٠.

٦- صحيح مسلم ٣: ٦٥، مسند أحمد ٢: ٤٤١، سنن ابن ماجة ١: ٥٠١، سنن أبي داود ٢: ٨٧، سنن الترمذي ٢: ٢٥٩، سنن النسائي ٤: ٩٠، المستدرک للحاكم ١: ٣٧٤ وصححه، السنن الكبرى للبيهقي

بلا شك»^(١)، وروى مسلم: «أنه كلما كانت ليلة عائشة من رسول الله | يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وآتاكم ما توعدون» وعلم | عائشة حين قالت له: كيف أقول لهم يا رسول الله؟

قال: قول: «السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين»^(٢) الحديث رواه مسلم، وعن بريدة كان رسول الله | : «يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول: السلام على أهل الديار»^(٣) وفي رواية السلام: «عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين والمسلمات»^(٤)، الحديث رواه مسلم.

وقد مرّ في المقام الأول زيارة ابن عمر لقبر الشيخين مراراً كثيرة. وحكى السمهودي في وفاء الوفاء عن الحافظ زين الدين الحسيني الدميّطي: (أنّ زيارة قبور الأنبياء والصحابة والتابعين والعلماء وسائر المؤمنين للبركة أثر معروف).

قال: (وقد قال حجة الإسلام الغزالي: وكلّ من يتبرك بمشاهدته في حياته

٤: ٧٠، المصنّف لابن أبي شيبة ٣: ٢٢٣، صحيح ابن حبان ٧: ٤٣٩.

١- شرح مسلم للنووي ٧: ٤٦ .

٢- صحيح مسلم ٣: ٦٤ باب ما يقال عند دخول القبور، سنن النسائي ٤: ٩٣، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٧٩، فتح الباري ١١: ٤ .

٣- مسند أحمد ٦: ٢٢١، صحيح مسلم ٣: ٦٤، سنن النسائي ٤: ٩٣، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٧٩، مجمع الزوائد ٣: ٦٠.

٤- صحيح مسلم ٣: ٦٥، سنن النسائي ٤: ٩٤، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٧٩، رياض الصالحين: ٣٠٩، الجامع الصغير ٢: ٣٤٩، إرواء الغليل ٣: ٢٣٥، سبل الهدى والرشاد ٨: ٣٨٥.

يتبرك بزيارته بعد وفاته، ويجوز شد الرحال لهذا الغرض^(١) انتهى.

إلى أن قال: (وقد روي عن النبي | أنه قال: «أنس ما يكون الميت في قبره إذا زاره من كان يحبه في دار الدنيا»، وعن ابن عباس: «ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن يعرفه في الدنيا فسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام»، وروي: «من زار قبر أبويه في كل جمعة أو أحدهما كتب باراً وإن كان في الدنيا قبل ذلك بهما عاقاً»^(٢) انتهى.

وسأتي في آخر هذا الفصل أحاديث زيارة فاطمة عليها السلام قبر حمزة وشهداء أحد كل جمعة أو بين اليومين والثلاثة، وكفى بفعلها^{عليها السلام} دليلاً وحجة.

المبحث الثاني: في شد الرحال إلى زيارة القبور:

وقد منع الوهابية من شد الرحال إلى زيارة النبي | فضلاً عن غيره، وقد عرفت أن ابن تيمية في مقام تشجيعه على الإمامية قال: (إنهم يحجون إلى المشاهد كما يحج الحاج إلى البيت العتيق)^(٣) وما هو حجهم إلا قصدهم زيارتها، فسمّاه حجاً لإرادة لزيادة التهويل والتشجيع كما هي عادته.

وفي الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: (وتسن زيارة النبي | إلا أنه لا يشد الرحل إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه، وإذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس)^(٤) انتهى.

١ - إحياء علوم الدين ٢: ٣٥٧، كتاب آداب السفر، الباب الأول.

٢ - وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ٤: ١٣٦٣ .

٣ - منهاج السنة النبوية ١: ٤٧٤.

٤ - الهدية السنية والتحفة النجدية، الرسالة الثانية: ٥١.

واحتجّ الوهاية لذلك برواية البخاري، عن أبي هريرة، عن النبي | :
 «لا تشد الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد؛ المسجد الحرام ومسجد
 الرسول | ومسجد الأقصى»^(١)، ورواه مسلم في الحج والصلاة إلّا أنّه قال :
 «مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى»^(٢)، ورواه النسائي في سننه
 مثله إلّا أنّه قدم مسجد الحرام، ورواه أبو داود في الحج^(٣)، وفي رواية لمسلم :
 «تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد»^(٤)، وفي رواية له: «إنّما يسافر إلى ثلاثة
 مساجد، مسجد الكعبة، ومسجدي، ومسجد إيليا»^(٥).

والجواب عن هذه الأخبار: إنّ الحصر فيها إضافي لا حقيقي، أي لا تشد
 الرحال إلى مسجد من المساجد إلّا إلى هذه الثلاثة ؛ لأنّ هذا الاستثناء مفرغ،
 قد حذف فيه المستثنى منه، وكما يمكن تقديره لا تشد الرحال إلى مكان
 يمكن تقديره إلى مسجد، لكن الثاني هو المتعين؛ لأنّ ذلك هو المفهوم عرفاً
 من أمثال هذه العبارة، وللاتفاق على جواز السفر وشد الرحال إلى أي مكان

-
- ١- صحيح البخاري ٥٦: ٢ باب فضل الصلاة في مسجد مكة ، مسند أحمد ٢: ٣٧٨، سنن
 الدارمي ١: ٣٣٠، سنن ابن ماجه ١: ٤٥٢، سنن أبي داود ١: ٤٥١، سنن الترمذي ١: ٢٠٥، سنن
 النسائي ٢: ٣٧، السنن الكبرى للبيهقي ١٠: ٨٢، مسند أبي داود الطيالسي : ١٩٢، مسند
 الحميدي ٢: ٢٣٠، المصنّف لابن أبي شيبة ٤: ٥١٨، مسند أبي يعلى الموصلي ٢: ٣٨٨.
 - ٢- صحيح مسلم ٤: ١٣٦، مجمع الزوائد ٤: ٣، مسند أبي داود الطيالسي : ١٩٢.
 - ٣- سنن النسائي ٢: ٣٧، سنن ابن داود ١: ٤٥١ .
 - ٤- صحيح مسلم ٤: ١٢٦، السنن الكبرى للبيهقي ١٠: ٨٢، معرفة السنن والآثار ٤: ٢٦٨، التاريخ
 الكبير ٧: ٢٠٤.
 - ٥- صحيح مسلم ٤: ١٢٦، باب بيان أنّ المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد النبي | ،
 السنن الكبرى للبيهقي ٥: ٢٤٤، كنز العمال ١٢: ٢٧١، إرواء الغليل ٣: ٢٢٧.

كان للتجارة وطلب العلم والجهاد وزيارة العلماء والصلحاء والتداوي والنزهة والولاية والقضاء وغير ذلك مما لا يحصى.

ولو قيل: إنّ هذا خصص بالدليل ، للزم تخصيص الأكثر، وهو غير جائز كما تقرر في الأصول .

والحاصل: إنّ لا يشكّ من عنده أدنى معرفة في أنّ المراد بقوله: « لا تشد الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد » ، أو: « إنّما يسافر إلى ثلاثة مساجد » أنّه لا يسافر إلى غيرها من المساجد، لا أنّه لا يسافر إلى مكان مطلقاً .

على أنّه لا يفهم من هذه الأحاديث حرمة السفر إلى باقي المساجد، بل هي ظاهرة في أفضلية هذه المساجد على ما عداها، بحيث بلغ من فضلها أن تستحق شدّ الرحال والسفر إليها للصلاة فيها، فإنّها لا تشد الرحال وتركب الأسفار وتحمل المشاق إلّا للأمور المهمّة، لا أنّ من سافر للصلاة في مسجد طلباً لإحراز فضيلة الصلاة فيه يكون عاصياً وآثماً. وكيف يكون آثماً من يسافر إلى ما هو طاعة وعبادة؟!

فالمسجد ببعده لم يخرج عن المسجديّة، والصلاة فيه لم تخرج عن كونها طاعة وعبادة، إذ هو مسجد لكلّ أحد، فكيف يعقل أن يكون السفر للصلاة فيه إثماً ومعصية؟ فالسفر للطاعة لا يكون إلّا طاعة، كما أنّ السفر للمعصية لا يكون إلّا معصية.

وكيف تكون مقدمة المستحب محرّمة؟

ويدل على ذلك أنّ النبي | والصحابة كانوا يذهبون كلّ سبت إلى مسجد قبا وبينه وبين المدينة ثلاثة أميال أو ميلان، ركبناً ومشاة ، لقصد الصلاة فيه، ولا فرق في السفر بين الطويل والقصير، لعموم النهي لو كان، روى البخاري في صحيحه: أنّ النبي | كان يأتي مسجد قبا كلّ سبت ماشياً

وراكباً»^(١)، وأن ابن عمر كان يفعل كذلك» وفي رواية «كان رسول الله | يزوره راكباً وماشيّاً»،^(٢) وروى النسائي في سننه أنه كان رسول الله | يأتي قبا راكباً وماشيّاً وأنه قال: «من خرج حتّى يأتي هذا المسجد، مسجد قبا ، فصلّى فيه كان له عدل عمرة»^(٣) ، وفي إرشاد الساري : (عن ابن أبي شيبة في أخبار المدينة بإسناد صحيح، عن سعد بن أبي وقاص: لأنّ أصلي في مسجد قبا ركعتين أحبّ إليّ من أن آتي بيت المقدس مرتين، لو يعلمون ما في قباء لضربوا إليه أكباد الإبل)^(٤).

وهذا نص من سعد على إستحباب ضرب أكباد الإبل إليه الذي لا يكون إلّا بالسفر إليه من مكان بعيد.

وروى الطبراني: «من توضأ فأصبح الوضوء ثمّ غدا إلى مسجد قبا لا يريد غيره ولا يحمله على الغدو إلّا الصلاة في مسجد قبا، فصلّى فيه أربع ركعات كان له أجر المعتمر إلى بيت الله»^(٥)، ونقله في إرشاد الساري وسيأتي في آخر

-
- ١- صحيح البخاري ٥٧: ٢ باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، سنن أبي داود ١: ٤٥٣، المستدرک للحاكم ١: ٤٨٧ وصححه، السنن الكبرى للبيهقي ٥: ٢٤٨، شرح مسلم للنووي ٩: ١٦٩، مسند الحميدي ٢: ٢٩١، المصنّف لابن أبي شيبة ٢: ٢٦٧، صحيح ابن حبان ٤: ٥٠٨، تفسير البغوي ٢: ٣٢٨، الطبقات الكبرى ١: ٢٤٤.
 - ٢- مسند أحمد ٢: ٥، صحيح البخاري ٥٧: ٢ باب فضل الصلاة في مسجد الكوفة والمدينة، تحفة الأحوذى ٢: ٢٣٦، فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤: ٣٢٢.
 - ٣- سنن النسائي ٢: ٣٧، عمدة القارئ ٧: ٢٥٨، السنن الكبرى للنسائي ١: ٢٥٨، كنز العمال ١٢: ٢٦٤، تاريخ بغداد ٩: ٣٤٤، ميزان الاعتدال ١: ٤٣١.
 - ٤- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٣: ٢٧٥.
 - ٥- المعجم الكبير ١٩: ١٤٩، مسند أبي يعلى الموصلي ١١: ٢٣٨، مجمع الزوائد ٣: ٢٠٨، كنز

هذا الفصل أحاديث أنّ فاطمة عليها السلام كانت تزور قبر عمّها حمزة بين اليومين والثلاثة وكلّ جمعة، وفيه دلالة على جواز السفر للزيارة واستحبابه، لعدم تعقل الفرق بين السفر الطويل والقصير وبين أحد والمدينة نحو مما بينها وبين قبا أو أزيد.

ويدل على شدّ الرحال الحديث الخامس المتقدم : «من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني»^(١) ، والزيارة بعد الحج لا تكون إلّا بشد الرحال، وأظهر فيما قلناه الحديث الآخر لمسلم : «تشدّ الرحال إلى ثلاثة مساجد» بصيغة الإثبات، أي إنّ هذه المساجد الثلاثة تستحق وتستهل شدّ الرحال إليها ، لعظم فضلها، فهي حقيقة وجديرة بذلك، وشاد الرحال إليها لا يكون عناؤه ضائعاً، وتعبه خائباً، أو فائدته قليلة ، بل يحصل من الثواب على ما يقابل تعبّه وزيادة ، قال القسطلاني في إرشاد الساري شرح صحيح البخاري في شرح قوله: «لا تشدّ الرحال»: أي إلى مسجد للصلاة فيه.

ثمّ قال : وقد بطل بما مر من التقدير المعتضد بحديث أبي سعيد المروي في مسند أحمد بإسناد حسن مرفوعاً: «لا ينبغي للمطي أن تشدّ رحاله إلى مسجد تبتغي فيه الصلاة غير المسجد الحرام والأقصى ومسجدي هذا»^(٢) قول ابن تيمية حيث منع من زيارة قبر النبي | ، وهو من أبشع المسائل المنقولة عنه، ومن جملة ما استدل به على دفع ما ادعاه غيره من الإجماع على

العمال ١٢: ٢٦٤.

- ١ - تذكرة الموضوعات : ٧٦، كشف الخفاء ٢: ٢٤٤، كتاب المجروحين ٣: ٧٣، الكامل في الضعفاء ٧: ١٤، ميزان الاعتدال ٤: ٢٦٥، الكشف الحثيث: ٢٦٧، لسان الميزان ٦: ١٦٧، رفع المنارة : ٢٨٣، مغني المحتاج ١: ٥١٢، إعانة الطالبين ٢: ٣٥٤، تلخيص الحبير ٧: ٤١٨، نيل الأوطار ٥: ١٧٩، كنز العمال ٥: ١٣٥ وقال : «وأورده ابن الجوزي في الموضوعات فلم يصب».
- ٢ - مسند أحمد ٣: ٦٤، مجمع الزوائد ٤: ٣، عمدة القارئ للعيني ٧: ٢٥٤، إرواء الغليل ٣: ٢٣٠.

مشروعية زيارة النبي | ما نقل عن مالك أنه كره أن يقول: (زرت قبر النبي |). وأجاب عنه المحققون من أصحابه أنه كره اللفظ أدباً لا أصل الزيارة، فإنها من أفضل الأعمال، وأجل القرب الموصلة إلى ذي الجلال، وأن مشروعيته محل إجماع بلا نزاع^(١).

قال: فشدد الرحال للزيارة أو نحوها كطلب علم ليس إلى المكان، بل إلى من فيه، وقد التبس ذلك على بعضهم كما قاله المحقق التقي السبكي، فزعم أن شدد الرحال إلى الزيارة في غير الثلاثة داخل في المنع، وهو خطأ كما مر؛ لأن المستثنى إنما يكون من جنس المستثنى منه كما إذا قلت: ما رأيت إلا زيداً، أي ما رأيت رجلاً واحداً إلا زيداً، لا ما رأيت شيئاً أو حيواناً إلا زيداً^(٢) انتهى. وقال القسطلاني في موضع آخر: (الاستثناء مفرغ، والتقدير: لا تشدد الرحال إلى موضع، ولازمه منع السفر إلى كل موضع غيرها كزيارة صالح أو قريب أو صاحب أو طلب علم أو تجارة أو نزهة، لأن المستثنى منه في المفرغ يقدر بأعم العام، لكن المراد بالعموم هنا الموضع المخصوص، وهو المسجد)^(٣) انتهى.

وقال النووي في شرح صحيح مسلم في شرح قوله: «لا تشدد الرحال» إلخ: فيه بيان عظيم فضيلة هذه المساجد الثلاثة ومزيتها على غيرها، لكونها مساجد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ولفضل الصلاة فيها - إلى أن قال - : واختلف العلماء في شدد الرحال وإعمال المطي إلى غير المساجد الثلاثة

١ - راجع: فتح الباري ٣: ٥٤، البشارة والإتحاف: ٥٤.

٢ - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٣: ٢٧١.

٣ - المصدر السابق.

كالذهاب إلى قبور الصالحين وإلى المواضع الفاضلة ونحو ذلك، فقال الشيخ أبو محمد الجويني من أصحابنا : هو حرام، وهو الذي أشار القاضي عياض إلى اختياره، والصحيح عند أصحابنا وهو الذي اختاره إمام الحرمين والمحققون أنه لا يحرم ولا يكره. قالوا: والمراد أن الفضيلة التامة إنما هي في شد الرحال إلى هذه الثلاثة خاصّة^(١).

وقال في موضع آخر: (في هذا الحديث فضيلة هذه المساجد الثلاثة، وفضيلة شدّ الرحال إليها؛ لأنّ معناه عند جمهور العلماء: لا فضيلة في شدّ الرحال إلى مسجد غيرها.

وقال الشيخ أبو محمد الجويني من أصحابنا : يحرم شدّ الرحال إلى غيرها، وهو غلط^(٢) انتهى.

وقال السندي في حاشية سنن النسائي : (إنّ السفر للعلم وزيارة العلماء والصلحاء وللتجارة غير داخل في حيز المنع)^(٣) انتهى.

وقال السهودي في وفاء الوفاء : (ويستدل بقوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ} ^(٤) الآية على مشروعية السفر للزيارة، بشموله المجيء من قرب ومن بعد، وبعموم : «من زار قبري» ، وقوله في الحديث الذي صححه ابن السكن : «من جاءني زائراً» ^(٥) وإذا ثبت أنّ الزيارة قرينة فالفكر إليها كذلك، وقد ثبت خروج النبي | من المدينة لزيارة قبور الشهداء، فإذا جاز الخروج

١- شرح مسلم للنووي ٩: ١٠٦ .

٢- المصدر السابق ٩: ١٦٨ .

٣- حاشية السندي على النسائي ٢: ٣٨ .

٤- سورة النساء: ٦٤ .

٥- المعجم الكبير ١٢: ٢٢٥، مجمع الزوائد ٤: ٣، رفع المنارة : ٢٤٥ وصححه .

للقريب جاز للبعيد، وقبره | أولى، وقد انعقد الإجماع على ذلك، لإطباق السلف والخلف عليه.

وأما حديث: «لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» فمعناه لا تشدوا الرحال إلى مسجد إلا المساجد الثلاثة، إذ شد الرحال إلى عرفة لقضاء النسك واجب بالإجماع، وكذلك سفر الجهاد والهجرة من دار الكفر بشرطه وغير ذلك، وأجمعوا على جواز شد الرحال للتجارة ومصالح الدنيا، وقد روى ابن شبة بسند حسن أن أبا سعيد، يعني الخدري، ذكر عنده الصلاة في الطور فقال: قال رسول الله | : «لا ينبغي للمطي أن تشد رحالها إلى مسجد يبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى»^(١)، فهذا الحديث صريح فيما ذكرناه.

على أن في شد الرحال لما سوى هذه المساجد الثلاثة مذاهب، نقل إمام الحرمين عن شيخه أنه أفتى بالمنع.

قال: وربما كان يقول يكره، وربما كان يقول: يحرم. وقال الشيخ أبو علي: لا يكره ولا يحرم.

إلى أن قال: وقال المارودي من أصحابنا يعني الشافعية عند ذكر من يلي أمر الحج: فإذا قضى الناس حجهم سار بهم على طريق مدينة رسول الله | ، رعاية لحرمة، وقياماً بحقوق طاعته، وذلك وإن لم يكن من فروض الحج فهو من مندوبات الشرع المستحبة، وعبادات الحجيج المستحسنة.

وقال القاضي الحسين: إذا فرغ من الحج فالسنة أن يأتي المدينة ويزور قبر النبي ﷺ.

وقال القاضي أبو الطيب: ويستحب أن يزور النبي | بعد أن يحج

١- مسند أحمد ٣: ٦٤، عمدة القارئ ٧: ٢٥٤، إرواء الغليل ٣: ٢٣٠، الدرر السنية: ٦.

ويعتمر.

وقال المحاملي في التجريد: ويستحب للحاج إذا فرغ من مكة أن يزور قبر النبي | .

وقال أبو حنيفة: إذا قضى الحاج نسكه مر بالمدينة.

إلى أن قال: وفي كتاب تهذيب المطالب لعبد الحق: سئل الشيخ أبو محمد ابن أبي زيد في رجل استؤجر بمال ليحجَّ به، وشرطوا عليه الزيارة، فلم يستطع أن يزور.

قال: يرد من الأجرة بقدر مسافة الزيارة^(١).

وقال في موضع آخر: (وممن سافر إلى زيارة النبي | من الشام إلى قبره عليه السلام بالمدينة بلال بن رباح مؤذن رسول الله |، كما رواه ابن عساكر بسند جيد عن أبي الدرداء قال: لمَّا رحل عمر بن الخطاب من فتح بيت المقدس فصار إلى جابية سأله بلال أن يقره بالشام، ففعل^(٢)).

قال: ثُمَّ إِنَّ بلالاً رأى في منامه النبي | وهو يقول: ما هذه الجفوة يا بلال أما آن لك أن تزورني يا بلال؟

فانتبه حزينا وجلا خائفاً، فركب راحلته وقصد المدينة، فأتى قبر النبي |، فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه، فأقبل الحسن والحسين فجعل يضمهما ويقبلهما، فقالا له: يا بلال، نشتهي أن نسمع أذانك، فلمَّا قال: الله أكبر ارتجت المدينة، فلمَّا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، ازدادت رجتها، فلمَّا

١- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٤: ١٣٦٤ - ١٣٧٠.

٢ - أسد الغابة ١: ٢٠٨، الإصابة في تمييز الصحابة ٧: ١٢٢ تاريخ الإسلام ٣: ٢٠٤، شفاء السقام: ١٤٠، تطهير الفؤاد: ٤٤.

قال : أشهد أنّ محمّداً رسول الله، خرجت العواتق من خدورهن وقالوا : بعث رسول الله | ، فما رأيي بالمدينة بعده | أكثر باكيةً وبأكية من ذلك اليوم^(١).

قال: وقال الحافظ عبد الغني وغيره: لم يؤذن بلال بعد النبي | إلا مرة واحدة في قدومه المدينة لزيارة قبر النبي | .

وقال : قال السبكي : ليس اعتمادنا على رؤيا المنام فقط، بل على فعل بلال وهو صحابي، سيّما في خلافة عمر، والصحابة متوافرون، ولا تخفى عنهم هذه القصة، ورؤيا بلال النبي | مؤكدة لذلك .

قال: وقد استفاض عن عمر بن عبد العزيز أنّه كان يبرد البريد من الشام يقول: سلم لي على رسول الله | ، وذلك في زمن صدر التابعين^(٢).

وممن ذكر ذلك عنه الإمام أبو بكر بن عمرو بن عاصم النبل، ووفاته في المائة الثالثة، قال في مناسكه: وكان عمر بن عبد العزيز يبعث بالرسول قاصداً من الشام إلى المدينة ليقري النبي | السلام، ثم يرجع.

قال: وفي فتوح الشام أنّ عمر لمّا صالح أهل بيت المقدس، وقدم عليه كعب الأحبار وأسلم وفرح بإسلامه قال له: هل لك أن تسير معي إلى المدينة وتزور قبر النبي | وتتمتع بزيارته؟

فقال: نعم، ولمّا قدم عمر المدينة كان أوّل ما بدأ بالمسجد، وسلّم على

١- تاريخ مدينة دمشق ٧: ١٣٧، أسد الغابة ١: ٢٠٨، سير أعلام النبلاء ١: ٣٥٨، تاريخ الإسلام ١٧: ٦٧ وقال: (إسناده جيد).

٢- شفاء السقام: ١٤٢- ١٤٣.

رسول الله | (١).

وقال في موضع آخر: كانت الصحابة يقصدون النبي | قبل وفاته للزيارة وهو | حي في الدارين، بل روى أحمد بإسنادين أحدهما برجال الصحيح، عن يعلى بن مرة من حديث قال فيه: «ثُمَّ سَرْنَا فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَنَامَ النَّبِيُّ |، فَجَاءَتْ شَجَرَةٌ تَشْقِي الْأَرْضَ حَتَّى غَشِيَتْهُ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى مَكَانِهَا، فَلَمَّا اسْتَيْقِظَ ذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: هِيَ شَجَرَةٌ اسْتَأْذَنْتَ رَبَّهَا عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَسْلُمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَأَذِنَ لَهَا» (٢).

فإذا كان هذا حال شجرة فكيف بالمؤمن المأمور بتعظيم هذا النبي الكريم الممتلىء بالشوق إليه، وحديث حنين الجذع ذكر في محله (٣) انتهى. ومروى قول الغزالي: «يجوز شد الرحال لزيارة من يتبرك به بعد موته». بقي الكلام في أن جواز زيارة القبور مخصوص بالرجال أو عام لهم وللنساء؟

قد عرفت في الفصل الحادي عشر ورود بعض الروايات في لعن زائرات القبور أو زوارات القبور، وهذه الأخبار بعد تسليمها فقد عرفت القدح في سندها بالضعف وفي متنها بالاضطراب في ذلك الفصل؛ محمولة على الكراهة، لتخصيص اللعن فيها بالزائرات أو الزوارات دون الزائرين، فإن زيارة القبور جائزة عند الوهابية بدون شد الرحال كما عرفت، فلم يبق وجه لتخصيص

١- شفاء السقام: ١٤٤، تطهير الفؤاد: ٤٧، وارجع إلى وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ١٣٥٧-١٣٥٨.

٢- مسند أحمد ٤: ١٧٣، مجمع الزوائد ٩: ٦ وقال: (رواه أحمد بإسنادين والطبراني بنحوه، وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح)، منتخب مسند بن عبد حميد: ١٥٤، تهذيب الكمال ١: ٢٣٧، عيون الأثر ٢: ٣٦٠، الوافي بالوفيات ١: ٨٢، السيرة الحلبية ٣: ٣٥٢.

٣- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ١٣٦٩: ٤.

اللعن بالزائرات إلا الكراهة، لمنافاتها لكمال الستر المطلوب في المرأة، سيما على رواية زوارات بصيغة المبالغة، الدالة على أنّ المنهي عنه كثرة الزيارة التي لا تناسب شدة طلب الستر في النساء، ولو حمل على أنّ ذلك كان قبل نسخ النهي عن زيارة القبور على ما مر كما توهم بعضهم لنافاه التعبير بالزائرات أو الزوارات ؛ لأنّ النسخ إن كان ففي الرجال والنساء.

واحتمال بقائهن تحت النهي كما حكاه السندي في حاشية سنن النسائي^(١)، لقلة صبرهن، واستقر به بعيداً، منافٍ للسيرة وعمل المسلمين، وقاعدة الاشتراك بين الرجال والنساء في الأحكام.

قال العزيزي في شرح الجامع الصغير عند شرح قوله | : «لعن الله زوارات القبور»، قال العلقمي : قال الدميري: قال صاحب المذهب والبيان من أصحابنا: لا يجوز للنساء زيارة القبور، لظاهر هذا النهي، قال النووي : وقولهما شاذ في المذهب والذي قطع به الجمهور أنّها مكروهة كراهة تنزيه^(٢) انتهى . ويدل على جواز زيارة النساء للقبور، بل استحباب زيارتهن قبور الأنبياء والشهداء ما في وفاء الوفاء: (روى ابن أبي شبة، عن أبي جعفر أنّ فاطمة بنت رسول الله | كانت تزور قبر حمزة ترمه وتصلحه، وقد تعلمته بحجر . وروى رزين عنه: أنّ فاطمة كانت تزور قبور الشهداء بين اليومين والثلاثة.

ورواه يحيى بنحوه عنه أبي جعفر، عن أبيه علي بن الحسين، وزاد : فتصلي هناك وتدعو وتبكي حتى ماتت.

١ - حاشية السندي على النسائي ٤: ٩٥، سبل السلام للصنعاني ٢: ١١٤، أحكام الجنائز للألباني: ١٨٥، سنن الترمذي ٢: ٢٥٩، عمدة القارئ ٨: ٦٩، عون المعبود ٣: ٣٤٥ .
٢ - السراج المنير على الجامع الصغير ٣: ١٩٨، المجموع للنووي ٥: ٣١٠.

وروى الحاكم عن علي: **«كأن فاطمة كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلي وتبكي عنده»** (انتهى وفاء الوفاء^(١)).

ويظهر أنّ الوهابية بعدما أباحوا للنساء زيارة القبور في العام الماضي منعوهنّ منها في هذا العام، فقد أخبرنا الحجاج أنّ النساء منعت من الدخول إلى البقيع في هذا العام بدون استثناء، وكأنّهم بنوا على هذا الاحتمال الضعيف الذي ذكره السندي، وقال به صاحب المذهب والبيان من بقائهن تحت النهي، فظهرت لهم صحته هذا العام بعد ما خفيت عنهم في العام الأوّل.

(يمحو الوهابية ما يشاؤون ويثبتون وعندهم أم الكتاب)!

لسنا نعارضهم في اجتهادهم، أخطأوا فيه أم أصابوا، ولكننا نسألهم ما الذي سوّغ لهم حمل المسلمين على اتّباع اجتهادهم المحتمل الخطأ والصواب، بل هو إلى الخطأ أقرب، لمخالفته لما قطع به الجمهور، ولم يقل به إلّا الشاذ كما سمعت، والأمور الاجتهادية لا يجوز المعارضة فيها كما بيّناه في المقدمات؟! وما بالهم يسلبون المسلمين حرية مذاهبهم في الأمور الاجتهادية، ويحملونهم على اتّباع معتقداتهم فيها بالسوط والسيوف، كما زادوا في طنبور تعنتهم هذه السنة نغمات، فعاقبوا الناس على البكاء عند زيارة قبر النبي | أو أحد القبور، ومنعوهم منه، والبكاء أمر قهري اضطراري لا يعاقب الله عليه ولا يتعلق به تكليف، لاشتراط التكليف بالقدرة عقلاً ونقلاً، ومنعوا من القراءة في

١- هذه الأخبار يمكن الرجوع إليها في المصادر التالية: الطبقات الكبرى ٣: ١٩، تاريخ المدينة لابن شبة ١: ١٣٢، المستدرک للحاکم ١: ٣٧٧ وصححه، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٧٨، تلخيص الحبير ٥: ٢٤٨، سبل السلام ٢: ١١٥، نيل الأوطار ٤: ١٦٦، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ٣: ٩٣٢، زيارة النبي | وخلفائه قبور شهداء أحد.

كتاب حال الزيارة، ومن إطالة الوقوف، فمن رأوا في يده كتاب زيارة أخذوه منه ومزقوه أو أحرقوه وضربوا صاحبه وأهانوه، ومن أطال الوقوف طردوه وضربوه، حدثني بعض الحجاج الثقات أنه تحيل لقراءة الزيارة من الكتاب بأن فصل أوراقاً منه وجعلها في القرآن، وجلس يظهر قراءة القرآن ويزور، فاتفق أنه أشار غفلةً بالسلام نحو قبر النبي ﷺ، فدفعوه حتى أخرجوه من المسجد، وأخذوا تلك الأوراق ومزقوها، وأمثال هذا مما صدر منهم في حق الحجاج في مسجدي مكة والمدينة ومسجد الخيف بالقيع وغيرها مما سمعناه متواتراً من الحجاج كثير يطول الكلام بنقله.

* * *

استدراك

لما فاتنا ذكره في محلّه من هذا الكتاب ولم نعثر عليه إلاّ بعد الطبع
فذكرناه هنا على ترتيب مواضعه في الكتاب.

(١)

مما يتعلق بحياة الشهداء والمؤمنين ما في وفاء الوفاء : (أنّه ذكر ابن تيمية
في اقتضاء الصراط المستقيم كما نقله ابن عبد الهادي أنّ الشهداء، بل كلّ
المؤمنين إذا زارهم المسلم وسلم عليهم عرفوا به وردّوا عليه السلام)^(١) انتهى.

(٢)

مما يتعلق برد من قال من الوهابيين: إنّ المراد بنجد المذمومة في الأخبار
هي العراق، قول نوح بن جرير الخطفي ذكره في معجم البلدان:
فَذَا الْعَرْشَ لَا تَجْعَلُ بَبْغَادَ مِيتِي وَلَكِنْ بِنَجْدٍ حَبْدًا بِلْدًا نَجْدٍ
بِلَادُ نَات عَنْهَا الرَّاعِيْتُ وَالتُّقَى بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ وَالْعَفْرُ وَالرَّبْدُ^(٢)
وقول أعرابي كما في معجم البلدان:
أَلَا هَلْ لِمَحْزُونٍ بَبْغَادَ نَاخِ إِذَا مَا بَكَى جُهِدَ الْبُكَاءُ مُجِيبُ

١- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى | ٤: ١٣٥١، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب

الجحيم ٢: ١٣٩.

٢- معجم البلدان ٥: ٢٦٤.

كَأَنِّي بَبْغَدَادٍ وَإِنْ كُنْتُ آمِنًا طَرِيدُ دَمِ نَائِي المَحَلِّ غَرِيبُ
فِيَا لِأَيْمِي فِي حُبِّ نَجْدٍ وَأَهْلِهِ أَصَابَكَ بِالْأَمْرِ المُّهِمِّ مُصِيبُ^(١)
فَدَلْ كَلَامَ هَذَيْنِ الشَّاعِرَيْنِ أَنَّ بَغْدَادَ الَّتِي هِيَ عَاصِمَةُ الْعِرَاقِ لَيْسَتْ مِنْ
نَجْدٍ، وَأَنَّ نَجْدًا لَيْسَتْ هِيَ الْعِرَاقُ.

(٣)

مما يتعلق بأحوال نجد والنجديين ما أرشدنا إليه بعض كبار العلماء أكثر
الله في المسلمين أمثاله في كتابه كتبه إلينا مع تفصيلنا في الحاشية بعض
ما أجملته، وترك الباقي لعدم عثورنا على تفصيله، لبعدها عن مكتبتنا، قال
حفظه الله:

(إِنَّ أَقْطَارَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ أَخْرَجَتْ مَلُوكًا وَعُلَمَاءَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ
مَا خَلَا نَجْدًا، فَإِنَّهَا لَمْ تَخْرُجْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا كِبَارَ اللَّصُوصِ وَفَسَّاقَ الْعِشَاقِ^(٢)،
وَمِنْهَا أَتَى الضَّلَالُ لِلْعَرَبِ، فَإِنَّهُمْ لَمَّا كَانُوا قَرَّةَ عَيْنِ إِبْلِيسَ، وَأَشَدَّ الْبَشَرِ شَبَهًا بِهِ،
لَمْ يَتَقَمَّصْ إِلَّا صُورَةَ أَحَدِهِمْ، فَأَغْوَى عَمْرُو بْنُ لَحِي^(٣)، وَأَغْرَاهُ بِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ،
وَهُوَ فِي صُورَةِ نَجْدِي، كَمَا أَنَّ بَعْدَ ذَلِكَ حَاوَلَ إِغْوَاءَ قَرِيشَ لَمَّا حَكَّمُوا
النَّبِيَّ | فِي وَضْعِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَهُوَ فِي نَحْوِ تِلْكَ الصُّورَةِ

١- معجم البلدان ٥: ٢٦٤.

٢- أمثال عروة بن حزام الذي يقول:

جعلت لعراف اليمامة حكمة وعراف نجد إن هما شفيان. (المؤلف)

تأويل مختلف الحديث : ٣١٠، شرح نهج البلاغة ١٩: ٤٢٦، الوافي بالوفيات ١٩: ٣٥٩، فوات
الوفيات ٢: ٦٤.

٣- هو أول من أحدث عبادة الأصنام في العرب (المؤلف). الأعلام للزركلي : ٨٤.

وأيضاً كان فيها لمّا ساعدتهم في دار الندوة على المكر بالرسول، وشبه الشيء منجذب إليه^(١).

ثمّ إنّ أهل نجد كانوا أشدّ العرب غطرسة وكبراً وجهلاً، وكانوا أبعد الخلق من قبول الهداية، لقساوة قلوبهم وجساوتها، وغلظ طباعهم، ولذلك تكرر غدرهم بمن بعثه النبي | لهدايتهم^(٢)، وكانوا أشدّ العرب، وأكبرهم

١- في سيرة ابن هشام ما حاصله: (إنّه لمّا اجتمع قريش ليتشاوروا في أمر رسول الله ﷺ وقصدوا دار الندوة اعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل، عليه بتلة، فوقف على باب الدار، قالوا: من الشيخ؟

قال: شيخ من أهل نجد سمع بالذي أتعدتم له فحضر معكم، وعسى أن لا يعدمكم منه رأياً ونصحاً.

قالوا: أجل، فدخل معهم وتشاوروا في أمر النبي ﷺ، فقال قائل منهم: احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً، ثمّ تربصوا به ما أصاب قبله الشعراء أشباهه من الموت.

فقال الشيخ النجدي: ما هذا برأي، لئن حبستموه ليخرجنّ أمره إلى أصحابه، فيثبون عليكم فينتزعونه من أيديكم.

وقال آخر: ننفيه من بلادنا.

فقال الشيخ النجدي: ما هذا برأي، لو فعلتم ذلك ما أمتتم أن يحل على حي من العرب فيغلب عليهم بحسن حديثه وحلاوة منطقته، ثمّ يسير بهم إليكم.

فقال أبو جهل: أرى أن نأخذ من كلّ قبيلة شاباً جليداً، ثمّ نعطي كلّاً منهم سيفاً صارماً فيضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب القبائل، فيرضون بالدية.

فقال الشيخ النجدي: هذا هو الرأي (المؤلف). السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٣٣١، المصنّف للصنعاني ٥: ٣٩٠، السيرة الحلبية ٢: ١٨٩.

٢- في سيرة ابن هشام وغيرها: (أنّه قدم أبو البراء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة على رسول الله ﷺ وقال: يا محمّد، لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوههم إلى أمرك رجوت أن يستجيبيوا لك؟

إيذاء له | ، وأشدّهم عليه، وكانوا أخبث الناس جواباً له نفسي له الفداء لمّا عرض نفسه على القبائل^(١).

ثمّ لما أتى دور الكذبة تمخضت الدنيا عن كذاب واحد وهو الأسود العنسي وانطفت فتنته سريعاً^(٢)، لعدم صلاحية اليمن لغير الإيمان، ولكن نجداً لخصوبتها بالكذب، وكونها مطلع الفتن ومنبتها أخرجت دفعة واحدة مسيلمة وطليحة وسجاح، وقد لقي الصحابة منهم شراً لم يلقوا عشرة من غيرهم.

ثمّ كان أوّل محكم من الخوارج من عنيزة من نجد، ومنهم ذو الخويصرة اللعين، ونجد معدن الخوارج، ومنها القرامطة ، ومذهب نجد منذ ذر قرن الخوارج منها إلى الآن واحد في جوهره لم يتغير وإن تغيرت الأسماء ؛ لأنّه تكفير جميع المسلمين غيرهم، واستحلال الدماء والأموال) انتهى.

(٤)

في بعض ما يحكى عن ابن تيمية من المعتقدات التي فاتنا ذكرها عند ذكر معتقده في صدر الباب الأوّل.

→ فقال ﷺ: إني أخشى عليهم أهل نجد.

قال: أنا لهم جار، فبعث رسول الله ﷺ أربعين رجلاً من أصحابه، فساروا حتّى نزلوا بئر معونة، فبعثوا أحدهم بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل، فلم ينظر في كتابه، وقتله واستصرخ عليهم قبائل العرب فقتلوه (المؤلف). السيرة النبوية ٣: ٦٧٨، عمدة القارئ ١٧: ١٧٤، كتاب الأوائل: ١٠٢، الطبقات الكبرى ٢: ٥٢.

١- في سيرة ابن هشام: ٢: ٢٨٨: (إنّ رسول الله ﷺ أتى بني حنيفة في منازلهم، فدعاهم الى الله، وعرض عليهم نفسه، فلم يكن أحد من العرب أقبح عليه رداً منهم) انتهى، وبنو حنيفة هم أصحاب مسيلمة الكذاب، وكانوا في نجد. (المؤلف)

٢- فإنّه ادعى النبوة بعد حجة الوداع وقتل في حياته ﷺ (المؤلف). الأعلام للزركلي ٥: ١١١.

ففي كتاب دفع شبه التشبيه والرد على المجسمة من الحنابلة لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الواعظ المشهور عند ذكر الآيات التي ظاهرها التجسيم قال: (ومنها قوله تعالى: { ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ }^(١) - إلى أن قال - : قال ابن حامد^(٢): الاستواء مماسة وصفة لذاته والمراد القعود، وقد ذهب طائفة من أصحابنا إلى أن الله تعالى على عرشه ما ملأه، وأنه يقعد نبيه على العرش. وفي الحاشية ما لفظه: قال الجلال الدواني في شرح العضدية: وقد رأيت في بعض تصانيف ابن تيمية القول به أي بالقدم النوعي في العرش. وقال الشيخ محمد عبده فيما علقه: وذلك أن ابن تيمية كان من الحنابلة الآخذين بظواهر الآيات والأحاديث القائلين بأن الله استوى على العرش جلوساً، فلمّا أورد عليه أنه يلزم أن يكون العرش أزلياً، لما أن الله أزلي، فمكانه أزلي، وأزلية العرش خلاف مذهبه.

قال: إنه قديم بالنوع، أي إن الله لا يزال يعدم عرشاً ويحدث آخر من الأزل إلى الأبد حتّى يكون له الاستواء أزلاً وأبداً.

ولننظر أين يكون الله بين الإعدام والإيجاد هل يزول عن الاستواء فليقل به أزلاً، فسبحان الله ما أجهل الإنسان، وما أشنع ما يرضى به لنفسه^(٣) انتهى المنقول في الحاشية.

١- سورة الأعراف: ٥٤.

٢- في حاشية الكتاب: (هو شيخ الحنابلة الحسن بن حامد بن علي البغدادي الوراق المتوفي سنة ٤٠٣ هـ)، كان من أكبر مصنفهم له شرح أصول الدين فيه طامات (المؤلف) إلخ. راجع في ترجمته: تاريخ بغداد ٧: ٣١٣، سير أعلام النبلاء ١٧: ٢٠٢، الأعلام للزركلي ٢: ١٨٧.

٣- دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه: ١٢١ - ١٣٦.

فانظر إلى قول الحنابلة سلف ابن تيمية الذين يدين بمذهبهم أنّ الله مستوٍ على العرش استواء مماسة وقعود، وأنّه ما ملأ العرش، بل العرش أكبر منه، وأنّه يجلس معه نبيّه على العرش، تشبيها بالملك الذي يجلس معه وزيره على السرير، وإلى قول ابن تيمية أنّ العرش قديم بالنوع حادث بالشخص، تعالى الله عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً.

وفي كتاب دفع شبه التشبيه أيضاً عند ذكر الأحاديث التي ظاهرها التجسيم: (الحديث التاسع عشر: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي | : «ينزل ربنا كلّ ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، يقول : من يدعوني فليستجب له»^(١)، قال ابن حامد: هو على العرش بذاته، مماس له ، وينزل من مكانه الذي هو فيه وينتقل . وهذا رجل لا يعرف ما يجوز على الله .

ومنهم من قال: يتحرك إذا نزل، وما يدري أنّ الحركة لا تجوز على الله . وقد حكوا عن الإمام أحمد ذلك وهو كذب عليه^(٢) انتهى . وفي الحاشية: (حكى ذلك أبو يعلى في طبقاته عن أحمد بطريق أبي العبّاس الأصطخري، وعجيب من ابن تيمية كتبه في معقوله غير منكر ما يرويه حرب بن إسماعيل الكرمانى صاحب محمّد بن كرام في مسائله، عن أحمد وغيره في حقّه سبحانه أنّه يتكلم ويتحرك!!

١ - صحيح البخاري ٢: ٤٧ باب التهجد بالليل، صحيح مسلم ٢: ١٧٦ باب الترغيب في قيام شهر رمضان، مسند أحمد ٣: ٤٣٣، سنن أبي داود ١: ٢٩٦، السنن الكبرى للبيهقي ٣: ٢، صحيح ابن حبان ٣: ٢٠٠، المعجم الأوسط ٦: ١٥٩، كتاب الدعاء للطبراني ٦١، إرواء الغليل ٢: ١٩٥.

٢ - دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه: ١٩٢ - ١٩٧.

ونقل أيضاً - يعني ابن تيمية - عن نقض الدارمي ساكتاً أو مقراً: الحي القيوم يفعل ما يشاء ويتحرك إذا شاء، ويهبط ويرتفع إذا شاء، ويقبض ويبسط ويقوم ويجلس إذا شاء، لأنَّ أماره ما بين الحي والميت التحرك، وكلَّ حي متحرك لا محالة، وكلَّ ميت غير متحرك لا محالة، بل يروى عنه نفسه - يعني ابن تيمية - أنه نزل درجة وهو يخطب على المنبر في دمشق وقال: ينزل الله كنزولي هذا على ما أثبتته ابن بطوطة من مشاهداته في رحلته^(١). وقال الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة: (ذكروا أنَّه ذكر - أي ابن تيمية - حديث النزول فنزل عن المنبر درجتين، فقال : كنزولي هذا فنسب إلى التجسيم)^(٢) إلخ.

(٥)

مما يتعلق بالاستغاثة ما عن الاستيعاب: (أنَّها وقعت مشاجرة بين بني عامر في البصرة، فبعث عثمان أبا موسى الأشعري إليهم، فلمَّا طلع عليهم صاحوا: يا آل عامر، فلمَّا سمع النابغة الجعدي برز مع قومه، فقال أبو موسى: ما شأنك؟ قال: سمعت دعوة قومي فأجبتها، فعززه أبو موسى بسياط، فقال النابغة أبياتاً من جملتها:

ألا يا غوثنا لو تسمعونا	فيا قبر النبي وصاحبيه
ولأصلي على الأمراء فينا ^(٣)	ألا صلى إلهكم عليكم
	والنابغة من الصحابة، ولمَّا قال:

١ - هامش السيف الصقيل رد ابن زفيل: ٩١.

٢ - الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ١: ٨٨ - ٩٦.

٣ - الاستيعاب لابن عبد البر ٤: ١٥١٨.

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدَنَا وَجَدُودَنَا وَأَنَا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا

قال له النبي | :إلى أين؟

قال : إلى الجنة بك يا رسول الله، ودعا له النبي | ، فقال: < لا فض فوك، فلم تسقط له سن حتى مات > (١).

ومما يتعلق بالاستغاثة ما جاء في قصة قارون أنه لما خسف به استغاث بموسى عليه السلام فلم يغثه وقال: يا أرض إبلعيه، فعاتبه الله حيث لم يغثه وقال له: استغاث بك فلم تغثه، ولو استغاث بي لأغثته (٢).

(٦)

مما يتعلق بالتوسل ما عن السيوطي أن النبي | استسقى، فلما نزل الغيث قام رجل من كنانة فقال:

لَكَ الْحَمْدُ وَالْحَمْدُ مِمَّنْ شَكَرَ	سَقَيْنَا بِوَجْهِ النَّبِيِّ الْمَطَرِ
دَعَا اللَّهَ خَالِقَهُ دَعْوَةً	إِلَيْهِ وَأَشْخَصَ مِنْهُ الْبَصَرِ
أَغَاثَ بِهِ اللَّهُ عَلِيَا مُضَرَّ	وَهَذَا الْعِيَانُ لَذَاكَ الْخَبَرِ
وَكَانَ كَمَا قَالَهُ عَمُّهُ	أَبُو طَالِبٍ أَيْضَ دُوْ غُرَرِ
فَلَمْ تَكُ إِلَّا كَكْفِ الْمَرْدَاءِ	أَوْ أَسْرَعَ حَتَّى رَأَيْنَا الدُّرَرِ
بِهِ قَدْ سَقَى اللَّهُ صَوْبَ الْغِمَامِ	وَمَنْ يَكْفُرُ اللَّهُ يُلْقَى الْغَرَرِ

-
- ١- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث : ٢٧٢، الاستذكار ١: ٣٢، الاستيعاب ٤: ١٥١٦، تخريج الأحاديث والآثار ٢: ٣٢٨، كنز العمال ١٣: ٦٠١، أسد الغابة ٥: ٣، الإصابة ٦: ٣١٠، المنتخب من ذيل المذيل : ٦٦، تاريخ الإسلام ٥: ٢٥٩، إمتاع الأسماع ٢: ٢٦٤.
- ٢- جامع البيان ٢٠: ١٤٣، الدر المنثور ٥: ١٣٩، تاريخ الطبري ١: ٣١٧، الدرر السنية : ١٧، شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق : ١٦٩ .

فقال النبي | : «إن يك شاعر يحسن فقد أحسنت»^(١).

فقوله : سقينا بوجه النبي المطر، وقوله : أغاث به الله عليا مضر، وقوله :
وكان كما قاله عمّه ألخ الذي هو إشارة إلى قوله : وأبيضُ يُستسقى الغمام
بوجهه، وقوله : به قد سقى الله صوب الغمام، كلّها دالة على حسن التوسل
والاستغاثة بالنبي | ؛ لأنه سمعها ولم ينكرها بل استحسناها.

(٧)

مما يتعلق بالإقسام على الله بمخلوق ما ذكره ابن خلكان في تاريخه قال:
(حكى سفيان الثوري، عن طارق بن عبد العزيز، عن الشعبي قال: كنا بفناء
الكعبة أنا وابن عمر وابن الزبير أخوة مصعب وعبد الملك بن مروان وذكر
دعاء كلّ منهم أن يعطى متمناه، فأعطيه، فكان من دعاء عبد الله بن الزبير:
أسألك بحرمة عرشك، وحرمة وجهك وحرمة نبيك ﷺ)^(٢).

(٨)

مما يتعلق بالنذر رداً على استشهاد الصنعاني بحديث : « إن النذر لا يأتي
بخير، وإنما يستخرج به من البخيل»^(٣) ما رواه صاحب الكشاف والبيضاوي

١ - كتاب الدعاء للطبراني : ٥٩٨ ، عمدة القارئ ٧ : ٢١ ، الأحاديث الطوال : ٧٢ ،
الاستذكار ٢ : ٤٣٣ ، شرح نهج البلاغة ١٤ : ٨٠ - ٨١ ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء : ٧٠٥ ، البداية
والنهاية ٦ : ٩٩ ، إمتاع الأسماع ٥ : ١٢٦ ، سبل الهدى والرشاد ٩ : ٤١١ .

٢ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٣ : ٣٠ .

٣ - مسند أحمد ٢ : ٦١ ، صحيح البخاري ٧ : ٢١٣ ، كتاب الرقاق ، صحيح مسلم ٥ : ٧٧ ، باب
النهي عن النذر ، سنن ابن ماجه ١ : ٦٨٦ ، سنن أبي داود ٢ : ٩٩ ، سنن الترمذي ٣ : ٤٧ ، سنن
النسائي ٧ : ١٦ ، المستدرک للحاكم ٤ : ٣٠٤ ، وصححه ، السنن الكبرى للبيهقي ١٠ : ٧٧ ، مسند
ابن المبارك : ٨١ ، مسند أبي داود الطيالسي : ٢٥٤ ، المصنّف للصنعاني ٨ : ٤٣٣ ، مسند ابن ←

وغيرهما في تفسير قوله تعالى: { يُؤْفُونَ بِالَّذِينَ يَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا }^(١) الآية عن ابن عباس: « أن الحسن والحسين عليهما السلام مرضا، فعادهما رسول الله | في ناس معه فقالوا: يا أبا الحسن، لو نذرت على ولدك، فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما إن برءا ممّا بهما أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا»^(٢) الحديث، قال ما حاصله: « إنّ عليّاً عليه السلام استقرض ثلاثة أصواع من شعير، فطحنت فاطمة صاعاً واختبزته، فجاءهم عند الإفطار مسكين فأثروه، وجاءهم في اليوم الثاني يتيم فأثروه، وفي اليوم الثالث أسير فأثروه، فنزل جبرئيل وقال: خذها يا محمد ههناك الله في أهل بيتك، فأقرأه السورة»^(٣) انتهى.

(٩)

مما يتعلق بالتبرك بمنبر النبي | وبآثاره ما ذكره السمهودي في وفاء الوفاء: (عن الأقرشي، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط: رأيت رجلاً من أصحاب رسول | إذا خلا المسجد يأخذون برمانة المنبر الصلعاء التي كان

→ الجعد: ١٢٩، المصنّف لابن أبي شيبة ٣: ٤٦٩، السنن الكبرى للنسائي ٣: ١٣٣، إرواء الغليل ٨: ٢٠٨ وخرّج مصادره وصححه.

١- سورة الإنسان: ٧-٩.

٢- تخريج الأحاديث والآثار ٤: ١٣٣.

٣- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ٤: ١٩٧، تفسير البضاوي ٥: ٤٢٨، تفسير الرازي ٣٠: ٢٤٤، تفسير الثعلبي ١٠: ٩٨، أسباب النزول ٢٩٧، تفسير السمعاني ٦: ١١٦، شواهد التنزيل ٢: ٤٠٣، تفسير ابن عربي ٢: ٣٧٠، التسهيل لعلوم التنزيل ٤: ١٦٧، الدر المنثور ٦: ٢٩٩.

رسول الله | يمسكها بيده، ثُمَّ يستقبلون القبلة ويدعون^(١).
قال: وفي الشفا لعياض عن أبي قسيط والعتبي رحمهما الله: كان أصحاب
رسول الله | إذا خلا المسجد حبسوا رمانة المنبر التي تلي القبر بميامنهم،
ثُمَّ استقبلوا القبلة يدعون^(٢) انتهى.

١- الطبقات الكبرى ١: ٢٥٤، سير أعلام النبلاء ٨: ٥٤، تاريخ الإسلام ١١: ٣١٩.
٢- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ﷺ ٤: ١٤٠١، وتجد حديث تمسح الأصحاب برمانة
المنبر في: المصنّف لابن أبي شيبة ٤: ٥٥٧، إمتاع الأسماع ١٤: ٦١٨، الشفا بتعريف حقوق
المصطفى ٢: ٨٦.

خاتمة

في متفرقات من مقالات الوهابية واعتقاداتهم وتشدداتهم ومقالات مروجي دعوتهم وردها:

الأول : توقفهم في (التلغراف) وفتواهم في شيعة الأحساء والعراق وفي المكوس.

فمن الطرائف ما نقلته جريدة الرأي العام الصادرة بدمشق وقبلها بعض الجرائد المصرية من توقف علماء الوهابية في جواز استعمال التلغراف؛ لأنه أمر حادث، وإفتائهم بعدم جواز معارضة السلطان ابن سعود في أخذ المكوس مع فتواهم بأنها من المحرمات الظاهرة، قالت جريدة الرأي العام في العدد ٤٠٦١ الصادرة في ١٩ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ هـ: (ورد على جلالة السلطان ابن سعود من بعض الوهابيين أسئلة تتعلق بالمحمل والهاتف والضرائب وغيرها، فاستفتى علماء نجد، فورد عليه منهم الأجوبة الآتية، ننشرها ليطلع عليها الرأي العام الإسلامي، وهي موقعة من نحو من أربعة عشر رجلاً من علماء نجد، منهم محمد بن عبد اللطيف، وسعد بن عتيق، وسليمان بن سمحان وغيرهم.

قالوا: أما بعد؛ فقد ورد على الإمام سلمه الله تعالى سؤال من بعض الإخوان عن مسائل فطلب منا الجواب عنها فأجبناه بما نصّه:

أما مسألة البرق (التلغراف) فهو أمر حادث في آخر هذا الزمان، ولا نعلم حقيقته، ولا رأينا فيه كلاماً لأحد من أهل العلم، فتوقفنا في مسألته، ولا نقول على الله ورسوله بغير علم، والجزم بالإباحة والتحريم يحتاج إلى الوقوف على حقيقته .

وأما مسجد حمزة وأبي رشيد فأفتينا الإمام وفقه الله بهدمهما على القوم.
 - إلى أن قالوا - : وأما الرافضة : فأفتينا الإمام أن يلزمهم البيعة على الإسلام،
 ويمنعهم من إظهار شعائر دينهم الباطل، وعليه أن يلزم نائبه على الأحساء أن
 يحضرهم عند الشيخ ابن بشر ويبايعونه على دين الله ورسوله وترك الشرك من
 دعاء الصالحين من أهل البيت وغيرهم، وعلى ترك سائر البدع في اجتماعهم
 على مآتمهم وغيرها مما يقسمون به شعائر مذهبهم الباطل، ويمنعون من زيارة
 المشاهد، ويلزمون بالاجتماع على الصلوات الخمس هم وغيرهم في
 المساجد، ويرتب الإمام فيهم أئمة ومؤذنين ونواباً من أهل السنة، ويلزمون
 بتعليم الثلاثة الأصول، وتهدم المحال المبنية لإقامة البدع فيها، ويمنعون من
 إقامة البدع، في المساجد وغيرها، ومن أبى قبول ما ذكر ينفى عن بلاد
 المسلمين.

وأما رافضة القطيف فيلزم الإمام أيده الله الشيخ ابن بشر أن يسافر إليهم
 ويلزمهم بما ذكرنا.

وأما البوادي والقرى التي دخلت في ولاية المسلمين فأفتينا الإمام بأن
 يبعث إليها دعاة ومعلمين، ويلزم نوابه بمساعدة الدعاة على إلزامهم بشرائع
 الإسلام.

وأما رافضة العراق الذين انتشروا وخالطوا بادية المسلمين، فأفتينا الإمام
 بكفهم عن الدخول في مواطن المسلمين وأرضهم .

وأما المكوس فأفتينا أنها من المحرمات الظاهرة، فإن تركها فهو الواجب
 عليه ، وإن امتنع فلا يجوز شق عصا المسلمين والخروج عن طاعته من أجلها).

حرر في ٨ شعبان سنة ١٣٤٥ هـ

فهذا نموذج من فتاوى الوهابية فليتأمل فيه العاقل المنصف، وليقايِس بين تشددهم واستشكالهم في التلغراف خوفاً من القول على الله ورسوله بغير علم، وبين تساهلهم في المحرمات الظاهرة كالمكوس وإرخائهم العنان فيها لآخذها، خوفاً من شق عصا المسلمين بزعمهم، وهل أعوان الإمام غير الوهابية، فأين شق عصا المسلمين: {فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} ^(١)؟! ولماذا لم يفتوا بعدم هدم قبور أئمة المسلمين وعظمائهم خوفاً من شق عصا المسلمين؟!

ولماذا هدموها والحقوا الإهانة بأهلها، فأوغروا قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها حتى صار كل فرد منهم يتمنى خروجهم من الحجاز ولا يتأخر عن مقاومتهم في أول فرصة تمكنه، أليس في هذا شق لعصا المسلمين، وتفريق لكلمتهم، ولكنهم إذا اعتقدوا أن لا مسلم غيرهم كانوا قد شقوا بذلك عصا غير المسلمين بزعمهم؟!

وإذا كانوا يستشكلون ويتوقفون في حكم التلغراف؛ لأنه حادث لا يعلمون حقيقته فهلا توقفوا في كل حادث كالبندقية والمدفع والأتوموبيل الذي لا يعلمون حقيقته؟!

وكيف يسير بلا مسير ظاهر ويركب فيه السلطان ابن سعود وأتباعه وكثير من الوهابية وهو أحدث من التلغراف إلى غير ذلك؟

فكانوا بذلك كالخوارج الذين استشكلوا في قتل الخنزير الشارد في البر وقالوا: إنه فساد في الأرض، ولم يستشكلوا في قتل الصحابي المسلم الصائم في شهر رمضان، وفي عنقه القرآن؛ لأنه لم يوافقهم على تكفير علي بن أبي طالب وقتل زوجته معه، وهي حامل، وبقر بطنها.

وإذا كانوا بكُلِّ هذا الورع في التوقف عن حكم التلغراف فهلا توقفوا عن استباحة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم ، وإخافة السبيل ، وكفروهم تقليداً لرجل يجوز عليه الخطأ، وتكفير المسلم عظيم كاستباحة ماله ودمه وعرضه، واستندوا في ذلك إلى أمورٍ اجتهادية يكثر فيها الخطأ، وأدلة وأخبار ظنية قابلة للصدق والكذب، فلو كانوا أهل ورع حقيقة كما يزعمون للزمهم أن يفاوضوا علماء المسلمين المنتشرين في أقطار الأرض، ويباحثوهم ويجادلوهم بالإنصاف لا بالبنادق، ويعقدوا مجتمعاً عاماً إسلامياً، ويبسطوا المسائل المتنازع فيها على بساط البحث، ويحكموا بينهم الكتاب والسنة المسلمة بين الكلِّ حتّى ينظروا لمن يكون الفلج، لا أن ينحازوا في بادية نجد أعطان الإبل، ويصدروا الفتاوى، استناداً إلى أقوال تلقوها من أسلافهم الذين يجوز عليهم الخطأ، يتوارثها اللاحق من السابق، ولا يحيد عنها قيد شبر، ثمّ يجبروا الناس على أتباعها بالسيف والسنان شأؤوا أو أبوا، اعتقدوا أو لا ؟

ما هكذا تورد يا سعد الإبل .

وإذا لم يريدوا ذلك فليتركوا للناس اجتهادهم، فإنّ مسائلهم التي خالفوا فيها المسلمين ليست ضرورية، بل اجتهادية للبحث فيها والتأويل مجال، ولم ينزل عليهم بها وحي، ولا شافهم بها نبي، وإنّما أخذوها من أشياء زعموا دلالتها، وعند غيرهم ما ينفيها ويمنع دلالتها.

وكذلك فتاواهم الجزافية في حقّ أتباع أهل البيت الطاهر الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، الذين دخلوا مدينة العلم النبويّ من بابها، وتمسكوا بالثقلين كما أمرهم نبيّهم، ونزهم بالرافضة من شيعة الأحساء والقطيف، من رعايا سلطانهم، وشيعة العراق الذين يدخلون بلاد نجد لمخالفتهم لهم في أمور اجتهادية يشاركهم في أكثرها سائر المسلمين،

ويحتمل في حقّ كلّ أحد فيها الإصابة والخطأ، فالمصيب مأجور، والمخطيء مع عدم تقصيره معذور، مثل دعاء الصالحين، وإقامة المآتم، وزيارة المشاهد، وليست من ضروريات الدين كوجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج، فكيف يجبرون على البيعة على الإسلام، وهم مسلمون يقرّون الله بالوحدانية، ولنبيّه بالرسالة، ويلتزمون بجميع ما جاء به من عند ربّه، مما اتفق عليه جميع المسلمين، ويرجعون فيما اختلفوا فيه إلى أقوال أئمة أهل البيت الذين إن لم يكونوا فوق الأئمة الأربعة وفوق ابن عبد الوهاب في العلم فليسوا دونهم؟! وكيف يمنعون من إظهار شعائر دينهم فإن كان ذلك في الضروريات فهم يوافقون المسلمين عليها، وإن كان في الاجتهادات، فباب الاجتهاد عندكم مفتوح، فكيف جاز لكم الاجتهاد ومنع منه غيركم بالسيف والنفي من بلاد المسلمين؟

وكيف يجوز الزامهم بالصلاة خلف من قد يعتقدون ببطلان صلاته، لترك البسملة التي هي جزء السورة عندهم، أو غير ذلك من الأمور الاجتهادية؟ وكيف يمنعون من الأذان، وهو شعار الإسلام، ويجعل لهم مؤذن من غيرهم؟ وإلى أي دليل استندتم في هذه الفتوى؟ وبأي عدل وإلى أي دليل استندتم في منع شيعة العراق عن الدخول إلى بادية نجد، والأرض لله تعالى لا لكم، والناس كلّهم عبيده؟ وهلا أفتيتم الإمام بمنع الشيعة وباقي المسلمين المشركين بزعمكم عن حجّ بيت الله الحرام والله تعالى يقول: { إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا }^(١) أتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟!

وكيف أن حكومتكم النجدية تبذل كل ما في وسعها لترغيب الناس في الحج، لتعيش وتعيشون في الحجاز القاحلة لولا الحجاج؟!
الثاني: في حكم الوهابية بوجوب إتلاف كتب المنطق وروض الرياحين ودلائل الخيرات وغيرها:

قال عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية الخمس: (ولا نأمر بإتلاف شيء من المؤلفات إلا ما اشتمل على ما يوقع الناس في الشرك، كروض الرياحين، وما يحصل بسببه خلل في العقائد كعلم المنطق، فإنه قد حرمه جمع من العلماء، على أنا لا نفحص عن مثل ذلك، وكالدلائل يعني دلائل الخيرات، وهو كتاب مشهور معظم يشتمل على أدعية وأوراد.

قال: وما اتفق لبعض البدو من إتلاف بعض كتب أهل الطائفة إنما صدر من بعض الجهلة، وقد زجروا عن مثل ذلك^(١).

ونقول: أما روض الرياحين، فلا نعرفه لنبي رأينا فيه، وأما علم المنطق الذي أمر بتعريبه من اليونانية المأمون العباسي ككثير من كتب العلوم العقلية والرياضية، وكان له بذلك الفضل والذكر الجميل الخالد، وتداوله المسلمون، والفوا فيه كثيراً، ودرسوه من ذلك العصر إلى اليوم، ولم يترك درسه متسم بالعلم، فقد ابتلي هذا العلم النفيس الذي يشحذ الأذهان، ويفيد قوة الحجّة من طرف الوهابية بما ابتليت به قبور الأنبياء والصلحاء، فله أسوة بها.

ودليلهم على وجوب إتلاف كتبه أنه يحصل بسببه خلل في العقائد، وأنه حرمه جمع من العلماء، فليذكروا لنا من هو الذي اختلت عقيدته بسبب علم المنطق؟ وهل يكون تحريم جمع من العلماء إن صح النقل مجوزاً لإتلاف

١ - الهدية السنية والتحفة النجدية، الرسالة الثانية لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: ٤٩.

كتبه المملوكة للغير بغير إذنه؟! على إننا لم نسمع تحريمه عمّن يصح أن يعتمد على علمه، سوى ما حكاه صاحب السلم عن بعض الجامدين بقوله:
 فابن الصلاح والنواوي حرما وقال قوم ينبغي أن يعلما^(١).
 واعتذار صاحب المنار في الحاشية بقوله: (إنما حرموا بعض كتب المنطق القديم الممزوجة بالفلسفة اليونانية الباطلة دون ما ألفه المسلمون، غير مجد، لأنّ الكتب القديمة لا وجود لها حتّى نشغل أنفسنا بتحريمها وتحليلها، وكلام صاحب السلم كالصريح في عدم هذا التقييد، والاعتذار عن إتلاف كتب أهل الطائف المساكين كالاعتذار عن قتل نفوسهم البرية ونهبهم وسلبهم وتعذيبهم بأنّه وقع من البدو الجاهلين، فهو كالذي وقع من خالد بن وليد وقال | :«اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»^(٢)، وهؤلاء البدو هم الذين تسمونهم غزو الموحدين، وهذه أفعالهم مع المسلمين، وما يفيد زجرهم لهم بعد خراب البصرة، وذهاب النفوس والأموال بأيدي غزو الموحدين.
 وإذا كان هذا فعلهم في كتب لا يعلمون ما هي، ولا نفع لهم فيها، فما حال النفوس والأموال التي وقعت في مخالبتهم؟!

الثالث: في كتاب (القديم والحديث) للكاتب الشهير محمّد كرد علي الدمشقي من جملة مقال له في الوهابيين ما لفظه: (ورسالة عبد الله بن محمّد ابن عبد الوهاب التي كتبها حين فتح الحرمين الشريفين شاهدة عدل على أنّه

١- أعيان الشيعة ٣: ٢١٧.

٢- مسند أحمد ٢: ١٥١، صحيح البخاري ٥: ١٠٧ كتاب المغازي، سنن الترمذي ٥: ٢٩، سنن النسائي ٨: ٢٣٧، المستدرک للحاكم ٣: ٩٥ وصححه، السنن الكبرى للبيهقي ٩: ٤٤، المصنّف للصنعاني ٥: ٢٢٢، مسند ابن الجعد ٣: ٣٢٩، المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٢٧٧، صحيح ابن حبان ١١: ٥٤، المعجم الكبير ٢: ٦٥، الاستيعاب ١: ٢٠٠.

بريء من تلك الافتراءات التي افتروها على عقائده وعقائد أبيه، وبنوا عليها تلك الزلازل والقلاقل، وأنّ مذهب عين مذهب الأئمة المحدثين والسلف الصالحين، وتلك الرسالة منقولة في إتحاف النبلاء من شاء الاطلاع عليها فليرجع إليها.

إلى أن قال: قال أحمد سعيد البغدادي في كتابه (نديم الأدب): حقيقة هذه الطائفة أنّها حنبلية المذهب، وجميع ما ذكره المؤرخون عنها من جهة الاعتقاد محرّف، وفيه تناقض كلّ من أطلع عليها بتأمل؛ لأنّ غالب مؤرخي الشرقيين ينقلون عن الكتب الأفرنجية فإن كان المنقول عنه صاحب دراية مصدق تجد أنّ من يترجم كتابه يجعل الترجمة على قدر اللفظ، فيضيع مزية الأصل، وإن كان غير صادق الرواية، فمن باب أولى، ومن أراد أن يعرف جلياً اعتقاد هذه الطائفة فليطالع كتب مذهب الإمام أحمد بن حنبل (رض)، فإنّه مذهبهم^(١) انتهى.

ونقول: الرسالة المشار إليها هي الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية، وقد نسب فيها إلى المسلمين الشرك وأنواع الشرك، وأنّهم من أقبح المشركين وأجهلهم، وأنّهم مصرّون على الإشراف، والشرك الأكبر الذي يهدر الدم، ويبيح المال، وجعل قبور الصالحين أصناماً وطواغيت تعبد، وأنّ الخلاف بين الوهابية وبين الناس في إخلاص التوحيد، وأنّهم لمّا دخلوا مكة عبّدوا الله وحده، وأنّ الناس قبل ذلك لم تكن تعرف التوحيد والشرك، وأنّ من بلغته دعوتهم ولم يتبعهم فهو كافر إلى غير ذلك في نحو من عشرين موضعاً.

والرسالة لا تزيد على ١٥ صفحة، وصرّح فيها بأنّهم يوجبون إتلاف كتب المنطق كما مر في الأمر الثاني، وأنّهم يجعلون قول: يا رسول الله، أسألك

١- القديم الحديث: ١٦٦.

الشفاعة شركاً موجباً لحلية الدم والمال، مع اعترافهم بأنّ له الشفاعة يوم القيامة، وقد نقلنا جملة من أقواله في تلك الرسالة في تضاعيف هذا الكتاب. فما قول الأستاذ في هذه الشاهدة العدل التي استشهد بها على صحة عقائد ابن عبد الوهاب ابنه وبراءتهما من الافتراءات التي افترخوا على عقائدهما، وبنوا عليها الزلازل والقلاقل؟

وهل مذهب الأئمة المحدثين والسلف الصالحين تكفير جميع المسلمين، وإباحة دمائهم وأموالهم، ووجوب إتلاف كتب المنطق؟! والهدية السنية التي هذه الرسالة إحدى رسائلها طبعت مراراً بمطبعة المنار بمصر، فليرجع إليها، فهي شاهدة عدل. على أنّ ما نسب إلى عقائده وعقائد أبيه هو عين ما يصرحان به، ليس فيه كذب ولا افتراء عليهما. أما ما نقله عن كتاب نديم الأدب ففيه: أنّه لم يبق حاجة - والحمد لله - في معرفة عقائد الوهابية إلى أخذها من الكتب الأفرنجية ولا من ترجمتها، فكتب الوهابية المتضمنة عقائدهم مطبوعة منتشرة، يوزعونها مجاناً، وبذلك قد مزقوا أعدار من يتبغي الاعتذار عنهم.

وأما أنّ مذهبهم مذهب الإمام أحمد بن حنبل، فهم وإن انتسبوا إليه لكنهم يصرّحون كما عرفته في الباب الأوّل بأنّهم لا يلتزمون بمذهبه ولا بغيره إذا بان لهم دليل على خلافه، كما أنّهم يصرّحون على ما عرفت بكفر جميع من يخالفهم من المسلمين واستحلال دمه وماله، والإمام أحمد بن حنبل بريء من ذلك.

قال بعض أعظم العلماء في كتاب كتبه إلينا ما صورته : (قال لي بمصر بعض من يدعي العلم بالحديث: إنّ كتب الحنابلة هي كتب الوهابية، فما تنكر منها، وليس لك أن تؤاخذهم إلّا بما تجده صريحاً في كتبهم، ولا عبرة بنقل

الخصم^(١)؟

فقلت : ما تقول في القرامطة؟

قال : كفار ملاحدة.

قلت : إنهم يزعمون أنّ مذهبهم مذهب أهل البيت، وإنّ كتبهم كتبهم، فهل تجد في كتب أهل البيت إلّا الحقّ والنور؟

قال : إنّ القرامطة كذبوا وهؤلاء نقلة التاريخ يثبتون كفر القرامطة وزورهم.

قلت : وهل ترى قيام الحجّة بنقل أهل التاريخ؟

قال : نعم، فإنّ الشافعي صرّح في الرسالة بأنّ نقلهم جماعة عن جماعة أحب إليه من نقل أهل الحديث واحداً عن واحد.

قلت : إذن يجب أن تقبل منّي من نقل المؤرخين المشاهدين للوهابية ما هو صريح في كفرهم، فسكت .

فقلت له : فعل المرء حجّة ودليل عليه وإن كذبه لسانه، فالقرامطة لما استحلوا دماء المسلمين وأموالهم لم تبق شبهة في كفرهم وكذلك سادتكم، فغضب ولم يدر ما يقول.

فقلت : ما تقول فيما ورد في الخوارج ومروقههم، وأنّهم كلاب النار، وشر قتلى تحت أديم السماء وغير ذلك؟

قال : إنّ المجموع يفيد العلم القطعي بمروق الخوارج واستحقاقهم غضب

١- بعدما بيّناه فيما سلف نقلاً عن كتبهم المطبوعة من تكفيرهم جميع المسلمين، وقول بعضهم إنّ كفرهم أصلي، واستحلّ لهم دماءهم وأموالهم، بل وأعراضهم ؛ لا يبقى مجال لهذا الكلام، ولا احتياج إلى الجواب (المؤلف) .

الله، ولكنهم هم الذين قتلهم علي بالنهروان وليس الوهابية منهم.
قلت : بم استحق أولئك غضب الله، أباكونهم يحقر الصحابة صلاتهم في
جنب صلاتهم ، وصيامهم في جنب صيامهم؟
قال : لا.

قلت : أسبب زهدهم وتقشفهم ؟
قال : لا.

قلت : بقولهم من قول خير البرية، وبقرائتهم القرآن، يقومونه كالقدح؟
قال : لا.

قلت : إذن فبماذا ؟
فتلعثم.

فقلت : ما ذاك إلا باستحلالهم دماء المسلمين وأموالهم وتكفيرهم لهم مع
ادّعائهم أنّهم هم المسلمون وحدهم، ولا شك أنّ من اتصف بما اتصفوا به
يستحق ما استحقوا بتلك الصفة) انتهى.
وقد ظهر بذلك أيضاً فساد أقوال من يريدون تبرير أعمال الوهابية وإنكار
فظائعهم بأنّ الحامل لأهل عصرهم على نقل ما نقلوه عنهم وعلى ذمهم هو
السياسة والانتصار لدولة الترك وأشراف مكة، فنسبوا إليهم الفظائع في مكة
والمدينة وكربلاء وغيرها، لينفروا الناس منهم.

فإنّك قد عرفت فيما ذكرناه في تاريخهم وغيره من هذا الكتاب أنّ
فظائعهم وأعمالهم في تلك الأماكن أصبحت معروفة متواترة كتواتر وجود
مكة والمدينة وكربلاء والوهابية، وليست قابلة للشك والإنكار، وكذا تكفيرهم
المسلمين واستحلالهم أموالهم ودماءهم، وجعلهم غزوهم جهاداً في سبيل الله،
وبلادهم دار حرب، أصبح غير قابل للاعتذار، بعد تصريحهم به فيما نشره من

كتبهم المطبوعة التي نقلنا عباراتها وأشرنا إلى صفحاتها فيما مر.

الرابع: في بعض تمويهاات صاحب المنار في انتصاره للوهابية.

قال في مقالاته: (الوهابيون والحجاز) تحت عنوان: (شهادة التاريخ للوهابية): (نكتفي بشهادتين عادلتين لمؤرخين كبيرين نقلاً عن العدول المعاصرين لظهور الوهابية:

الشهادة الأولى

ذكر الجبرتي في تاريخه في حوادث سنة ١٢٢٧ نقلاً عن بعض أكابر جيش محمد علي باشا الذين قاتلوا الوهابية في الحجاز أنه قال له بعض أكابرهم، ممن يدعي الصلاح والتورع: أين لنا بالنصر وأكثر عساكرنا على غير الملة أو من لا يتدين بدين، ومعنا صناديق المسكرات، ولا يسمع في عسكرنا أذان، ولا تقام فيه فريضة، والقوم إذا دخل الوقت أذن المؤذنون، واصطفوا خلف إمام واحد بخشوع وخضوع، وإذا حضرت الصلاة والحرب قائم أذنوا وصلّوا صلاة الخوف، وعسكرنا يتعجبون من ذلك، لأنهم لم يسمعوا به فضلاً عن رؤيته، وينادون هلموا إلى حرب المشركين، المحلقين الذقون، المستبيحين الزنا واللواط، الشاربين الخمر، التاركين للصلاة، الآكلين الربا، القاتلين الأنفس، المستحلين المحرمات، وكشفوا عن قتلى العسكر فوجودهم غير مختونين^(١) انتهى.

وهذه الشهادة التاريخية التي تبجح بها صاحب المنار لا تزيد عن شهادة

١- تاريخ الجبرتي المسمى عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٣: ٣٤١، وعنه صاحب المنار في كتابه والوهابيون والحجاز: ٣٥.

النبي | للخوارج أمام الصحابة، بأنهم يحقرون صلاتهم مع صلاة الخوارج وبأسوداد جباههم من كثرة السجود، مع كونهم من كلاب النار، وقتلاهم شرّ القتلى تحت أديم السماء، وحال الوهابية مع عسكر مصر التي شهد بها التاريخ لا تزيد عن حال الخوارج مع أهل الشام التي شهد بها التاريخ أيضا حين قال لهم الخوارج: (ما تقولون في القرآن؟

قالوا: نضعه في الجوالق.

قالوا: فما تقولون في اليتيم؟

قالوا: نأكل ماله، ونفجر بأمه)^(١) فهل نفعت هذه الشهادة التاريخية الخوارج

حتى تنفع الوهابية؟!

قال: (الشهادة الثانية:

ما جاء في كتاب الاستقصا بأخبار دول المغرب الأقصى للشيخ أحمد الناصري السلاوي وخلاصته : أنه في سنة ١٢٢٦ أنفذ السلطان المولى سليمان سلطان فاس ولده المولى إبراهيم لأداء فريضة الحج، وأرسل معه جواب كتاب صاحب الحجاز عبد الله بن سعود الوهابي، فكان سبباً لتسهيل الأمر عليهم، وأنهم حجوا وزاروا على حين تعذر ذلك وعدم استيفائه على ما ينبغي، لاشتداد شوكة الوهابيين، ومضايقتهم لحجاج الآفاق في أمور حجهم وزيارتهم إلا على مقتضى مذهبهم، وأنه حدث جماعة ممن حجّ مع المولى إبراهيم أنهم ما رأوا من ابن سعود ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة، وإنما

١- تاريخ الطبري ٦: ٦١، حوادث سنة (١٣٠ هـ) ، الكامل في التاريخ ٥: ٣٩١، حوادث سنة (١٣٠ هـ)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥: ١٢٣.

شاهدوا منه ومن اتبعه القيام بشعائر الإسلام، من صلاة وطهارة وصيام ونهي عن المنكر وتنقية الحرمین من القاذورات والآثام التي كانت تفعل، وأنّ حاله كحال آحاد الناس في زيه ومركوبه ولباسه، وأنّه أظهر التعظيم للمولى إبراهيم الواجب لأهل البيت، وجلس معه كجلوس أحد أصحابه، وكان المتولي للكلام معه القاضي، فقال له القاضي: بلغنا أنّكم تقولون بالاستواء الذاتي المستلزم لجسمية المستوي؟

فقال: معاذ الله، إنّما نقول كما قال مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة^(١).

قالوا: وبهذا نقول نحن.

قال له: وبلغنا أنّكم تقولون بعدم حياة النبي وباقي الأنبياء في قبورهم؟ فارتعد ورفع صوته بالصلاة عليه وقال: معاذ الله، إنّما نقول: إنّّه حي في قبره وكذا باقي الأنبياء، حياة فوق الشهداء.

قال: وبلغنا أنّكم تمنعون من زيارته وزيارة الأموات مع ثبوتها في الصحاح.

فقال: معاذ الله أن ننكر ما ثبت في شرعنا، وهل منعناكم أنتم لمّا عرفنا أنّكم تعرفون كفيّتها وآدابها؟ وإنّما نمنع منها العامة الذين يشركون العبودية بالألوهية، ويطلبون من الأموات قضاء أغراضهم التي لا تقضيها إلاّ الربوبية،

١ - سنن ابن ماجه: ١: ٧١، الردّ على الجهمية ١: ٦٦، حلية الأولياء ٦: ٣٢٦، طبقات المحدثين بإصفهان ٢: ٢١٤، تاريخ بغداد ١: ٣٦٥، تذكرة الحفاظ ١: ٢٠٩، فتح الباري ١٣: ٤٠٧، عون المعبود ٩: ٧٧، حاشية السندي على النسائي ٦: ٣٨.

وإنما سبيل الزيارة الاعتبار بحال الموتى، وتذكر مصير الزائر إلى ما صار إليه المزور، ثم يدعو له بالمغفرة، ويستشفع به إلى الله تعالى، يسأل الله المنفرد بالإعطاء والمنع بجاه ذلك الميت إن كان ممن يليق إن يستشفع به، هذا قول إمامنا أحمد بن حنبل. ولما كان العوام في غاية البعد عن إدراك هذا المعنى منعناهم سداً للذريعة^(١) انتهى.

ونقول: (هذه الشهادة كالتى قبلها لا تنفع الوهابيين شيئاً كما لم ينفع ما هو أعظم منها الخوارج على ما عرفت، وما تنفع الصلاة والطهارة والصيام والنهي عن المنكر وتنقية الحرمین مع استحلال دماء المسلمين وأموالهم وإخافتهم، لسؤالهم الشفاعة ممن أعطاه الله الشفاعة، بقولهم: نسألك الشفاعة يا رسول الله، كما لم تنفع الخوارج صلاتهم التى يحقر الصحابة صلاتهم عندها، وطهارتهم التى أدت بنسائهم إلى الوسواس، وسجودهم الذى أسودت له جباههم، وتلاوتهم للقرآن، ومحافظةهم على أحكام الشرع، وهم يكفرون المسلمين، ويستحلون دماءهم وأموالهم وأعراضهم حتى مرقوا بذلك من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ولو تأمل صاحب المنار لعرف أن فيما نقله شهادة على الوهابيين لا لهم، من تعذر الحج والزيارة، وعدم استيفائهما على ما ينبغي، لمضايقة الوهابية لحجاج الآفاق في أمور حجهم وزيارتهم إلا على مقتضى مذهبهم، وما الذى سوغ لهم مضايقة المسلمين في أمور اجتهادية نظرية ليست من ضروريات الدين ولا إجماعياته، إن لم يكن الضرورة والإجماع فيها على خلاف ما عليه الوهابيون؟!

وأما قوله في الاستواء بما نسب إلى مالك، وموافقة المغاربة له، فقد عرفت في الباب الأول أنه لا يكاد يصح، لأنه إما قول بالتجسيم أو المحال.

١ - الوهابيون والحجاز لمحمد رشيد رضا: ٣٦ - ٣٩.

وأما حصره سبيل الزيارة في الاعتبار بحال الموتى والدعاء بالمغفرة، فهو في غير زيارة الأنبياء الذين في زيارتهم إكرامهم وإداء حقهم.

وأما قوله: (ويستشفع به إلى الله يسأل الله بجاه ذلك الميت) إلخ، وإن ذلك مذهب الإمام أحمد، فهو مناقض لما عليه الوهابية من أن الاستشفاع به، وسؤال الله بجاهه كفر وشرك، فهو إما تدليس أو رجوع عما هم عليه، يحلونه عاماً ويحرّمونه عاماً، وهو كإنكار عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب تكفير الوهابية لجميع المسلمين كما عرفت في الباب الأول، وقد اعترف بذلك صاحب المنار بقوله: «وما نقله من كلام الأمير الوهابي في مسألة الاستشفاع معزواً إلى الإمام أحمد يظهر أنه لم ينقل بحروفه، فإنه لا يعرف عنه ولا عن الوهابية مثل هذا القول فيما نعلم» انتهى.

وأقول: الإمام أحمد في علمه وفضله لا بد أن يكون قائلاً بهذا، أما الأمير الوهابي فنطق بالحق من حيث لا يشعر، ودعوى التحريف غير مسموعة.

وأعلم أن صاحب المنار كان مولعاً في مجلته بدم السلطان عبد الحميد والدولة العثمانية، والدعاية لشرفاء مكة، ولعقد المؤتمرات في مكة المكرمة كما يعلم من مراجعة أعداد مجلته في ذلك العهد، ومولعاً بالدعاية إلى اتحاد المسلمين، وأن تنتقد كل طائفة منهم، وكل أهل مذهب طائفتهم، وأهل مذهبهم خاصة، ولكنه لم يوافق قوله فعله فما عثم أن نشر في مجلته المقالات السيئة في حق الشيعة في العراق وغيرها، الموجبة لإيغار الصدور، وتفريق كلمة المسلمين مثل: إن علماء النجف يجدون في إضلال العباد، ونسبة قبائح كثيرة إليهم هم منها براء، الأمر الذي دعانا يومئذ إلى تأليف رسالة سمينّاها (الحصون المنيعة) في رد ما جاء في المنار في حق الشيعة، ولما طبعت كان الاقبال عليها شديداً في جميع الأقطار، ولما وصلته لم يأت في ردها بدليل ولا برهان، ولم يزد على قوله: جدل بتمحل، ومراء ظاهر، وأمثال هذه من

عباراته المنمقة التي لا ترجع إلى محصل.

نعم، نشر في مجلته مقالة بعنوان: (البدع والخرافات عند الشيعة) وسرد فيها ما شاء من أقاويل وأباطيل، وقال: إنها رسالة جاءت من سائح في البحرين، وأنه كان عزمه على عدم نشرها لمنفاتها ما يتوخاه من التأليف بين المسلمين، لكن لما جاءته (الحصون المنيعه) نشرها أي حملة حب التشفي على نشرها، مخالفاً طريقته المثلى، وقد أجنبناه عنها برسالة سميناها (الشيعة والمنار)^(١)، ثم لما أعطاه الله ما أراد من خلع السلطان عبد الحميد، وقبض الاتحاديين على زمام الحكم صار يشنع عليهم، ولما أعطي أمنيته في قيام شريف مكة ضد الدولة العثمانية في الحرب العامة، وخروج الحجاز من يدها، وإقامة الشريف ملكاً عليه، كان في جملة أتباع الشريف وأعوانه في مكة المكرمة، ومن أعظم المسيحين بحمده، والذي يحرقون له بخور الثناء كما قيل عنه، ثم أتى سورية وكان في رحاب الأمير فيصل، ومن أعظم المقربين لديه حتى جعله رئيساً للمؤتمر السوري المعقود بدمشق، ولم يزل على ذلك حتى أقيم الأمير فيصل ملكاً على سورية، وكانت وقعة ميسلون المشهورة التي انتهت بخروج الملك فيصل من سورية، وخروج الأستاذ صاحب المنار منها إلى مقره في مصر، وسفره إلى العواصم الأوربية، وتأليفه الجمعيات، وعقده المؤتمرات، ثم قلب للملك حسين وأولاده ظهر المجن، وصار ينشئ المقالات الطويلة العريضة في الأهرام والمنار وكوكب الشرق وغيرها في ذم الملك حسين وأولاده بأقبح الذم، بما أوتي من ذلاقة لسان، وفصاحة بيان، ويصفه بالظلم، وأنه ليس أهلاً للخلافة، ويطنب في الاستدلال على ذلك، ويدعو إلى الإمام يحيى، ويبرهن على أنه هو الحقيقي بالخلافة الإسلامية والجدير بها دون الملك حسين،

١ - ثم عززناهما بثالثة وهي: (القول الصادق في رد ما جاء في مجلة الحقائق) المؤلف.

ولم يكن في ذلك الحين يأتي على ذكر السلطان ابن سعود بحرف واحد، ثمّ لمّا دخل الوهاية مكة صار يدعو إلى السلطان عبد العزيز بن سعود بما عنده من قوّة جنان، وفصاحة لسان، وذهب إلى مكة المكرمة بعد أخذ الوهابيين لها، ثمّ قرأنا في الجرائد السورية أنّ السلطان ابن سعود أمره بمغادرة الحجاز، ثمّ انخرط في سلك الحزب السوري بمصر، ثمّ تخالف مع أعضاء الحزب، وصار يشنع عليهم ويشنعون عليه، كلّ ذلك مما يوضح ما طبع عليه الأستاذ من الثقل والتلون، ولا يمكن أن يعتذر عنه بأنّه ظهر له فيمن قلب لهم ظهر المجن خلاف ما كان يعتقده فيهم؛ لأنّه عاشهم وصحبهم أعواماً، يمكنه فيها معرفة خيرهم وشرهم وسرهم وجهرهم مع ما أوتيّه من فطنة وكياسة وحكمة ودراية، ولم يكن ليظهر له وهو بعيد عنهم ما خفي عليه وهو قريب منهم، والله تعالى وحده العالم بالسرائر، المطلع على الضمائر، والحاكم بين عباده يوم فصل الخطاب.

* * *

ولنقطع الكلام على هذا القدر من الرد، حامدين المولى تعالى على توفيقه لإكمال هذا الكتاب، وكان الفراغ من تسويده في أواخر شهر رمضان المبارك سنة ١٣٤٦ من الهجرة بقرية شقرا من جبل عامل، ووقع الفراغ من تبييضه وإعادة النظر فيه في أواسط ربيع الأوّل سنة ١٣٤٧ هـ بمدينة دمشق المحمية. والحمد لله وحده، وصلى الله على رسوله محمّد وآله وسلّم. وتم طبعه في الثاني والعشرين من شهر ربيع الأوّل عام ١٣٤٧ هـ بمطبعة ابن زيدون بدمشق والحمد لله وصلى الله على محمّد وآله وسلم.

العقود الدرية
في رد شبهات الوهابية
نظم العلامة

السيد محسن الأمين الحسني العاملي
صاحب كتاب (كشف الأرتياب) في اتباع محمد بن عبد الوهاب

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين .
وبعد؛ فهذه القصيدة المسمّاة (بالعقود الدرية في رد شبهات الوهابية) نظم
الفقير إلى عفو ربّه الغني محسن الحسيني العاملي تجاوز الله عن سيئاته.

أشجاك ربعٌ عند برقة تهمد
لعب الزمان به وبان قطينه
أم هل شجيت بذى الأراك لساجج
أم هل حننت إلى نوازل بالحمى
غادين قد زمّوا المطي لواغباً
وبقيت بعدهم لذكر فراقهم
أم هل بكيت على الشباب وعصره
مثل الغصون بها القدود تمايلت
ترمي لواحظها المريضة في الحشا
وتسلّ من بين الجفون صوارماً
ما عاد دمع العاشقين مورداً
باتت بليلة نائم ما مسّها
من كلّ واضحة الجبين أسيلة الـ
بيض نواعم كالغصون أو انس
حملت من الأرداف أحقافاً ومن
ما كان حظّ الصبّ يوم وداعها
دع ذكر أيام الصبا ومواقفا
واهجر أحاديث الغرام وصبوة
ينهاك ناهي الشيب إن تصبوا إلى
من ناهز السبعين أعلمه الحجى

أقوى فبتّ مُسهداً لم ترقد
من رائج منهم وآخر مُغتدي
فوق الغصون من الأراك مُغرّد
رقدوا وبتّ لهم بليل الأرمـد
حتى أناخوها بأعلى الأثمـد
تبكي بدمع للخدود مخد
أم هل صبوت إلى الحسان الخرّد
ولها الثياب كأنّها الورق الندي
عن قوس حاجبها سَهام مسد
مشحوزة تزري بكلّ مُهنّد
إلا لحمرة خدّها المتورّد
سهّد وبتّ لها بليل مُسهّد
خدّين خود بضّة المتجرّد
عين نوافر كالظباء الشرّد
أعطافها مثل الغصون الميـد
بالرمل إلا لمحّة المتزود
لك عند رسم المنزل المتأبّد
بعد المشيب لذات قد أملد
ذي مقلّة حورا وقد أغيد
قبح الرنو إلى الحسان النهـد

إسلام من وهن وفرط تبدد
 محلولة ما بينهم لم تعقد
 يا ويح أيدي زرعها لم تُحصد
 أبداً بسيف عنهم لم يغمد
 لسواه كالمملوك والمستعبد
 بين البرية وهو عين المفسد
 عقل الأمور إلى أتباع المرشد
 فسوى الدراهم والهوى لم يعبد
 لو كان يعلم ليس غير مقلد
 شخص لآثام الورى متقلد
 كادت تماث كأنها لم توجد
 بغياً ولولا بغيه لم توقد
 ويقوم مفترياً عليه ويعتدي
 ويخالها رشداً وإن لم يرشد
 ح لهم على الآساد من مستأسد
 ب بعد حصن بالخراب مهدد
 د بعد شمل قبل ذاك مبدد
 د إثر سهم للنحور مسدد
 دان وآخر في البلاد مشرد
 والطرف بين مصوب ومصدد
 بالسيف طوق الذل كل مقلد
 بشبا الصفاح على القراع معود

قم وابك منتحياً لما قد حلّ بار
 أبناؤه متشاكسون عراهم
 زرعوا وكان الغير حاصد زرعهم
 وملوكه أمسى يقوِّض ملكهم
 فرحون باسم مملك لكنّه
 ويقوم فيهم من يسمّى مصلحاً
 أو مرشداً هو أحوج الأقوام لو
 معبوده إمّا هوى أو درهم
 أو من يذم مقلداً لكنّه
 أو من يقلد دينه فيهم إلى
 أو من يثير ضغائناً ما بينهم
 ويقوم باسم الدين يوقد نارها
 يقلبي أخاه به ويظهر بغضه
 أو من يروج في الأنام ضلالة
 في كل شارقة عرين يستبا
 في كل غاربة لهم حصن يخرّ
 في كل ناحية لهم شمل يبدّ
 في كل يوم نحوهم سهم يسدّ
 قد أصبحوا ما بين ثاو خامل
 يمسي ويصبح دهره من حيرة
 أين الأولى فتحوا الحصون وقلدوا
 من كل قرم للكفاح معاود

(عجلان ذا زاد وغير مزوّد)
ضيم تذوب له صخور الجلمدِ
ووقوف سطوتهم له بالمرصدِ
قصداً لهدم أساسة المتوطّدِ
نكأ القروح وفعل مالم يحمّدِ
زعمت وتنفي عنه كلّ مجدّدِ
كلّ وهل يهديك غير المهتدي
لم يلف فيها قط من لم يجمّدِ
في الناس لابن سعودها من مسعدِ
في الشرق يوماً طالعاً بالأسعدِ

ترك من الإسلام غير موطّدِ
في الأرض شيئاً منه غير ممهّدِ
لم يبق منه قط غير معبّدِ
من فضل دعوتها ولا متهوّدِ
عاص ولا من شارب ومعرّبِ
وحمته من باغ عليه ومعتدي
أو بدعة أو شبهة من ملحدِ
غاراتها في كلّ قفر فدقدِ
والهند أسياً له لم تغمدِ
والمشرق الأدنى كذا في الأبعدِ
وتخوم أندلس حوتها باليدِ

يمشي إلى الهيجاء مشية مسرع
لم يكف ما قد حلّ بالإسلام من
وتقسّم المستعمرين بلاده
وتتابع الحملات من أطرافه
حتّى أتت أعراب نجد تبتغي
جاءت مجدّدةً لدين محمّد
جاءت لتهدي الناس وهابيّة
من عصبة فيها الجمود سجيّة
لولا المساعي الأجنبيّة ما اغتدى
لولا سيوف الغرب لم يك نجمه

فرغت من التوطيد للإسلام لم
قد مهّدت شرع النبي ولم تدع
وبها طريق الدين صار معبّداً
لم يبق في الأقطار من متمجّس
ما إن ترى بين الورى من فاجر
ردّت عن الإسلام كلّ معاند
ومحت من الإسلام كلّ ضلالة
شنت على المستعمرين جميعهم
شهرت بمصر والعراق وخلق
في المغرب الأدنى علت راياته
فتحت أقاصي أرض إشبيلية

قد حرّرت شرق البلاد وغربها
 طردت عن الإسلام كلّ محاولٍ
 قد جرّدت في الفاتحين سيوفها
 لم تبق من مستعمرٍ في أرضه
 ينسى بها عهد الفتوح وما جرى
 ردّت إلى العرب الكرام فخارهم
 وعلى سواهم وجّهت حملاتها
 هذا الحجاز جميعه في كفّها
 ولها القصيم وحائلٌ ومربع الد

لم يبقَ غير قبور آل محمّد
 وقبور آباء النبي وصحبه
 فإذا محت ما شيّد من بنايتها
 امسى بها التوحيد مفقوداً فمذ
 فعدت عليها كالوحوش ضواريّاً
 ما قبر أحمد عندها أمسى سوى
 كلاً لعمر الله هدم قبورهم
 قد حاولت والله مكمل نوره
 جرّت على الإسلام أعظم ذلّة
 ساءت جميع المسلمين بفعلها
 ساءت إمام المسلمين محمّداً
 ساءت إله العرش فيها فاغتدت

شيّدت ضللاً في بقيع الغرقد
 بوجودها الإسلام لم يتمهّد
 لم يبق في الإسلام غير مشيّد
 هدمت فما في الكون غير موحد
 وغداً ستتبعها بقبر محمّد
 صنم لقد ضلّت ولمّا تهتد
 هدم لصرح بالفخار ممرد
 إطفاء نور ساطع لم يخمد
 بفعالها وأتت بكلّ تمرّد
 ورمّت قلوبهم بحر موقد
 وإليه في قرباه لم تتودّد
 منه بمنزلة القصّي المبعد

بحياتهم من كل فعل أنكد
 في الظلم بالماضين منهم تقتدي
 وسواهم من أحمد لم يولد
 —هادون حقاً قدوة للمقتدي
 من أصيد متفرع من أصيد
 من كل قرم بالعلی متفرد
 وهم الذين بهم غدونا تقتدي
 ولهـنّ منه حرمة لم تجحد
 معقودة بن فوق أشرف مرقـد
 ابن النبي ابن الإمام السيـد
 —ن بن الحسين الراكع المتهجد
 بقول المفضل جعفر بن محمد
 ربّ المفاخر والعلی والسؤدد
 —بحر الخضم ومرشد المسترشد
 للدين قد فازوا بأعذب مورد
 عمّ النبيّ وحمزة المستشهد
 —بطحاء معطي الرفد للمسترفد
 ن ومن سمت شرفاً مقام الفرقـد
 لله لليوم الفظيع الأسود
 —ماعيل نجل الصادق المتعبـد
 قصب السباق به برغم الحسد
 د قد غدا ما بينهم ومسود

لم يكفر ما صنعت بهم أعداؤهم
 حتّى غدت بعد الممات خوارج
 لم تحفظ المختار في أولاده
 وهم الأئمة للورى والعتره الـ
 لم تحفظ المختار في آبائه
 لم تحفظ المختار في أعمامه
 لم تحفظ المختار في أصحابه
 لم تحفظ المختار في أزواجه
 هدمت قبأً فوقهم قد شيدت
 فوق الإمام السيـد الحسن الزكي
 —والعابد السجاد زين العابديـ
 والباقر العلم ابنه والصادق الـ
 والسيـد العباس عمّ محمّد
 —والحبر عبدالله حبر الأئمة الـ
 وصحابة الهادي الذين بنصرهم
 والناصر المختار والد طالب
 —والمطعم الحجاج عفواً سيـد الـ
 وخديجة الغراء أمّ المؤمنين
 —والطهر آمنة وعبدالله يا
 وإمام طيبة مالك وضريح إسـ
 قوم لهم أسمى مقام أدركوا
 —سبقوا البرية في الفضائل من مسو

ولهم من النسب الصراح صراحه
من كل فذّ ماله من مشبه
ولأمهات المؤمنين مكانة
وبقبر حواء وهدم ضريحه
أمّ الأنام تعقّ بعد وفاتها
ساءوا بذلك نسل آدم كلّه
يا قبة بشرى البقيع منيعة
ولقبّة الأفلاك دون منالها
شعّت بها أنوار آل محمّد
من كل فذّ في البريّة مغتذ
في بقعة ودّت نجوم سمائها
والشمس ترمقها بناظر حاسد
كفّ الثريّا قاصر عن نيلها
تعتزّ بالفضل العظيم المعتلي
عائت بشامخها أكفّ جفاتها
هدمت معاولهم رفيع بنائها
عجباً لأحداث الزمان وما أتت
أمعالم الإسلام تمحى جهرة
قد نال قبر السبط شبه فعالهم
ولما تقدّم من قبيح فعالهم
أبقى له ولهم مخازي جمّة
زعمت بأنّ الدين أوجب هدمها

شرف قد اشتركوا به في القعد
أو كلّ ندب في الفضائل مفرد
حكمت ببرّ في الورى وتودد
باب المذمّة عنهم لم يوصد
من فعل أبناءٍ عليها تعتدي
ولآدم جاءوا بمال لم يحمد
شأت الفراقد والسهى في مصعد
شأو الضليع غدا وسير المجهد
بسنا على طول الزمان مخلّد
درّ النبوة بالإمامة مرتدي
في الأرض من حصائها لو تغتدي
ويردّ عنها البدر مقلّة أرمد
أبدأ وعنها الشمس قاصرة اليد
وتطول بالشرف القديم الأتلد
يا للإيا والدين عيث المفسد
ومحت محاسنها بذاك المعهد
فذنائبه داست عرينة ملبّد
والمسلمون بمنظّر وبمشهد
في القبح من متوكّل متمرد
في كربلاء زمانه لم يبعد
مهما يطل زمن بها تتجدّد
لرواية جاءت بمسند أحمد

يدعو أبا الهَيَّاج حيدر إنني
 كان النبيّ بمثل ذلك باعثي
 لا تبق قبراً مشرفاً إلا وقد
 لو أنّه قد صح إسناد لها
 انى وليس طريقها بمصحح
 فيه المدلس والذي كثر الخطا
 وبها أبو الهَيَّاج منفرد وليـ
 سوّيته معناه مستويّاً لقد
 هذا هو المعنى إذا متعلّق
 في الذكر سواها وسوى قد أتى
 فمفاده نهى عن التسليم بالتـ
 وعليه أورده دليلاً مسلم
 وبذلك النووي فسّره كذا
 سوّيته ما أن يفيد هدمته
 كلاً ولا سوّيته بالأرض بفـ
 مع أنّ هذا لم يقله مسلم
 مع أنّه لو تمّ ليس بشامل
 إذ كان مخصوصاً بنفس القبر لم

لك باعث فانهض بأمرى واجهد
 وبذي الوصيّة آمري ومزودي
 سوّيته فاقصد لذلك واعمد
 ليست تعارض سيرة لم تجحد
 وبواضح التوثيق لم تتأيد
 منه ومن بغض ابن عمّ محمّد (١)
 س له سوى هذا الحديث المفرد
 صيرته لاذا سنام يغتدي
 لم يذكره له بغير تلدد
 أبداً سوى هذا به لم يقصد
 سطّيح أمر فاتبعه ترشد
 بصحيحه فمثله فاستشهد
 لك القسطلاني الإمام الأوحدي
 في العرف إلا عند ذي فهم ردي
 هم منه ذو فهم صحيح جيّد
 والرفع بالإجماع سنّة مهتدي
 للقبّة المعلاة فوق المشهد
 يشمل بناء حوله في الأجود

هيهات هدم قبور عترة أحمد

يا ويلها عن أحمد لم يسند

١ - يعلم تفسير و تفسير غيره مما فصلناه في كشف الارتباب فراجع (المؤلف)

أذكى القلوب بغلة لم تبرد
وتقوم فينا في مقام المرشد
وإلى مدينة علمه لم تقصد
كذباً ولم يخشوا عقاب الموعد
لناس قول تهدد وتوعد
عصت الإله وللهدى لم تنقد
فليأخذ في النار أسوأ مقعد
لفظ الخصوص ولا اهدوا للمقصد
بكاء من يبكي ولم يتجلد
في ذاك لم تشكك ولم تتردد
ومخصص أو مطلق ومقيّد
أو من صريح كالكناية يغتدي
مكروهه المحظور لم يتجرّد
أو بدعة وتخال سنة مقتدي
ما النص شرط في خصوص المورد
اوون في الأخبار غير محدّد
جاءت وتلك حقيقة لم تقصد
متكلماً لكنّه لم يعبد
ما كفرت كئباق عبد أنكد
فيه الصواب وحجة لم تردد
فيما رويتم في الحديث المسند
والناس بين مؤسس ومجدّد

يا للرجال لهول خطب فادح
أعراب نجد تبتغي تعليمنا
جهلت لعمر الله سنة أحمد
كم قد روى الراوون عنه رواية
فلذاك قام بهم خطيباً قائلاً
كثرت عليّ من الورى كذابة
يا قوم من يكذب عليّ تعمّداً
ولكم رأوا لفظ العموم ومادروا
كم قد رووا من مات فهو معذب
عمر رواه وخطأته أمّه
كم مجمل ومبين ومعّم
كم من مجاز للحقيقة مشبه
كم شابه المندوب محتوماً ومن
كم سنة في الناس تحسب بدعة
ما كل ما لم يحو نصّاً بدعة
وتفاوت الأفهام فيما قد روى الر
تخد الإله هواه في القرآن قد
عبد الذي أصغى إلى متكلّم
والكفر أطلق في معاصي جمّة
أو ليس أمّة أحمد إجماعها
وعلى ضلال كلّها لم تجتمع
مضت القرون وذو القباب مشيدة

—عقد الذين غيرهم لم يعقد
شيدت ولا من منكر ومفند
أو يخلق الوهاب بعض الأعبـد
أمثاله من مورد لم يورد
في كل عصر نستدلّ ونقتدي
قد حاد عنها فهو غير مسدد
في الناس لم يخطيء ولم يتعمد
هي في بقاع الأرض ذات تعدد
أو جهلهم من خائف ومقلد
للخوف مكفوف اللسان مع اليد
شأت الكواكب في العلى والسودد
ما بين بان منهم ومشيد
تعظيمهم لضريحه لم ينفد
وهم الهداة وقدوة للمقتدي
في كل عصر لم يزل بتجدد
لم لم تهدم قبل حجرة أحمد؟

إبقاؤه عن ذاك غير مجرد
متتابعاً من بعد دفن محمد
بين القبور وبينها لم يعهد
فاروق ثم سميّه فلنقتد
بوفائه فعلى الوفاء تعود

في كل عصر فيه اهل الحل والـ
لم ينكروا أبداً على من شاهدها
من قبل أن تلد ابنها تيمية
أفأيّ إجماع لكم أقوى على
فبسيرة للمسلمين تتابعت
أقوى من الإجماع سيرتهم ومن
هيهات ليس نبياً ابن بليهد
كلاً ولا العلماء قد حصرت به
كلاً ولا من وافقوه لخوفهم
والجل من علماء طيبة ساكت
دفن النبيّ المصطفى في حجرة
والمسلمون تجد في تعظيمها
من ذلك العهد القديم ليومنا
لم يهدم الأصحاب حجرة أحمد
بل لم تزل مبنية وبنائها
إن لم يجز فوق القبور بناؤنا

ما كان ممنوعاً لنا إحداثه
مع أنّهم قد أحدثوا بينها
زوج النبيّ بنت عليها حائطاً
وابن الزبير لها بنى وكذلك الـ
يروى فتى سمهود ذلك عنهم

جهلوا تراهم ما علمتم أم غدوا
 وتتابع البانون في بنائها
 لضريح أحمد حرمة ما ردها
 من في الورى يا صاح يجحد قدره
 أنى ودفن الصاحبين بجنبه
 قد عدّ أعظم رتبة وفضيلة
 وبنو أمية قد أبت دفن ابنه الـ
 قالت أيدفن ثالث الخلفاء في
 والسبط يدفن عند تربة جدّه
 وتجمّعوا مع من يلفّ لفيفهم
 ويقول مروان أيدفن ها هنا
 لو لم يكن شرف القبور فما الذي
 وكذا ضرائح آلـه فلها الذي

قد كان بالثقلين أحمد موصياً
 وهما كتاب الله ثمّ العترة الـ
 فهما هما تالله لن يتفرّقا
 وهما هما قد ضلّ من لا يهتدي
 إنّ احترامهما على كلّ الورى
 أجر الرسالة ودّ قربى أحمد
 والله الزمنا احترام نبيّه
 زمن الحياة وفي الممات كليهما

متساهلين وأنتم بتشدد
 وغدت لأهل الدين أعظم مقصد
 غير الجهول وغير ذي الطبع الردي
 هيهات شامخ قدره لم يجحد
 قد جاوراه كلاهما في ملحد
 في الكون يوماً مثلها لم يعد
 حسن الزكيّ بجنبه في مرقد
 أقصى البقيع وفي مكان مبعّد
 لتقاتلنّ بذابل ومهنّد
 من مبرق يبغي القتال ومرعد
 حسن وهذا السيف تحمله يدي
 يدعو إلى هذا المقيم المقعد
 لضريح جدّهم بزعم الحسد

فيما رواه أحمد في المسند
 هادون حقاً للطريق الأرشد
 حتّى ورود الحوض يوم المورد
 بهما ومن بهداهما لا يقتدي
 فرض بهذا النصّ لم يتقيّد
 ما ذاك فعل المخلص المتودّد
 وذوي المكانة والمقام الأمجد
 في غابر الأزمان والمتجدد

لا تجهروا بالقول في ذاك الندي
وتد بدار حوله لم يوتد
ل الله من وتد بدار موتد
فيه احترام ذوي القبور الهمد
لهم غداً في رأي كُـلّ مسدد
يغي إهانتهم بأمس أو غد
فالحكم مختلف بغير تردد
بمعنف في قوله يا سيدي
سـدكم لسعد ذي المقام الأسعد
بعد الممات ولا شريف أوحد
بعد الممات وفضله لم يفقد
فلم الصلاة على النبي محمّد؟
هـ وجعل خدام تروح وتغتدي
بين الوري ويهان إن لم يحفد

أرض مسـبلة لكُـلّ موسـد
أو وقفها بين الوري فليشهد
إن قد تم فطناً به لم يتقد
عنها وأبطل شاهد المستشهد
كانت مواتاً طبقت بالغرقد
من غير ما وقف وبالهادي اقتدي
من غير تسبيل ولا وقف بدي

لا ترفعوا أصواتكم عن صوته
في عهد أم المؤمنين كرامة
كانت تقول لهم فلا تؤذوا رسو
عقد القباب على قبور ذوي الهدى
وكذلك هدم القباب إهانة
والله يغضب والنبي لفعل من
والفعل مهما يختلف عنوانه
ليس الذي سمى المعظم سيّداً
والمصطفى قد قال سيّدنا وسيّـ
ما أسقط الرحمن حرمة مؤمن
إنّ المعظم في الحياة معظّم
هل إذ يموت المرء يعدم فضله
تعظيم قبر معظّم لا منع فيـ
يعتزّ ساكنه بحفاد له

زعموا البناء محرّماً إذ إنّها
من كان شاهد منكم تسبيلها
هذا افتراء منكم وتحكم
بل إنّ ما يروى نفى تسبيلها
دفن ابن مظعون بها من بعدما
من بعده الهادي بها دفن ابنه
والناس قد دفنوا بها من بعده

وقفوا لأجل الدفن وقف مؤبد
 بالمنع عمّا قلتم بمقيّد
 في الإثم هادمه يروح ويغتدي
 كلاً فغير إلها لم نعبد
 في القبر من مولى عظيم أمجد
 يا قوم بالأصنام غير مسدد
 بهم ونحن لغيره لن نعبد
 جهلاً ولم نسجد ولم نتعبد
 لذوي القبور ولا لها في مورد
 في الخلق عمّ الشرك كلّ موحد
 أفهل يكون عبادة للمسجد؟
 جعل الإله لصخرة من جلمد
 للبيت والحجر الأصمّ الأسود
 كإطاعة الباري القديم الموجد
 أف وبالع في الإطاعة واجهد
 دون الخبيث فذمّ من لم يسجد
 سجدوا له قدماً سجود تعمّد
 النصّ أورد فيه أو لم يورد
 شركاً فانقص من مقالك أو زد
 بالحكم لم ينقص ولما يزد

قطعوا بها ما كان من شجر وما
 هب أنّهم وقفوا فلم يك وقفهم
 لكن ما هدمتموه مسبل
 عبد القبور المسلمون بزعمكم
 إنّ احترام القبر تعظيم لمن
 قسم به الأصنام إنّ قياسكم
 فأولائكم عبدوا الحجارة كي تقر
 سجدوا مع الباري لها وتعبدوا
 ليس احترام ذوي القبور عبادة
 كلّ احترام لو يكون عبادة
 والله ألزمتنا احترام مساجد
 كم حرمة لمقام رجل خليله
 والشرع جاء محسّناً تقبلنا
 وإطاعة الأبوين فرض لازم
 لهما جناح الذلّ فاخفض لا تقل
 ولآدم سجد الملائك كلّهم
 وليوسف يعقوب مع أبناؤه
 ما كان شركاً لا يكون نزاهة
 أو كان توحيداً فليس بكائن
 الحكم للموضوع ليس مغيّراً

ليس التراب مساوياً للعسجد

الله فاضل بين مخلوقاته

شهر الصيام على الشهور مفضل
وكذلك الأسبوع يفضل بعضه
والشمس فضّلها الإله على السهى
والليث ليس به يساوى أرنبٌ
والأرض في شرف البقاع تفاوتت
والمسجد الأقصى المبارك حوله
إنّ القبور كمن حوته تفاوتت

فيه قبول عبادة المتعبّد
بعضاً كذا الساعات فاكفف واهتد
والبدر ليس مساوياً للفرقد
والصقر ليس مماثلاً للهدد
هل مكّة أمست تعد كصرخد
كسواه أم هل حانة كالمعبد؟
في الفضل والشرف القديم الأتلد

ذمّ الأولى اتخذوا القبور مساجداً
معناه نهى عن سجود فوقها
فبذاك أضحت وهي غير المدعى
أو عن عبادتهم لصورة صالح
قد كنّ أزواج النبيّ رأينها
وكذاك متخذاً عليها مسجداً
كرهت على القبر الصلاة لدى جميع
وعلى القبور إذا بنينا مسجداً
وبجمعه مع زائرات للقبو
أمّا البناء لمسجد من حولها
من فوق أهل الكهف قد اتخذ الأولى
والمسلمون بحول قبر محمّد
ويوت أزواج النبيّ به لقد
والنهى عن إسراجها لوصحّ فالت

من ذي التنصّر قبل والمتهود
أو جعلها لك قبله في المسجد
وعلى الكراهة حملها لم يعد
بكنيسة في قبله المتعبّد
يوماً لدى الأحباش فانظر تهتد
منه الكراهة قط لم تستبعد
ع المسلمين ففوقه لا تسجد
منا الصلاة على المقابر تغتدي
ترى الكراهة فيه ذات تؤيد
قصد الصلاة فما له من مفسد
غلبوا عليهم مسجداً لم يعهد
قد ما بنوا للناس أفضل مسجداً
دخلت لدى توسيعه المتجدد
نزيه منه ليس بالمستبعد

من قارئ أو زائر مترددٍ
نفع فليزِم صرفه في الأفيدِ
خبر ضعيف نادر لم يعضدِ

بذوي القبور فليس بالصنع الردي
ثقل النبيّ وقدوة للمقتدي
في الفضل تعدل مثلها في المسجدِ
منهم إذا شئت الهداية فاقترِدِ
وأخو الحجى في ذاك لم يترددِ
من غيره فإليه فاعمد واقصدِ
من ربّنا أرجى لنيل المقصدِ
فلساكنيها منزل لم يجحدِ
بركات شخص في الضريح موسّدِ
ها صعداً وبغيرها لم يصعدِ
عند الإله وبالفعال مسودِ
أو في زمان فاضل لم يرددِ

كما رواه أحمد في المسندِ
وكذاك منه حرمة لم تقصدِ
للفهم في النظر الصحيح الجيدِ

على القبور وفوقها لا تقعدِ

إذ لا تكون به منافع للورى
ولأنّه عبثٌ وإسرافٌ بلا
والنهي عن كتبٍ عليها جاء في

وكذا الصلاة لدى القبور تبرّكاً
إنّ الأئمة من سلاله أحمد
قالوا الصلاة لدى محلّ قبورنا
عنهم روته لنا الثقات فبالهدى
شرف المكان بذى المكان محقق
خير عبادة ربّنا في مثله
وكذلك طلب الحوائج عندها
إنّ القبور بساكنيها شرفت
بركاتهما ترجى لداع أنّها
لابدع أن كان الدعاء إليه فيـ
طلب الحوائج عند قبر مفضّل
كسؤالها من ربنا في مسجد

والنهي جاء عن الصلاة إلى القبور
لكنه إن صح غير المدعى
لكنما منه الكراهة قد بدت

والنهي عن تجديدها لا تبنين

إن صحَّ كان على الكراهة حمله
ذكر القعود على القبور مؤيد
لكنّها في غير من تعظيمه
تالله ما فهم الشمول لمثلها

متوجّهاً فاحمل عليها ترشيد
دعوى الكراهة وهو خير مؤيد
تعظيم ربّك والنبى محمّد
إلا الغبى أو الغوى المعتدي

حلّلتكم دم كلّ شخص مسلم
بل أنتم أولى بكفر أنكم
في كلّ ليلة جمعة هو نازل
وبغير تأويل على العرش استوى
إنّ الخوارج قبلكم قد كفّروا
أشبهتموهم في جميع صفاتكم
وفعلتم بالمسلمين كفعلهم
والمصطفى المختار أخبر عنهم
وكذلك المختار أخبر عنكم
في شامنا بارك وفي يمن لنا
في صاعنا بارك وفي مدّ لنا
قالوا وفي نجد فعادوا قوله
قالوا وفي نجد فجواب قائلاً
من نجد الشيطان يطلع قرنه
مأوى الزلازل أرض نجدكم بها
هذا مقال المصطفى في نجدكم
فالحقّ يا أخوان ليس بمنجد

ورميتم بالشرك كلّ مؤحد
قد قلتم في الله قول مجسّد
فيما زعمتم فوق ظهر المسجّد
والعقل في التأويل لم يتردد
من كان يوماً مثلهم لم يجمد
حتى رأينا امسّ يظهر في غد
بالصائم المتعبّد المجتهد
بمروقهم من دينه بتعمّد
إذ قال في نصّ الحديث المسند
يا ربّنا والعيش فيها أرغد
وكذا مدينتنا وظلّك فامدّد
من غير تنقيص وغير تزيّد
لهم مقال الحانق المتهدّد
في أرض نجدكم له من منجد
فتن ترى من كلّ شخص مفسد
هيهات ما إن نجدكم بالأرشد
والدين والإيمان ليس بمنجد

لو يعلم التوحيد منحصرًا بها
أو يعلم الإشراك حتمًا كائنًا
تالله ليس بهيّن تكفير من
والسفك للدم وانتهاك محارم
وإخافة للمسلمين وتركهم
للرأي من شخص خطاه وجهله
قد قلدته الرأي وهابيّة
قالوا شفاعة أحمد حقّ وإن
من قال في الدنيا له اشفع لي إلى الـ
بل قل يا رباه شفع أحمدًا
من يدعُ أحمد للشفاعة فهو من
حيث الدعاء عبادة بل مخها
لاتدع من أحد مع الباري ولا
قلنا الدعاء عبادة فيمن دعا الـ
لكن من يدعو المشفّع قائلًا
لاتدع من أحد مع الباري به
ليس المعية في الوجود مرادة
لو كان كلّ دعا عبادة من دُعي
من جاء يدعو شافعًا لشفاعة
بل كان من قال اسقني هو عابد
كيف الشفاعة حقّة وسؤالها
ما كان حقًّا لا يكون سؤاله

لدعا لها بدعائه المتعدّد
فيما عداها في الدعا لم يجهد
بالله آمن والنبّي محمّد
منه وجعلك مسلمًا كالملحد
ما بين مقتول وبين مصفّد
بين البريّة ليس بالمستبعد
من مرعد ما بينهم أو مزبد
تسألهم إياها بشرك تلحد
باري فهذا الشرك دون تردّد
فيما غداً وأقبل شفاعة أحمد
عباد أحمد وهو غير موحد
بنظيره الإنسان لم يتعبّد
تعبد سوى الباري وربّك فأعبد
مخلوق مثل الواحد المتفرّد
يا سيّدي اشفع لي له لم يعبد
معنى العموم من الدعا لم يقصد
كاغفر ذنوبي واغسلنّ يا ذا يدي
بين الأنعام موحد لم يوجد
لم يدع من عبد دعاء السيد
وكذاك قول انصر صديقك واعضد
شرك تعجب للجهالة وأزدد
شركاً فانقص من مقالك أو زد

قالوا وشرك الجاهليّة قولهم
 كذبوا فشرك الجاهلية لم يكن
 بل كذبوا رُسلُ الإله وكتبه
 عبدوهم كي يشفعوا عبدوا وقا
 العطف والتعليل بينهما قضى
 عبدوا الحجارة طالين شفاعة
 إن أصبحت صوراً لعبد صالح
 لا يقدرّون على عبادة ربّهم
 والبعث انكره فريق منهم
 قالوا دعاء القادرين على الذي
 لكنّما الممنوع أن تدعوهم
 كدعاء ميت في القضاء لحاجة
 كشف المريض وردّ شخص غائب
 قلنا فكيف جعلتم من أحمد
 والله أعطاه الشفاعة فاغتنى
 هذا التناقض لا تناقض مثله
 أبمثل هذا الجهل قد حللتمو
 إنّ الذي يأتي لباب ملكه
 أفإن تشفّعنا بأشرف خلقه
 إنّ الصحابة بالنبي تشفّعوا
 هذا سواد قد تشفع واستغا
 كن لي شفيعاً يوم مالي شافع

صنماً لغير شفاعة لم نعبد
 طلب الشفاعة من شفيع مفرد
 وأتوا بدين غير ذاك مجدّد
 لوأهم لنا الشفعاء يوم الموعد
 فيما قضى بتغايير وتعدّد
 منها وليس لها الشفاعة تغتدي
 أو غيره لشفاعة لم تعدّد
 زعموا لذا عبدوا المصور باليد
 والقول في عيسى شهير المقصد
 منهم يراد مجوّز لم يردد
 فيما استطاعتهم له لم توجد
 لم يستطعها غير ربّ سمرمد
 ونموّ زرع بعد لمّا يحصلد
 طلب الشفاعة مثل فعل الملحد
 ذا قدوة وهو المشفّع في غد
 لنظيره الإسماع لم تتعوّد
 سفك الدماء ومالك من مسند
 متشفّعاً بوزيره لم يردد
 طرّاً إليه نلّم به ونفند
 ورجوا شفاعته بيوم المورد
 ث بقوله في شعره المتردّد
 يغني قليلاً ولا من مسعد

ذي منزل عند الإله السرمد
 شركا بدا من طالب مستنجد
 ب عند ربك في نجاح المقصد
 تلك الشفاعة فاتخذها تسعد
 مخلوق فهو حقيقة لم يسند
 قصدوا التجوز في انتساب المسند
 بقل الربيع بغير ذا لم تشهد
 بالمستغاث وليس ذا بتعبد
 طلب الدعا من صالح مستنجد
 فيكون مثل سؤال مشي المقعد
 شركاً وليس مريده بمفند
 موجودة في علمه لم تفقد
 قتلوا من الموتى ولا تستبعد
 ليم امرء يهدي السلام ويتدي
 فيما رووا وسلامه لم يرد
 يا قوم تبلغني وتأتي مرقدي
 بعد الممات وأنني في ملحدي
 لكم وإن خيراً شكرت وأحمد
 في كشف معضلة ومر مجهد
 عند الإله ونجدة المستنجد
 ويسوغ في دفع العذاب السرمد
 هذا مقال الجاهل المتعنّد

كفّرت من يستغيث بميت
 وزعمتم طلب الحوائج منهم
 انى وليس سوى التشفع بالمقر
 طلب الحوائج ليس شركاً إنما
 حتى الذي قد أسند الأفعال للـ
 في المسلمين الحال تشهد أنّهم
 كبنى الأمير مدينة أو أنبت الـ
 فالاستغاثة والدعاء تشفع
 ثم التشفع لا يراد به سوى
 إن كان ليس بقادر في زعمكم
 أو كان يقدر وهو أصوب لم يكن
 فالروح تشفع عند ربك إنها
 لا تحسبن من في سبيل الله قد
 وترد روح محمد فيرد تسـ
 بل لا يمر على القبور مسلم
 صلّوا عليّ وأكثروا فصلاتكم
 وعليّ تعرض دائماً أعمالكم
 إن كان من شرٍ أكن مستغفراً
 فإذا استغثنا بالنبي وآله
 نُسب الضلال لنا وهم شفاعونا
 ما ساغ في دفع اليسير دعاؤهم
 هذا التحكم لا تحكم مثله

كذبوا وقد ضلّوا سبيل المهتدي
 إن التوسل من نجاح المقصد
 في الذكر جاءت حجة لم ترد
 عن كلّ نصّ أو حديث مسند
 ردوا وانت لدى الدعاء لم ترد
 فبواحد من ذاك لم تتقيد
 وفي الممات وقبل وقت المولد
 قد ضل من بضائها لايتهدي
 وبآله ومحمّد لم يوجد
 فغدا بصيراً وهو لما يفقد
 بمحمّد متحقّق لم يجحد
 فسقوا به وكأنه في المشهد
 مطروا بغيث مثله لم يعهد
 بالمصطفى المختار حاجة مجتدي
 عمر فكان دعاؤه لم يرد
 إذ رام يدفن أمه^(٢) في ملحد
 ري التوسل في الحديث المسند^(٣)
 فدع المرا ومن التوسل فازدد
 يوم المعاد ونجدة المستنجد
 وبخير أصحاب له واستنجد
 عند الإله من المقام الأوحـد

قالوا التوسل بالعباد محرم
 هذا الكتاب كتاب ربك ناطق
 ابداً الى الله الوسيلة فابتغوا
 لو أنّهم جاؤك اذ ظلموا كفت
 فازوا بمغفرة الإله لهم وما
 حال الحياة وفي الممات كليهما
 إنّ التوسل بالنبي لدى الحيا
 جاءت به الأخبار وهي كثيرة
 فلقد توسل آدم بمحمّد
 وتوسل الأعمى بحقّ محمّد
 وتوسل الأصحاب بعد محمّد
 سألوه بعد الموت يستسقي لهم
 وبكوة بين السماء وقبره
 وقضى ابن عفان عقيب توسل
 وبعثه العباس يستسقي لهم
 بالأنبياء وبه^(١) توسّل أحمد
 وبصالح الأعمال قد نقل البخا
 هذا يسير من كثير قد أتى
 وهو الوسيلة دون كلّ الأنبياء
 فبه توسل دائماً وبآله
 فهم الوسيلة للإله بما لهم

١ - أي بنفسه بقوله بحقّ نبيك والأنبياء قبلي اغفر لأمي فاطمة بنت أسد.

٢ - أي فاطمة بنت أسد لأنه ﷺ كان يسميها أمه.

٣ - في خبر الثلاثة الذين انسدّ عليهم الغار فتوسل كل بعمل صالح عمله فانفرجت عنهم الصخرة.

واهجر طريقة جامد ومقلد
ويجيب داعيه ولم يتعبد
عوني اجبكم عنكم لم أبعد
ادع الإله وغيره لا تقصد
لكم الدعا من غيركم بتأكد
من غيره فيما رووا عن أحمد
عن ربّه أو أنّه لم يبعد
والله نعم المقتدى للمقتدي
بالخلق في قسم له متعدد
ن وبالضحى الضاحي وليل أريد
ت السابحات السابقات لقصد
فع الذي بالوتر أصبح يتدي
وأيه أيضاً قالها في مورد
فأقر وهو بمسمع وبمشهد
قالوا لعمرك جمعهم لم يعد
قسم على الباري فلا تشدد
في القبر اقناع لكل مفند
مول على فصل الخصومة يغتدي
قد كان يفعل الجهور المعتدي
واللعن في مكروه لم يستبعد
أعظم بنذب في النصوص مؤكداً
نعم الشفيع ونعم جدوى المجتدي

وارفض مقالة جاهل ومعاند
قالوا قريب ربنا من عبده
أدنى إليه من الوريد يقول أد
فلم التوسل والتشفع بالورى
قلنا فكيف الله قال لنا اطلبوا
حتى النبي محمد طلب الدعا
هل كان ذلك يا ترى من بعده
الحلف بالمخلوق شرك عندهم
فالله في القرآن صرح مقسماً
بالتين والزيتون والبلد الأمية
والعاديات النازعات الناشطا
بالفجر أقسم والليالي العشر والش
والمصطفى وأبيك قال بمورد
وكذا بييت الله أقسم عمه
وأبيك فاه بها أبو بكر ومن
وأتى بمخلوق كذاك بحقه
وبقول مسروق سألتك بالذي
والنهي عن حلف بغير الله مح
لو حلفهم باللات والعزى كما
والحمل فيه على الكراهة ممكن
ندب زيارة أحمد في قبره
فهو الوسيلة في المعاد وفي الدنا

من زار قبري قد رووا وجبت له
 من زار قبري عند حجّ كالذي
 ولقد جفاني من يحجّ ولم يكن
 من زارني والى المدينة جاءني
 من زارني متعمداً جاورته
 من حجّ مكة ثمّ أصبح قاصداً
 ثنتان من مبرور حج خالص
 وافى بلال من دمشق لطيفة
 لما رآه في المنام معاتباً
 وأتى إليه باكياً وممرغاً
 قد جاء يروي ذلك ابن عساكر
 قد كان صالح آل مروان^(١) الذي
 يمضي بريداً للسلام على النبي
 زار النبي لأمه قبراً ولم
 نص رواه مسلم بصحيحه
 زورو القبور رواه ايضاً مسلم
 وكذا زيارة غيره من آله
 وحديث لا تشدد لغير ثلاثة
 شد الرحال إلى الثلاثة وحدها

منّي الشفاعة للإله ويسعد
 منه الزيارة في حياتي تغدي
 لي زائراً من أبيض أو أسود
 كنت الشهيد له شفيحاً في غد
 يوم القيامة جيرة بتعمد
 لي بالزيارة زائراً في مسجدي
 كتب له لجزاء يوم الموعد
 متحملاً ليزور قبر محمد
 فأفاق ذا وجل بطرف مسهد
 وجهها عليه بغلة لم تبرد
 عنه بإسناد قوي جيد
 في الأجر من رب السما لم يزهد
 لغير ذاك بريده لم يبرد
 تسلم بزعم الخصم أو تشهد
 هل بعد هذا النص من متردد
 عنه فهل من مسلم لا يقتدي
 ومن الصحاب وكلّ فذ أو حدي
 رحلاً يُراد به خصوص المسجد
 ولغيرها من مسجد لا تشدد

١ - عمر بن عبدالعزيز (المؤلف).

وحقيقة الأمر أنه لم يكن صالحاً، بل نشأ على النصب كما هي عادة آل مروان، وكان يبغض علي بن أبي طالب عليه السلام كما صرحوا في ترجمته، لكنه استبدل سياسة بني أمية وآل مروان السائدة آنذاك والغنى سبب علي بن أبي طالب عليه السلام، كسباً للناس الذين ضجروا من جرم وغطسة آل معيط.

مع أن معناه تأكده لها
 وإلى قباكم كان يأتي المصطفى
 لا فرق في الأسفار بين بعيدها
 ومضى إلى الشهدا بأحد زائراً
 والبضعة الزهراء كانت دائماً
 ندب زيارات القبور مؤكداً
 ندب تأكد للرجال وللنساء
 وعلى البناء توقفت في الحر والبرد
 لولا البناء درست معالمها وما
 ومقدمات المستحب جميعها
 لعن الرسول لزائرات القبور
 وكذلك متخذ المساجد فوقها
 إن صح فهو سوى محل نزاعنا
 والنهي مخصوصاً غداً بالزائرات
 وهي التستر والحجاب فوجهه التـ
 فشريكه في النهي محمول على التـ
 واللعن في المكروه جاء بكثرة
 لعن المحلل والمحل له ولا
 حسن تمسحنا بقبور محمّد
 وضعت على العينين فاطم تربه
 تقبيله حسن وليس محرماً
 شرف الأديم إذا يجاور مصحفاً

لكنه للغير لم يتأكد
 مشياً وطوراً راكباً فبه اقتد
 لو صح ما قلتم وما لم يعد
 فزر القبور ودع مقال مندد
 تأتي لزورة عمّها المستشهد
 بعدت عن الزوار أم لم تبعد
 أو للنساء الندب غير مؤكداً
 رد الشديد لزائر متردد
 عرفت ولا يوماً لوضعها أهتدي
 في الندب عنها حكمه لم يزد
 ر إلى حقيقة لفظه لم يقصد
 والسرّج في الليل البهيم الأربد
 منه الكراهة قط لم تستبعد
 من النساء لغاية لم تجحد
 نزيه فاعدل في مقالك واقصد
 نزيه في الرأي الأصح الأرشد
 وكذا نظائره فلا تستبعد
 تحريم فيه على الأصح الأجود
 قصد التبرك فاتبعه تحمّد
 وبكته فعل الواله المتوجد
 بل كان تعظيماً كتقويل اليد
 ويهان حيث تراه نعلًا يغتدي

ما جاور المسك الذكي ذكا به
 إنّ الكنيف إذا يعمر مسجداً
 فالأرض إن أمست ضريحاً للنبي
 وإذا يجاورها حديد ثم أو
 والمنبر المنسوب للهادي يشر
 إنّ الصحابة بالنبي تبركوا
 أفقبره الحاوي مقدّس جسمه
 ما كان يركب مالك في طيبة
 في قبر فاطمة تمرغ أحمد
 وكذا بجعل قميصه كفنّاً لها
 وكذا توجهنا لقبر محمّد
 لا منع فيه لذي البصيرة والذي
 أفتى به المنصور قدماً مالك
 أستقبل الوجه الشريف لدى الدعا
 فأجابه لم أنت وجهك صارف
 لك منه خير وسيلة كانت به
 قالوا القبور غدت لديكم وهي كالـ
 للقبر نذر كمو وذبحكموله
 كلا فلم يذبح ولم ينذر لها
 لكنما الفقراء خصهم بها
 راموا من البدع الخلاص فأوقعوا
 إياك والإفراط فالإفراط كالتـ

منه الأريج قضية لم تردد
 يسمو إلى شرف سمو المسجد
 أو للوصي نل عظيم السؤدد
 خشب ففيه الفضل غير محدد
 فه بتشريف له متأكّد
 ببصاقه ووضوئه في مشهد
 عن ذاك ينقض لا إذا لم يزد
 قصداً لتعظيم النبي محمّد
 كيما يبارك ترب ذاك المرقّد
 دفع العذاب عن التي في الملحد
 عند الدعاء تشفع بمحمّد
 غطى بصيرته العمى لا يهتدي
 إذ جاء يسأله ولم يتردد
 أم قبله جعلت لكلّ موحد
 عنه بل استقبله واسأل واجهد
 لأبيك آدم في الزمان الأتليد
 أصنام فرق بينها لم يوجد
 كالذبح للأصنام من متعمّد
 من مسلم في دينه متقيّد
 وثوابها أهدى لرب المشهد
 بأشد منها في العقاب وأنكدر
 فريط كلّ منهما لم يحمد

فله العقاب الجرم غير مصرد
 بعض اجتهد منكم وتشدد
 في حكمه الأقوال لم تتوحد
 فسد الدليل عليه أو لم يفسد
 إخوان والإجماع لما يعقد
 فالمنع عنه خطيئة لم تحمد
 في ذاك يعذر عند ربك في غد
 للمخطئين الأجر لم يتعد
 باللين لا بنادق ومهند
 وبحسن موعظة ولا تشدد
 رشد وغي منه للمسترشد
 جاءت بعسر لا ولا بتشدد
 إن كان لا تحت القنا المتقصد
 وله أدلة ديننا لم تعصد
 ففاسد قد جاز دفع الأفسد
 لضرورة وتمسكوا بالأفيد
 شق العصا ووقعكم في المفسد
 أذكى القلوب بمضرم لم يخمد
 فلهم قلوب حرها لم يبرد
 لم يلف بين الناس من لم يحقد
 بتبدد للشمل بعد تبدد
 سود يشيب لهن فود الأمر

ويل لمن أمسى يدخن بينهم
 يا قوم إن حرمتم التدخين عن
 فلغيركم فيه اجتهد مثله
 بالاجتهاد غدا الثواب مقرراً
 فلم العقاب عليه منكم أيها الـ
 إن جاز في الشرع اجتهد للورى
 فدعوا اجتهد المسلمين فكلهم
 لذوي الإصابة أجرهم متعدداً
 إن كان برهان فحيثونا به
 ادع الأنعام إلى السبيل بحكمة
 الدين لا إكراه فيه فقد بدا
 إن الشريعة سهلة سمحاء ما
 الحق بالبرهان يظهر للورى
 هب أن تشييد القبور محرم
 أفليس مصلحة الزمان تجيزه
 فدعوا المفيد من الأمور بزعمكم
 وعن المكوس سكتكم من خوفكم
 هلا سكتكم عن قبور هدمها
 سئتم جميع المسلمين بفعلكم
 والناس حاقدة عليكم كلها
 وسررتم الشيطان في أفعالكم
 أبهذه الأيام وهي عصية

والمسلمون لكل شخص منهم
 عضدت بمصقول الشبا شجراتهم
 عضدت ولم يوجد لها من عاضد
 قمتم بإيغار الصدور وجئتم
 وملأتم الأقطار من غزواتكم
 وبها يفل الحد من إخوانكم
 وأبحتم قتل النفوس تعمداً
 والعرب أنهم هم الأحرار قد
 قف بالحجاز وعج على مصر وفي
 تلق الفواجع أهدقت في حيث لا
 واعطف على اليمن المبارك هل ترى
 من كان يرجو الخير للإسلام عن
 فهو الغبي وكيف يرجو الخير من
 والله ليس بغافل عن فعلكم
 فتوقعوا عقبى جنايتكم بدنـ
 إنا نوحـد ربنا وعلى سوى التـ
 ننفي الشريك وكل ند عنه جل
 لم يتخذ حاشاه صاحبة ولا
 ولقد شهدنا بالنبى المصطفى
 ولآله الأطهار وإلينا ومن
 وبكل ما قد جاء آمننا ولم
 ونعظم الهادي وكل معظم

مما عراهم عبرة المتنهد
 لكن بغير أكفهم لم تعضد
 واهاً لها معضودة لم تعضد
 تورون نار غضاضة لم تخمد
 في كل عامرة وقفر فدفد
 بغيا ويشحذ حد سيف الأبعد
 فلكم تحق عقوبة المتعمد
 وضعت عليهم ربقة المستعبد
 سورية انظر والعراق له اقصد
 جلد لذي لب ولا متجلد
 بين القبائل فدية للمفتدي
 يدكم وللعرب الكرام المحتد
 أهل الجمود سوى الغبي الأجمد
 لكنه أمسى لكم بالمرصد
 ياكم وفي أخراكم فكأن قد
 وحيد فيه قلوبنا لم تعقد
 وعز من متفرد متوحد
 ولداً ونشهد أنه لم يولد
 وبغيره من بعده لم نشهد
 أعدائهم نبراً ولم نتردد
 نحفل بقول مفند ومندد
 حياً وميتاً باللسان وباليد

ونعظم القبر الذي قد ضمّه
 ونزوره متبركين بتربّه
 وبلثمه ويلمسه يجلّى الصدا
 زره على رغم الجهول فأنّه
 وبه لحط الذنب كن متوسلاً
 وهو الشفيع بحيث كلّ الأنبياء
 واسأل من الرحمن ربك عند الـ
 قم عنده لله ربك داعياً
 قل يا إلهي أرحم به وبآله
 والثمّ ثراه فإنّه خير الثرى
 خير من الركن المقبل تربّه
 ولقد تشفّعنا به وبآله
 ولقد برئنا من فعال عصاة
 إن كان شركاً فعلنا هذا فلا

فيه تشرف واعتلى للفرقد
 فيه جلاء الطرف لا بالأثم
 عند المحب له عن القلب الصدي
 غيث الورى واليه رحلك فاشد
 نعم الوسيلة للفقير المجتدي
 لم يشفعوا عند المهيمن في غد
 حاجات تعط مناك فيه وتسعد
 تبكي بدمع للخدود مخد
 واغفر ذنوبي ربنا وتغمد
 وانشق شذا مسك به وتزود
 وكذا من الحجر الأصم الأسود
 لله في نيل المنى والمقصود
 هدمت ضرائح آل بيت محمّد
 خير بتوحيد سواه مجدد

المصادر

- ١ - إجابة السائل شرح بغية الأمل: محمد بن إسماعيل الصنعاني (ت ١١٨٢ هـ)، تحقيق الدكتور السباعي والأهدل، الطبعة الأولى (١٩٨٦م)، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
- ٢ - أجود التقارير : محمد حسين الغروي النائيني، السيد الخوئي (ت ١٤١٣ هـ)، الطبعة الثانية ١٣٦٩ ش ، مؤسسة مطبوعات ديني - قم.
- ٣ - أحكام القرآن: محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ)، تحقيق عبد الغني عبد الحق، طبع سنة (١٤٠٠ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٤ - إحياء علوم الدين: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد (ت ٥٠٥ هـ)، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ٥ - أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار: محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرق ، تحقيق رشدي الصالح، الطبعة الثالثة (١٤١٣ هـ - ١٩٨٣م)، منشورات الشريف الرضي - قم.
- ٦ - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: شهاب الدين أحمد القسطلاني (ت ٩٢٣ هـ)، طبع سنة (١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م)، دار الفكر ، بيروت - لبنان.
- ٧ - إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسل بالنبي: عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري (معاصر)، تحقيق حسن السقاف، الطبعة الثانية (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م)، دار الإمام النووي، عمان - الأردن.
- ٨ - إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: محمد ناصر الدين الألباني، إشراف زهير الشاويشي، الطبعة الثانية (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م)، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

- ٩ - أُسد الغابة في معرفة الصحابة: علي بن أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)، إسماعيليان، طهران.
- ١٠ - إسعاف المبطل برجال الموطن: عبد الرحمن بن محمد بن سابق الدين بن عثمان السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق موقف فوزي جبر، الطبعة الأولى (١٤١٠ هـ)، دار الهجرة، بيروت - لبنان.
- ١١ - أشرف الوسائل إلى فهم الشرائع: أحمد بن محمد بن بدر الدين الهيثمي (ت ٩٧٤ هـ)، الطبعة الأولى (١٤١٩ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ١٢ - أصول الفقه: محمد رضا المظفر (ت ١٣٨٨ هـ)، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين - قم - إيران.
- ١٣ - إعجاز القرآن: محمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ)، تحقيق أحمد صقر، الطبعة الثالثة، دار المعارف - مصر.
- ١٤ - إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أيوب الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، طبع سنة (١٩٧٣ م)، دار الجيل، بيروت - لبنان.
- ١٥ - أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١ هـ)، تحقيق السيد حسن الأمين، دار التعارف، بيروت - لبنان.
- ١٦ - إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: محمد بن أيوب الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية (١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م)، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ١٧ - افتراق الأمة إلى نيف وسبعين فرقة: محمد بن إسماعيل الصنعاني (ت ١١٨٢ هـ)، تحقيق سعد بن عبد الله السعدان، الطبعة الأولى (١٤١٥ هـ) دار العاصمة، الرياض.

- ١٨ - إقبال الأعمال: عليّ بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤ هـ)، تحقيق جواد القيومي الإصفهاني، الطبعة الأولى (١٤١٤ هـ)، مكتب الإعلام الإسلامي، قم - إيران.
- ١٩ - إكمال الكمال: ابن ماكولا (ت ٤٧٥ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ٢٠ - الإبهاج في شرح المنهاج على منهج الوصول إلى علم الأصول: عليّ بن عبدالكافي السبكي، تحقيق جماعة من العلماء، الطبعة الأولى (١٤٠٤ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٢١ - الآحاد والمثاني: أحمد بن عمرو الضحاك بن مخلد الشيباني (ت ٢٨٧ هـ)، تحقيق باسم فيصل أحمد الجوايرة، الطبعة الأولى (١٤١١ هـ - ١٩٩١ م)، دار الدراية، الرياض - السعودية.
- ٢٢ - الأحاديث الطوال: سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٢٣ - الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، الطبعة الأولى (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان.
- ٢٤ - الأذكار النووية: يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ)، طبع سنة (١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م)، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ٢٥ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب: يوسف بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد البر النمري (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق عليّ محمد البجاوي، طبع سنة (١٤١٢ هـ)، دار الجيل، بيروت - لبنان.
- ٢٦ - الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود وعليّ محمد معوض، الطبعة الأولى (١٤١٥ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.

- ٢٧ - الأصول الأربعة في ترديد الوهاية: محمد حسن معراج الدين (ت ١٣٤٦ هـ)، تعليق أبو الرياض مولوي وحكيم محمد معراج أحمد، استانبول - تركيا.
- ٢٨ - الأعلام بquamوس تراجم: خير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦ هـ)، الطبعة الخامسة آيار (١٩٨٠م)، دار العلم، بيروت - لبنان.
- ٢٩ - الإغاثة بأدلة الاستغاثة: حسن بن عليّ السقاف (معاصر)، الطبعة الأولى (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م)، عمان - الأردن.
- ٣٠ - الأمالي: محمد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق) (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى (١٤١٧ هـ)، طبع مؤسسة البعثة.
- ٣١ - الأمالي: محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (الشيخ المفيد) (ت ٤١٣ هـ)، تحقيق حسين ولي وعليّ أكبر الغفاري، الطبعة الثانية (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م)، دار المفيد، بيروت - لبنان.
- ٣٢ - الأم: محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ)، الطبعة الثانية (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م)، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ٣٣ - إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: أحمد ابن عليّ بن عبد القادر المقرئزي (ت ٨٤٥ هـ)، تحقيق محمد بن عبد الحميد النميسي، الطبعة الأولى (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٣٤ - أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى (١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م)، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان.
- ٣٥ - أنوار الهداية: روح الله الموسوي الخميني (ت ١٤٠٩ هـ)، تحقيق مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ، مكتب الإعلام الإسلامي - قم.

٣٦ - أوائل المقالات: محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (الشيخ المفيد) (ت ٤١٣ هـ)، تحقيق إبراهيم الأنصاري، الطبعة الثانية (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م)، دار المفيد، بيروت - لبنان.

٣٧ - إيضاح المكنون: إسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩ هـ)، تحقيق محمد شرف الدين ورفعت الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

(ب)

١ - البحر الرائق شرح كنز الدقائق: زين الدين بن إبراهيم بن محمد المعروف بابن نجيم المتوفى (٩٧٠ هـ)، تحقيق زكريا عميرات، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، منشورات محمد علي بيضون، بيروت - لبنان.

٢ - البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق علي شيري، الطبعة الأولى (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٣ - البرهان في علوم القرآن: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع سنة ١٣٩١ هـ، دار المعرفة - بيروت.

٤ - البليغ في المعاني والبيان والبديع: أحمد أمين الشيرازي، معاصر، الطبعة الأولى (١٤٢٢ هـ) مؤسسة النشر الإسلامي - إيران.

٥ - بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار: محمد باقر المجلسي (ت ١١١١ هـ)، الطبعة الثانية (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م)، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.

٦ - بشارة المصطفى: محمد بن علي الطبري المتوفى (ت ٥٢٥ هـ)، تحقيق جواد الفيومي، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران.

٧ - بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث: الحافظ نور الدين الهيثمي عليّ بن أبي بكر ابن سليمان، تحقيق حسين أحمد صالح الباكري، الطبعة الأولى (١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م)، دار السيرة، المدينة المنورة.

٨ - بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث: نور الدين عليّ بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ)، تحقيق مسعد عبد الحميد السعدني، دار الطلائع، القاهرة - مصر.

(ت)

١ - الاتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن السيوطي الشافعي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق سعيد المندوب، الطبعة الأولى (١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م)، دار الفكر، بيروت - لبنان.

٢ - التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، المكتب الإسلامي، ديار بكر - تركيا.

٣ - التبصرة في أصول الفقه: إبراهيم بن عليّ بن يوسف الفيروزآبادي (ت ٤٧٦ هـ)، تحقيق محمد حسن هيتو، الطبعة الأولى (١٤٠٣ هـ)، دار الفكر، دمشق - سوريا.

٤ - التبيان في تفسير القرآن: محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، الطبعة الأولى (١٤٠٩ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٥ - التسهيل لعلوم التنزيل: محمد بن أحمد بن جزي الكلبي (ت ٧٥٨ هـ)، الطبعة الرابعة (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م)، دار الكتاب العربي - بيروت.

٦ - التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح: سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الباجي المالكي (ت ٤٧٤ هـ)، تحقيق أحمد البزار، وزارة الأوقاف - مراكش.

٧ - التفسير الكبير (تفسير الرازي): الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ)، الطبعة الثالثة.

٨ - التلخيص الحبير في تخريج الرافعي الكبير: أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان.

- ٩ - التمهيد: يوسف بن أحمد بن عبد الله النمري (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد البكري، طبع سنة (١٣٨٧ هـ)، وزارة الأوقاف - المغرب.
- ١٠ - التوسل أنواعه وأحكامه: محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٩٩٥ م)، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي - بيروت.
- ١١ - الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي: أبو إسحاق أحمد المعروف بالثعلبي (ت ٤٢٧ هـ)، الطبعة الأولى (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ١٢ - تاج العروس من جواهر القاموس: السيد محمد مرتضى الزبيدي الحنفي (ت ١٢٠٥ هـ)، تحقيق علي شيري، طبع سنة (١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م)، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ١٣ - تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر: عبد الرحمن ابن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨ هـ)، طبع سنة (١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م)، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان.
- ١٤ - تاريخ الإسلام: محمد بن محمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- ١٥ - تاريخ الأمم والملوك: محمد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان.
- ١٦ - تاريخ الأمير أحمد الشهابي: حيدر أحمد الشهابي (ت ١٢٥١ هـ)، تعليق مارون رعد، الطبعة الأولى، دار نظير عبود، بيروت - لبنان.
- ١٧ - تاريخ الخلفاء: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة (١٣٨٢ هـ - ١٩٦٤ م)، القاهرة - مصر.

- ١٨ - تاريخ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح المعروف باليعقوبي (ت ٢٨٤ هـ)، دار صادر، بيروت - لبنان.
- ١٩ - تاريخ بغداد أو مدينة السلام: أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٤ هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٢٠ - تاريخ جرجان: حمزة بن يوسف السهمي (ت ٤٢٧ هـ)، الطبعة الرابعة (١٤٠٧ هـ)، عالم الكتب، بيروت - لبنان.
- ٢١ - تاريخ خليفة بن خياط: خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠ هـ)، تحقيق الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ٢٢ - تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلّها من الأماثل أو إجتاز بنواصيها من واردتها وأهلها: علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١ هـ)، تحقيق علي شيري، طبع سنة (١٤١٧ هـ) دار الفكر - بيروت.
- ٢٣ - تاريخ مكة: محمد بن عبد الله بن أحمد بن الوليد الأزرق (ت ٢٤٠ هـ)، تحقيق سعيد عبد الفتاح، الطبعة الأولى (١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م)، مكة - الرياض.
- ٢٤ - تاريخ نجد: محمود شكري الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ)، تحقيق محمد بهجة الأثري، الطبعة الثالثة (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م)، القاهرة - مصر.
- ٢٥ - تأويل مختلف الحديث: عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٢٦ - تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد: محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٩٩٥ م)، الطبعة الرابعة، المكتب الإسلامي - بيروت.

- ٢٧ - تحف العقول عن آل الرسول ﷺ: الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني، المتوفى في القرن الرابع، تصحيح وتعليق علي أكبر غفاري، الطبعة الثالثة (١٤٠٤ هـ - ١٣٦٣ ش)، مؤسسة النشر الإسلامي لجامعة المدرّسين - قم - إيران.
- ٢٨ - تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي: عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت ١٣٥٣ هـ)، الطبعة الأولى (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٢٩ - تخريج الأحاديث والآثار: جمال الدين الزيلعي (ت ٧٦٢ هـ)، تحقيق عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الطبعة الأولى (١٤١٤ هـ)، دار ابن خزيمة، الرياض - السعودية.
- ٣٠ - تذكرة الحفاظ: أبو عبد الله شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ٣١ - تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد: محمد بن إسماعيل الصنعاني (ت ١١٨٢ هـ)، وهي رسالة مطبوعة ضمن كتاب الجامع الفريد المطبوع على نفقة محمد بن إبراهيم النعمان.
- ٣٢ - تطهير الفؤاد عن دنس الاعتقاد: محمد بن خيثم المطيعي الحنفي (ت ١٣٥٠ هـ). طبع سنة (١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م)، استانبول - تركيا.
- ٣٣ - تعزية المسلم عن أخيه: القاسم بن علي بن الحسين بن هبة الله (ت ٦٠٠ هـ)، تحقيق مجدي فتحي السيّد، الطبعة الأولى (١٤١١ هـ)، مكتبة الصحابة، جدة.
- ٣٤ - تغليق التعليق: أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، تحقيق سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ٣٥ - تفسير ابن أبي حاتم: محمد بن إدريس الرازي (ت ٣٢٧ هـ)، تحقيق أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
- ٣٦ - تفسير ابن زمنين: محمد بن عبد الله بن أبي زمنين (ت ٣٩٩ هـ)، تحقيق حسين عكاشة ومحمد الكنز، الطبعة الأولى (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م)، القاهرة - مصر.

- ٣٧ - تفسير ابن عربي: محمد بن عليّ المعروف بابن عربي (ت ٦٣٨ هـ)، تصحيح عبد الوارث محمد عليّ، الطبعة الأولى (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٣٨ - تفسير أبي السعود، المسمّى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم: محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٣٩ - تفسير البغوي: الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٠ هـ)، تحقيق خالد عبد الرحمن ومروان سوار، الطبعة الخامسة (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م)، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ٤٠ - تفسير السمرقندي: أبو الليث السمرقندي (ت ٣٨٣ هـ)، تحقيق محمود المطرحي، دار الفكر، بيروت.
- ٤١ - تفسير السمعاني: منصور بن محمد السمعاني (ت ٤٨٩ هـ)، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن غنيم، الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م)، دار الوطن، الرياض.
- ٤٢ - تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تقديم يوسف المرعشي، طبع سنة (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م)، دار المعرفة، بيروت.
- ٤٣ - تفسير الواحدي: عليّ بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨ هـ)، تحقيق صفوان عدنان داودي، الطبعة الأولى (١٤١٥ هـ)، دار القلم، دمشق، بيروت.
- ٤٤ - تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت ٧٢٨ هـ)، ضبط وتخرّيج زكريا عميرات، الطبعة الأولى (١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٤٥ - تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: محمد بن الحسن الحرّ العاملي (ت ١١٠٤ هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت (ع)، الطبعة الثانية (١٤١٤ هـ)، قم - إيران.
- ٤٦ - تقريب التهذيب: أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الثانية (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

- ٤٧ - تمام المنّة في التعليق على فقه السنّة: محمّد ناصر الدين الألباني (ت ١٩٩٥م)، الطبعة الثالثة (١٤٠٩ هـ)، دار الدراية، الرياض - السعودية، المكتب الإسلامي، عمان - الأردن.
- ٤٨ - تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: محمّد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ)، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، الطبعة الثالثة (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان.
- ٤٩ - تنقيح كتاب التحقيق في أحاديث التعليق: محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق مصطفى عبد الحيّ عجيب، طبع سنة (١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م)، دار الوطن - الرياض.
- ٥٠ - تنوير الحوالك في إمكان رؤية النبي جهاًراً والملك: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، طبع سنة (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م)، استانبول - تركيا.
- ٥١ - تهذيب التهذيب: أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، الطبعة الأولى (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م)، دار الفكر، بيروت.
- ٥٢ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال: جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي (ت ٧٤٢ هـ)، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، الطبعة الرابعة (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥م)، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ٥٣ - تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: سليمان بن عبد الله بن محمّد بن عبد الوهاب (ت ١٢٣٣ هـ)، تحقيق محمّد أيمن الشبراوي، الطبعة الأولى (١٩٩٩م)، عالم الكتب - بيروت.

(ج)

- ١ - الجامع لأحكام القرآن: محمّد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١ هـ)، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- ٢ - الجامع لجوامع العلوم: محمد مهدي النراقي (ت ١٢٠٩ هـ).
- ٣ - الجواهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوي المكرّم: أحمد بن محمد بن بدر الدين الهيثمي المكي (ت ٩٧٤ هـ)، تحقيق محمد زينهم محمد عرب، الطبعة الأولى (٢٠٠٠م)، القاهرة - مصر.
- ٤ - الجواهر النقي: علاء الدين بن علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركمان (ت ٧٥٠ هـ)، دار الفكر - بيروت.
- ٥ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، تخريج صدقي العطار، طبع سنة (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م)، دار الفكر - بيروت.
- ٦ - جواهر العقود: محمد بن أحمد بن عبد الخالق السيوطي (ت ٩٠٠ هـ)، تحقيق سعد عبد الحميد السعدي، الطبعة الأولى (١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م)، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٧ - جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود: محمد بن أحمد المنهاجي الأسيوطي (ت ٨٣٠ هـ)، تحقيق مسعد عبد الحميد السعدي، الطبعة الأولى (١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م) دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٨ - جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية: شمس الدين بن محمد بن أشرف ابن قصير الأفغاني (ت ١٤٢٠ هـ)، الطبعة الأولى (١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م)، دار الصميعي.
- ٩ - جامع أحاديث الشيعة: حسين الطباطبائي البروجردي (ت ١٣٨٣ هـ)، طبع سنة (١٤٠٩ هـ)، مهر - قم.

(ح)

- ١ - الحبل المتين: محمد بن الحسين بن عبد الصمد العاملي (ت ١٠٣١ هـ)، منشورات مكتبة بصيرتي - قم.
- ٢ - الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة: يوسف البحراني (ت ١١٨٦ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم - إيران.

٣ - حاشية رد المختار على الدر المختار: محمد أمين المعروف بابن عابدين (ت ١٢٥٢هـ)، تحقيق مكتب الحقوق والدراسات، الطبعة الأولى (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م)، دار الفكر، بيروت - لبنان.

٤ - حقائق الأصول: محسن الطباطبائي الحكيم (ت ١٣٩١ هـ)، الطبعة الخامسة (١٤٠٨ هـ) مكتبة بصيرتي - قم.

٥ - حواشي الشرواني: عبد الحميد الشرواني (ت ١١١٨ هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان.
(خ)

١ - الخصائص الكبرى: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) (ت ٩١١ هـ)، طبع سنة (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢ - الخصال: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق) (ت ٣٨١ هـ)، تصحيح علي أكبر الغفاري، طبع سنة (١٤٠٣ هـ - ١٣٦٣ ش)، جماعة المدرسين، قم - إيران.

٣ - خزانة الأدب: عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ)، تحقيق محمد نبيل طريفي وأميل بديع يعقوبي، الطبعة الأولى (١٩٩٨ م)، دار الكتب العلمية - بيروت.

٤ - خزانة الأدب: عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣ هـ)، تحقيق محمد نبيل وأميل يعقوبي، الطبعة الأولى (١٩٩٨ م)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٥ - خصائص أمير المؤمنين عليه السلام: أبو عبد الرحمن بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ)، تحقيق جميل علي حسن، الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان.

٦ - خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام: أحمد زيني دحلان، الطبعة الأولى (١٣٠٥ هـ)، مصر.

٧ - خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال: أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري اليمني (ت ٩٢٣ هـ)، تقديم عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الرابعة (١٤١١ هـ)، البشائر الإسلامية، حلب - دمشق.

(د)

١ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ)، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٢ - الدر النظيم: يوسف بن حاتم بن فوز بن مهند المشغري (ت ٦٦٤ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران.

٣ - الدراية في تخريج أحاديث الهداية: أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، تصحيح عبد الله هاشم اليماني المدني، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٤ - الدرر السنية في الردّ على الوهابية: أحمد زيني دحلان (ت ١٣٠٤ هـ)، طبع سنة (١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م)، استانبول - تركيا.

٥ - الدعاء: سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى (١٤١٣ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٦ - الديباج على صحيح مسلم: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق أبو إسحاق الحويني الأثري، الطبعة الأولى (١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م)، دار ابن عفان، الرياض - السعودية.

٧ - درر السمط في خبر السبط: محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأنبار (ت ٦٥٨ هـ)، تحقيق الدكتور عز الدين عمر موسى، الطبعة الأولى (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان.

٨ - دروس في علم الأصول: محمد باقر الصدر (ت ١٤٠٠ هـ)، الطبعة الثانية (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م)، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

- ٩ - دعاوى المناوئين: عبد العزيز بن عليّ العبد اللطيف (معاصر)، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ)، دار الوطن.
- ١٠ - دفع شبهة عن الرسول ﷺ والرسالة: أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن الحصني الدمشقي (ت ٨٢٩هـ)، تحقيق جماعة من العلماء، الطبعة الثانية (١٤١٨هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١١ - دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه: عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي (ت ٥٩٧هـ)، تصحيح حامد نايف، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ - ١٩٩١م)، دار الإمام النووي، عمان - الأردن.
- ١٢ - دلائل النبوة: إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الإصبهاني (ت ٥٣٥هـ)، تحقيق مساعد بن سليمان الراشد الحميد، دار العاصمة.
- ١٣ - دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تصحيح عبد المعطي قلعي، الطبعة الثانية (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- (ذ)
- ١ - الذريعة إلى تصانيف الشيعة: محمد محسن الرازي (آقا بزرك الطهراني) (ت ١٣٨٩هـ)، دار الأضواء، بيروت - لبنان.
- ٢ - الذرية الطاهرة النبوية: محمد بن أحمد بن حماد الأنصاري الدولابي (ت ٣١٠هـ)، تحقيق السيد محمود جواد الجلاي، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ)، جماعة المدرسين - قم.
- ٣ - ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: أحمد بن عبد الله الطبري (ت ٦٩٤هـ)، طبع سنة (١٣٥٦هـ)، القاهرة، مصر.
- ٤ - ذكر أخبار إصبهان: أحمد بن عبد الله الإصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، طبع سنة (١٩٣٤م)، برلين - ليدن.

- ٥ - ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة: محمد بن جمال الدين مكّي العاملي (ت ٧٨٦هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت ^٨، الطبعة الأولى (١٤١٩ هـ)، قم - إيران.
- ٦ - ذيل تاريخ بغداد: محب الدين محمد بن محمود بن الحسن البغدادي (ت ٦٤٣ هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(ر)

- ١ - الأربعين البلدانية عن أربعين لأربعين في أربعين: علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (٥٧١ هـ)، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان.
- ٢ - الرخصة في تقبيل اليد: محمد بن إبراهيم المقرئ (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق محمود محمد الحداد، الطبعة الأولى (١٤٠٨ هـ)، دار العاصمة - الرياض .
- ٣ - ردّ اعتبار الجامع الصغير: عبد الله بن الصديق الغماري (ت ١٣٨٠ هـ)، تحقيق أحمد الدرويش، مدرسة باز، شيكاكو.
- ٤ - رسائل في دراية الحديث: أبو الفضل حافظيان البابلي، الطبعة الأولى (١٤٢٤ هـ - ١٣٨٢ ش)، دار الحديث - قم.
- ٥ - رفع الشبهة والغرر عمّن يحتجّ على فعل المعاصي بالقدر: مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي (ت ١٠٣٣ هـ)، تحقيق أسعد محمد المغربي، الطبعة الأولى (١٤١٠ هـ)، حراء - مكة.
- ٦ - رفع المنارة: محمد سعيد ممدوح (معاصر)، الطبعة الأولى (١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م)، عمّان - الأردن.
- ٧ - روح المعاني: محمود شكري الآلوسي (ت ١٢٧٠ هـ).
- ٨ - روضة الواعظين: محمد بن الحسن بن علي بن أحمد الفتال النيسابوري (ت ٥٠٨ هـ)، الشريف الرضي، قم - إيران.

٩ - رياض الصالحين: يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ)، الطبعة الثانية (١٤١١ هـ - ١٩٩١ م)، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان.

(ز)

١ - زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين عبد الرحمن بن عليّ الجوزي القرشي (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق محمد عبد الرحمن عبد الله، الطبعة الأولى (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م)، دار الفكر - بيروت.

٢ - زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر تابر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم (ت ٧٥١ هـ)، الطبعة الرابعة عشرة (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣ - زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور: أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحرّاني (ت ٧٢٨ هـ)، الطبعة الأولى (١٤١٠ هـ) الإدارة العامة للطباعة - الرياض.

(س)

١ - الاستذكار: يوسف بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق سالم محمد عطا ومحمد عليّ معوض، الطبعة الأولى (٢٠٠٠ م)، دار الكتب العلمية - بيروت.

٢ - السراج المنير على الجامع الصغير: عليّ بن أحمد بن محمد الغزي (ت ١٠٧٠ هـ)، دار الفكر، بيروت.

٣ - السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، دار الفكر، بيروت.

٤ - السنن الكبرى: أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ)، تحقيق عبد الغفاري سليمان وسيد كسروي حسن، الطبعة الأولى (١٤١١ هـ - ١٩٩١ م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

- ٥ - السّنة: عمرو بن أبي عاصم الضحّاك الشيباني (ت ٢٨٧ هـ)، ومعه ظلال الجنة في تخريج السّنة لمحمّد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة (١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م)، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ٦ - السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون: عليّ بن برهان الدين إبراهيم الشامي الحلبي (ت ١٠٤٤ هـ)، طبع سنة (١٤٠٠ هـ)، دار المعرفة - بيروت.
- ٧ - السيرة النبويّة: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٤٧ هـ)، تحقيق مصطفى عبد الواحد، طبع سنة (١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م)، دار المعرفة، بيروت.
- ٨ - السيرة النبويّة: محمّد بن إسحاق بن يسار المظلي (ت ١٥١ هـ)، أبو محمّد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٨ هـ) تحقيق محمّد محي الدين عبد الحميد، طبع سنة (١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م)، مصر، القاهرة.
- ٩ - السيف الصّقل في الرد على ابن زفيل: عليّ بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٥٦ هـ)، مكتبة زهران.
- ١٠ - سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام: محمّد بن إسماعيل الصنعاني (ت ١١٨٢ هـ)، تحقيق محمّد عبد العزيز الخولي، الطبعة الرابعة (١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م)، القاهرة - مصر.
- ١١ - سبل الهدى والرشاد: محمّد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢ هـ)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعليّ محمّد معوض، الطبعة الأولى (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ١٢ - سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمّد ناصر الدين الألباني (ت ١٩٩٥ م) مكتبة المعارف، الرياض - السعودية.
- ١٣ - سنن ابن ماجة: محمّد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ)، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

- ١٤ - سنن أبي داود: داود بن سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ)، تحقيق سعيد محمد اللحام، الطبعة الأولى (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م)، دار الفكر، بيروت.
- ١٥ - سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق عبد الوهاب عبداللطيف، الطبعة الثانية (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م)، دار الفكر، بيروت.
- ١٦ - سنن الدارمي: عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي (ت ٢٥٥ هـ)، طبع سنة (١٣٤٩ هـ)، مطبعة الاعتدال، دمشق - سورية.
- ١٧ - سنن النسائي: أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ)، الطبعة الأولى (١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م)، دار الفكر، بيروت.
- ١٨ - سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ١٩ - سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة التاسعة (١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٢٠ - سيرة النبي المختار: محمد بن عمر بحر الشافعي، تحقيق محمد غسان عزقول، الطبعة الأولى (١٩٩٨ م)، دار النشر، بيروت - لبنان.
- ٢١ - سيف الجبار: شاه فضل رسول قادري، طبع سنة (١٣٢١ هـ).
- ٢٢ - سيوف الله الأجلة وعذاب الله المجدي: محمد عاشق الرحمن القادري الحبيبي (معاصر)، مكتبة الحقيقة، استانبول - تركيا.

(ش)

- ١ - الشرح الكبير: أبو البركات سيدي أحمد الدردير (ت ١٣٠٢ هـ)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة - مصر.
- ٢ - الشرح الكبير: أحمد الدردير أبو البركات (ت ١٣٠٢ هـ)، تحقيق محمد عlish، دار الفكر - بيروت.

- ٣ - الشرح الكبير: عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المقدسي (٦٨٢ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- ٤ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى: أبو الفضل عياض اليعصبي (ت ٥٤٤ هـ)، طبع سنة (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م)، دار الفكر، بيروت.
- ٥ - شجرة طوبى: محمد مهدي الحائري (١٣٦٩ هـ)، الطبعة الخامسة (١٣٨٥ هـ)، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف - العراق.
- ٦ - شرح إحقاق الحق: شهاب الدين المرعشي (ت ١٤١١ هـ)، منشورات مكتبة المرعشي، قم - إيران.
- ٧ - شرح الأخبار: القاضي نعمان المغربي (ت ٣٦٣ هـ)، تحقيق السيد محمد الحسيني الجاللي، الطبعة الثانية (١٤١٤ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم.
- ٨ - شرح العقيدة الطحاوية: القاضي أبو العز الحنفي الدمشقي (ت ٧٩٢ هـ)، الطبعة الرابعة (١٣٩١ هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ٩ - شرح المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني (ت ١١٢٢ هـ)، تخريج محمد عبدالعزيز الخالدي، الطبعة الأولى (١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٠ - شرح القواعد الأربع: محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦ هـ)، وشرحها لصالح بن فوزان آل فوزان (معاصر)، الطبعة الأولى (١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م)، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
- ١١ - شرح اللمعة الدمشقية: محمد بن جمال الدين مكي العاملي (٩٦٦ هـ)، تحقيق السيد محمد كلانتر، الطبعة الثانية ١٣٨٦ - ١٣٩٨، منشورات جامعة النجف الدينية.

- ١٢ - شرح سنن أبي داود : محمود بن أحمد بن موسى العيني (ت ٨٥٥ هـ)، تحقيق خالد المصري، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، الرياض - السعودية.
- ١٣ - شرح صحيح مسلم: محي الدين يحيى بن مري بن شرف الشافعي (ت ٦٧٦ هـ)، طبع سنة (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م)، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ١٤ - شرح مسند أبي حنيفة: ملا عليّ القارئ الحنفي (ت ١٠١٤ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ١٥ - شرح معاني الآثار: أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الحنفي (ت ٣٢١ هـ)، تحقيق محمد زهري النجار، الطبعة الثالثة (١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م)، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٦ - شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦ هـ)، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى (١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٧ - شعب الإيمان: أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، الطبعة الأولى (١٤١٠ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ١٨ - شفاء السقام في زيادة خير الأنام: عليّ بن عبد الكافي بن علي الأنصاري الخزرجي الشافعي (ت ٧٥٦ هـ)، تحقيق السيد محمد رضا الجلاي، الطبعة الرابعة (١٤١٩ هـ).
- ١٩ - شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ: يوسف بن إسماعيل النبهاني (ت ١٣٥٠ هـ)، استانبول - تركيا.
- ٢٠ - شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق: يوسف إسماعيل النبهاني (ت ١٣٥٠ هـ).
- (ص)
- ١ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٢ هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، الطبعة الرابعة (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م)، دار العلم، بيروت - لبنان.

- ٢ - الصحيفة السجادية الكاملة: الإمام عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، (ت ٩٤هـ)، تحقيق عبد الرحيم أفشاري، طبع سنة (١٤٠٤ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران.
- ٣ - الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلالة والزندقة: أحمد بن محمد بن محمد بن حجر الهيتمي، تحقيق عبد الرحمن تركي وكامل الخراط، الطبعة الأولى (١٩٩٧م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٤ - صبح الأعشى في كتابة الإنشا: أحمد بن عليّ بن أحمد الفزاري، تحقيق عبد القادر زكار، طبع سنة ١٩٨١م، وزارة الثقافة - دمشق.
- ٥ - صحيح ابن حبان: علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩ هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثانية (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٦ - صحيح ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (ت ٣١١ هـ)، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، الطبعة الثانية (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م)، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.
- ٧ - صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، طبع سنة (١٤٠١ هـ - ١٩٨١م)، دار الفكر - بيروت.
- ٨ - صحيح الترغيب والترهيب: محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٩٩٥م)، مكتبة المعارف، الرياض - السعودية.
- ٩ - صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١ هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ١٠ - صفة المنافق: جعفر بن محمد الفريابي (ت ٣٠١ هـ)، تحقيق بدر البدر، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ، دار الخلفاء - الكويت.

(ض)

- ١ - الضعفاء الكبير: محمد بن عمرو بن موسى العقيلي (ت ٣٢٢ هـ)، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعي، الطبعة الثانية (١٤١٨ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

(ط)

- ١ - الطبقات الكبرى: محمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ)، دار صادر، بيروت.
- ٢ - طبقات المحدثين بإصبهان والواردين عليها: عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ الأنصاري (ت ٣٦٩ هـ)، تحقيق عبد الغفور عبد الحق الحسين البلوشي، الطبعة الثانية (١٤١٢ هـ)، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ٣ - طرائف المقال: السيد علي البروجردي (ت ١٣١٣ هـ)، تحقيق السيد مهدي الرجائي، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ، قم - إيران.
- ٤ - طرح الشريب في شرح التقريب: عبد الرحمن بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦ هـ)، تحقيق عبد القادر محمد، الطبعة الأولى (٢٠٠٠ م)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(ع)

- ١ - الاعتقادات في دين الإمامية: محمد بن الحسين بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق) (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق عصام عبد السيد، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ، دار المفيد، بيروت - لبنان.
- ٢ - العروة الوثقى: محمد كاظم الطباطبائي (ت ١٣٣٧ هـ)، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى (١٤١٧ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران.
- ٣ - العناوين الفقهية: مير عبدالفتاح الحسيني المراغي (ت ١٢٥٠ هـ)، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى (١٤١٧ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران.
- ٤ - عقيدة الفرق الناجية: محمد بن عبد الوهاب، الطبعة الثالثة (١٣٩٧ هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت.
- ٥ - عمل اليوم والليلة: أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت ٣٠٣ هـ)، تحقيق فاردو حمادة، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

- ٦ - عوالي اللثالي : ابن أبي جمهور الإحسائي (ت ٨٨٠ هـ)، تحقيق السيد مجتبی العراقي ، طبع سنة ١٤٠٣ هـ، مكتبة المرعشي، قم - إيران.
- ٧ - عيون أخبار الرضا : محمد بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، تعليق حسين الأعلمي ، طبع سنة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان.
- ٨ - العدد القوية لدفع المخاوف اليومية: رضي الدين علي بن يوسف المطهر الحلّي (ت ٧٠٥ هـ)، تحقيق السيّد مهدي الرجائي، الطبعة الأولى (١٤٠٨ هـ)، سيّد الشهداء، قم - إيران.
- ٩ - العرش وما روي فيه: محمد بن عثمان بن أبي شيبة العيسى (ت ٢٩٧ هـ)، تحقيق محمد بن حمد الحمود، الطبعة الأولى (١٤٠٦ هـ)، مكتبة المعلات، الكويت.
- ١٠ - العلل الواردة في الأحاديث النبويّة المعروف بـ (علل الدار قطني): علي بن مر ابن أحمد الدارقطني (٣٨٥ هـ)، تحقيق محفوظ عبد الرحمن السلفي، الطبعة الأولى (١٩٨٩ هـ)، دار طيبة، الرياض.
- ١١ - عدّة الداعي: أحمد بن فهد الحلّي (ت ٨٤١ هـ)، تصحيح أحمد الموحدي القمي، قم - إيران.
- ١٢ - عمدة القارئ بشرح صحيح البخاري: بدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥ هـ)، تصحيح عبد الله محمود عمر، الطبعة الأولى (١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م)، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٣ - عون المبعود شرح سنن أبي داود: محمد شمس الحقّ العظيم آبادي (ت ١٣٢٩ هـ)، الطبعة الثانية (١٤١٥ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٤ - عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: محمد بن عبد الله بن يحيى بن سيّد الناس (ت ٧٣٤ هـ)، طبع سنة (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م)، مؤسسة عزّ الدين، بيروت - لبنان.

١٥ - عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ابن أبي أصيبعة (ت ٦٨٨ هـ)، الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.

(غ)

- ١ - غريب الحديث: القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤ هـ)، تحقيق محمد عبد المعيد خان، الطبعة الأولى (١٣٨٤ هـ)، حيدر آباد الدكن - الهند.
- ٢ - غنائم الأيام في مسائل الحلال والحرام: الميرزا أبو القاسم القمي (ت ١٢٢١ هـ)، تحقيق عباس تبريزيان، الطبعة الأولى (١٤١٧ هـ)، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، قم - إيران.

(ف)

- ١- الفائق في غريب الحديث: جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، الطبعة الأولى (١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م)، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٢ - الفتاوى الكبرى: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨ هـ)، تحقيق حسين محمد مخلوف، الطبعة الأولى ١٣٨٦ هـ ، دار المعرفة - بيروت.
- ٣ - الفتوحات المكية: محمد بن علي المعروف بابن عربي (٦٣٨ هـ)، دار صادر - بيروت.
- ٤ - الفتوح: أحمد بن أعثم الكوفي (٣١٤ هـ)، تحقيق علي شيري، الطبعة الأولى (١٤١١ هـ)، دار الأضواء، بيروت - لبنان.
- ٥ - الفجر الصادق في الرد على منكر التوسل والخوارق: جميل أفندي صدقي الزهاوي (١٣٥٤ هـ)، طبع سنة (١٩٨٤ م)، استانبول - تركيا.
- ٦ - الفردوس بمأثور الخطاب: شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الملقب بالكيا (ت ٥٠٩ هـ)، تحقيق سعيد بن بسيوني زغلول، الطبعة الأولى (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

- ٧ - فائق المقال في الحديث والرجال : أحمد بن عبد الرضا البصري (ت ١٠٨٥ هـ)، الطبعة الأولى (١٤٢٢ هـ - ١٣٨٠ ش)، دار الحديث - قم.
- ٨ - فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ، الطبعة الثانية، دار المعرفة - بيروت.
- ٩ - فتح العزيز شرح الوجيز: عبد الكريم بن محمد الرافعي (ت ٦٢٤ هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ١٠ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية والتفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ)، عالم الكتب - بيروت.
- ١١ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (معاصر)، الطبعة الخامسة (١٤٢١ هـ) ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية .
- ١٢ - فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب: زكريا بن أحمد بن محمد الأنصاري (ت ٩٣٦ هـ)، الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ١٣ - فتنة الوهابية: أحمد زيني دحلان (ت ١٣٠٤ هـ) الطبعة الأولى، إسلامبول - تركيا.
- ١٤ - فتوح البلدان: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، طبع سنة (١٩٥٦ م)، مكتبة النهضة، القاهرة.
- ١٥ - فصل الخطاب من كتاب الله وحديث الرسول وكلام العلماء في مذهب ابن عبد الوهاب: سليمان بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي (ت ١٢١٠ هـ)، تحقيق لجنة من العلماء، بإشراف السيد محمد رضا الجلالي.
- ١٦ - فضائل الأوقات: أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق عبد الرحمن مجيد القيسي، الطبعة الأولى (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م)، مكتبة المنارة، مكة المكرمة.

- ١٧ - فضل الصلاة على النبي ﷺ: إسماعيل بن إسحاق الجهضمي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٩٩٥م)، الطبعة الثالثة (١٣٩٧ هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.
- ١٨ - فقه الرضا: علي بن بابويه القمي (ت ٣٢٩ هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت، الطبعة الأولى (١٤٠٦ هـ، ش)، مشهد - إيران.
- ١٩ - فقه السنة: سيد سابق (معاصر)، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٢٠ - فوائد الأصول: محمد علي الكاظمي الخراساني (ت ١٣٦٥ هـ)، تحقيق وتعليق ضياء الدين العراقي ورحمة الله الآراكي، الطبعة الأولى (١٤٠٩ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران.
- ٢١ - فوات الوفيات: محمد بن شاکر بن أحمد الكتبي (ت ٧٦٤ هـ)، تحقيق علي محمد بن يعوض الله وعادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى (٢٠٠٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٢٢ - فيض القدير شرح الجامع الصغير: محمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١ هـ)، تصحيح أحمد عبد السلام، الطبعة الأولى (١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٣ - فؤاد العراقيين: محمد بن علي بن عمرو النقاس (ت ٤١٤ هـ)، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة - مصر.
- ٢٤ - كتاب الفتن: نعيم بن حماد المروزي (ت ٢٢٩ هـ)، تحقيق الدكتور سهيل زكار، طبع سنة (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م)، دار الفكر، بيروت.
- (ق)
- ١ - القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ).
- ٢ - القول المقنع في الرد على الألباني المبتدع: عبد الله بن الصديق الغماري (معاصر).

- ٣ - قصص الأنبياء: إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق مصطفى عبد الواحد، الطبعة الأولى (١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م)، دار التأليف - مصر.
- ٤ - قوانين الأصول: أبو القاسم القمّي (ت ١٢٣١ هـ)، طبعة حجرية قديمة.
- (ك)
- ١ - الكافي: محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت ٣٢٩ هـ)، تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفاري، الطبعة الخامسة (١٣٦٣ ش)، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران.
- ٢ - الكاشف في معرفة مَنْ له رواية في الكتب الستة: محمد أحمد بن الذهبي الدمشقي (ت ٧٤٨ هـ)، تصحيح أحمد بن محمد نمير الخطيب، الطبعة الأولى (١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م)، دار القبلة، مؤسسة علوم القرآن، جدة.
- ٣ - الكامل في التاريخ: عليّ بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)، طبع سنة (١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م)، دار صادر، بيروت.
- ٤ - الكامل في ضعفاء الرجال: عبد الله بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥ هـ)، تحقيق الدكتور سهيل زكّار، الطبعة الثالثة (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م)، دار الفكر، بيروت.
- ٥ - الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل: جابر الله بن محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، طبع سنة (١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م)، القاهرة - مصر.
- ٦ - الكشف الحثيث عمّن رمي بوضع الحديث: برهان الدين الحنفي (ت ٨٤١ هـ)، تحقيق صبحي السامرائي، الطبعة الأولى (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م)، مكتبة النهضة، بيروت.
- ٧ - الكفاية في علم الرواية: أحمد بن عليّ بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق أحمد عمر هاشم، الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- ٨ - الكلم الطيب: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرّاني (ت ٧٢٨ هـ)، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة (١٩٩٧ م)، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

- ٩ - الكنى والألقاب: عباس القمّي (ت ١٣٥٩ هـ)، تقديم محمد هادي الأميني، مكتبة الصدر، طهران - إيران.
- ١٠ - كتاب الأوائل: أحمد بن عمرو بن النبل الشيباني (ت ٢٨٧ هـ)، تحقيق محمود محمد ناصر، الطبعة الأولى (١٤١١ هـ - ١٩٩١ م)، دار الجيل، بيروت - لبنان.
- ١١ - كتاب الأوائل: سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، تحقيق محمد شكور بن محمود الحاجي، الطبعة الثالثة (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ١٢ - كتاب التوحيد: محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦ هـ)، طبع سنة (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م)، طبع الرياض - السعودية.
- ١٣ - كتاب الدعاء: سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، الطبقة الأولى (١٤١٣ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ١٤ - كتاب الفتوح: أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤ هـ)، تحقق علي شيري، طبع سنة (١٤١١ هـ)، دار الأضواء بيروت - لبنان.
- ١٥ - كتاب الموطأ: مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبع سنة (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٦ - كشف القناع عن متن الإقناع: منصور بن يونس البهوتي الحنبلي (ت ١٠٥١ هـ)، تقديم كمال عبد العظيم العناني، تحقيق محمد حسن الشافعي، الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٧ - كشف الخفاء ومزيل الإلتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: إسماعيل ابن محمد العجلوني الجراحي (ت ١١٦٢ هـ)، الطبعة الثالث (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٨ - كشف الشبهات: محمد بن عبد الوهاب التميمي (ت ١٢٠٦ هـ)، تحقيق عبد الله عايض القحطاني، الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م)، دار الصيمعي، الرياض - السعودية.

- ١٩ - كشف العمّة في معرفة الأئمة : عليّ بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي (ت ٦٩٣ هـ)، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، دار الأضواء، بيروت - لبنان.
- ٢٠ - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين عليّ المتقي بن حسام الدين الهندي (ت ٩٧٥ هـ)، تصحيح الشيخ بكري حياني وصفوة السقا، طبع سنة (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٢١ - كتاب المتوارين الذين اختفوا خوفاً من الحجاج : عبد الغني بن سعيد الأردني (ت ٤٠٩ هـ)، تعليق مشهور حسن محمود سلمان، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م، دار القلم - دمشق.

(ل)

- ١ - لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت ٧١١ هـ)، طبع سنة (١٤٠٥ هـ)، نشر أدب الحوزة، قم - إيران.
- ٢ - لسان الميزان: أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، الطبعة الثانية (١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م)، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
- ٣ - لواعج الأشجان: السيّد محسن الأمين (ت ١٣٧١ هـ)، طبع سنة (١٣٣١ هـ)، مطبعة العرفان، صيدا، بيروت - لبنان.
- ٤ - لوائح الأنوار القدسيّة في بيان العهود المحمّدية: سيّد عبد الوهاب الشعراني (ت ٩٧٣ هـ)، الطبعة الثانية (١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م)، القاهرة - مصر.

(م)

- ١ - المجدي في أنساب الطالبين: عليّ بن محمد العلوي (ت ٧٠٩ هـ)، تحقيق أحمد الدامغاني، الطبعة الأولى (١٤٠٩ هـ)، سيد الشهداء (ع)، قم - إيران.
- ٢ - المجروحين: محمد بن حبان بن أحمد البستي (ت ٣٥٤ هـ)، تحقيق محمود إبراهيم زايد.

- ٣ - المجموع شرح المذهب: محيي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ٤ - المحيّر: محمد بن حبيب البغدادي (ت ٣٤٥ هـ)، طبع ذي القعدة (١٣٦١ هـ)، مطبعة الدائرة.
- ٥ - المحصول في علم الأصول: محمد بن عمر بن الحسن الرازي (ت ٦٠٦ هـ)، تحقيق طه جابر فياض العلواني، الطبعة الأولى (١٤٠٠ هـ)، جامعة محمد بن سعود، الرياض - السعودية.
- ٦ - المدهش: جمال الدين بن عليّ بن محمد بن جعفر الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق مروان قباني، الطبعة الثانية (١٩٨٥ م)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٧ - المزار: محمد مكّي العاملي الشهير بالشهيد الأول (ت ٧٨٦ هـ)، تحقيق مدرسة الإمام المهدي (عج)، الطبعة الأولى (١٤١٠ هـ)، مطبعة أمير، قم - إيران.
- ٨ - المستدرک علی الصحیحین: محمد بن عبد الله بن محمد (ت ٤٠٥ هـ)، تحقيق يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت.
- ٩ - المصباح: إبراهيم بن عليّ الحسن بن محمد بن صالح الكفعمي (ت ٩٠٥ هـ)، الطبعة الثالثة (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م)، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان.
- ١٠ - المصطلحات : إعداد مركز المعجم الفقهي ، معاصر، مصطلحات ومفردات فقهية .
- ١١ - المصنّف: عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١ هـ)، تحقيق حبيب الأعظمي، منشورات المجلس العلمي.
- ١٢ - المصنّف: عبد الله بن محمد بن أبي شيبه إبراهيم بن عثمان الكوفي (ت ٢٣٥ هـ)، تحقيق سعيد اللحام، الطبعة الأولى (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م)، دار الفكر، بيروت.

- ١٣ - المعارف: عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة.
- ١٤ - المعتمد في أصول الفقه: محمد بن علي بن الطيب البصري، تحقيق خليل الميسي، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ١٥ - المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠ هـ)، تحقيق قسم دار الحرمين، طبع سنة (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م)، دار الحرمين، مكة - السعودية.
- ١٦ - المعجم الصغير: سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ١٧ - المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠ هـ)، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ١٨ - المغني: عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة (ت ٦٣٠ هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ١٩ - المقنعة: محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (المفيد) (ت ٤١٣ هـ)، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الثانية (١٤١٠ هـ)، قم - إيران.
- ٢٠ - الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر بن أحمد الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ)، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ٢١ - المنتخب من ذيل المذيل: محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان.
- ٢٢ - المنتقى من السنن المسندة عن رسول الله ﷺ: أبو محمد عبد الله بن الجارود (ت ٣٠٧ هـ)، تحقيق عبد الله عمر البارودي، الطبعة الأولى (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م)، دار الجنان، بيروت - لبنان.

- ٢٣ - مجمع البحرين: فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥ هـ)، تحقيق السيد أحمد الحسيني، الطبعة الثانية (١٤٠٨ هـ - ١٣٦٧ ش)، مكتبة النشر الإسلامي.
- ٢٤ - مجمع البيان في تفسير القرآن: الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ)، تحقيق لجنة من العلماء، الطبعة الأولى (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م)، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان.
- ٢٥ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ)، طبع سنة (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٦ - مختصر المعاني: أسعد الدين التفتازاني (٧٩٢ هـ)، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ، دار الفكر - قم.
- ٢٧ - مرآة الجنان و عبرة اليقظان: عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (ت ٧٦٨ هـ)، طبع سنة (١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م)، دار الكتب الإسلامي - القاهرة.
- ٢٨ - مروج الذهب: علي بن الحسن المسعودي (ت ٣٤٦ هـ)، الطبعة الرابعة، مطبعة السعادة، القاهرة - مصر.
- ٢٩ - مستند الشيعة في أحكام الشريعة: أحمد بن محمد بن مهدي النراقي (ت ١٢٤٥ هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت ^١، الطبعة الأولى (١٤١٥ هـ)، مؤسسة آل البيت ^٢ لإحياء التراث - قم.
- ٣٠ - مسند أبي يعلى الموصلي: إسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي (ت ٣٠٧ هـ)، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث.
- ٣١ - مسند أبي داود الطيالسي: سليمان بن داود بن الجارود الفارسي (ت ٢٠٤ هـ)، دار المعرفة، بيروت.
- ٣٢ - مسند أحمد: أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، دار صادر، بيروت - لبنان.

- ٣٣ - مسند إسحاق بن راهوية: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي (ت ٢٣٨ هـ)، تحقيق عبد الغفور عبد الحق البلوشي، الطبعة الأولى (١٤١٢ هـ)، مكتبة الأديان، المدينة المنورة.
- ٣٤ - مسند الحميدي: عبدالله بن الزبير الحميدي (ت ٢١٩ هـ)، تحقيق حبيب الرحمن العظمى، الطبعة الأولى (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٣٥ - مسند الشهاب: محمد بن سلامة القضاعي (ت ٤٥٤ هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٣٦ - مسند عبد الله بن المبارك: عبد الله بن المبارك (ت ١٨١ هـ)، تحقيق مصطفى عثمان محمد، الطبعة الأولى (١٤١١ هـ - ١٩٩١ م)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٣٧ - مسند عبد بن حميد: عبد بن حميد بن نصر الكسي (٢٤٩ هـ)، تحقيق صبحي البدري ومحمود خليل الصعيدي، الطبعة الأولى (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م)، مكتبة النهضة العربية.
- ٣٨ - مشارق الشموس في شرح الدروس: حسين بن محمد الخوانساري (ت ١٠٩٩ هـ)، مؤسسة آل البيت ^٨ - قم.
- ٣٩ - مشكاة المصابيح: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي (ت ٧٣٧ هـ)، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م)، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.
- ٤٠ - مصباح المتهجد: محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، الطبعة الأولى (١٤١١ هـ - ١٩٩١ م)، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت - لبنان.
- ٤١ - مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ﷺ: محمد بن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢ هـ)، تحقيق ماجد بن أحمد العطية.
- ٤٢ - معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: حافظ بن أحمد حكيمي، تحقيق عمر بن محمود، الطبعة الأولى (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م)، دار ابن القيم، الدمام - السعودية.

- ٤٣ - معالم الدين وملاذ المجتهدين : الحسن بن محمد بن جمال الدين (٩٥٩ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران.
- ٤٤ - معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦ هـ)، طبع سنة (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٤٥ - معجم المطبوعات العربية: يوسف إيلان سركيس (ت ١٣٥١ هـ)، طبع سنة (١٤١٠ هـ)، بهمن - قم.
- ٤٦ - معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة (ت ١٤٠٨ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٤٧ - معرفة الثقات: أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي (ت ٢٦١ هـ)، الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ)، مكتبة الدار، المدينة المنورة.
- ٤٨ - معرفة علوم الحديث: محمد بن عبد الله بن البيع المعروف بالحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ)، تحقيق السيد معظم حسين، الطبعة الرابعة (١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م)، منشورات دار الآفاق، بيروت.
- ٤٩ - مغني اللبيب: عبد الله بن جمال الدين الأنصاري (ت ٧٦١ هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد طبع سنة (١٤٠٤ هـ)، منشورات مكتبة المرعشي، قم - إيران.
- ٥٠ - مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: محمد الشربيني الخطيب (ت ٩٧٧ هـ)، طبع سنة (١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٥١ - مغني المريد الجامع لشروح كتاب التوحيد: عبد المنعم إبراهيم (معاصر)، الطبعة الأولى (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م)، مكتبة الباز، الرياض.
- ٥٢ - مفتاح الفلاح في عمل اليوم والليلة من الواجبات والمستحبات والآداب: بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد العاملي (ت ١٠٣١ هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان.
- ٥٣ - مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة: محمد جواد الحسيني العاملي (ت ١٢٢٦ هـ)، تحقيق علي أصغر مرواريد، دار التراث، بيروت - لبنان.

- ٥٤ - مقاتل الطالبين: علي بن الحسين بن محمد بن أحمد المعروف بأبي الفرج الإصفهاني (٣٥٦ هـ)، تقديم كاظم المظفر، الطبعة الأولى (١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م)، مؤسسة دار الكتاب، قم - إيران.
- ٥٥ - مقالات الأصول : ضياء الدين العراقي (ت ١٢٧٨ هـ)، تحقيق محسن العراقي ومنذر الحكيم، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ، مجمع الفكر الإسلامي - قم.
- ٥٦ - منتخب مسند بن عبد حميد: عبد بن حميد بن نصر الكسي (ت ٢٤٩ هـ)، تحقيق صبحي البدري ومحمود محمد خليل، الطبعة الأولى (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م)، مكتبة النهضة العربية - بيروت.
- ٥٧ - منتهى الأصول : حسن بن علي أصغر البجنوردي (ت ١٣٧٩ هـ).
- ٥٨ - من ذيل العبر : محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق صلاح الدين المنجد ، دار النشر ، مطبعة حكومة الكويت .
- ٥٩ - منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات ابن جرجيس : عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ت ١٢٩٢ هـ)، دار الهادي، بيروت - لبنان.
- ٦٠ - منهاج السنّة النبويّة: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرّاني (ت ٧٢٨ هـ)، تحقيق محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى (١٤٠٦ هـ)، مؤسسة قرطبة، بيروت - لبنان.
- ٦١ - موارد الضمّان: علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ)، تحقيق حسين سليم أسد الداراني، الطبعة الأولى (١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م)، دار الثقافة العربية، بيروت.
- ٦٢ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى (١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م)، دار المعرفة للطباعة، بيروت.
- ٦٣ - مؤلفات محمد بن عبد الوهاب: محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦ هـ)، تحقيق عبد العزيز الرومي ومحمد بلتاجي وسيد حجاب، جامعة محمد بن سعود، الرياض - السعودية.

(ن)

- ١ - النهاية في غريب الحديث: مبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت ٦٠٦ هـ)، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي، الطبعة الرابعة (١٣١٤ هـ)، إسماعيليان، قم - إيران.
- ٢ - ناسخ الحديث ومنسوخه: عمر بن أحمد بن عثمان المعروف بابن شاهين (ت ٣٨٥ هـ)، تحقيق الدكتورة كريمة بنت علي.
- ٣ - نفح الطيب عن غص الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت ١٠٤١ هـ)، تحقيق إحسان عباس، طبع سنة ١٣٨٨ هـ، دار صادر - بيروت.
- ٤ - نهاية الأفكار: ضياء الدين العراقي (١٣٦١ هـ)، طبع سنة (١٤٠٥ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران.
- ٥ - نهاية الدراية: حسن الصدر (ت ١٣٥١ هـ)، تحقيق ماجد الغرباوي، مطبعة اعتماد - قم.
- ٦ - نهاية الدراية في شرح الكفاية: محمد حسين الغروي الإصفهاني (ت ١٣٦١ هـ)، تحقيق مهدي أحدي، الطبعة الأولى ١٣٧٤ ش، أمير - قم.
- ٧ - نصب الراية تخريج أحاديث الهداية: جمال الدين الزيلعي (ت ٧٦٢ هـ)، أيمن صالح شعبان، الطبقة الأولى (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م)، دار الحديث، القاهرة - مصر.
- ٨ - نظم المتناثر من الحديث المتواتر: محمد بن جعفر الكتاني (ت ١٣٤٥ هـ)، الطبعة الثالثة، دار الكتب السلفية، مصر.
- ٩ - نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: محمد باقر المحمودي (معاصر)، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان.

١٠ - نيل الأوطار من أحاديث سيّد الأخيار (شرح منتقى الأخبار) محمّد بن عليّ ابن محمّد الشوكاني (ت ١٢٥٥ هـ)، طبع سنة (١٩٧٣ م)، دار الجيل، بيروت - لبنان.

(و)

١ - الوابل الصيّب من الكلم الطيّب: محمّد بن أيوب الزرعي المعروف بابن القيم الجوزية، تحقيق محمّد عبد الرحمن عوض، الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

٢ - الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن إيبك الصفدي (ت ٧٦٤ هـ)، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، طبع سنة (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٣ - الوهابيون والبيوت المرفوعة: محمّد علي بن حسن الهمداني (ت ١٣٧٨ هـ)، تحقيق لجنة من العلماء، الطبعة الثانية (١٤١٨ هـ).

٤ - الوهابيون والحجاز: محمّد رشيد رضا، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار الفيرواني، الطبعة الأولى (١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م)، دار الفتح.

٥ - وسيلة الوصول الى حقائق الأصول: تقرير أبحاث السيّد أبي الحسن الإصفهاني، حسين السيادي السبزواري (ت ١٣٨٥ هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ، مؤسسة النشر الإسلامي - قم.

٦ - وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى: عليّ بن أحمد السمهودي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق محي الدين عبد الحميد، طبع سنة (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٨ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان.

٧ - وقعة صفين: نصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢ هـ)، تحقيق عبد السلام محمّد هارون، الطبعة الثانية (١٣٨٢ هـ)، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، مصر.

(هـ)

- ١ - الهدية السنية والتحفة النجدية (مجموعة رسائل لكبار أئمة نجد وعلمائها):
 طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية،
 الرياض (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م).
- ٢ - كتاب الهواتف: عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي المعروف بابن أبي
 الدنيا (٢٨١ هـ)، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، الطبعة الأولى (١٤١٣ هـ)، مؤسسة الكتب
 الثقافية، بيروت - لبنان.

(ي)

- ١ - ينابيع الأحكام في معرفة الحلال والحرام: عليّ الموسوي القزويني
 (ت ١٢٩٨ هـ)، تحقيق علي العلوي القزويني، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ، مؤسسة النشر
 الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران.
- ٢ - ينابيع المودة لذوي القربى: سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (ت ١٢٩٤ هـ)،
 تحقيق عليّ جمال أشرف الحسيني، الطبعة الأولى (١٤١٦ هـ)، دار أسوة.

فهرس الموضوعات

٧	مقدمة المجمع
١٣	« المقدمة الأولى » : في تاريخ الوهابية وفيها فصول
١٣	الفصل الأول: إلى مَنْ ينسب مذهب الوهابية
٢٥	الفصل الثاني : في حروب الشريف غالب مع الوهابيين
٤٣	انتفاض الصلح بين الوهابية والشريف غالب
٤٦	هجوم الوهابيين على الطائف سنة (١٢١٧هـ)
٤٧	دخول الوهابيين الطائف عنوة سنة (١٢١٧هـ) وفضائعهم فيها
٤٨	قصد الوهابية مكة سنة (١٢١٧هـ)
٥١	استيلاء الوهابية على مكة بدون حرب سنة (١٢١٨هـ)
	هدم الوهابية القبور والقبب بمكة وحملهم الناس على
٥٢	معتقداتهم (١٢١٨ هـ)
٥٤	محاصرة الوهابية جدة ورجوعهم عنها
٥٨	محاصرة الشريف غالب الطائف وحروبه مع الوهابية
٥٩	محاصرة الوهابية مكة سنة (١٢١٩ هـ)
٥٩	اشتداد الغلاء بمكة سنة (١٢١٩ هـ)
	تشديد الوهابية الحصار على مكة: ٦٠
٦٣	محاصرة الوهابيين جدة وقطعهم الطرقات عنها وعن مكة
٦٤	صلح الوهابية مع الشريف غالب سنة (١٢٢٠ هـ)

- نهب الوهابية ذخائر الحجرة النبوية وهدم القباب بالمدينة
- ٦٧ المنورة سنة (١٢٢١ هـ)
- ٦٨ انقطاع الحج من مصر والشام والعراق
- ٦٩ هجوم الوهابيين على سورية سنة (١٢٢٥ هـ)
- ٧١ الفصل الثالث : في محاربة محمد علي باشا للوهابيين
- ٧٦ القبض على المضايقي
- ٧٧ القبض على الشريف غالب
- ٨٠ مداومة محمد علي باشا على حرب الوهابية
- ٨٢ الصلح بين طوسون باشا والوهابية سنة (١٢٣٠ هـ)
- ٨٩ الفصل الرابع : في ما آل إليه أمر نجد وما فعله الوهابيون في الحجاز
- ٩٣ هجوم الوهابيين في الحجاز على عرب الفرع من قبيلة حرب
- ٩٣ قتل الوهابيين الحاج اليماني سنة (١٣٤١ هـ)
- ٩٥ هجوم الوهابيين على الحجاز وفضائعهم في الطائف
- ٩٦ مهاجمة الوهابيين شرقي الأردن سنة ١٣٤٣ هـ
- ٩٨ التاريخ يعيد نفسه
- ٩٨ هجوم الوهابيين على العراق
- ١٠٠ هدم الوهابيين القباب والمزارات بالحجاز عام (١٣٤٣ هـ)
- ١٠٤ السعي لابطال الحج وإثارة الفتن بين المسلمين
- » المقدمة الثانية « : في أمور مهمة يتوقف عليها المقصود من رد
- ١٢٥ شبهات الوهابية
- » المقدمة الثالثة « : في شبه الوهابيين بالخوارج وذلك من عدة وجوه
- ١٨٥

- ٢٠٩ الباب الأول: في ذكر جميع معتقدات الوهابية
- ٢٠٩ الاجتهاد عند الوهابيين
- ٢١٢ اعتقاد الوهابية وقدوتهم ابن تيمية في الله تعالى وصفاته
- ٢٣٤ اعتقاد الوهابيين في النبي ﷺ وسائر الأنبياء والصالحين..
- ٢٣٧ اعتقادهم في عموم المسلمين
- ٣٠١ الباب الثاني: في ذكر معتقدات الوهابية
- ٤١١ الباب الثالث: في تفصيل الأمور التي كفر بها الوهابية المسلمين
- ٤١١ الفصل الأول: في الشفاعة
- ٤٥٧ الفصل الثاني: في دعاء غير الله تعالى والاستغاثة والاستعانة به
- ٥٠٩ الفصل الثالث: في التوسل إلى الله تعالى بالأنبياء والصلحاء
- ٥٥١ الفصل الرابع: في الإقسام على الله بمخلوق أو بحق مخلوق
- ٥٦٥ الفصل الخامس: في الحلف بغير الله تعالى
- الفصل السادس: في التعبير عن غيره تعالى بالسيد والمولى
- ٥٧٩ ونحو ذلك
- ٥٨٧ الفصل السابع: في النحر والذبح
- ٥٩٩ الفصل الثامن: في النذر لغير الله
- ٦٠٥ الفصل التاسع: في بناء القبور والبناء عليها
- بناء الحجرة الشريفة والقبعة المنيفة النبوية من ابتداء
- ٦٥٤ أمرها إلى اليوم
- ٦٧٥ الفصل العاشر: في الكتابة على القبور
- الفصل الحادي عشر: في اتخاذ المساجد على القبور

٦٧٩	واتخاذها مساجد
٦٩٩	الفصل الثاني عشر: في الإسراج على القبور
	الفصل الثالث عشر: في الدعاء والصلاة عند القبر الشريف
٧٠١	وغيره
٧٠٧	الفصل الرابع عشر: في تعظيم القبور وأصحابها والتبرك بها
	الفصل الخامس عشر: في اتخاذ الخدمة والسدنة لقبور
٧٣٥	الأنبياء والأولياء
	الفصل السادس عشر: في تزيين المشاهد بالذهب والفضة
٧٣٩	والمعلقات والحلي
٧٥١	الفصل السابع عشر: في زيارة القبور
٧٥١	المبحث الأول: في أصل مشروعية زيارة القبور
٧٥١	المقام الأول في زيارة قبر النبي
٧٧٠	المقام الثاني: في زيارة سائر القبور
٧٧٢	المبحث الثاني: في شد الرحال إلى زيارة القبور
٧٨٦	استدراك
٧٩٧	خاتمة
٨٠٨	الشهادة الأولى
٨٠٩	الشهادة الثانية
٨١٥	العقود الدرية في رد شبهات الوهابية (نظم العلامة)
٨٤٣	المصادر
٨٨٣	الفهرس

تصحیح ۲۹ - جدید

هو

هو